هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (الجاثية/٢٩)

# وعي القرآن الميسر

## الفهم الحيوي للقرآن

بقلم الباحث

مكي قاسم البغدادي

يعنى بالدراسات القرآنية


المجلد الأول

من الجزء (١-٨) من القرآن الكريم

من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام

وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ
الأنعام/١٥٥

# وعي القرآن الميسر

## الفهم الحيوي للقرآن

المجلد الأول

من الجزء (١ ـ ٨) من القرآن الكريم


بقلم الباحث

مكي قاسم البغدادي

يُعنى بالدراسات القرآنية

www.aljawadain.iq

قال تعالى : ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية/٢٠

# وَعْيُ الْقُرْآنِ الْمُيَسَّر

## الفَهْمُ الحَيَويُّ لِلقُرْآن (ج١)

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ القمر/١٧

**مُدَّكِرٍ** : متذكِّر

قال تعالى : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الجاثية/٢٩

# وعي القرآن الميسّر

## الفهم الحيويّ للقرآن

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ المائدة/٤٨

**عن النبي (ص)**:(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَتَعَلَّمُوْا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ). البحار٩٢ص١٩

**المجلّد الأوّل**

من الجزء (١-٨) من القرآن الكريم

من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام


**بقلم الباحث**

**مَكّي قَاسِمْ البَغْدَاْدِيّ**

**يُعنى بالدّرَاسَات القُرآنيَّة**

# السِّيْرَةُ الذَّاْتِيَّةُ الْمُخْتَصَرَةُ لِلْكِتَاْب (هويةُ الكتابِ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

– العنوان **(وعي القرآن الميُسَّر)** بمعنى : كما أنّ القرآنَ مُيَسّرٌ نصّاً لكلّ النّاس بقوله ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ القمر/٣٢ ، فالمطلوب والمرغوب أن يكون تفسيراً مُيسَّراً لكلّ النّاس أيضاً ، مُيسَّراً في معناه ومبناه ، وعميقاً في مغزاه وواسعاً في دلالاته ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟! أي متذكّر ، ومعنى الميسَّر غير معنى المختصر ، أي تفهّم معنى الآية الكريمة بشكل عام والتركيز على المهم وبأسلوب حيوي سهل الفهم ، وبلا تطويل ممل ولا اختصار غير مستوفٍ، إنّه الفهم الحيويّ للقرآن يبعث الحيويّة والحياة في النّفوس والذي يشرح الصدور ويطمئن القلوب ، الذي يعتمد خير الكلام ما قلّ ودلّ ولا يمل، ولا يبتعد عن القصد، قال تعالى ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فاتَّبِعُوهُ**﴾ الأنعام/١٥٥ .


– **المؤلف** : الباحث مكي قاسم البغدادي (يُعنى بالدراسات القرآنية) .

– المجلّد الأوّل : يحتوي من الجزء ١ — ٨ من أجزاء القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الانعام

– عدد الصفحات المجلّد الأوّل : ٦٨٧

– قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم

– الإخراج الفني : د. محمّد نصيف عباس

– سنة الطبع ٢٠٢٠ – الطبعة الثانية — مزيدة ومنقحة مع مصادر البحث

**الناشر** : بساتين المعرفة

طباعة – نشر – توزيع / كتب : تراثية ، علمية ، دينية

العراق - بغداد – شارع المتنبي

سوق السراجين قرب مكتبة دار الكتب العلمية

mob: 07902278551

eimal: basatenmaraf@yahoo.com

الرقم الدولي: ISBN 978-9922-20-734-6

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣١٠٩ لسنة ٢٠١٨



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

قال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ الأنعام/١٠٤

**مقدمة أستاذ اللغة العربية**

**بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين**

الحمد لله وصلوات ربنا وسلامة على سيدنا مُحَمّد وآله الطاهرين

الحمد لله الذي منّ علينا إتمام هذا المجلد من (**وَعْيُ الْقُرآنِ المُيَسَّر**) تدقيقاً لغوياً، وجدناه يستند على منهج سليم في التدبّر الجميل للنص القرآني قال تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) النساء/٨٢، فكان منهج البحث يعتمد كيف نعي النص؟ وكيف نتفاعل معه؟، ويكون الكتاب متوازناً، لا هو مختصر لا يستوفي المعنى، ولا هو مطوّل فيكون للخواص والنخب، **وأنما كان ميُسَّراً بموضوعية واعتدال، ويعتمد المنهج الحيوي المعاصر، الذي تستمتع النفس بقراءته**، ويستند الأسلوب الأدبي الجذّاب، الذي يشوّق النفس بمتابعته، والذي قاعدته الدلالة القرآنية والعقلية والنقلية والواقعية التي لا تتعارض مع نصوص القرآن، مستعيناً في شرح معنى الآية الكريمة بآيات قرآنية آخرى تفتح آفاق النص وايحاءاته، ليكون أفضل وسيلة لفهم القرآن، أن يفسر القرآن بعضه بعضاً، مستعيناً بأحاديث النبي وآله (ع) الصحيحة التي لا تتعارض مع آيات القرآن. ويعتمد (**وَعْيُ الْقُرآنِ المُيَسَّر**) على ما يلي: ١- المنهج العالمي للقرآن (**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**) التكوير/٢٧، ٢- المنهج الحيوي، والأسلوب الأدبي المشوّق، الذي يوحّد ولا يفرّق، ٣- يعتمد الأحاديث الصحيحة، ٤- يعتمد البحث على التيسير والتعميق بلا تبسيط ولا اختصار، فكان ميسّراً شفافاً سهل الفهم بعيداً عن التعقيد، وميسّراً بطريقة فنية فريدة بعيداً عن التسطيح. فيكون (**القرآن ميزان دقيق: فمن وفّى، استوفى**).

اللهم اجعلنا ممن يتذكّر فتنفعه الذكرى، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه

وآخر دعوانا (**أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) يونس/١٠

أستاذ اللغة العربية

ضياء الجادري

## دعاء قبل تلاوة القرآن الكريم

عن الإمام الصادق (ع) : ﴿اللّهمّ إنّي أشهدُ أنّ هذا كتابُكَ المُنزَلُ من عندِكَ على رسولِكَ مُحمّد بن عبدِ الله صلّى الله عليهِ وآلهِ وكلامُكَ النّاطِقُ على لسانِ نبيّكَ، جعلتَهُ هادياً منكَ إلى خلقِكَ وحبلاً مُتّصلاً فيما بينكَ وبينَ عبادِكَ . اللّهمّ إنّي نشرتُ عهدَكَ وكتابَكَ، اللّهمّ فاجعلْ نظري فيهِ عبادةً ، وقراءتي فيهِ فكراً ، وفكري فيهِ اعتباراً ، واجعلني ممّنْ إتّعظَ ببيانِ مواعظِكَ فيهِ ، واجتنبَ معاصيكَ ، ولا تطبعْ عندَ قراءتي على سمعي ، ولا تجعلْ على بصري غشاوةً ، ولا تجعلْ قراءتي قراءةً لا تدبُّرَ فيها ، بلِ اجعلني أتدبّرُ آياتهُ وأحكامهُ ، آخذاً بشرائعِ دينكَ ، ولا تجعلْ نظري فيهِ غفلةً، ولا قراءتي هذراً ، إنّكَ أنتَ الرّؤوفُ الرّحيمُ﴾

## وكان يقول (ع) بعد الفراغ من التلاوة

﴿اللّهمّ إنّي قدْ قرأتُ ما قضيتَ منْ كتابكَ الّذي أنزلتَهُ على نبيّكَ الصّادقِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ ، فلكَ الحمدُ ربّنا . اللّهمّ اجعلني ممّنْ يحلُّ حلالَهُ ، ويحرّمُ حرامَهُ ، ويؤمنُ بمُحكمِهِ ومُتشابهِهِ ، واجعلهُ لي أنساً في حشري ، واجعلني ممّنْ ترقيهِ بكلّ آيةٍ قرأها درجةً في أعلى علّيينَ ، آمينَ ربَّ العالمينَ﴾

## إقرأ القرآن وإرقَ

قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل/٨٩

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ الإسراء/٩

قال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ الإسراء/٨٢

قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ الفرقان/١

قال تعالى : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ النساء/٨٢

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان/٢٧

قال تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ الكهف/١٠٩

## إقتدوا بسنّة نبيّكم فإنّها أهدى السنن

**عن النبي (ص)** : (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ ، كَمَاْ كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَاْ ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا). كنز العمال خبر٢٣٣٠

وعنه (ص): (ليسَ القرآنُ بالتِلاوةِ ولا العلمُ بالروايةِ، ولكنَ القرآنَ بالهدايةِ ، والعلمَ بالدرايةِ) كنز العمال خبر٢٤٦٢

**وعنه (ص)** : (يا معاذ إِنْ أَرَدْتَ عَيْشَ السُّعَدَاْءِ وَمِيْتَةَ الشُّهَدَاْءِ وَالنَّجَاْةَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ وَالنُّوْرَ يَوْمَ الظُّلُمَاْتِ وَالظِّلَّ يَوْمَ الْحَرُوْرِ وَالرَّيَّ يَوْمَ الْعَطَشِ وَالْوَزْنَ يَوْمَ الْخِفَّةِ وَالْهُدَى يَوْمَ الضَّلاَلَةِ ، فَاْدْرُسِ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ ذِكْرُ الرَّحْمَنِ وَحِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَاْنِ وَرَجَحَاْنٌ فِيْ الْمِيْزَاْنِ) . كنز العمال خبر٢٤٣٩

**وعنه (ص)** : (مَنْ أَرَاْدَ عِلْمَ الأَوّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآن) . كنز العمال خبر٢٤٥٤،يُثَوِّرْ: يَتَعَمَّق

**وعنه (ص)** : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَتَعَلَّمُوْاْ مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَاْ اسْتَطَعْتُمْ) .البحار٩٢ص١٩

**وعنه (ص)** : (كَلاَمِيَ لاَ يَنْسَخُ كَلاَمَ اللهِ ، وَكَلاَمُ اللهِ يَنْسَخُ كَلاَمِيَ ، وَكَلاَمُ اللهِ يَنْسَخُ بَعْضُهُ بَعْضاً) . كنز العمال خبر٢٩٦١

**وعنه (ص)** : (حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عُرَفَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ الْمُجَاْهِدُوْنَ قُوَّاْدُهَا وَالرُّسُلُ سَاْدَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .مستدرك الوسائل٣ص٢٤٢

**وعنه (ص)** : (إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوْبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ قِيلَ يَاْ رَسُولَ اللهِ فَمَا جَلاؤُهَا ؟ قَاْلَ (ص) تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ). كنز العمال خبر٢٤٤١

**وعنه (ص)** : (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اِسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوْحَى إِلَيْهِ) . كنز العمال خبر٢٣٤٧

**عن الإمام علي (ع)** : (اللهُ اللهُ فِيْ الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ) .نهج البلاغة كتاب٤٧

**وعنه (ع)** : (لاَ خَيْرَ فِي عِبَاْدَةٍ لاَ عِلْمَ فِيْهَا) (وَلاَ خَيْرَ فِيْ قِرَاءَةٍ لاَ تَدَبُّرَ فِيْهَا).البحار٧٨/٧٥، البحار٩٢/٢١١

**وعنه (ع)** : (ذلكَ القرآنُ فاستنطقوُهُ ، فإنهُ حاملٌ لمن حملهُ ، وناطقٌ لمن استنطقهُ)

**عن الإمام الحسن (ع)**: (إنّ أحقَ الناس بالقرآنِ من عملَ به وإنّ لم يحفظهُ، وأبعدهم منه من لم يعمل به وإنّ كان يقرأهُ) إرشاد القلوب للديلمي ص٧٩

**عن الإمام الصادق (ع)** : (يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لا يموت حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، أَوْ يَكُوْنَ فِيْ تَعَلُّمِهِ) .

**عن إبن عباس** : (مَاْ خَاْلَفَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ خُطُوَاْتِ الشَّيْطَاْنِ) .الدر المنثور ١/١٦٧

**عن الإمام الرضا (ع)** : (مَنْ رَدَّ مُتَشابَهُ القُرآنِ إلى مُحكَمِهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ) . البحار٩٢/٣٧٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَةُ المؤَلِّف

– **السلام عليكم ورحمة الله** ﴿**تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾النور/٦١

–(**الحمد لله**) الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وخلق المخلوقات ناطقة بحمده وشكره وسبباً لمزيد فضله ودليلاً على آلائه وعظمته ، نحمده لعظيم غنائه وجزيل عطائه وتظاهر نعمائه وحسن بلائه وخفاء ألطافه .**إلهي** : بنورك اهتدينا، وبفضلك استغنينا، وبنعمتك أصبحنا وأمسينا .

–(**الحمد لله**) الذي أنزل القرآن بالحق ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾الإسراء/١٠٥، وجعله ﴿**تِبْيَانا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾النحل/٨٩، وفيه ﴿**تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾يوسف/١١١، و﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾الأنعام/٣٨، ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾الكهف/٥٤، وجعله شفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين ، ومنهجاً نموذجياً للعالمين ، ودستوراً هادياً للبشرية أجمعين !﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ**﴾المائدة/١٦.

– والصلاة والسلام على المبعوث رحمة مهداة للعالمين محمَّد المصطفى (ص) ، وعلى عترته الطاهرة من أهل بيته الكرام خزائن علوم الكتاب والسنة ، أولي المكارم والعلوم والجود، وعلى أصحابه ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾الفتح/٢٩.

–(**الحمد لله**) الذي شرفني بأفضل العلوم وأعلاها وأجلها وأسماها وأكملها وأرعاها وأجملها وأهداها، وبارك لي في ما أعطيتني .

–الحمد لله الذي جعل القرآن العظيم تلخصه كلمة واحدة (الهداية) بقوله﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾البقرة/٢، الهداية الخاصة للإنسان الخاص (إنسان النخبة) والقرآن كتاب هداية ودراية لكافة البشرية ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾البقرة/١٨٥، الهداية العامة للإنسان العام ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾الإسراء/٩، **والهداية** : أرقى درجات العلوم وأفضل ذخر لإستقرار النفوس فهي نعمة النّعم وقمّة القمم ، وبها يَحْسُنُ الاستبصار .

– قال تعالى﴿**مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾يونس/١٠٨ ، أنزل الله القرآن من أجل أن يتدبره الناس ويتفكروا فيه فهو كتاب مبارك على من تدبره وعلَّمه وهداه ، وظهر أثره في أخلاقه وأعماله وإلاّ فَكَمْ مِنْ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ كقوله ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ص/٢٩.

–**عن النبي** (ص)(مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآن) كنز العمال خبر٢٤٥٤، **يثوّر**: يتعمّق ويتدبّر بتلك المعجزة الخالدة التي تواكب تطوّر الزمان وحداثة الإنسان. في غرر الحكم (إنَ هذهِ القلوبَ أوعيةٌ، فخيرُها أوّعاهَا للخيرِ)

**✱منهجية البحث** :

– آيات القرآن الكريم وإن نزلت في خصوص السبب لكن أُريد لها عموم المعنى وسعة الدلالة **عن الإمام الصادق** (ع) : (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى إِيَّاْكِ أَعْنِيْ وَإِسْمَعِيْ يَاْجَاْرَة) . الكافي٢/٦٣١

– أعتمدُ المنهج العالمي لوعي القرآن الكريم بإعتبار قوله﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾التكوير/٢٧، فإذا كان ربنا سبحانه﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾الفاتحة/٢، ونبينا (ص) رحمة للعالمين﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾الأنبياء/١٠٧، والقرآن دستور حياتنا منهجاً عالمياً للناس كافةوبقوله ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾الفرقان/١، فصار المرسل والرسول والرسالة كلّها عالمية ، فلماذا نحن نعيش المذهبية ؟! إذن : علينا أن يكون فهمنا للقرآن عالمياً ووعينا له عالمياً وتعاملنا معه عالمياً وتوصيل بلاغه إلى كل الناس بصورة عالمية مدروسة مشوّقة يقبله الإنسان في جميع أنحاء العالم بقدر المستطاع ، فعلينا أن نرتقي بإرادتنا من الحدود المذهبية الضيّقة إلى الآفاق العالمية الواسعة ، وهذا هو الأهم، في غرر الحكم (مَنْ إِشْتَغَلَ بِالْمُهِمْ ضَيَّعَ الأَهَمّ) .

– **أعتمد مدرسةأهل البيت** (ع) كمصادر للحديث بإعتبارهم أحد الثقلين الذي أوصانا رسول الله (ص) بهما (**كِتَاْبُ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**)تفسير الرازي٨/١٦٣.

–إنّ هذا القرآن عظيم القدر ، يكشف لنا سنن الله الكونية والإنسانية والغيبية والعلاقة المتبادلة بينها ، وعلى ضوء هذه السنن والقوانين تسير الحياة والأحياء في الدنيا وعلى ضوئهايحصل الحساب والجزاء والثواب والعقاب في العالم الغيبي الآخر ، لذلك علينا أن نحرص على فهم القرآن الكريم لنفهم منه حركة هذه السنن والقوانين التي تنفعنا في الدنيا والآخرة، والقرآن الكتاب الوحيد الذي يتحدّث عنها حتى نسير معها بشكل متوازٍ غير متعارض ونكسب خيرها وقدرها ونتجنب قهرها ومعارضتها .

– القرآن أفق واسع والإنسان قدرة محدودة، فكيف يحيط الإنسان المحدود بكلام الخالق (القرآن) الواسع المطلق؟ قال تعالى:﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ الكهف/١٠٩سعة كلام القرآن غير محدودة لا تنفد خزائنه ولا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه ، لسعة ذات الله تعالى المطلقة غير المحدودة، وعلمه غير متناهٍ، وكلامه مظهر لعلمه وكلها مطلقة، فكيف ينبغي أن يتعامل الإنسان المحدود ولو كان عالماً وكفوءاً مع القرآن المعجزة المطلق؟!

– إن الله لا يكشف أسرار كتابه إلاّ لمن أصدق معه وأحسن حمله ، وعلم كيف يستنطقه كما ورد **عن الإمام علي** (ع) : (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، فَإِنَّهُ حَامِلٌ لِمَنْ حَمَلَهُ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ) !! لذلك كنت حريصاً على الفهم القرآني الميسَّر للقرآن الكريم محاولاً حمل القرآن بأمانة واستنطاقه بالعلم﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾الجاثية/٢٩.

–وإني عندما فكرت أن أكتب(وَعيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر) أحسست في نفسي بأني صغير صغير أمام دستور كبير كبير خلاصة رسالات الأنبياء (ع) وهو ثقل السماء وكنزها في الأرض (ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلاَ تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاَّ بِهِ) ولكنه نزل لينقذ الإنسان من حيرة الضّلالة ويخلصه من ظلمات الجهالة، مما حفزني أن أستعين بالله عز وجل وأتوكل عليه ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾الطلاق/٣، ليهديني للتي هي أقوم على فهم كتابه وإدراك معانيه وإيحاءاته وتشخيص مقاصده وأهدافه بحيث نتعلم منه ولانعلمه ، وندعوه سبحانه أن يجعل لنا إلى كل خير سبيلاً ومن كل ما لا يحب مانعاً ، ويجنبنا كل ما لا يليق بالقرآن ويبعث على التطويل والملل ويبتعد عن القصد .

–وسوف أبحر في هذا البحر القرآني الضخم متوكلاً على الله ، وأغوص في مبناه ومعناه ومغزاه وإيحاءاته وفيضه داعياً الله جلَّ في علاه أن يعصمني من الزلل ويسددني في الفكر والعلم والقول والعمل وأن أعتمد في كتابته على قاعدة (خَيْرُ الْكَلاَمِ مَاْ قَلَّ وَدَلَّ وَلاَ يُمَلُّ) ولا يبتعد عن القصد ، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه .

–ونحن نخاطب الله تعالى وندعوه فنقول :﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾طه/١١٤، ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾البقرة/٣٢ .

**❋ السبب في التأليف**

– كان الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر يقول لبعض طلابه إنَّ الأمة الإسلامية بحاجة إلى تفسير مُيسَّر للقرآن الكريم لقوله ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾القمر/٣٢، مُدَّكِرٌ : بمعنى متذكّر ومعتبر ، فإذا كان القرآن نصاً مُيسّراً لكل الناس فالمطلوب والمرغوب أن يكون تفسيراً مُيسَّراً لكل الناس أيضاً !! مُيسّراً ناهضاً في معناه ومبناه ، وعميقاً في مغزاه فهل من متذكر ؟ والميسّر غير المختصر ، كقوله ﴿**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾يوسف/١٠٨، **في غرر الحكم:** (أَحْسَنُ الْكَلاَمِ مَاْ زَاْنَهُ حُسْنُ النِّظَاْمُ، وَفَهِمَهُ الْخَاْصُ وَالْعَاْمُ) .

– هذا تفسير ذو موضوعية وإعتدال مستوعب للمعنى القرآني المهم ، سهل الفهم ، ذو حيوية في الطرح ، وبعيدٌ عن الغموض والتطرف ، ولا يخرج عن الإعتدال والوسطية ، ويعتمد الدلالة العقلية والنقلية والواقعية الصحيحة التي لا تتعارض مع نصوص القرآن الكريم .

هذا هو المنهج الوسط ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾البقرة/١٤٣، منهج لا هو بسيط ولا معقّد ، ولا هو طويل فيمل ولا قصير لم يستوفِ، إنّهُ تفسير مُيسَّر يتناسب مع (**الجماهير الإجتماعية العامة بكافة إختصاصاتها**)والتي أخذ الشغل وقتها لتحصيل المعاش ، فإنها لم يتح لها الفرصة للإطلاع على التفاسير الموسوعية الكبيرة والكثيرة للقرآن الكريم .

– هذا هو مشروعنا التفسيري الجديد والمفيد ، وهو السهل الممتنع الذي يعتمد تدبر القرآن الكريم بعلم ، لأن بالتدبر ينفتح القلب ويحيا ويهتدي بمعرفة مقاصد القرآن وأسراره ، وبعدم التدبر يُقفل القلب ويضل ويعمى، عن النبي (ص) ﴿شرّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْب﴾ البحار١٤٤/٧٧،كقوله ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾محمد/٢٤. **عن الإمام الباقر (ع)** إنّما الأعمى أعمى القلب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج/٤٦، نور الثقلين ٥٠٨/٣، فإن عمى البصر أهون من عمى البصيرة

– مع الاعتماد على الفكر العميق الأنيق الشفاف الجّذاب ، مع الأسلوب الأدبي (الحيوي) الدقيق الرقيق المنساب، مع ذكر بعض الإشارات العلمية والحركية النافعة في محلها المناسب . يتناول (**وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر**) شرح جميع آيات القرآن بحسب تسلسل السور في المصحف الشريف مع الأحاديث المناسبة مع ذكر الفوائد العلمية المميزة والإعجازية الحديثة بالقدر المناسب .

–وحصل شرح مفردات الآية الصعبة في بعضها الكلمة ومعناها ، وفي بعضها الآخر ليس بشكل مستقل ، والشرح من خلال تفسير ظاهر الآية العام مع الوضوح والاختصار ، مراعياً عدم التطويل، وحتى تكون للقارئ قدرة ذاتية على فهم كلمات الآيات وربط معانيها ببعضها من خلال السياق ، ويكون له الملكة على التدبر والقدرة على التفكر والتأمل ، مع ذكر(**فوائد**) إيحاءات النص وربطه بالواقع قدر الإمكان ، ولا يُفهم القرآن إلاّ من خلال حركة الواقع لأنّه نزل تدريجياً من خلال حركة الواقع، وفي هذا بيان المنهج الحركي المؤثر للقرآن الذي يكشف واقعية القرآن وتأثيره وحقيقته الهادية السامية للإنسانية جمعاء .

– وكتبنا (**وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر**)لعامة الناس بكافة منازلهم ودرجاتهم وإختصاصاتهم ، ولاسيما أصحاب الوظائف والمراتب المتنوعة ، وأصحاب المهن والمشاريع الإنتاجية المختلفة ، ويتناسب مع الكبار والفضلاء والشباب المثقف، ويتلاءم مع الأساتذة والعلماء والمعلمين والمتخصصين بكافة الإختصاصات العلمية والمهنية لحيوية أسلوبه ، وأخص بالذكر هذا الجيل المبارك (الحافظ للقرآن الكريم) والمحب له الذي يطمح أن يتطلّع إلى (**وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر**) .

**–وكتبناه بقدرنا لا بقدره ، وبمحتوانا لابمحتواه ، كتبناه بقدر ما يعلمنا الله ويفتح علينا وتوفيقه لنا ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾** هود/٨٨.

– كتبناه ونحن نخلص ديننا لله تعالى ، فإن الله لا يقبل الأعمال إلاّ ما خلص منها ﴿**أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣، **من دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة** (اِلٰهي أُطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ، وَاِجْذِبْنِيْ بِمَنِّكَ حَتَّى أُقْبِلَ عَلَيْكَ).

– كتبناه بشكل حديث يسهل الرجوع إليه لكل آية من كل سورة عند الحاجة إليها ، لوجود أرقام السور والآيات والأجزاء ، في الهامش العلوي لكل صفحة ، مع إستقلالية كل آية برقمها وتفسيرها.

– **معنى** (وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر) **يقال وعى القرآن** : حفظه واستوعب معانيه وأهدافه وفهم مقاصده ، وأدرك إيحاءاته، ومنه تدبُّر القرآن الكريم وتفهُّم مبناه واستيعاب معناه والإلمام بمغزاه والإحاطة بدلالاته الصحيحة ، وجمع مفاهيمه وحفظ علومه وعدم الغفلة عنها والحرص على العمل بها ، فنسعى جاهدين أن يكون (**خُلُقُنا القُرآن**) بالقدر الممكن ،**عن النبي (ص)** : (إِقْرَأُوْا الْقُرْآنَ وَإِسْتَظْهِرُوْهُ (إحفظوه) فَإِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَى الْقُرْآنَ) البحار ج٩٢ص١٩، **وفي الحديث** : (أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُ قَلْباً وَاعِيًا) يقظاً مدركاً ، **وعنه (ص)** : (لاَ خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِلا لِعَالِمٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ)كنز العمال خبر٤٠٢٧ وإنّ الله، يُكرّم القلب الذي يعي القرآن كقوله ﴿**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾الحاقة/١٢، **أما (المُيسَّر)** بمعنى سهل الفهم حيويّ التعبير يبعث الحياة في النفوس ، وتنشرح له القلوب السليمة ، مريح للعقل وخفيف على المشاعر ومنفتح على العلوم وعالي المضامين كقوله ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾، الدخان/٥٨ ، فإنما يسّرنا القرآن الكريم وسهّلناه بلسانك العربي يا مُحَمَّد فإذا هو مُيسّر عليك وعلى الناس فهمه وحفظه والاستدلال به ليحقق القرآن أهدافه ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾لعلّ النّاس يتعظون ويعملون به ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾الأنفال/٤٢.عن النبي (ص) (مَنْ جَمَعَ الْقُرآنَ مَتَّعهُ اللهُ بعقلِهِ حتّى يَمُوْت) كنز العمال خبر٢٣١٨ وفي غرر الحكم (أهلُ القرآنِ أهلُ اللهِ وخاصتهِ)

– **فيكون معنى يَسَّرْنَاهُ** : أي سهّلنا معاني وتعابير آيات القرآن للناس كافة تيسيراً بلا تبسيط ويَسَّرْنَاهُ وشوّقناه بلا إختصار ولا تطويل ولا توسيع وبلا سطحية وبلا غموض ، ولو كان القرآن نصاً سهلاً بكامله لكان بسيطاً وسطحياً وبعيداً عن العمق وليس فيه تبيان لكل شيء ولا يكون حجة على الناس كافة ، ولو كان صعباً لكان لغزاً مبهماً وخاصاً ومحدوداً لمستوى معيّن ومميز من الناس، حينئذٍ لن يحقق القرآن أهدافه السامية أيضاً ، **ولكن الله تعالى** ﴿**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾النساء/١٦٦ ، **جامعاً مانعاً وحاوياً لبلاغة عالية المضامين تجمع بين المحكم والمتشابه** ، وتجمع بين التيسير والتعميق ، فكان القرآن بين المعنى الظاهر الواضح (**المحكم**) وبين المعنى العميق الواسع (**المتشابه**) فكان القرآن ميسراً شفافاً سهل الفهم بعيداً عن البساطة ، واضحاً بعيداً عن التعقيد ، عميقاً بعيداً عن السطحية، دقيقاً بعيداً عن الغموض ، ميسّراً رقيقاً بعيداً عن التعسير شاملاً بعيداً عن التقييد ،

**وهو مُيسّر بطريقة إعجازية نموذجية متعادلة ومتوازنة وفريدة عالية المضامين** : تجمع بين الفهم الظاهري الواضح الرقيق والفهم الشمولي الدقيق ، والعلم العملي العميق والأساسي الذي يستوعب كل زمان ومكان ويتناسب مع كلّ إنسان ومع كلّ تطوّر وتقدّم وحداثة في كلّ زمان ومكان . ومن هنا يتبين أنّ القرآن ﴿**لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾النساء/٨٢ ، ويكون **(القرآن ميزان دقيق : فمن وفّى ، استوفى)** كقوله ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾المائدة/٤٨ ، [راجع تفصيل ذلك في كتابنا أهداف القرآن في أم الكتاب (دراسة سورة الحمد) مكي قاسم البغدادي ص٤٧/في مقدمة المؤلف] .

**❋ مصادر الحديث**

–إعتمد على الكثير من المصادر القديمة والحديثة ، ومنها مصادر التفاسير الكبيرة والصغيرة أذكر منها (**المصادر الكبيرة**) الميزان (مُحَمَّدحسين طباطبائي)، والأمثل (مكارم الشيرازي)، ومواهب الرحمن (عبد الأعلى السبزواري)، والنور (محسن قراءتي)، والكاشف (مُحَمَّد جواد مغنية)، ومجمع البيان (الطبرسي)، وروح البيان (إسماعيل البروسوي)، والظلال (سيد قطب)، وتفسير المراغي (أحمد مصطفى المراغي)، والتفسير الكبير (الرازي)، والتفسير القرآني للقرآن (عبد الكريم الخطيب) وغيرها. (**المصادر الصغيرة**) خلاصة التفاسير في أوضح التعابير (أحمد مغنية)، مختصر الميزان (كمال مصطفى الشاكر) ، التفسير المبين (مُحَمَّد جواد مغنية)، صفوة التفاسير (مُحَمَّد علي الصابوني)، التفسير المختصر (د. مصطفى فرج) (**التفاسير الروائية**) نور الثقلين(الحويزي)، كنز الدقائق (مُحَمَّد المشهدي)، الدر المنثور (السيوطي) ونهج البلاغة، وغرر الحكم ودرر الكلم للإمام علي (ع) ، بحار الأنوار للمجلسي .. وغيرها. لم أكتب مصادر الحديث وكتبت بعضها ، ومقاطع التفسير المختارة للإختصار وعدم التطويل وكثرة المصادر ، وأصبح الانترنت يكشف لك وبسهولة عن أي مصدر تريده ، ونحن نقلنا المصادر بأمانة من مصادرها التفسيرية أو من مصادر الحديث مع تشكيلها بالحركات بعد تحقيقها .وقد تصرفت في المقاطع التفسيرية المتنوعة بعض الشيء بما يتناسب مع منهجية البحث الميسَّر الحيويّ.

**❋ وقبل الختام نقول** :

– اللهم إجعل القرآن لنا دستور حياة ومنهج إتباع لا إبتداع ، وقدوة صالحة يقتدى بها ليكون لنا إماماً ونوراً وهدىً ورحمةً وبشرى للمؤمنين ، لنعمل به قبل أن يسبقنا بالعمل به غيرنا ممن لا يؤمن به! **في نهج البلاغة كتاب٤٧**: (اللهُ اللهُ فِيْ الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ) فيكون خيره لهم وتبعاته عليكم!

– اللهم إجعل خُلُقنا القرآن الكريم ، وحياتنا القرآن الكريم ، وتعاملنا مع أنفسنا ومع الناس ومع ربنا وفي كل الأحوال وفي جميع الأقوال والأفعال على أساس القرآن الكريم وعلى السنة الشريفة

الصحيحة وعلى العترة الطاهرة من أهل بيت النبي (ص)، وأحرصُ على رعاية الرواية ودقتها قبل روايتها وكتابتها ، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل.

–قال تعالى ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾الأنعام/١٠٤.

–مَاْ نَفْعَلُهُ خِلاَلَ سَاْعَاْتِ عَمَلِنَاْ يُحَدِّدُ مَاْ لَدَيْنَاْ ، وَمَاْ نَقُوْمُ بِهِ فِيْ أَوْقَاْتِ فَرَاْغِنَاْ يُحَدِّدُ مَاْ نَكُوْنُ .

–**عن النبي (ص)** : (لَيْسَ الْقُرْآنُ بِالتِّلاَوَةِ وَلاَ الْعِلْمُ بِالرِّوَاْيَةِ ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ بِالْهِدَاْيَةِ وَالْعِلْمَ بِالدِّرَاْيَةِ) كنز العمال خبر٢٤٦٢، **وعن الإمام الحسن** (ع) : (وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاْسِ بِالْقُرْآنِ مَنْ عَمِلَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَإِنْ كَاْنَ يَقْرَأُهُ)إرشاد القلوب للديلمي ص٧٩، **وعن النبي (ص)** : (مَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَداً أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّاْ أُعْطِيْ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيْراً وَصَغَّرَ كَبِيْرَاً) !البحار٩٢ص١٣

– اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، وغدنا خيراً من يومنا ، وطموحنا خيراً من واقعنا ، ومستقبلنا خيراً من حاضرنا، ولا تجعلنا ممن يتساوى يوماه فيكون من المغبونين، **في نهج البلاغة خطبة٨٦** (الْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ)﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾التغابن/٩ ، **في غرر الحكم**: (الْمَغْبُونُ مَنْ شُغِلَ بِالدُّنْيَا وَفَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الآخِرَةِ) ولاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ .

– اللهم وفقني أن أكتب وعي القرآن بوعي يرضاه الله ورسوله وأهل بيته وينفع الناس ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ق/٤٥

**–عدد آيات السور المدنية ١٦٢٣ آية ، عدد آيات السور المكية ٤٦١٣ آية (المجموع) (٦٢٣٦) آية في القرآن الكريم الذي عدد درجات الجنة بقدر عدد آيات القرآن الكريم . عدد السور المكية ٨٧ سورة والمدنية ٢٧ سورة (المجموع) (١١٤) سورة .**

**وفي الختام نقول :**

–ربِّ اجعلنا ممن يتذكَّر فتنفعه الذكرى ، واجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا**﴾النمل/٩٣ .

– قال تعالى ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾الزمر/١٧-١٨ .

– **(وَآخِرُ دَعْوَانَاْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** وبالحمد تتم الصالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات . بتأريخ ٢١/ جمادي أولى/١٤٤١هـ، الموافق ٢٠٢٠/١/٢٥م في العراق – الكاظمية ، داعين الله تعالى أن يوفقنا في مشروعنا القرآني الجديد والمفيد والخالص لله ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾الزمر/٣ ، إنّ ربّي سميع مجيب الدّعاء.

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**
**يُعنى بالدراسات القرآنية**

سُورَةُ الفَاتِحَةِ ترتيبها ١ آياتها ٧

**الاستعاذة (أعوذُ باللهِ منَ الشّيطانِ الرّجيم)**

ومن همزه ونفخه ووسوسته وعداوته ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ النحل/٩٨، **عن الإمام الصادق** (ع): (اغلقوا أبوابَ المعصيةِ بالاستعاذةِ، وافتحوا أبوابَ الطاعةِ بالتسميةِ) البحار٩٢/٣١٦، أي إعتصم بالله من خباثة الشيطان ، **أستعيذ** : بمعنى أستجير وأتمسك وأعتصم بالله من هذا العدو المتمرد الخبيث ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ فاطر/٦، والاستعاذة مفهوم عام هو الالتجاء إلى الغير والتعلق به كقوله (**أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) البقرة/٦٧ **معنى الشيطان:** معنى واسع الدلالة هو كلُّ متمرّدٍ عن منهج الله من الإنس والجن والدواب، وقد تكون النفس الأمارة بالسوء هي أحد الشياطين والاستعاذة بالله من كلِّ سوء وسيء ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ المؤمنون/٩٧-٩٨ ، ﴿**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ غافر/٢٧ ، ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ فصلت/٣٦ ، **نَزْغٌ** : وسوسة ، **عن النبي (ص)** : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ) سنن النسائي٨/٢٥٥ وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنَ الْبُخلِ وَأَنْ أُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا وَمِنْ عَذَابِ القَبر وَأعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ العَدُوِّ وشَمَاتَةِ الأعْداءِ وَمِنَ الجَهْلِ وَالفَقْرِ ...) **الرّجيم** : المطرود الملعون ، **وسورة الفاتحة (مكية) وسميت بعدة أسماء منها** : (**الفاتحةُ**) وأمُ الكتاب وأمُ القرآن والسبعُ المثاني والشافيةُ والوافيةُ والواقيةُ والداعيةُ (من الدعاء) والكافيةُ والأساسُ...

(**فضلها**) **عن النبي** (ص) : (أَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ الْفَاتِحَةَ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَي الْقُرْآنِ (وفي رواية) كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَالذِيْ نَفْسِيَ بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيْلِ وَلاَ فِي الزَّبُوْرِ وَلاَ فِي الْقُرْآنِ مَثْلُهَا ، وَهِيَ مَقْسُوْمَةٌ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ مَا سَأَلَ) مجمع البيان١/٢٤. عن ابن عباس (إنّ لكُل شَيءٍ أساساً وَأساسُ القُرآنِ فاتحةُ الكتابِ) الجامع لأحكام القرآن١/١١٣ كقوله (**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**)الحجر/٨٧ **ملاحظة عامة** : كل فضل لسورة من سور القرآن يعتمد على المضمون قبل الشكل، وعلى العمل قبل القول على مقدار الصدق مع النفس ومقدار التوجه الخالص لله ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ (وكل فضل بشرطه وشروطه والاستقامة على منهج الله من شروطه) .

١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

البسملة جزء من سورة الحمد ومن كل سورة ما عدا سورة براءة (التوبة) ليرشد المسلمين إلى أن يبدأوا أعمالهم كلها وأقوالهم في ميادين الحياة المختلفة **بسْم اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم** طالباً رحمته ومعونته وتوفيقه تعالى (**بسم**) الاسم في اللغة بمعنى العلامة أوهو مأخوذ من السمو والرفعة (**الله**) لفظ الجلالة من (**أَلَهَ**) أي عبد ومن (**وَلَه**) بمعنى تحيّر ، وسمي الله تعالى إلهاً لأنه معبود باستحقاق، تحيّرت العقول في ذاته ، ولفظ الجلالة (**الله**) جامع لكل أسماء وصفات الله الجمالية والكمالية والجلالية و(**الله**) يختص بمن حقت له العبادة دون غيره ، وكل أمر من الأمور تبقى بركته وتأثيره بقدر ما لله فيه من نصيب فما كان خالصاً لله قَبِلَهُ الله وما كان لغيره تعالى فهو لما توجه به إليه ، **عن النبي** (ص) : (كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ)تفسير التبيان١/٤٦١ أي ناقص، **عن الإمام الصادق** (ع): (البَسَمَلةُ تيجانُ السُّوَرِ) الجامع لأحكام القرآن١/٩٢، **وعن الإمام الباقر** (ع): **(ينبغي الاتيانُ بهِ (البَسَمَلةُ) عندَ افتتاحِ كلِّ أمرٍ عظيمٍ أو صغيرٍ ليباركَ فيهِ)** الميزان/١/٢١ القرآن كتاب هداية واستقامة ومنهج حياة للروح واطمئنان للقلب وبغيره الضلال ، (**الرّحمن**) صيغة مبالغة عن الرّحمة أي ذو الرّحمة الكثيرة على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم وهي الرّحمة العامة الشاملة ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (**(الرَّحْمَنِ) اسم خاص بصفة عامة (الرَّحِيمِ) اسم عام بصفة خاصة**)الأمثل١/٣٣، و**الرَّحْمَنِ**: اسم علم خاص بذات الله لا يطلق على غيره تعالى. (**الرَّحِيمِ**) ذو الرّحمة الدائمة الثابتة على المؤمنين خاصة، (**الرَّحِيم**) صفة مشتركة بين الخالق والمخلوق ، والعقوبات التي شرعها الله لعباده في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، لمن تعدّى حدوده وانتهك حرماته ، هي قهر في الظاهر ورحمة في الحقيقة ، لأنها تربية للناس وزجر لهم حتى لا ينحرفوا عن شرعه لأن فيها سعادتهم وفي تجاوزه شقاؤهم وهكذا تكون التربية في الترغيب والترهيب ﴿**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ الأعراف/١٥٦ .**في دعاء عرفة عن الإمام الحسين** (ع): (يارَحمنَ الدُّنيا والآخرَةِ ورحيمَهُما) ونهج البلاغة خطبة١٧٩ (رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ).

**٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) (**الْحَمْدُ**): بمعنى الثناء والمدح والشكر، حق يستحقه الله لذاته ، وجلال أفعاله ، وكمال صفاته ، وجمال مخلوقاته ، وبدائع غاياته، وهو أحد معاني الذكر ، و(**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) على السرَّاء والضَّراء ، ولايُحمد على مكروه سواه ، والحمد لله على كل حال. و(**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) مفتاح كل سداد ، وصلاح كل فساد ، والذي لا يحمد الله لايُقَدَّر نعمه ، والذي لا يقدِّر نعمة الله ، لايقدِّر الناس ولايضعهم منازلهم ، ولايكافئ الإحسان بالإحسان ، وهذا من طبائع اللئام والجهّال ، ومن اللُّؤم

تحصل قسوة القلوب ، والقلوب القاسية بعيدة عن رحمة الله . وأول افتتاح العلاقة الودية مع الله سبحانه (**بالحمد**) في جميع الحالات، فلله سبحانه الثناء والشكر ، الذي خلقنا ولم نكن شيئاً مذكوراً ، ورعانا وربانا لنربح منه كل شيء، لا ليربح منا أيَّ شيء ، فهو الذي أنعم علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فالذي يُقدِّرُ النعم ، هو الذي يشكر المنعم ، ويحمده على نعمه وفضله وإحسانه . **عن الإمام الصادق** (ع): (شُكْرُ النِّعْمَةِ إِجْتِنَاْبُ الْمَحَاْرِمِ ، وَتَمَاْمُ الشُّكْرِ قَوْلُ الرَّجُلِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَاَلَمِيْنَ) الكافي٢/٩٥. وسئل **الإمام علي** (ع) عن تفسير الآية فقال : (إِنَّ اللهَ عَرَّفَ عِبَاْدَهُ بَعْضَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ جُمَلاً ، إِذْ لاَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى مَعْرِفَةِ جَمِيْعِهَاْ بِالتَّفْصِيْلِ لأَنَّهَاْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى أَوْ تُعْرَفْ، فَقَاْلَ : قُوْلُوْا الْحَمْدُ للهِ عَلَى مَاْ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَاْ) نور الثقلين١/١٧. (**رَبِّ الْعَاَلَمِينَ**): **عن الإمام الصادق** (ع) : (**رَبِّ الْعَاَلَمِينَ**) : (يَعْنِيْ مَاْلِكَ الْجَمَاْعَاْتِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوْقٍ وَهُوَ خَاْلِقُهُمْ ، وَسَاْئِقُ أَرْزَاْقِهِمْ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُوْنَ وَمِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُوْنَ) نور الثقلين١/١٧. **الربّ** : مشتق من الفعل (**تربّى**) من التربية . ويربّي الله تعالى الإنسان قبل أن يخلقه ، وبعد أن يخلقه ، ويربيه وهو في رحم أمه ، ويربيه في كافة شؤون حياته ، ومراحل عمره ، وفي دنياه وآخرته تربية مستمرة شاملة مادية ومعنوية ، فإذا كان الله يرحمه ويغيثه في كل شيء ، فيستحق الحمد في كل شيء ، **والإنقياد لربّ العالمين** ينفي كل الربوبيات المصطنعة . **الأب**: من ولدك وأدّبك ، و**الرب**: من رباك وعلمك ، وتربية العقل أهم من تربية الجسم، لأن تربية الجسم قاسم مشترك بين جميع الكائنات الحية، وتربية العقل خاصة بالفضلاء والعقلاء. و(**رَبِّ الْعَاَلَمِينَ**) ربّ كل موجود على كافة أشكاله وأصنافه، في عالمنا هذا وفي غير عالمنا في كوكبنا وغيره، ورب كل كائن حي عاقل وغير عاقل ولا يمكن إحصاء عدد العالمين، ومعرفة مقدار العوالم، وهي في توسعة دائمة، كقوله﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ الذاريات/٤٧، (**إطلاق الربوبية للعالمين جميعاً**) فيه دلالة أنها كلها تتجه إلى رب واحد بالعبادة، كل واحد يعبد الله تعالى بقدره وبحسب قدرته ، والذي يخرج عن هذه القاعدة بإرادته هو الشاذ والضال ويكون غنيمة للشيطان، كقوله ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ الإسراء/٤٤. وقوله (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)الشعراء/٢٤، يبدأ المؤمنون دعاءهم بالحمد ويختمون دعاءهم بالحمد في الجنة (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَاَلَمِينَ)يونس/١٠.

**٣- ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾**

الذي وسعت رحمته كلَّ شيء ، وعمّ فضله جميع الكائنات . سبب تكريرهما في البسملة والسورة ، مبالغة في عظمة معناهما ، ودقة مبناهما ، وعمق مغزاهما . وأيضاً تكريرهما لأنهما السمة البارزة لله تعالى في ربوبيته ، والشاملة لجميع المخلوقات. **في غرر الحكم**: (أَبْلَغُ مَا تُسْتَدَرُّ بِهِ الرَّحْمَةُ ، أَنْ تُضْمَرَ

لِجَمِيعِ النَّاسِ الرَّحْمَةُ) (يَاْ مَنْ هُوَ أَبَرُّ بِي مِنَ الْوَاْلِدِ الرَّؤُوفِ وَالأُمِّ الْعَطُوْفِ) (**راجع أهداف القرآن في أم الكتاب/للمؤلف مكي قاسم/للتوسعة**) . وذكر (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ليبين لعباده أنّ ربوبية الله تعالى مبنية على الرحمة والإحسان ليقبلوا على طاعته وهم مطمئنوا النفوس لا ربوبية جبروت وطغيان ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/٥٤ ، **عن النبي (ص)** : (مَاْ خَلَقَ اللهُ خَلْقَاً إِلاَّ وَخَلَقَ لَهُ مَا يَغْلِبُهُ ، وَخَلَقَ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ) كنز العمال خبر١٠٣٩٠، كقوله (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) الزمر/٥٣.

**٤ – ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**

مالك يوم القيامة، بمعنى مالك مصير الإنسان وخاتمته **عن النبي (ص)**(خَيْرُ الأُمُوْرِ خَيْرُهَاْ عَاْقِبَةً) البحار٣٦٣/٧١، والذي يملك النهاية لابد أنه يملك كل الملفات للبشرية جمعاء منذ البداية ، لعلاقة النهاية بالبداية، ومن العجيب أن يؤمن الإنسان بالبداية وينكر النهاية ، كالذي يؤمن بالحياة وينكر الموت ، لعلاقة الحياة بالموت ، والذي يؤمن بالإنسان العاقل وينكر العقل ، والذي يؤمن بالطاقة والحركة وينكر الروح ، كقوله ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ الأنبياء/١٠٤ ، وتحديد الله عز وجل لنهاية الإنسان حتى يعرف كيف يبدأ ، وكيف يبرمج حياته وأعماله، مع النهاية المرسومة والمحتومة ، ولا يغفل أو يتغافل عما يُراد منه ، وعما سوف ينتهي إليه، لأن (**الْذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ، لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ** !!) إن الله سبحانه حدّد النهاية المحتومة حتى يعيش الإنسان متطلعاً إليها منذ البداية ، ويحمل الزاد المناسب معه من التقوى والعمل الصالح ﴿**وتزودوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ البقرة/١٩٧ ، (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) تحلّق بالإنسان ليتطلّع إلى أفق أسمى وأعلى من عالم الدنيا وجاذبية الأرض ، فتحلق به إلى حقيقة عالم الغيب ، العالم الآخر ، عالم القرار والجزاء والحساب العادل . قال تعالى : ﴿**هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**﴾ الكهف/٤٤.

**الإيمان بيوم الدين بصدق** يبني أساس الإنسان ، وينظّم منظومته الفكرية وقناعته الشخصية ، ويثير في داخله الإحساس برقابة الله تعالى له، وهذا يربي ضميره ويُحسّن أخلاقه وطبائعه، ويصحح فكره وسلوكه ، ويحفظ فطرته وصفاءه ويهذِّبُ قناعاته ، ويجعله يتطلّع إلى أفق سامٍ فوق حدود الأرض ، وبذلك يستقيم الإنسان المؤمن في نفسه وفكره وتتوازن أقواله وأفعاله . (**يَوْمِ الدِّينِ**): يعطي للخلق فلسفته العميقة ، وأنه مخلوق لهدف سامٍ مخلوق للبقاء لا للفناء ، مخلوق للآخرة ، و(**الدنيا مزرعة الآخرة**) ولولا هذا اليوم الضروري الحاسم لكان جميع الخلق عبثاً وباطلاً والله منزّه عن ذلك ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ**﴾ آل عمران/١٩١ ، كقوله ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ طه/١٥ ، إنَّ الدنيا لغزٌ مبهم لولا الإيمان بالآخرة لما عرف

للحياة من معنىً سامٍ ! وجاء (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) بعد (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) لتثبيت القاعدة التربوية في الترغيب والترهيب ويكون الترهيب بعد الترغيب ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ**﴾ الحجر/٤٩-٥٠ . **فائدة: يوم القيامة:** من أصدق الحقائق، ومن أقوى البديهّيات، وبه تفهم فلسفة الحياة، فهو يوم يقره العقل السليم، ويثبته الدليل وينطق به الواقع، ويصدقه العلم الحديث، وتؤيده النصوص الكثيرة في الأديان السماوية المتنوعة، ويدعمه القرآن والسنة، ولا تنكره الحجج والبراهين، فهو إيمان بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان (**يوم القيامة:** مِيزَانٌ دَقِيقٌ: فَمَنْ وَفَّى ، إسْتَوْفَى)!

**٥- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**

هذا القسم الثاني من السورة ، ويتضمن أهم حاجات الإنسان إلى الله تعالى ، وأفضل القربى إلى الله تعالى، بالعبادة والاستعانة . (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إِيَّاكَ:** أداة حصر وتخصيص وتوكيد ، خصص العبادة بالله تعالى، وتتحقق (**العبادة**) في الفرائض والمستحبات ، والإلتزام بالأوامر الإلهية والاستقامة على نهجه، والإنتهاء عن نواهي الشريعة السهلة السمحة، وتتحقق **العبادة** بكل عمل إنسانِي نافع للناس ودوافعه سليمة ومرْضيّة عند الله وصالحة للناس **في نهج البلاغة حكم٨١** (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ). لا عبادة إلاّ لله ، ولا استعانة إلاّ بالله ، وإذا كان الله وحده هو الذي يستعان به ، والله وحده هو الذي يُعبد ، فقد تخلّص الضمير البشري من استذلال النظم المستكبرة والأوضاع المعقدة والمعاناة المتكررة والطغيان وأصحاب الجاه والفساد والغلو والآفات والخرافات والإنحرافات لأن العبادة سيادة وسعادة وفوز ! و**العبادة** تشمل كل نواحي حياتنا المادية والمعنوية ، المفروضة وغير المفروضة ، في الأقوال والأفعال ، فتكون الكلمة الطيبة صدقة ، فهي عبادة ، ومحاسبة النفس وتزكيتها وتطهيرها من النقائص من أفضل العبادات ، وخير الناس من نفع الناس فهو عبادة ورفع الأمة المستضعفة إلى المستوى الحضاري المتقدم من أفضل العبادات .. وهكذا ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (العبادةُ حُسْنُ النِّيَةِ بِالطَّاْعَةِ مِنْ الْوُجُوْهِ الَّتِيْ يُطَاْعُ اللهُ مِنْهَاْ)الكافي٢/٨٣، **في غرر الحكم:** (أَفْضَلُ الْعِبَاْدَةِ ، غَلَبَةُ الْعَاْدَةِ) (السيئة)، حتى أن الحياة تبقى لغزاً مبهماً لا تُفهم معناها ، ولا تحقق مغزاها ، لولا حلاوة الإيمان وعبادة الرحمن .

**والعبادة الصادقة،** تنفي العبادة الناقصة ، وبهذه العبادة الصادقة المميزة ، يتم تخليص قلب المؤمن ، من كافة السبل الضالة والمضلة عن سبيل الله ، كالتخلص من عبادة الأشخاص والقيادات الضالة وأصحاب النفوذ ، وأصحاب الهوى والمنى وحب النساء واللذات المحرمة .. وهكذا التخلص من كافة الضلالات ، كقوله ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ التوبة/٣١ ، **عن الإمام الصادق** (ع) في الآية : (أَمَاْ وَاللهِ مَاْ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَاْدَةِ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ لَمَاْ

أَجَاْبُوهُمْ، وَلَكِنْ أَحَلُّواْ لَهُمْ حَرَاْماً وَحَرَّمُواْ عَلَيْهِمْ حَلاَلاً فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُوْنَ) الكافي٢/٣٩٨.

**فائدة:** (**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) ما يوصل إلى السعادة للروح والجسد، وفي الدنيا والآخرة كالعلم الصحيح بالله وبمنهجه وأحوال الكون وسنن الاجتماع، وقد سمّى هذا صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق الحسّي، إذ كل منهما موصل إلى غاية، فهذا سير معنوي يوصل إلى غاية يقصدها الإنسان، وذاك سير حسّي يصل به إلى غاية أخرى (**والهداية**) دلالة تصحبها من الله معونة غيبية تعصمنا من الزلل وتسددنا في القول والعمل، **في غرر الحكم**: (مَنْ أَلهِمَ العِصمَة أَمِنَ الزّلل) (**وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) معنى **الاستعانة** : طلب المعونة والمساعدة من الله بكل شيء وفي كل الأحوال لإتمام كل الأعمال ، تارة تكون الاستعانة **بلسان الحال وتارة بلسان المقَال** ، وهي أفضل ما طلب العباد من ربهم قضاء حوائجهم ، وهدايتهم لما ينفعهم وحسن عاقبتهم . وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان يطلب المعونة من الله تعالى مباشرةً وبلا وساطة من نبي أو رسول أو إمام ، وهذا يقوي صلتنا وثقتنا بالله تعالى مباشرة ، وعلى قدر ثقتنا بالله تعالى تكون الاستعانة به والتوكل عليه . **وفي الآية توجيه** إلى توحيد العبادة والاستعانة لله سبحانه ، وتوحيد الولاء والوفاء والإنتماء والإتباع لله تعالى بلا تقلّب ولا تذبذب من هنا وهناك وبذلك تثبت الشخصية الإسلامية وتستقيم . كلمة (**نَسْتَعِينُ**) مطلقة ، غير مقيدة بكيفية ولابكمية ، ولابقول ولابفعل ، ولم تحدد طريقتها ووسيلتها وآليتها ، ليكون كل إنسان مستعيناً بالله بحسب طريقته ووعيه وقدره ومقدار علمه وإيمانه لذلك حصر الاستعانة بالله بأداة الحصر (**إِيَّاكَ**) .

**والاستعانة بالله تعالى** هي السعي نحو عمل ممكن ، والتطلّع نحو أفق أرحب ، وطموح أحسن ، وعيش أهنأ . فالاستعانة بالله مفهوم نسبي متبادل ، يزيد وينقص ، فبمقدار ما يُحسن نظام الاستعانة ، ينال الاستجابة والمعونة ، بنفس مقدار حسن التوجه ، فيكون تأثير الإنسان على قدر همته النفسية ، ومقدار حجته العلمية ، وقبول عمله على قدر صلاح نيته ، وصدق سريرته، وتنزل معونة الرحمن وتوفيقه على قدر سعي الإنسان ومقدار تجربته ومستوى خبرته وحاجته . فتكون كل استعانة بالله عبادة ، وأيضاً كل عبادة هي استعانة بالله تعالى . والاستعانة بالله وبمنهجه من أجل خدمة الناس كقوله ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ آل عمران/١٠١ ، فهو طريق التوكل على الله ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ الطلاق/٣ ، **في الحديث** : (اللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَاْ دَاْمَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيْهِ).

**في غرر الحكم**: (مَنْ اِعْتَصَمَ بِاللهِ عَزَّ مَطْلَبُهُ) ، وجاءت الآية ﴿**نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ**﴾ بلفظ الجمع ولم يقل (إيّاك أعبد وإيّاك أستعين) بلفظ المفرد ، وذلك للإعتراف بقصور العبد عن الوقوف بحضرة الله بمفرده، بل إنضم مع سبيل المؤمنين ، فنحن جميعاً نعبدك ونستعين بك لتتقبلني معهم . **فائدة** : أمرنا الله أن نتعاون ويساعد بعضنا بعضاً بكل أنواع الخير والصلاح ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**

**﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** المائدة/٢ ، وهذا التعاون بين الناس على أساس البِر والتقوى ، فهو استعانة غير مباشرة بالله تعالى ، لأنها استعانة بأمر الله أن نتعاون . وهكذا عندما نزور روضة النبي (ص) أو روضات الأئمة من أهل بيت النبي (ع) ، فهي استعانة بسيرتهم الصالحة فهم الأسوة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** المائدة/٣٥ فهي استعانة بجاههم عند الله تعالى فنقول اللهم بحق منزلتهم عندك إقضِ لي حوائجي فهم وسيلتي إليك، **وهكذا تتعدد الاستعانة بتعدد مواردها، مثل: الاستعانة بالله** على معرفة الإسلام **﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾** الأنعام/١٢٥، **الاستعانة بالله** لنكون خير الأمم **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** آل عمران/١١٠ ، **الاستعانة بالله** في التمكين في الأرض **﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾** الكهف/٨٤ ، **الاستعانة بالله** أن يجعلك من الدعاة إلى طاعته والقادة إلى سبيله **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** الرعد/٧ ، **والاستعانة بالله** لزيادة علومنا **﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** البقرة/١٥١ .

**٦- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**

الآية على هيئة دعاء وإختارت أفضل الدعاء للدلالة على أهمية الدعاء والهداية والاستقامة في حياة الإنسان المؤمن، **(والدعاء)** أحد الوسائل التربوية للاستعانة بالله ، والثقة به سبحانه . **(اهْدِنَا) الهداية** : القاعدة الأساسية في بناء الشخصية القرآنية ، وأهم نعمة من الله تعالى للإنسان ، وأفضل معونة له **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾** محمّد/١٧. **(والهداية)** بمعنى الإرشاد والدلالة على الشيء في كل شيء ، وتتنوع الهداية مع تنوع آفاق الحياة، وتختلف موازينها ومستوياتها ونسبها مع إختلاف الناس وتنوع مستوياتهم وعلومهم ووعيهم .. **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** التغابن/١١ **الهداية عامة وخاصة ، فالهداية العامة** : إن الله تعالى جعل في كل مخلوق ما يهتدي لحفظ حياته وبقائه ، وزوده بالغرائز والحواس التي يسعى بها لقضاء حوائجه قال **﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾** طه/٥٠ ، **في غرر الحكم**: (بِالْهُدَى يَكْثُرُ الإِسْتِبْصِارُ) ، أمّا **الهداية الخاصة** لمن يطلبها ، ويسعى من أجلها، ويعرف قيمتها وأهميتها ويعتز بها ويفتخر إذا نالها ويسعى إلى تنميتها . والله تعالى لايعطي **(الهداية)** لمن يأباها ويعرضُ عنها **﴿لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** الأنفال/٢٣ بل يعطيها لمن يريدها ويختار من يحبها ويرغب فيها، ويستعد لها ، وَيَطْلِبُهَاْ بِلِسَاْنُ الْحَاْلِ أَمْ بِلِسَاْنِ الْمَقَاْلِ ! كقوله **﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** البقرة/١٤٢، **(والحكمة)** في أن الله سبحانه لايريد الهداية إلاّ لمن أرادها، وذلك لأن مفهوم الدين لايكون بالإكراه ، ولاتتحقق كرامة الإنسان إلاّ مع العلم والإرادة والإختيار والرضا التام، وأن يتحمل الإنسان مسؤولية عمله وإختياره ، ولامسؤولية ولاتكريم مع

الجبر والإكراه. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ النحل/١٢٥ ، (**والهداية**) : أساسها الإيمان ، وعلى قدر الإيمان تكون الهداية ﴿**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾ يونس/٩ ، ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ الأعلى/٣ ، ﴿**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ الطريق الحق الواحد الثابت العادل ، الذي يدعو إلى التوازن والتفاضل والاعتدال ، البعيد عن التعصب والتطرف والغلو ، وهذا يحصل بمقدار العلم والإيمان والعمل الصالح و(**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) هو الصراط السليم القويم في القول والعمل ، الذي يقود إلى الغاية المثلى والهدف النبيل .. وهو الذي لاإعوجاج فيه ولا غموض ولا إشتباه ولا تلّون ولا تقلّب ولالؤم ولاظلم ولا شكوك فيه ولا ظنون ويبنى على العلم والإيمان ، وهو صراط الخير والحق والعدل والصلاح، وهو ذخيرة باقية ، وثمرة زاكية ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦، ولا يكون غيركم أحق بالاستقامة منكم ، وإن هذا الصراط له أهل ودعائم ، كتهذيب الإنسان نفسه الأمّارة بالسوء، بأن يجعل له واعظاً من نفسه يأمره لكل خير ، وينهاه عن كل شر . و(**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم**) أقصر الطرق بين نقطتين ، بين كل بداية ونهاية وأهم الطرق وأفضل الأساليب ، لا إعوجاج فيه ولا نفاق ولا تلّون ولاأحقاد ولا إزدواج شخصية ﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (من يريد) إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ البقرة/٢١٣ ، فهو صراط واحد واضح ثابت بالقوة ، ويهدي إلى كل خير بالفعل ، ولكن له مصاديق مختلفة بالفعل والممارسة ، فإختلاف الممارسات وتعدد الحالات والحاجات ، لا تغيّر من ثوابت الصراط. وأيضاً تنوع الأعمال والمهارات والإختصاصات الكثيرة ، لا تبدل من استخدام الاستقامة معها ، ولا تغيَّر من التوازن والاعتدال فيها ، حتى تبقى الاستقامة تتحرك في جميع ميادين الحياة العملية الواسعة ، تحت شعار ومضمون وحدة (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم) ، ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ هود/١١٢ ، فيبقى الإنسان يستقيم على منهج الله في كافة الظروف والحالات المتغيرة .

والصراط المستقيم هو طريق الله ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ هود/٥٦ ، وهو أيضاً طريق الأنبياء ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ يس/٣-٤ وهو أيضاً طريق العبودية لله ﴿**وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ يس/٦١ ، وهو أيضاً الطريق الوسطى ، **في نهج البلاغة خطبة١٦**: (الْيَمِيْنُ وَالشِّمَالُ مُضِلَّةٌ وَالطَّرِيْقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ الْمُسْتَقِيْمَةُ عَلَيْهَا بَاقِيْ الْكِتَابُ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةُ وَإِلَيْهَا مَصِيْرُ الْعَاقِبَةِ) ، **عن الإمام العسكري** (ع) : (الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ صِرَاطَانِ : صِرَاطٌ فِيْ الدُّنْيَا وَصِرَاطٌ فِيْ الآخِرَةِ ، فَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ فِيْ الدُّنْيَا فَهُوَ مَا قَصُرَ عَنْ الْغُلُوُ وَإِرْتَفَعَ عَنْ التَّقْصِيْرِ وَإِسْتَقَامَ فَلَمْ يَعْدِلْ (يَمِلْ) إِلَى شَيءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَأَمَّا الطَّرِيْقُ الآخَرُ فَهُوَ طَرِيْقُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِلَى الْجَنَّةِ الْذِي هُوَ مُسْتَقِيْمٌ)البحار٢٤ص٩، ومن المصاديق العملية للصراط المستقيم كتاب الله والعترة الطاهرة من أهل بيت النبي (ص) والفطرة السليمة و(القلب السليم). **فائدة:**

**الهداية نوعين: هداية** تتعلق بالمواهب، **وهداية:** تتعلّق بالمكاسب، فالتي تتعلّق بالمواهب فمن هبة الله تعالى وهي مقدَّرة ومدَّبرة كقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) الرعد/٨، والتي تتعّلق بالمكاسب فمن كسب العبد وقدرته وكفاءته ومقدار جدّه وجهده وجهاده كقوله (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) محمد/١٧.

**٧- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾**

هو الصراط المميز للإنسان المميز. جاء خطاب الآية بالجمع لعموم الأمة ، ولكن أريد به الخصوص والنخبة ، ليلفت النظر إلى أن المطلوب ليس هداية الفرد فقط وإنما هداية الأمة إلى الصراط المستقيم الخاص. **الفارق بين الصراط الخاص والصراط العام : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)** وأقررته لهم ، وأهلتهم إليه بحسب مؤهلاتهم الشخصية ، هو نفسه الصراط المستقيم، الذين كانوا يسعون من أجله لحبهم له وإلتزامهم به، ويدعون الله أن ينعمه عليهم ، لينالوا السلامة والكرامة بلا أية ملامة ولا ندامة . **كان الصراط الأول** دعاءً لله تعالى أن يهبهم إياه لينعموا بفضله **وكان الصراط الثاني** الدعاء أكبر والطموح أعظم ، لينالوا الصراط النموذجي الخاص المنعم به على من له الصفات الخاصة المميزة ، إنه نعمة كبرى تستبطن أنواع النعم . **هداية خاصة في الصراط الخاص.**

هداية ثابتة مستقرة مؤثرة ، تتسامى ولا تتراجع ، هداية تكاملية حضارية تقدمية، تتناسب مع كلِّ تقدم وتطوّر ، فهي هداية واقعية الطرح حركية المفهوم سامية المعاني ، لأنها توازن بين القول والعمل وبين الروح والجسد والأمل والعمل والدنيا والآخرة ، بحيث يعيش الإنسان الاستقامة في داخل نفسه وفكره وضميره فتنعكس عليه بالقوة والفعل وبالعسر واليسر ، ويمتلك حالة التوازن في الفكر والسلوك ، فيرتبط مع توازن حركة النظام العام في الكون والحياة والأحياء ، وبذلك يطمئن قلب المؤمن المهتدي بهذا الصراط الخاص ، وينشرح صدره ويثبت عليه ، هؤلاء يجعلهم الله تعالى قدرة مميزة وقدوة حقيقية ، وقيادة ميدانية مباشرة يتمثل فيهم الصراط المستقيم في أعلى نسبه في كافة حياتهم العامة ، كما كان رسول الله (ص) خُلُقُهُ الْقُرْآنُ **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾** الأنعام/٩٠، ومن مصاديق الصراط الخاص قوله **﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾** النساء/٦٩. **(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)** يحصل الغضب الإلهي عند تجاوز الإنسان الحدود والأصول والآداب الإلهية والإنسانية ، مع سبق الإصرار على الضلال .

سورة الحمد كاملة تعتمد التخلية من السلبيات ، والتحلية بالإيجابيات، جميع السورة تدعو إلى التحلي بالإيجابيات ، وفي نهاية السورة أكدت التخلي عن السلبيات ، وخصصت سلبيتين خطيرتين، تتفجر منهما كافة السلبيات والإنحرافات، للتحذير منهما. **(الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)** : أشد

الطرق إنحرافاً وخطورة وضلالاً وظلماً من طريق الضالين، ويتعمم خطورته على الفرد وعلى المجتمع . والمغضوب عليهم هم ضالون ، ولكنهم تفننوا في الضلال ، وإختصوا في تداوله وإمتهنوه حتى وصلوا إلى أقصى درجاته ، وارتكبوا أشنع أفعاله ، بحيث لم يستحوا من شيء ، والذي لا يستحي يفعل ما يشاء ، ولو كان خارج الحس الإنساني كقوله ﴿**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً**﴾ الأعراف/٨٦. وقوله تعالى (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ) النحل/١٠٦ والْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ شر أهل الأرض قولاً وعملاً ، ظاهراً وباطناً، وهؤلاء أعداء الله ورسله ورسالاته، وأعداء القيم والمبادئ والفضائل وأعداء الإنسانية بفنون العداء! ومن مصاديق الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ اليهود الصهاينة. (**وَلا الضَّالِّينَ**) الضائعين التائهين المنحرفين عن الحق، المشوشين في العقيدة المتسامحين في إرتكاب الشهوات والمنكرات **في غرر الحكم**:(كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ الْهُدَىْ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَىْ؟!)، وهم الذين إنحرفوا عن شبهة بلا تعقل ولا تفكّر ، ويعيشون الوهم بإعتناقهم خير العقائد ، وأنهم يعملون أفضل الأعمال ويتصورون أنفسهم أنهم خير الناس، ولكنهم شر الناس ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾ فاطر/٨ ، وقوله تعالى ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ الكهف/١٠٤، ومن مصاديق الضَّالِّينَ النصارى المنحرفون عن الإنجيل الصحيح . وإطلاق معنى (**وَلا الضَّالِّينَ**) للدلالة على سعته وعدم تقييده لأن الله لم يبرئ المسلمين من الضلال والغضب ، إذا عملوا نفس الأعمال الفاسدة التي يعملها اليهود والنصارى الضالون والمغضوب عليهم ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إنَّ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ النُّصَّاْبُ (النواصب)) ، (**الضَّالِّينَ**) : أَهْلُ الشُّكُوْكْ)تفسير نور الثقلين١/٢٥ كأحد المصاديق ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ المائدة/٧٧ .

**فائدة** : **١-** نلاحظ في هذه السورة على إيجازها قد إحتوت أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية (رَبِّ الْعَالَمِينَ) وتوحيد الإلهية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وتوحيد الأسماء والصفات (الْحَمْدُ للهِ) و(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) و (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) . **٢-** قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ الحجر/٨٧ ، وقد قابل السياق القرآني (**سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي**) مقابل (**الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**) مما يدل أن السبع المثاني وهي الفاتحة تعدل القرآن العظيم وهي خلاصة القرآن ، وتُجمع أهداف القرآن في أم الكتاب (سورة الحمد) وهي أعظم سورة في القرآن الحكيم . **٣-** سورة الحمد ثمان وعشرون كلمة جمعت في سبع آيات ولكنها تؤدي معنى (٦٢٣٦) آية في القرآن الكريم . **٤-** وهي السورة الرئيسة في كل صلاة فلا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب . **٥-** سورة الفاتحة (أم القرآن) إعجاز مركّز في القرآن المعجز ، **٦-** لو أن المسلمين عرفوا حقيقة هذه السورة المباركة لكفتهم هداية ودراية ورعاية ! **٧-** البراءة من المغضوب عليهم والضالين هو التجسيد العملي

للولاء الخالص لله والتبري من أعدائه وأعداء رسله ورسالاته ، فهذه البراءة للفرد وللمجتمع تحصّن المجتمع الإسلامي من أضرار ومفاسد المغضوب عليهم والضالين ﴿**لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾ الممتحنة/١٣ . **٨- الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** أول إنحراف الإنسان عن الهداية يقع في أول الضلال ، وكلّما ابتعد عن الهداية تعمّق فيه الضلال ، وكلّما غرق في الضلال وصل إلى المغضوب عليهم ، والمغضوب عليهم أقصى درجات الضلال ! **والْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** جامع للعيوب ومساوئ الصفات والمتعدي لحدود الله، والمتعدي على حقوق الناس والظالم لنفسه ، فهو من شرِّ الناس . **في غرر الحكم:** (شَرُّ النّاسِ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ) . **٩-** وردت لفظة **(الضلالة)** ومشتقاتها في القرآن الكريم حوالي مئتي مرة فقد جاءت تارة بمعنى الحيرة ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾ الضحى/٧ ، وبمعنى الضياع ﴿**أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ محمّد/١ ، وتارة يأتي ﴿**ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ ،﴿**ضَلالٍ بَعِيدٍ**﴾، ﴿**ضَلالٍ كَبِيرٍ**﴾. **١٠-** تسمية النبي (ص) لسورة الحمد بـ **(فاتحة الكتاب)** يدل أن آيات القرآن جُمعت على عهد النبي (ص) في مصحف تصدرته هذه السورة في الترتيب لا في النزول ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ القيامة/١٧ ، **عن إبن عباس** : (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاساً ، وَأَسَاسُ الْقُرْآنِ فَاْتِحَةُ الْكِتَاْبِ) الجامع لأحكام القرآن١/١١٣ وهي قرآن كامل بشكل مضغوط، **عن النبي (ص):** (مَنْ قَرَأَ فَاْتِحَة الْكِتَاْبِ فَكَأَنَّمَاْ قَرَأَ التَّوْرَاْةَ وَالإِنْجِيْلَ وَالزَّبُوْرَ وَالْفُرْقَاْنَ) الدر المنثور١ص٤. **١١- روي :** جميع الكتب السماوية تلخصت في القرآن ، وتلخّص القرآن في سورة الحمد وتلخصت سورة الحمد بالبسملة والبسملة أفضل آية في القرآن وهي تاج لكل سورة ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (الْبَسْمَلَةُ تِيْجَانُ السُّوَرِ).

**١٢- سورة الحمد ظاهرها أنيق وباطنها عميق (سورة الحمد إعجاز مركّز في القرآن المعجز):** سورة أم الكتاب لا تُفهم بشكل مجزّأ ومستقل عن باقي الأجزاء الضرورية المتصلة بها وهي منظومة عقائدية تربوية متماسكة عالية المضامين ، متصلة آياتها السبع الواحدة بالأخرى إتصالاً علمياً حركياً واقعياً عملياً واسعاً ، وإذا لم نستوعبها بهذا الإتصال فسوف نقع في الإنفصال ، وسيحصل الفهم المجزّأ ، ولم يظهر لنا أن فيها ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ ، ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ ، **(ما فرّطَ اللَّهُ فيها من شيءٍ)** وبالتالي نعيش الفهم السطحي المجزّأ والعمل السطحي والمنزلة السطحية ، وبالتالي سوف يختلف التخطيط عن التنفيذ والطموح عن الإمكان ، وتختلف النتائج عن المقدمات. **فائدة: عن الإمام الرضا** (ع): (من تجاوز بأمير المؤمنين علي (ع) العبودية، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين )نور الثقلين١ص٢٥

**وفي الختام** قوله تعالى ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾ ص/٦٧-٦٨ ، وآخر دعوانا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾يونس/١٠. **تم (وَعيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر) لسورة الحمد بعون الله تعالى ، بقدري لا بقدرها، بجهد متواصل ، فلله الحمد والمنّة وبالحمد تتم الصالحات وتزداد البركات**

**وتدفع النقمات ، بتأريخ ١٥/ربيع الأول/١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٤/٢/١٩م مع تصحيحها عدة مرات وتدقيقها في العراق – الكاظمية ومن الله التوفيق**

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**

## سورة البقرة

ترتيبها ٢ — آياتها ٢٨٦

**من مقاصد السورة :**

سورة البقرة مدنية وأطول سور القرآن ، فهي تشمل الأحكام التشريعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وفي قضايا الزواج والطلاق والعدة والميراث وتحريم نكاح المشركات...، وتناولت صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين وتحدثت عن أهل الكتاب واليهود خصوصاً وما تنطوي عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم والغدر والخيانة ، وتحدّثت وعن الربا وخطورته وعن الحج والعمرة واليوم الآخر وعن التوبة وعن أحكام الجهاد في سبيل الله ، وعن بدء الخليقة وخلق آدم وحواء... إلخ. سمّيت **(سورة البقرة)** لأن فيها قصة البقرة وتكون برهاناً على قدرة الله في إحياء الخلق بعد الموت.. **فضلها** : **عن النبي (ص)** : (مَنْ قَرَأَهَاْ فَصَلَوَاْتُ اللهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَالْمُرَاْبِطِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ سَنَةً ، لاَ تَسْكُنُ رَوْعَتُهُ)مجمع البيان١/٥٧، **وعنه (ص)** (إنَّ لكُلِّ شيءٍ سناماً، وسنامُ القرآنِ سورةُ البقرةِ) المصدر السابق.

**ملاحظة عامة** : كل فضل من فضائل سور القرآن كلها يعتمد على مقدار الصدق والعمل من الإنسان ومقدار الرضا من الله عز وجل تجاه الإنسان وليس بالمنى والأماني ، وكل فضل بشرطه وشروطه والإلتزام بمنهج الله من شروطه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

راجع معناها في سورة الحمد.

**١ – ﴿الٓمٓ﴾**: تقرأ (ألف) (لام) (ميم)، تسمّى فواتح السّور، الحروف المقطعة من المتشابهات والمبهمات ، وظنية الدلالة. إنّها تصير بعد التركيب لفواتح السور القرآنية وحذف المكررات : **(صراطُ عليّ حقٌ نمسكُهُ)**. إن الله تجلّى لخلقه بكتابه ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّ هَذَاْ الْكِتَاْبُ الَّذِي أَنْزَلْتُهُ هُوَ الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ الَّتي مُنْهَا (اَلِفٌ لامٌ ميمٌ) وَهُوَ بِلُغَتِكُمْ وَحُرُوفِ هِجَائِكُمْ فَأْتُوْاْ بِمِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَاْدِقِيْنَ) تفسير الصافي١/١١، فإنهم عجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سورٍ مثله أو بسورة قصيرة واحدة مثله ، فلذلك أعظم برهان على إعجاز القرآن وعظمته وأنه من كلام الرّحمان

﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ الرحمن/١-٢، وكلام الخالق فوق كلام المخلوق. إن كلام الله في القرآن بليغ ومعجز ومكوّن من جنس الأحرف العربية التي يتكون منها كلامكم فمن هذه الحروف وأمثالها تتألف آيات القرآن وهي في متناول أيديكم وبلاغتها وفصاحتها فوق قدرتكم وهكذا الحروف المقطعة في أول سور القرآن. **وقيل** : إنّها أسرار ورموز بين الله ورسوله، **وقيل** : إنّ أحد الأهداف لهذه الحروف هو جلب إنتباه المستمعين ودعوتهم إلى السكوت والإصغاء لأن وجود هذه الحروف في مطلع الكلام شيء لم يسبق له مثيل في كلام العرب.

**٢ –** ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾

**الرّيب** : الشك. ذلك القرآن كلام الله لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين لمن تفكر وتدبر ، حيث بلغ الغاية والنهاية على صدقه وعلمه وتطوره ، وأنه المعجزة الخالدة التي تحيا مع دوام الحياة ، وتحدّى الله به كل جاحد ومعاند، فهو يعلو ولا يعلى عليه ، لأنه الحق ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، وإرتاب بعض النّاس فيه لجهلهم بحقيقته **(ذَلِكَ الْكِتَابُ) (ذَلِكَ)** : إشارة إلى البعيد ، بينما القرآن الكريم قريب من النفوس وبين النّاس يقتضي أن تكون الإشارة للقريب (هذا الكتاب) **والسبب يعود** إلى بيان سمّو القرآن ورفعته فهو قمّة القمم في هذا الوجود ، لذلك تناسب مع رفعته إشارة البعيد كقوله ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ لقمان/٢ ، **(تلك)** إشارة إلى البعيد للسبب نفسه **(هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)** : القرآن مصدر هداية للذين يتقون المعاصي ويعملون بطاعة الله تعالى. **الهداية** : الدلالة والرشاد للخير. و**(الهداية)** : خلاصة ما جاء بها القرآن لتصل إلى الناس والهداية القاعدة الأساسية للقرآن ولجميع رسالات الأنبياء. والقرآن يهدي إلى حكم الله وشريعته ، **والهداية:** حقيقة هذا الكتاب وطبيعته ومحتواه ، فهو نور ورحمة وبشرى للمتقين ، **(والتقوى)** : درع للقلوب وتزكية للنفوس ، ومنهج في السلوك واستقامة في القول والعمل في كل الحالات. **والتقوى** : أنّ لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، والهداية لكلِّ الناس ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥، وإنما خصت الهداية بالمتقين لاستعدادهم النفسي لترك الضلال وأنواعه ، والاهتداء إلى الحقيقة التي خلقنا الله من أجلها وإنهم يحملون في أنفسهم حبّ الهداية للناس ، فصارت الهداية عامةوهداية خاصة وتميّز هداية القرآن فإنها أفضل هداية ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ البقرة/١٢٠ ، **والتقوى** : من وقى نفسه من المحرمات والسلبيات واهتدى إلى الطاعات والإيجابيات، لذلك التقوى من خُلُق الأنبياء ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦، و(مَنْ اِتَّقَى اللَهَ وَقَاهُ) فصار القرآن كتاب هداية للتي هي أقوم لكل من يريد الهداية ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ التغابن/١١ ، **في غرر الحكم:** (التَّقْوَى : مُنْتهى رِضَا اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، وَحَاجَتهُ مِنْ خَلْقِهِ).

**٣ –** ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

**الصفة الأولى للمتقين (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)** الذين يصدقون بما غاب وخفي عن العباد ، ولم تدركه حواسهم ، من عالم الغيب ويوم القيامة والإيمان بالله والجنة والنار... إلخ مما لا ينكره العقل السليم، أما ما يرفضه العقل السليم فلا يسمى غيباً ، بل إنحرافات وخرافات وسخافات وشعوذة.. **والإيمان بالغيب** : هو العتبة التي يجتازها الإنسان المؤمن فتتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلاّ ما تدركه حواسه إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن هذا الوجود أكبر من ظاهره المشهود ، **والإيمان بالغيب** : هو من مزايا الإنسان عن عالم البهائم ، والبهائم تسبح لله في عالم التكوين **في غرر الحكم**: (أَصْلُ الإِيْمَاْنِ حُسْنُ التَّسْلِيمِ لأَمرِ اللهِ). **والغيب: ما غاب عن الحس** وخفي عن علم العباد ، وهو قسمان: غيب غاب عنك ، وغيب غبت عنه ، فالذي غاب عنك عالم الأرواح وهو معك ، أما الذي غبت عنه بالوجود وهو الله تعالى ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ الحديد/٤ ، فهو قريب منك وأنت لا تشعر ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ ق/١٦، ومعنى **(الإيمان)** : التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان **عن النبي** (ص): (أَفْضَلُ الإِيمَاْنِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ)كنز العمال خبر٦٦، قال **(يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)** ولم يقل (يعلمون الغيب) وبهذا الإيمان يتميز المسلم من الكافر ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ يونس/٣٩ ، ويدخل في الإيمان بالغيب بجميع ما أخبر الله به من الغيوب وأحوال العالم الآخر وما أخبرت به الرسل من ذلك كقوله (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) ق/٣٣، وقوله (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) الأنبياء/٤٩، راجع تفسير الآية في وعي القرآن الميُسَّر.

**والصفة الثانية للمتقين (ويقيمون الصلاة)**: يؤدونها على أكمل وجه أمر به الله تعالى ، ويداومون عليها بمواقيتها وفي وقت فضيلتها مع مقدماتها ، مع تمام الطهارة والوضوء والركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والصلاة عمود الدين وتنهى عن الفحشاء و المنكر **عن الإمام علي** (ع): (الصَّلاةُ مِيزَانٌ فَمَنْ وَفَّى ، إسْتَوْفَى) البحار٢٦٤/٨٤، ويرتفع المصلي ويتسامى أخلاقياً بهذه العبادة لله تعالى عن عبادة العباد والشهوات وحب الدنيا وحب الذات والأنا.. **(ومما رزقناهم ينفقون) وهذه الصفة الثالثة للمتقين** ، يعترفون بأن ما لهم هو من نعم الله عليهم ، ومنه ينبثق البر والإحسان والتضامن بين عيال الخالق لتتقوى الروابط الإنسانية ، والإنفاق اللائق يعبر عن تقوى خالصة وإيمان بالغيب وثقة تامة بالله والنفقة معنى عام يشمل المال والزكاة وغيرها ، كنفقة العلم والأخلاق والإختصاص وقضاء حوائج الناس وتقدم المجتمع.. فهي نفقة متنوعة مادية ومعنوية سرية وعلنية ، عامة وخاصة ، صغيرة وكبيرة، وفردية وجماعية وكل إنسان ينفق من موقعه وبقدره... وكثيراً ما يقرن القرآن الكريم بين الصلاة والزكاة بمعناها العام باعتبار (لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاْةٌ) غرر الحكم، **(إنفاق الأموال)** وهذا دليل على علاقة العبادة بالمعاملة وعلاقة الأقوال بالأفعال كوحدة واحدة

متحدة. **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ زَكَاْةَ لَهُ ، وَلاَ زَكَاْةَ لِمَنْ لاَ وَرَعَ لَهُ) البحار٨٤/٢٥٢.

**٤ – ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾**

**وهذه الصفة الرابعة للمتقين** يؤمنون بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وهذا يعطيك الشعور بوحدة البشرية ووحدة دينها وربّها ومعبودها ، وهذا الإيمان تنقية للروح من التعصب الذميم ضد الديانات المتنوعة ما داموا على الصراط المستقيم صراط الله ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ المائدة/٦٩ ، (**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) : اليقين بعالم الآخرة هو مفرق الطريق بين من يعيش بين حدود الحواس الضيقة (العالم المادي) ، ومن يعيش بعالم ما وراء الحواس (العالم المعنوي) ، بين من يشعر أن حياته على الأرض كل ما له في هذه الدنيا ، ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء مؤقت يمهّد للجزاء الدائم ، وأن الحياة الخالدة إنما هي في العالم الآخر ، وراء هذه الدنيا المحدودة الصغيرة أما درجة اليقين فهي غنى وفلاح وصلاح ونجاة أما منازل اليقين فهناك (علم اليقين) و(عين اليقين) و(حق اليقين) **في نهج البلاغة خطبة١٥٧**: (بِالْيَقِيْنِ تُدْرَكُ الْغَاْيَةُ الْقُصْوَى).

**٥ – ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**

أولئك المتصفون بهذه الصفات عالية المضامين ، على علم وبصيرة وإيمان ونور من الله ، واستعمال حرف (على) في عبارة (**عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**) يوحي بأن هداية الله للإنسان على قدر استحقاقه لها ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ الأعلى/٣ ، وإن هذه الهداية شأن عظيم ، وهي مثل سفينة يركبها هؤلاء المتقون لتوصلهم إلى الفلاح (**وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**) كرر سبحانه (**أُوْلَئِكَ**) لأنهم تميزوا عن غيرهم بفضيلتين : الهدى إلى دين الله ربهم والظفر بمرضاة الله وثوابه.

**٦ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**

**الكفر** : ستر الشيء وتغطيته ، لقد غطى الضلال على فطرتهم فلوثها فلم يؤثر فيهم التذكير والعظة وسيطر عليهم الكفر والعناد والإلحاد. **الإنذار** : التحذير من العذاب. **سَوَاءٌ** : يتساوى عندهم. قدّم الله تعالى ذكر الأتقياء وأخرّ ذكر الأشقياء ، وأنهم لا يستجيبون لداعي الله ، وإن بالغ في الوعيد والتهديد ، ويتساوى لديهم خوّفتهم بالنار أو شوّقتهم للجنة ، بعد أن أعماهم العناد ، فكان حاجزاً على قلبهم عن نفوذ الإيمان ، وللسمع عن تفهم الحق ، وللأبصار إدراك آيات الله الكثيرة **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ أَقْرَبَ مَاْ يَكُوْنُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ ، أَنْ يُؤَاْخِيَ الرَّجُلَ عَلَى الدِّيْنِ ، فَيُحْصِيَ عَلَيْهِ عَثَرَاْتِهِ وَزَلاّتِهِ لِيُعَنِّفَهُ بِهَاْ يَوْمَاً مَاْ)البحار٧٥/٢١٥. **الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه** : الجحود بالربوبية وهو القول لا رب ولا جنة ولا نار ، كفر الجحود على المعرفة

﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾ النمل/١٤، وكفر النعم﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾النمل/٤٠، والكفر بترك ما أمر الله وكفر البراءة﴿**كَفَرْنَا بِكُمْ**﴾ الممتحنة/٤، أي تبرأنا منكم.

٧ – ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾

**الختم** : التغطية والطبع. طبع الله على قلوبهم بذنوبهم ، فلا يدخل فيها نور الهداية ، والقلب المختوم عليه هو القلب القاسي التي تطمس بصيرته ، وما قست القلوب إلاّ لكثرة الذنوب (**وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**) غطاء لأن سمعهم وأبصارهم مغطّاة بحجب كثيفة ، وأجهزة الإستقبال عندهم معطلة!، يرون الحق فلا يتبعونه ويسمعونه فلا يعونه لأن قلوبهم مقفلة لا ينفذ إليها شيء من نور الإيمان. **فائدة:** إنهم بلغوا الغاية القصوى في العناد والكبرياء حتى صارت على قلوبهم أغلفة وعلى أبصارهم حجب لا يرون معه الحق ولا يعونه.

٨ – ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾

هذه هي الطائفة الثالثة (**المنافقة**) الذين يظهرون الإيمان لنطقهم بالشهادتين ويؤدون العبادات للناس وليس لله ويبطنون الكفر ، وبيّن خطرهم بشيء من التفصيل لصفاتهم أنهم يقولون آمنا بالله بألسنتهم، وصدقنا باليوم الآخر وبيوم القيامة (**وما هم بمؤمنين**) ولا مصدقين بقلوبهم ، لأنهم يقولون من دون إعتقاد. **عن الإمام الصادق** (ع) : (أَرْبَعٌ مِنْ عَلاَمَاْتِ النِّفَاْقِ : قَسَاْوَةُ الْقَلْبِ ، وَجُمُوْدُ الْعَيْنِ ، وَالإِصْرَاْرُ عَلَى الذَّنْبِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَاْ) البحار٧٢/١٧٦، وهم يظنون في أنفسهم الدهاء والقدرة على المؤمنين (يُدَبِّرُ الْمُدَبِّرُوْنَ وَالْقَضَاْءُ يَضْحَكُ!).

٩ – ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾

**الخِداع:** المكر والإحتيال وإظهار خلاف الباطن. يعملون عمل المخادع بإظهار الإيمان مع المؤمنين وإخفاء كفرهم عليهم، يعتقدون—بجهلهم— أن ذلك نافعهم. وما يعلمون أن الله لا يُخدع لأنه أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ النساء/١٤٢،والله يستدرجهم من حيث لا يشعرون، ويجازيهم على خداعهم بما يستحقون ولو بعد حين، والله عزّ وجلّ منزّه عن الخداع فسمى الله جزاءهم خداعاً بطريق المماثلة لأن وبال خداعهم راجع عليهم، وكأنهم يعملون لإهلاك أنفسهم وهم لا يشعرون(**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ**)لأن فعلهم المخادع راجع عليهم، وإن حبل المخادعة قصير مثل حبل الكذب قصير. وهذا تثبيت لقلوب المؤمنين، وإضعاف كيد المنافقين(**وَمَا يَشْعُرُونَ**) بسوء العاقبة ولا يُحسّون بذلك لتمادي غفلتهم، **في غرر الحكم**:(احذروا الْغَفْلَةُ فإنها مِنْ فَسَاْدِ الْحِسْ) لأنهم يصرفون طاقاتهم على طريق الفساد.**عن الإمام الصادق** (ع):(إِنَّ النَّبِيَّ(ص)سُئِلَ فِيْ مَاْ النَّجَاْةُ غَدَاً؟**قَاْلَ**(ص):(إِنَّمَاْ النَّجَاْةُ أَنْ لاَ تُخَاْدِعُوْاْ اللهَ فَيَخْدَعَكُمْ، وَيَخْلَعَ مِنْكُمُ الإِيْمَاْنَ..)مواهب الرحمن١/١٣٥والإيمان كنز الحياة وقيمة الأحياء ولذة الوجود.

**١٠ – ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**

المرض المعنوي (النفسي) (المرض في الدين) أشد من المرض المادي ، ومرض القلب أخطر من مرض الجسد ، و**مرض القلب** : النفاق والشك والإعتقاد الفاسد ، وجميع الرذائل ، في طبيعتهم آفة وفي قلوبهم علّة ، وفي نفوسهم خسّة ، تجعل بينهم وبين الهداية حاجزاً ، فيضلون عن سبيل الله ، وينحرفون عن صراطه المستقيم ، فيرتكبون أنواع الكبائر القبيحة والتي منها يندى لها الجبين ، وجعلهم يستحقون من الله أن يزيدهم مرضاً فوق مرضهم كقوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) الصف/٥ فلما انحرفوا باختيارهم إلى الضلال، فأخذهم الله إلى نهايته ومنعهم ألطافه، **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)** دخل الشك والنفاق في قلوبهم فزادهم رجساً وضلالاً ، فهو عذاب معنوي أكثر ألماً من العذاب المادي ، كان عذابهم بسبب كذبهم في دعوى الإيمان. وعن حكمة النبي (ص) في عدم قتله المنافقين مع علمه ببعضهم إنه (ص) قال لعُمَر مرة : (أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّ مُحَمَّدَاً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ).

**١١ – ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾**

كان المنافقون يتجسسون على المسلمين ، ويفشون أسرارهم للأعداء ، وإذا نهوا عن هذا الفساد اللئيم **(قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)** خالصون من العيوب ، فهم يفسدون كثيراً في الأرض، ولكن يسمون فسادهم تحت شعارات الإصلاح وهكذا يغيرون الحقائق ويقلبون المفاهيم ، فعلى الإنسان أن لا يكون ضحية هؤلاء المنافقين المتلونين وهم في كل زمان ومكان **في غرر الحكم:** (نِفَاْقُ الْمَرْءِ مِنْ ذُلٍّ يَجِدُهُ فِيْ نَفْسِهِ) وفيه أيضاً (الْكَذِبُ يُؤَدِّيْ إِلَى النِّفَاْقِ).

**١٢ – ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**

**(ألا)** : أداة استفهام وتنبيه وهنا للتنبيه على عيوبهم أي لا يرون ما هم فيه من عيوب ورذائل ، لأنهم انقلبت عندهم المقاييس الصحيحة ، وفقدوا شعورهم بضلالهم ، بسبب استغراقهم في أنواع الفساد، وهكذا الاستدراج بالفساد يُعمي ويُصم ويذل الرقاب. **في نهج البلاغةحكم٢٥:** (إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ!).

**١٣ – ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**

لا يزال يصف المنافقين : إتبعوا سبيل العقلاء والمؤمنين من الناس ، إنهم كانوا يأنفون من الإستسلام للنبي (ص) ويرونه خاصاً بالفقراء وغير لائق بقيادات القوم ، وفي هذا الوصف إعجاب بأنفسهم واستصغار بالآخرين ، ثم **(قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ)** **والسفيه** : الجاهل الذي لا يميز بين الطيب والخبيث ، **والسفه** : ناتج من ضحالة العقل وسوء الفهم وحقارة الطبع ، إنهم من وصفوهم بالسفهاء قد توصلوا إلى الإيمان واستذوقوا حلاوته ، وإن

وجهاء القوم أعرضوا عن الإيمان ، فهم السفهاء حقاً **(ولكن لا يعلمون)** سفاهة رأيهم إنهم يتابعون عيوب الناس ويغفلون عن عيوب أنفسهم. **قيل للحسن بن علي** (ع) : ما السفه ؟ قال (ع) : (إِتِّبَاعُ الدُّنَاةِ وَمُصَاحَبَةُ الْغُوَاةِ) تحف العقول ص١٦٣، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ السَّفَهَ خُلُقُ لَئِيمٍ يَسْتَطِيلُ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَيَخْضَعُ لِمَنْ هُوَ فَوْقَهُ) البحار٧٥/٢٩٣، **في غرر الحكم**: (إِذَا حَلُمْتَ عَنْ السَّفِيْهِ غَمَمْتَهُ ، فَزِدْهُ غَمّاً بِحِلْمِكَ عَنْهُ). **فائدة: السفه**: سخافة العقل ، **النفاق** : فساد العقيدة ، **الأحمق** : جامع لقبائح العيوب فيجمع بين ضحالة العقل وفساد العقيدة ، وسوء الخُلق والخيانة في التعامل وكلامه فيما لا يعنيه وجوابه عما لا يسأل عنه وتهوره في الأمور.. لذلك الأحمق لا دواء له.

**١٤ – ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**

وإذا رأوا المؤمنين أظهروا لهم الإيمان كذباً ونفاقاً **(وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ)** وإذا انفردوا برؤسائهم وكبرائهم من أهل الفسق والنفاق **(قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)** قالوا لهم نحن مثلكم ومعكم على الكفر والكره للإسلام ، وإنما نستهزئ بالقوم ونسخر منهم بإظهار الإيمان ، فهم منافقون دجالون يظهرون بوجهين ويتكلمون بلسانين فهم أداة خطرة لتمزيق الأمة الإسلامية ، فوجَّه سبحانه التهديد لهم.

**١٥ – ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**

**(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)** الاستهزاء : السخرية. الله يجازيهم على استهزائهم بالإمهال دون الإهمال ، فإن الله يمهل ولا يهمل **﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾** القلم/٤٥ ، إن الله مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة الخداع ولو بعد حين ، ومثل ذلك **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** الشورى/٤٠ ، ثم قال تعالى **(وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) العمه** : الحيرة في الأمر **والعَمَه** في البصيرة وفي القلب ، **والعَمَى** : في العين. **المعنى** : يمهلهم كثيراً ويتركهم في ضلالهم يتخبطون ويترددون حيارى لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً ، مثل قوله **﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾** مريم/٧٥ ، **في غرر الحكم: (فِي طُغْيَانِهِمْ)** : (الظَّالِمُ طَاغٍ يَنْتَظِرُ إِحْدَى النِّقْمَتَيْنِ). **عن إبن عباس : (الله يستهزئ بهم)** فيها معنى الاستدراج إنهم كلما أحدثوا خطيئة جدّد الله لهم نعمة ، وإنما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك في الظاهر نعمة ، والمراد به استدراجهم إلى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من نفاقهم وكفرهم، **عن الرضا** (ع): (مختصر) (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَهْزِئُ وَلَكِنْ يُجَازِيْهِمْ جَزَاءَ الإِسْتِهْزَاءِ)كنز الدقائق١/١٣٨ ويقدّر لهم عقوبة بقدر استهزائهم.

**١٦ – ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**

استبدلوا الكفر بالإيمان ، وأخذوا الضلالة ودفعوا ثمنها بالهدى ، (وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، وَالْذِيْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ ، وَالذِيْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ الْخَيْرُ يَلِيْقُ بِهِ الشَّرُ). كانوا يملكون الهدى وفي أيديهم وكان مبذولاً لهم ، لكنهم إشتروا الضلالة بالهدى ، فاغفلت الضلالة حواسهم ، وأغبى الضلال قلوبهم ، وخسرت تجارتهم بحماقتهم وسوء اختيارهم وتخبطهم كقوله ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ فصلت/١٧ ، (**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**) ما ربح هذا البيع ، وخسرت هذه الصفقة المصيرية (**وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**) وما كانوا راشدين في صنيعهم ذلك ، لأنهم خسروا سعادة الدنيا والآخرة... إن المطلوب في التجارة الربح مع سلامة رأس المال ، والمنافقون أضاعوهما معاً ، لأن الهدى عند الله سبحانه هو رأس المال وقد ذهب عن المنافقين ، والنفاق والتلون عندهم هو الربح فشعروا بخسران هذا التصوّر (**فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**) **قال الإمام علي (ع) لإبنه الحسن (ع)، في نهج البلاغة كتاب٣١:** (.. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَاْ خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ). ثم ضرب تعالى مثلين معبرين وضّح فيهما خسارة المنافقين الفادحة فقال :

**١٧ -** ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾

تُضْرَبُ الأَمْثَاْلُ لأُوْلِيْ الأَلْبَاْبِ. **في نهج البلاغة كتاب٣١:** (اِسْتَدِلَّ عَلَى مَاْ لَمْ يَكُنْ بِمَاْ قَدْ كَاْنَ فَإِنَّ الأُمُوْرَ أَشْبَاْهٌ). فهم كمن عمل على إيقاد نار يستضيء بها فلما أنارت المكان وما حوله ، واستأنسوا بتلك النار المضيئة ، أرسل الله لها ريح فأطفأتها وأبقاهم في ظلمات كثيفة يتخبطون فلا يهتدون فكذلك المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن نعمة الهدى ، وفضلوا الغواية على العقلانية ، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، ولذلك ذهب الله بنور الهداية عنهم ، (**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**) النفاق (**لا يُبْصِرُونَ**) لا يهتدون إلى الخير ولا يعرفون سبيل النجاة ، وهم في حالة يرثى لها فهم في وسط الطريق لا يستطيعون مواصلة طريق النفاق لخسارته ولا يستطيعون الرجوع إلى مأمن الهدى (كَيْفَ يَسْتَطِيْعُوْنَ الْهُدَىْ مَنْ يَغْلِبُهُمُ الْهَوَىْ ؟!) ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ غافر/٢٨ ، **عن الرضا** (ع) في قوله تعالى (**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ**) : (إِنَّ اللهَ لاَ يُوْصَفُ بِالتَّرْكِ كَمَاْ يُوْصَفُ خَلْقُهُ لَكِنَّهُ مَتَى عَلِمَ أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُوْنَ عَنْ الْكُفْرِ وَالضَّلاَلِ مَنَعَهَمْ الْمُعَاْوَنَةَ وَالْلُّطْفِ ، وَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْتِيَاْرِهِمْ) التفسير النور١/٦٥، وهكذا الَّذِيْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ النُّوْرُ تَلِيْقُ بِهِ الظُّلُمَاْتُ، **في غرر الحكم:** (وَالْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ).

**١٨ -** ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾

**صم** : الذي لا يسمع ، **بكم** : الأخرس ، **عمي** : العمى في القلب أخطر من العمى في العين. وهي أجهزة الاستقبال الحسية عند الإنسان. وإذا خلق الله الآذان والألسنة والعيون للانتفاع بها ، لتلقي نور الهداية واستذواق طعم الإيمان ، حتى يستذوقوا طعم الحياة ، لأن الحياة لغز لا يحله إلاّ

الإيمان ، والإيمان طعم لذيذ لا يعرفه إلاّ الصادقون. فهم قد عطلوا آذانهم فلا يتبعون الهدى فهم (**صم**) وعطلوا ألسنتهم عن قول الحق فهم (**بكم**) وعطلوا عيونهم فلم يميزوا بين الخبيث والطيّب فهم (**عمي**) فلا رجعة لهم إلى الهدى ، لأن نفوسهم خبيثة لا يتناسب الهدى معها ، (**فهم لا يرجعون**) فهم مصرون معاندون على ما هم عليه من الضلال ، هذا المثل ينطبق على الأفراد وعلى الأمم التي اعتنقت الإسلام ولم تتفاعل معه ، وترددت بين منهجه المستقيم والقويم والنظم الوضعية الأخرى ، فابتليت بالخسران والخذلان في عاقبة أمرها ، وأخسر الناس من كان عِبرة للناس ، **في الحديث** : (الإِسْلاَمُ ذَلُوْلٌ (سَهْلٌ سَمْحٌ) لاَ يَرْكَبُ إِلاَّ ذَلُوْلاً)كنز العمال خبر٢٤٤.

**١٩ – ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**

هذا مثال آخر لوصف المنافقين زيادة في كشف شخصيتهم المتلونة ومواقفهم المضطربة. **الصَيِّب** : المطر ، (**فِيهِ ظُلُمَاتٌ**) دامسة (**وَرَعْدٌ**) قاصف (**وَبَرْقٌ**) خاطف ، (**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**) المنافقون كلما دعوا إلى خير وغنيمة أسرعوا ، وهو المعبّر عنه بمشيهم على ضوء البرق ، وإذا نزلت على المسلمين شدة أحجموا ورجعوا إلى كفرهم ، كما وقف أولئك في الظلمات حائرين مذعورين ، وهذا بيان أنّ المنافقين دائماً في قلق وخوف من كشف حقيقتهم ، ولا ملجأ لهم ، فهم كمن أتته الصاعقة فإتّقاها بسدِّ أذنيه (**وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**) وكلنا نتقلّب في قبضته ولا مفرّ منه إلاّ إليه ، ولا أحد يخرج من مشيئته وإرادته سبحانه ، ولا مفر من حكومته لأننا لا نخرج من ملكه كقوله (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) التكوير/٢٦.

**٢٠ – ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

لا يزال في وصف المنافقين والحذر منهم. هذه الآية كناية عن شدة الهول إنهم يحاولون التخلّص من المطر الغزير ، ويكاد شدة البرق ولمعانه أن يذهب بأبصارهم في أجواء مظلمة تسلب عنهم الرؤية وتمنعهم من الهرب فلا بد أن يستفيدوا من ضوء البرق الخاطف والذي يمر بسرعة (**كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**) إنهم كلما أنار لهم البرق الطريق المظلم مشوا في ضوئه ، وإذا اختفى البرق وقفوا عن السير وثبتوا في مكانهم ، وهذا تصوير لما هم فيه من غاية التحير والقلق (**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) لذهب في الأعضاء الحسية الرئيسة، وهذا تحذير من عقوبة دنيوية ، وهم كقوله ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ**﴾ القصص/٥٠ ، هذه صورة حسية ممثلة لحركة التيه والاضطراب التي يعيشها المنافقون فهم

في قلق مستمر ينغص حياتهم ! كقوله ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً**﴾ الإسراء/٢٢.

**٢١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**

لما ذكر الله الأصناف الثلاثة ، المؤمنين والكافرين والمنافقين ، وذكر ما تميزوا به من سعادة أو شقاوة، وضرب الأمثال ووضّح طرق الضلال وخطورته ، أعقبه هنا بذكر الأدلة على أحقية الله تعالى بالعبادة والطاعة. **العبادة** : حسن التوجه بالطاعة من جميع الوجوه التي يطاع الله منها. **والعبادة** لله على قدر العلم ، وأول العبادة معرفة الله جلّ جلاله ، وأصل معرفة الله توحيده وعدم الإشراك به. هذه الآية الكريمة : دعوة عامة شاملة إلى كافة الناس في العالم، من ربِّ الناس ، فالطريق إلى الله مفتوح للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، وبين يدي كل إنسان شواهد كثيرة في الكون والحياة والأحياء تدعوه إلى الله خالق الخلق مدبر الأمر ، ولا يُشرك بعبادته أحداً ، وهذه نظرة خالصة بالهدى بعيدة عن الهوى والضلال والزيغ. الله ربهم تفرّد بالخلق ، فوجب أن يتفرد بالعبادة ، الذي رباكم بأصناف النعم الظاهرة والباطنة ، بعد أن خلقكم من العدم وخلق الذين من قبلكم. وللعبادة هدف سامٍ ليصل الناس بها إلى التقوى ، فهي سُلَّم ارتقاء إلى منازل عليا **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** ليلتحقوا بالمتقين الذين هذبوا أنفسهم وساروا على هدى ربهم ، فاتبعوا منهجه ونظامه حسب ما يريد الله ، وليس حسب ما نريد نحن. فهذبوا الهوى والنفس الأمارة بالسوء وحققوا العبودية لله الخالصة له. والتقوى أعلى مراتب العبادة ، وبالعبادة نحصل على التقوى.

**٢٢ - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

ينبه الله تعالى الناس إلى أنه سخّر لهم ما في السماوات والأرض وما بينهما ، وكل المخلوقات تسبح بحمده ولا تخرج عن أمره ، وهي غير عاقلة ، فعليكم أنتم أيها الناس العقلاء في العالم أن تنسّقوا نظام حياتكم مع نظام الكون والحياة والأحياء التي كلها تطيع الله ، بوحدة واحدة متحدة ولا يشذّ عنها إلاّ الشاذ ، والشاذ يكون طُعْمٌ للشيطان ، وفريسة لإبليس الذي يضله ضلالاً بعيداً **(فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الأنداد** : جمع ند وهو الكفؤ والمثيل، وليس لله ند ولا ضد ولا نظير ، فلا تتخذوا مع الله شركاء مثل الهوى والأنا والبشر أصحاب الجاه والمال والنساء... إلخ تشركونهم مع الله في العبادة. فذكر الله لهم بعض النعم الظاهرة للجميع وهو الذي سخرها لهم لتكون مفتاحاً لمعرفة بقية النعم الظاهرة والباطنة ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ النحل/٥٣ ، وهو الذي يستحق العبادة دون غيره ، وإنه لم يكن له شريك يساعد ولا ند يعارض ، ويشدد

القرآن في النهي عن الأنداد لتبقى عقيدة التوحيد نقية صافية. سُئل **رسول الله (ص)** : (أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ (ص) أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ) نور الثقلين٤ص٣١.

**٢٣ - ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**

بعد أن ذكر الله سبحانه وجوب الإيمان والعبادة لله ، ثبت أيضاً وجوب الإيمان بمُحمَّدٍ (ص) وبرسالته السهلة السمحة ، ومن الأدلة عليه هذا التحدي. **الريب**: الشك مع تهمة. **المعنى**: وإن كنتم في شك من هذا القرآن مما نزّلنا على **(عبدنا)** مُحَمّد (ص) وقدّم العبودبة على كونه رسول ، لأن العبودية لله أسمى من مقام الرسول والنبي ، لأنه كلما ارتفع مقام العبودية ارتفع مقام الرسول والنبي بمقدار إخلاص عبوديته لله. **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)** يتحدى القرآن جميع الناس بكافة كفاءآتهم وعلى مدى الأجيال ، إنّ هذا القرآن بلسان عربي مبين ، **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ظاهره أنيق دقيق جذاب ، وباطنه عميق رقيق منساب ، لا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه ولاتنكشف ظلمات الناس ومعاناتهم إلاّ به** ، فهو مصوغ من تلك الحروف العربية التي بين أيديهم ، فإن كانوا يرتابون من تنزيله ، فليأتوا بسورة واحدة من مثله ، في البلاغة والفصاحة والبيان مع عمق المعنى وسعة الدلالة وتنكير السورة للدلالة على العموم بمعنى تحدّاهم بأي سورة ولو كانت قصيرة ، لإظهار إعجاز القرآن أنه من عند الله ، أما دور الرسول (ص) فهو ناقل أمين عام على هذا الكتاب المعجز **(وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)** إستعينوا بمن شئتم من أصحاب الكفاءات ليساعدوكم على معارضة القرآن ولو بسورة قصيرة **(إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)** إنه مختلق ومن كلام البشر ، وهو تحدي مفتوح إلى يومنا هذا وسيظل يتحدى أبداً. **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾** النساء/٨٢ ، **﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾** الإسراء/٨٨ ، كيف يستطيع الإنسان المحدود أن يستوعب كلام الله المطلق ويأتي بمثله ، وفارق كبير بين ثقل الكلمة أوالآية التي ينزلها الله تعالى، ويكتبها الإنسان ، وسعة كلام الله في القرآن غير محدودة لسعة ذات الله المطلقة غير المحدودة فكيف ينبغي أن يتعامل الإنسان الكفوء المحدود، مع القرآن المعجز المطلق غير المحدود؟!! **﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾** النمل/٦ ، **في غرر الحكم**: (مَا شَكَكْتُ فِيْ الْحَقِ مُذْ رَأَيْتُهُ) ، **وفيه أيضاً**: (مِنْ يَتَرَدَّدْ يَزْدَدْ شَكّاً) ، إنهم بذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء نور القرآن، ولكنهم لم يتمكنوا من معارضة القرآن بسورة واحدة قصيرة ، فعلمنا أن المعارضة كانت متعذرة عليهم ، فدل على أن القرآن معجز بآياته ومعجز بمبناه ومعجز بمعناه ومعجز بمغزاه ودلالاته الواسعة، وهذا دليل على صحة نبوة مُحَمّد (ص).

٢٤ – ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

والتحدي هنا أعجب ، ولو كان في طاقتهم تكذيبه وهم أهل اللسان والفصاحة ما توانوا عنه لحظة واحدة ، ولا شك أن حكم القرآن عليهم أنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا وتحقق هذا كما قرره القرآن ، فكان هو بذاته معجزة فارقة **(فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبهم. والذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم.. والذين يتحداهم القرآن هنا فيعجزون ولا يستجيبون فهم إذن كالحجارة وإن تبدوا في الظاهر بصورة بني آدم ، فهذا الجمع البلاغي بين الحجارة من الحجر والحجارة من الناس ، هو الأمر الذي يبين أن الذي لا يفقه لغة الكلام البليغ المعجز ، وهو يكذب الكلام البليغ المعجز ، وهو يدّعي الكلام البليغ فهو كالحجارة التي لا تتأثر بالكلام البليغ المؤثر. إنه مشهد مفزع النار التي تأكل الأحجار ، ومشهد الناس التي تتزاحم في النار وهم كأحجار. وأخطر ما يكون الإنسان أنه كالحجارة ! **(أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)** فهم كالحجارة **في غرر الحكم**: (لَنْ يَنْجُوَ مِنَ النَّارْ إِلاَّ التَّارِكُ عَمَلَهَا).

٢٥ – ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بعد أن هدّد وتوعد الكافرين بالجحيم ، وعد وبشر المؤمنين بالنعيم المقيم الكريم **(الَّذِينَ آمَنُوا)** بقلوبهم **(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** بجوارحهم فقرنوا القول بالعمل والعبادات بالمعاملات وحسن السيرة ، فصدقوا إيمانهم عندما صدقوا بأعمالهم الصالحة المتنوعة، ووصف أعمال الخير بالصالحات لأن بها تصلح أحوال العباد في دنياهم وآخرتهم ، ويزول بها فساد الأحوال ، فيكون بذلك من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته ، فيبشرهم **(أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ)** يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها. **عن النبي** (ص) : (أَكْثَرِ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِيَ الْجَنَّةَ، تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ) البحار٣٧٥/٧١ **(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)** فأنهار الجنة المتنوعة تجري في غير أخدود **(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ)** أي في الدنيا ، وأنه ليس في الدنيا مما في الجنة إلاّ الأسماء. وإن أهل الجنة يرزقون من ثمارها ، فإذا قُدِّم لهم مرة ثانية قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل ، وهم لا يعلمون أنه متشابه في الشكل واللون ويختلف في الطعم **(وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ)** لهم في الجنة أزواج من الحور العين مطهرات من العيوب والنقائص في الروح والجسد ومن الحيض والنفاس ومن البول والغائط.. وورد أن نساء الدنيا المؤمنات يكن يوم القيامة أجمل من الحور العين كما قال تعالى ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً، عُرُباً أَتْرَاباً**﴾ الواقعة/٣٥-٣٧ ، **العُرب** : المرأة المتوددة لزوجها **(أترابا)** متوافيات السن والشباب. وقاصرات الطرف على أزواجهن ، ومطهرات اللسان عن كل كلام قبيح ، مطهرات الأخلاق والخُلُق ، بكمال الجمال والطباع وهن خيرات حسان **(وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** في تكريم مقيم

ونعيم دائم. وهو أعظم أمل حضاري ومحرك للنفس وفّره الإسلام للمؤمنين الذي يعملون الصالحات ، عجزت عن توفيره جميع المبادئ المادية ، والنظم الوضعية. وهنا أصبح **(الدِّين)** ضرورة لتنمية الحياة وخلق الأمل الذي يعصم من الزلل ويسدد في القول والعمل ، لذلك فساد الدين في النفس يؤدي إلى فساد الدنيا والآخرة للإنسان.

**٢٦ –﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾**

**لا يَسْتَحْيِي** : لا يستنكف ولا يمتنع أن يضرب أي مثل كان ، بأي شيء كان ، صغيراً كان أو كبيراً ما دام يحقق غرضاً حقاً ، سواء كان ببعوضة أو بغيرها بعد أن كانت جميع المخلوقات متقنة الصنع، ولكل مخلوق عالمه الخاص به ونظامه المرتبط به ، مما تحيّر العقول ببدائع خلق الله التي يتفكر بها المؤمنون **(وتفكر ساعة خير من عبادة سنة)** قال تعالى **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾** الأنعام/٣٨ ، **(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)** فإن الله هو الحق ولا يقول غير الحق ولا يريد به إلاّ الحق ، وهذه ثقة العبد المؤمن بربه **عن الإمام الجواد** (ع): (والثِّقَةُ بِاللهِ سُلَّمٌ إِلَى كُلِّ عَالٍ ، وَثَمَنٌ إِلَى كُلِّ غَالٍ) البحار٧٨/٣٦٤. **(وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً)** والذين كفروا يتعجبون ويعترضون ويتجاوزون الآداب ، والذي لا يعرف قدره يتجاوز طوره ويتعدى حدوده ويشكك في كل شيء **فائدة** : **(بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)** والله يضرب المثل بالبعوضة وما هو فوقها في الحجم وأكبر منها في الشكل والتعقيد. وقد إكتشف العلم الحديث مؤخراً أن فوق ظهر البعوضة تعيش حشرة صغيرة جداً لا ترى إلاّ بالعين المجهرية وتتغذى من على ظهرها.

**البعوضة:** (البق) صغيرة في حجمها عظيمة في خلقها. لها مئة عين في رأسها و(٤٨) سن في فمها، وثلاثة قلوب في جوفها ، وستة سكاكين في خرطومها ، وثلاثة أجنحة في كل طرف من جسمها ، ومزودة بجهاز حراري وجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرها دون أن يحس الإنسان ، وما يحس به كالقرصة نتيجة مص الدم ، مزودة بجهاز تحليل دم ، فهي لا تستسيغ كل الدماء. مزودة بجهاز لتميع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جداً. مزودة بجهاز للشم عالي الكفاءة فتشم رائحة عرق الإنسان من بُعد. **(يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً)** يضل بهذا المثل من يستحق الضلال فمن عميت بصائرهم عن تنوّر أسرار الخالق في أصغر مخلوقاته ، وهداية من صفت أفئدتهم فعرفوا أنَّ لكلّ شيء له آية.. تدل على أنّه واحد **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾** محمّد/١٧ ، **(وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)** الفاسق : خرج عن نظام الأشياء ، والمنافق فاسق لخروجه عن طاعة ربه. أي ما يضل بهذا المثل وبهذا القرآن إلاّ الخارجين عن طاعة

الله ، والخاسرون من تمادى في غيه ، ولم يفيءْ إلى الرشد ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾ الأحزاب/٣٦ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّمَاْ ضَرَبَ اللهُ الْمَثَلَ بِالْبَعُوْضَةِ لأَنَّهَا عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَاْ خَلَقَ اللهُ فِيْهَاْ جَمِيْعَ مَاْ خَلَقَ اللهُ فِي الْفِيْلِ مَعَ كِبَرِهِ ، وَزِيَاْدَةُ عُضْوَيْنِ آخَرَيْنِ ، فَأَرَاْدَ اللهُ أَنْ يُنَبِّهَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى لَطِيْفِ خَلْقِهِ، وَعَجِيْبِ صُنْعِهِ) الأمثل١/١٢٢.

**٢٧ –** ﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾

لايزال الحديث عن وصف الفاسقين. **يَنقُضُونَ** : يفسخون ، **عَهْدَ اللَّهِ** : وصيته وأوامره ، **الميثاق** : المؤكد باليمين وهو أبلغ من العهد. ونقض العهد عندهم عام بينهم وبين الله ، وبينهم وبين الناس ولو كان بالمواثيق الثقيلة ، فلا يبالون بتلك المواثيق. وعهد الله مع البشر يتمثل في عهود كثيرة : إنه عهد الفطرة السليمة فلوثوها ، وعهد توحيد الله فأشركوا به وعهد صلة الرحم فقطعوها ، وعهد كافة الخلق بالقيام بحقوقهم وأن لا نبخس أشياءهم فنقضوه (**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**) وهذه حالة عامة : يقطعون صلتهم بالإيمان وبالأخلاق وبالعلم وبالتدبر وبالتفكر وبر الوالدين والأقارب والأرحام... وهو الذي يوصلهم إلى المقصود : (**وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**) بنشر أنواع الفساد والتفنن في إنتاجه ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ البقرة/٢٠٥ كقوله ﴿**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ هود/٨٥ ، (**أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**) **عن النبي (ص)**: (الْخَاْسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَاْدِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩ والخاسر من خسر نفسه ، وساهم في إنتشار الفساد في الأرض وفي النفوس. و**الإفساد:** خروج عن حد الاعتدال ، والخاسر من استبدل الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢. **في غرر الحكم:** (مَنْ أفنى عُمْرَهُ في غير ماَ ينجيهِ فَقَدْ أَضاعَ مطلبَهُ)

**٢٨ –** ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾

هذا الإستفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار. كيف تنكرون وجود الله (وَفِيْ كُلِّ شَيءٍ لَهُ آية، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاْحِدُ) **في دعاء الإمام الحسين** (ع) **يوم عرفة** : (مَاْذَاْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟ وَمَاْ الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟ لَقَدْ خَاْبَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوَّلاً ! كَيْفَ يُرْجَى سِوَاْكَ ؟ وَأَنْتَ مَاْ قَطَعْتَ الإِحْسَاْنَ ، وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ ؟ وَأَنْتَ مَاْ بَدَّلْتَ عَاْدَةَ الإِمْتِنَاْنِ ، **إلهي** : كَيْفَ تَخْفى وَأَنْتَ الظَّاْهِرُ أَمْ كَيْفَ تَغِيْبُ وَأَنْتَ الرَّقِيْبُ الْحَاْضِرُ ؟) **المعنى** : **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** الذي خلقكم من العدم، وصرتم أحياء ومن الذي أنشأ لكم هذه الحياة ؟ وكيف تكفرون بالله الذي وهب لكم هذا الوجود؟ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ثم حدّد آجالكم بالموت **في غرر الحكم**: (الْمَوْتُ أَوَّلُ عَدْلِ الآخِرَةِ) ، **ويجازيكم** في القبور ثم يحييكم بعد الموت إلى البعث والنشور حيث الجزاء الأوفى ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ الأعراف/٢٩، وكما خلقكم من الأرض تحشرون ، فإذا كنتم

في تصرفه وتدبيره في كل لحظة من حياتكم كان عليكم أن تشكروه وتعبدوه ولاتكفروه ، **عن الإمام الرضا** (ع): (مَنْ لَمْ يَشْكُرُ المخلوقَ لَمْ يَشْكُرُ الخالقَ) البحار٧١ص٢٨، **عن النبي (ص)** : (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢.

**٢٩** – ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾

فيه دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة ، حتى يثبت العكس (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**) ثم إستوى إلى السَّماء : قصد خلقها وإتقانها ، **فَسَوَّاهُنَّ** : أحكمهن. **عن الإمام علي (ع) في الآية**: (خَلَقَ لَكُمْ لِتَعْتَبِرُوْا بِهِ وَتَتَوَصَّلُوْا بِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَتَتَّقُوْا مِنْ عَذَابِ نِيْرَانِهِ) كنز الدقائق١/٢١٧، **سؤال** : إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وقدرة الله لا يحدها شيء ﴿**وانما أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ يس/٨٢ ، **الجواب** : خلق الكون جميعه في ستة أيام ، ليبين أهمية الزمن للإنسان في إنجاز الأعمال لا يمكن أن يصل شيء خارق ، وإنما يحصل ضمن ما هو مقدر له ، حتى يتعلم الإنسان أن يصبر على حركة الزمن لإنجاز أعماله. مثل : ﴿**وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**﴾ الأحقاف/١٥ ، وبعض الحيوانات تتخلق في عدة أيام وغيرها في عدة أسابيع ، وثمرة الشجرة الفلانية في مدة كذا من الزمن حتى تنضج ، تتطور الحياة من طور إلى طور وتمر من حالة إلى حالة ، وهذا يحتاج إلى عامل الوقت والصبر على إنجازه ضمن الأسباب الطبيعية بلا خوارق.

**٣٠** – ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾

**خَلِيفَة** : مستخلف عن الله عز وجل في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره ، **نُسَبِّحُ** : تنزيه الله وتبرئته عن النقائص وكل سوء، **نُقَدِّسُ**: التقديس التطهير ، بمعنى تمجيد الله وتعظيمه وتطهير ذكره وصفاته عما لا يليق به. **المعنى**: إقتضت حكمة الله أن يسلّم زمام الأرض للإنسان وتطلق فيها يده ، ووهبه استعدادات تؤهله على التصرف بها واكتشاف ما في الأرض من كنوز ، وهذا من تكريم الله للإنسان دون غيره من المخلوقات ، وجعله خليفة على الأرض يتصرف بها كيف يشاء كما قال تعالى ﴿**انشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ هود/٦١ ، لعمارة الأرض (**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) قالوا على سبيل التعجب والإستعلام. إنَّ هذا الإنسان المكوّن من عقل وعاطفة وغرائز وشهوات تدفع إلى الفساد ، وله قدرات تدفع إلى الإيمان والتقوى ، وذكروا الصفات السلبية ولم يذكروا الصفات الإيجابية ، إنهم توقعوا أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء ، ما دام مختاراً غير مجبر وخصصوا سفك الدماء من بين جميع المفاسد لبيان شدة مفسدة القتل **عن النبي (ص)** : (لَزَوَالُ الدُّنْيا جَمِيعًا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ دَمٍ سُفِكُ بِغَيْرِ حَقٍّ) الترغيب والترهيب٣/٢٩٣، وقالوا حسب ظنهم انَّ هذا الإنسان سيحصل منه الكبائر ، فنزهوا البارئ

وعظموه عن سبب كل كبيرة تصدر عن هذا المخلوق. وقالوا أنّهم قائمون بعبادة الله (**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وحسن جلالك.

(**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**) هذه من الآيات المتشابهة. لا يفعل الله شيئاً إلاّ لحكمة بالغة ، وكثيراً ما تختفي عن إدراك الناس والملائكة أيضاً. إنّ هذا المخلوق المكرّم بأفضل تكريم ومخلوق بأحسن تقويم وفي أعقد تركيب ، يمتلك القدرات المتضادة من الفجور والتقوى ، وهو مسؤول عن قدراته ومحاسب عليها ، فيضل منهم من يضل ويهتدي منهم من يهتدي ، يجتبي منهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، يبتلي الناس ﴿**حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ آل عمران/١٧٩ ، وفي ذلك مصلحة وحكمة والله أعرف بالمصلحة والحكمة البعيدتي الأمد منكم ، ونرى بعض الناس تهبط في الفساد فتكون كالأنعام بل أضل سبيلاً ، ونرى الصنف الآخر يرتفع ويتسامى فيصل إلى درجات أعلى من الملائكة بكثير، لذلك لا يدخل الجنة إلاّ عباد الله المخلَصون ، وكانت النار عقوبة للعاصين المعاندين، ولايزكّي النفوس إلاّ الله ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى**﴾ النجم/٣٢. **فائدة : ١-** تعلمنا الآية أدب السؤال (**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا..**) وأن نسمح للآخرين بالحوار معهم ، فإن بالحوار تنضج الأفكار وتتوسّع الآفاق ويُعرف الرأي الصائب ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ الشورى/٣٨. **٢- عن الإمام الصادق** (ع) : (مَاْ عَلِمَ الْمَلاَئِكَةُ بِقَوْلِهِمْ (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) لَوْلاَ أَنَّهُمْ كَاْنُوْا قَدْ رَأَوْا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ، ويمكن أن يشير بذلك إلى دورة من البشر على الأرض سبقت دورة بني آدم.

**٣١ -** ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

**سمّي آدم** : لأنه خلقه الله من أديم (تراب) الأرض. (**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**) أودع الله العلم لآدم، وعلمه ما لم يكن يعلم علماً تكوينياً ، علمه أسماء كل شيء وهو إدراك المعلومات وإكتشاف الأنظمة المخفية بالتدريج والبحوث العلمية التخصصية ، وهكذا يُعلِّم الله الإنسان ﴿**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٥١ ، والعلم غاية الفضائل، وأفضل هداية ، وأحسن وراثة ، وهو مصباح العقل وأنيس النفس (**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**) أي عارفين بالحكمة من جعل آدم خليفة في الأرض، إن الله أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة ، **في غرر الحكم**: (إِكْتَسِبُوْا الْعِلْمَ يُكْسِبْكُمُ الْحَيَاْةَ)

**٣٢ -** ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(**قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**) ننزهك يا الله من الإعتراض منا عليك ، وإنا لا نقول إلاّ بمقدار ما علمتنا (**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ**) الذي لا تخفى عليك خافية (**الْحَكِيمُ**) الذي لا يفعل إلاّ ما فيه الحكمة والمصلحة.

٣٣ - ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

**(يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ)** تبين للملائكة فضل آدم عليهم ، وحكمة الله عز وجل في خلقه ، **والحكمة** : وضع الشيء في موضعه اللائق به. **(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)** إني أعلم بالغيب كما أعلم بعالم الحضور والمشاهدة. **(وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ)** تظهرون **(وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)** تسرون في أنفسكم ولا تعلنون. **في الآية دلالة** : العلم كله من عند الله ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ النور/٤٠ ، وهو عزّ الإنسان ، بحيث صارت العبادة على قدر العلم، وعلى قدر العلم والإيمان تتحقق الخلافة ، والذي يضل عن سبيل الله لا يكون خليفة لأنه تعدّى حدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، والظالمون بعيدون عن شرف الخلافة ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة/١٢٤ ، **وتدل هذه الآيات** على شرف الإنسان وأنه أفضل مخلوق كرمه الله ، وتدل أيضاً على مزية العلم وفضله على العبادة، لأن الملائكة أكثر عبادة من آدم ، ومع ذلك لم يستحقوا الخلافة، وتدل على أن العلم شرط في الخلافة ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ المجادلة/١١ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (أُطْلُبُوْا الْعِلْمَ وَلَوْ بِخَوْضِ اللُّجَجْ وَشَقِّ الْمُهَجْ)البحار٧٨/٢٧٧. **فائدة** : ليتعلم الإنسان أن كل أقواله وأفعاله قابلة للنقد ولها معارضين ، حتى الملائكة استفسرت من الله **(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا..)**.

٣٤ - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾

**أبى** : إمتنع مع التمكن من الفعل ، **اسْتَكْبَرَ** : التكبر والأنفة والتعاظم في النفس **(اسْجُدُوا لآدَمَ)** سجود تحية وتعظيم لأمر الله ، لا سجود عبادة لأن السجود لله وحده **(فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ)** لأنه رأى نفسه أعظم من آدم ، وهذا الاستكبار حوّله إلى كافر فصار لئيماً وظالماً ومعتدياً على حقوق آدم. **نستفيد من الآية** : أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والفرائض فالواجب عليه التسليم لله عز وجل وسمّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أي يئسَ ، قال تعالى ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ فاطر/٦. **حقيقة إبليس** : أنه من الجن وعاش مع الملائكة وليس منهم. **ومن فلسفة السجود لآدم** تستنتج : يمكن طاعة القيادة الشرعية التي تحمل صفة العلماء العاملين **عن النبي** (ص): (العِلْمَ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ إِرْتَحَلَ) البحار٢ص٣٣، وهؤلاء العلماء من أهم صفاتهم أنهم خلفاء الرسل وورثة الأنبياء ، فهم حملة الرسالة وامتداد للرسل وحريصين على سلامة الأمة من الانحراف فإذا أخفقوا في هذا الهدف فعليك إتباع الأحسن.

﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ الزمر/١٨ ، **وعن النبي** (ص) : (إِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُوْنَ) كنز العمال خبر٢٩٣٣٩، ولا يحق السجود إلاّ لله تعالى لأنه سجود تعبدي، وكان

السجود لآدم أو ليوسف (ع) تفخيماً لشأنهما سجود تواضع سجود لأمر الله وكل كائن يسجد ويخضع لله بقدره. ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ النحل/٤٩ وهو **السجود التكويني**. أما في الإسلام يكره حتى الانحناء للآخرين مهما كان موقعهم ، لأنه دعوة إلى التذلل وليس إلى القوة والعزة والحرية ، **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ) مشكاة الأنوار ص٢٤٥، **عن الإمام الهادي** (ع): (مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلا تَأْمَنْ شَرَّهُ) تحف العقول ص٣٥٨، **في غرر الحكم**: (وَخَوْفُ النَّاسِ مِنَ الذُّلِ أَوْقَعَهُمْ فِي الذُّلِ) باستثناء من له الفضل عليك كالوالدين تواضعاً **عن النبي** (ص): (ومَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ) كنز العمال خبر٥٧٣٠ ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ المائدة/٥٤، **في غرر الحكم**: (التَّوَاضُعُ يَنشُرُ الْفَضِيْلَةَ).

**٣٥**- ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾

**اسْكُنْ** : من السكن والاطمئنان والهدوء. **الرغد** : سعة العيش وسعادته ، والرزق الواسع الكثير لا عناء فيه. **جنة آدم** : كانت جنة الدنيا ولم تكن جنة الآخرة ، لأن آدم خُلِق من تراب الأرض وبقي في جنة الأرض ليختبر ، وكانت علاقة آدم بزوجته علاقة سكن ومساكنة واطمئنان وقدّمها على كل الحاجات الزوجية لأهميتها. لقد هيأ الله أسباب العيش الرغيد السعيد لهما معاً في الجنة ، وهذا يدل على المساواة في التكريم بين الزوجين ، وأباح لهما الجنة كلها وحذّر من الإقتراب بجزء بسيط من الجنة، فمعنى ذلك أن المباحات أكثر بكثير من المحرمات (**وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**) حذرهما من الإقتراب من شجرة واحدة ليختبرهما فيها ، وبيّن لهما مخاطر المخالفة بقوله (**فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ**) الخطاب للإثنين معاً ، وهذا يدل التكليف مشترك ويكون التشريف لهما مشتركاً أيضاً ، وهكذا كرّم الله المرأة منذ أول تكوينها. فإن الاقتراب من هذه الشجرة المحرمة يؤدي (إلى كليهما) : ظلم نفسه كثيراً وحرمانها كثيراً ويؤدي إلى خسارتها المديدة ، وهذا تمرين لنا أبناء آدم على ضرورة امتلاك إرادة الثبات على الاستقامة على منهج الله ، فإن في الاستقامة السلامة وحفظ الكرامة بلا أية ندامة ولا ملامة (**ولا تقربا هذه الشجرة**) لقصد المبالغة في النهي عن الأكل من ثمارها، إذ النهي عن القرب نهي عن الفعل بطريق أبلغ ، كقوله ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى**﴾ الإسراء/٣٢ ، فنهى عن التقرب إليه ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه. **روي** : (خُلِقَ آدَمُ أَوَّلاً وَحْدَهُ فِيْ الْجَنَّةِ حَتَّى إِسْتَوْحَشَ إِذْ لَيْسَ مَعَهُ زَوْجَتُهُ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاْ ، ثُمَّ خُلِقَتْ حَوَّاءُ لِيَعْرِفَ قِيْمَتَهَاْ وَأَهَمِّيَتَهَاْ فِيْ نَفْسِهِ) ، إذاً (الْمَرْأَةُ مِيزَانٌ دَقِيْقٌ فَمَنْ وَفَّى ، اسْتَوْفَى). **فائدة**: ١- لم يكن نهي النبيّ آدم (ع) نهياً تكليفياً يعاقب على ارتكابه، بل نهياً إرشادياً، ٢- سئل الإمام الصادق (ع) عن جنة آدم فقال (جَنَّةٌ من جنّات الدُّنْيا، يُطْلَعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ جِنَانِ الآخَرةِ ما خَرَجَ مِنْهَا أبداً) نور الثقلين ١/٦٢.

**٣٦ –** ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾

**أزله** : من الزلل ، أزاله عن الحق ، والزلة هي الخطيئة ، **المعنى** : غوى الشيطان آدم وحواء فحرمهما من النعمة الوفيرة التي كانا فيها كرهاً لهما ، (**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**) خرجا من الجنة عندما تجاوزا الحدود الحمراء ، لأن الجنة لا تليق بالذي يزله الشيطان ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ وقوله (**مِمَّا كَانَا فِيهِ**) أبلغ في الدلالة على فخامة الخيرات مما لو قيل : من النعيم المقيم الكثير، لتذهب نفس السامع في تصوّر عظمته وكماله ، فإخرجهما من السلامة إلى الملامة والندامة، ومن القربة إلى الغربة ، ومن الألفة إلى الكلفة (**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**) **الهبوط** : النزول من العلو إلى مادونه ، نزول من دار السعادة والبقاء والتشريف ، إلى دار العناء والبلاء والتكليف إنها بسبب زلة كان دافعها الهوى والغفلة والشيطان عدو الإنسان ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ فاطر/٦ ، (**وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ**) بالإقامة فيها (**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**) تمتع بنعيمها إلى وقت مقسوم ضمن الأجل المحدود. أما موضوع (**اهْبِطُوا..**) هبوط الإنسان إلى مستنقع الخلافات البشرية فيظلم بعضهم بعضاً ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ الروم/٣٢ ، ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا**﴾ آل عمران/١٠٥ ، **عن النبي (ص)** : (مَاْ اِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إِلاّ مَا شاءَ اللهُ!)شرح النهج٥/١٨١، وكلمة (**عَدُوٌّ**) يصلح للواحد والجمع ، لم يقل أعداء، فإبليس عدو لهما وهما عدو لإبليس. والعدو : هو المتجاوز حده في مكروه صاحبه. **فائدة** : ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة ولكن بالمعاصي والتجاوزات يخسرها (**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**). **والهبوط** : من جنة الدّنيا الخاصة وليس جنّة الآخرة إلى أرض الدّنيا وإمتحاناتها ، لأن الشيطان لا يوجد في جنّة الآخرة.

**٣٧ –** ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

ألهمه الله كلمات خاصة فتاب عليه. وهذه الكلمات أطلقها ولم يحددها النص وإنما كشف عنها في آية أخرى ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ الأعراف/٢٣، وهنا كان الإعتراف بالذنب معاً. وعند أهل البيت (ع) أن هذه الكلمات أسماء أصحاب الكساء (ع) المعروفون بأهل بيت النبي (ع) ، **ويظهر أن التوبة توبتان** : توبة من الله للعبد وهي الرجوع إليه بالرحمة ، وتوبة من العبد لله وهي الرجوع إليه بالاستغفار والندم وعدم الرجوع إلى المعصية ، وبذلك تُقبل التوبة ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا**﴾ التوبة/١١٨ ، (**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) **التوّاب:** كثير القبول للتوبة من كل تائب ونادم. **فائدة** : (**مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**) هو الحث على الدعاء التضرع لله تعالى والإعتراف بالذنب. وقيل هي قوله (**اللّهُمَ لَا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، ربِّ إِنِّي**

**ظَلَمْتُ نَفْسِي فإغْفِرْ لِي إنَّكَ خَيرُ الغَافِرينَ..) عن الرسول (ص):** (إِدْفَعُوْا أَبْوَابَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ) البحار٩٣/٢٨٨، ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ**﴾ الفرقان/٧٧ ، **بمعنى : (ما يَعْبَأُ)** لا يبالي بكم رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ له وعبادتكم إياه، بالدعاء تقوى الرابطة بين العبد وربه.

**٣٨ – ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

**(اهْبِطُوا)** مرة ثانية للتوكيد ، الهبوط الأول قبل توبة آدم والهبوط الثاني هذا بعد التوبة ، أن إقامة آدم وحواء في جنة الأرض لا في جنة الآخرة ، فصار التكليف والتشريف والعقوبة بالهبوط مشترك بين آدم وحوّاء ، **(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى)** من رسول أبعثه لكم وكتاب أنزله عليكم ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ البقرة/١٢٠ ، **(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ)** منهج الله والعمل بطاعته وترك نواهيه **(فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** وقال تعالى ﴿**فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى**﴾ طه/١٢٣ ، فهم الآمنون يوم القيامة وهم الآمنون في الدنيا أيضاً بحسن العاقبة. أمام الإنسان طريقان إما الله وهداه وإما الشيطان وهواه ، فالأول يقود إلى النجاح والفلاح والثاني يقود إلى الخسران والطغيان والخذلان ولو بعد حين. لقد هدى الله آدم وحواء وذريتهما إلى نعمة العبودية الخالصة لله تعالى ، فتألقت الحياة لتصبح حياة أرضية جسدية غرائزية وحياة سماوية علوية علمية روحية بمنهجها ، فهداية الله قيمة كبرى وهي منهج الأمان والاطمئنان لأنه يرتبط مع منهج الكون ونظام الحياة والأحياء بوحدة واحدة متّحدة ، وبذلك يتكامل الإنسان لأنه يعطي للدنيا حقها وللآخرة حقها ، وللجسد حقه وللروح حقها ، وللحياة حقها وللموت حقه ، وللأمل حقه وللعمل حقه ، وهكذا يعطي المهتدي بهدى الله لكل شيء حقه، كل إنسان بقدره كقوله ﴿**فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ الأنعام/٤٨.

**٣٩ – ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

والذين جحدوا وكذبوا بالرسل والرسالات ، فأعرضوا عن الهداية ، ولم يحبوا التقرب من الله ، فاقتربوا من الشيطان وصادقوا هواهم وإتبعوا أنفسهم الأمّارة بالسوء فضلوا عن السبيل الذي يريده الله فارتكبوا أنواع المنكرات والجرائم التي تجعلهم خالدين في جهنم ، إنهم لم يعرفوا قدر أنفسهم فتعدوا طورهم وجاوزوا الحدود ، واستغنوا عن خلافة الله على أرضه ولم ينهضوا بواجبات الاستخلاف لله فصاروا جنود الشيطان على الأرض وهكذا الذي لاينفعه الرحمن يضره الشيطان.

**ومن أسباب الكُفر** : العمى ، والفِسق والجفاء والغفلة والشّك والعناد والشبهة والشقاق والاستكبار والحرص... إلخ ، هذه قصة التجربة الإنسانية الأولى يعرضها القرآن بكل وضوح ، من بدايتها إلى نهايتها وبيّن سبيل الإيمان ونعيمه ، وسبيل الكفر والضّلال وخسرانه ، ﴿**إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الزمر/١٥. **في غرر الحكم:** (كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ الْهُدَىٰ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَىٰ ؟!)

٤٠ - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

ينتقل الخطاب إلى بني إسرائيل وهو يعقوب وذريته الذين كُلِفُوا بحمل الرسالة وتذكيرهم بنعم الله الكبرى عليهم ، وتتطلب منهم الوفاء بحملهم للرسالة وطاعتهم لله ، ولكنهم نقضوا العهد بالوفاء ومالوا إلى المنافع المادية وحاربوا الموارد المعنوية والأخلاقية ليحذرهم المسلمون ويتجنبوا صفاتهم المتقلبة الخطيرة. ربط تعالى بني إسرائيل بذكر النعمة، حتى يتعرفوا نعمة المنعم ، وأسقطه على أمة مُحَّد (ص) ودعاهم إلى ذكره فقال : **(إذكروني أذكركم)** ليكون نظر الأمم من النعمة إلى شكر المنعم، ونظر أمة مُحَّد (ص) من شكر المنعم إلى تقدير النعمة واحترامها والتي لم تحجبك عن المنعم، وشتان بين الأمرين! ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣. **(اذْكُرُوا نِعْمَتِي)** : الذكر باللسان وبالقلب، يكون شكر النعمة باللسان وحفظها وتقديرها بالجنان والمشاعر، وشكر منعمها بالسلوك المستقيم. **وجاءت (نِعْمَتِي) نعمة نكرة وتعني الإطلاق والجمع لكثير من النعم. (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي) الوفاء بالعهد** : حفظ الشيء ومراعاته في كل شيء ، كما جاء في التوراة الصحيحة من الإيمان والطاعة وهو ما تخلص قلوبهم لله **(أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)** بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب والفوز بسعادة الدنيا والآخرة **(وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)** إخشوني دون غيري وخوف الله يمنع أن يرهب بعضكم بعضاً ، وفيه دلالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد ، وإن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً إلاّ الله تعالى ولانجامل أحداً ولانخاف لومة لائم ، ومن الإعلام المضاد ، بسبب أداة الحصر (إياي) المقدمة على فإرهبون ، ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ الرحمن/٤٦ ، **عن النبي (ص)** : (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ) البحار١٣٣/٧٧ **فائدة:** الرَّهبة : خوف مع حذر من فعل خطير ، **في غرر الحكم:** (مَنْ خَافَ اللهَ سُبْحَانَهُ آمَنَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ !). وخوف الله خوف هيبة ومحبة، لا خوف رهبة ورغبة.

٤١ - ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

ووفاء بهذا العهد يدعو الله بني إسرائيل أن يؤمنوا بما أنزل الله على رسوله مُحَّد (ص) وهو القرآن والإيمان به وإتباعه **(مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ)** موافقاً لما معكم لا مخالفاً ولا مناقضاً ، فإن في الكتب التي بأيديكم صفة النبي مُحَّد (ص) والبشارة به ، فإن لم تؤمنوا به كَذَبْتُمْ ببعض ما أُنزل إليكم **(وَلا تَكوُنُوا أولَ كافرٍ بِهِ)** أبلغ من قوله (ولا تكفروا به) لأنهم إذا كانوا أول كافر به ، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر بسرعة ، عكس ما ينبغي منهم ، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم وبيّن أن سبب الكفر المبكر بالرسالة هو حب الدنيا والمصالح الفردية ، لأن **(حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ)**، **(وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً)** حرفوا أحكام الله ليكتسبوا بها ثمناً قليلاً ، ما أبخسه من ثمن مهما غلا ولو حصلوا على رئاسةٍ دنيوية وتأتيهم التحف والهدايا من كل مكان ، الذين يحرفون

كلام الله عن مواضعه ، إنَّهم يغيرون شريعة الله لكيلا يخسروا رئاستهم ومصالحهم ، عند ذلك يصبح الدين حرفة وتجارة ، والتجارة في الدّين أخسر تجارة ، لا عقيدة سامية رافعة (**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**) إتقوا غضبي وإحذروا معصيتي ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ البروج/١٢ ، إنكم إذا إخترتم الثمن القليل فهو دليل على ذهاب التقوى من قلوبكم يعني ذهاب سعادتكم ثم خسارتكم. **عن النبي (ص)** : (مَنْ رُزِقَ التُّقَىْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَاْ وَالآخِرَةِ) كنز العمال خبر٥٦٤١ **فائدة:** صَمْتُ العلماء وكتمانهم للحقائق والضرورات الإسلامية بسبب خوفهم على مواقعهم السيادية إنَّه أمر خطير وفيه نذير (**وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً**).

**٤٢ – ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

ولا تخلطوا الحق من الله بالباطل الذي عندكم ، ولا تحرفوا ما في التوراة بالبهتان الذي تفترونه فتزرعوا في نفوس النَّاس الشكوك فلا يميزون بين الحق والباطل ، (**تَكْتُمُوا الْحَقَّ**) نهاهم عن شيئين : عن خلط الحق بالباطل وكتمان الحق (**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) بضرر الكتمان. **الآية تقول لهم** : قولوا الحق ولو على أنفسكم ، ولا تشوهوا وجه الحقيقة وتضعوا الشبهات ، وإن تعرضت مصالحكم للخطر. إنَّهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، لا تحرفوا الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم. وهذا لا يخص اليهود ويمكن تعميمه على المسلمين والإنسانية جمعاء ، أيها الحكام لا تخلطوا العدل بالجور ، وأيها القضاة لا تخلطوا الحكم الصحيح بالفساد والرشوة. **عن النبي (ص)** : (لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ أَحَدٍ، أَنْ يَقُولَ أَوْ يَقُوْمَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كَاْنَ). وقال تعالى﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ المائدة /٥٤. **عن الإمام علي (ع)** : (إِنَّ الْحَقَّ والباطل لاَ يُعْرَفان بِاقدار الرِّجَاْلِ، إِعْرِفْ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ، إِعْرِفْ الباطل تَعْرِفْ أَهْلَهُ)أمالي المفيد ص٣. **وعنه (ع)**: (مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ)! شرح نهج البلاغة٢/٩١

**٤٣ – ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**

(**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ**) بشرطها وشروطها وحدودها وعند أوقاتها ووقت فضيلتها ، فإن حصل غيرها فلا صلاة (**وَآتُوا الزَّكَاةَ**) والزكاة من زكا الزرع إذ نما ، فإن إخراجها يستجلب البركة في المال ، والفضيلة في النفس ، والزكاة بمعنى الطهارة : فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل (**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**) صلوا مع المصلين ، وإنما عبر بالركوع عن الصلاة لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على صلاة المصلي. وفيه دلالة صفة الجمع على صلاة الجماعة وأهميتها في تربية نفس الفرد والمجتمع. فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان والعلم والعمل الصالح فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة ، وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى الناس وبين العبادات

القلبية والبدنية والمالية. **وفي الحديث** : (مَاْ إِفْتَرَضَ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ شَيْئَاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلاَةِ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا لَتَعَبَّدَ بِهَا مَلاَئِكَتَهُ ، فَمِنْهُمْ رَاكِعٌ وَسَاجِدٌ، وَقَائِمٌ وَقَاعِدٌ) روح البيان١/١٢٢، كقوله ﴿**وَأَقِمْ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي**﴾ طه/١٤ ، **عن الإمام علي** (ع) : (الصَّلاَةُ قُرْبَاْنُ كُلِّ تَقِي) نور الثقلين٤/٢٠٥، **وعن النبي (ص)** (الصَّلاَةُ عَمُوْدُ الدِّيْنِ) كنز العمال خبر١٨٨٦٩.

**٤٤ –** ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾

**البِرّ** : إسم جامع لأعمال الخير. أتدعون الناس إلى الخير بأقوالكم وتخالفونه بأفعالكم **(وتنسون أنفسكم)** تتركونها فلا تؤمنون بالخير ولا تفعلونه **(وأنتم تتلون الكتاب)** حال كونكم تقرؤون التوراة وفيها صفة مُحَمَّد (ص) **(أَفَلا تَعْقِلُونَ)** أفلا تفطنون وتفقهون إن ذلك قبيح ومضر فترجعون عنه؟! خطاب الآية عام في نهيه عن إتخاذ الدين حرفة وسبيلاً لغايات رخيصة مما يؤدي إلى التشكيك في الرسالة وحملتها. **في غرر الحكم**: (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ) ! **وفيه أيضاً**: (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَاْدِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَاْدَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَاْدِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ) **عن الإمام علي** (ع) (صُنْ دِيْنَكَ بِدُنْيَاْكَ تَرْبَحْهُمَاْ ، وَلاَ تَصُنْ دُنْيَاْكَ بِدِيِنِكَ فَتَخْسَرْهُمَاْ) مستدرك الوسائل٢/٣٢٥. **فائدة** : آفة رجال الدين حين يصبح الدين عندهم حرفة لا عقيدة ، إنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، ويأمرون بالخير ولا يفعلونه فالويل لهم ثم الويل لهم !

**٤٥ –** ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾

اطلبوا المعونة والمساعدة من الله على أموركم كلها **(بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ) بِالصَّبْرِ** : استعينوا على البلايا بالصبر عليها والتخلّص منها والإلتجاء إلى الله ، **وبالصلاة** التي هي صلة بين العبد وربه وهي عماد الدين **(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ)** إنَّ الصلاة لثقيلة وشاقة ومملة **(إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)** باستثناء الخاضعين المتذللين المتفاعلين في معاني صلاتهم مع ربهم ، ويطلق الخضوع بالقلب وسائر الأعضاء ، والخشوع بالجوارح والأحاسيس (مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ خَشَعَتْ جَوَاْرِحُهُ)، إنهم يستغرقون في مناجاة ربهم ويستلذون بها فلا يدركون الأتعاب. **والخشوع** : سكون القلب وطمأنينته وهو في رحاب طاعة الله، ومن مصاديق الصبر الصيام ، **عن النبي** (ص) : (جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيَ فِيْ الصَّلاَةِ) وكان **يقول** (ص) : (أَرِحْنَاْ بِهَاْ يَاْ بِلاَلْ) **والصَّبْر** : يُصغّر كل عظيمة نازلة ، لأنه انتهاز الفرصة حتى لا تكون غصة ، **والصَّبْرِ**: انتظار النصر والظفر والفرج توكلاً على الله تعالى ، هناك صبر وتصابر وصبر جميل وصبر ذليل. **في غرر الحكم**: (بِالصَّبْرِ تُدْرَكُ الرَّغَائِبُ) وتدفع النوائب ومن لا يصبر على الحق سيصبر على الباطل مكرهاً ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ لقمان/١٧ ، **بمعنى** : فإن الصبر يعطيك مناعة ذاتية لتثبت وتقوى إرادتك للوصول إلى هدفك وأن لا تقع في الأخطاء التي وقعت بها المرة الأولى ، والصبر يعطيك عزماً قوياً ومناعة من أي تراجع عن حقوقك ، والصلاة

الخاشعة تقوّي الإرادة وتحارب وساوس الشيطان ، فترى المصلي يحصر ذهنه في الصلاة والشيطان يصرفه إلى شيء آخر بعيداً عن الصلاة ، لايزال المصلي في حرب حتى تنتهي الصلاة ، ومن هنا سمي محل إقامة الصلاة (**محراباً**) لأنه فعلاً في موقع حرب معنوية مع وساوس الشيطان الرجيم.
**والصلاة** : صلة ولقاء بين العبد وربه ، صلة يستمد منها القلب قوة ، وتحس بها الروح نشوة ولذة ، إنها ركعات تنال بها غنيمة كبرى بالمجّان وهي اطمئنان القلب الذي يكون كل إنسان بأمسّ الحاجة إليه ، والذي يفقده العصاة والطغاة والعتاة فيأخذون المخدرات والمسكرات والمهدئات لينالوا الاطمئنان ولا يحصلوا عليه ، لأنه منحصر بذكر الله عز وجل وقدّم الصبر على الصلاة لأنه خير معين عليها بخشوع وخصت الصلاة بالذكر لأنها رأس العبادات وملاك الطاعات وتنهى عن المنكرات ﴿**أَقِمْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ العنكبوت/٤٤.

٤٦ – ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾

**يَظُنُّونَ** : يوقنون **الظن هنا** : الاعتقاد بدرجة اليقين ، واستعمل الظن للتدرج من الشك والريب والظن واليقين حتى درجاته العليا ، فهناك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. والظن من الأضداد فهو يحمل اليقين والشك وقد يوضع موضع اليقين (**أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ**) ملاقوا ثوابه وحسابه بعد البعث والنشور وكأنهم شاهدون يوم العرض الأكبر للجزاء في يوم القيامة وهو درجة اليقين (**وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) الإيمان بالمعاد أفضل وسيلة لتزكية النفس وتهذيب شهواتها ، لأنه يدعو إلى الاستقامة المطلقة. **ما وعظ به لقمان ابنه أنَّه قال:** (يَاْ بُنَيَ إِنْ تَكُ فِي شَكٍّ مِنَ الْمَوْتِ فَاِدْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ النَّوْمَ وَلَنْ تَسْتَطِيْعَ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِيْ شَكٍّ مِنَ الْبَعْثِ فَاِرْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ الاِنْتِبَاْهُ وَلَنْ تَسْتَطِيْعَ ذَلِكَ) البحار٧ص٤٢. **فائدة:** وقد نسب الله تعالى المقاتلين الشجعان والمخلصين إلى الظن فوصفهم بأصحاب الظن ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ ملاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ البقرة/٢٤٩، فيكون الظن في موقع النقد حينما يكون في إزاء العلم ﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ**﴾ النجم/٢٨ ، أمّا إذا جاء الظن بمعنى اليقين فيكون ذا قيمةٍ كما في هذه الآية التي نحن في صدد تسليط الأضواء عليها.

٤٧ – ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾

عودة إلى نداء بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمة الله عليهم ، وتخويفهم ذلك اليوم الحاسم. **وتفضيل بني إسرائيل على العالمين هو تفضيل نعمة وليس تفضيل قيمة** ﴿**بَلْ أَنْتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**﴾ لمائدة / ١٨، وهو تفضيل مؤقت بزمان استخلافهم وتكريمهم وامتحانهم ، وبعدما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم وجحدوا نعمة الله عليهم ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والمذلة والمسكنة ، وقضي عليهم بالتيه والتشريد في بلاد الله الواسعة بلا وطن محدد

لهم. وهذا التفضيل لبني إسرائيل مثل التفضيل في حق مريم ﴿**واصْطَفَاكِ على نِسَاءِ العَالَمِينَ**﴾ آل عمران/٤٢، على نساء زمانك ، فإن خديجة وفاطمة أفضل منها.. أما عن أسباب تكرير هذا القطيع الشارد المارد من بني إسرائيل إنما تشير إلى ما في نفوسهم من جفاء وما في طباعهم من قسوة وإلحاد وكفران للنعم فيكون بلاءهم على قدر طباعهم لأن (**الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاْعِ!**) ، وسبب هذا التكرير لإقامة الحجة عليهم وعلى الناس وليكونوا عبرة لمن يعتبر وليحذر الناس هذه الطباع الشاذة عن الفطرة السليمة ، (وأخسر الناس من كان عبرة للناس). **فائدة** : كان تفضيل المسلمين على كل الأمم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كقوله ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ آل عمران/١١٠ ، ﴿**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ الإسراء/٢١.

**٤٨ – ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾**

ومثله : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً**﴾ لقمان / ٣٣ ، **وَاتَّقُوا** : واخشوا. لا **تجزى** : لا تغني (**نَفْسٍ**) على إطلاق معناها ولو كانت نفساً كريمةً كالأنبياء والصالحين (**عَنْ نَفْسٍ**) ولو كانت الأقرب فالأقرب (**شيئاً**) وإنما ينفع الإنسان عمله الصالح الذي قدمه (**وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**) لا أحد يستطيع أن يشفع لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ البقرة/٢٥٥ (**وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ**) فدية (**وَلا هُمْ يُنصَرُونَ**) ولا يدفع عنهم المكروه.**فائدة** : (**أما الشَفَاعَةُ**) : قال تعالى ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ الزمر/٤٤ فهوسبحانه الذي يأذن بها لمن يشاء على يد من يشاء وكيف يشاء ، فليس هناك خارج عن إرادته. **عن النبي (ص)** : (إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّيَ غَدَاً وَأَوْجَبَكُمْ عَلَيّ شَفَاْعَةً : أَصْدَقُكُمْ لِسَاْنَاً ، وَأَدّاْكُمْ لِلأَمَاْنَةِ ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقَا ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنَ النَّاْسِ) البحار٦٩/٣٨١، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُ شَفَاْعَةُ الشَّاْفِعِينَ عِنْدَ اللهِ فَلْيَطْلُبْ إِلَى اللهِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ) البحار٨ص٥٣.

**٤٩ – ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾**

لما قدّم الله تعالى ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً ، بيّن هنا بعض أقسام تلك النعم ، ليكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى الشكر. **يَسُومُونَكُمْ** : يكلفونكم ما يسوءكم ويذلكم ، (**يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**) يستخدمونهن ويفجرون بهن.**المعنى** : إذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم حين نجيت آباءكم من بطش فرعون الطاغية ، والخطاب للأبناء المعاصرين للنبي (ص) إلاّ أنَّ النعمة على الآباء نعمة على الأبناء ، (**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**) يذيقونكم أشد العذاب يذبحون الذكور

**(وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ)** يستبقون الإناث على قيد الحياة للخدمة والفجور **(وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)** محنة واختبار عظيم ليميز الخبيث من الطيب. **سبب تقتيل الذكور من بني إسرائيل** : أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل ! ، فهاله ذلك وسأل كهنته عن رؤياه فقالوا : يولد في بني إسرائيل غلام يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ، فأمر بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ! **الفائدة** : يذكّر القرآن بني إسرائيل بهذه القصة ليقول لهم : إنَّهم لو تركوا رسالة الله لعادوا مرة أخرى أمة محرومة ذليلة ، وهكذا يذكّر الأمة الإسلامية بهذه الحقيقة أيضاً وهي : أن التمسك بمنهج الله تعالى هو الكفيل بضمان استقلالهم ورفعتهم وحريتهم **في غرر الحكم: (إِنَّ مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْحُرِّيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أَحْكَامِ الْحُرِّيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ)** ، **وفي الآية إشعار** : بأنه قد يصيب الإنسان الخير أو الشر فيجب أن لا يغتر فيطغى بما أنعم الله عليه ، ولا ييأس من روح الله بما ضيّق عليه فيعيش ضنكاً ، فعليه أن يشكر على النعم ويصبر على النقم ليكون من الفائزين في الاختبار كقوله تعالى ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ لقمان/١٧، **عن النبي (ص): (ثلاث منجيات** : الْعَدْلُ فِيْ الرِّضَاْ وَالْغَضَبْ، وَالْقَصْدُ فِيْ الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَمَخَافَةُ اللهِ فِيْ السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ) كنز العمال خبر٤٣٨٦٧.

**٥٠ –** ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

**الفَرَق** : **الفَصل** ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ** ﴾ الإسراء/١٠٦ ، أي فصلناه وميزناه بالبيان والوضوح. **المعنى** : واذكروا أيضاً يا بني إسرائيل إذ فلقنا لكم البحر حتى ظهرت لكم الأرض ثم مشيتم عليها وهي يابسة بطريقة إعجازية **(فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ)** نجيناكم من الغرق وأغرقنا فرعون الطاغية وقومه وأنتم تشاهدون يد الله واضحة تنصركم وتخذل فرعون ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ الأنفال/١٠.

**٥١ –** ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾

لم تكن التوراة قد نزلت على موسى (ع) فطلبوا منه أن يأتيهم بكتاب من عند ربهم فوعده الله أن ينزّل عليه التوراة، وضرب له ميقاتاً أربعين ليلة وهي ذو القعدة وعشرة من ذي الحجة ، وذهب موسى إلى ميقات ربه ليأتي قومه بالكتاب، واستخلف عليهم أخاه هارون وهو نبي ، وفي غياب موسى عبدوا العجل من دون الله وظلموا أنفسهم عندما أنكروا نعم الله عليهم. **في غرر الحكم:** (الظُّلْمُ يَزِلُّ الْقَدَمَ وَيَسْلِبُ النِّعَمَ وَيُهْلِكُ الأُمَمَ).

**٥٢ –** ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

محونا جريمتكم حين تبتم ، وأمهلناكم إلى مجيء موسى وأخبركم بكفارة ذنوبكم **(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** لكي تشكروا نعمة العفو أنْ تستقيموا ، فإن الإنعام يوجب الشكر ، وأصل الشكر تقدير النعمة وإظهارها والتحدث بها وشكر المنعم المتفضل بهذه النعم **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** النمل/٤٠، وشكر النعمة أمان من النقمة وعصمة من الفتنة ، والذي لا يشكر الله لا يشكر الناس **في نهج البلاغة خطبة١٦٠**: (أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْمٍ).

**٥٣-** ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

بعد العفو أتى موسى نبيهم ومنقذهم بالكتاب دستور حياتهم فيه فرقان بين الحق والباطل عسى أن يهتدوا إلى الحق الظاهر بعد الظلال ، والعمل بما فيه من أحكام **في غرر الحكم**: (بِالْهُدَى يَكْثُرُ الإِسْتِبْصِارُ) !

**٥٤-** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

واذكروا حين قال موسى لقومه بعدما رجع من ميقات ربه ، فرآهم قد عبدوا العجل **(يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ)** للعبادة من دون الله **(فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ)** الذي خلقكم **(فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ)** ليقتل الطائع الذي لم يعبد العجل العاصي الذي عبد العجل **(ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ)** رضاكم بحكم الله خير لكم عند الخالق المتفضل من الإصرار على الشرك **(فَتَابَ عَلَيْكُمْ)** قبل توبتكم **(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**. لقد نسبت معاصيهم إلى الكل ، مع كونها صادرة عن البعض، لأن العامل بالظلم والراضي به والساكت عنه والحاضن له.. كلهم شركاء في الجريمة. فما كلُّ بني إسرائيل عبدوا العجل ولا كلهم قتلوا الأنبياء (ع) ، ومع هذا جاء الحكم عليهم بالجمع عندما عموه بالرضا **(فتاب عليهم)** إن التوبة قد نزلت بهم قبل أن يقتل جميع المجرمين منهم. وهو أمر امتحاني نظير ما وقع في قصة رؤيا إبراهيم وذبح إسماعيل (ع). **فائدة : (فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) الحكمة من ذلك** : تلك النفوس لا حرمة لها بعد أن عبدت العجل، وهبطت إلى هذا المستوى الحيواني الساقط تتعبد ساجدة له ! لما صاروا من حزب العجل جعلوا في زمرته، لأن العجل للذبح. **روي** : أرسل سحابة سوداء لا يتباصرون تحتها ، فأخذوا يقتتلون من الغداة إلى العشي ، حتى دعا موسى وهارون فكشف السحابة ونزلت التوبة ! اعتبرت الشريعة الإسلامية ، القتل حداً وعقوبةً على جريمة الارتداد. إنه لتكليف مرهق وشاق أن يقتل الأخ أخاه فكأنما يقتل نفسه برضاه ! ولكنه كان تربية لتلك القلوب القاسية العنيدة لعلها تلين لأمر الله تعالى **عن الإمام الباقر** (ع) في قوله تعالى **(ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ)** (مَا انْتَصَرَ اللهُ مِنْ ظَالِمٍ إِلاَّ بِظَالِمٍ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى **﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾** الأنعام/١٢٩) البحار٧٥/٣١٣.

**٥٥ – ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾**

ثم تمضي الآيات في تعداد عيوب بني إسرائيل وإذ قلتم يا موسى لن نُصدّقَ لك بأن ما نسمعه كلام الله حتى نرى الله عياناً لاساتر بيننا وبينه ، فيكون كالجهر في الوضوح، والجهر في المسموعات كالمعاينة في المبصرات، والذي لا يؤمن بكل هذه المعجزات الخارقات فلن يؤمن أبداً ، أين هم من قول **الإمام علي** (ع) : (لَوْ كُشِفَ لِيَ الْغِطَاْءُ مَاْ إِزْدَدْتُ يَقِيْنَاً) في غرر الحكم، والقائلون هم السبعون الذين إختارهم موسى (ع) لميقات ربه ! (**حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**) وهذا تجرأ منهم في طلبهم إلى موسى أن يخضع الله لحدود حواسهم المادية ومشاهدتهم العينية الظاهرة (**فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ**) أرسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم (**وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**) لقد دعا موسى ربه بإلحاح حتى أحياهم. **فائدة:** (**حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**) لا بد لنا من عقيدة علمية في التوحيد ، تخلّص الأمة من رواسب الجاهلية التي تصوّر الله في شيء مادي ، وبالتالي تقديس الأشياء ، من إلباسها ثوب الجاهلية ، والأمة لا تصبح متحررة بالكامل ، إلاّ إذا تحررت من تقديس أي شيء أو شخص من دون الله سبحانه ، لولا ذلك لكانت الأمة معرضة للاستعباد ، فالأمة التي تقدّس الأصنام البشرية لا بد أن تستعبدها تلك الأصنام بشكل من الأشكال وبنسبة من النسب ، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ أَطَاعَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ فَقَدْ عَبَدَهُ) البحار٧٢ص٩٤، لذلك حرص الإسلام على إنقاذ البشرية من جاهلية الشرك وأنواعه ، لتصبح الأمة مؤمنة بالتوحيد الخالص. قال تعالى : ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ الأنعام/١٠٣ وقال تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١. قال رجل **للإمام الصادق** (ع): (أَرَأَيْتَ اللهَ حِيْنَ عَبَدْتَهُ ؟ **قال** (ع) مَاْ كُنْتُ أَعْبُدُ شَيْئَاً لَمْ أَرَهُ ! قَاْلَ : كَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟ **قال** (ع) : لَمْ تَرَهُ الأَبْصَاْرُ بِمُشَاْهَدَةِ الْعِيَاْنِ ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوْبُ بِحَقَاْئِقِ الإِيْمَاْنِ ، لاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاْسِ وَلاَ يُقَاْسَ بِالنَّاْسِ ، مَعْرُوْفٌ بِغَيْرِ تَشْبِيْهٍ) البحار٤ص٣٣. رؤية الله بالبصائر الإيمانية أقوى من رؤية الأبصار العينية ، **من دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة** : (كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَاْ هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَاْ لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُوْنَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ مَتَى غبتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلى دَلِيْلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوْصِلُ إِلَيْكَ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلَ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيْباً) **عن الإمام زين العابدين السجاد** (ع) (إِنَّكَ لا تحتجبُ عن خَلْقِكَ إلاّ أنْ تَحْجُبَهُمُ الأعْمَالُ (الآمالُ) السيئةُ دونَكَ) إقبال الأعمال ص٦٨، عن الإمام علي (ع) (مَاْ رَأَيْتُ شَيْئَاً إِلّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيهِ) تفسير النور٣/١٥٥ .

**٥٦ – ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**

(**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ**) أحييناكم بعد أن مكثتم ميتين يوماً وليلة ، فقاموا وعاشوا ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون ؟! وهذا إعجاز غير مألوف ومعروف وخارق للعادة (**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) لتشكروا الله على إنعامه عليكم بالحياة بعد الموت ، وبالشكر تدوم النعم وتدفع النقم. والمؤمن من دليل واحد يكفيه وغير المؤمن المعاند لو تأتيه بكل دليل فلا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم ، ﴿**لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ الحجر/١٣.

**٥٧ – ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**

هذا هو الإنعام السابع ، **الْغَمَامَ** : السحاب. **الْمَنَّ** : إسم جامع لكل رزق يحصل بلا تعب ، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز. **وَالسَّلْوَى** : طائر صغير طيب اللحم ، فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم طعاماً (**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**) رزقاً لا يحصل نظيره لأهل الأرض الغنية ، ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة ، وإستمروا على قسوة القلوب وكثرة الذنوب وتجاوز الحدود (**وَمَا ظَلَمُونَا**) بتلك الأفعال المنحرفة ، لأن الله لا تضره معصية العاصين كما لا تنفعه طاعات المطيعين (**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) فيعود ضرره عليهم. **وفي هذا إشارة** : إلى أن كل ما يطلبه الله من عباده فنفعه لهم ، وما ينهاهم عنه فإنما ذلك لدفع ضرّ يقع عليهم. **عن النبي** (ص):(الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلعَيْنِ) الكافي٦/٣٧٠. وكان الله يذكرهم رعايته لهم في كل مورد حتى في الصحراء الجرداء التي تاهوا فيها حيث هيأ لهم طعاماً شهياً بسهولة ولا تعب، ووقاهم من حر الشمس المحرق فجعل السحاب يظللهم ويكفيهم ورزقهم المن والسلوى، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد الذي يبعث لهم الأمان، والمقام المريح الذي يبعث لهم الإحساس بالنعمة، ولكنهم لم يشكروا ولم يهتدوا ولم يستقيموا بل ظلموا أنفسهم وجحدوا النعمة. **في نهج البلاغة حكم٢٥**:(يَا إبْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ النِّعْمَةَ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ فَإِنَّهُ اِسْتِدْرَاْجٌ)، **ومعنى الاستدراج:** إسباغ النعم المتتالية بلا شكر ولا حمد ولا تقدير للنعمة ولا المنعم، فيكون الاستدراج ظاهره يَغُر ويَسُر وباطنه يَضُر.

**٥٨ – ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾**

**الْقَرْيَةَ** مجتمع من الناس في بلاد صغيرة أو كبيرة ، **والرَغَد** : العيش الهنيء ذو سعة. ومن نعمته سبحانه عليهم بعد معصيتهم إياه ، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزاً ووطناً ومسكناً ويحصل لهم فيها الرزق الرغد الواسع الهنيء ، (**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً**) وأدخلوا باب القرية ساجدين لله ، شكراً على خلاصكم من التيه في صحراء سيناء الذي كان عقوبة لهم (**وَقُولُوا حِطَّةٌ**) قولوا ياربنا

حطّ عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا (**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) نزيد من أحسن إحساناً مضاعفاً حسب أعمالهم. والقرية هي بيت المقدس ولم يدخلوها في حياة موسى (ع). يذكرهم الله سبحانه بنعمه عليهم عندما أمرهم أن يدخلوا البيت المقدس ويخرجوا منه العمالقة ، ولكنهم بدلاً من أن يدخلوها سجداً كما أمرهم الله ، دخلوها وهم مخالفون لأمر الله كقوله : ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ الأنفال/٢٥ ، ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ البقرة/٢٨٦ **في الحديث القدسي** : (كُلُّ عَمَلِ اِبْنِ آدَمَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ).

**٥٩** – ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

فلم يلتزموا بما أمر الله ، بل خالفوه ظلماً وفسقاً ، قيل إنهم قالوا : مكان حطة حنطة استهزاء بهم ! (**فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً**) عذاباً (**مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**) يحرفون ويخرجون عن العقيدة ويستهزئون ويخالفون أوامر الله تعالى كعادة اليهود ومنهم الصهاينة كقوله : ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١.

**٦٠** – ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

**الاستسقاء** : طلب الماء **المعنى** : عطش بنو إسرائيل في التيه ، فطلب لهم موسى الماء من الله تعالى (**فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**) فضربه بعصاه (**فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً**) بعدد أسباط بني إسرائيل وهم أحفاد يعقوب. وهذه معجزة أخرى لموسى خصه الله بها إضافة إلى سائر المعجزات الدالة أن مسببها الله تعالى. (**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**) كانوا اثنا عشرة قبيلة لكل منها عين حتى لا يختلفوا (**كُلُوا**) المن والسلوى (**وَاشْرَبُوا**) من هذه العيون وهي (**مِنْ رِزْقِ اللَّهِ**) وطلب منهم (**وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) : العثي : أشد الفساد ومبالغة القبيح ، ومنه الشرك والإلحاد ، وتحريف منهج الله. **والإفساد** : هو تبديل وظائف الأشياء عما خلقت لأجله. **فائدة** : **١**– **روي** : من انفجار الماء ونبعه من يد نبينا مُحَمَّد (ص) من بين أصابعه أعظم من معجزة إنفجار الماء من الأحجار من عصى موسى (هذا في تفسير القرطبي) ، **٢** – إن الله تعالى كان قادراً على تفجير الماء وفلق البحر بلا ضرب عصا ، ولكنه جلت قدرته أراد أن يُعَلّم عباده ربط المسببات بأسبابها ، وأن يعملوا القدر الممكن للحصول على تلك الأسباب بقدر الطاقة الممكنة ، وهذه دعوة غير مباشرة إلى العمل والتفكير وترك الفراغ والكسل والبطالة ، **٣**– سنن الله ثابتة ومستمرة ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ فاطر/٤٣ ، ولكن المعجزات من صنع الله تعالى قد غيّرت من سنن الله الثابتة بقانون خارق عنها لحكمة ومصلحة إلهية ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً**﴾ الأنفال/٤٢ ، فالله تعالى مسبب الأسباب ومزيلها في آن واحد.

**٦١ - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**

إنهم يريدون الأطعمة المنوعة التي الفوها في مصر **(مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا) مِنْ بَقْلِهَا** : من خضرتها كالنعناع والكرفس والكراث **وَقِثَّائِهَا** : الخيار والثوم والبصل ولقد تلقى موسى طلبهم بالاستنكار **(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)** أتريدون الدنية وقد أراد الله لكم العلية ، أراد الله لكم الطعام المميز النموذجي غير المألوف الكافي الوافي ، وأنتم تريدون الطعام المألوف المعروف ، وهكذا الإناء ينضح بما فيه ، **(اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ)** إنّ ما تطلبونه هيّن لا يستحق طلبه من الله ، فهو موفور في كل مصر من الأمصار ، بلد من البلدان أيّاً كان لتجدوا فيه هذه الأشياء ، بمعنى : عودوا إلى حياتكم المألوفة في مصر حيث الذلة الخانقة **(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)** أي لزمهم الذّل والهوان والسخط والغضب الإلهي بسبب ما اقترفوه من الجرائم الشنيعة ، ولم تهذّب نفوسهم هذه المعجزات البديعة ولم يؤمنوا ، ولم يقدّروا هذه الرعاية الإلهية الخاصة ، وضُرب عليهم الصغار والهوان والخزي الأبدي الذي لا يفارقهم مدى الحياة **(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ)** أحاط بهم السخط الشديد من الله **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)** ذلك من طبيعتهم قسوة وجحود واعتداء وإفساد وعناد واستكبار **(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)** وهي أشنع فعلة لأشنع قوم ، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم ، وعصوا أبشع العصيان **(ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** إنهم لا يستطيعون العيش إلاّ باللصوصية والنهب والمراوغة والنفاق، ومع ذلك إنهم يدعون أنهم وحدهم المهتدون وهم شعب الله المختار **!! فائدة** : يعرض القرآن الكريم حقيقة كبرى ويكشف عن سنة تأريخية ثابتة وهي أن العصيان والانحراف والاعتداء والقضاء على الأنبياء والمصلحين الذين يبلغون رسالات الله في كل زمان ومكان يؤدي في النهاية إلى الذّلة والمسكنة والتخلّف وفقدان الحياة الكريمة. **سؤال** : فإذا ضربت على اليهود الذّلة والمسكنة ، فلماذا هم الآن أكبر دولة قوية في المنطقة؟ **الجواب** : بقوله تعالى : **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ﴾** آل عمران/١١٢ ، إلاّ بمعاهدة مع الله ومع الناس ، وهذا هو حبل الولايات المتحدة التي تمد إسرائيل اللقيطة شذاذ الآفاق ، تمدهم بالمال والسلاح المتطوّر ، ولو تخلّت عنها يوماً واحداً لم يكن لها وجود. نلاحظ الوقاحة وسوء الأدب وروح العصيان ظاهرة في أقوالهم **(فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ)** ولم يقولوا (فإدعوا لنا ربنا) وكأنما ربهم غير ربه.

**٦٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

**(الَّذِينَ آمَنُوا)**: المسلمون، **(وَالَّذِينَ هَادُوا)**: اليهود **(النَّصَارَى)** : أتباع عيسى (ع) **(وَالصَّابِئُونَ)**: من صبأ أي مال عن عقيدة اليهود والنصارى وآمنوا بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء. **تقرر الآية** : أن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هؤلاء وغيرهم ، **(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** إذاً : العبرة بصدق العقيدة واستقامة الفكر والسلوك ، ولا هي عصبية جنس أو قوم أو... **فائدة** : عندما ذم الله بني إسرائيل (اليهود) لا يعني ذمهم كلهم ، وإنما يذم المعاندين منهم كالصهاينة الملحدة التي تنتسب إلى اليهود بالاسم فقط ، وهكذا الموضوع في كل مِلَّة قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾ آل عمران/١٩٩ هؤلاء أسلموا لله ، واستسلموا لأمر الله ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ آل عمران/٨٥ ، فإذا كان هذا الإطلاق في استقامة المؤمنين في جميع الملل والنحل , **إذن** : ففي الاستقامة السلامة والكرامة بلا أية ملامة ولا ندامة ، مما يدل أن موضوع الفرقة الناجية المحدودة والباقي في النار لا ينسجم مع إطلاق نجاة أهل الاستقامة **(أو)** يكون **معنى** الفرقة الناجية هم أهل الاستقامة (والتقوى) على منهج الله في كل ملة ، وهكذا جاء القرآن الكريم ليعطيك المقياس الشامل ولينسف أسس العنصرية ، والأفكار المتطرفة والتي تؤسس الاعتداء و(الإرهاب) المنظّم على الآخرين وتنشر الفوضى الخلاّقة المهلكة ، ليحلّ محلها القاعدة العامة الناعمة الشفافة المنجية في الإيمان والعمل الصالح ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١ ، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦.

**٦٣ –** ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾

**(مِيثَاقَكُمْ)** عهدكم الموثوق بالالتزام بأحكام التوراة. **(وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ) الطُّورَ** : الجبل الذي ناجى عليه موسى (ع) ربه. **المعنى** : لما أمر موسى (ع) بني إسرائيل بالعمل بالتوراة ، ورأوا ما فيها من أثقال والتزامات فرفضوها فراراً من التكاليف التي أثارت نفوسهم ، فرفع الله عليهم الجبل الضخم فوقهم فوجدوه أثقل مما كلفوا به ، فهان عليهم حمل التوراة ! ، ورفع الجبل كالمظلة فوقهم وهو بهذا الحجم الكبير والوزن الثقيل لإرهابهم بعظمة القدرة الإلهية ، وهذه معجزة كونية خارقة عن المألوف ، و (الْمُعْجِزَةُ بُرْهَانٌ يَقْطَعُ اللِّسَانَ) ويقوّي الإيمان ، **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)** أمرهم أن يأخذوا الميثاق بقوة وعزيمة وإيمان وعلم على مواصلة الطريق ، فأمر العقيدة هي أمر الحياة وهي القيمة العليا في هذا الوجود ، فلا رخاوة ولا ضعف ولا كسل ولا جهل في أمر هذه العقيدة القيمة **(وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ)** فذكّر آيات الله ومعاجزه والتدبر فيها مقدمة التقوى **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** لتكونوا من أهل التقوى ، **وبالتقوى** تصان النفوس من مكائد الهوى والأنا وحب الذات وحب الدنيا ، **وبالتقوى** تتوقوا من كل سوء وتتخلصوا من الهلاك. **فائدة** : **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)** : إنه أمر خاص ولكن أريد له أن يكون قاعدة أساسية عامة تقول : خذْ كل أمر من أمور العقيدة أو العلوم

المختلفة أو الأعمال المتنوعة لابد لها من **(قوة)** تناسبها وعزيمة تألفها وتتمكن منها ، **(والقوة)** جاءت نكرة للدلالة على عموم معناها، كالقوة الجسمانية والنفسانية والعلمية والعملية وقوة الإيمان وقوة الإسلام ، والقوة دليل التبصر والخبرة والتجربة والإختصاص العلمي المميز ، ودائماً القرآن يحث على مبدأ القوة في كل أمر بمعنى العزيمة في أدائه والوعي في تنفيذه على أعلى درجات الإتقان والقدرة كقوله تعالى ﴿**يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ مريم/١٢ ، وهكذا سليمان أخذ حكمه بالحزم والقوة العادلة **في غرر الحكم**: (خَيْرُ الأُمَرَاءِ مَنْ كَانَ عَلَىْ نَفْسِهِ أَمِيْرَاً) **وفيه أيضاً** (العَدلُ حياةُ الأحكامِ، وفضيلةُ الإنسانِ، وزينةُ الإيمانِ، وجماعُ الإحسان).

**٦٤ – ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾**

**(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ)** أعرضتم عن الميثاق والوفاء به **(مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)** الميثاق المؤكد **(فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ)** ورحمتُه سبقت غضبه ، وشمل عطفه بالإمهال وتأخير العذاب حتى تاب بعضكم **(لَكُنتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ)** الهالكين ، وأخسر الناس من خسر نفسه ﴿**إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الزمر/١٥. **فائدة** : الإنسان الغافل عن الله يفسد حسّه فيسهو عن أهم الحقائق (فَلاَ تَغْفُلْ فَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ) **(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)**.

**٦٥ – ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾**

**الإعتداء** : تجاوزالحد في كلِّ شيءٍ ، **الخاسئين** : الممسوخين من إنسانيتهم، والمطرودين من رحمة الله الذليلين. **المعنى** : لقد طلبوا من الله أن يكون لهم يوم راحة ، فجعل الله لهم بوساطة موسى (ع) يوم السبت راحة وعبادة لا يعملون فيه للمعاش ليتدربوا على الحد من حبهم للمال ، ثم إبتلاهم بعد ذلك بالحيتان السمان الكبيرة (السمك الكبير) تكثر يوم السبت وتختفي في غيره ولما رأوا الحيتان بهذه الكثرة والوفرة يوم السبت وهو محرّم عليهم الصيد فيه، أخذوا يمكرون ويحتالون فراحوا يحوطون الحيتان في يوم السبت بعوازل وحواجز ويقطعونها عن البحر ولا يصيدونها يوم السبت، حتى إذا إنقضى اليوم تقدموا وأخذوا السمك (الحيتان المحجوزة) وهذا التفاف واحتيال على الحكم الإلهي! وعملوا ما نهاهم الله عن فعله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ **الطلاق/١** ، وهذا يذكرنا بالدجل والاحتيال للذين يلبسون لباس الدين ، ويتاجرون بحقوق الإنسان والديمقراطية ويتلاعبون بالألفاظ ويشوهون الحقائق ويضلون الناس عن سبيل الله **(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)** هل كان المسخ حقيقياً في أجسامهم فأصبحوا قروداً، أو كان المسخ معنوياً في طبائعهم وفي نفوسهم؟ كقوله (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) المائدة/٦٠، والجواب: **وروي**: (أَنَّ الْمَمْسُوْخَ لاَ يَنْسُلُ وَلاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ وَلاَ يَعِيْشُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)، **وعن مجاهد**: (مَاْ مُسِخَتْ صُوَرُهُمْ وَلَكِنْ مُسِخَتْ قُلُوْبُهُمْ، فَلاَ تَقْبَلُ وَعْظَاً وَلاَ تَعِي زَجْرَاً).

**٦٦– ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾**

**(فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا) نَكَالاً** : عقاباً مهيناً ، وجعل الله هذه العقوبة نكالاً وعبرة لمن حضرها من الأمم **(وَمَا خَلْفَهَا)** وما بعدها من أجيال ، وهكذا الَّذِيْ لاَ يَتَّعِظُ بِالْمَاْضِيْنَ وَعَظَ اللهُ بِهِ الْبَاْقِيْنَ **(وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)** ولا تكون موعظة نافعة إلاّ للمتقين لأنهم يتأثرون بها ، والمواعظ حياة القلوب وأُنس النفوس **في غرر الحكم** (مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِالْنَّاسِ، وَعَظَ اللهُ النّاسَ بِهِ).

**٦٧** – ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

**السبب في طلب ذبح البقرة** : أن شيخاً من أغنياء بني إسرائيل قتله أولاد عمه عمداً طمعاً في ميراثه ثم ادّعى القتلة أنفسهم تمويهاً وتضليلاً على ناس أبرياء أنهم قتلوه ليدفعوا عنهم التهمة وطالبوهم بالفدية فترافعوا إلى موسى (ع) ولم يكن لديهم دليل أو بينة تكشف الواقع ، سألوا موسى (ع) فدعا الله ليبين لهم القاتل ، فأوحى الله إلى موسى (ع) أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضها فيحيا القتيل ويخبر عن قاتله.. وبعد طول جدال فعلوا وعاد القتيل إلى الحياة وأخبر بالحقيقة. **المعنى:** **(قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً)** أي نسألك عن أمر القتيل فتأمرنا بذبح بقرة ، فهذا هو الهزء نفسه ، وعدم ثقتهم بموسى (ع) **(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ)** إن الهزء عمل من أعمال الجهلاء ، **(أَعُوذُ)** والتجئ بالله أن أكون منهم ، كان من الواجب عليهم المبادرة إلى امتثال أمر موسى النبي المنقذ لهم وقائدهم، وعدم الاعتراض عليه ومن دون جدال ، ولكنهم أبوا إلاّ الاعتراض. **فائدة** : **(تَذْبَحُوا بَقَرَةً)** يعني تحطيماً لقداستها وعبادتها كما حطّم إبراهيم (ع) الأصنام المقدسة عندهم.

**٦٨** – ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

**(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)** ما سنها وصفتها **(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ)** لا كبيرة **(وَلا بِكْرٌ) البِكْرُ** : الصغيرة التي لم تحمل بعد ، ولا صغيرة **(عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** متوسطة في السن **(فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ)** ولا تتأخروا في امتثال أوامر الله واتركوا التشديد على أنفسكم والتعنت بالأسئلة وقد نصحهم ولكنهم لا يحبون الناصحين. **في غرر الحكم:** (النَّصِيْحَةُ مِنْ أَخْلاَقِ الْكِرَامِ)، **وفيه أيضاً:** (لاَ خَيْرَ فِيْ قَوْمٍ لَيْسُوْا بِنَاْصِحِيْنَ وَلاَ يُحِبُّوْنَ النَّاْصِحِيْنَ). **فائدة** : **١– (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)** ولم يقولوا (أدع ربنا) في ذلك دلالة واضحة على روح التكبر والغرور في شخصيتهم. **٢–** نُهينا عن طرح أسئلة عقيمة لا فائدة منها من أجل العناد واللجاج ، والسؤال عنوان عقل السائل كقوله ﴿**لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ المائدة/١٠١

**٦٩** – ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾

**(فَاقِعٌ لَوْنُهَا)** شديد الصفرة ، حسن منظرها تسر كلَّ من رآها. (راجع فوائد القصة آية /٧٣).

**٧٠** – ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

**(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)** أعادوا السؤال عن حال البقرة **(إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا)** التبس الأمر علينا فلم ندر ما البقرة المأمور بذبحها **(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ)** سنهتدي إلى معرفتها بالتحديد إن شاء الله

**٧١ – ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾**

ليست هذه البقرة ذلول أي مذللة للعمل **(تُثِيرُ الْأَرْضَ)** ولا مسخرة لحراثة الأرض **(وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ)** ولا لسقاية الزرع **(مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا)** سليمة من العيوب **(لا شِيَةَ فِيهَا)** **الشية** : هي لون يخالف لون جلدها ، أي ليس فيها لون آخر غير الصفرة الشديدة **(قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ)** الآن بينتها بوضوح لا غموض فيه **(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)** ترددوا في شرائها وذبحها بسبب غلاء ثمنها أو خوف الفضيحة وتمنوا ألاّ يكون ما صدر منهم من الجدال ولم يستطيعوا التراجع بعد إشاعة القضية والمحاكمة العلنية. **فائدة** : من عبارة **(الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ)** إنّ الغرور والكبر والإعجاب بالنفس تجعل الإنسان طاغياً يرى كل ما وافق هواه حقاً ، وكلّ ما خالف هواه باطلاً ، وهكذا يكون الهوى إلهاً يُعبد من دون الله ، **﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾** الفرقان/٤٣.

**٧٢ – ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾**

وهذا مؤخر لفظاً مقدم معنى لأنه أول القصة (راجع الآية ٦٧) : **(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)** أي تخاصمتم وتدافعتم بشأنها ، وأصبح كل فريق يدفع التهمة عن نفسه وينسبها لغيره **(وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)** أي مظهر ما تخفونه.

**٧٣ – ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**

**(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا)** أي إضربوا القتيل ببعض لحم البقرة يحيا ويخبركم عن قاتله **(كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى)** كما أحيا هذا القتيل أمام أبصاركم كذلك يرجع الموتى أحياء بعد خروجهم من قبورهم بقدرة الله القاهر **(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** يريكم دلائل قدرته لتعلموا أنَّ الله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وكل شيءٍ عليه يسير. **فائدة** : **(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** لابدّ من تزكية النفس وصفاء الفكر من كلّ الشبهات ، حتى يُحسن العقل التدبر في آيات الله ، **في غرر الحكم**: (ذَرْوَةُ الْغَاْيَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوْ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ). **من فوائد من هذه القصة** : **١–** لعل أمرهم بذبح البقرة إشارة إلى أنَّها مخلوقة مسخرة لصالح الإنسان ، فلا يستحق أن يُعبد من دون الله كما فعلوا مع عبادة العجل. **٢–** أنهم شددوا على أنفسهم بكثرة الأسئلة ، فشددّ الله عليهم ، طلب منهم أن يذبحوا (بقرة) على الإطلاق وجاءت (بقرة) نكرة للدلالة على العموم بقرة وكفى وهم طلبوا

الخصوص فشددّوا على أنفسهم، فتبينت تعقيدات طبائعهم ونحوسة تعاملاتهم وهكذا يكون (الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطّبّاْعِ) !، وأنّهم كأنّما يستخفّون بمقام ربِّ العالمين. ويقول تعالى : ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١. **٣-** يقولون (**أدع لنا ربك**) وكأنما الله رب موسى وحده لا ربّهم كذلك ، والمسألة لا تعنيهم وإنما تعني موسى وربّه. **٤-** وكأنما يقولون إنا نرفض التقليد المذموم ولا نطيع موسى بكل ما يريد ، وإنما نؤمن بما تراه عيوننا ، وفضلوا المحسوس على المعقول بقولهم ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ البقرة/٥٥. وطلبوا أيضاً ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ الأعراف / ١٣٨.

**٥-** في هذه القصة دلالة على صدق نبوة نبينا مُحَّد (ص) ، حيث أخبرهم بغوامض أخبار اليهود أو أوحي إليه من الله تعالى. **٦-** إرجاع الحياة لنفس القتيل دليل قاطع وشاهد حي على صحة البعث بعد الموت لأنه يقدر على إحياء كل النفوس. وهل بعد هذه المعجزة تشكون بالله وتنكرون أنبياءه؟

**٧-** ذبح بقرة إشارة إلى ذبح النفس الأمارة بالسوء ، فإن فيها حياة القلوب ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ الشمس/٩ وهذا هو الجهاد الأكبر ، حتى تصبح النفس مطمئنة. **٨-** (**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً**) أسند القتل إلى الأمة والقاتل واحد ، لأن العامل بالظلم والراضي به، والساكت عنه والحاضن له، شركاء في الظلم.

**٩-** (**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) لعلكم تفقهون وتفهمون أسرار الشريعة وفائدة الإلتزام بها وتمنعون أنفسكم من إتباع أهوائكم، ومن إتبع الهوى فقد هوى، وسقط ولو بعد حين. **١٠-** هذه القصة تكشف عن سنة من سنن الله تعالى ، وهي أن الأمة تستوجب غضب الله وتنغيص العيش وقلق الحياة حين تصر على عنادها وإنحرافها بكل شيء كقوله تعالى ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً**﴾ الجن/ ١٧.

**٧٤ -** ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾

القسوة في القلب كقسوة الحجر وصلابته ، بل أشد قسوة. وما قست القلوب إلاّ لكثرة الذنوب ، والقلب القاسي من الله بعيد ومن الناس بعيد ومن الجنة بعيد ومن النار قريب **عن النبي** (ص): (ثَلاَثٌ يُقَسِّيْنَ الْقَلْبَ: إِسْتِمَاْعُ اللَّهْوِ وَطَلَبُ الصَّيْدِ، وَإِتْيَاْنُ بَاْبُ السُّلْطَاْنِ (الظالم)) البحار٧٥ص٣٧٠، ومنها حبُّ الدنيا وحبُّ المال والحديث مع النساء بكثرة وقطع صلة الرحم والنظر إلى البخيل ومعاشرة الفسقة المترفين... كلها تقسّي القلب. **والقلب القاسي** : الشديد الغليظ فلا يتأثر بالمواعظ والحكم ، بينما الإيمان والعمل الصالح يرققان القلوب ، والشك والكفر والفساد يقسّون القلوب ، وأصبح ذكر الله يرقق القلوب ويطمئنها. (**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**) أشد قسوة من الحديد ، لأن الحديد يلين في النار بخلاف الحجارة (**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا**

**(يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ)** بعض الصخور لها فتحات يتدفق منها ماء غزير عذب كما في عيون الأنهار ، قوبل بين الحجارة والماء ! لأنها على صلابتها يخرج منها الماء ويحفظ ، أما القلب القاسي لا يخرج منه إلاّ اللؤم والخبث والاعتداء **(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ)** ينشق فيخرج منها ماء العيون الزلال النقي **(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** تتساقط الحجارة من أعلى الجبال ، مستجيبة لأمر الله تكوينياً ، بينما قلوبهم وبصائرهم المعاندة رأت أنواع المعاجز الكبرى التي ترقق القلوب المؤهلة للإيمان، ولكنها لا تخشى الله ولا تهابه فبقيت قلوبهم غليظة ثم أصبحت أشد غلظة وقسوة بعد ذلك **(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** إنه تعالى رقيب على أعمالكم لا يغفل عنكم لحظة ولا تخفى عليه خافية ، وفي هذا تهديد وتنديد ووعيد.

**٧٥ –** ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

ضمير الغائب لليهود والخطاب للنبي (ص) والمسلمين الذي يطمعون في هداية اليهود ويحاولون أن يلقوا في قلوبهم الإيمان **(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ)** وإلتفت إلى المؤمنين بسؤال يشير إلى اليأس والقنوط من المحاولة ، إن هؤلاء اليهود هم الأحبار وهم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم في التوراة ، إن هؤلاء رجال الدين يسمعون كلام الله المنزل على نبيهم موسى في التوراة، ثم يحرفونه عن مواضعه لا عن جهل بحقيقته بل عن تصميم ودراية وعلم وبدافع الهوى والاستكبار والأغراض المريضة. وقد بلغ عنادهم أن قالوا لموسى (ع) لا نصدق بك حتى نسمع كلام الله ، فاختار موسى سبعين رجلاً منهم لسماع الوحي ، فسمعوا كلامه بطريق نحن لا نعرفها واستيقنوا مناجاته سبحانه وتعالى ، وسمعوا أوامره ونواهيه **(ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** إنهم حرفوا كلام الله الذي حضروا وحيه ولكنهم صرفوه عن معناه وحرفوه عن مغزاه ، فهم نكروا الدلائل الحسية فكيف لا ينكرون الدلائل العقلية التي جاء بها القرآن الكريم ؟! **في الآية دلالة:** على عظم الذنب في تحريف الدين عن أحكامه الشرعية ، في بث الشكوك والشبهات وزرع البدع، وفي الفتاوى المنحرفة المأجورة ، **عن النبي (ص)** (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرهَاْ وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَاْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ) كنز العمال خبر٤٣٠٧٩. **فائدة: (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) عن النبي (ص):** (مَنْ إِزْدَاْدَ عِلْمَاً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدَىً، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلاَ بُعْدَاً) تنبيه الخواطر ص٢٧٥.

**٧٦ –** ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

إذا إجتمعوا بأصحاب النبي (ص) قالوا آمنا بأنكم على الحق وأن مُحَمّداً (ص) الرسول المبشر به **(وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ)** إذا انفرد واختلى بعضهم ببعض **(قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)** والتعبير **(بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)** لبيان بأنه سرٌّ مكنون وباب مغلق خاص لا يقف عليه عامة الناس ،

وكان البعض منهم يحدّث المؤمنين بسمات النبي (ص) عند بني إسرائيل مما يؤدي إلى التصديق بنبوته (ص) فكانوا يمنعون من يتحدث ويقولون إنّ ذلك مما فتح الله لنا فلا تجعلوه حجة علينا ، وهذا من قسوتهم ، فهم يخفون الحق ويرفضون الاعتراف بالرسول (**لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ**) لتكون الحجة للمؤمنين عليكم عند ربكم في ترك إتباع الرسول مع العلم بصدقه (**أَفَلا تَعْقِلُونَ**) أتفهمون بأن ما تقولونه هو اعتراف منكم على أنفسكم بأنكم في ضلال وأن المسلمين على حق وهداية ؟ **فائدة** : يجب على الإنسان إتباع الحقيقة متى وعاها وألا يهملها بسبب تهديد هذا ، ونفوذ ذاك (**قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ**...)

**٧٧ – ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾**

ألا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم ما يخفون وما يظهرون ، وأنه تعالى لا تخفى عليه خافية ، فكيف يقولون ذلك ثم يزعمون الإيمان ، والإحتجاج عند الله إنما يكون بالواقع مع الصورة والصوت والنية، لا بما كشفه هؤلاء من الواقع.

**٧٨ – ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾**

**أميّون** : جمع أمي وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، سمي بذلك نسبة إلى الأم لأنه باق على ما ولدته عليه أمه من عدم المعرفة (**أَمَانِيَّ**) جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويشتهيه وتصوّر ما لا حقيقة له. **المعنى** : إن جماعة من اليهود أميّون لا يعرفون شيئاً عن دين الله وتوحيده وإن كانوا يقرأون ويكتبون ولكن من دون وعي وفهم المعاني، وكل ما عندهم ظنوناً وأمانياً التي منّاهم بها أحبارهم ، (منها) أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ، ويغفر ذنوبهم ، وأن النار لن تمسهم إلاّ أياماً معدودة ، وأنهم ينالون الشفاعة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه... إلخ من الأماني الفارغة الكاذبة الخادعة قال تعالى : ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ النساء/١٢٣ ، (**وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**) وما هم على يقين من أمرهم ، بل يتّبعون غيرهم إتّباع أعمى ، وهذه حالة تشمل العوام الجهلة من المسلمين أيضاً الذين يقلدون التقليد الأعمى فلا يميزون لا بصيرة ترشدهم ولا وعي عندهم، وهكذا الذي لا يفكر يقوده الذين يفكرون. وقد نهانا القرآن الكريم عن الجهل وإعتبره أصل فساد كل أمر وبداية كل شر﴿**فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ**﴾الأنعام/٣٥. **فائدة**: يتمنون النجاة من عذاب الآخرة بحجة أنهم شعب الله المختار المغفور له كل ما يرتكب، ومن عاش الوهم ذاق مرارته !

**٧٩ – ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾**

**الوَيْلُ**: الهلاك والعذاب الشديد والخزي والهوان (**لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**) يحرفونه ويزورونه (**ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً**) التهديد للذين يكتبون ما يحقق للكبار

المستغلين مصالحهم من آراء ثم ينسبونها لله لتكون مقدسة كالتوراة ، فهم إذن يبيعون الحق الغالي في قبال مصالحهم الرخيصة ، وكل ثمن مهما غلى فهو مقابل قيمة الحق ثمن قليل ، فجعلوا باطلهم شركاً يصطادون به ما في أيدي الناس ، فهم شوّهوا الدين الصحيح عليهم وأخذوا أموالهم بأساليب محرمة. فتوعدهم بأمرين : **١- (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ)** من التحريف والتزييف للتوراة ، **٢- (وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)** من الأموال المحرمة بهذا التحريف. **فائدة** : العالِم للدنيا من أجل الدنيا المعاند، والعاصي الجاهل المتبع الإتباع الأعمى سواء في الضلال ! لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه ولا تأخذه في الله لومة لا ئم ، وعلى العامي الجاهل أن يتعلم ولا يرضى بالإتباع الأعمى مع تعطيل العقل كقوله تعالى **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾** الزمر/١٧- ١٨.

ويريدُ الطغاة دائماً أن يتحكموا في مصير الضعفاء ، والطريق الوحيد لحماية الضعفاء من أساليب الطغاة تسليحهم بالعلم والإيمان والأخلاق ليحافظوا على كرامتهم وحريتهم ، ودين الله هو المصدر الأمين للإنسان ، والعلماء أمناء وحفظة ودعاة لهذا الدين، فإذا فسد العلماء تحصل جريمة كبيرة عندها يتجرد الناس من العلم والإيمان فيستغلهم الطغاة أسوأ استغلال لاستحمار الناس ورضاهم بالبدع والغلو والتجارة بالأديان ونشر الانحرافات والخرافات ! **في نهج البلاغة خطبة١٩١**: (لاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ،وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا). **فائدة : عن النبي (ص)** : (شَرُّ النَّاسِ الْعُلَمَاءُ إِذَا أَفْسَدُوْا) البحار٧٧ص١٣٨ لأن (زَلَّةُ الْعَالِمِ تُفسِدُ الْعَوَالِمِ) في غرر الحكم لذلك وردت كلمة **(الوَيْلُ)** فيها ثلاث مرات والآية تحكي عن خطر العلماء إذا تعلقوا بالدنيا ، وهي الآية الوحيدة في القرآن وردت كلمة **(الوَيْلُ)** فيها ثلاث مرات. **الأول** عذاب على أصل التحريف **والثاني** على كتابته ليخلد **والثالث** على ثمنه وضرره وأقذر الأثمان التجارة بالدين.

**٨٠ - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**

إنهم يزكون أنفسهم بلا علم ويقول القرآن الكريم **﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾** النجم/٣٢ ، ويشهدون بالنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه فجمعوا بين الإساءة والأمن وإنهم يعيشون الأماني الكاذبة ، ويدّعون أنّهم شعب الله المختار وأنّ الله فضلهم على العالمين ، وأنّهم مهما أجرموا لا يخلدهم الله في النار ، وأنّه سبحانه يعذب المجرم عذاباً بسيطاً سرعان ما يرضى عنه ويكرمه ! فجاءت هذه الآية لتقول أنّ ما تزعمون هو افتراء ووقاحة وسوء أدب وجرأة على الله قالوا لن يدخلهم الله النار إلاّ أياماً قلائل هي مدة عبادة العجل (٤٠) يوماً ، وأين العهد الذي عاهدكم الله فيه ؟ وإنكم تقولون على الله كذباً وجهلاً وبذلك تضرون أنفسكم وتخزونها ، ((فَمَا الْفَائِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ وَهِيَ نَفْسِيْ ؟!)).

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام/١٢. **فائدة** : إنها الأماني الخادعة التي يلجأ إليها المنحرفون عن دينهم الصحيح ، حين يطول بهم العصيان فينقطع ما بينهم وبين حقيقة دينهم ، فلا يبقى لهم من الدين إلاّ إسمه وشكله دون حقيقته ومضمونه.

**٨١ – ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

**سَيِّئَة** : جاءت نكرة لإطلاق معناها. كسب السيئة عن إرادة واختيار ، وتعبير (**كَسَبَ**) بليغ إشارة إلى المحاسبة الخاطئة التي يرتكب المذنب ذنبه ليكسب منه ربحاً ونفعاً وبتركه خسارة ، والذي يرتكب الخطيئة يكتسب لذتها ويدفعه لها شهوتها لذلك يستسيغها ويحسبها كسباً وربحاً له ، فالخطايا تحيط به وتملأ عليه نفسه ، وتغلق عليه منافذ التوبة. (**وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**) تجسيم لهذا المعنى البليغ، تعبير عن اللجاجة في الخطيئة ، استولت عليه من جميع جوانبه من قلبه ولسانه ويده.. كما يحيط العدو بعدوه ، وهذا يعني الانغماس في الذنب فيصبح الفرد سجين ذنبه ويؤثر عليه سلباً من جميع الجوانب ، وعند اشتدادها تصبح جزء لا يتجزأ منه ، فلا تجدي معه موعظة ، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات والإحاطة بها من جميع الجهات حتى تلغي وجودها. وخالف السياق القرآني البليغ بين كسب السيئة وأحاطت به خطيئته ، ولم يقل (**وأحاطت به سيئته**) ليكون أبلغ وأفصح وأكثر تأثيراً في مشاعر النفس. فإن من معه سلاح الإيمان لا تحيط به خطيئته. **المعنى** : ردّ الله سبحانه على اليهود قولهم (**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ**) إن من كفر وخالف الله ونبيه وضلّ عن سبيل الله و(**كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) وهذه قاعدة عامة لا تخص اليهود وإنما تشمل كل من تنطبق عليه الآية، والقرآن نزل بخصوص السبب وإنما أريد به عموم المعنى. **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خُلِّدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللهَ أَبَداً ، وَإِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يُطِيعُوا اللهَ أَبَداً ، فَبِالنِّيَّاتِ خُلِّدَ هَؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ الإسراء/٨٤ ، على نيته) الكافي٢ص٨٥، **في غرر الحكم**: (الأَعْمَالُ ثِمَارُ النِّيَّاتِ). **فائدة** : لكل ذنب آثار ضارة وله تبعات وعواقب سيئة ﴿**بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ المطففين/١٤ ، **عن النبي** (ص) : (إِتَّقُوْا الذُّنُوْبَ فَإِنَّهَا مُمْحِقَةٌ لِلْخَيْرَاتِ) البحار٧٣ص٣٧٧ وترفع عنه الرعاية الإلهية ويخفى عليه الحق فيتساهل في الذنوب فيبتلى في الكروب والهموم ويستوحش من ذكر الله ويتطرّف برأيه وتمحق البركة في رزقه وفي عمره. **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ يَمُوتُ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَمُوتُ بِالأَعْمَارِ) البحار٧٨ص٨٣.

**٨٢ – ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

**(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** من مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب بعزيمة الالتزام في صورة العمل الصالح على إطلاقه **(أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** **في نهج البلاغة حكم١١٤:** (كُلُّ شَيءٍ مِنَ الدُّنْيَاْ سَمَاْعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عَيَاْنِهِ ، وَكُلُّ شَيءٍ فِيْ الآخِرَةِ عَيَاْنُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاْعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعَيَاْنِ السَّمَاْعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرْ). **عن النبي** (ص) : (لاَ يُقْبَلُ إِيْمَاْنٌ بِلاَ عَمَلٍ ، وَلاَ عَمَلٌ بِلاَ إِيْمَاْنٍ) كنز العمال ١ص٦٨.

**٨٣ – ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾**

الآية توبيخ لبني إسرائيل مع فضح أساليبهم في نقض عهودهم المؤكدة غاية التأكيد. بدأ بالتوحيد وهو قاعدة أساسية لكل الأديان وتتفرع عنه العبادات والمعاملات والأخلاقيات **(لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ)** أمر بعبادة الله وحده وهذا أصل الدين، وهذا حق الله تعالى على عباده **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)** رتب موارد الإحسان من الأهم إلى المهم ، وهذا يعم كل إحسان في القول والعمل **والإحسان** : ما يستشعره الإنسان حسناً في نفسه ، وفيه نهي عن الإساءة إلى الوالدين والأمر بالشيء نهي عن ضده. ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموماً وهذه هي حسن المعاملة وذكر **(وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)** **(وَذِي الْقُرْبَى)** صلة ذوي القربى أمتن الصلات ، والأقربون أولى بالمعروف ، فالإحسان إليهم مما يقوّي الروابط بهم. **(وَالْيَتَامَى)**الإحسان باليتيم وكفالته وحسن تربيته والقرآن يوصي باليتامى كثيراً **(وَالْمَسَاكِينِ)** هو الذي سكّن الضرَّ والفقر والحاجة حركته وهو الذي لا شيء لديه وهو أسوأ حالاً من الفقير. **(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)** قاعدة عامة، عاشروهم معاشرة حسنة ، مما يحبب لهم الخير ويبعدهم عن الشر، قولوا لهم كما تحبون أن يُقال لكم ، وموارد الإحسان كثيرة : وهو كل كلام طيب ومحكم ومؤثر تزداد منافعه ، فالإنسان لا يسع الناس بماله ولكن يسعهم بخلقه ، ومن لطّف لسانه كثر إخوانه ، والنهي عن الكلام القبيح **(وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)** وهما من أركان الإسلام ، ومن أعظم العبادات البدنية والمالية وهما العلاقة مع الله لإصلاح النفس ، والعلاقة مع الناس لإصلاح المجتمع وتقدمه ، ودائماً تقرن الصلاة بالزكاة في القرآن لبيان أهميتهما معاً **(ثم توليتم وأنتم معرضون)** ثم رفضتم وأعرضتم عن ذلك كلّه إلا قليلا من صلحائكم. **عن الإمام الصادق** (ع) في قوله تعالى **(قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)** (قُوْلُوْا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ حُسنًا : مُؤمِنِهِم ومُخَالِفِهِم أَمَّاْ الْمُؤمِنُوْنَ فَيَبْسُطُ لَهُمْ وَجْهَهُ وبِشرَهُ .، وَأَمَّا الْمُخالْفونَ فَيُكَلِّمُهُم بِالْمُدَاْرَاْةِ لإِجْتِذَاْبِهِم إِلَى الإِيْمَاْنِ). **فائدة: (حُسْناً)** الإحسان: الكلمة الأكثر شمولية في باب الخير فهي كلمة جامعة لكل المفاهيم الطيبة التي يستحسنها الإنسان، المادية والمعنوية في جميع مجالات الحياة، مع الوالدين والأيتام والفقراء والأصدقاء والأقرباء ومع جميع الناس.. إلخ. **عن الإمام الباقر**

(ع) في قوله (**قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**): (قَاْلَ: قُوْلُوا لِلنّاْسَ أَحَسَنَ مَاْ تَحبُون أنَّ يُقَاْلَ لَكُمْ) مجمع البيان ١/٢٩٨

**٨٤ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾**

أخذنا عليكم العهد المؤكد بأن (**لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**) لا يقتل بعضكم بعضاً (**وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**) ولا يعتدي بعضكم على بعض بالإخراج من مساكنكم وتهجيركم. (**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**) بوجوب المحافظة عليه. **فائدة** : (**لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**) هناك بلاغة في السياق القرآني وقد جعل أي إنسان كأنَّه نفسه للاشتراك في الإنسانية ، ودمه كأنَّه دم أخيه إذا إتصل به ديناً ونسباً ، إشارة إلى وحدة الأمة البشرية وتضامنها وإن ما يصيب واحداً منهم فكأنما يصيب الأمة جمعاء ، فيجب أن يشعر كل فرد بأن نفسه هي نفس الآخرين ودمه دمهم وحقوقه حقوقهم وكأنهم جسد واحد في مجتمع واحد (إِذَا إِشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاْعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ! (**وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**) لا يخرج بعضكم بعضاً من دياره أو لا تسبوا جيرانكم فتلجئوهم إلى الخروج ! وفي اقتران الإخراج من الديار بالقتل دلالة بأنه بمنزلة القتل (**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ**) بوجوب ذلك عليكم (**وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**) على أنفسكم بأنفسكم.

**٨٥ - ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**

(**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ**) وهذا خلاف الميثاق والعهود المؤكدة. هذه طبيعتكم القوي يقتل الضعيف ويطرده من بيته والاثنين في دين واحد فهم إخوة في الدين وارتكبتم ما نهيتم عنه من القتل فإنه من الكبائر الممقوتة (**تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) **التَظَاهَرُ** : التعاون **بمعنى** تتعاونون على إخوانكم بالمعاصي والإثم والعدوان (**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**) إذا وقعوا أسرى فاديتموهم دفعتم فدية المال لتخليصهم من الأسر (**وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**) من ديارهم وهذه مخالفة للميثاق ونقض له ، فكيف تستبيحون القتل والإخراج من الديار ولا تستبيحون ترك الأسرى في أيدي عدوهم ؟! كان اليهودي القوي لا يرى بأساً بقتل اليهودي الضعيف، ولكن إذا أسر غير اليهودي يهودياً ضحّى اليهودي القوي بالمال لفدائه وخلاصه من الأسر فقال لهم سبحانه : كيف تستجيزون قتل بعضكم ولا تستجيزون ترك فدائهم ! (**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**) ؟ أفتؤمنون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعض؟ مثلهم كمثل الذي يؤمن بالجسد ويكفر بالروح أو يؤمن بالحياة ويكفر بالموت والغرض التوبيخ وإشعارهم بالتناقض لأنهم جمعوا بين الكفر والإيمان ، والكفر ببعض آيات الله والإعراض عنها كفر

بالكتاب كله. **فائدة:** هذا الاستنكار لا يخص اليهود بل هو قاعدة عامة تشمل كل الشعوب المؤمنة بالله وبرسله ورسالاته ، فإن شريعة الله لا يمكن تجزأتها وتعدّدها، فهي منظومة مترابطة لا تؤدي ثمارها المرجوة إلاّ بالتطبيق الكامل لكل أنظمتها، ولكننا نجد البلاد الإسلامية اليوم تجعل الإسلام أحد مصادر التشريع في دساتيرها القانونية، رغم أنه يجب أن يكون المصدر الوحيد للتشريع، والذي يجزأ منظومة الدين يؤدي به إلى الإنحطاط والتأخر والخزي في الدنيا ، والعذاب الشديد في الآخرة ، لأن الْجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ **(فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** بل نحن الغافلون عمن لا يغفل عنا. **في غرر الحكم:** (احذروا الْغَفْلَةَ فإنَّهَا مِنْ فَسَاْدِ الْحِسْ) وفيه وعيد لمن عصى أوامر الله. ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك العصيان والعدوان فقال :

**٨٦ – ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾**

**(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ)** فضّلوا الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم **(فَلا يُخَفَّفُ عَنهُمْ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ)**. **فائدة** : يريد القرآن أن يعيش الناس كلهم متعاونين على البر والتقوى. أما الصهيونية الإستعمارية تقول : **(ما دمت أعيش أنا فليهلك العالم)!** لأنهم يعتقدون أنهم هم البشر وباقي الناس كالأشياء ! **عن لقمان الحكيم** : (بِعْ دُنْيَاْكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبَحْهُمَاْ جَمِيْعَاً، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاْكَ فَتَخْسَرْهُمَاْ جَمِيْعَاً) البحار١٣/٤١٢، **عن الإمام علي (ع)** : (مَنْ أَبْصَرَ فِيْهَاْ (في الدنيا) بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَاْ أَعْمَتْهُ)! شرح نهج البلاغة٦/٢٣٨

**٨٧– ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾**

**(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)** التوراة نزلت دفعة واحدة **(وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) وَقَفَّيْنَا** : أتبعنا على أثره كثير من الرسل **(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ)** أعطينا عيسى المعجزات الواضحات الدالة على نبوته **(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)** وقويناه بجبرائيل (ع) أو أن عيسى (ع) هو بالذات يحمل روحاً قدسية **(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ)** لا يوافق هواكم ومزاجكم **(اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)** تعاليتم متكبرين عن أتباع الرسل ، فتعاملتم معهم فطائفة منهم كذبتموهم وطائفة قتلتموهم كزكريا ويحيى (ع). وهكذا قدمتم الهوى على الهدى وآثرتم الدنيا على الآخرة وفيها توبيخ شديد. **فائدة ١–** قص الله على المسلمين من أنبياء بني إسرائيل ويحذرهم من الوقوع في مثله ، حتى لا تسلب منهم خلافة الله في الأرض ، ولا تسلب كرامتهم التي كرمهم الله بها **في غرر الحكم:** (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ قَلَّ شِقَاْقُهُ وَخِلاَفُهُ). **٢–** وصف عيسى (ع) بالطهارة والقداسة لأنه لم يقترف ذنباً صغيراً، وسمي (روحاً) لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة الروح

واطمئنان القلوب وشفافية النفس أما هوى النفس لا يتحكم في الدين، وإنما الدين يهذّب الهوى ويزكي النفس، **في غرر الحكم:** (مَنْ أَطَاْعَ هَوَاْهُ بَاْعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاْهُ) ﴿**وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ص/٢٦ **والهوى** : الرغبة والمزاج والطبع والعادة وهو إله يعبد من دون الله ، وهو يُعمي ويُصم ويُضلُّ عن سبيل الله فكونوا منه على حذر. **في غرر الحكم:** (أَفْضَلُ الْعِبَاْدَةِ ، غَلَبَةُ الْعَاْدَةِ) (السيئة). أي تهذيب الطبائع، وتزكية العادات.

**٨٨ – ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾**

**(قُلُوبُنَا غُلْفٌ)** : جمع أغلفة ، عليها عدة أغلفة فهي مغطاة بأغشية سميكة من الذنوب لا يصل إليها نور مُحَمَّد (ص) وهداه ولا تفقه ما يقول ، ولا تعي كلامه ، ومثله ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ فصلت/٥ وكأنَّ شدة عنادهم تحملهم على الشك في المعجزات وإبطال القناعات فيكون النقاش معهم في البديهيات من أشكل المشكلات. وإن الله تعالى لم يخلق قلوب مغلقة وأخرى قلوب منفتحة ، وإنما بإيمانهم تُفتح وبضلالتهم تُغلق وتُعطل أجهزة الاستقبال عند الإنسان ، وهكذا (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) ويبني حياته ويعد لمستقبله. ثم ردّ الله عليهم أن قلوبهم خُلِقَتْ على الفطرة السليمة التي تقبل الحق وقال **(بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) لَعَنَهُمْ** : طردهم من رحمته ورعايته بسبب كفرهم ، وقست قلوبهم وصار عليها أغشية وحواجز سميكة من الفساد تمنع من دخول نور الهداية فيها ، وخلاّهم وشأنهم وتركهم مع سوء اختيارهم **(فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ)** هو إيمانهم ببعض الكتاب ، ولم يؤمن بالإسلام إلا أفراد قليلون منهم عبد الله بن سلام وأصحابه ومن ضاق عليه الإيمان فالكفر عليه أضيق ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً**﴾ الإسراء/٢٢ ، ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣ ، ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً**﴾ الجن/١٧ .

**٨٩ – ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**

ولما جاءهم القرآن العظيم مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل كذبوا بالقرآن **(وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ)** كان اليهود قبل بعثة مُحَمَّد (ص) **(يَسْتَفْتِحُونَ)** يستنصرون ببركة مُحَمَّد على أعدائهم ويقولون : اللهم إنصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد ذكره في التوراة **(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)** فلما بُعِثَ مُحَمَّد (ص) الذي عرفوه حق المعرفة كفروا برسالته وأعرضوا عن هداه إذاً معرفة الحق لوحدها لاتكفي وإنما الثبات على الحق **(فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)** غضب الله وعذابه. **اللَعْنَ:** الطرد من الرحمة والإبعاد عن نعمة الهداية. **فائدة:** على الإنسان أن لا ينشغل باللعن ، لأن اللعنة ترتد على اللاعن إن لم يكن الملعون أهلاً لذلك ، ولعن المؤمن كقتله ولعن ماله فتنزع منه البركة ،

**وعن الإمام علي (ع)** : (مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَعَنَتْهُ ملائكة السَّمَاءُ وَالأَرْضُ) البحار٢/١٢١، **وعن النبي (ص)** : (إِنِّيْ لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاْنَاً وَإِنَّمَاْ بُعِثْتُ رَحْمَةً) كنز العمال خبر٨١٧٦، **وعنه (ص)** : (لاَ يَكُوْنُ اللَّعَاْنُوْنَ شُفَعَاْءَ وَلاَشُهَدَاْءَ يَوْمُ الْقِيَاْمَةِ) كنز العمال خبر٨١٧٩ هكذا يكون حال الذي يقضي أوقاته باللعن الفارغ بدلاً عن العمل الصالح والذكر الفالح. **فائدة : الفرق بين السب واللعن : (السبّ)**: الشتم القبيح ﴿**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ الأنعام/١٠٨، **(اللعن)** : الإبعاد من الرحمة والطرد من الخير ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا**﴾ الأعراف/٣٨، واللعين هو المشتوم الذي يستحق اللعنة من كلّ أحد ، يُقال (لاَ تَكُنْ لَعْنَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ).

**٩٠ –** ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾

**اشْتَرَوْا** : هنا بمعنى باعوا ، وكل من ترك شيئاً وأخذ غيره فقد إشتراه. بئس الشيء التافه الذي باع به هؤلاء اليهود أنفسهم ، كأن هذا الكفر والإلحاد والعناد هو الثمن المقابل لأنفسهم ! **(أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ)** يكفرون بالقرآن كفراً دائماً **(بَغْياً)** حسداً وحقداً **(أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)** حسداً منهم لأجل أن ينزل الله وحياً وكتاباً ورسالة من فضله على من يشاء ويصطفيه من خلقه **(فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ)** صاروا جديرين بغضب متوال (أو مضاعفة الغضب) بسبب مضاعفة كفرهم وحسدهم **(وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)** عظيم مع ذلة **فائدة:** فما أخسر صفقتهم هذه إذ باعوا أثمن شيء هو أنفسهم في مقابل الهوى الرخيص الذي لذاته قصيرة وتبعاته طويلة! فما الفائدة أن أربح كل شيء وأخسر أهم شيء وهي نفسي؟! **في نهج البلاغة حكم٤٥٦** : (إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الْجَنَّةِ فَلاَ تَبِيْعُوْهَاْ إِلاَّ بِهَاْ) ، والإنسان يبادل نفسه بثمن من الأثمان كثر أو قلّ ، أما أن يعادلها بالكفر والفساد والمتع الزائلة.. فتلك أخسر الصفقات بأخسر سبب ! هذا هو المرض الذاتي والتعصب العنصري الشديد وهكذا عاش اليهود طبيعة الكنود وهو كثير الكفر والجحود المتنكر للنعمة ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾ العاديات/٦ ، المتعالي على المنعم المستكبر على الناس المتعلق بحب الدنيا والذات والأنا ، مما جعلهم يعيشون عزلة إجتماعية ويعانون من أحقاد ويذيقون البشرية إنعكاساً من هذه الأحقاد أنواع الفتن والمؤامرات والبلايا والمحن ويثيرون الحروب ليكسبوا الغنائم. وفي مقابل اليهود ، طبيعة الذين آمنوا الذين يسعون لتزكية أنفسهم ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ الشمس/٩-١٠ ، كانوا يسألون الرسول (ص) كيف يتخلصون من عادات النفس الذميمة؟ وكيف يتطهرون ظاهراً وباطناً ؟ **في غرر الحكم:** (فَمَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ لَمْ يُهِنْهَا بِالْمَعْصِيَةِ) **وفيه أيضاً** (مَنْ سَاْمَحَ نَفْسَهُ فِيْ مَاْ يُحِبُّ أَتْعَبَتْهُ فِيْمَاْ يَكْرَهُ).

**٩١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

وإذا قيل لهم آمنوا بالقرآن وإتبعوه **(قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا)** يكفينا الإيمان بالتوراة **(وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ)** يكفرون بالقرآن وهو الحق موافقاً لما معهم من التوراة **(قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)** إذا آمنتم بالتوراة فلم كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل إنْ كنتم فعلاً مؤمنين كقتل يحيى وزكريا وهما من بني إسرائيل. **فائدة** : لقد جمعتم أيها اليهود بين قتل الأنبياء وإدّعاء الإيمان بالتوراة التي تحرم قتل الأنبياء ، وهذا عين التناقض ! وقد نسب القتل إليهم والقاتل أسلافهم لبيان أن الأمة لها وحدة متكافلة ، وأنها في الطبائع والأخلاق المشتركة كالشخص الواحد. لذلك القائم بالقتل والراضي به والساكت عنه شركاء في القتل. لأنهم أقروهم على ذلك ولم يعدّوه خروجاً من الدين واعتداءً على الحياة وهدراً لحقوق الإنسان.

**٩٢ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾**

ولقد جاءكم موسى (ع) بالبينات والمعجزات الباهرات والدلائل على صدقه **(ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ)** جعلتوا العجل إلهاً يعبد من دون الله من بعد مجيئه بالمعجزات **(وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)** لأنفسكم وظالمون لغيركم ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، هل يتفق هذا مع دعواكم أنكم تؤمنون بالتوراة ؟ إن سبب عبادتهم للعجل هو ما كانوا عليه من الوثنية في مصر ، فتأثروا بالإلحاد ولم يتأثروا بالإيمان بسبب المحافظة على مصالحهم الخاصة التي هي كل حياتهم المبنية على الهوى والمنى وإتباع الشهوات.

**٩٣ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

تكرر ذكر الميثاق في الآية ٦٣ لتأكيد الحجة التي قطعوها على أنفسهم بإرتفاع الجبل فوقهم.
**المعنى**: وإذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم العهد المؤكد على الإلتزام بالتوراة **(ورفعنا فوقكم الطور)** جبل طور سيناء رفعناه فوق رؤوسكم **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)** خذوا التوراة بجد وعزم وحزم واستقامة بلا رخاوة وإلا طرحنا الجبل فوقكم عليكم **(وَاسْمَعُوا)** سماع طاعة وإلتزام **(قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)** أي سمعنا قولك وعصينا أمرك **(وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ)** استعارة بلاغية قرآنية مجسمة الصورة : خالط حب العجل قلوبهم للمبالغة في حبه وكأنهم قد أشربوا نفس العجل ، شبّه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ الطعم سائغ الشراب يمتزج بالبدن والمشاعر كما يمتزج حب العجل في أعماق نفوسهم ! **(بِكُفْرِهِمْ)** وعصيانهم وإلحادهم **(قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ)** استهزاءً بهم قبحاً لكم ولإيمانكم الذي يأمركم بعبادة العجل **(إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)** لستم بمؤمنين لأن

الإيمان لا يأمر بعبادة العجل ، بئس الإيمان الداعي إلى الطغيان وكثرة العصيان ، إنكم لستم على دين موسى (ع) وتوراته.

**فائدة:** وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى جميع العروق في باطن الجسد ، والطعام يجاوز الأعضاء ولا يتغلغل في الأعماق و (**قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**) وفي الجمع بين السمع والعصيان ما يشير إلى تلك الطبيعة اللئيمة المستقرة في أعماق القوم إلى تلك الوقاحة وسوء الأدب ، وهي أنهم لا يتقبلون الخير ولا يستقيمون عليه والذي لا يليق به الخير يليق به الشر. **ومن علامات اللئيم** : سيء الخُلُق ، سريع الغدر بالمواثيق ، لا يؤمن شره ولا يؤمل خيره، يؤثر حب المال على لذة المحمدة ، إنه لا يستحي من فعل أقبح منكر ، وإذا وصل فوق مقداره ، تغيّرت أحواله ، وهو حسود وحقود ، وقاسي القلب ، ولا يشعر بمشاعر الضعفاء والمساكين ، ومعاشرة اللئيم يُقسّي القلب ، ويُضيّق الطبع ، ويحبس النفس.

**ملاحظة** : (**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ**) التقييم المفرط والحب المبالغ فيه خطر على مستقبل الإنسان لأن (حُبُّكَ لِلشَّيءِ يُعْمِيْ وَيُصُمُّ وَيُذِلُّ الرِّقَاْبَ) من لا يحضره الفقيه٤/٣٨٠، وهكذاحب إمرأة العزيز ليوسف ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً**﴾ يوسف/٣٠ ، قد حجبها حبه عن الناس فلا تعقل غيره ، بينما يريد الله للمؤمنين أن يكونوا ﴿**أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾ البقرة/١٦٥.

**٩٤** – ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾

إدعى اليهود إعجاباً بأنفسهم واستصغاراً للآخرين ، أنهم شعب الله المختار ، وأنه لا يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى ، وأن النار لن تمسهم إلاّ أياماً معدودة ، قل لهم يا مُحَمَّد (ص) إن كانت الجنة لكم خالصة صافية لا يشارككم في نعيمها أحدكما زعمتم. (**فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**) **بمعنى** إشتاقوا الموت الذي يوصلكم إلى الجنة وإن نعيم الدنيا لا يساوي شيئاً إذا قيس بنعيم الآخرة. ومن أيقن أنه من أهل الجنة إشتاق إليها وعمل عملها وابتعد عن المنكرات وإنّ أولياء الله لايهابون، **عن النبي (ص)**: (تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ) البحار٨٢/١٧١، **في غرر الحكم**: (الموت أوّل عدل الآخرة) لأنه تُختم به الدنيا **عن النبي (ص)**: (وَمَنْ مَاْتَ فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَاْمَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨، **في نهج البلاغة خطبة٥**: (وَاللهِ لأِبْنُ أَبِي طَاْلِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ) ، **إذن**: علينا الاستعداد للموت في كلّ لحظة وهو الاستعداد إلى لقاء الله كقوله ﴿**فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ البقرة/١٣٢. **فائدة: البقاء الصحيح** (إِنَّ بَقَاْءَكَ إِلَى فَنَاْءٍ وَفَنَاْؤُكَ إِلَى بَقَاْءٍ، فَخُذْ مِنْ فَنَاْئِكَ الَّذْيْ لاَ يَبْقَى ، لِبَقَاْئِكَ الَّذِيْ لاَ يَفْنَى!)

**٩٥** – ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾

(**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**) ، إنهم يخافون الموت ما عاشوا لحبهم بالعيش وتمسكهم بالحياة، بسبب ما إجترحوه من أنواع الذنوب والعيوب والآثام (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**) عليم بظلمهم لأنفسهم وظلمهم لغيرهم وسيجازيهم على ذلك. **فائدة:** هذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله (ص) ولكنهم إمتنعوا من تمني الموت ، **عن النبي** (ص): (لَوْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوْا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ!)مجمع البيان١/٣٢٥، **قال الإمام علي** (ع) **لإبنه الحسن** (ع) : (يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ لاَ يُبَالِيْ وَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ!) مجمع البيان١/١٦٤**وعن النبي** (ص) : (لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ، وَلَكِنْ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا دَامَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِيَ ، وَتَوَفَّنِي مَا دَامَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِيَ) كنز الدقائق١/٣٠٢، والنهي عن تمني الموت للدلالة على الجزع والمأمور به الصبر وتفويض الأمور لله تعالى. فالإسرائيليون كانوا يدّعون أنهم حملة الرسالة وحملة الحضارة، فعليهم أن يدافعوا عن ذاتهم ، ويؤدبوا العرب!، والنازية كانت تدعي حمايتها للكنيسة، والاستكبار العالمي يدّعي أنه يحمل التقدم العلمي إلى العالم ، وإذا قلنا لهؤلاء أن الموت حق فتمنوه إن كنتم صادقين ! فلن يتمنوه ! فهم يعلمون أنَّ ما قدموه من عمل لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة والموت هو النقلة من دار الممر إلى دار المقر، فلابد من عدم الغفلة عنه (فَلاَ تَغْفُلْ فَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ) ، وإنّه لعبرة لمن إعتبر **عن النبي** (ص) (كَفَى بِالْمَوْتِ وَاْعِظَاً)! (الناسُ نيام إذا ماتوا انتبهوا) تفسير روح البيان٢/١٣٢.

**٩٦ – ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

يصور القرآن صورة ثانية لليهود مزرية مخزية مهينة وهي انهم لا يقيمون وزناً للحياة الكريمة المستقيمة، وإنما الذي يهمهم هذه الحياة الحاضرة المبنية على الفسق والنفاق والشقاق (**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**) حياة جاءت نكرة للدلالة على عمومها ، أية حياة ، لا يهم أن تكون حياة مستقيمة وكريمة ولا حياة مميزة نموذجية ، وإنما حياة، مجرد حياة فقط بهذا التنكير والتحقير ، حياة والسلام ! هم حريصون على أتفه حياة وأرخصها وأشقاها إنهم يريدون حياة إذا أَمِنوا العقاب أساءوا الأدب ، ولكن إذا وجدوا العقاب نكست الرؤوس حرصاً على الحياة.. أي حياة ، حياة وكفى !!! (**وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**) واليهود أحرص على حياة من كلِّ الناس حتى من الذين أشركوا ، من الناس الذين لا يؤمنون بلقاء الله ! ولا يحسبون أن لهم حياة أخرى غير هذه الحياة ، وما أقصر الحياة الدنيا وما أضيقها حين تحس النفس الإنسانية أنها لا تتصل بحياة أخرى سواها ، إن الإيمان بالحياة الآخرة نعمة. ولا حياة إلاّ حياة الآخرة ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ العنكبوت/٦٤، **الْحَيَوَانُ** : مبالغة الحياة ، أنها نعمة كبرى يفضيها الإيمان على القلب (**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**) هذا أبلغ ما يكون من الحرص على حياة ، لجمع مزيد من المال

وحسن الحال وكثرة الاستثمار، فطول العمر لا ينجيهم من العذاب (**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) والمرجع الأخير هو الله تعالى سواء عاشوا كثيراً أم قليلاً ، وليس لأحد من قوة تستطيع أن تزحزحه من العذاب ولو يعمر ألف سنة ، بل أن طول العمر قد يُعقّد الحياة عليهم ، كما قيل: مالي كلما طال عمري كثرت ذنوبي وخطاياي ، والمطلوب كما جاء في الدعاء : (اللهم إجْعَلِ الْحَيَاْةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْوَفَاْةَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) في **الحديث** : (خَيْرُكُمْ مَنْ طَاْلَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ) روح البيان١/١٨٦.

**٩٧ –** ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

**سبب نزول الآية** : سُئل النبي (ص) أيُّ مَلَكٍ يُنَزِّلُ اللهُ عَلَيكَ ؟ قال (ص) : جبريل : قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل باليسر والرضا والرجاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك فأنزل الله هذه الآية (**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**) جبريل منفَّذ لإرادة الله ويعمل بإذنه في تنزيل هذا القرآن الكريم على قلبك الطاهر.. والقلب موضع التلقّي وهو الذي يفقه بُعد التلقّي ، فهو ينبوع الحكمة ومصدر التأثر ، وعالي التحسس وكثير التقلّب ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد/٢٨ ، والله ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم قبل أن ينظر إلى صوركم وأموالكم (**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**) والقرآن صدّق ما سبقه من الكتب المنزلة من السماء ، فأساس دين الله واحد في جميع الكتب المنزلة لأنها تدعوا إلى توحيد الله والاستقامة على نهجه ، أما القرآن الكريم فهو الجامع المانع لكل رسالات الأنبياء وهو خلاصة رسالات الأنبياء (ع) وهو هدى وبشرى للقلوب المؤمنة التي تنفتح له وتتأثر به وتستجيب له.

**٩٨ –** ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

(**مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ**) ومع هذا النعيم المميز والتكريم النموذجي لبني إسرائيل ، من خلاصهم من فرعون إلى افتتاح الأرض المقدسة ، لكنهم لم يكونوا مؤمنين مطيعين فهم عصاة عتاة طغاة بغاة معاندين يفرقون بين الأديان والرسل والرسالات ، وقد فرقوا بين ملائكة الله وإدعّوا أنهم على صداقة مع ميكائيل دون جبريل ، لذلك جمعت الآية بين جبريل وميكائيل وملائكة الله ورسله، فمن عادى أحداً منهم فقد عاداهم وعادى الله سبحانه وكان من الكافرين (**فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**).

**٩٩ –** ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾

ثم إتجه بالخطاب إلى نبيه الكريم (ص) يثبته على ما أنزل الله عليه من الحق وما آتاه من الآيات البينات الواضحات (**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ**) مقرراً أنه لا يكفر بهذه الآيات إلاّ الفاسقون

المنحرفون عن سبيل الله ، المتمردون على ثوابت الحق ، هؤلاء خرجوا عن فطرتهم السليمة فصاروا غير مؤهلين لتقبل نور القرآن وهداه ، أما الذين حافظوا على فطرتهم السليمة تأهلوا للإيمان بتلك الآيات مع الدليل والبرهان ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ فصلت/٤٤. **فائدة** :عن النبي (ص) : (مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ!) كنز العمال خبر٢٤٥٤، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَاْ مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اِثْنَاْنِ إِلاَّ وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَاْبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) الكافي١/٦٠. والقرآن الكريم النور الآلهي الذي به يكشف الله الظلمات ، ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ الصف/٨ ، فنستوحي من قوله (**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ**) الفسق والمعاصي تربة خصبة لنمو الكفر ، ومن كفر كُرهت أيامُه.

**١٠٠ - ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**

**نَبَذَهُ** : نقضه ورفض العمل به. كلما أعطوا عهداً نقضه جماعة منهم (**بل أكثرهم لا يؤمنون**) بل أكثر اليهود لا يؤمنون بالتوراة بصدق وعمل ، لذلك ينقضون العهود والمواثيق **عن النبي (ص)** (لاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) البحار٧٢/١٩٨، أما النفس المؤمنة فإنها صادقة الإتباع والوفاء والانتماء ، فهي تفعل ما تقول، وتقول ما تفعل، ولا يختلف فعلها عن قولها لذلك تحفظ العهود، وسميت النفس المؤمنة مؤمنة لأنك تؤمّن بها على نفسك ومالك وعرضك، لذلك الإيمان عمل كله والقول بعضه.

**١٠١ - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**

ولما جاءهم الرسول المصطفى (ص) من عند الله ، مصدق لما معهم من تعاليم التوراة (**نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**) راح فريق من هؤلاء العلماء الذين لايعملون بعلمهم ويكتمون الحقائق على الناس، يتمادى هذا الفريق في العصيان فلا يحترم كتابه المنزل بل (نبذه) وطرحه وراء ظهره وكأنه لا قيمة له ، وكأنه لا يعلم أنه كتاب الله العزيز دستور حياته وقائد مسيرته. ونلاحظ أن القرآن عبّر عن نبذ الكتاب وإهماله كله والمقصود هو نبذ بعضه ، وفي هذه الحقيقة دلالة إلى وحدة تعاليم كتاب الله ولزوم تطبيقه كله ، فمن طبق بعض الكتاب وأعرض عن بعض هذا ممن جعل القرآن مُبَّعضاً كما قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ الحجر/٩١ ، **عِضِينَ** : قسّموه إلى أعضاء ، قسم مقبول وقسم مرفوض ، آمنوا ببعضه الذي يتفق مع أهوائهم وكفروا ببعضه الآخر الذي يصطدم مع أمزجتهم ومصالحهم. (**كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**) من دلائل نبوته (ص) شيئاً ، ولايعلمون أنها كتب الله.

١٠٢ – ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

هذه من الآيات المتشابهة !! بنو إسرائيل حين نبذوا الكتاب وتركوا القرآن وما فيهما من الآيات البينات والهدى ، استبدلوهما بالأساطير الوهمية والشعوذة وعمل السحر، والذي لاتليق به الهداية تليق به الغواية (**عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**) كان هؤلاء الشياطين أو المشعوذين في زمن سليمان يكتبون ما يزعمونه سحراً ، ويقولون للناس من دعاوى مكذوبة عن سليمان إذ يقولون أنه كان ساحراً وبه سخّر الإنس والجن والريح ، وينفي القرآن عن سليمان (ع) أنه كان ساحراً (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**) فجعل السحر واستخدامه كفراً ! ، ينفيه عن سليمان (ع) ويثبته للشياطين (**وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**) باستعمال : السحر والكذب والشعوذة في نسبته إلى سليمان (ع) ، ثم يعلمون الناس الكذب والغواية ، سواءً أكانوا شياطين الجن أم الإنس أم هما معاً (**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**) كما كان الناس آنذاك يسمونهما ملكين ، وكما إتبع رؤساء اليهود السحر كذلك إتبعوا ما أنزل على الملكين وهما هاروت وماروت بمملكة بابل قرب الكوفة في العراق، وقد أنزلهما الله ابتلاءً وامتحاناً للناس.

(**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**) إن الملكين لا يعلمان أحداً من الناس السحر حتى يبذلا له النصيحة ويقولا إن هذا الذي نصفه لك إنما هو فتنة وامتحان من الله وابتلاء، فلا تكفر بسببه وتستعمله في الإضرار (**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**) يتعلمون منهما من علم السحر الذي يضر الناس ويكون سبباً في التفريق بين الزوجين ، بعد أن كان سكن أحدهما للآخر، وحصل بينهما المودة والرحمة ، يصبح بينهما الشقاق والنفاق والفراق ! (**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**) لدفع الوهم بأن السحر بقضاء الله وقدره ، فتأثيره بإذن الله يترتب الضرر على سبب مألوف، **عن الإمام الصادق** (ع): (أَبَى اللهُ أَنْ تَجْرِيَ الأُمُوْرُ إِلاَّ بِأَسْبَاْبِهَا) الكافي١/١٨٣ (**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ**) فالسحر ضار غير نافع لأنه شعوذة (**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**) لقد علموا لمن اختار الشعوذة على الحق أنهم ليس لهم في يوم الآخرة من **خلاق** : نصيب من رحمة الله ، فهم بعيدون عن الجنة قريبون من النار ، لأنهم آثروا السحر على كتاب الله ، كما آثروا الضلالة على الهدى ، والجهل على العلم ، والشيطان على الرّحمن (**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) باعوا أنفسهم الغالية بأبخس الأثمان وَمَاْ الْفَائِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ؟! وهكذا الَّذِيْ لا يَنْفَعُهُ

الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ، والَّذِيْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ يَضُرُّهُ الْهَوَى، **السحر**: حيلة توهم البصر وعلم خفي يخدع النفس كقوله ﴿**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ**﴾ الأعراف/١١٦ ، ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ طه/٦٦. **فائدة** : حتى في دولة سليمان الحاكم العادل كان هناك فريق منحرف (**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**) فلا يمكن إصلاح جميع الناس بالقوة.

**١٠٣ –** ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾

ولو أن أولئك الذين يتعلمون السحر آمنوا بالله واستقاموا على نهجه لفازوا في الدارين ولأثابهم الله ثواباً أفضل مما ضلوا به أنفسهم وضلوا غيرهم من السحر ، الذي يقود إلى الخسران والحرمان ، والأمور متعلقة بخواتيمها. **فائدة ١–** السحر استغلال لروابط كونية وخصائص طبيعية للتأثير في الآخرين وإيهامهم بوجود قدرة لدى الساحر خارقة لقوانين الكون. والسحر طاقة سلبية تُسخّر لتخريب الروابط البشرية وإغرائها بالمنكرات ، وهو محرم في كل كتب الله المنزلة ، ومن الذنوب الكبيرة. **٢–** عندما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، فتركوا ما ينفعهم فانشغلوا بما يضرهم، فمن ترك عبادة الرحمن أبتلي بعبادة الشيطان ، ومن ترك محبة الله أبتلي بمحبة غيره ، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان (ومن ترك ذل العبودية لربه أبتلي بالذل الخسيس للطغاة ، ومن ترك الحق أبتلي بالباطل، وهكذا اليهود لما نبذوا كتاب الله إتبعوا الشياطين، **في نهج البلاغة خطبة٢٨** (مَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ يجرُّ به الضَّلاَلَةُ إلى الردى!). **٣–** نلاحظ بعض النّاس يملكون خصائص مميزة لم يكشف العلم عن كنهها بعد ، هذا التنويم المغناطيسي ، كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة ، وأن يتصل فكر بفكر ، فإذا أحدهما يتلقى عن الآخر ، وكأنما يقرأ من كتاب مفتوح ؟! (**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ**) ويُنهي الحديث لو أنهم تمسكوا بالكتاب والرسالة والرسول مُحَمَّد (ص) واتقوا الله لنالوا الثواب والخير ، أفضل لهم من التشبث بالسحر (**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) أنهم ليسوا على شيء من العلم الصحيح.

**١٠٤ –** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾

**راعنا** : كلمة سب عند اليهود ، **انظرنا** : انظر إلينا بتأنٍ وانتظار (**لَا تَقُولُوا رَاعِنَا**) كان النبي (ص) إذا حدّث المسلمين يقولون له (**راعنا**) يريدون تمهل علينا كي نستوعب كلامك ، وكانت هذه الكلمة بالعبرية بمعنى السب عند اليهود ، فاستغلوها وخاطبوا النبي (ص) بها بنية السوء ، فنهى النبي المسلمين وقال لهم (ص) (**وَقُولُوا انظُرْنَا**) راقبنا وانتظرنا حتى نفهم حين تتكلم (**وَاسْمَعُوا**) أحسنوا الإستماع حين يتكلم النبي (ص) (**وَلِلْكَافِرِينَ**) هم اليهود الذين قالوا للنبي راعنا بخباثة (**عَذَابٌ أَلِيمٌ**). **فائدة ١–** الحذر من دسائس اليهود وكيدهم للإسلام والمسلمين ، **٢–** نهى التشبه باليهود، **٣–** تجنب الألفاظ التي فيها أكثر من معنى (**رَاعِنَا**) ، **٤–** التمسك بسد الذرائع

وحمايتها، والذريعة كلمة حق يراد بها باطل ، كلمة ظاهرها محبوب وباطنها مكروه ، أو أولها يَغُرُّ ويَسُرُّ ويراد منها ما يَضُرُّ !. **٥-** يعتني الإسلام بأسلوب الحديث المؤثر بإختيار الكلمات المناسبة والتعابير الواعية الموزونة (**لا تَقُولُوا رَاعِنَا**)(**وَقُولُوا انظُرْنَا**) ونتعلم من ذلك عند النهي عن شيء فمن الأفضل تقديم البديل المناسب عنه.

**١٠٥ - ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**

**الودُّ** : حب الشيء مع تمنيه ، ونفي الودُّ (**مَا يَوَدُّ**) كناية عن الكراهة. ما يحب الكافرون من اليهود والنصارى ولا المشركون أن يُنزّل عليكم شيء من خير ، والخير جاء نكرة للدلالة على الإطلاق ، بمعنى كل خير لا يحبونه لكم ، فكيف خير النبوة ؟ ، بغضاً فيكم وحسداً لكم (**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**) والله يختص بالنبوة والفضل والإحسان من يختار من عباده ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ الأنعام/١٢٤ ، فهو الذي يفعل الحكمة والمصلحة في ما يقضيه (**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**).

**فائدة : ١-** يجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر ، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والكيد. **٢-** كل خير يناله الإنسان في دينه أو دنياه ، فإنه نعمة من الله وفضل ، من غير استحقاق منهم لذلك ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ الضحى/١١ ، ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣.
**٣-** علينا أن نعرف بالمخططات الخفية للعدو وما يبيته لنا (**مَا يَوَدُّ..**) وكقوله ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ القلم/٩.

**١٠٦ - ١٠٧ ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**

**النَسْخُ** : في اللغة إزالة شيء وإحلال آخر محله **والنَسْخُ في لسان الشرع** : بيان انتهاء الحكم المستفاد من الآية ، وحكمة النسخ أن الأحكام ما شرعت إلاّ لمصلحة الناس ، ومصلحتهم تختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان. فإذا شُرّع حكمٌ في وقت كانت الحاجة إليه ماسة ، ثم زالت الحاجة فمن الحكمة نسخه وتبديله بحكم يوافق الوقت الآخر فيكون خيراً من الأول. **سبب النزول:** قال اليهود أن مُحَمَّداً (ص) يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، ويقول اليوم قولاً وفي الغد يرجع عنه ولو كان ما يقوله وحياً لما كان فيه هذا التناقض فنزلت الآية رداً عليهم. (**نُنسِهَا**) نؤخرها أو نمحو حفظها من القلوب لمصلحة معينة. **المعنى** : ما نبدل من حكم آية فنغيره بآخر أو نزيل أثر آية تشريعية أو تكوينية عن العيون (**أَوْ نُنسِهَا**) نؤخر نزولها أو يا مُحَمَّد ننسها أي نمحها من قلبك (**نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**) نأتي بخير لكم منها بما هو أنفع لكم في العاجل أو الآجل ، إما برفع المشقة عنكم أو بزيادة الأجر والثواب لكم (**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) ومنه إبدال

خير بخير منه أو خير مثله وزناً وكماً وكيفاً وأثراً ، ولا يصدر منه سبحانه إلاّ كل خير وإحسان للعباد. **فائدة ١-** فإذا نسخ الله آية ألقاها في عالم النسيان سواء كانت آية قرآنية مقروءة تشمل حكماً من الأحكام أو آية بمعنى علامة ودلالة تجيء لمناسبة معينة في وقتها المناسب وتطوى كالمعجزات المادية التي جاء بها الرسل ، فإنه يأتي بخير منها أو مثلها ، وفقاً لدواعي الحكمة والمصلحة ، ولا يعجزه شيء وهو مالك كلّ شيء ، وصاحب الأمر كلُّه في السماوات والأرض.

**١٠٧ - (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)** وأن الله وحده هو الولي والناصر والقادر **(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)**. **٢-** ربما تشير الآية إلى حادثة تحويل القبلة ، أو إلى نسخ آية قرآنية بأخرى ، أو تشير **(آية)** إلى تبديل حجة إلهية أو علامة مميزة بأخرى ، **(وآية)** جاءت نكرة للدلالة على إطلاق معناها ، وسعة دلالاتها.

**٣-** وكل نسخ من باب تسهيل على الأمة دينها وتكاليفها ، وأن من قدح في النسخ قدح في ملكه وقدرته سبحانه **(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)**. **٤-** وهناك منسوخ الحكم دون نسخ التلاوة ، فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة وفي المصحف إلاّ أن المنسوخة لا يعمل بها. **٥-** والحكمة في النسخ أن الطبيب يغير الأغذية والأدوية بحسب مصلحة الجسد وعمره وقوته ، كذلك النسخ لإصلاح النفوس ، يغيرون الأحكام التي هي للنفوس بمنزلة العقاقير والأغذية للأبدان ، فكما أنَّ الشيء يكون دواءً للبدن في وقت ثم يكون داءً في وقت آخر ، كذلك الأعمال قد تكون مصلحة في وقت ومفسدة في وقت ، **٦- عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ مِنَ النَّسْخِ الْبَدَاءُ الْمُشْتَمِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ الرعد/٣٩) ، (مثل قوم يونس إذ بدا له سبحانه فرحمهم) مواهب الرحمن١/٥٢٥. **٧-** لا يجوز نسخ القرآن بالسنة النبوية ، لأنه أضاف **(نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا)** إلى نفسه سبحانه ، والسنة لا تضيف إليه حقيقة.

**٨-** تدل الآية على أن القرآن محدث وليس قديم ، لأن القديم لا يصح نسخه ﴿**الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الإنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ الرحمن/١-٤. **عن النبي (ص)** : (كَلاَمِي لاَ يَنْسَخُ كَلاَمَ اللهِ ، وَكَلاَمُ اللهِ يَنْسَخُ كَلاَمِي، وَكَلاَمُ اللهِ يَنْسَخُ بَعْضُهُ بَعْضاً) كنز العمال خبر٢٩٦١. **٩-** وهذا حكم العفو في أوّل الدعوة وليس للمسلمين بعد من القدرة لا كمية ولا كيفية ، ولا عُدّة ولا عدد ، وجاء حكم الجهاد بعد أن قوي الإسلام ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ الأنفال/٦٠.

**١٠٨ - ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**

**(أَمْ تُرِيدُونَ)** أيها المسلمون **(أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ)** تسألوه معاجز وخوارق. قال اليهود لموسى من جملة ما قالوا عناداً : ﴿**أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ النساء/١٥٣ ، أتريدون أيها المسلمون أن تفعلوا كما فعل اليهود؟ إن هذا إلاّ الكفر بعينه ، وأنتم مؤمنون **(وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)** وهكذا كل من لا يقتنع بالدليل الواضح والبرهان القاطع،

ويطلب المزيد لمجرد التعجيز فإنه معاند ضال عن طريق الحق والاعتدال فلا يفوز في حياته، لأن البرهان يقطع اللسان ، والجدل في البديهيات من أشكل المشكلات. **فائدة** : هو استنكار لتشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وأسئلتهم التشكيكية التي أساسها الجهل والحيرة والاختلاف وهو تحذير لهم من نهاية هذا الطريق وهو الضلال واستبدال الكفر بالإيمان والخروج عن الصراط المستقيم وهو الخسران المبين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ المائدة/١٠١ ، وهذا هو المنهي عنه أما سؤال التعليم فهو محمود ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ الأنبياء/٧ ، **في غرر الحكم**: (شَرُّ الْقُلُوْبِ الشَّاْكُ فِيْ إِيْمَاْنِهِ).

**١٠٩** – ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

**ودَّ** : تمنى كثير من اليهود والنصارى (**لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً**) يرجعونكم إلى الجاهلية الجهلاء بغياً و(**حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**) حسداً للنبي (ص) وللمسلمين (**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**) من بعد ما ظهر لهم بالبراهين الساطعة أن دينكم هو الحق وهم أعدى أعداء الحق (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**) إتركوهم وأعرضوا عنهم فلا تؤاخذوهم (**حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**) حتى يأمركم الله بحربهم وتأديبهم ، فإن الأمور رهن بأوقاتها ، وسينتقم الله من كل باغ وطاغ ولو بعد حين (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) **فائدة** : **١**– يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد والشر بالشر ويدعوهم بالصفح والعفو (**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**) فإصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وإن كانوا قادرين على الرد وعدم استخدام العنف لأن ردَّ الشرَّ بالشرِّ صرت مثله في الشرِّ ولم يبق للخير موضعاً باستثناء إذا كان الشر قدرة قاهرة لايبقي ولايذر فإما أن ترده إذا كنت قادراً عليه أو تتجنبه. **عن النبي (ص)** : (إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ شَانَهُ) البحار٧٥ص٦٠ لأن الرفق مفتاح النجاة وعنوان الصلاح **٢**– **الحَسَدُ** : صفة مذمومة. وهو إرادة زوال نعمة المحسود إليه وتصير تلك النعمة له ، والحسد يولّد الهم والغم وتنغيص العيش **أما الغِبْطَةُ** : فهي أن يراد مثل النعمة التي فيها الغير ولم يرد زوالها عنه. والحسد أعمى أهل الكتاب فلا هم يتبعون الخير ولا هم يريدون للمسلمين خيراً. **٣**– في الآية إشارة إلى أن المسلمين مع قلتهم حين ذاك هم أصحاب القدرة فإن العفو والصفح إنما يطلبان من القادر ، والمؤمن القوي أحب وأقرب إلى الله من المؤمن الضعيف. **٤**– ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ الفلق/٥، **في غرر الحكم**: (الْحَاْسِدُ يَرَى أَنَّ زَوَاْلَ النِّعْمَةِ عَمَّنْ يَحْسُدُهُ نِعْمَةٌ عَلَيْهِ) الحسد حالة من خبث النفس ولؤم الطبع، فهو يمحق الدين ويحرق الإيمان ويكرّه الأيام وليس لحسود راحة ولاسعادة!

**١١٠** – ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾

بعد الأمر بالعفو والصفح وانتظار وعد الله يأمر الله المسلمين بإقامة الصلاة وأدائها بشروطها لتقوية روابطهم بالله تعالى ورص بنيانهم الإجتماعيّ والإقتصاديّ بإعطاء الزكاة وذلك ليشتد أمرهم استعداداً للموقف الحاسم (**الصلاة والزكاة**) عمودي الإسلام ومن أركانه ، فتقربوا إلى الله بالعبادة المالية والمعنوية (والأخلاقية) (**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ**) وما تعملوا من خير تجدوا جزاءه عند الله ربكم يوم توفى كلُّ نفس جزاء عملها بالقسطاس المستقيم ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه**﴾ الزلزلة/٧ ، ونسب الوجود إلى العمل والذي يوجد هو جزاؤه ، لما للعمل من أثر في نفس العامل، فكأن الجزاء بمثابة العمل نفسه لأن أعمال الخير لا تبقى وإن طال أثرها فادّخروا عند الله حسناتكم، والذي يبقى هو الثواب والجزاء (**عِنْدَ اللَّهِ**) ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ يوسف/٩٠ ، **في الحديث** : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَاْ مَاْتَ قَاْلَ النَّاْسُ مَاْ خَلَّفَ، وَقَاْلَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَاْ قَدَّمَ) روح البيان١/٢٠٤.

**فائدة: ١-** يقرن القرآن دائماً الصلاة بالزكاة ويكون على صيغة الأمر وذلك إن الذي يقيم الصلاة غير الذي يصلي ، لأن الذي يقيم الصلاة يؤديها بكامل شروطها من طهارة وخشوع وحضور القلب وحسن أدائها في فضيلتها (الصَّلاةُ مِيزَانٌ دَقِيْقٌ: فَمَنْ وَفَّى، اسْتَوْفَى!) والزكاة عبادة مالية للمجتمع، والدين عبادة ومعاملة، فالصلاة حُسن عبادة والزكاة حُسن معاملة. **٢-** (**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ**) الخير يتناول أعمال البرّ كلّها وجاء (**مِنْ خَيْرٍ**) على سعته لم يحدد الكمية ولا النوعية ولا الكيفية ، وإنما كلُّ إنسان يعمل بحسب طاقته ، وخص تعالى من بينها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر تنبيهاً على عظم شأنهما وعلو قدرهما عند الله تعالى. والصلاة عمود الدين وتنهى عن الفحشاء والمنكر. **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ زَكَاْةَ لَهُ، وَلاَ زَكَاْةَ لِمَنْ لاَ وَرَعَ لَهُ) البحار٨٤/٢٥٢، قال تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**﴾ التوبة/١٠٣. (**إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) ورقيب فلا تقصِّروا في العمل الصالح لأنفسكم بما ينفع الناس، فإن رقابة الله لكم هي الحافز الأقوى للعمل الصالح.

**١١١ -** ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾

كانت اليهود تقول لن يدخل الجنة إلاّ هوداً أي من اليهود ، وكانت النصارى تقول لن يدخل الجنة إلاّ من كان من النصارى ، وكل من القولين لا يستند إلى دليل سوى الإدعاء العريض (**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**) تلك خيالاتهم وأحلامهم وأمنياتهم الواهية الخاوية المبنية على الغرور والتكبر والاستعلاء الفارغ (**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**) قل هاتوا دليلكم الساطع حجتكم القاطعة على ما تزعمون إن كنتم صادقين في دعواكم ، والبرهان يقطع الخصام. **فائدة** : **١-** تعلمنا الآية على إتخاذ الموقف الواعي الطالب للحجة والبرهان تجاه أية فكرة ، وكل قول لا دليل عليه لا صحة له.

**٢- (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) التمني** : التشهي والرغبة الكاذبة وهي رأس مال المفلسين ، **والتمني** : طلب شيء يصعب الحصول عليه قد يتحقق وقد لايتحقق ، وهو الكلام بلا حجة ونابع من غرور كما قال تعالى : ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ**﴾ البقرة/٧٨. **٣-** الدعاوى إذا لم يكن عليها بيّنات، فأصحابها أدعياء ، **في غرر الحكم**: (قُوَّةُ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ، أَعْظَمُ مِنْ قُوَّةِ سُلْطَانِ الْقُدْرَةِ)

**١١٢ -** ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾

بلى يدخل الجنة من أسلم وخضع قلبه لمنهج الله وأخلص نفسه لله ولا يشرك به أحداً (**وَهُوَ مُحْسِنٌ**) من البرّ والإحسان في القول والعمل الصالح البنّاء للفرد أو المجتمع وبالإحسان تملك القلوب (**فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**) فهو يوفيهم أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله (**وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) فقد وفّر الله لهم كل وسائل الأمن والسرور. **فائدة : ١- (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)** خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء ، وفيه دلالة على إقبال القلب والروح لعبادة الله كلية ، وهو رمز لمجموع جوارح الإنسان ، ولفظ (**أَسْلَمَ**) يعني الاستسلام والتسليم، الاستسلام المعنوي والتسليم العملي، ومع هذا فلا بد من الدليل الظاهر على هذا الاستسلام لله (**وَهُوَ مُحْسِنٌ**) الإحسان الدائم في القول والعمل والممكن وليس المؤقت ، فصفة الإسلام هي الوحدة بين الشعور والسلوك ، بين العقيدة والعمل ، بين الإيمان القلبي والإحسان العملي ، وبذلك تتجه الشخصية الإنسانية كلها لله (**فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ**) الأجر مضمون عند ربه والأمن موفور لا يساوره خوف ولا حزن ، وهذه قاعدة عامة مفتوحة لكل الناس ممن له هذه المؤهلات المميزة. **٢-** الآية ترشد إلى أن الإيمان لا يكفي وحده للنجاة لابد أن يقرن بالعمل المحسن للناس ، حتى تكون العقيدة حُسن عبادة وحسن معاملة. **عن النبي (ص)** : (الإسلامُ حُسْنُ الخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥ (**وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) لاخوف عليهم في مستقبل أمرهم ، ولاهم يحزنون من شيء ينغِّص عليهم حاضرهم ويكون الاطمئنان يملأ قلوبهم.

**١١٣ -** ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾

عرض لتراشق الإتهامات بين اليهود والنصارى وهكذا حال المختلفين (**قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**) وهم المشركون ، كلٌّ يرى الآخر بعيداً عن الحق ، أما أهل الكتاب فعناداً ونقصاً بعد أن عرفوا وحدة التعاليم الدينية بتلاوتهم للكتاب ، وأما المشركون فجهلاً وسفاهةً ، وإن الجميع أمرهم إلى الله (**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦. **فائدة** : ليس هذا الخلاف في الفِرق الضالة خاصة ، بل ذلك يجري بين الملل والنحل المختلفة المتنازعة ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ**

**فَرِحُونَ﴾** الروم/٣٢، **عن النبي (ص)**: (مَاْ إِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إِلاّ ما شاء الله!)شرح النهج٥/١٨١، وهكذا الخلاف يهدم الرأي الصائب ، أولاً تختلف الآراء ، ثم تختلف القلوب ، وتختلف الأهداف والمصالح والمواقف والنتائج كقوله **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** آل عمران/.١٠٥

**١١٤ – ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

إطلاق لفظ المنع يدل بأنه حكم عام في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها. **وَمَنْ أَظْلَمُ** : أشد ظلماً وجرماً. **المعنى** : استنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن منع الناس من عبادة الله في مساجد الله ، **(وَسَعَى فِي خَرَابِهَا)** بذل جهده وعمل لخرابها بالهدم أو بتعطيلها من العبادة أو بمقاطعتها وجرِّ الناس إلى ما يشغلهم عنها ، **(أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ)** فمساجد الله لمن عمّر الإيمان قلبه لا لمن يسعى في خرابها ، فهم لا يستحقون أن يلتجئوا إليها لائذين بحرمتها إلاّ خائفين غير آمنين ، ويستحقون الوقوف بوجههم ومضادتهم وحماية المساجد **(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ويحاربونه بمنع العبادة فيها. **فائدة** : **١-** خراب المساجد مادي ومعنوي: الخراب المادي هدمها وتقذيرها ، والخراب المعنوي: مقاطعتها ومنع المصلين فيها وترهيبهم. **٢-** في الآية دلالة أنه لا يجوز تمكين الكفار والمخربين من دخول المساجد، وهذا يستدعي القوة والقدرة. **٣-** فجعل حضور المساجد عمارة لها ، وتعطيلها إنتهاك حرمة الدين المؤدي إلى نسيان الخالق ، وبالمقابل نشر الفساد في الأرض **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾** الجن/١٨، **عن الإمام الصادق** (ع): (ثَلاَثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ: مَسْجِدٌ خَرَابٌ لاَ يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ. وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لاَ يُقْرَأُ فِيهِ) البحار٨٣/٣٨٥.

**١١٥ – ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**

الأرض كلها لله ، وللمسلم أن يصلي في أية بقعة منها لأن الله خلق الأرض مسجداً وطهوراً. وخص سبحانه المشرق والمغرب دون الجنوب والشمال لأن المشرق والمغرب يشملان جميع الكرة الأرضية إذ ما من مكان إلاّ وتشرق الشمس والقمر عليه أو يغيبان عنه **(فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** **تُوَلُّوا** : تتوجهوا ، حيث توجَّه لله أي عابد وجده **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** الحديد/٤، لأن الله فوق المكان والزمان وقد وسع ملكه الكون. **(إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** فهو واسع الملك ويحيط بكل شيء وعليم بمقصودكم ، وهو ليس كالبشر لا يتم التوجه إليه إلاّ من جهة واحدة ، ونزلت الآية فيمن أضاع جهة القبلة. **فائدة** : الأرض لله لايختص به مكان دون مكان

ولا جهة دون جهة، لأن كلَّ بقعة في الأرض يصدق عليها أنها مشرق للشمس أو مغرب لها ، فإن منعوكم من الصلاة في أيِّ مسجد فصلوا حيثما كنتم فإن الله معكم وإلى أية جهة صرفتم وجوهكم جاز لكم ذلك في ظروف طارئة وحالات معينة استثنائية. (وَعِنْدَ الضَّرُوْرَاتِ تُبَاحُ الْمَحْضُوْرَاْتُ) أما في الظروف الطبيعية أينما صلّى المسلم فعليه أن يتجه إلى ﴿**شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ البقرة/١٤٤.

**١١٦ – ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾**

**وَقَالُوا** أي اليهود والنصارى والمشركون وكل من قال (**اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً**) فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله وأساءوا كل الإساءة وظلموا أنفسهم عندما زعموا أن سمو درجة النبي وقيامه ببعض المعاجز والخوارق يجعله إبناً لله ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وهي دعوى الشرك التي يكذبها الدين والعقل والمنطق السليم حيث تعني تجسيد الله بجسم وتحديده ، والمحدود يكون محتاجاً ومركباً (**سُبْحَانَهُ**) من التنزيه والترفّع عن صفات المادة ، فهو سبحانه منزّه عن مثيله لأن الولد على مثيل والده والله يخلق على غير مثال سابق ، ولا يحتاج إلى التوصل بالأسباب ، وهذا تأديب إلهي لتنزيهه وتساميه عما لا يليق بساحة قدسه فالولد إنما يتخذه الفانون للامتداد ، ويتخذه الضعاف للنصرة ، والله لايخشى فناء ، وقادر لا يحتاج معيناً ، فلا يقاس الله بالناس ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١ ، (**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**) عابدون منقادون محتاجون (**بلسان الحال قبل لسان المقال!**) كما في غررالحكم، **فائدة : ١– (سُبْحَانَهُ)** تنزّه وتقدس عن كل صفة لا تليق بجلاله ، وقد حلم عليهم وعافاهم ورزقهم مع جهلهم إيّاه. فسبحان من له الكمال والجمال والجلال المطلق من جميع الوجوه الذي لا يعتريه نقص من جميع الوجوه. **٢– (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)** : جميعهم ملكه وعبيده عاقلهم وغير العاقل ، وهم مسخرون تحت تدبيره ، فإذا كلهم عبيده مفتقرين إليه وهو غني عنهم فكيف يكون منهم أحد بمثابة له ولداً؟! كما في قوله تعالى ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾ مريم/٩٣. **٣– (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ)** خاضعون وللخضوع مظاهر مختلفة ، الكل خاضع لإرادته ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ الأنعام/٦١ ، وذلك ينافي أن يتخذ ولداً. **والقنوت نوعان** : قنوت تكويني عام وهو قنوت خضوع الخلق كلهم تحت تدبير الله ، وقنوت تشريعي خاص وهو قنوت خضوع العبادة. فالقنوت الأول في هذه الآية ، والقنوت الثاني كقوله ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ البقرة/٢٣٨، مطيعين خاشعين داعين الله.

**١١٧ – ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**

جواب آخر على ادّعاء أن لله تعالى ولداً ، أبطل سبحانه حجتهم بذكر حقيقة اختراع وإبداع السماوات والأرض على غير مثال وحالة مسبقة، إنما ابتدع كل ما خلق على قاعدة (**وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) (مَاْ شَاْءَ اللهُ كَاْنَ، وَمَاْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) كقوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ) التكوير/٢٩ فيكون فعله قوله ، وقوله فعله ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾ القمر/٥٠ ، فلا يوجد أية فترة زمنية بين الإرادة الإلهية وإيجاد الأشياء ، أراد الله أن يخلق السماوات والأرض في ستة أيام كان ذلك، أراد دون زيادة أو نقص ليثبت للإنسان أن الزمن عنصر مهم في إنجاز الأشياء ، فيحتاج إلى صبر وعلم وإيمان وسعي مناسب على إنجازها ، ولو أراد أن توجد في لحظة واحدة لوجدت كما أراد ، فذلك تابع لكيفية ارادته ولما يراه من حكمة ومصلحة ، والإيجاد والتكوين بإتقان الصنع وجمال الخلق وكماله وجلاله فهو من أسرار الله تعالى عبّر عنها بما يقربها من الفهم وهو أن يقول للشيء كن فيكون بلا لفظ ولانطق ولاهِمَّة ولاحركة. **عن الإمام الصادق** (ع) : (عَلِمَ وشاءَ وأرادَ وقدَّر وَقَضَى وَأَمْضَى). **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ اللّهَ إِذَاْ شَاْءَ شَيْئَاً أَرَاْدَهُ ، وَإِذَاْ أَرَاْدَ شَيْئَاً قَدَّرَهُ، فَإِذَاْ قَدَّرَهُ قَضَاْهُ ، فَإِذَاْ قَضَاْهُ أَمْضَاْهُ) ولاَ يَكُوْنُ إِلاَّ مَاْ شَاْءَ اللهُ وَقَدَّرَ وَأَمْضَى) فأمضى ما قضى وقضى ما قدّر وقدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشية ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء. والعلم يتقدّم المشيئة ، والمشيئة تتقدّم الإرادة ، والإرادة تتقدم القدر ، والقدر يتقدّم القضاء والقضاء يتقدّم الإمضاء. (مرحلة التنفيذ) لا تغيير فيها ولا بداء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، وفي مرحلة القضاء إذا لم يتم الإمضاء يسمى بداءً. (***مختصر***) الميزان ١٣/٧٢.

**١١٨ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**

والذين لا يعلمون هم الأميون الجهلاء المشركون ليس لديهم علم من كتاب. وفي هذه الآية إلحاق لأهل الكتاب بالمشركين والكفار ، فلا فضل لليهود على المشركين الذين لا يعلمون ، وهم متشابهو القلوب ، فيكون فكرهم ورأيهم وطبائعهم تصب في ضلال مشترك (وملّة الكفر واحدة) فراحوا يطلبون (**لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ**) مشافهة ويخبرنا بأن مُحَمَّداً نبيه ورسوله (**أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ**) ومعجزة نحن نقترحها ونفرضها ، على الرغم من أن الله قد بيّن الآيات مسبقاً بأدلة كافية وبراهين وافية لو كانوا مستعدين للإيمان (**كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**) فقد طلب قوم موسى أن يروا الله جهرة وتعنتوا في طلب المعجزات الجديدة وهم رأوا المعجزات الكبرى (**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**) وعقولهم في العمى والضلال والإصرار على العناد ، وشر العمى عمى القلوب ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ الحج/٤٦ ، وعبّر عن اللسان بالقلب (**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**) لأن اللسان ترجمان القلب. (**قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) فالآيات لا تُنشئ اليقين إنما اليقين هو الذي يدرك الآيات ودلالتها. فالآيات كثيرات واضحات ولكن لا ينتفع بها إلاّ من يؤمن ويوقن بها فيجد في الآيات مصداق يقينه بالتفكر والتدبر لأن اليقين هو العلم بالدليل والبرهان. **فائدة** :

**١- (الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)** سواء كانوا جاهلين بلا علم ، أو أنهم يعلمون ولكن لا ينتفعون بعلمهم ولا يتعاملون به فهما سواء، **عن النبي (ص)** (العِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلاَّ ارْتَحَلَ) البحار٢ص٣٣. **٢-** هذا التشكيك بالمعجزات مع كثرتها لأنهم عظموا أنفسهم وهي أحقر الأشياء واستهانوا بآيات الله ومعجزاته وهي أعظمها **في غرر الحكم:** (مَنْ لاَيَعْرِفُ قَدْرَهُ يَتَعَدَّى طَوْرَهُ). **٣- (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) في نهج البلاغة خطبة١٥٧** (بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى) والعبادة على قدر اليقين ، والشك يفسد اليقين. **في غرر الحكم** (لاَ تَجْعَلُوْا يَقِيْنَكُمْ شَكَّاً وَلاَ عِلْمَكُمْ جَهْلاً).

**١١٩ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾**

**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ** يا مُحَمَّد (ص) بالحق المنير معلماً لا مصيطراً **﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾** الغاشية/٢٢ ، وجعلنا لدورك له حدوداً وقيوداً ، **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** آل عمران/١٢٨ ، وأنت لست مسؤولاً عن هداية الناس ، وإنما **﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾** يونس/١٠٨ ، وكل مسؤوليتك أن تكون بشيراً ونذيراً. وفي الآية تسلية للنبي (ص) لِئَلاّ يضيق صدره بضلال الناس ، وظيفتك البلاغ المبين ، تبشر الطائعين وتنذر العصاة فينتهي دورك **(وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)** ما دمت قد أديت الرسالة والذين يدخلون جهنم هم الذين أعرضوا عن الهداية فتليق بهم الغواية والمعصية وهذا تبعته على أنفسهم وحدهم **﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾** الرعد/٤٠. **فائدة : ١- (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ)** جعل الله أوصاف الرسول النموذجية (ص) أكبر دليل واقعي على معرفة صاحب الخلق العظيم أنه مصطفى ومختار من الله تعالى. **٢-** وإن الله لم يخلق الناس سدى بلا هدى ، فأرسل إليهم رسوله العظيم بالحق لإلقاء الحجة الكاملة عليهم **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** النساء/١٦٥.

**١٢٠ - ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾**

إنّ الكافرين من اليهود والنصارى لن يرضوا عن النبي (ص) إلاّ بترك الإسلام المنير وإتباع انحرافاتهم وضلالاتهم التي نظموها بأهوائهم ، فالمعركة إذن معركة عقائدية بين الحق والباطل ، ويزعمون أن باطلهم هو الهدى فقل لهم **(إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)** وبهذا الهدى يكثر الاستبصار ويزيد العلم وتنمو التقوى وتسكن النفوس ويستقيم السلوك في جميع الأحوال ، **في غرر الحكم** (كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ الْهُدَىْ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَىْ ؟) وأما ما أنتم عليه فهو الهوى بقوله **(وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)** ولئن سايرتهم على آرائهم الزائفة وأهوائهم الفاسدة بعد الذي جاءك من العلم ليس لك من يتولاك ويحفظك وينصرك. **فائدة : ١-** الخطاب وإن كان لرسول الله (ص) فإن أمته داخلة في هذا الخطاب ، فمن يعمل منهم التطبيع مع

الصهيونية والاعتراف بهذه الغدة السرطانية التي زرعها العالم الغربي بين المسلمين ليحققوا مصالحهم في بلاد المسلمين فإنه منهم وماله من الله من ولي ولانصير ، فإن العبرة من الآية بعموم المعنى لا بخصوص السبب في النزول. **٢-** وكل من إتبع منافعه الشخصية وأهواءه وشهواته وهو يخالف علمه وقناعاته (**مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**). **٣-** (**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**) على سبيل الحصر والتخصيص ، هدى الله هو الهدى ، وما عداه ليس بهدى وإنما هوى ، والهدى لا مساومة فيه بشيءٍ قليل أو كثير ، ولا ترضية على حساب الهدى (**إنَّهُ الحدّيةُ في المبادئِ ، والمرونَةُ في التعامل**) والهوى رأي عن شهوة ودافع إلى محرّم ويؤدي إلى الضّلال ، وسمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى الهاوية وفي الآخرة إلى جهنم. وإنما قال (**أَهْوَاءَهُمْ**) بلفظ الجمع ولم يقل (هواهم) تنبيهاً أن لكل واحد منهم هوىً خاص غير هوى الآخر ، ثم هوى كلُّ واحدٍ منهم لا يتناهى! **٤-** حكم الله بعصمة الأنبياء وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فلا وجه لتحذيرهم من إتباع هوى الكفرة ، فوجب أن يكون التحذير متوجهاً إلى الأمة **عن الإمام الصادق** (ع) (إِيَّاْكِ أَعْنِيْ وَإِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة) البحار٣٨١/٩٢.

**٥-** ترشد الآية على المؤمن أن يصدع بالحق على بصيرة من أمره هو ومن إتبعه ، ولايبالي بمن خالفه مهما قوي حزبه وإشتد أمره ، فمن عرف الحق وإتبعه كان الله ولي أمره وناصره ، فلا يخاف لوم اللائمين. **٦-**(**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**) **عن النبي (ص)**: (لاَ تَزَاْلُ طَاْئِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاْتِلُوْنَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَاْلَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ) كنز العمال خبر٣٤٤٩٦. **٧-** (**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ**..) لن يرضى العدو عن المسلمين إلاّ بالسقوط التام ومحو دينهم ، فالتدين المداهن للكفر هو عين الكفر ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ القلم/٩ ، وليس معنى هذا لانعاشر اليهود والنصارى وإنما لانتبعهم بدينهم ، **عن النبي (ص)** : (جَاْمِلُوْاْ الأَشْرَاْرَ بِأَخْلاَقِكُمْ تَسْلَمُوْاْ مِنْ غَوَاْئِلِهِمْ ، وَبَاْيِنُوْهُمْ بِأَعْمَاْلِكُمْ كَيْلاَ تَكُوْنُوْاْ مِنْهُمْ) البحار١٩٩/٧٤.

**١٢١ -** ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾

الذين يتجردون من الهوى والأنا ويصدقون مع أنفسهم ومع ربهم ومع الناس ، لا يحرفون معاني الكتاب عن مواضعه، ويؤمنون بالحق الذي معك ويتدبرون القرآن الكريم ويأخذونه منهجاً وقائداً لحياتهم (**أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**) من أهل الكتاب طائفة تقرأ الكتاب وتعطيه حقه ، قراءة بعلم تأخذ بمجامع قلوبهم وتدخل في شغاف أفئدتهم، فيراعون ضبط لفظها ويتدبرون معناها ومغزاها ، ويفقهون أسرارها وحكمها ، أولئك الذين يستقرئون النص أكثر من قراءته ، ويعرفون مغزاه أكثر من مبناه ، ويعقلون أن ما جئت به هو الحق ويهتدون بهديه (**أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**) (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**) كفرهم بالكتاب جاء من تحريف كتابهم التوراة والإنجيل ليوافق أهواءهم

ليشتروا به ثمناً قليلاً أولئك هم الخاسرون. **فائدة : ١-** إن الذين يتلون الكتاب بلا تدبر معانيه أولئك لا يفقهون هداية الله في هذا الكتاب ، ولا يتأثرون بأحكامه وكأنهم يستهزئون بربهم وبأنفسهم لأنهم غاب عنهم (إن القرآن حجة لهم وعليهم). **٢- عن الإمام الصادق** (ع) في قوله تعالى **(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)** : (يُرَتِّلُوْنَ آيَاْتِهِ، وَيَتَفَقَّهُوْنَ بِهِ ، وَيَعْمَلُوْنَ بِأَحْكَاْمِهِ ، وَيَرْجُوْنَ وَعْدَهُ وَيَخَاْفُوْنَ وَعِيْدَهُ وَيَعْتَبِرُوْنَ بِقِصَصِهِ وَيَأْتَمِرُوْنَ بِأَوَاْمِرِهِ وَيَنْتَهُوْنَ بِنَوَاْهِيْهِ مَاْ هُوَ وَاللهُ حَفِظَ آيَاْتِهِ ، وَدَرَسَ حُرُوْفَهُ وَتِلاَوَةَ سُوَرِهِ وَدَرَسَ أَعْشَاْرَهُ وَأَخْمَاْسَهُ ، حَفِظُوْاْ حُرُوْفَهُ وَأَضَاْعُوْاْ حُدُوْدَهُ ، وَإِنَّمَاْ هُوَ تَدَبُّرُ آيَاْتِهِ وَالْعَمَلُ بِأَحْكَاْمِهِ) ، قال تعالى ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ ص/٢٩ الكافي ١/٢١٥. **٣- (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)** بعد أن يتلوه حق تلاوته سالِمةً من كلّ خطأ يتبعونه حق إتباعه ، فيكون معنى هذه التلاوة : الإتباع ، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، لذلك ذكر كيفية القراءة وفاعليتها ولم يذكر كميتها ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ**﴾ المزمل/٢٠ ، **عن النبي (ص)** : (لَيْسَ الْقُرْآنُ بِالتِّلاَوَةِ وَلاَ الْعِلْمُ بِالرِّوَاْيَةِ ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ بِالْهِدَاْيَةِ وَالْعِلْمَ بِالدِّرَاْيَةِ) كنز العمال خبر.٢٤٦٢

**١٢٢ - ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**

وما أكثر هذه النعم التي أفاض الله بها عليهم وهم يعاندون ويستكبرون **(وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** بهذه النعم وبهذه الرسالة ، فهو تفضيل نعمة وليس تفضيل قيمة ، فعليكم أن تشكروا النعمة ومنعمها وبالشكر تدوم النعم ، وأن تحذروا النقمة التي تلي كفر النعمة ، والله لقد أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَلقد سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ ، وَأَنَّهُ أَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَرَ ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩. **فائدة: (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** وإني فضلت أسلافكم على عالمي زمانهم وليس تفضيلاً دائماً في جميع العصور، بدليل قوله ﴿**كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾آل عمران/١١٠، وهنا التفضيل للمسلمين الأوائل لكونهم أنصار عقيدة الله، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعتصمون بحبل الله على الوجه الصحيح. وهنا التفضيل مشروط بالنصرة، فإذا حققوا أنصار الله فيحقق الله تعالى لهم خير أمة، فبمقدار توفير المقدمات تحصل النتائج.

**١٢٣ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾**

**اتَّقُوا** : خافوا ذلك اليوم الحاسم الذي يكون كل إنسان مسؤولاً عن نفسه ومحاسباً على عمله ، وليست نفس تستطيع أن تعمل شيئاً تجاه نفسٍ أخرى ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ الإسراء/١٥ ، **(وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ)** أي فدية تقابل ما كسبت **(وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ)** الشافعين ، لأنه لا شفيع إلاّ بإذن الله ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ يونس/٣ ، **(وَلا هُمْ يُنصَرُونَ)** لا يدفع عنهم أحد عذاب الله، والله غالب على أمره. **فائدة : ١-** جاء الخطاب لبني إسرائيل ليقول لهم القول الأخير

بعد إلقاء الحجة عليهم كاملة وبعد هذه المجابهة والجدل الطويل ، وبعد استعراض تأريخهم الأسود ، بعد هذا كله وهم على أبواب الإنذار وقد أعذر من أنذر ، وهم على أبواب الإهمال وأخذ منهم شرف الأمانة وحسن الخلافة ، وهكذا الَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الأَمَانَةُ تَلِيْقُ بِهِ الْخِيَانَةُ ، والَّذِيْ لا تَنْفَعُهُ الْهِدَايَةُ تَضُرُّهُ الْغِوَايَةُ، والَّذِيْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ يَضُرُّهُ الْهَوَى والضَّلاَلَةُ ، **٢- عن النبي (ص)** : (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيْهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلْيَسْتَحْلِلْ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ !) روح البيان١/٢٢٠. **٣- في الحديث:** (مَنْ إِتَّبَعَ قَوْماً عَلَى أَعْمَاْلِهِمْ حُشِرَ فِيْ زُمْرَتِهِمْ ، وَحُوسِبَ يَوْمَ القِيامَةِ بِحِسَاْبِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِأَعْمَاْلِهِم) روح البيان١/٢٢٠، **عن النبي (ص)**: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) كنز العمال خبر٢٤٦٨٤ **وفي الحديث:** (مَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَاْ فَكَأَنَّهُ غَاْبَ عَنْهَا، وَمَنْ غَاْبَ عَنْهَاْ فَأَحَبَّهَاْ فَكَأَنَّهُ حَضَرَهَاْ) المصدر السابق. **٤-** راجع الآيتين ٤٧ و٤٨ من سورة البقرة.

**١٢٤ - ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**

بعد أن أنذرت الآيات السابقة بني إسرائيل ، ليؤكد القرآن أن المسلمين هم ورثة رسالة الله ، وأن بني إسرائيل فقدوا تلك الأهلية بظلمهم. **ابْتَلَى** : اختبر ، **بِكَلِمَاتٍ** : أوامر ونواهي. **المعنى** : فقد امتحن الله إبراهيم (ع) بكلمات وهي الإبتلاءات المتوالية عليه من أمره بذبح ولده ، وترك عائلته في صحراء مكة والهجرة من أرض المشركين ، وكسر الأصنام ، والإلقاء في النار وغيرها ، حتى يتأهل بهذه الإمتحانات ليصل إلى مراحل التكامل الإنساني المتألق وهي **(فَأَتَمَّهُنَّ)** فقام بِهُنَّ خير قيام **(قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً)** قدوة يقتدون بك ويتبعونك في أقوالك وأفعالك **(قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)** وطلب أن يمنّ على بعض ذريته بالإمامة أيضاً **(قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي)** لا يصل إلى هذا الفضل العظيم أحد من **(الظَّالِمِينَ)** العاصين المتجاوزين لحدود الله بمعنى من أهم شروط القيادة العدل وحسن السيرة.

**فائدة: ١-** ابتلاء إبراهيم من ربه تشريف له وتربية وترشيح لمنزلة سامية ، كلفه بأوامر ونواهي يظهر بها استحقاقه للإمامة العظمى ، والقيادة الكبرى التي يقتدى بها في حياة الناس ومن صفاتها أنها حصّلت على صفات الكمال والجمال والجلال ، وتركت جميع النقائص والعيوب مما جعلها مؤهلة للصعود إلى منزلة **(العصمة)** قال تعالى **﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** آل عمران/١٠١ ، **في غرر الحكم:** (بِالتَّقْوَى قُرِنَتِ الْعِصْمَةُ) ، وهكذا نال أئمة أهل البيت (ع) منزلة (الإمامة) لكونهم امتداد للنبوة ونظام للأمة وزمام الدين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ووحدتهم. **٢- (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** فالإمامة ممنوعة عن الظالمين لأنهم بعيدون عن الله بمقدار ظلمهم ، وإنهم لا يصلحون لكل إمامة ، كإمامة الرسالة أم الخلافة أم قيادة الأمة أم إمامة الصلاة.. وهل هناك أمر أعظم من تولي قيادة الناس على صراطٍ مستقيم ، فلا يمكن أن يحكم

الناس حاكم ظالم أو فاسق ثم يرضى المؤمنون عن توليه أو منعه من ظلمه لئلا يدخلهم الله مدخله **عن النبي (ص)** : (مَنْ دَعَى لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ ، فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ فِي أَرْضِهِ)البحار٧٥/٣٣٤.

**٣- (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)** صلة القرابة ليست باللحم والدم والنسب عند الله وإنما هي صلة عقيدة وصفة إيمان وإمامة قيادة ذات مؤهلات خاصة نموذجية فكراً وقولاً وسلوكاً وأخلاقاً مع الناس. **٤-** الآية ذات دلالة مطلقة ، صحيح أنها نزلت في خصوص السبب ولكن أريد لها عموم المعنى ، فهي غير مقيدة بزمان ولا مكان. **٥-** فإمامة إبراهيم كانت بعد النبوة ، غير منزلة إمامة أهل بيت بلا نبوة (فلَيسَ كلُّ نبيّ إماماً، كما أنَّهُ لَيسَ كلُّ إمامٍ نبياً).

**٦-** الإمامة تكليف وتشريف وفضل من الله لا تنال بالكسب وإنما لها مؤهلات خاصة لرعاية الأمة وحسن سياستها، وهي بحاجة إلى اصطفاء ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِياً وَإِنَّ اللهَ إِتَّخَذَهُ نَبِيَاً، قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُوْلاً، وَإِنَّ اللهَ إِتَّخَذَهُ رَسُوْلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيْلاً، وَإِنَّ اللهَ إِتَّخَذَهُ خَلِيْلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَامَاً، فَلَمَّاْ جَمَعَ لَهُ الأَشْيَاْءَ قَاْلَ **(إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً)** الكافي١/١٣٣. **٧- (ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ) فلسفة البلاء** : لا يخبر الله سبحانه عباده حقيقة لأنه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكنه يكلفهم ليظهر الناس معادنهم وحقيقتهم، وحتى يميز الخبيث العاصي المستحق للعقاب من الطيب المطيع المستحق للثواب ﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ الأنفال/٣٧ ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (مَاْ مِنْ قَبْضٍ وَلاَ بَسْطٍ إِلاَّ وَللهِ فِيْهِ مَشِيَّةٌ وَقَضَاْءٌ وَابْتِلاَءٌ)التوحيد ص٣٥٤. **٨-** فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَاْرِهِ مَكَاْرِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاْتِ خِبْرَاْتٌ، وَفِيْ الْبَلاَيَاْ بِدَاْيَاْتٌ نِهَاْيَاْتُهَاْ الْكَرَاْمَاْتُ ، **عن الإمام العسكري** (ع) : (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فِيْهَاْ نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَا !) البحار٧٨/٣٧٤.

**١٢٥ -** ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾

**مثابة**: المكان الذي يرجع إليه وتهفو له القلوب ، **الطواف**: الدوران، **الإعتكاف**: الإقامة وملازمة المكان. **المعنى**: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ)** مثابة مرجعاً يتوبون إليه ويترددون عليه ويتعلقون به ولا ينفكون عنه فهم مشدودون إليه وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه ، فيحجونه ويقصدونه مرة بعد أخرى وهي دعوة إلى ضيافة الله تعالى لتربية النفوس وطهارتها ، فهم لا يقصدونه كحجر وإنما يقصدونه امتثالاً لأمر الله تعالى **(وَأَمْناً)** موضع أمن وأمان واطمئنان ، وأمان لأهله ، وعدم سفك الدم فيه ، كان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له ، ويأمن الذي يحجه من اهوال يوم القيامة من حيث أن الحج المبرور يجُبُّ ما قبله ، أي يقطع ويمحو ما بين العبد وربه أما حقوق الناس فلا يمحوها شيء **(وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)** واتّخذوا صيغة أمر ، من مقام إبراهيم المعروف للناس في الكعبة المشرفة مكاناً للصلاة بقدر الإمكان **(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ)** أمرناهما **(أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي)** خلصاه من الأوثان والخبائث وكل النقائص ، ليكون خالصاً للطائفين

حوله والمعتكفين الملازمين له والمقيمين عنده والمصلين فيه بين راكعٍ وساجدٍ وداعٍ ، فجمعت الآية أصناف العابدين في البيت الحرام : الطائفين والمعتكفين والمصلين. **فائدة : ١- (أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ)** حكم عام وإن أريد به الخصوص ، بمعنى طهر الكعبة وجميع بيوته (مساجده) تعالى في الأرض فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافة والإحترام ، وإنما خص الكعبة بالذكر لأنه لم يكن حينئذٍ غيرها. **٢- في الحديث : (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)** (إِنَّ الرُّكْنَ (الحجر الأسود) وَالمَقَامُ (مقام إبراهيم) يَاقُوُتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيْتِ الجَنَّةِ ، وِلَوْلاَ مُمَاسَّةِ أَيْدِيْ الْمُشْرِكِيْنَ لأَضَاءَتَاْ مَاْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)روح البيان١/٢٢٦. **٣-** وسمّى الله الكعبة بيته لتشريفه ولأنه يجذب قلوب المؤمنين إليه ليجعله مكاناً للعبادة الخالصة من خلال تطهير قلوبهم وتقوية الروابط الإيمانية مع ربهم. **في غرر الحكم:** (قُلُوْبُ الْعِبَاْدِ الطَّاْهِرَةِ مَوَاْضِعُ نَظَرِ اللهِ سُبْحَاْنَهُ، فَمَنْ طَهَرَ قَلْبُهُ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ (ليرحمه)). **٤- روي :** (الْحَرَمُ كُلُّهُ مَقَاْمُ إِبْرَاْهِيْمَ) والإسلام لا يقدس شيئاً من دون الله وإنما يلفت النظر لأهميته التربوية فهو الواسطة بين العبد وربه.

**١٢٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**

دعا إبراهيم (ع) ربه وطلب إليه ان يجعل البيت الحرام مكاناً آمناً من كيد الجبابرة والغزاة والقحط والعواصف والزلازل، ويجتمع فيه الناس للعبادة بلا خوف **(وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)** كان دعاء إبراهيم الأول فيه إطلاق فجاء جواب ربه **(لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** وهنا في دعائه (ع) أن يرزق الله أهل هذا البلد من الثمرات المتنوعة المادية والمعنوية، وقيده بالمؤمن **(مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ)**، قال تعالى جواباً له **(قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً)** ويرزق الله من كفر أيضاً كما يرزق المؤمن ، لأنه من حق الخلق تحقيق الرزق ولايدل الرزق على رضا الله عليه **﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾** الإسراء/٢٠ أما الكافر فأمتعه في الدنيا قليلاً وكل متاع الدنيا قليل مهما كثر وتنوع فهو محدود ضمن مدة العمر ويتخلله المنغصات ، فتكون لذّاته قليلة وتبعاته كثيرة، فهو متاع قليل بالنسبة إلى نعم الآخرة ، وكيف لا يقل ما يتناهى ؟ **(ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)** العقاب في الآخرة لمن عصى وتمرّد والثواب لمن أطاع وترشّد، أما في الدنيا القصاص على قدر الجناية ، والرزق لمن سعى له سعيه براً كان أو فاجراً ، **عن الإمام علي** (ع) : **(الرِّزْقُ رِزْقَانِ:** رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ) شرح النهج١٦/١١٢ فالرزق الذي يأتيك محدد بدوام الحياة إلى الأجل ، والرزق الذي تأتيه رزق الرفاهية والثراء. **فائدة: ١- (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ) الإضطرار** : حمل الإنسان على ما يضره ، وأن يفعل ما يكره باختياره بحيث يتعذر عليه التخلص منه ، وهذا مثل قوله تعالى **﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾** الأعراف/١٨٢ ، **بمعنى** : نمدهم بالنعم وينسوا الشكر عليها ، فإذا أخذتهم النعمة وحجبوا عن المنعم بكثرة المعاصي

، عرّضوا نفسهم لسخط الله تعالى ، **الحكمة** من إمهال الله للعصاة ولم يأخذهم بغتة في الدنيا : ليرى العباد رحمة الله أن العفو والإحسان أحبّ إليه من الأخذ والانتقام ، لأن رحمته سبقت غضبه ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/١٢. **٢- (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) عن الباقر** (ع) : (الْمُرَاْدُ بِذَلِكَ أَنَّ الثَّمَرَاْتِ تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الآفَاْقِ) مجمع البيان١/٤١١وقد يتم زرع الثمرات بالقرب منه ، وحصل كلاهما.

**١٢٧ - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**

**القواعد** : الأسس والأصول التي كانت قبل ذلك. **المعنى:** بيّن سبحانه في هذه الآية كيف بنى إبراهيم البيت الحرام، وقد كان إبراهيم (ع) يبني وإسماعيل (ع) يناوله الحجر فوصفا بأنهما رفعا البيت، وبعد أن أتم إبراهيم قال : **(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**. يدعوان الله لطلب رضاه وقبوله للعمل لأن رضاه سبحانه مقياس صحة العمل.

**فائدة: ١- (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ)** ورد التعبير **(يَرْفَعُ)** بصيغة المضارع حكاية عن الماضي ، فهو من محاسن البيان وهو استحضار الماضي وكأنه الحاضر ، وكأن السامع ينظر إلى البنيان وهو يرتفع. ويدل رفع الأساس وهو البناء عليه أن البيت كان مؤسساً قبل إبراهيم ، وإنما بني على الأساس السابق ، وقيل عن أهل البيت (ع) : **أوّل من بنى الكعبة آدم (ع) وأوّل من حجَّ ثم تهدمت في طوفان نوح** مجمع البيان١/٤١٢. **٢-** في الآية دلالة على انهما بذلا في ذلك غاية الوسع ولم يقع منهما تقصير في البناء لذلك قالا **(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**. **٣-** ودلت الآية أيضاً على ان الواجب على كل مأمور بعمل إذا فرغ منه وهو أعلى درجة الإتقان لأنه بذل فيه ما بوسعه وكامل جهده (أَتقِنْ عَمَلَكَ تَنلْ أَمَلَكَ) ثم يتضرع إلى الله بالقبول. **٤-** ودلت الاية إنما يتقبل الله الأعمال ما خلص منها إليه و﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ المائدة/٢٧ ، وإن الإخلاص غاية الدين وأعلى الإيمان ودرجة اليقين. **٥-** فضل الكعبة لا بأحجارها ولا بمكانها ، ولكن أمر تعبدي كاستقبال الكعبة في الصلاة ، وجعل التوجه إليها توجهاً لله تعالى الذي لا يحده مكان.

**١٢٨ - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾مسلمين لك** : إجعلنا خاضعين لك منقادين لحكمك ومن ذريتنا من يسلم وجهه لله ويخضع لمنهجه **(وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)** علمنا مناسك الحج وكل منهجك المستقيم لنقوم به على وجهه الصحيح كما يدل عليه عموم اللفظ ، لأن **النسك** : التعبد بمعناه العام. **وفي غرر الحكم** (أَفْضَلُ الْعِبَاْدَةِ، غَلَبَةُ الْعَاْدَةِ) السيئة. **(وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** هذا طلب أو رجاء هو ضرب من العبادة، وإن لم يكن هناك ذنب حتى يقتدي بهما الناس. **فائدة: ١- (وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) الإسلام** : أول مراتب العبودية ، والإسلام درجات ومنازل وتمام العبودية تسليم العبد كل نفس ونفيس إلى ربه حتى الوصول إلى درجة الكمال الإنساني ، وهذا الكمال يتطلب

عوناً من الله تعالى للوصول إليه. وأيضاً يأتي معنى الإسلام من الاستسلام لأمر الله بالرضا. **٢-** وخص الذرية بالدعاء كونهم أحق بالشفقة وإن إصلاح أولاد الأنبياء والعلماء سبب لصلاح عامة الناس (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ). **٣-** والعمل الصالح يساهم في صلاح الذرية ويزيد صاحبه هدىً وعلماً بأساليب العمل ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ العنكبوت/٦٩. **٤-** الآية تحث على الدعاء والتضرع إلى الله ، لأَنَّ الدُّعَاءَ سِلاَحُ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ، وَمِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، وَيُغْلِقُ أَبْوَابَ النِّقْمَةِ ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ غافر/٦٠ ، **عن النبي (ص)** : (لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاّ الدُّعَاءَ) البحار٩٣/٢٩٦.

**١٢٩ -** ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾

وكانت الإستجابةلدعوة إبراهيم وإسماعيل هي بعثة الرسول الكريم بعد قرون طويلة ، الذي قال : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى (**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ**) يقرأ آيات القرآن (**وَالْحِكْمَةَ**) هي وضع الشيء في موضعه المناسب من قول أو عمل والشريعة الصحيحة هي الحكمة (**وَيُزَكِّيهِمْ**) يطهرهم من الشرك وكل العيوب والنقائص (**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) **العزيز** : القوي الذي لا يُقهر ولا يُغلب ، **الحكيم** : الذي يفعل ما تقتضيه المنفعة والمصلحة **فائدة** : من دعاء إبراهيم قدم التعليم على التزكية (**وَيُعَلِّمُهُمْ... وَيُزَكِّيهِمْ**) ولكن في مورد إستجابة الدعاء قدّم التزكية على التعليم ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ الجمعة/٢ ، ليلفت أنظارنا إن التزكية أهم وأرقى ومقدمة على التعليم ، فبمقدار التزكية للنفس يتطور العلم ويتقدّم كقوله ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢.

**١٣٠ -** ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ**﴾

**يَرْغَبُ** : ينصرف ويعرض ، الفرق بين يرغب فيه ويرغب عنه ، **الرغبة فيه** : المحبة ويقال رغبت فيه أي أحببته وملت إليه ، **ورغبت عنه** : أي زهدت فيه وإنصرفت عنه. **سَفِهَ نَفْسَهُ** : استخف بها وأهانها ، **اصْطَفَيْنَاهُ** : اخترناه. **المعنى العام** : ملة (دين) مُحَمَّد (ص) هي ملة (دين) أبيكم إبراهيم (ع) الذي إليه تنتسبون فكيف تعرضون عنها ؟ (**وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ**) ولقد اجتبيناه من بين خلقنا وجعلنا في ذريته أئمة يهدون بأمرنا، وجعلناه في الآخرة من المشهود لهم بالخير والصلاح. ولقد اخترنا مُحَمَّداً في الدنيا نبياً وفضلناه على العالمين وهو في الآخرة في أعلى مكان من العزة والكرامة ، فمن أعرض عن ملة مُحَمَّد (ص) فقد أعرض عن ملة إبراهيم ، والتفرقة بين ملة مُحَمَّد (ص) وملة إبراهيم (ع) هي سفه وحمق وضلالة وجهل.

**١٣١ - ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

**(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ)** إختاره ربه وأمره أن يسلم ، فلم يتلكأ ولم ينحرف واستجاب فور تلقي الأمر **أَسْلَمْتُ** : أخلصت الدين لله تعالى : **(قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** **أَسلمت**: من التسليم، أي : استسلمت لأمر الله وخضعت لحكمه ، هذه هي ملة إبراهيم (ع) الإسلام الخالص الصريح **﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾** الزمر/٣ ، إسلام الإنسان لله تعالى هو وصف الانقياد والقبول منه لما يرد عليه من الله سبحانه من حكم تكويني من قضاء وقدر أو حكم تشريعي من أمر ونهي ومن هنا كان للإسلام مراتب ، وجعلها كلمة باقية في عقبه وتوارثت فيهم حتى وصلت ليعقوب فوصّى بها بنيه ، والآية التي بعدها توضح ذلك. **فائدة** : **١- الإسلام أربع مراتب** : **أ-** القبول بالشهادتين لساناً سواء خالف القلب أو وافق **﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** الحجرات/١٤ ، **ب-** التسليم والانقياد القلبي لكل الإعتقادات الحقة **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** الحجرات/١٥ ، **ج** - إذا ترسخ الإيمان بالقلب بحيث أصبح الهدى يسيطر على الهوى ، والنفس اللّوامة تسيطر على النفس الأمارة بالسوء ، صار الإنسان يعبد الله كأنه يراه ، **د-** صدق العبودية لله والتسليم لأمر الله وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه تصبح الشخصية مستقيمة ثابتة تتوازن عندها مطالب العلم والإيمان والأخلاق **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** يونس/٦٢.

**١٣٢ - ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**

ولم يكتفِ إبراهيم أن يحتفظ بملته (بدينه) بنفسه وإنما تركها في عقبه وجعلها وصيته في ذريته وهي **﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** البقرة/١٣١ ، ووصى بها إبراهيم بنيه كما وصّى بها يعقوب بنيه وذكرهم بنعمة الله عليهم في إختيار الدين لهم ، فهو إختيار الله فلا إختيار لكم بعده فهو قمة الإختيارات بل هو الحياة ، فذوقوا طعم الحياة به، وقوموا به وطبقوا شرائعه وتزينوا به وزينوه للناس **(يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ)** وأقل ما توجبه رعاية الله لكم هو الشكر العملي قبل الشكر القولي لله تعالى على نعمة إختياره لكم الدين **(فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** وبما أن الموت لم يكن بيد الإنسان ويمكن أن يداهمه في كل لحظة فعليه أن يكون في كل لحظة مسلماً ومستسلماً لأمر الله متمسكاً به، لأن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء حشر عليه، **عن النبي (ص)** (إذا مَاتَ أحدُكُمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨، لذلك صار الموت تحفة المؤمن وريحانته. **فائدة** : **١- (اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ)** أعطاكم صفوة الأديان (من بين جميع الطرق) وهو دين الإسلام فكونوا صفوة الخلق وقادة الحق حتى الموت ، **في غرر الحكم**: (إِذَاْ إِسْتَخْلَصَ اللّهُ عَبْدَاً

أَلْهَمَهُ الدِّيَانَةَ) ، لأن الدين القيم هو الحياة الآمنة المطمئنة التي تعتمد التوازن بين الروح والجسد ، والدنيا والآخرة ، والحياة والموت والأمل والعمل ، والعلم والإيمان... **٢-** في الآية دلالة على الترغيب في كتابة الوصية قبل الموت ، سواء الوصية الأخلاقية والوصية الشرعية. **٣- (إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)** خص البنين لأنهم أجدر بقبول الوصية ، والأقربون أولى بالمعروف. **٤- عن الإمام الصادق** (ع) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ إِئْتَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ) البحار٧٥ص٥١.

**١٣٣ - ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**

قال اليهود إن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية وهم يحملون وصاياه ، فيجيبهم بأنهم لم يكونوا حاضرين حين إحتضار يعقوب (ع) وهو على فراش الموت ، إن الذي قاله يعقوب لبنيه **(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي)** ما هو معبودكم بعد موتي سألهم ليستوثق منهم ، فأجابوه **(نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)** مطيعون ، أكدوا إذعانهم لرسالة الله وتسليمهم له ، بإتباع ملَّة إبراهيم والغرض البراءة من الشرك والإنحراف عن الحنيفية السمحة ، فلا حجة لأحد منهم في ترك الإسلام والدعوة إلى غيره. **فائدة : ١- (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ)** أكنتم شهداء **بمعنى** حاضرين ، يريد ما كنتم حاضرين يجب أن يكون الكلام عن علم ووعي وحجة ، **٢- (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)** دلت الآية إلى أن دين الله واحد وهو الإسلام في كل أمة وعلى لسان كل نبي **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾** آل عمران/١٩، **الإسلام** : بمعنى الاستسلام لله ولرسالته.

**١٣٤ - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

**خلت** : مضت إلى ربها. **المعنى** : كل إنسان له عمله ويجازى عليه ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلاّ إيمانه وتقواه وعمله الصالح هذا ما كسبه ، فإشتغالكم أنكم على ملَّة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق بمجرد القول والانتساب هذا أمر فارغ ولا ينفع ولا ينجي ، بل الواجب عليكم أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها ، هل تصلح للنجاة ؟ لأنكم مسؤولون عن أنفسكم على ضوء أعمالكم ، ولا يخلصكم حسنات أجدادكم الصالحين ومن يعمل خيراً أو شراً يجز به **(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** إنه سنة الله في عباده ألا يجزي أحد إلاّ بما كسب وعمل وليس هو مسؤول عن عمل غيره ، فلكل حسابه. **عن النبي (ص)** : (يَا بَنِي هَاشِمٍ لاَ يَأْتِيَنَّي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ) روح البيان١/٢٤٠. **وعنه (ص)** : (مَنْ أَبْطَأَ بِهِ

عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) المصدر السابق، **وعنه** (ص) : (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ) روح البيان١/٢٤١ قيل يا رسول الله وما إخلاصها؟ **قال** (ص) : (أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ) المصدر السابق، ﴿**أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ النجم/٣٨.

**١٣٥ –** ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾

**الحنيف**: المستقيم ، المائل عن الدين الباطل (**المبتَدع**) إلى دين الحق (**المتبَع**) فالذي لا يتبع يبتدع! قال اليهود: كونوا يهوداً تهتدوا لأن الهداية باليهودية وحدها ! وهذا احتكار الهدى تعصباً ومكراً ، وقال النصارى مثل قولهم ، وقال الله لنبيه (ص) (**قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ**) إني أتبع دين إبراهيم وهو التوحيد الخالص والإسلام الصادق ، ولم يكن إبراهيم من المشركين ، بينما أنتم يا أهل الكتاب مشركون إذن لاصلة بينكم وبينه ، وهذا معناه أنهم انحرفوا عن دينهم الصحيح بعد تحريفه. **فائدة:** كشف عن مظاهر الانحراف عن الدين الحنيف ، عبّر عنها بالشرك سواء الشرك الخفي أو الجلي ، سواء **بالشرك** في العقيدة أو الشرك في المنهج وهكذا تكون القومية شرك إذا كانت بلا دين ، والعصبية شرك ، **عن النبي (ص)**: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ) سنن أبي داود خبر٥١٢١ والعلمانية شرك ، ومقولة (ساعة لربي وساعة لقلبي) شرك ، وإتباع الهوى شرك ﴿**أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ الفرقان/٤٣ ، ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ يوسف/١٠٦... وهكذا.

**١٣٦ –** ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾

**الأسباط** : الأحفاد وهم أولاد إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق وهم إثنا عشر سبطاً من إثني عشر إبناً ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل. الخطاب للمسلمين بالالتزام بالأصول العامة للرسالة. **المعنى** : (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**) وهذا الأصل الأول التي تبنى عليه جميع الأصول في هذا الدين القيّم (**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**) وهو القرآن الكريم والإيمان به إيمان بمحمد (ص) (**وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ**) والكتب السماوية لم تنزل إليهم جميعاً ، وإنما نزلت إلى إبراهيم ولكن صحة النسبة إلى الجميع بالنظر إلى أنهم متعبدون بها (**وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى**) التوراة والإنجيل (**وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ**) كالزبور المنزل على داوود (**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**) نؤمن بكل نبي يؤمن به مُحَمَّد (ص) دون استثناء ، سواء عندهم كتاب أم لم يكن. (**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) خاضعون مستسلمون لمنهج الله طائعون لله وحده ولرُسُلِهِ الكرام لأنهم يستقون من معين واحد تقي نقي. **فائدة** : **١- (قُولُوا)** بألسنتكم ما يتوافق مع قلوبكم لأن النطق باللسان

بدون اعتقاد بالقلب نفاق وكفر. **٢-** (**وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ**) دلالة على أن عطية الدين هي عطية السعادة في الدنيا والأخرة ، وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨. **٣-** إشتملت الآية على أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وإشتملت على الإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة. **٤-** تلك الوحدة الكبرى بين الرسل والرسالات السماوية جميعاً هي قاعدة التصور الإسلامي التي تجعل الأمة الوارثة للإسلام والتي تجعل النظام الإسلامي النظام العالمي التي تحيا البشرية تحت ظله في مودة وسلام، ومن أعرض عن هذا النظام العالمي الواحد الأصيل فسوف تتلاقفه الأنظمة المتنوعة التي تعيش الشقاق والنفاق ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ يونس/٣٢، **تصرفون** : كيف تعرضون عن الإيمان ويأخذكم الضلال ؟

**١٣٧ -** ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

فإن آمن الآخرون بمثل ما آمن به المسلمون فقد اهتدوا (**وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**) وإن أعرضوا ورفضوا فإنما هم في منازعة وإفتراق وعناد للحق **الشقاق** : دل تنكير شقاق على امتناع الوفاق ، الذي يكون في شق معين، والله ورسوله في شق آخر ، ويتبع المشاقة العداوة البليغة والبغضاء والعمل بما يؤذي ، لهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم (**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) فسيحميك الله من شرهم هذا وعد من الله لنصرة الإسلام على أعدائه ، وقد أنجز وعده لرسوله (ص) وسيتم نصره للأمة الإسلامية ويكفيهم مكر الماكرين والله لهم بالمرصاد وهو (**السَّمِيعُ**) لجميع الأصوات بإختلاف اللغات مع تفنن الحاجات (**الْعَلِيمُ**) بأفعالهم ما ظهر منها وما بطن. وفيه معجزة الإخبار بالشيء قبل وقوعه.

**١٣٨ -** ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾

(**صِبْغَةَ اللَّهِ**) : الصبغ ما يلون به الثياب فإنه حلية المصبوغ ، الصبغة في الآية مستعارة لفطرة الله التي فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان ، فطرة متجانسة مع المنطق الإنساني ، شبهت الخلقة السليمة ذات الفطرة المستقيمة بصبغ الثوب من حيث أن لكل واحدة منها حُلية ، والتقدير صبغة الله أي فطرنا الله وخلقنا على استعداد قبول الحق وإتباعه والتحلي بحلية الإيمان. وقد تكون (**صِبْغَةَ اللَّهِ**) الإيمان به لأن الإيمان يطهر النفوس ويهذبها ويزكيها ويرفعها بصفات نموذجية مميزة مما يجعلها مفضلة في الوسط الإجتماعي (**صِبْغَةَ اللَّهِ**) العبودية الكاملة لله تعالى وما أروعها من صبغة ، إذن : لا وزن لكل الصبغات المنحرفة والمزيفة التي تكون عبوديتهم لغير الله ، للمال أو للجاه أو للنساء.. (**صِبْغَةَ اللَّهِ**) دينكم القيم ، إلزموا دينكم بكليته واستقيموا له حتى يستقيم لكم فيكون لكم صبغة مميزة وصفة مهمة بارزة من صفاتكم ، وصار للدين طبيعة مؤثرة فيكم وتعرفون بها

وتؤثرون بالناس من خلالها فهي صفة لكم وصبغة تطبع سلوككم في أقوالكم وأعمالكم كما يظهر أثر الصبغ في الثوب. **عن الإمام الصادق** (ع): (صِبْغَةُ اللهِ هِيَ الإِسْلاَمُ) نور الثقلين١/١٣٢ وهي التي تقوم عليها وحدة الإنسانية في العالم ، صفة إنسانية متكاملة تجمع الإيجابيات وتنفي السلبيات لتقوم عليها صفات محببة للجميع لا تعصب فيها ولا أحقاد ولا أجناس فيها ولا الوان (**صِبْغَةَ اللَّهِ**) كلمة بليغة واسعة الدلالة ، دقيقة المبنى عميقة المعنى ، كلمة شفافة تدخل إلى مشاعر الإنسان بلا إستئذان ، لأنها تدور مع حركة الدم وتنسجم مع أسس الطبع ويهواها البشر كطموح (**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً**) لا احد في العالم يأتي بنظام متكامل يتصف بصفات جذابة متوازنة محبوبة تكون صبغته البارزة عليه ويكون أحسن من صبغة الله ونظامه ودينه القيم التي تنمو الحياة متسامية في ظله وتنحرف في غيره.

**وإذا أردت أن تعرف الفرق بين صبغة الله وبين غيرها** من الصبغ فقس الشيء بضده ، لأنها تُعرف حقيقة الأشياء بضدها ، مثل اليهود تصبغ أبناءها بطبائع اليهود وكذلك النصارى ، فهم يلقنون أولادهم عادات اليهودية والنصرانية ، وكذلك المسلمون يصبغون أبناءهم بعلوم القرآن الكريم وبالعبادات ، فتظهر أثر الطهارة في الصلاة وتزكية النفس في إقامتها فتنهى عن الفحشاء والمنكر (**وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**) مطيعون في إتباع صبغته الجميلة ، لا نطيع ما صبغنا عليه عادات وتقاليد الآباء والأجداد غير المؤمنين الذين يغلب عليهم العُرف على الدين ، ولا نتبع كل الأنظمة الوضعية التي تحكم بغير ما أنزل الله ، التي فرقت الناس، نحن نؤمن بصبغة الله الواحدة ونرفض كل الألوان الأخرى من الصبغات ، ولا ندع لحواجز اللغة والمصلحة والإقليم والمذهب واللون والعنصرية والعصبية.. أن تفرقنا ، تطلي كل جماعة بلون مختلف فتكون أنواع الصبغات والتشكيلات، ونحن نطلي أنفسنا (بصبغة الله) الواحدة الموحدة المتحدة ومن أحسن من الله صبغة...؟ ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ**﴾ الشورى/٥٢-٥٣ **في نهج البلاغة خطبة٨٧**: (مَنْ نَظَرَ بِعَقْلِهِ وَاسْتَبْصَرَ بِقَلْبِهِ رُشِدَ وَهُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

**١٣٩ –** ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**﴾

**المحاجة** : المجادلة في المسائل الخلافية. **المعنى** : إدّعى اليهود أنهم أحق بالدين لكثرة بعث الأنبياء فيهم وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، فردهم القرآن بأن الله (**هُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**) ورب الجميع ، ولا يفضل شعب على شعب (**وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**) لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم لا يتحمل أحد وزر (ذنب) غيره (**وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ**) وبالإخلاص يكون الخلاص. **المعنى العام** : لا موضع للجدل في وحدانية الله وربوبيته فهو ربنا وربكم ونحن مسؤولون عن أعمالنا من دونكم وأنتم مسؤولون عن أعمالكم من دون غيركم ، ونحن مخلصون لله ولا نشرك به شيئاً وهذا موقف المسلمين الثابت وغير قابل للجدل والمحاجة. **فائدة: ١– عن النبي** (ص) : (لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةٌ

وَمَاْ بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيْقَةَ الإِخْلاَصِ، حَتّى لاَ يُحِبَّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَىْ شَيءٍ مِنْ عَمَلٍ لله) مستدرك الوسائل ١ص١٠ ﴿**أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، **عن النبي (ص)**: (تَمَاْمُ الإِخْلاَصِ إِجْتِنَاْبُ الْمَحَاْرِمْ) كنز العمال خبر٤٤٣٩٩.

**١٤٠ –** ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾

يتابع القرآن الرد على أهل الكتاب في إدعاءاتهم ومنها أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين لأنهم كانوا هوداً أو نصارى ، فردّ الله عليهم (**أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ**) ليس هذا سؤالاً بل توبيخاً ، حيث لا محل للسؤال إطلاقاً. هل أنتم أعلم من الله بعبادة أنبيائه ؟! وفيه من الاستنكار ما يقطع الخصام (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ**) لا أحد أظلم ممن أخفى وكتم ما اشتملت عليه آيات التوراة والإنجيل من البشارة برسول الله ولا أحد أظلم ممن كتم ما أخبر الله عنه من أن الأنبياء الكرام السابقين كانوا على الإسلام (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) والله مطلع على أعمالهم المنحرفة ومجازيهم عليها وفيه وعيدٌ شديد.

**فائدة:** كتمان الشهادة أعظم الظلم وكذلك كتمان الحقائق والعلوم ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾ البقرة/٢٨٣. **عن النبي (ص)** : (مَنْ كَتَمَ شَهَاْدَةً إِذَاْ دُعِيَ إِلَيْهَاْ كَاْنَ كَمَنْ شَهِدَ الزُّوْرَ) كنز العمال خبر١٧٧٤٣، فهي شهادة عندهم مودعة من الله لا من الخلق ، فيقتضي العناية والرعاية بإقامتها على الوجه الصحيح.

**١٤١ –** ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾

تكرير الآية **١٣٤من سورة البقرة** ، للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والإتكال على أمجادهم ، قال تعالى ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ**﴾ المؤمنون/١٠١ ، تؤكد الآية مرة ثانية بأن النفع الحقيقي بالأعمال لا بالأنتساب المجرد لمواقع الرجال. هذه قاعدة أقرتها الأديان جميعاً وثبتها القرآن وأيدها العقل ، فلا نغتر بشفاعة الشافعين ونجعلها وسيلة لنا في النجاة إذا نحن أسأنا في عملنا ، فكل أمة من السلف والخلف تجزى بعملها ولا تنتفع أمة بعمل غيرها لا تُسألون عنهم ولا هم يُسألون عنكم فالواجب عليكم الإهتمام بما تُسألون عنه ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ الإنفطار/١٩. **فائدة : ١–** تطور الزمان لا يؤثر في اختلاف التشريع، وإنَّ على الأمة أنْ تفكر تفكيراً مستقلاً دون التأثير بسلبيات الأمم السابقة ، **٢–** خطاب الآية للمجموع ولها مسؤولية عامة ، كل أمة لها دور معين في حركة التأريخ ضمن واقعها الخاص بها، وعلى الأمم الأخرى أن تستقل عنها وتبني حياتها ضمن ظروفها ، ذلك أن الله لا يسألنا عما فعل الناس وإنما يسألنا عما فعلنا نحن ، فيكون الجزاء من نفس العمل ، وتكون النتائج

على قدر المقدمات ، والأمة هي التي تبني مستقبلها بنفسها وهي حيث تضع نفسها ، **عن الإمام علي** (ع) : (لاَ تَقْصُرُوْاْ أَوْلاَدَكُمْ عَلَى آدَاْبِكُمْ ، فَإِنَّهُم مَخْلُوْقُوْنَ لِزَمَاْنٍ غَيْرِ زَمَاْنِكُمْ).

## الجزء الثاني من القرآن الكريم

**١٤٢ – ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**

**السُّفَهَاءُ** : ضعفاء العقول في الأمور الدينية والدنيوية ، **السفه والسفاهة** : اضطراب في الرأي والفكر والعقل والأخلاق ، ويسمى اضطراب العقل طيشاً وجهلاً واضطراب الأخلاق فساداً **والسفيه** : الجاهل الغبي الذي لا يعلم ولا يدري أنه لا يعلم ، فلا يستقيم عقله وتضطرب مواقفه ويكون مصدر إزعاج للعقلاء ، **المعنى** : قال السفهاء من اليهود والمشركين **(مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)** أي ما الذي صرف وجوههم عن بيت المقدس وقد صلى النبي (ص) والأنبياء قبله نحوه مدة طويلة بأمر الله ، ثم أمره الله أن يتوجه إلى الكعبة وإن الله سبحانه يعلم أن اليهود والمشركين سوف يستغلون ذلك بالنيل من النبي (ص) ورسالته **(لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)** ومثله **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** البقرة/١١٥ ، الأماكن لا فضل لها في ذاتها وما يشرفها هو اختيار الله لها ، وإن جميع الجهات والكعبة وبيت المقدس كلها لله تعالى **(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** فإذا إختار لعباده قبلة فمن يتوجه إليها في صلاته يسير على الصراط المستقيم .

**فائدة:**

**١– (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)** دلَّت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند صغير العقل ، أما المؤمن العاقل الرشيد يتلقّى أحكام ربه الصحيحة بالقبول والتسليم **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** الأحزاب/٣٦. **٢–** لماذا الصلاة إلى جهة معينة ؟ **الجواب** الصلاة وجميع العبادات من الأمور التوقيفية على تعبير الفقهاء بمعنى تتوقف عبادتها على بيان الله لها بلسان نبيه ولا مجال فيها للظنون وإنما النص الصريح الصحيح الثابت، **عن النبي** (ص) : (لاَ قَوْلَ إِلاَّ بِعَمَلٍ ، وَلاَ قَوْلَ وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ قَوْلَ وَلاَ عَمَلَ وَلاَ نِيَّةَ إِلاَّ بِإِصَاْبَةِ السُّنَّةِ) الكافي١ص٧٠. **٣– (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** الهداية والضلال لهما أسباب من الإنسان والمسببات من الله ، ولا تكون المسببات إلاّ على ضوء الأسباب التي يصنعها الإنسان ، **عن الإمام الجواد** (ع) : (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى الْحَلِيْمُ الْعَلِيْمُ إِنَّمَاْ غَضَبُهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ رِضَاْهُ ، وَإِنَّمَاْ يَمْنَعُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ عَطَاْهُ، وَإِنَّمَاْ يَضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ هُدَاْهُ !) الكافي٨/٥٢. **٤–** يجب أن يتهيأ المؤمنون لكل المؤامرات والإشاعات ويردّوا عليها ليحولوا دون انتشارها وليئدُوا الفتنة من مهدها **(سَيَقُولُ... قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)**.

**١٤٣ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**

(**وَكَذَلِكَ**) إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة، أي كما جعلناكم مهتدين إلى الصراط المستقيم ، (**جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا**) وما أجمل وأجل التعبير القرآني في وصف الأمة المسلمة على إطلاق معناها (**أُمَّةً وَسَطاً**) ، لأن الأوساط محمية محوطة والأطراف يتسارع إليها الخلل ، **والوسط** : ما توسط بين شيئين وتعطي معنى الجمال والشرف. وصف مهم للأمة الإسلامية يعرّفها موضعها من الأمم الأخرى في العالم ، وإنها الأمة الوسط والطليعة الحضارية التي تفيض على العالم هداها على أن تكون هي القدوة والمقياس الرئيس في تقدم الأمم الأخرى أو تأخرها ، لأنها تحمل الدين القيم والرسالة الوسط التي توجد التوازن في كل شيء وتعطي لكل شيء قدره ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ القمر/٤٩.

**الأمة الوسط**: المعتدلة وجعل إسلامها معتدلاً بين الدنيا والآخرة ، يُعنى بالآخرة ولا يهمل الدنيا ، **أمة وسطاً** بين الروح والجسد ، **أمة وسطاً** بين الحياة والموت ، **أمة وسطاً** بين الأمل والعمل، **أمة وسطاً** بين طرفين لا تتجه إلى الرأسمالية ولا إلى الشيوعية الإشتراكية، **أمة وسطاً** في الدين فلا روحانية تؤدي إلى الرهبانية ولا إلى مادية مسرفة مبذرة **أمة وسطاً** في الشهادة حيث تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والحق وتضع لهم الموازين والقيم والمبادئ والأخلاق ، **أمة وسطاً** في التصور والاعتقاد وإتباع الفطرة السليمة ، فتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، **أمة وسطاً** بلا تفريط ولا إفراط **أمة وسطاً** في التفكير والشعور لا تغلق منافذ التجربة والمعرفة ولا تتبع كل ناعق **عن النبي** (ص) (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ (قَصْدُهُ) أَيْنَمَاْ وَجَدَهَاْ أَخَذَهَاْ) البحار٢ص٩٩ في تثبت ويقين ، **أمة وسطاً** في التنظيم والتنسيق فهي توازن بين الفكر والعاطفة وبين مصالح الفرد ومصالح المجتمع، **أمة وسطاً** في الارتباطات والعلاقات ، لا تلغي شخصية الفرد في الجماعة أو الدولة ولا تطلقه لا همّ له إلاّ ذاته، **أمة وسطاً** في مكانها الجغرافي إنها في الشرق الأوسط ، وسط الكرة الأرضية ، **أمة وسطاً** في زمانها لم تأت في عصر طفولة البشرية وأميتها وجاءت لتحمي عصر العلم والرشد العقلي والتقدم الحضاري... **عقبات أمام الأمة الوسط**: ما يعوق هذه الأمة الوسط اليوم أن تأخذ مكانها اللائق الذي وهبه الله لها ، كونها تخلّت عن منهج الله الذي اختاره لها ، فتركت ما يرفعها لتقود به العالم ، وإتخذت لها مناهج شتى أذلتها وأخرتها ، وأمة وظيفتها الوسط لابد لها أن تُفتن وتبتلى ليتأكد خلوصها لله واستعدادها لتحمل أعباء قيادة أمم العالم لتكون أمماً وسطاً أيضاً! (**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**) فهذه الأمة جمعت

الكمالين والسعادتين العالم المادي والعالم المعنوي فهي (**الأمة الوسط**) العدل الذي يقاس به كل طرف، فهي شهيدة على الناس ويشهد عليهم النبي (ص) مع أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين في زمانهم ، تفضيل نعمة لا تفضيل قيمة لكنهم غير مؤهلين لهذه الفضيلة (**شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**) لذلك يجب على علماء المسلمين العاملين الذين هم خلفاء الرسل وورثة الأنبياء أن يبلغوا الناس رسالة مُحَمَّد (ص) العالمية ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، وبذلك يصبحون شهداء على من بلغوه (**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**) ومن أهمل من العلماء هذا التبليغ يكون مُحَمَّد (ص) حجة وشاهداً عليه غداً أمام الله (**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**) بعد أن أمر الله نبيه الكريم بالتحوّل من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ، ارتاب بعض من أسلم وقال : مرة هنا ومرة هناك ، ليظهر لك ولغيرك (**مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**) بصدق في الظاهر والباطن (**مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**) استعارة تمثيلية تعني الإنتكاس والتراجع وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن العداء له ولرسوله ، أما الطريق إلى إظهار حقيقته هذه ، فهو التشكيك في تحويل القبلة (**وَإِنْ كَانَتْ**) القبلة الجديدة لصعبة (**لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**) وهم أهل الإيمان الثابت الأصيل (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) وصلواتكم وأعمالكم وثباتكم على الإيمان (**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**) لا يامرهم بشيء أو ينهاهم عن شيء إلاّ لمصلحتهم في الدنيا والآخرة، ولكن الرأفة تخص المبتلى والرحمة تخص الجميع ، **فائدة :١- عن النبي** (ص) : (خَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَطُهَا). **٢-** عبارة الأمة الوسط بليغة وتوضّح جانب من شهادة الأمة الإسلامية ، لأن من يقف على خط الوسط يستطيع أن يشهد كل الخطوط الانحرافية المتجهة نحو اليمين المتطرف أو اليسار المنحرف ، **ومن مصاديق الأمة الوسط عن الإمام الصادق** (ع) : (نَحْنُ الأُمَّةُ الْوُسْطَى ، وَنَحْنُ شُهَدَاْءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِيْ أَرْضِهِ) نور الثقلين١/١٣٤. **٣-** قوله (**إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**) المراد بعلم الله: علم ظهور الأشياء ووقوعها ، ذاك أنه تعالى يعلم الأشياء منذ الأزل القديم قبل وقوعها أنها ستقع، ويعلمها أيضاً بعد وقوعها أنها وقعت ، والمراد بالعلم في الآية العلم بعد الوقوع وحال الوقوع كعلمه قبل الوقوع على سواء.

**١٤٤** - ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

الآية إشارة إلى أن النبي (ص) كان يود من أعماقه أن تتحول القبلة إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم (ع) (**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**) فلنوجهنك إلى قبلة تحبها (**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) توجه في صلاتك نحو الكعبة المعظمة (**وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**) وحيثما كنتم في أي مكان فتوجهوا أيها المؤمنون في صلاتكم نحو الكعبة (**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**

**لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)** اليهود والنصارى ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله، ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)** من كتمان الحق وإنكاره وفيه وعيد وتهديد لهم **فائدة:** توحيد القبلة للمسلمين تجمع الأمة وتوحد بينها على اختلاف أماكنها وأجناسها وألوانها وألسنتها... قبلة واحدة فتحس أن الأمة جسم واحد وكيان واحد ولها هدف واحد مع تعدد أدوار، فعليها أن لا تختلف على الجزئيات ، وهكذا وحّد الله الأمة ليضمن مستقبلها لها ، وحدّها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها وقرآنها وإنسانيتها لتضم الأمم الأخرى إليها. وهكذا الأمة الكبيرة والعظيمة والمختارة تكون قدوة وقيادة لغيرها.

**١٤٥ - ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾**

تأكيد على عناد أهل الكتاب بحيث لا تنفعهم كل آية ودلالة في مجال إتباع قبلة المسلمين ولاصلوا إلى قبلتك (**وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ)** والنبي على بينة من ربه في توجهه للكعبة فكيف يتبع قبلتهم ؟! (**وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ)** ثم إن أهل الكتاب أنفسهم متنازعون لا يتبع بعضهم قبلة بعض (**وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنْ الظَّالِمِينَ)** وما كان لرسول الله (ص) أن يتبع أهواءهم وشطحاتهم بعدما جاءه من العلم الإلهي، وقد عصم الله نبيه عن صغار الذنوب وكبارها ، ولكن الغرض من خطاب الآية أن يتصلب النبي (ص) في موقفه من مناوئيه فلا أمل في هدايتهم ، لأنهم لا ينقصهم الدليل وإنما ينقصهم الإخلاص لله ، فهم تقودهم الأنانية ويتبعون أهواءهم ، إنه نهج الله القويم فمن تبعه كان مؤمناً ومن خالفه كان من الظالمين ، **فائدة: (مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ)** إنهم معاندون ، لأن إتباع القبلة دليل على إتباع النبي (ص)، وإنهم عرفوا الحق وتركوه، أما حوارهم بالدليل والبرهان إنما ينتفع به من يطلب الحق وهو مشتبه عليه ، وإنهم لا ينفعهم الحوار والدليل ، وفيه تحذير لهم من متابعة الهوى **﴿وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** ص/٢٦ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ أَطَاْعَ هَوَاْهُ بَاْعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاْهُ) ، ولكن ماذا نقول لبعض العلماء الذين يجارون العامة في بدعهم وضلالاتهم ، وهم يعترفون ببعدها عن الدين ، وأعجب من هذا مجاراتهم لأهواء الملوك الضالين فيكونون وعّاظ السلاطين ! ، **عن النبي (ص)** : (إِذَاْ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ وَلَمْ يُظْهِرْ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ) الكافي١/٥٤ وأخطر ما يكون عندما يتخلف العلماء عن دورهم باعتبارهم خلفاء الرسل وورثة الأنبياء (... **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ**).

**١٤٦ - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

الذين آتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون صدق النبي (ص) معرفة كاملة كما يعرف الواحد منهم ولده بلا شبهة (**وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** خص الفريق منهم

ليستثني من آمن منهم ، ليخفون صفة النبي (ص) في كتبهم ﴿**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾ الأعراف/١٥٧ ، فهم يكتمون أوصافه عن علم وعرفان. **عن النبي (ص)** : (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَة، فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ).

**١٤٧ - ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**

**ممترين** : شاكين ، توجيه الخطاب إلى النبي (ص) ومعناه للأمة على قاعدة (إياك أعني وإسمعي يا جارة) عن الإمام الصادق البحار٣٨١/٩٢ (كُلُّ رسَالتِكَ حقٌ مِنْ رَبكَ لا رَيْبَ فِيهِ ، فَهوَ الّذي رَبَاكَ وَأيَدَكَ بنَصْرِهِ فأَثْبتْ عَليهِ بِلا تَرَدُدٍ ، فَإنَّ الحَقَّ أَقوى ظَهيرٌ وأَفضَلُ نصيرٌ وإنّ فَريقاً مِنْ أَهلِ الكِتَابِ يَعلَمُونَ أنَّكَ عَلى حقّ ولكن يُعانِدُونَ وُيشَكِكُونَ والشَّكُّ يحبِطُ الإيمَانَ)، **في غرر الحكم**: (أَعْظَمُ النَّاْسِ مَنْ لَمْ يُزِلْ الشَّكُّ يَقِيْنُهُ). **فائدة** : **١-** ينبغي ألا يتكل الناس على علماء الدين كأنهم معصومون ويقولون كما يقول العامة : (**إجعلها في رقبةِ العالِمِ وأخرجْ منها سالِمْ!**) هذا مَثلٌ عامّي تخديري ساذج يجعل الإنسان يتكل على غيره ويعطّل العقل والبحث ، وينسى **عن النبي** (ص) (**طَلَبُ العِلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ**) البحار١/١٧٧، فعلى المؤمنين أن يطلبوا العلم الأساسي الضروري لدرجة ترفعهم إلى مستوى قوله تعالى : ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِي ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ الزمر/١٧-١٨ ، فعلى الإنسان أن يكون دقيقاً في إختيار القائد الشرعي الذي يؤثر عليه عقائدياً ، فالذي يفكر يقود نفسه والذي لا يفكر يقوده الذين يفكرون فيجعلونه إلى ما هم عليه!

**عن النبي (ص)**: (إِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاْكَ الْمُفْتُوْنَ!) كنز العمال خبر٢٩٣٣٩ يعني تحقق ودقق في قناعاتك مدعومة بالحجج والبراهين القطعية. (مَنْ زَاْنُوْاْ الْحَقَّ بِالرِّجَاْلِ ظَلَمُوْهُ، وَمَنْ زَاْنُوْاْ الرِّجَاْلَ بِالْحَقِّ أَنْصَفُوْهُ)، **عن الإمام علي** (ع) (إِعْرِفْ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ، وَإِعْرِفْ الْبَاْطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ) أمالي المفيد ص٣.

**١٤٨ - ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

الآية تحمل عموم المعنى ولو انها نزلت بخصوص السبب. (**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**) **وِجْهَة** : طريقة، جهة يستقبلها وهي ما يتوجه إليه الإنسان حسب ما تقتضيه مصلحته ، وليس حكماً ثابتاً لا يتغير كقوله ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ الليل/٤ ، وكقوله : ﴿**كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ الإسراء/٨٤ ، على طريقته وقصده ، فلا ينشغل بما يبثه المغرضون من فتن في كل زمان ومكان ، فإن (مَنْ إنشغَلَ بالمهمِ ضَيّعَ الأهمَ) ، والآية تصرف المسلمين عن الاستماع لأهل الكتاب وعدم الانشغال بتوجيهاتهم الضالة ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، ويعطيهم القرآن البديل الأحسن (**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**) على إطلاق معناها وسعة دلالاتها فإنها تحث على عنصر المبادرة

والسعي نحو حياة أفضل ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ المؤمنون/٦١ ، وكقوله ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً**﴾ الأنبياء/٩٠. استقيموا على منهج الله المستقيم فوجهته خالصة لوجهه، ولكل فريق وجهته التي هو عليها ، وليستبق المسلمون الخيرات كل بقدره فإنها الباقيات الصالحات فلا يشغلهم عنها شاغل إنه الجد والاجتهاد فإن من جد وجد ومن زرع حصد ، فإن من كبرت وجهته وتوسعت همته ومهمته ومسؤوليته يصغر إلى جواره الكلام الفارغ الذي يشغل الإنسان ويضيّع وقته ويجعله في دائرة مغلقة فارغة لاجديد فيها ولا مفيد (**أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) ومعيدهم جميعاً إلى الله القادر على جمعهم وعلى مجازاتهم في نهاية المطاف. **فائدة** : تحث الآية على كل فضيلة يتصف بها الإنسان في القول والعمل ، وكل بحسب قدرته ومهنته واختصاصه وأن لا ينشغل بالتوافه ، **فللّه ما أجمعها وأنفعها من آية قصيرة في مبناها عميقة في معناها واسعة في دلالاتها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)** فهذا هو الوجه الذي أراده الله لكم أن تستقبلوه في كل إهتمامكم بحيث لا تطغي خيرات الدنيا على خيرات الآخرة ، وتبين الآية علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بالناس الآخرين وعلاقته بربه، وبالكون من حوله بحيث تفتح له آفاق جديدة واسعة عالية المضامين وترتفع بحياة الإنسان إلى الإهتمامات الكبرى والدرجات العليا ، على مستوى تطوير القدرات والإختصاصات والكفاءات في جميع العلوم وتنميتها وتحويلها إلى تسابق في الخيرات ، بهذا العنوان الكبير تستقيم الحياة وتنهض الأمة حضارياً وبسرعة ممكنة لأنه سوف يتحجم دور الذين يتسابقون بالمنكرات ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦ ، ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١. ومن علامات المتسابق بالخيرات من غلب جدُّهُ على هزله وهداه على هواه ، وعقله على شهوته ، وعمله على فراغه ، ورحمته على نقمته ، وفكرته على غفلته.. وهكذا

**١٤٩ – ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**

من أي مكان خرجت للسفر وغيره فتوجه بوجهك في صلاتك جهة الكعبة ، وشمول هذا الحكم لكل المسلمين في أي مكان وزمان كانوا ، لتشكل الكعبة وحدة هدف على منهج الله (**وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**) فإلتزم به فإنه الحق الثابت المتطوّر الذي لا يتغير (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، أما التكرير للتوكيد ، فتأدبوا مع الله وراقبوه ولا تغفلوا عنه فإن أعمالكم غير مغفول عنها (**والغفلة من فساد الحسّ**).

**١٥٠ – ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**

وهذا أمر ثالث باستقبال القبلة وفائدة هذا التكرير ، أن القبلة كان أول ما نسخ من الأحكام الشرعية، فدعت الحاجة إلى التكرار لإزالة الشبهة (**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**) عرفكم أمر القبلة الثابت والعام لئلا يحتج عليكم اليهود فيقولوا : يجحد ديننا ويتبع قبلتنا فتكون لهم الحجة عليكم أو كقول المشركين : يدّعي مُحَمَّد ملة إبراهيم ويخالف قبلته (**إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**) إلاّ الظلمة المعاندين الذين لا يفقهون لغة الكلام ولا حجية البرهان فلا تخافوهم وخافوني ولا تأخذكم في الحق لومة لائم (**وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) فإن الثبات على منهج الله يمنح المسلمين شخصيتهم المميزة ، ويوحدهم على طريق الهداية ، والتوفيق لخير الدنيا والآخرة لعلكم تهتدون بالله **في غرر الحكم** (مَنْ اِهْتَدَى بِهُدَى اللهِ أَرْشَدَهُ) ونلاحظ بعد التحذير كان التذكير بنعمة الله ، وهذه دعوة إلى التخلية ثم التحلية ، التخلية من السلبيات ، ثم التحلية بالإيجابيات ، وهذه أفضل وسيلة للتكامل وأسرعها في التربية **فائدة: ١–** أمر الله بخشيته، **عن النبي** (ص) (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ) البحار١٣٣/٧٧، وَمَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفُ، كَانَ مِنَ اللهِ أَخْوَفُ. ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ الرحمن/٤٦ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ خَافَ اللهَ سُبْحَانَهُ آمَنَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) ومعنى (**اخْشَوْنِي**) : **الخشية** : خوف مع تعظيم ، امتثلوا أمري وانتبهوا قربي منكم وأنا أقرب إليكم من حبل الوريد ، فإذا عرفتم عظمتي لئلا يعظم الكافر عندكم ولا تنبهروا بقوته ، **في نهج البلاغة خطبة١٩٣:** (عَظُمَ الْخَالِقُ فِيْ أَنْفُسِهِمْ ، فَصَغُرَ مَاْ دُوْنَهُ فِيْ أَعْيُنِهِمْ) ، **٢–** (**وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ**) ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَاْ أَنْعَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبْدٍ أَجَلَّ مِنْ أَنْ لاَ يَكُوْنَ فِيْ قَلْبِهِ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ) تنبيه الخواطر ص٣٥٠.

**١٥١ – ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾**

الكلام متعلق بقوله (**وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي**) في الآية السابقة ، فمن إتمام نعمتي عليكم أرسلت فيكم رسولاً منكم ومعكم ومن أنفسكم وهو مُحَمَّد (ص) المميز في أخلاقه فجعلكم أمة واحدة مميزة بين الأمم (**يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا**) على إطلاق معناها ومنها يتلو عليكم القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم وأسس لكم حياة أفضل ومستقبلاً أحسن (**وَيُزَكِّيكُمْ**) يطهركم من الشرك ويخلصكم من الجهل ومساوئ الأخلاق (**وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) ويجعل خُلُقكم القرآن والسنة الشريفة الصحيحة، والتزكية مقدمة على التعليم ، (**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**) وتفتح لكم آفاق الحياة في مختلف المجالات العلمية فتعيشون التقدم العلمي المستمر وتملكون الحس الحضاري المتطوّر ، فتنتقل الأمة من الجاهلية المتخلفة إلى أفاق الإسلام الحضاري وهي تحمل كل جديد ومفيد إلى الناس. **فائدة: ١–** (**الْحِكْمَةَ**) ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً**

**كَثِيراً﴾** البقرة/٢٦٩، **والحكمة** : وضع الأشياء مواضعها اللائقة بها في القول والعمل، والحكمة ملكة في العقل ونور في القلب ودقة في التفكير واتزان في السلوك وبلاغة في التعبير، وهي التي ترد الجهل وتصحح الخطأ وترفع منسوب العلم وتزيد في آفاق الوعي ، **عن النبي (ص)** : (كَاْدَ الْحَكِيْمُ أَنْ يَكُوْنَ نَبِياً) كنز العمال خبر٤٤١٢٣، **٢- (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)** آية مختصرة ولكنها تحتوي على أصول التربية القرآنية : أ- التلاوة تذكر بعلوم القرآن، ب – تزكية النفس من النقائص وتحليتها بالفضائل لتستعد لإفاضة العلوم عليها، ج – التعليم ومعرفة حقائق الأشياء وفلسفة الوجود والعمل بما عرفه ، والآية تعني إتساع آفاق العلم في مختلف مجالات الحياة. **في غرر الحكم:** (إِكْتَسِبُوْاْ الْعِلْمَ يُكْسِبْكُمُ الْحَيَاْةَ) وعلى قدر العلم تكون العبادة.**٣-** ويعلمكم الإسلام أن الحياة لغز مبهم لولا الإيمان العلمي لما عُرف للحياة معنى التسامي، لذلك قدمت الآية تعليم الدين على التعاليم الأخرى **(وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**. فتكتشفون آفاقاً علمية جديدة ومفيدة وعلى الدوام.

**١٥٢ - ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾**

**(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)** : وهو أن يذكروه سبحانه على إطلاق معنى الذكر ، وبلا واسطة حتى يقوى الترابط المباشر بين العبد وربه وتقوى بصيرتهم وإيمانهم. يجعل الله ذكره للإنسان مكافئاً لذكرهم له ، فبمقدار ما نذكر الله بقلوبنا وألسنتنا بالسراء والضراء يذكرنا بالرحمة والمغفرة والهداية والدراية وبالخير والأمان والاطمئنان ، وبمقدار ما نكون مع الله يكون الله معنا ، وأفضل الذكر ما توافق عليه القلب واللسان وهو الذي يثمر معرفة الله ومحبته ، **(وذكر الله)** ليس لفظاً باللسان بدون حركة المشاعر ، وإنما هو لفظ باللسان مع تأييد القلب وانفعاله معه ، والذكر هو رأس الشكر لذلك قدم الذكر على الشكر **(فَاذْكُرُونِي)** بالطاعة لقول النبي (ص) (من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصيامه (المستحبين) وقراءته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وقراءته القرآن (رياءً)) روح البيان١/٢٥٥.

**عن النبي (ص):** (أَخْبَرَ اللهُ تَعَاْلَى عَنْ نَفْسِهِ فَقَاْلَ : أَنَاْ جَلِيْسُ مَنْ ذَكَرَنِيْ ، يَاْ إِبْنَ آدَمَ إِذْكُرْنِيْ فِيْ نَفْسِكَ أَذْكُرُكَ فِيْ نَفْسِيْ ، إِذْكُرْنِيْ فِيْ مَلأٍ أَذْكُرُكَ فِيْ مَلأٍ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَقَاْلَ : إِذَاْ عَلِمتَ أَنَّ الْغَاْلِبَ عَلىَ عَبْدِيَ الإِشْتِغَاْلُ بِيَ نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِيْ مَسْأَلَتِيْ وَمُنَاْجَاْتِيَ ، فَإِنْ كَاْنَ عَبْدِيَ كَذَلِكْ وَأَرَاْدَ أَنْ يَسْهُوَ حُلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَسْهُوَ وَقَاْلَ : فَإذْكُرُوْنِيَ أَذْكُرْكُم بِنِعْمِتِيَ ، أُذْكُرُوْنِيْ بِالطَّاْعَةِ أَذْكُرْكُمْ بِالنِّعَمِ وِالإِحْسَاْنِ، وِقَاْلَ: يَاْ إِبْنَ آدَمَ إِنْ دَنَوْتَ مِنِّيَ شِبْرَاً دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاْعَاً وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّيَ ذِرَاْعَاً دَنَوْتُ مِنْكَ بَاْعَاً، وَإِنْ أَتَيْتَنِيَ تَمْشِيْ أَتَيْتُكَ هَرْوَلَةً) المراغي٢ص٢٠، كنز العمال١ص٤٢٠، البحار٩٣/١٥٨ قال تعالى : **﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** الرعد/٢٨، **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** العنكبوت/٤٥ ، **في غرر**

الحكم: (ذِكْرُ اللهِ جَلاءُ الصُّدُوْرِ وَطُمَأْنِيْنَةُ الْقُلُوْبِ) وعن بعض الصادقين (ع) **(أنواع الذكر) : ذكر اللسان الحمد والثناء ، وذكر النفس الجهد والعناء، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب الصدق والصفاء ، وذكر العقل التعظيم والحياء ، وذكر المعرفة التسليم والرضاء ، وذكر السر الرؤية واللقاء** يَاْ مَنِ إِسْمُهُ دَوَاْءٌ وَذِكْرُهُ شِفَاْءٌ ، **(وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ)** الشكر لله درجات تبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته ، وتنتهي بالتجرد لشكره والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن وفي كل لفظة لسان وفي كل خفقة قلب ، انشغلوا بالشكر اللفظي والعملي ، ولما كان الشكر ضده الكفر نهى عن ضده فقال **(وَلا تَكْفُرُونِ)** الكفر مقابل الشكر فهو كفر النعم وجحدها وعدم الاهتمام بها وعدم تقدير منعمها ، وهذا تحذير من الله لهذه الأمة حتى لا تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، إذ كفرت بأنعم الله وقد ترك المسلمون شكر هذه النعم فأصابهم الذل والوبال كقوله ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ إبراهيم/٧ **و عن الإمام علي** (ع) : (الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ الْفِتْنَةِ)البحار٧٨/٣٦٥.

**١٥٣ –** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

خطاب الآية للمؤمنين عامة أن يستعينوا في أمورهم الحياتية العامة بالصبر والصلاة ، فالصبر من أعظم الملكات في تهذيب النفس وهو من عزم الأمور ، والصلاة من أعظم العبادات فهي عمود الدين **(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** ولم يقل مع المصلين ، وقدّم الصبر على الصلاة ، لأنه على قدر الصبر تكون العبادات وتكون تزكية النفس. **معنى الصبر** : حبس النفس وتوطينها على احتمال المكاره ، وهو العون على إنجاز كل أمر. **أقسام الصبر** : **١–** فالصبر على طاعة الله حتى تؤديها، **٢–** عن معصية الله حتى تتركها ، **٣–** على قدر الله حتى تتحمله. إن الله مع الذين كان الصبر لهم ملكة، فيهوّن الله عليهم المكاره والمشاق ، **(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** وهذه معية الله خاصة تقتضي محبته سبحانه وهذه منقبة عظيمة للصابرين ، وأمر تعالى **الاستعانة بالصلاة** فهي صلة بين العبد وربه ، وهذه الصلة بحاجة إلى انفصال عن أمور الدنيا وإتصال بالله تعالى ، وهذا بحاجة إلى حضور القلب فهو لبها عندئذٍ يشعر دخوله على ربه ويقف بين يدي رحمته ، موقف العبد الملبّي لنداء ربه الملتزم بمنهجه ، فهذه الصلاة عون على معاناة الحياة ، فهي عامل تربوي مهم تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلم يزدد من الله إلاّ بُعداً ، والصلاة منهاج الصالحين ومرضاة رب العالمين ، وهي حصن من الشيطان ، وقربان كل تقي ، وهي تنزل الرحمة وتدفع النقمة ، **عن الإمام علي** (ع) (الصَّلاةُ مِيزَانٌ فَمَنْ وَفّى ، اسْتَوْفَى) البحار٨٤/٢٦٤ وهذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. **(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** يؤيدهم ويقودهم ويؤنسهم ولا يتركهم لطاقاتهم المحدودة إنما يمدهم بقوة حين ينفد زادهم. **في نهج البلاغة حكم٢٩١:** (إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ اَلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ اَلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ).

**١٥٤ –** ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

ولا تتحدثوا عن الذين يقتلون في سبيل الله وخدمة الناس بأنهم أموات ، إنهم قتلوا في الظاهر ولكن حقيقة الموت والحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة ، بل هم أحياء في عالم غير عالمكم **(وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ)** بحياتهم إذ ليست في عالم المادة ولا تدرك بالمشاعر بل هي حياة غيبية تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس ، وبها يرزقون وينعّمون وإنها حياة روحانية عالية المضامين لا ندرك سرها فهي أكبر من أن توصف. **فائدة ١–** من قاتل وقُتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى ، فإنه في حياة محبوبة أجمل مما تظنون وأكمل مما تتخيلون ، إنها حياة القرب من الله تعالى **عن النبي (ص)** : (تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ) البحار٨٢ص١٧١ . وفي الآية حث على الجهاد في سبيل الله ، فلو آمن العباد ما للمقتولين الشهداء في سبيل الله من المنازل العليا في الجنة لم يتخلف عن الجهاد أحد، وأمام المجاهدين إما النصر وإما الشهادة وهما إحدى الحسنين. **(والشهادة)** تعديل كامل لمفهوم الموت متى كان في سبيل الله ، فلو كان للإنسان عدة نفوس تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله لهانت وعظمت في جانب الأجر العظيم والمنازل السامية ، لهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا نعيم الجنة إلاّ أن يردوا إلى الدنيا حتى يقتلوا في سبيل الله مرة بعد مرة ، **وفي الآية دليل** : على الحياة في عالم البرزخ وفيه النعيم والعذاب ، والمسمى بعالم القبر هو عالم متوسط بين الموت والقيامة.

**عن النبي (ص)**: (إذا مَاتَ أحكم فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢١٢٣، **وعنه (ص)** (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) المصدر السابق، وتشير الآية أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لمادة الجسم تبقى بعد الموت مدركة ، والروح كائن نوراني لطيف شفاف تسري في البدن سيران النار في الفحم وماء الورد في الورد والدهن في السمسم ، حتى تعطي لهذا الجسد المادي الترابي الكثيف الظلمائي قيمته وكرامته ودوره في الحياة. **عن النبي (ص)** : (فَوْقَ كُلِّ ذِيْ بِرٍ بِرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ)البحار٧٤ص٦١.

**١٥٥ –** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

**البلاء** : الاختبار والامتحان ويكون بالخير أو الشر ، بالشدة أوالرخاء **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ)** الله تعالى يبتلي عباده ويمتحنهم بالمحن كل العباد مؤمنهم وكافرهم ليظهر الإنسان حقيقته لنفسه ، حتى يميز الخبيث من الطيب وهذه سنة الله في جميع عباده ، وما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين ، ويكون في المحن منحاً من الله ، وفي المكاره مكارم وفي المشقات راحات ، وبلايا الله بدايات نهاياتها الكرامات ، **عن الإمام الحسن العسكري (ع)** : (مَا مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فيها نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَا!) البحار٣٧٤/٧٨ والبلاء يربّي النفوس ويظهر جوهرها ، وبالبلاء تعلو النفس على شهواتها ولذّاتها المحرمة في سبيل هدف أسمى وبواسطة عقيدة مثلى ، ومن هنا يتبين أهمية البلاء لعباده ليؤهلهم لحمل رسالته والاستقامة

عليها (**بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ**) بقليل من الخوف بأي سبب من الأسباب (**وَالْجُوعِ**) بشيء يسير منهما لأنه لو إبتلاهم بالخوف كله أو الجوع لهلكوا، والمحن تمحّص لا تهلك ، وأخبرهم قبل وقوعه ليوطئوا عليه نفوسهم ويسهل لهم الصبر عليه (**وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ**) بالسرقة والإغارة وأخذ الظلمة منه وقطاع الطرق والخسران (**وَالأَنفُسِ**) ذهاب الأحباب والأقارب والأصحاب (**وَالثَّمَرَاتِ**) الحبوب والأشجار كلها والخضر (**وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ**) الناس قسمان : جازعين وصابرين ، الجازعين جرى عليهم القدر وهم مأثومون والصابرين جرى عليهم القدر وهم مأجورون ، وهكذا لا يدرك الناس ما يحبّون إلاّ بصبرهم على ما يكرهون ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ الطور/٤٨. **فائدة** : (**الصبر**) : توطين النفس على إحتمال المكاره **عن الإمام الحسين** (ع): (هَوَّنَ عَلَيَّ مَاْ نَزَلَ بِيَّ أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ)البحار٤٥ص٤٦، ﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾ النحل/١٢٦. ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ لقمان/١٧.

## ١٥٦ – ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

**مصيبة** : ما يصيب الإنسان من مكروه ، **عن النبي (ص)** : (كُلُّ شَّيْءٍ يُؤْذِيْ الْمُؤْمِنَ فَهُوَ لَهُ مُصِيْبَةٌ) وصف الله تعالى الصابرين المصابين الذين أبتلوا بنقص في الأموال والأنفس ثم احتسبوا ذلك على الله ولم يشتكوا إلى الناس لأن الشكوى لغير الله مذلة (**قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) **إِنَّا لِلَّهِ** إقرار بالعبودية والاستسلام لأمر الله (**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) إقرار بالبعث وإيمان بالله واليوم الآخر وبعالم الغيب واليقين بأن مرجع الأمور كله لله تعالى ، لا يقولونها بألسنتهم فقط وإنما بعمق مشاعرهم وبنبضات قلوبهم وبكامل أحاسيسهم أنهم يحيون من أجل الله ويموتون من أجله ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ الأنعام/١٦٢-١٦٣. **فائدة : ١-** مناقع القول عند المصيبة (**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) إنها تسلي قلب المصاب وتقلل من حزنه ، وتقطع طمع الشياطين في أن يوقعه في كلام لا يليق ، وإذا سمعه غيره اقتدى به ، **عن النبي (ص)** : (مَنِ إِسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ ، وَأَحْسَنَ عَاْقِبَتَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَاْلِحًا يَرْضَاْهُ) ومعنى استرجع أي قال (إنا لله وإنا إليه راجعون) الدر المنثور ١/٣٧٧.

## ١٥٧ – ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾

الصلاة من الله التكريم والتفخيم وعلو المنزلة فهي الرأفة بعد الرأفة ، **ورحمته تعالى** : الرفق بهم والهداية للتي هي أقوم والإنعام عليهم فهي الرحمة بعد الرحمة ، وهذا هو جزاء الصابرين ، الصلاة من الإنسان لله الدعاء ، والصلاة من الله للإنسان الرحمة ، والصلاة من الملائكة للإنسان الإستغفار. **المعنى** أولئك الصابرون لهم من ربهم رعاية خاصة على ما فعلوا وأحسنوا ويدعمهم

برحمة واسعة يجدون أثرها في برد قلوبهم (**وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ**) الى طريق الصواب وتليق بهم الهداية التي يتغلبون بها على جميع المصاعب والمصائب ، هداية لا ضلالة فيها ، بل فيها الرشاد والسداد وتزكية النفس وتحلّيها بمكارم الأخلاق. **فائدة:** إن الله يضع كل معاناتهم في كفة ، ويضع في الكفة الأخرى صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ، انه لا يعدهم نصراً ولا مغانم لا يعدهم إلا صلوات الله ورحمته ، لقد كان الله يعد المؤمنين لأمر أكبر من حياتهم ويجردهم من كل غاية دنيوية ، فلا يتطلعون إلاّ رضا الله وصلواته ورحمته بهم ، هذا هو الهدف الكبير ، هذه التربية النموذجية المميزة التي أخذ القرآن بها أصحابه ، يريد استخلاصهم لله وتميزهم عن عامة الناس ﴿**اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ الشورى/١٣.

**١٥٨** – ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾

**الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ** : جبلان صغيران بمكة قريبان من الكعبة يسعى بينهما الحاج والمعتمر سبعة أشواط (**شَعَائِرِ اللَّهِ**) جمع شعيرة وهي من التقوى والعلامة على التقوى ، **والشعائر** : علامات ، كل ما تعبدنا الله به من أمور الدين كالطواف والسعي والأذان والصلاة ونحوه ، **فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ**: لا إثم عليه، **وَمَنْ تَطَوَّعَ** : التطوع التبرع به من عند نفسك من غير أن يكلفك به أحد ، **أَوْ اعْتَمَرَ** : العمرة بمعنى الزيارة المخصوصة ، العمرة كالحج وهي داعمة ومحصنة له ولكن لا وقوف بها بعرفة ولا مبيت في المزدلفة ولا رمي جمار في منى ، **المعنى** : يبين الله أن الصفا والمروة من الأماكن والشعائر التي يتعبد الإنسان فيها لأمر الله تعالى ، ويشكل السعي بينهما أحد مناسك الحج والعمرة ، بل جعل الله هذين الجبلين من الشعائر التي هي من تقوى القلوب ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ الحج/٣٢ ، بل أصبح السعي بينهما واجبين عدد سبع أشواط ، ومن تبرع تطوعاً عن حب وازداد فهو خير يشكره الله له ويمنحه عطاءه ورضاه (**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**) **عن النبي** (ص) : (خُذُوْا عَنِّيَ مَنَاْسِكَكُمْ) الرازي٤/١٦٠.

**فائدة : ١**– (**شَاكِرٌ عَلِيمٌ**) الشاكر الشكور من أسماء الله الحسنى ، الذي يقبل من عباده اليسير ويجازيهم عليه بالكثير وكأن الشكر من الرب للعبد فيه دلالات (**عَلِيمٌ**) بمن يستحق الثواب والعقاب. **٢**– السعي بين الصفا والمروة يشعر بتضحيات العائلة الإبراهيمية المسلمة، كما يشعر بلزوم التحرك الجاد والسعي الواعي في حياته كلها ، وأنه يتذكر إنطلاقة الدعوة الفتية المحدودة لإبراهيم (ع) حتى تصبح دعوة عالمية من على الصفا. **٣– الفرق بين شعائر الله وشعائر الناس** ، شعائر الله فهي من تقوى القلوب وتؤدي إلى التقوى وتؤثر بالأمة نحو التقوى ، أما شعائر الناس التي يحتفلون بها بمناسبات مختلفة إن أدّت إلى نفس النتيجة فهي شعائر الله وإلاّ فلا شعائر من دون تقوى وإلى التقوى. **٤**– ميّز القرآن الكريم بين الطواف الجاهلي والطواف الرسالي بارتباط

الأمر بالله سبحانه والإلتزام بمنهجه فيكون شعيرة من شعائر الله. **٥- عن الإمام الصادق** (ع): (جُعِلَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَاْ وَالْمَرْوَةِ مَذَلَّةٌ لِلْجَبَّاْرِيْنَ) نور الثقلين١/١٤٥، وتهذيب النفس للمؤمنين وطاعة وقربى لله رب العالمين، وامتثال أمره سبحانه لنيل رضاه ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ التوبة/٧٢.

**١٥٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾**

**يكتمون** : يخفون الحق ويغيرون الحقيقة ويتلاعبون في أصول الدين وفروعه ، الآية نازلة في أهل الكتاب وحكمها عام يشمل كل كتمان حق ، لأن لفظ الكتمان عام وحكم الآية شامل لكل من كتم علماً فرض الله بيانه للناس ، **عن النبي (ص) (في الآية)**: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَاْرٍ) مواهب الرحمن٢ص٢٦٣، ومن يرى حرمات الله تنتهك والدين يُحرَّف عن مقاصده ، ويرى البدع تمحو السنن والباطل يقوى على الحق وهو لا ينتصر بيد ولا بلسان ولا بالقلب يكون ممن استحق وعيد الآية في اللعن لإنه خائن ، ولقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل وبين سبب لعنهم بقوله : ﴿**كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾ المائدة/٧٩ ، ترى أن الأمة كلها قد لُعِنَتْ لتركها التناهي عن المنكر ، فيجب أن تكون جماعة مؤهلة كفوءة تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ**) من بعد توضيحه لهم في الكتب السماوية ، فهم كتموا الحق بعد علمهم به ، لأن بيانه للناس يقضي على مصالحهم ونظامهم الذي صنعته أهواؤهم (**أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ**) **اللعن**: الطرد من الرحمة ، والتوجه إلى النقمة والعذاب يعاقبهم ويبعدهم عن رحمته بسبب إخفائهم للحقائق الضرورية (**وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ**) اللعن من الملائكة والناس والحيوانات الدعاء عليهم بالطرد من رحمة الله (بلسان الحال أو بلسان المقال) ويقولون لعنة الله على الظالمين ، وحرمانهم خير الدارين لبيان قبح هذا العمل وأخطاره.

**فائدة:**

**١- اللعن**: الطرد في غضب وزجر ، فهم مطاردون من الله ومن عباده في كل مكان، وهذا ما تقتضيه خيانتهم للعلم واستهانتهم بأحكام الرسالة التي يريد الله تبليغها لكل الناس فهو تشنيع عليهم وفضح لجرمهم ورميهم بكل سوء ، **عن النبي (ص)** : (إِذَاْ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِيْ أُمَّتِيْ فَلْيُظْهِرِ الْعَاْلِمُ عِلْمَهُ وَإِلاَّ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ) الكافي١/٥٤، **عن النبي (ص)**: (مَنْ تبسّم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه)! سفينة البحار ج١ص٦٣، **وعنه (ص)**: (إِذَاْ خَرَجَتْ اللَّعْنَةُ مِنْ فِيْ صَاْحِبِهَا نَظَرَتْ فَإِنْ وَجَدَتْ مَسْلَكًا فِي الَّذِي وُجِّهَتْ إِلَيْهِ وَإِلا عَادَتْ إِلَى الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ)! كنز العمال خبر٨١٦٩

**٢-** نلاحظ اللعن في القرآن له دلالة واسعة فهو أريد به تحديد صفة الجماعة المنحرفة التي تستحق اللعن ، ولاسيما إذا كانت في موقع قيادي يقتدى بفعلها ، ولم يُرد باللعن تخصيص الأسماء وتحديد الشخصيات ، **٣-** كتمان الحق والحقيقة في علوم الدين وغيره مع الضرورة في إظهارها من أعظم

الكبائر والجرائم التي تستحق اللعن لذلك جاءت كلمة (**يكتمون**) بالمضارع المستمر لاستمرارهم بالكتمان يقابلها استمرار اللعن عليهم لاستمرارهم بالخيانة ، وهذا حكم عام يشمل جميع الكاتمين للحق عبر التأريخ وإن كان للكتمان صوراً وأشكالاً متنوعة.. وكلها تستحق اللعن لأنهم يصادرون حق الناس في هدايتم. والفرق بين السب واللعن : **السب** : الشتم القبيح ﴿**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ الأنعام/١٠٨، **عن الإمام علي (ع)** : (إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ) شرح النهج١١ص٢١. **عن النبي (ص)** : (تَنَاْصَحُوْاْ فِي الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ خِيَانَةَ أَحَدِكُم فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَاْنَتِهِ فِي مَاْلِهِ ، وإِنَّ اللهَ سَاْئِلُكُم يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ) البحار٢ص٦٨، راجع (**البقرة/١٧٤**).

**١٦٠ – ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**

استثناءً من الآية السابقة مع تقييد توبتهم ببيان ما كتموا من الحق (**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا**) ندموا واستغفروا وأنابوا ورجعوا إلى الله بصدق فلا يكتمون الله حديثاً (**وَأَصْلَحُوا**) وصلح أمرهم وتداركوا خطأهم (**وَبَيَّنُوا**) فبينوا الحق للناس صراحة ما كانوا أخفوه من قبل (**فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ**) من تاب من الذنب كمن لا ذنب له ، أولئك يرجع الله عليهم بالرحمة (**وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) **التواب** : صيغة مبالغة في قبول التوبة ، أقبل التوبة من كل تائب وأرحمه ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ طه/٨٢ ، **دلت الآية** : على أن التوبة لا تحصل إلاّ بترك كل ما لا ينبغي فعله ، وبفعل كل ما ينبغي فعله ، وهي ترغيب للقلوب الواعية التي تخاف من تجاوزها لحدود الله ، لأنه ﴿**مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، **فائدة** : **١–** تعتبر الآيتان أن العلوم الإسلامية تكليف وليس تشريفاً ، ومسؤولية وليست جاهاً وامتيازاً ، **عن النبي (ص)** : (كُلُّ بَنِيْ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الدر المنثور١/٢٦١، ما أحوج البشرية إلى الإسلام الأصيل المنزّه عن البدع والتنازع والغلو والأهواء؟ **في غرر الحكم**: (مَنْ لاَيَعْرِفُ قَدْرَهُ يَتَعَدَّى طَوْرَهُ). **٢–** نلاحظ لعنة الله للشيطان ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ ص/٧٨ ، هي نفس اللعنة للذين يكتمون الحق في خانة واحدة ﴿**أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/١٥٩.

**١٦١ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**

الذين يصرون على كفرهم وتكذيبهم وعنادهم فهؤلاء سبيلهم سبيل الشيطان ، وجعل العلماء الكاتمون لعلمهم الحق ولا يعملون بعلمهم ولا يعلّمون الناس أهم العلوم الإسلامية جعلهم شركاء الشيطان الرجيم في لعنه ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ الحجر/٣٥ ، جعلهم في خانة واحدة. (**وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**) حتى مرت الفرصة وإنتهت المهلة من عمرهم المحدود (**أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) ، إنهم أغلقوا على أنفسهم باب التوبة المفتوح إلى حد الموت ولكنهم

ماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة مطبقة لا مفر منها ، لعنة في غضب وزجر وطردٍ من الرحمة ، إنهم منبوذون من العباد ومن رب العباد ، ومنبوذون في الأرض وفي السماء على السواء وبالتالي يليق بهم الخلود في جهنم. فما أشد لهجة هذه الآية وأعظم أمرها وحكمها !

**١٦٢ – ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾**

وفي جهنم لا يخفف عنهم ولا يسمع إليهم ولا يتلقاهم صدر فيه حنان ولا لسان فيه تحية ، وإذا استغاثوا لا يغاثون لأنهم هم الذين أساؤوا لأنفسهم وقادوها إلى الخسران بإصرارهم على الكتمان للعلوم المهمة فماتوا على اللعن **(وَلا هُمْ يُنظَرُونَ)** لايمهلون ليعتذروا وبالتالي خلود في جهنم. **فائدة:** والسر بلعن الملائكة والناس مع أن لعن الله وحده يكفي في خزيه ، للدلالة على أن جميع من يعلم كفره وعناده من العوالم العلوية والسفلية يراه أهلاً للّعن الله ومقته ، ولدى جميع من يعقل ويعلم ، ومن استحق العذاب من الله الرؤوف الرحيم ، فماذا يرجو من سواه من عباده ؟

**١٦٣ – ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾**

يؤكد القرآن الكريم في كل مناسبة على الوحدانية لله تعالى لأنها القاعدة الأساسية في الإسلام ، فإذا قويت قوي كل شيء وإذا انهارت انهار كل شيء يعيد ذكر هذه الحقيقة ليقيم على أساسها سائر التشريعات والتكاليف ، ثم يذكر من صفات الله هنا **(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)** فمن رحمته السابغة العميقة الدائمة تنبثق كل التشريعات والتكاليف **(لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)** لا يسمى غيره إلهاً ، فهو إله واحدٌ متوحد متفرد في ذاته واسمائه وصفاته وأفعاله فليس له شريك في ذاته ولا كفؤ له ولا مثيل ولا نظير ولا خالق ولا مدبر غيره ، فهو المستحق للعبادة **(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)** وهوسبحانه المختص وحده باجتماع هاتين الصفتين الجامعتين ، كما أنه المختص وحده بصفة **(الرَّحْمَنُ)** فبرحمته وجدت المخلوقات وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات وبرحمته اندفع عنها كل نقمة ، وبرحمته عرّف عباده بنفسه. **من دعاء الصباح للإمام علي (ع) :** (يَا مَنْ دَلَّ عَلى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاتِهِ، يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ) ومن رحمته إسباغ النعم الظاهرة والباطنة عليكم. **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** النحل/٥٣.

**١٦٤ – ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**

في هذه الآية دلائل على وحدانية الله ورحمته ، ومن هذه الدلائل الترابط الكوني الهائل بين نظام الأرض ونظام الأجرام السماوية التي قد تبعد عنها ملايين السنين الضوئية ، والذي يهيء الله تعالى

الأجواء المناسبة لبقاء حياة الإنسان والكائنات في هذا الكوكب (**وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**) تعاقبهما على الدوام ، وزيادة طول أحدهما وقصر الآخر وهذا ما يسبب اختلاف الضوء الوارد لكل بقعة من الأرض ، لكي تلائم الزرع وحاجة الناس ، في اختلافهما يكون الحر والبرد والأجواء اللطيفة المتوسطة بينهما ، وما نشأ عن ذلك من الفصول الأربعة (**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**) السفن التي تنقل الناس وتجاراتهم وصناعاتهم عبر البحار إلى أقطار الأرض المختلفة فهي تفتقر إلى الله في وجودها ، وفي قوة دفع الماء التي تجعلها تطفو ، ما تقوم به مصالح الناس ، فمن الذي ألهمهم صنعتها وأقدرهم عليها ؟ ومن الذي سخر لهم البحر تجري فيه ؟ فهل هذه الأمور المنظمة حصلت بلا منظم لها ؟ وهل استقل بعملها الإنسان الذي خلقه الله من ضعف ؟ إن الذي سخر هذه الأنظمة خالقها ومدبرها منظم أمرها لا يعجزه شيء ، ودور الإنسان أن جعله الله جزءاً من أجزاء الأسباب التي بها وجدت أنظمة الكون ، فهذا يدل على رحمة الله بخلقه (**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**) فأظهرت بهذا الماء النازل من السحاب الحياة والأقوات التي لا يعيش الناس بدونها إنه لطف الله بعباده ، فيوجب أن يكون معبودهم وربهم ، فَإِذَاْ سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَاْ اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ (**وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**) نشر الدواب المتنوعة فمنها يأكلون من لحمه ويشربون من لبنه ومنها ما يركبون وما يحرسهم ونحوها ، والله القائم بأرزاقهم (**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**) التي تتعدد وظائفها : باردة وحارة جنوبية وشمالية تارة تكون رحمة وتارة ترسل بالعذاب ، فالله هو المصرف لها حسب المصالح العامة ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾ الحجر/٢٢ (**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) وهو بخار الماء المتكاثف فإن علا كان سحاباً وإن قرب من الأرض كان ضباباً. (**لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) هذه دلالات لقوم يدعوهم التفكر إلى الإيمان بالله ، فيستدلون بهذه الأشياء على أن لكل نظام منظم ، ولكل وجود موجد ، ولكل مخلوق خالق، ولكل تدبير مدبِّر ، ولكل تقدير مقدِّر **عن الإمام الصادق** (ع): (الْعَقْلُ مَاْ عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَأُكْتُسِبَ بِهِ الْجِنَانُ) الكافي١ص١١ لأن بالعقل يدرك الإنسان حقائق الأشياء ويفهم غاياتها ، وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد. **فائدة** : الرياح تختلف في معناها عن الريح ، الرياح مبشرات بالخير ، والريح للشر والعذاب ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ**﴾ الروم/٤٦، ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾ الذاريات/٤١.

**١٦٥** - ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾

**أنداداً** : أمثالاً ونظراء مخالفين رؤساء وقادة ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (**الأنداد** : أئمةُ الظلمِ وأشياعُهُم يحبونَهم ويُعظمونَهم وينقادونَ لهَمْ) من دون الله. هؤلاء الأنداد والنظراء والمثلاء يساويهم

في الله بالعبادة والمحبة والتعظيم والطاعة !! هذه الحالة مناقضة لتوحيد الله ، هؤلاء الذين يتخذون مع الله نداً له ويجعلونهم مثل الله في الرزق والتدبير ، ويعبدونهم ليقربوهم من الله ، هؤلاء ظالمون لأنفسهم لأنه ﴿مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق/١ ، هؤلاء جعلوا المخلوق كالخالق لأن المخلوق ليس نداً لله ، وإنما إتخذوه نداً محبوباً كحب الله ، والله تعالى المستحق للمحبة الكاملة **(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)** إنهم أحبوا الله الذي يستحق المحبة الكبرى ، والجهلاء أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً ، ومحبة الجهلاء عين شقاء العبد وفساده ، فهم مشركون بهذا الحب الذي لا يصدر من مؤمن موحّد لله **(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) وهنا نظرية القرآن الكريم في الحب** : جاء حب المؤمنين لله على درجة **(أَشَدُّ)** وهو مبالغة الحب وأعظم الحب ، فهو تعبير جميل وجليل وشفاف وينفذ في المشاعر لأنه نابع من الصدق والإيمان والعلم ، فالصلة بين المؤمن وبين الله تعالى على أساس أشد الحب ، وأقرب القرب ، وأكثر الجذب ، حب التآلف والتعاطف والترابط والتذّوق لطعم الحب ، حب الموازنة الكبرى مع كل حب ، إنه حب المقياس مع من تحب وكيف تحب ولماذا تحب؟ فحب الله يبقى هو الأشد في كل حالات الموازنة ، ويبقى حب الله هو المقياس والمعيار الصحيح لكل حب، إن المؤمنين لا يحبون شيئاً كحبهم لله عز وجل ، يحبون الله بدرجة **(أَشَدُّ)** أعلى درجات الحب ، ويحبون ما دونه حباً شديداً وليس أشد ، لا يحبون أنفسهم ولا أموالهم ولا أزواجهم ولا مساكنهم ولا أولادهم ولا تجارتهم.. إلخ ونحوها، الحب الأشد ، ولكن حبهم لله عز وجل يكون فقط بدرجة أشد ! فيكون هو المقياس لكل حب ، وهكذا نتعلم أن الحب في الله والبغض في الله هو الإيمان الصحيح والحب الصحيح والبغض الصحيح وهو المقياس الصحيح. لكل حُبٌّ وكراهية ، فعلينا أن نحب ما يحبه الله ونبغض ما يبغضه الله فهو نعم الميزان لكل أنواع الحب والبغض بل هو أفضل الأعمال. **عن النبي (ص)** : (إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِسْلاَمِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ) كنز العمال الخبر٢٤٦٥٦ **وعنه (ص)** : (مَاْ تَحَابَّ إِثْنَاْنِ فِي اللهِ تَعَاْلَى إِلاَّ كَاْنَ أَفْضَلُهُمَاْ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ)كنز العمال خبر٢٤٦٤٨.

**(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)** الذين إتخذوا لله أنداداً يحبونهم كحب الله ، فجعلوا حب المخلوق المرزوق بمنزلة حب الخالق الرازق ، اعتقاداً منهم بأن لهم قدرة وتأثيراً ورزقاً ، فهم إختلّت عندهم موازين الحب الصحيح ومعاييره الدقيقة ، فخلطوا بين الحب الأشد لله والحب الشديد للأنداد **(إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ)** جزاء حبهم البائس هذا المضطرب **(أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)** فهو الذي خلق الأنداد التي أحبوها فأضرهم هذا الحب لأنهم لم يعرفوا موازين الحب الصحيح ، لو علم هؤلاء الذين إختل عندهم موازين الحب الشريف لتعلقوا بالحب الأشد لله تعالى، ولكنهم عرفوا هذه الحقيقة الضخمة بعد فوات الأوان ، بعد أن خسروا أنفسهم ، فما الفائدة أن أربح كل شيء ، وأخسر أهم شيء

وهي نفسي ؟! ولو عرفوا أن الله وحده هو المهيمن في يوم القيامة وأنه شديد العذاب. **فائدة** : **١-** كلُّ شيء شغلت به قلبك وأخذ وقتك عن الله تعالى فقد جعلته في قلبك نداً وبديلاً عن الله بقدر تعلقك به ! **٢-** يكون إتباع (الهوى) نداً لله وبديلاً عن الله لأنه يُعبد من دون الله ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ الجاثية/٢٣ ، ومن إتبع الهوى فقد هوى وسقط ولو بعد حين، لأن بدايته يغر ويسر ونهايته يضر ﴿**بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ الروم/٢٩. **٣-** (**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**) بها يتصرف في كل الوجود في تدبير عالم الآخرة هي عين القوة التي تدبر عالم الدنيا ، وإنهم كانوا ضالين حين لجئوا إلى قوة غير قوة الله ، وأشركوا معها غيرها وكان ذلك سبب عقابهم الشديد، **في غرر الحكم**: (وَالْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ).

**١٦٦ -** ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

**التبرؤ** : مبالغة في البراءة وهو التنصل والتباعد ممن يكره قربه ، **اتُّبِعُوا** : الرؤساء يتبعهم الناس ، **اتَّبَعُوا**: الجماهير تتبع القيادة ، **الأَسْبَابُ** : الصلات والعلاقات والروابط. **المعنى** : بيان حال التابعين والمتبوعين ، القيادة والقاعدة، في يوم القيامة يرى الناس بأعينهم العذاب ، حين يتبرأ الرؤساء الأنداد الفاسقون الذين إتبعتهم الجماهير بجهل ، تبرؤ من أتباعهم الذين ضلوهم عن سبيل الله في الدنيا ويتنصلون من إضلالهم وتتقطع الصلات التي كانت بينهم وينشغل كلٌّ بنفسه تابعاً كان أو متبوعاً، لأنهم كانوا دعماً لسلطتهم الفاسدة وسندوا حكمهم الجائر وصاروا طغاة مثلهم! متى يحصل ذلك؟ عندما يرون العذاب الأليم ، ولكن ذلك لا يجديهم نفعاً لأنه بعد فوات الأوان، فماذا يفيدهم هذا التبرؤ مقابل ما إقترفوه من كبائر السيئات والاعتداءات ، فهم كانوا أدوات ضلال وإضلال بين الناس ، **فائدة**: وهكذا (الْذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ، لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ ؟!) وهكذا الذي ينسى الله في الرخاء ينساه في الشدة ، والذي لا يفكر يقوده الذين يفكرون ويجعلونه على ما هم عليه من فساد ، (مَنْ زَاْنُوْاْ الْحَقَّ بِالرِّجَاْلِ ظَلَمُوْهُ، وَمَنْ زَاْنُوْاْ الرِّجَاْلَ بِالْحَقِّ أَنْصَفُوْهُ) ، الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِعْرِفْ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ، وَإِعْرِفْ الْبَاْطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ) أمالي المفيد ص٣.

**١٦٧ -** ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾

يتمنى التابعون عن عمى لقياداتهم الفاسدة أن يردوا إلى الدنيا ويتبعوا سبيل الحق ، ثم يعودوا إلى يوم المحشر فيتبرأوا من هؤلاء القيادات المجرمة ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾ الأنعام/٢٨ ، إنما هو قول يقولونه ، وأماني يتمنونها على القيادات لما تبرأوا منهم (**كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**) عندما يرون أعمالهم السيئة فتكون لها أسوأ الآثار على نفوسهم (**وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ**) بل هم فيها خالدون ، ولاتنالهم رحمة ولاتنفعهم شفاعة ، ولا يفيدهم ندم ولا

تحديهم الحسرات ، وأشد الندامة في يوم القيامة. **فائدة : ١- عن الإمام الصادق** (ع) : (قِفْ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ حَتّى تَعرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخْرَجِهِ، قَبْلَ أَن تَقَعَ فِيْهِ فَتَنْدَم) البحار٢٨٣/٧٨، **عن الإمام علي** (ع) (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ مِنْ أَيْنَ، وَفِيْ أَيْنَ، وَإِلَى أَيْنَ) **وعن الإمام الباقر** (ع): (هُوَ الرَّجُلُ يَكْتَسِبُ الْمَاْلَ وَلاَ يَعْمَلُ فِيْهِ خَيْرَاً فَيَرِثُهُ مَنْ يَعْمَلُ فِيْهِ عَمَلاً صَاْلِحَاً ، فَيْرَى الأَوَّلَ مَاْ كَسَبَهُ حَسْرَةٌ فِيْ مِيْزَاْنِ غَيْرِهِ)مجمع البيان٥٠١/١. **٢-** يوجه القرآن الكريم إلى اكتشاف نقاط الضعف عند الأقوياء من الحكام الطغاة قبل أن يكون لهم تبعاً ، إذاً فالمسؤولية فردية يتحملها الإنسان من خلال مواقفه ، والإنسان يحيا بمواقفه أكثر مما يحيا بعمره **في نهج البلاغة خطبة١٥٤** (العامل بغَيْرِ علم كَالسَّاْئِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ!) فالذي يسير خلف الطغاة الأقوياء لتحصيل المال والجاه ، ما هي إلاّ لذات قصيرة ولها تبعات طويلة ومريرة. **٣-** الآية الكريمة تعلمنا الأساليب الوقائية لكي يتفادى الإنسان من الوقوع في مواقف حرجة ظاهرها يغر وباطنها يضر ، ويكون أكثر وعياً وحرصاً في مواقفه للحفاظ على مستقبله الأخروي والدنيوي.

**١٦٨- ١٦٩ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**

بعد أن بيّن في الآيات السابقة تثبيت وحدانية الله ، ورفض الأنداد والشركاء لله ، بيّن هنا أنه الرزاق لعباده كلهم وهو الذي يشرّع لهم الحلال والحرام ، وأنه يبيح للناس جميعاً أن يأكلوا مما رزقهم الله في الأرض حلالاً طيباً ، وأن يتلقوا منه سبحانه الأمر في الحلال والحرام ويلتزموا به ولا يتبعوا وساوس الشيطان وخطواته وطرقه وأساليبه الخبيثة الكثيرة والمتنوعة ، الذي يزيّن الباطل بزينة الحق ، فهو يأمرهم بالسوء ، ويُسهّل عليهم أن يحللوا ويحرموا بحسب أهوائهم ومصالحهم دون مراعاة منهج الله ويسمي ماليس من الدين بإسم الدين. **فائدة** : **١- (خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)** طرقه ، خططه ، والإقتداء به ، إتباع وسوسته. ثم يبين كيفية عداوته وفنون شره وطرق فساده : الشيطان عدو للإنسان والعدو لا يأمر إلاّ بالسوء والمعاصي الكبيرة والفحشاء ، **(إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ)** يتسلط عليكم كأنه آمر مطاع يغري ويغوي ، فهو يزين إليكم المنكر ويجرأكم على المعاصي فتحللوا الحرام وتحرموا الحلال بلا علم تبعاً لأهوائكم.

**المعنى**: لا تتبعوا تأثيراته ومداخله ووساوسه ، فيدخل الشيطان لإقناع الإنسان برأيه الضال ويدعمه هواه ومناه والنفس الأمارة بالسوء والجهل والشهوات واللّذات وحب الأنا في نفس الإنسان **(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)** ظاهر العداوة عند المؤمنين وذوي البصائر كقوله **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾** الأعراف/٢٠١ ، أما عند متبعي الهوى وحب الأنا فالشيطان سيدهم وقائدهم ومحرض لهم فيدلهم على ما تشتهيه نفوسهم الأمارة بالسوء ، وهو عدو

مبين واضح ﴿**لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ**﴾ ص/٨٢-٨٣. **٢- نذكر من خطوات الشيطان باختصار** : ١- يأمر بالكفر والشرك ومعاداة الرسول (ص) والرسالة ، ٢- نشر البدع لأنها ضلالات وشهوات وهي أحب إليه من الفسوق، لأن المعصية يتاب منها والبدع لا يتاب منها لأن صاحبها يظنها صحيحة ، ٣- يُشجَّع على كبائر الذنوب وأنواعها ، ٤- يتسامح بصغائر الذنوب التي يستهين الإنسان بها، **عن النبي (ص)** (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فإِنَّ لكلِّ شَيءٍ طالباً) البحار٧٣ص٣٤٦، ٥- المباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه بإشتغاله بها، ٦-يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة! **٣- سبب وسوسة إبليس:** ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ الأنفال/٣٧، فإبليس دلال على النار والخلافات، وبضاعته الدنيا، ولما عرضها على الكافرين قيل ما ثمنها؟ قال ترك الدين! فاشتروا الدنيا بالدين! لذلك صار، **عن الإمام الصادق** (ع): (حُبُّ الدُّنْيَاْ رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ) البحار٧٣ص٧، وإعلم أن أكل الحلال الطيب يساعدك على الورع والتعفف ، يورث الرغبة بطاعة الله والقدرة على اجتناب خطوات الشيطان. **٤- عن إبن عباس** : (مَاْ خَاْلَفَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ خُطُوَاْتِ الشَّيْطَاْنِ) الدر المنثور١/١٦٧، **وعن الإمام الصادق** (ع): (إِيَّاْكَ وَخِصْلَتَيْنِ فِيْهِمَاْ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ ، إِيَّاْكَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاْسَ بِرَأْيِكَ ، وَتَدِيْنُ بِمَاْ لاَ تَعْلَمْ (تعتقد بلا فهم)!) مواهب الرحمن٢/٣٤٢، **وعن الإمام الباقر** (ع) : (سُئِلَ عَنْ حَقِّ اللهِ تَعَاْلَى عَلَى الْعِبَاْدِ قَاْلَ (ع) : أَنْ يَقُوْلُوْاْ مَاْ يَعْلَمُوْنَ وَأَنْ يَقِفُوْاْ عِنْدَ مَاْ لاَ يَعْلَمُوْنَ). **٥- (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)** القول على الله بلا علم في شرعه وكتابه وسنة رسوله ، **مَا لا تَعْلَمُونَ** علم اليقين أنه سبحانه شرَّعه لكم من شعائر دينية ، أو تحليل ما الأصل فيه التحريم، أو تحريم ما الأصل فيه الإباحة، وكل قول بغير علم في أمور الدين مدعاة للشقاق والنفاق والخلاف والكراهية والسوء والفحشاء ، وينهى القرآن عن ذلك ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/٣٦. **٦- الفرق بين السوء والفحشاء : السوء:** ما يسوءك وقوعه أو عاقبته والفحشاء كل ما يفحش ويتجاوز الحد في قبحه في أعين الناس من المعاصي والآثام وهي أقبح من السوء شرعاً وعقلاً ، أو السوء هو كل الصغائر والفحشاء كل الكبائر التي عليها حدود.

**٧- (حَلالاً طَيِّباً)** يدل أن الأصل في الأعيان الإباحة أكلاً وانتفاعاً، وأن المحرم إمّا محرّم لذاته وهو الخبيث ضد الطيب ، وإمّا محرّم بعارض عرض له وهو ضد الحلال.

**١٧٠ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**

**مَا أَلْفَيْنَا** : ما ألفناه من الألفة والاعتياد. **المعنى** : من خطوات الشيطان الخطيرة استغلال العاطفة والألفة والعيش المشترك بين الآباء والأبناء ، ليصنع من الآباء المنحرفين أصناماً بشرية تُعبد من دون

الله وتصوغ عقيدة الأبناء وسلوكهم بغير علم ، وتقييدها عن التفكير الحر النزيه وتلقيها في التقليد الأعمى والإتباع بلا فهم ولا وضوح ، ويفند القرآن هذا الأسلوب عندما يسألهم : هل كنتم ستتبعون آباءكم لو ثبت لكم فسادهم ؟ الجواب لا ، إذن فلينتبه الأبناء المقلدون لآبائهم (أو المتبعون لقيادتهم) إلى أن المقياس هو الحق المؤيد والاستقامة المسددة بالبرهان (**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**)؟! والإستفهام للإنكار والتعجب من حالهم في تقليدهم الأعمى للآباء بلا تعقّل ، وهكذا الذي لا يفكر يكون ضحية الذين يفكرون ، لذلك أصبح **عن النبي** (ص) (**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**)البحار١/١٧٧ **في نهج البلاغة خطبة١٥٤(العامل بغَيْرِ علم كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الصَّحِيْحِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَابِ**). **فائدة** : **١-** في الآية إرشاد إلى منع التقليد الأعمى وإتباع القيادات بلا علم لمن قدر على الإجتهاد ، ولا ينافي هذا الدليل على تقليد العامة للمجتهدين العاملين خلفاء الرسل وورثة الأنبياء ، تقليدهم في بيان الحكم الشرعي بعد ثبوته بالدليل القاطع ، لذلك لا يجوز تقليدهم بالأصول والعقائد ، وتقليدهم بالفروع بالعبادات والمعاملات العامة كما قال تعالى : ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ النحل/٤٣ ، **إذن التقليد قسمان** : **١- تقليدٌ مذموم** : يكون من الباطل في الباطل وإلى الباطل وهذا هو الإتباع الأعمى. **٢- تقليدٌ محمود** : يكون من الحق في الحق وإلى الحق فإنه من القدوة الحسنة بشرط عدم تعطيل العقل. **عن النبي** (ص) : (اِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُوْنَ)!كنز العمال خبر٢٩٣٣٩ **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّهُ لَيْسَ لِهَالِكٍ هَلَكَ مِنْ يَعْذُرُهُ فِيْ تَعَمُّدِ ضَلاَلَةٍ حَسِبَهاْ هُدَىً ، وَلاَ تَرْكُ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلاَلَةٌ) البحار٥/٣٠٥.

**١٧١ -** ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾

تضرب الأمثال للعبرة. مثل الكفار والذين يقلدون آباءهم وقياداتهم المنحرفة عن عمى وجهل ، فلا ينتفعون بالقرآن وبالرسول والرسالة ، مثلهم كمثل الراعي الذي يصيح بغنمه فهي تسمع الصوت والنداء لكنها لا تفهم الكلام ، فهؤلاء الكفار والجهلاء يتبعون الإتباع الأعمى كالدواب السارحة لا يفهمون ما تدعوهم إليه من الحق ، هؤلاء يسمعون القرآن ويصمّون عنه آذانهم ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الفرقان/٤٤ ، لهذا قال (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**) تشبيه بليغ: صم الآذان عن سماع الحق ، بكم خرس عن النطق به ، عمي في البصيرة وإن كانوا يبصرون بالعين ، فهم لا يعرفون مصالحهم ولا يفقهون النصائح ولا يدركون المواعظ البالغة الأهمية ، لأنهم أصبحوا كالدواب التي تدبُّ على الأرض همها علفها بل هم أسوأ حالاً من الحيوانات ! ، وإن ظهروا للعيان في مظهر العقلاء ، إذ منحهم الله العقل والحواس والمشاعر فعطلوها. **فائدة** : (**فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ**) ليس المراد نفي العقل وإنما تجميده لذا **قيل** : (مَنْ فَقَدَ حِسّاً ، فَقَدْ عِلْمَاً) ، اللهم

خلصنا من التقليد الأعمى وتعطيل العقل عن الرؤية المثلى ، وأوصلنا إلى منزلة التوحيد العملي الأسمى إنك سميع مجيب.

**١٧٢ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**

إنتقل الخطاب من عامة الناس إلى من يلتزم بالتكاليف والأحكام الشرعية ، وإنتقل الخطاب ممن لا يعقل ولا يصغي إلى من يفهم ويستجيب. إن الله ينادي الذين آمنوا لأنهم أقرب الناس إليه ويذكرهم بما رزقهم فهو وحده الرزاق ويبيح لهم الطيبات ، فيشعرهم أنه لم يمنع عنهم طيباً من الطيبات ، والذي حرمه غير الطيب (**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**) ويوجههم للشكر فإنه عبادة وطاعة ورضى واستقامة (وَمَنْ يَشْكُرِ النَّاْسَ يَشْكُرِ الله) وبِالشُّكْرِ تَدُوْم النَّعَمْ ، ومن شكر الله فقد عبده ومن لم يشكره لم يعبده وحده ، **وتدل الآية** : أن أكل الطيب الحلال سبب للعمل الصالح وقبوله ، والأمر بالشكر بعد النعم لحفظ النعم الموجودة وإرجاع النعم المفقودة ، ويعمل كفران النعم ونسيان المنعم بالعكس ، إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم. والشكر عصمة من الفتن وأمان من النقم **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾** النمل/٤٠ ، **في نهج البلاغة حكم٣٣٠**: (أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لله أَلاَّ تَسْتَعِينُوْاْ بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاْصِيْهِ). **فائدة** : **١**– يهتم القرآن بالصحة الغذائية فهي دافعة إلى الشكر لدوام النعمة (**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ**). **٢**– **في المأثور يقول الله في الحديث القدسي**:(أَنَاْ أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِيَ ، وَأَنَاْ أَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِيَ)! روح البيان١/٢٧٦

**١٧٣ – ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

حرم الله في هذه الآية أربعة أنواع وهي غير الطيبات (الخبائث) : **١– الْمَيْتَةَ** : وهي كل حيوان مات من غير تذكية شرعية. **٢– الدَّمَ**: المراد به الدم المسفوح المتميز عن اللحم لأن ما إختلط باللحم معفو عنه. **٣– لَحْمَ الْخِنْزِيرِ**: وشحمه وجميع أجزائه ، وخص اللحم بالذكر لأنه أهم الأجزاء التي ينتفع بها. **٤– وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** : **الإهلال**: رفع الصوت بالتسمية ، وإهلال المطر : شدة إنصبابه ومنه إهلال الصبي : صياحه عند الولادة والإهلال لغير الله هو الذبح لغيره سبحانه وما ذكر عليه حين الذبح غير اسم الله سبحانه (**فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**) الباغي من يفعل الحرام من غير ضرورة، **المضطر**: الذي يخاف الضرر على نفسه إذا لم يتناول المحرم أو يخشى حدوث الضرر أو أكرهه طاغية على أكل أو شرب المحرم ، بحيث إذا لم يفعل حصل له الضرر في نفسه أو عرضه أو ماله. والذي يجوز تناوله هو أقل المقدار الذي يرتفع فيه الضرر (**وَلا عَادٍ**) الذي يتعدى الحدود ويتجاوز مقدار الضرورة (والضرورة تقدر بقدرها) (**فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**

**رَحِيمٌ)** يغفر الذنوب ويرحم العباد ومن رحمته أن أباح المحرمات وقت الضرورة ، **فائدة** : الإنسان عند الإضطرار مأمور بأكل وشرب المحرم ، حتى لا يلقي بيده إلى التهلكة ، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات فيكون قاتلاً لنفسه ، وهكذا (عِنْدَ الضَّرُوْرَاْتِ تُبَاْحُ الْمَحْضُوْرَاْتُ). **عن الإمام الصادق** (ع) عن أكل الميتة من غير ضرورة (أَمَّا الْمِيْتَةُ فَإِنَّهُ لَمْ يَنَلْ مِنْهَاْ أَحَدٌ إِلاَّ ضَعُفَ بَدَنُهُ ، وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَإِنْقَطَعَ نَسْلُهُ ، وَلاَ يَمُوْتُ آكِلُ الْمِيْتَةِ إِلاَّ فَجْأَةً)تفسير النور ٢٥٣/١. **أما حرمة لحم الخنزير** : فإنه قذر ويأكل عذرته والقاذورات ، فهو يسقط الغيرة من الرجال والنساء التي تساعد على التحلل الجنسي وإباحيته ونحوه من المساوئ. **عن الإمام علي** (ع) : في قوله تعالى ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد/١٠: (إِنَّ اللهَ أَمَرَ بِطَاْعَتِهِ وَأَعَاْنَ عَلَيْهَاْ وَلَمْ يَجْعَلْ فِيْ تَرْكِهَاْ عُذْراً ، وَنَهَى عَنْ الْمَعْصِيةِ وَأَغْنَى عَنْهَاْ وَلَمْ يَجْعَلْ فِيْ رُكُوْبِهَاْ عُذْرَاً)، **وعن الإمام الصادق** (ع) في حرمة أكل الدم (أَمَّاْ الدَّمُ فَإِنَّهُ يُوْرِثُ الْقَسْوَةَ فِيْ الْقَلْبِ، وَقِلَّةَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، حَتَّى لاَ يُؤْمَنَ أَنْ يَقْتُلَ وَلَدُهُ أَوْ وَاْلِدَيْهِ وَلاَ يُؤْمَنَ عَلَى مَنْ يَصْحَبُهُ)وسائل الشيعة٣١٠/١٦. أكّد الإسلام على الطعام الحلال لإنه طيب ، وحذّر مراراً من الأكل الحرام لإنه خبيث ، حتى نبقى دائماً نعيش التوحيد الخالص.

**١٧٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

وهذا وعيدٌ شديد عام للعلماء لمن كتم وأخفى ما أنزل الله على رسله من العلم النافع الذي أخذ الله الميثاق على أهله ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ آل عمران/١٨٧ ، ولا خير في علم لا ينفع صاحبه ولا ينفع غيره، **عن النبي** (ص) (والعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَاْبَهُ وَإِلاَّ إِرْتَحَلَ عَنْهُ) البحار٢ص٣٣ ما هو السبب في كتمانهم لعلوم الرسالة؟ هي المصالح الخاصة التي يستفيدون منها بهذا الكتمان ويخشون عليها من الظهور والانتشار، ويتركون أمر الله في تبليغ رسالته وبيانها للناس ففضلوا مصلحتهم على مصلحة رسالة الله فخانوا الله وتاجروا بالدين لأجل الدنيا (**أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ**) فالذي يأكلونه من ثمن الكتمان ومهما كان كثيراً فهو متاع قليل ، مقابله نار في بطونهم وكأنما هم يأكلون النار (**وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) سخط عليهم وأعرض عنهم وأهملهم في مهانة كما أهملوا الرسالة وخانوا الأمانة ، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار لأنه يدعهم في ذلة واحتقار وهذا عذاب نفسي قبل عذاب جهنم الجسدي (**وَلا يُزَكِّيهِمْ**) لأنهم فعلوا الأفاعيل الخبيثة التي تبعدهم عن طهارة قلوبهم وتهذيب نفوسهم، وهذا هو من أسباب عدم التزكية (**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) وهكذا يكون الجزاء على قدر الذنب. **فائدة: ١-** راجع البقرة/١٥٩. **٢- (خطورة كتمان الحق)** الذين يحرفون الإسلام ويضعونه في غير موضعه ويؤولونه حسب اجتهاداتهم بلا حجة ولا برهان ﴿**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ آل عمران/٧٨ ، في مقابل الأجر

على الفتاوى الباطلة أو كتمان الحق على الناس أو إخفاء الحكم الشرعي عليهم مقابل ثمن قليل من حطام الدنيا أو جاه أو مال.. وسمّاه قليلاً لأن كلّ عوض عن الحق فهو قليل ﴿**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ التوبة/٣٨ ، فهو خيانة كبرى وجريمة عظمى ودعم للباطل ومحاربة الحق وأهله. **عن الإمام علي** (ع) : (رَأْسُ الْكُفْرِ الْخِيَاْنَةُ) مستدرك الوسائل٢/٥٠٦ لذلك هذه الخيانة عقوبتها شديدة ومديدة بسبب النتائج الخطيرة التي تترتب عليها في المجتمع على مدى الأجيال.

**١٧٥ - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾**

(**أُوْلَئِكَ**) الكاتمين لكتاب الله المتجرين به المعرضين عنه ، فقد كان معهم الهدى ولكنهم دفعوه ثمناً ليأخذوا الضلالة (على إطلاق معناها) فآثروا غواية الشيطان على هداية الرحمن (**وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ**) لقد سعوا إلى العذاب سعياً واشتروه بالمغفرة والرحمة (**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**) فكل من خالف الحق أو كتمه وضلّ عن سبيل الله هو من الصابرين على النار ، فما أعظم جرأتهم عليها ؟! وما أعظم استهانتهم بذنوبهم ؟ فما أخسرها من صفقة وأغباها من مبادلة ، ويالسوء ما اختاروا ، فقد كان الهدى مبذولاً لهم فتركوه ، وأخذوا الضلالة واشتروها ، وكانت التوبة والمغفرة متاحة لهم فتركوها واختاروا العذاب (**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**) وكلُّ من خالف منهج الله عن عمد فهو صابر على النار، لأن الذي يعمل ليكون مصيره النار فعليه أن يتحمل الصبر عليها بقدر إيمانه بها ، إنه الجزاء مكافئ الجريمة ، جريمة كتمان ما أنزل الله ، فلم يتحملوا المسؤولية. وهم عطلوها ولم يبلغوها وهذا عين الخيانة. **في نهج البلاغة كتاب٢٦**: (**إنّ أَعْظَمَ الْخِيَاْنَةِ خِيَاْنَةُ الأُمَّةِ، وَإِنّ أَفْظَعَ الْغُشِ غُشُّ الأئِمّةِ**) القيادة. **فائدة:** وردت في معصية كتمان الحقيقة على الناس ثمانية تهديدات متتالية ، خمسة في الآية السابقة وتهديدان في هذه الآية وواحد في الآية اللاحقة لشدة جريمة الكتمان وآثارها الإجتماعية الخطيرة والمريرة ، **عن الإمام علي** (ع) : (مَنْ كَتَمَ عِلْمَاً فَكَأَنَّهُ جَاْهِلٌ بِهِ) البحار٢ص٦٧

**١٧٦ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾**

**ذَلِكَ** إشارة إلى العذاب لشناعة وجريمة الكتمان (**بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَاب بِالْحَقِّ**) بيان لسبب العذاب، الذين إختلفوا في ما بينهم في القرآن الكريم إنه سحر أو شعر أو أساطير هم أبعد الناس عن الحق فهم في شقاق مع الحق وشقاق في ما بينهم وبين أنفسهم (**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ**) فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وكتموا الحق وأوّلوا الكتاب بحسب أهوائهم (**لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**) لفي نزاع شديد بعيد عن الحق والصواب والفطرة.

**١٧٧ - ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**

**معنى البرّ** : التوسّع في الخير وهو كل ما يتقرّب به إلى الله تعالى وينفع الناس ، ليس البر وهو فعل الخير والإحسان والأعمال الصالحة محصوراً في أن يتوجه الإنسان في صلاته جهة المشرق والمغرب ، هذا ليس كلُّ البرّ ، وإنما البرُّ المقصود والجامع لمعناه ومغزاه هو قوله (**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**) ولكن البر يحمله الأبرار الذين ميزهم الله تعالى بمراتب ثلاث : الأولى في الاعتقاد والثانية في العمل والثالثة في الأخلاق ، **المرتبة الأولى** : في الاعتقاد (**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**) ، **الإيمان بالله** : يشكّل الأساس في التصور الإسلامي الشامل عن الكون والحياة والأحياء وفلسفة الوجود على أنه أكبر من ظاهره المشهود. (**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) تعبير عن العالم الغيبي الرحب الذي يقام فيه العدل الإلهي للناس أجمعين ويحصل ذلك بعد الموت **عن النبي** (ص)(إذا مَاتَ أحدكم فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ)كنز العمال خبر٤٢١٢٣ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ. **في غرر الحكم:** (مَاْ بَاْلُكُمْ تَفْرَحُوْنَ بِاْلْيَسِيْرِ مِنَ الدُّنْيَاْ تُدْرِكُوْنَهُ ، وَلاَ يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيْرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُوْنَهُ) (**وَالْمَلائِكَةِ**) كجزء من الإيمان بعالم الغيب (**وَالْكِتَابِ**) جنس الكتاب المنزل من الله على رسله وأعظمها القرآن ، **عن النبي** (ص) : (مَنْ أَرَاْدَ عِلْمَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ) كنز العمال خبر٢٤٥٤، (**وَالنَّبِيِّينَ**) كافة الأنبياء وأفضلهم مُحَمَّد (ص) قادة رسالات التوحيد لدين الله للناس ، **المرتبة الثانية** في العمل (**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**) وإعطاء المال (غير الزكاة) تحرراً من الحرص وسموّاً على حب المادة ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، وخير المال ما أعانك على قضاء حاجتك ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ آل عمران/٩٢ ، (**ذَوِي الْقُرْبَى**) الذين تحزن لمصابهم وتفرح لسرورهم ، والأقربون أولى بالمعروف (**وَالْيَتَامَى**) الذين يفقدون الأبوين أو أحدهما (**وَالْمَسَاكِينَ**) الذي أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر وهم أسوأ حالاً من الفقراء (**وَابْنَ السَّبِيلِ**) الغريب المنقطع عن بلده.

(**وَالسَّائِلِينَ**) الذي يسألون الناس عن حاجة (**وَفِي الرِّقَابِ**) عتق الرقاب وفداء الأسرى وتخليص المظلومين من سجون الظالمين (**وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**) إقتران بين الصلاة والزكاة لكونهما أفضل العبادات وأكمل القربات ، عبادات قلبية وبدنية ومالية وبهما يوزن الإيمان وتتبين حسن العبادات مع حسن المعاملات، **المرتبة الثالثة:** في الأخلاق والتكامل النفسي (**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**) العهد إلزام العبد لنفسه بالوفاء بالعهد والوعد والعقد مع الناس ، فدخل في ذلك

حقوق الله كلها لكون الله ألزم بها عباده وإلتزموها ووجب عليهم أداؤها (**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**) الشدة والفقر والمصائب التي تصيب الإنسان في غير ذاته في المال والجاه والأهل والأمن (**وَالضَّرَّاءِ**) المرض وغيره من المصائب المادية أو المعنوية التي تصيب الإنسان في ذاته كالجرح والهم والجهل والخوف (**وَحِينَ الْبَأْسِ**) وقت قتال الأعداء ، لأن فيها غاية المشقة (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**) المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة والأعمال الدالة على الإيمان والأخلاق التي هي جمال الإنسان ، أولئك الذين صدقوا في دعوى إيمانهم بالأعمال والوقائع العملية ، فترجموا الدين العبادة والمعاملة والأخلاق. (**وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ**) الذي توقوا معاصي الله بالإلتزام بطاعته ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ عَمِلَ بِهَذِهِ الآيَةِ فَقَدْ إِسْتَكْمَلَ الإِيْمَانْ)روح البيان١/٢٨٣. **فائدة : ١-** ليست غاية البر الشعائر الظاهرة وإنما ما هي موقعها في القلب والمشاعر وأثرها في الأقوال والأعمال ، لأن (**الإيمان**) حس حضاري يكون العمل فيه يسبق القول ، وهو نقطة التحول من كل عبودية لغير الله على تنوعها إلى عبودية الله الواحد ، (**والإيمان**) نقطة تحول من الفوضى إلى النظام ومن الضلال إلى الهدى ومن التشتت إلى توحيد الإتجاه وإستقامته ، **وبالإيمان بالله جلّ جلاله** يجعلك توحد الأهداف والغايات والسبل نحو رضا الله تعالى ، **والإيمان باليوم الآخر** هو الإيمان بالعدالة الإلهية وهو ميزان الحق والعدل، **في غرر الحكم:** (مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الآخِرَةِ قَلَّتْ مَعْصِيَتُهُ) ، **والإيمان بالملائكة** وهو من عالم الغيب وهو الإيمان بعالم من المخلوقات تختلف بخواصها عن الإنسان ، **والإيمان بالكتب والنبيين** وهو الإيمان بوحدة الدين ووحدة المنهج ووحدة الإنسانية ووحدة الإله فهم في تعدد أدوار وحدة الهدف ، **وآتى المال على حب الله للأقرباء واليتامى والمساكين**... المال محبوب النفوس ، فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى كان هذا برهاناً لإيمانه ، وإيتاء المال على حبه أن يعطيه وهو عن قلة كان أفضل، أو يخرج النفيس في نفسه ليعطيها لمحتاجيها ﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾ النور/٣٣ ، **إقامة الصلاة** : دائماً يذكر القرآن يقيمون الصلاة ولا يقول يصلون ، حيث أن إقامة الصلاة أداء الصلاة بشرطها وشروطها ومقدماتها فتكون (الصَّلاةُ مِيزَانٌ دَقِيْقٌ فَمَنْ وَفَّى ، إِسْتَوْفَى). إنها توجه الذي يقيم الصلاة بكليته إلى ربه جسماً وعقلاً وروحاً ، ظاهراً وباطناً ، شكلاً ومضموناً ، فهو يخشع قلبه فتخشع جوارحه ، ويعطي للجسد حقه وللروح حقها ، ويعطي للدنيا حقها وللآخرة حقها.

**وإيتاء الزكاة:** إنها الجانب العملي للإسلام الذي جعله الله حقاً للفقراء مع أموال الأغنياء، ليختبر الأغنياء بالنفقة ويختبر الفقراء بالتعفف والصبر ، والزكاة إنماء للمال وتطهيره ، **في نهج البلاغة حكم١٤٦** : (حَصِّنُوْا أَمْوَالَكُم بِالزَّكَاةِ)

**ومفهوم الزكاة عام فيكون (لكل شيء زكاة)** : زكاة العقل إحتمال الجهلاء ، وزكاة الجمال العفاف، وزكاة القدرة الإنصاف ، وزكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله ، وزكاة العلم إنفاقه وزكاة المال إعطاؤه... **والوفاء بالعهد** : من علامة الإنسان ودلالة على الإحسان وبيان قوة الإيمان دلالة على ثقة العلاقات الإجتماعية فصار الوفاء بالعهد من الإيمان **عن الإمام الصادق** (ع) (وَلاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) البحار٨٤/٢٥٢، **وعن النبي** (ص) (وَلاَ إِيْمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ) البحار ٧٢/١٩٨، **الصبر في البأساء والضراء وحين البأس** : إنها تربية النفوس على الصبر في كل شدة فلا تنهار أمامها ، والصبر بصورة عامة أحسن حلل الإيمان وأشرف خلائق الإنسان ، **في غرر الحكم** (بِالصَّبْرِ تُدْرَكُ الرَّغائِبُ) وَتُنَالُ الْمَطَالِبْ (وَلاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ صَبْرَ لَهُ). **وهكذا آية واحدة تعطي خلاصة التصور الإسلامي** ذو الآفاق العالية الذي يريد الله أن يرفع الناس إليها من خلال هذا الدين القيم ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠.

**١٧٨** - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

رفض الإسلام سُنَّة الثأر الجاهلية الممزقة للمجتمع ، وأعلن مقابلها مبدأ القصاص العادل والمساواة في القتل العمد، **سبب النزول**: نزلت الآية من حيّين كان لأحدهما ميزة على الآخر في البأس والقوة، وكانوا يتزوجون نساء بغير مهمور ، وأقسموا لنقتلن العبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم ، وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك، حتى جاء الإسلام فأنزل هذه الآية. (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**) الخطاب للمؤمنين لمتابعة الجاني المعتدي عمداً على حقوق الآخرين ، لحماية مجتمعكم منه ومن الأشرار والمجرمين ولا يجوز تركه والإعفاء عنه لأنه يبقى مصدر إرهاب في الأمة وخطر على سلامتها. (**كُتِبَ**) فرض عليكم القصاص في القتل لتحقيق المساواة في القتلى فيقتل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول (**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنْثَى**) المساواة في القصاص في هذه الأصناف الثلاثة بحيث يقتل كلُّ واحدٍ واحداً مثله وسكتت الآية عن قتل الحرِّ عبداً وبالعكس وقتل الذكر الأنثى وبالعكس وهذا له دليل آخر ، ولكن المرونة الإسلامية فتحت مجال (**رأب الصدع**) وشد الأواصر للحفاظ على العواطف الأخوية ، فشرعت العفو مع الدية ، وهي مال يدفع لأهل القتيل وربما حبذت الآية العفو بتعبير (**أَخِيهِ**) فإذا عفي أولياء الدم عن شيء من حقهم فإن الأخلاق تقتضي منهم مطالبة القاتل بالدية المتعارفة بلا عنف ، وتقتضي من القاتل أداءها بلا تهاون أو إنقاص (**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**) والضمير في (له من أخيه) يعودان إلى القاتل بمعنى إذا رضي ولي الدم بأخذ الدية ولم يصر على القصاص (**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**) فينبغي أن

يقابل القاتل هذا العفو عن قتله بعرفان الجميل (**وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**) ويؤدي الدية كاملة بلا تأخير (**ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**) الحكمة من تشريع الدية بدلاً من القصاص ، هي تخفيف عنكم ورحمة بكم (**فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) كان بعض الجاهلية إذا عفوا عن القاتل وأخذوا الدية ثم ظفروا بعد ذلك بالقاتل قتلوه وجعلوا بين القتل والدية ، فنهى الله عن هذا الاعتداء وتوعدهم بالعذاب الأليم ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا**﴾ البقرة/١٨٧.

**١٧٩ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**

بين الله تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص ، في آية بليغة قصيرة في مبناها عميقة في معناها، ظاهرها أنيق باطنها عميق ، ذات دلالات واسعة فهي من أبلغ آيات القرآن بياناً ، وأجملها إستدلالاً وألطفها معنى ومغزى، **المعنى:** فهي قليلة الحروف سهلة اللفظ ، وتعريف القصاص وتنكير الحياة للدلالة على أن النتيجة أوسع من القصاص وهي حماية الحياة أغلى شيء في هذا الوجود ، وفي سبيل الحياة ودعماً للحياة ، بل القصاص في ذاته حياة وفي مضمونه حياة وفي أهدافه حياة. والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء حين التفكير بالاعتداء، وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم ، فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، وكان في هذا الكف حياة، حياة مطلقة ، لحماية أصل الحياة وحب الحياة وأهداف الحياة ، بل حب كل حياة وكل الأحياء. ثم الأهم في حفظ الحياة ، وحكمتها وكمالها وجمالها لتقواه (**يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**) وخصَّ أرباب العقول لأنهم يفهمون قيمة الحياة ، ويفقهون سرُّ هذا الحكم في القصاص وما فيه من حكمة ومصلحة ، فعليكم أن تستعملوا عقولكم في فهم دقائق الأحكام القرآنية. (**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) هذا الرباط (**التقوى**) الذي يعقل النفوس ويقيدها عن الاعتداء ، والذي يعيش التقوى ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ النحل/٩٧، وبغير التقوى لا تقوم شريعة ولا يفلح قانون ولا يقام عدل ولا يطمئن قلب ولا تنشرح نفس. **فائدة: ١-** أخطأت بعض النظريات الحديثة عندما رفعت القصاص فوقعت في جحيم الإجرام والإرهاب مما أضطرها العودة إليه ، بعد أن كانت تتهمه بالقسوة والوحشية أما (**السجن**) فترة تأديبية فلا يؤدي دور القصاص. **٢-** في الآية تحذير من القتل ، فإن من أعظم حقوق العباد (**الدماء**) وهي أول ما يحاسب به العبد بالنسبة إلى حقوق العباد ، كما أن الصلاة أول ما يحاسب به بالنسبة إلى حقوق الله تعالى، **٣-** تعلمنا الآية الكريمة أن قتلنا العادل لمن يريد قتلنا بالباطل إحياء لنا لأنه يعمل الخوف والردع من قتله إيانا ، لذلك قيل (الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ) المراغي٢/٦٣، أي (القتل (العادل) أنفى للقتل الجائر)!, **٤-** كما أن في القصاص حياة (**وبالعكس**) فإن في عدم قصاص القاتل تهديد بالموت للأحياء

وتُستهان الحياة الكريمة. **٥-** لابُدَّ من الموازنة بين الرأفة والقوة وحفظ حياة الفرد والمجتمع ، فإن حفظ الحياة بإقامة القصاص العادل ، ونشر الأمن والأمان في الأمة.

**١٨٠- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**

**الخير** : المال ، **موضوع الآية في الوصية** ، أهدافها توزيع الإرث في حياة الإنسان قبل وفاته للورثة بالعدل على أن لا يزيد على الثلث ، لأن حقه من ماله ثلث التركة ويذهب الثلثان للورثة ، فمن كتب وصيته بالعدل حفظ له الثلث وإن لم يكتب الوصية فسوف تكون النفقة عليه بعد موته صدقة ولو كان من ماله لأنه لم يُثبت حقه له من ثلث ماله. **المعنى** : الحاجة إلى الوصية في كلِّ وقت وفي كلّ عمر بإعتبار الإنسان لايعرف وقت موته ، وخاصة إذا حضرت أسباب الموت كالمرض والهرم للإنسان وقد ترك مالاً فعليه أن يوصي في توجيه ماله وتعيينه وتوزيعه (بالمعروف) الذي يرضاه الوصي والورثة ، الوصية لوالديه وأقربائه والثقاة عنده ، وصية بالحق والعدل والتساوي في إعطاء الحقوق كل حسب نسبه ومقداره وحقه ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ النساء/١١ ، بحيث لا جور في الوصية ولا بخس للحقوق بين الورثة (**حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**) حقاً واجباً على من إتقى ، وهذا تأكيد الوجوب في كتابة الوصية ، وأن يرتبهم على القرب والحاجة، وأن لا يقدم الأبعد ويبعد الأقرب ، ويعطي للأغنياء ويترك الفقراء ، **فائدة** : كتابة الوصية مهمة في العوائل المسلمة في حياة الموصي وقبل موته لتثبيت الحقوق بينهم ورفع الخلافات بين الورثة حتى يترحموا عليه ويدعوا له بالخير بعد وفاته ، فهي تذكّره بالآخرة والاستقامة ، **عن النبي (ص)**: (مَنْ مَاْتَ عَلَى وَصِيَّةٍ حَسَنَةٍ مَاْتَ شَهِيْدَاً) تفسير النور١/٢٦٩ ويمكن تجديد الوصية أوتعديلها بين حين وآخر حتى تتحقق العدالة ، وترك الوصية نوع من عدم التقوى مع الآخرين ولاسيما الورثة. ومن كمال الوصية تكون برضى الورثة مع توقيع شاهدين عدلين أو يكون مع الوصي ناظر إذا كانت الحاجة إليه ، وتصديقها عند الكاتب العدل لكي تكون نافذة المفعول شرعياً وقانونياً.

**١٨١- ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**

فمن بدل من الأوصياء أو الشهود ما أوصى به الموصي أو غيّر من الوصية شيئاً أو حرّفها بعد العلم بها (**فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ**) فأمامه تهديد ووعيد لمن حرّف الوصايا بشتى أنواع التحريف عن عمد فإن إثم ذلك التلاعب على من بدله دون غيره من الورثة الذين لا يعلمون (**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) بأقوالكم وأفعالكم.

**١٨٢- ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

**خَافَ** : علم ، **الجَنَف** : الخطأ ، الجور والميل عن الحق فيفضل بعض الورثة على بعض بغير حق عن سهو. تعرضت الآية لحالة يميل فيها الموصي عن المتعارف ويخرج عن الحق ، فيضر بنصيب الورثة وهو الجَنَف ، أو يوصي بأمر غير مشروع أو فيه إثم **(فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ)** بين الورثة والموصى لهم. **المعنى** إذا تجاوز الموصي حدوده الشرعية بأي شكل من الأشكال وأوصى مثلاً بأكثر من الثلث ، فعلى المصلح أن يبدل الوصية بعد وفاة الميت على أساس الدين ، أو علم من الموصي **(جَنَفاً)** ميلاً عن الحق بالخطأ **(أَوْ إِثْماً) أي** : ميلاً عن الحق عمداً ، مثلاً يعطي ماله لبعض ويحرم بعض أو يعطي للرجال ويحرم النساء ! **(فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) أي** : أصلح بين الموصي والموصى له فلا ذنب عليه بهذا التبديل. **وفي الآية إشارة** إلى أن إصلاح الوصية الفاسدة الباطلة خير للموصي والموصى إليه وللورثة ولاسيما في حياة الموصي ، بمعنى التنسيق بينه وبين زوجته وأولاده جميعاً ومن يعول في ترتيب وتوزيع أمواله بصورة ترضي الجميع في حياته. **(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** فمن خالف وبدَّل شيئاً من الوصية بنية الإصلاح إنّ الله يغفر له ويرحمه ويثيبه.

**١٨٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**

**الصوم:** إمساك عن الطعام والشراب والمحرمات، وتصوم البطون كما تصوم الجوارح والجوانح (الحواس) واللسان والعيون والمشاعر والضمائر، لدخول دورة تربوية لمدة شهر. **والصوم:** كفُّ النفس عن لذّات معينة في أيام معدودة قربة لله تعالى، وفيه تربية النفس وتقوية الإرادة الواعية وتغيير الطبائع وتهذيب العادات وتعميق الصلة بالله، والإحساس بقيمة نعمه سبحانه **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾** النحل/٥٣، والتحسس بآلام الفقراء، والارتفاع إلى مستوى التقوى. بالإضافة إلى فوائده الصحية والخُلقية والعبادية ، لخلق الشفافية والخشية من الله في السر والعلانية **في غرر الحكم:** (ذَرْوَةُ الْغَاْيَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوْ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ) **ومنازل الصوم** : الصوم للعوام والخواص ولخواص الخواص، **وصوم العوام** : الإمساك عن جميع المفطرات نهاراً مع خالص النية لله تعالى ، **أما صوم الخواص:** فالإمساك عن جميع المنهيات المادية والمعنوية وفي الأقوال والأفعال ، **أما صوم أخص الخواص:** فالإمساك عما سوى الله تعالى.

**المعنى** : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)** نداء من الحبيب تعالى إلى عباده الأحباء ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لَذَّةٌ فِيْ النِّدَاْءِ أَزَاْلَ بِهَاْ تَعَبُ الْعِبَاْدَةِ وَالْعَنَاْءِ) مجمع البيان٢/٢٢، يشير إلى أن المحب يبادر إلى إمتثال أمر محبوبه بكل رحابة صدر **(كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ)** فرض عليكم شهر رمضان **(كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)** من أمم الإنبياء (ع) من آدم (ع) ، فالصوم عبادة شاقة، وإذا عمّ حكمه هان تعبه وسهل تحمله ويرغب كل أحد في إتيانه **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** الوصول إلى التقوى هي الهدف من الصيام، والتقوى من وقى ، كما أتقي النار خوفاً من إحراقها كذلك أتقي الله بالإنتهاء عن

معاصيه والإلتزام بطاعته سبحانه (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) ، تستيقظ النفوس في القلوب من خلال الصوم ، وأيضاً التقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، وهي التي تجعل الإنسان مستقيماً في قوله وفعله في كل وقت ومكان. والصوم يكسر الشهوة **عن النبي** (ص) : (يَاْ مَعْشَرَ الشَّبَاْبِ مَنِ إِسْتَطَاْعَ مِنْكُمُ الْبَاْءَةَ (الإمكانية) فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (وقاية))روح البيان١/٢٨٩، والصوم يربي العزيمة ويرفع الإرادة على ضبط النفس وترك شهواتها ولذاتها والصبر عليها. جاء في الحديث القدسي **عن النبي (ص)**: (كُلُّ عَمَلِ إِبْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) البحار٩٦/٢٤٩، إظهار التقوى من خلال الصوم من عدة وجوه: أ- يعوّد الإنسان خشية الله في السر والعلانية، فالتقوى غفران للذنوب وتحفيز للطاعات، ب- يعوّد الصوم الشفقة والعطاء والرحمة بالفقراء فيشعر بمشاعرهم، ج- فيه المساواة بين الأغنياء والفقراء ، والملوك والبسطاء، د- يعوِّد الأمة النظام في الغذاء الصحي، هـ - يذوّب الشحوم المترسبة في البدن (**صوموا تصحّوا**). **عن النبي** (ص): (الصَّائِمُ فِيْ عِبَاْدَةِ اللهِ وَإِنْ كَاْنَ نَاْئِماً عَلَى فِرَاْشِهِ مَاْ لَمْ يَغْتَبْ مُسْلِماً) البحار٩٦/٢٤٧.

**١٨٤ - ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

**أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ** ومعلومات وهي شهر رمضان المبارك (**فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**) فمن كان منكم مريضاً مرضاً يضرُّ به الصوم أو مسافراً مسافة شرعية سفراً مباحاً فعليه صوم عدّة أيام المرض والسفر من أيام أخرى ، (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**) على الذين يستطيعون صيامه مع الشدة والمشقة لشيخوخة أو ضعف ، إذا أفطروا عليهم فدية بمقدار طعام مسكين وتقدّر بقدرها لكل يوم ولا قضاء عليه (**فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً**) فمن أطعم أكثر من مسكين تطوعاً (**فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ**) زيادة الخير خير (**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**) الصوم مع تحمل المشقة أفضل لكم وأرفع منزلة عند الله من الإفطار مع الفدية (**إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) تأكيد على أفضلية الصوم. **فائدة** : **١-** الصوم سبب لشفافية الروح ويعالج جفاف النفس وقسوة القلب ليسهل عليها الولوج لكشف أسرار ملكوت السماوات ومعرفة أسرار الوجود على أنه أكبر من ظاهره المشهود ، (**والصوم**) واسطة التخفيف من جاذبيات حب الدنيا ليسهل عليه الخروج من رحم مضايق الجسمانيات والماديات **كما قال عيسى** (ع): (لَنْ يَلِجَ مَلَكُوْتَ السَّمَاْوَاْتِ مَنْ لَمْ يُوْلَدْ مَرَّتَيْنِ !) ولادة الألم وولادة الكشف، وقيل: سمي رمضان لأنه يرمض بالذنوب أي يحرقها ، ويشف النفوس ويزكيها، ويطهر الأرواح وينميها، **عن النبي** (ص): (لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاْةٌ وَزَكَاْةُ الأَبْدَاْنِ الصِّيَاْمُ) البحار٩٦/٢٤٦، **وعنه** (ص): (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَاْمِهِ إِلاَّ الْجُوْعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ

مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ الْعَنَاْءِ) المصدر السابق، **في غرر الحكم**: (صِيَاْمِ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ صِيَاْمِ اللِّسَاْنِ ، وَصِيَاْمُ اللِّسَاْنِ خَيْرٌ مِنْ صِيَاْمِ الْبَطْنِ) ، **وعن النبي (ص)** : (الصَّوْمُ يُوْرِثُ الْحِكْمَةَ وَالحِكمَةُ تُوْرِثُ الْمَعرِفَةَ وَالمِعرفَةُ تُوْرِثُ الْيَقِيْنَ) البحار ٧٧ص٢٧.

**١٨٥ - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**

إكتسب الصوم أهميته في شهر رمضان من نزول القرآن فيه ، ويحمل للعالم كله (**الْهُدَى**) إلى كل خير ولعامة الناس (**وَالْفُرْقَانِ**) المميز بين الحق والباطل ، مما يوحي للأمة بعظم مسؤوليتها ونهضتها الحضارية على جميع الأصعدة الذي يحققه الصوم. وقد نزل القرآن تارة على قلب النبي (ص) دفعة واحدة لتربية القائد ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾ المزمل/٥ ، ونزل مرة ثانية تدريجياً على حسب المناسبات من خلال حركة الواقع وحسب ما يتناسب مع حركة الأمة، **عن النبي (ص)** : (نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاْهِيْمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَاْنْ وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاْةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْهُ وَالإِنْجِيْلُ لِثَلاَثِ عَشَرَةٍ مِنْهُ وَأُنْزِلَ زبور داود لثمان عشرة مِنْهُ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لثلاث وَعِشْرِيْنَ مِنْهُ) مجمع البيان٣٢/٢. (**هُدًى لِلنَّاسِ**) القرآن دستور حياة وهداية للناس أجمعين على الكرة الأرضية ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، وكتاب هداية ودراية وحماية ، (**هداية**) فهو يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، (**ودراية**) لأنه (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ) النحل/٨٩ (وَتَفْصِيل كُلِّ شَيْءٍ)يوسف/١١١ ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ الأنعام/٣٨، (**وحماية**) من الضلال ومن الشيطان ومن الهوى والذنوب (**وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) آيات واضحات تهدي إلى الحق وتفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ**) حضر وأقام ولم يسافر من بلده في شهر رمضان (**فَلْيَصُمْهُ**) (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**) أعاد ذكر المرض والسفر للتأكيد (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**) شريعة الله السهلة السمحة تليق برحمة الله التي سبقت غضبه ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ الحج/٧٨ ، وإتفق الفقهاء على أن نفي الحرج في الدين أصل عام لا خاص **بمعنى** : يريد الله بكم اليسر المخلوط بالعسر ، فلا تنظر إلى العسر ولكن إنظر إلى اليسر الذي هو مع العسر فإن العاقل إذا سقاه الطبيب دواءً مراً من مرض موجباً للصحة ، فلا ينظر إلى مرارة الشراب ولكن ينظر إلى حلاوة الصحة (**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**) أيام شهر رمضان وأيام قضائها إن وجدت (**وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) لبيان غاية الصوم إظهار عظمة الله وكبريائه عز وجل بالتكبير والتهليل ، مع الشكر لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا إليه من سبيله ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (ويقصد بالتكبيرات إلى

الصيغة التي يرددها المصلون جماعة قبل وبعد صلاة العيد وهي : (**الله أكبر الله أكبر لا إله إلاّ الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الحمد لله على ما هدانا وله الشكر على ما أولانا**) وأيضاً يردد التكبيرات ليلة الفطر وصباح شوال عقيب صلاة المغرب والعشاء والغداة.

**فائدة** : **١-** لابد من النية في جميع الأعمال وخصوصاً في الصوم قربة إلى الله تعالى ، **في غرر الحكم** (النِّيَةُ أَسَاسُ الْعَمَلِ) **٢-** (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**) يَسِّرُوُاْ وَلاَ تُعَسِّرُوُاْ ، وبَشِّرُوُاْ وَلاَ تُنَفِّرُوُاْ ، و حَبِّبُوُاْ وَلاَ تُكَرِّهُوُاْ ، اليسر القاعدة في جميع التكاليف في شريعة الإسلام ، **عن النبي (ص)** : (جِئْتُ بِالشَّرِيْعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ) الأمثل ٤٦١/١.

**١٨٦ -** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

**سبب النزول** : سُئِلَ النبي (ص) : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية. كل لفظ في الآية مملوء شفافية وتقرّب وتحبب ، آية تكسب النفوس وتسكب في القلوب الإطمئنان والثقة والعلاقة المتبادلة بين الخالق والمخلوق ، وفي هذا الجو النقي وفي هذا الأُنس مع فتح العلاقة المباشرة مع الله الحبيب القريب المجيب ، يوجّه الله عباده إلى التوجه إليه بالدعاء متى تشاء (وَمَنْ أُلْهِمَ الدُّعَاْءَ رُزِقَ الإِجَاْبَةْ) وقد أتت بلاغة الآية بصيغة المتكلم لكمال العناية بأمر الدعاء وشفافيته ، وقوله (**عِبَادِي**) لزيادة العناية وترك الوسائط بين العبد وربه ويكون الدعاء مباشر بلا مقدمات ولا تكاليف (**فَإِنِّ قَرِيبٌ**) ولم يقل إنه قريب لزيادة الثقة بقربه تعالى منّا ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ ق/١٦ ، ثم التأكيد (**فَإِنِّ**) إنّ للتوكيد لزيادة العناية ودوام الرعاية وكمال القرب والجذب والحماية ، والإتيان بالصفة وهي صفة القرب دون الفعل للدلالة على ثبوت القرب وإستمراره وتطوره بزيادات ثم الإتيان بصيغة المضارع (**أُجِيبُ**) للدلالة على التقرب والتحبب والتجدد والديمومة ، وقيّد الجواب (**دَعْوَةَ الدَّاعِي**) بأنه (**إِذَا دَعَانِ**) لأن الإجابة هي عين الدعاء ، ويدل على أن الوعد بالإجابة مطلق إذا كان الداعي منقطعاً ومضطراً وتلتهب جميع مشاعر الداعي في دعائه. فالذي لا يستجاب من الدعاء إما أن الداعي لا يحقق شروط الدعاء ، وإما يسأل ما لو علم حقيقته لم يسأله (**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) فليجيبوا إذا دعوتهم للإلتزام بالرسالة والشريعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم (**وَلْيُؤْمِنُوا بِي**) استجابة الدعاء عبارة عن الانقياد والاستسلام والإيمان وهي صفة معنوية في القلب ، وقدّم الاستسلام (**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي**) على الإيمان ليعلم العبد أنه لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلاّ بمقدار الاستسلام لله تعالى وبمقدار الاستسلام يكون قياس العلم ، وبمقدار العلم والإيمان والاستسلام تحصل العبادات وكافة الطاعات. ومعنى الفاء (**فَلْيَسْتَجِيبُوا**) وكأنه تعالى قال : أنا أجيب دعاءك مع أني غني عنك ، فكن أنت أيضاً مجيباً لدعائي مع أنك محتاج إليّ من كل الوجوه.

**(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) الرشاد** : ضد الغي ، لعلهم يصيبون الحق ويهتدون إليه، والدعاء سبب إلى الرشد الذي هو إصابة الحق والخير والاستقامة في القول والعمل **بمعنى** :أنَّ الأعمال إذا صدرت بروح الإيمان يرجى أن يكون صاحبها راشداً مهتدياً ، أما إذا صدرت العبادات كعادات وتقاليد بلا علم ووفاقات مع وحدة المعاشرين فلا تعد للرشاد ، وإنما تقليد لأبائهم وأجوائهم لا بدافع الإخلاص والإنقطاع لله تعالى. **عن النبي (ص)** : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ، وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ ، إلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ : إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا) مجمع البيان٢/٣٨، **جاء في دعاء الافتتاح**: (وَلَعَلَّ الَّذي اَبْطأَ عَنّي (استجابة الدّعاء) هُوَ خَيْرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأمُورِ) **عن الإمام علي** (ع): (الدُّعَاْءُ يَرُدُّ الْقَضَاْءَ بَعْدَ أَنْ أُبْرِمَ إِبْرَاْمَاً)! الكافي٢/٤٦٩، **فائدة:** حقيقة دعاء الداعي هي إرتباط الداعي مع تسبيح الكون والكائنات لله عز وجل وتقنت له ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ الروم/٢٦، ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ الرحمن/٢٩.

**١٨٧ - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**

**الرفث** : التصريح بما يكنى عنه بما يستقبح ذكره ، وهو في الأصل القول الفاحش الذي يسبق عملية الجماع ، وهو كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة قبل المباشرة (**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**) يجوز للصائم أن يأتي إمرأته بعد الإفطار ليلة الصيام كناية عن الجنس (**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**) كلمة بليغة بالغة الدقة في المبنى والمعنى والمغزى واستعارة بديعة (**لِبَاسٌ لَكُمْ**) من لبسه كما يلبس الثياب أو من لابسه بمعنى خالطه مخالطة كثيرة وعانقه معانقة شديدة ، وأفضى بعضهم إلى بعض ، ودخل حب أحدهما في حب الآخر وكأنما لبسه وكشفه وعرف باطنه ، وجعل كل من الرجل والمرأة لباساً للآخر يلبسه لباساً معنوياً فاحصاً كما يلبس الثوب على الجسم ويسد حاجته به ، واللباس ساتر وواقٍ وكذلك الصلة بين الزوجين ستر ووقاية وحصن وحماية كلاً منهما للآخر ، وسكن كلاً منهما للآخر ، والحصن يمنع صاحبه من الفساد ويحصنه من الانزلاق ويعفف نفسه ويستر عورته ويشبع حاجته الجنسية ، فهنَّ لكم تتمتعوا بهنَّ، وأنتم لهن يتمتعن بكم كالنفس الواحدة الموحدة المتحدة في جسدين مختلفين ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى**﴾ آل عمران/٣٦ ، وهكذا يكشف القرآن الكريم مشاعر الإنسان الشفافة الخفية المستورة بين الزوجين والحاجة المتبادلة والمتعادلة بينهما ، ويكشف عن رحمة الله بهما وعنايته لهما.

(**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**) تخونونها وتظلمونها بمباشرة النساء في ليالي الصوم (**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**) وتجاوز عنكم (**وَعَفَا عَنكُمْ**) رحمة بكم (**فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ**) وقاربوهن بلا خوف من حساب (**وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**) من إباحة التمتع الحلال بالنساء بعد الحظر ، ولا تشترطوا على الله أن يكون الطفل ذكراً أو أنثى (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**) أبيح لكم الأكل والشرب والجماع من أول الليل حتى مطلع الفجر وفيه إشارة إلى إستحباب السحور.

(**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**) يبتدئ الصيام أول الفجر وينتهي أول الليل ، بحيث يرفع مغيب الشمس بارتفاع الحمرة المشرقية (**وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**) **الإعتكاف** : من أبقى نفسه ثلاثة أيام معتكفاً في المسجد بليلتين على الأقل منقطعاً للعبادة فلا يجوز له في مدة الاعتكاف أن يخرج من المسجد لمباشرة زوجته حتى التقبيل واللمس بشهوة ، فإنها فترة تربوية معنوية تتم فوائدها بإستكمال شروطها (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا**) أوامر الله وأحكامه فلا تخالفوها ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**) ليس الغرض من آيات الله وأحكامه للثقافة التَرَفيّة وإنما للوصول إلى التقوى والورع عما حرم الله وعدم مخالفة أوامره واجتناب نواهيه.

**فائدة: ١- عن النبي** (ص) : (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً) ولاسيما إذا اعتمد الصائم على سحوره أكثر من فطوره. **٢-** الإعتكاف من أشرف الأعمال المبنية على الإخلاص لأن فيه تفريغ القلب عما سوى الله تعالى. **٣-** (**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ**..) يحفظنكم ويسترن عوراتكم ويمنعنكم من الانحراف ويزيننكم ، وأنتم كذلك لباس لهن ، فهذه المعاشرة الأصيلة تجعلكم من العسير عليكم أن تتركوهن، فلابد من المحافظة على هذه النعمة من الطرفين وشكر الله عليها. وسمّي كلّ واحد من الزوجين لباساً للآخر يستره كما يستر الثوب البدن ، وكما أن التقوى تستر جميع النقائص وتهذّبها وعبّر عنها باللباس ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ الأعراف/٢٦.

**١٨٨-** ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾

الخطاب لجميع الناس : لا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره إلاّ بسبب مشروع ، قررت الآية إحترام الملكية الخاصة المؤطرة بالصالح العام ، ومنعت الآية التعدي وانتقال الأموال بالأسباب الباطلة شرعاً، كالمعاملات المحرّمة والربا والغش والاحتيال والغصب والظلم ونحوها (**تُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**) **تدلوا بها** : تدفعوها. وخصت الآية من المحرمات الرشوة (أو شهادة الزور) ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ الفرقان/٧٢، واليمن الكاذبة ، بإعطاء مال أو هدية لإغراء الحكام ليحكموا كما يريد الراشي ، للوصول إلى أكل أموال الناس

بالباطل ، مما يشكِّل خطراً على العدالة والتماسك الإجتماعي ، ولا تركبوا هذا القبح وأنتم عالمون بقبحه والنهي عنه. **فائدة** : **١-** ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه ويحترم ماله الخاص كما يحترم المال العام للدولة أو للأمة ، لأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة ، **٢-** في الآية عبرة للمحامين وموعظة للقضاة وغيرهم فلا يجوز لهم أن يقبلوا الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ولكنه في موقع مؤثر ، **٣- في غرر الحكم:** (مَنْ يَكْتَسِبُ مَالْاً مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ يَصْرِفُهُ فِيْ غَيْرِ حَقِّهِ) ، **عن النبي (ص)** : (لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالْمَاْشِيْ بَيْنَهُمَاْ) البحار١٠٤ص٢٧٤، **وعن الإمام علي (ع)** : (مَاْ مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيْهِمْ الرِّشَاْ إِلاَّ أُخِذُوا بِالرُّعْبِ)تفسير النور١/٢٨٦.

**١٨٩- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**

**الأهلة** : جمع هلال. يسألونك يا مُحَّد عن الهلال وحركته لماذا يزيد وينقص ؟ **(قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)** إن الحكمة من ذلك تعود إلى مصالح الناس في أمورهم المتنوعة منها : الدنيوية كالديون والإيجارات وأمورهم الدينية كالصوم والحج والزكاة وأمورهم العلمية لعلاقة القمر بالمدوالجزر في البحار **(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)** كان الجاهلي إذا أحرم ناسكاً للحج لا يدخل بيته من بابه الرئيس وإنما يفتح في ظهر البيت فتحة ويدخل منها ويخرج منها فنهى سبحانه عن ذلك , وقال **(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى)** حق التقوى **﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** آل عمران/١٠٢، **والتقوى** : أن يطاع الله فلا يعصى ويُذكر فلا ينسى ويُشكر فلا يُكفر. **(ومن التقوى)** عمل البر وهو سلوك الطريق الطبيعي المستقيم الصالح إلى كل شيء لحفظ موازين الأشياء وكرامتها وإعطائها حقها ، دون إضاعتها وإهانتها وعدم استخدام السبل الملتوية. **(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)** حسب ما هو مألوف ومعروف وأصولي **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** إتقوا بالله عما سواه ، والتقوى من الصفات الجامعة لمراتب الإيمان ومقامات الكمال **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** فالفلاح ثواب التقوى ، والتقوى علة الفلاح. **فائدة** : **١-** الأعراف الإجتماعية أو العشائرية أو القبلية إذا خالفت قواعد الدين فتكون تقاليد جاهلية غير مشروعة. **٢-** كل محاولة لمعرفة الإسلام من غير الثقلين (كِتَاْبُ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي) الروايات الصحيحة، الحديث في تفسير الرازي٨/١٦٣، فهي معرفة بحاجة إلى تحقيق وتدقيق ، وكل عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهي بدعة والذي لم يتبع يبتدع ، والبدع الخطيرة التي تنسب إلى الدين وليست من الدين. **عن النبي (ص)** : (مَنْ سَنَّ سُنَّة سَيِّئَةً فعَلَيْهِ وِزْرهَاْ وَوِزْرُ مَنْ عمل بِهَاْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ) كنز العمال خبر٤٣٠٧٧. **٣-** تشير الآية إلى أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يعرف مدخله من مخرجه وعدم الدخول في الطرق المعوجّة **(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)** ، ويعرف كيف يدخل فيه وكيف يخرج

منه ، وما هو الطريق السهل المستقيم القريب بأقل التكاليف وأكبر الأرباح وأضمن للهدى وأبعد عن الضلالة ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾ الإسراء/٨٠.

**١٩٠ - ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**

إنه تشريع للقتال لأول مرة ، والقتال محاولة الرجل قتل من يحاول قتله من أجل الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن ، وهو دفاع شريف نظيف لرد العدوان وتحرير الأفكار من دون تجاوزات ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ الشورى/٣٩ ، إنهم يستميتون من أجل حريتهم وكرامتهم وحماية بلادهم والمستميت لا يموت ! وهذا القتال لابد أن يكون في سبيل الله فقط ، لا في سبيل هدف آخر ، لا في سبيل الأمجاد ولا المغانم والمكاسب ولا في سبيل عصبية أو عشائرية أو قبلية أو قومية أو وطنية ، ولا للاستكبار في الأرض ، ولا لنصرة فئة على فئة أو جنس على جنس بغير حق، إنما القتال للأهداف الإنسانية السامية لنصرة الحق واستعادة الحقوق، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض وفي النفوس ، ونصرة منهج الله في الحياة وغير ذلك من معاني الفضائل ، وما عدا هذه القيم فهي حروب غير مشروعة (**وَلا تَعْتَدُوا**) على من لا يعتدي عليكم ، الإعتداء هو الخروج عن الحد وسلب حرية الآخرين ومصادرة حقوقهم المشروعة ، كالقتال قبل الدعوة إلى الحق ، أو الإعتداء على غير المحاربين من المسالمين والمدنيين الآمنين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية كالنساء والأطفال والشيوخ والمرضى والمنقطعين للعبادة من أهل كل ملة دين ، ومن الاعتداء الابتداء في القتال (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) بل يكرههم ويلعنهم وينغّص معيشتهم فالإسلام للسلام والهداية لا للقتال والإنتقام، مما يوضح إنسانية الإسلام حتى في قتاله كما هو في سلمه. **فائدة** : معنى (**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**): **السبيل** : الطريق. في الطريق الذي بينه الله تعالى للعباد ليسلكوه على ما أمرهم به ودعاهم إليه، هو سبيل رضا الله ومنافع الناس وحماية الحق والحقوق المسلوبة ، **سئل النبي (ص)** : (عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ **فقال** (ص) : (مَنْ قَاْتَلَ لِتَكُوْنَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَاْ فَهُوَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ) الرازي٥/١٢٨. لا يذكر القرآن لفظ القتال والجهاد والاستشهاد إلاّ ويقرن معها (**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) وفي ذلك دلالة على أن الغاية من القتال غاية شريفة نظيفة هي إعلاء كلمة الله والتي تتضمن معنى نصرة الحق وإعطاء الحقوق لأهلها ، وليس من الجهاد المغانم والأهداف الدنيوية والمصالح الخاصة المحدودة.

**١٩١ - ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**

**ثقفتموهم:** وجدتموهم. أُمر المسلمون بملاحقة المشركين أينما وجدوهم (**وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**) أي أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها ، وفعل ذلك رسول الله (ص) بعد فتح مكة بمن لم يسلم منهم (**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**) **الْفِتْنَةُ** : في الأصل عرض الذهب على النار لاستخلاصه من الغش ، ثم صار إسماً واسع المعنى لكل امتحان ومحنة لأن في الامتحان يكرم المرء أو يهان ، وفي المحنة منحة ، وفي المكاره مكارم ، وفي البلاء كرامات ولو بعد حين ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ الأنفال/٣٧ .

**وَالْفِتْنَةُ:** الاختبار في الدين بمختلف أساليب الضلال عن سبيل الله من الترهيب والترغيب والتعذيب والتهجير عن الأوطان والإيذاء ومصادرة المال والضلال في العقيدة والغزو الثقافي ونشر الفساد وبث الشكوك وتسقيط رموز العقيدة وقادتها ، هي أشد قبحاً وضرراً عاماً على الأمة من القتل وإزهاق روح الفرد ، فمن أشد البلاء التمكن من عقل الإنسان ونفسه وتشكيكه في عقيدته الإسلامية وتخلخل إرادته وقناعاته الصحيحة فتكون الفتنة أصعب من القتل ، لدوام تعبها وألم النفس بها ، لأن في القتل إنقطاع الحياة الدنيا وفي الفتنة تنغيص الحياتين في الدنيا والآخرة ، فلا دنيا الملوك بالرفاهية ، ولا آخرة المتقين بالنعيم المقيم ، وأيضاً (**الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**) **معنى الفتنة** : الإصرار على الشر والكفر والعدوان على الناس ، إنّ الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة الإنسانية لذلك فهي (أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ) ويستوي أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى بالفعل المباشر أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله وتزيّن لهم الكفر به أو الإعراض عنه. (**وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) حفظاً على حرمته (**حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ**) حتى يبدؤوا بقتالكم فيه (**فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**) الذين لا يرعون إلاًّ (قرابة ولا حلفاً) ولا عهداً ولا ذمة ولا حرمة ولا رحمة. **فائدة** : **١-** ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ والفتنة على عموم معناها ، وهذا الهدف الضخم بحاجة إلى قدرة وقوة وسلطة ، حتى لا تُطلب السلطة لذاتها ولا للذاتها وإنما تطلب لغيرها لهدف أسمى منها ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ البقرة/١٩٣ ، بلا معوّقات ، وكأنما الآية الكريمة أعطت ميلاداً جديداً للإنسان ، فتكون قيمة الإنسان وكرامته توزن بقيمة عقيدته وتأثيرها ، فتوضع حياته في كفة وعقيدته في كفة ، فترجح كفة العقيدة ، وتبين الآية من هو عدو الإنسان ، إنهم أولئك الذين يفتنون المؤمنين عن دينهم. **عن النبي (ص)** : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)الكاشف ٢٩٧/١. **٢-** ومن قاتل الأعداء للقضاء على الفتنة ثم قتل في سبيل الله فيموت شهيداً ، والشهادة أشرف أنواع الموت. **٣-** ففي كلِّ يوم تقوم قوى ظالمة تصد الناس عن دين

الله بمختلف أنواع الفساد وتحول بينهم وبين سماع حقيقة دين الله هؤلاء الصادون عن الدين يجب أن يقاتلهم المسلمون.

**١٩٢ – ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**

**(فَإِنْ انتَهَوْا)** وامتنعوا عن الكفر والغدر والاعتداء ، وكفوا عن القتال عند المسجد الحرام فلابد للمسلمين قبول دعوة الأعداء لوقف القتال **(فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** فإن الله يغفر عمن تاب وأناب وعمل صالحاً.

**١٩٣ – ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**

المسلمون مكلفون أن يقاتلوا حتى يقضوا على كلِّ القوى المعتدية الظالمة التي تكون فتنة للناس وتمنع أن يكون الدين لله، قاتلوهم حتى تكسروا شوكتهم بحيث يهابكم العدو ويحسب حسابكم بالرهبة والقدرة والهيبة والقوة ! الآية ذات دلالات واسعة وعامة ومستمرة التوجيه (وَالْجِهَادُ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وقاتلوهم حتى لا تكون لأعدائكم قوة يفتنونكم بها في دينكم ويؤذونكم ويصادرون حقوقكم **(وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)** فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان، ويكون دين كل شخص خالصاً لله لا أثر لخشية غيره فيه ، وليس لشياطين الجن والإنس نصيب فيه **(فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)** فإذا إنتهى الظالمون عن ظلمهم وكفّوا عن الصد عن سبيل الله ولا يمنعوا الناس بينهم وبين دينهم والدعوة إليه فلا عدوان عليهم لأن الجهاد يوجه ضد الظالمين المعتدين.

**١٩٤ – ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**

لا قتال في الشهر الحرام إبتداءً ، أما من أعلن الحرب وقاتل فيه فإنه يحارب ويقاتل ردعاً ودفاعاً ، سمّي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه ، **وَالْحُرُمَاتُ** : جمع حرمة (مصطلح عام) وهو ما يحرم هتكه ويجب حفظه واحترامه ، **والقِصَاص** : الأخذ للمظلوم حقه من الظالم. **والأشهر الحرم** : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. **المعنى** : إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام ، فكما هتكوا حرمة الشهر واستحلوا دماءكم فإفعلوا بهم مثله **(وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)** فالذي يهتك الحرمة يجازى بحرمانه الضمانات التي تكفلها الحرمات من الأمن والسلام وصيانة الدماء والأموال ، وهذا تشريع لجواز الاعتداء بالمثل فقال **(فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)** الاعتداء مذموم إبتداءً ، وأما إذا كان اعتداء مقابل اعتداء لرد الاعتداء فهو قصاص ممدوح إذا كان بلا زيادة ولا تجاوزات ، وتعالياً عن ذل وهوان وارتقاء عن الضيم والظلم والاستعباد ، كالتكبر على المتكبر ، أو الجهر بالسوء لمن ظلم كقوله :

**﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾** الشورى/٤٠ ، **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** وإتقوا الله ولا تطغوا على أعدائكم (أو) واتقوا الله في عدم الاعتداء وهو إحتياط إستحبابي ، وحتى يبقى الإنسان معتدلاً مستقيماً مع منهج الله ، ولا ينحرف عن الاستقامة شيئاً.

**فائدة: (وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)** : كل الحرمات تحترم ، من شهر حرام ، وبلد حرام أو إحرام ، وجميع ما أمر الشرع باحترامه كصون الأعراض وحفظ الحقوق، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه ، ومن أخذ مال غيره المحترم أُخذ منه بدله ، ومن قتل نفساً قُتل بها **﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾** المائدة/٤٥ ، في الآية دلالة على جواز القصاص بالمثل (الْقِصَاصُ عَلَى قَدَرِ الْجِنَايَةِ) القاتل يُقتل بمثل ما قتل به فيُذبح إذا ذُبح ويُخنقُ إذا خنق ويُغرق إذا أغرق.. ويفعل ذلك بكل تصميم ، وهكذا يمتنع عن الظلم والعدوان وهذا معنى تطبيق العدل في كل شؤون الحياة في الضعيف والقوي والفقير والغني **عن النبي (ص)** (الْعَدْلُ جُنَّةٌ وَاقِيَةٌ، وَجَنَّةٌ بَاقِيَةٌ)البحار١٦٥/٧٧ وبالعدل تصلح المجتمعات ، وبترك العدل وتتقهقر الأمم وتتأخر الشعوب. **عن النبي (ص)**: (أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ فِيْ النَّارِ أَمِيْرٌ متسلّط لَمْ يَعْدِلْ، وذو ثروة من المال لم يعط المال حقّه، وفقير فخور)البحار٣٤٠/٧٥. **﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾** الإسراء/٣٣ ، **في نهج البلاغة حكم٣١٤:** (رُدَّ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ الشَّرُّ إِلاّ بِالشَّرِّ) !

**١٩٥ - ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**

**الإنفاق** : صرف المال إلى وجوه المصالح المتعددة وتوفير الخدمات اللازمة **(فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** في الطرق النافعة للناس على عموم معناها والناهضة للمجتمع وفي الوسائل والمقاصد التي ترضي الله ، **المعنى:** كان كثير من فقراء المسلمين الراغبين في الجهاد ، لا يجدون ما يزودون به أنفسهم من عدة الحرب كالمال والسلاح والذخيرة ، وكانوا يأتون النبي (ص) يطلبون أن يحملهم إلى ميدان المعركة ، فإذا لم يجد ما يحملهم عليه **﴿تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾** التوبة/٩٢ ، كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله ، لتجهيز الغزاة وصاحبت الدعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع اللازمة ، فكل موارد الخير لا تقوم إلاّ على أساس النفقة ، فالنفقة لكل موارد الخير كالروح بالبدن ، ولا قيمة للبدن من دون الروح ، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله حصراً إبطال للجهاد وتسليط للأعداء **(وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** تحصل التهلكة بعدم الإنفاق لأنها إبطال للقوة والاستطاعة والقدرة ، والتهلكة من الهلاك وهي مصير الإنسان التائه بحيث لا يدري إلى أين سينتهي ، **والآية ذات معنى عام** يشمل كل ما يوجب الإلقاء إلى التهلكة للفرد والمجتمع، كالبخل والإسراف والتبذير في الإنفاق ، وبذل جميع المال وترك النفس والعيال عالة على الآخرين ، فلا بد من الإحسان والاعتدال في النفقة وفي كل شيء ، وهو الطريق الوسط الممدوح

(**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) يُشعر الإحسان مراعاة الحسن ، والأحسن والإحسان في كل إقدام على عمل ، وهو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط ، وإطلاق (**وَأَحْسِنُوا**) يشمل كل إحسان واعتدال في الاعتقاد والأقوال والأعمال والمعاملات، **في نهج البلاغة حكم٨١** (قيمة كل إمرئ ما يحسنه).

**فائدة: ١-** الآية نظير قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ الفرقان/٦٧. **٢-** (**وَأَحْسِنُوا**) وقد إرتقى من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان، ومرتبة الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام ؛ لأن الإحسان محبة الإنسان وأفضل الإيمان ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ القصص/٧٧. **٣-** (**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) النفقة لها معنى عام ، وأنفقوا من أموالكم وأنفسكم وجاهكم وقوتكم وعلمكم وإختصاصكم وخدماتكم ونحوها في سبيل الله ، بمعنى بما يخدم الناس وينفعهم ويرضي الله ذلكم خير لكم (**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) بالإمتناع عن النفقة الممكنة بكافة أنواعها ، وكل ينفق بقدره ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ البقرة/٢٣٦ ، الغني ينفق من ماله ، والمجاهد ينفق من جهده ويضحي بنفسه في سبيل إعلاء كلمة الله ، والسياسي ينفق من جاهه ومركزه الإجتماعي ، والعالم ينفق من علمه ، والموظف ينفق من واجبات عمله بلا تقصير... وهكذا تتم النفقات بأنواع الخدمات التي تساهم في النهضة الحضارية المتطورة للبلاد والعباد. فالإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للفرد وللمجتمع ، وإشعار بالعجز والضعف والتأخر ويتسلط عليكم أعداؤكم. **عن النبي (ص)** : (مَنْ مَنَعَ مالَهُ مِنَ الأَخيارِ إِخْتِيارَاً، صَرَفَ اللهُ مَالَهُ إِلَى الأَشْرَارِ إِضْطِرَارَاً) البحار٩٦/١٣١، **وعن الإمام الصادق (ع)** : (مَنْ مَنَعَ حَقَّاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَقَ فِيْ بَاْطِلِ مِثْلَيْهِ) وسائل الشيعة٦ص٢٥ إذاً حصنوا أموالكم وأنفسكم بالإنفاق في سبيل الله. **٤-** (**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) تشير الآية إلى حرمة الانتحار والإضرار بالنفس لأنها تهلكة.

**١٩٦-** ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾

**الحج في اللغة** : القصد ، **وفي الشرع** : عبادة خاصة بمناسك خاصة في مكان مخصوص في زمن مخصوص ، **والعمرة في اللغة** : مطلق الزيادة ، **وفي الشرع** : زيارة بيت الله الحرام على وجه خاص، **والإحصار** : الحبس والمنع ، **والهدي** : الذبيحة التي يضحي بها الحاج أيام حجه.

**والنسك:** شاة. **المعنى:** (**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**) أتموها بمناسكها كاملة خالصة لله (**فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ**) أي حبستم ومنعتم بسبب عائق حصل عندكم كالمرض أو عدو أو غير ذلك ثم منعكم

مانع من إكمال العبادة (**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ**) فعليكم أن تذبحوا ما تيسر وأقله شاة وأوسطه بقرة وأعلاه بعير، **والهدي**: ما يسوقه الإنسان من قربات للتضحية بها في حجه فداء له (**وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ**)

الخطاب للمحصورين الذين منعوا من إتمام الحج أو العمرة وعلى هؤلاء أن لا يحلوا من إحرامهم ولا يحلقوا رؤوسهم حتى يعلموا أن الهدي الذي بعثوه قد بلغ مكان الذبح (مِنى) إن كان الإحرام للحج أو للعمرة (**فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ**) بحيث يقتضي المرض حلق الرأس لضرورة (**فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ**) ثلاثة أيام (**أَوْ صَدَقَةٍ**) إطعام ستة مساكين (**أَوْ نُسُكٍ**) يضحي بشاة (**فَإِذَا أَمِنتُمْ**) أي لم يمنعكم مانع من إكمال الحج (**فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ**) من أتى بالعمرة ثم حج بعدها في نفس السنة فعليه الهدي (**فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ**) وهذا النوع هو حج التمتع الذي يجب على غير أهل مكة (**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ**) يعني إذا لم يجد المتمتع الهدي الواجب صام ثلاثة أيام من الحج السابع والثامن والتاسع من ذي الحجة ، ولا يشترط فيها الإقامة (**وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ**) إلى وطنكم وأهلكم (**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يجري مجراها ، وإنما هو لمن لم يكن من حاضري مكة.

وهو من يكون بينه وبينها أكثر من إثني عشر ميلاً من كل جانب (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) فيما أمركم به وترك ما نهاكم عنه (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) لمن عصاه وخالفه وتعدى حدوده ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، **فائدة: ١- الحج من أركان الإسلام أما أركان الحج خمسة** : الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة وحلق الرأس أو التقصير ، **في الحديث** : (تَابِعُوْا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ)روح البيان١/٣١١. **٢-** حج العوام قصد البيت وزيارته ، وحج الخواص قصد رب البيت وإتباع منهجه ، فنحن لا ندور حول أحجار الكعبة وإنما ندور حول أوامر الله سبحانه. **٣-** ليس كل قلب يصلح لمعرفة الرب ، ولا كل نفس تصلح لخدمة الرب ، ولا كل منسك يتقرب به إلى الله **في غرر الحكم**: (رُبَّ مُتَنسِّكٍ لاَ دِيْنَ لَهُ).

**١٩٧- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾**

أشهر الحج شوال ، ذو القعدة ، والعشر الأول من ذي الحجة ، فمن أحرم فيها صحّ منه الحج وأتى ببقية الأعمال في وقتها (**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ**) فمن ألزم نفسه بالحج في هذه الأيام المعلومات وأحرم ولبى تلبية الحج تلبية التوحيد ، وسلك سبيل الاستقامة مع ضيوف الرحمن فإنهم دعوا إلى ضيافة الله ويجب أن تعظموا مناسك الحج وتصونوه عن كل ما يفسده من الرفث (**فَلا**

**رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فَلا رَفَثَ** إشارة إلى قهر القوة الشهوانية الجنسية التي تدفع إلى الجماع ومقدماته القولية والفعلية وخصوصاً عند حضور النساء فلا يصدر منك كلامٌ فاحش ، **والرفث** : كلمة جامعة لما يحصل من الزوج تجاه زوجته عند حاجته لها. **(وَلا فُسُوقَ)** جميع المعاصي ويدخل فيه السباب والتنابز بالألقاب... ونحوها وهي الخروج عن منهج الشريعة **(وَلا جِدَالَ)** الجدال المذموم: المخاصمة والمنازعة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة والبغضاء ، أما النقاش (الجدال) الممدوح في أمور الدين بأساليب علمية ففي ذلك خير ، وأهداف الحج التضرع إلى الله والانكسار إليه سبحانه والتقرب منه ، والتعالي عن صغائر السيئات فإنه يتغلظ المنع والحرمة عنها في الحج ، وإنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ)** جاء الخير نكرة للدلالة على العموم، وكل الخير في تزكية الإنسان نفسه ، نهى الله عن ثلاث معاصي ورغّب في كل الطاعات ، فهو حث على فعل الخير بعد النهي عن الشر ، فيدخل فيه استعمال الكلام الحسن مكان القبيح ، والبر والتقوى مكان الفسوق ، والوفاق والأخلاق مكان الجدال **(وَتَزَوَّدُوا)** لآخرتكم ودنياكم زاداً مادياً ومعنوياً بإتقاء الذنوب والتزود بالطاعات **(فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)** والتقوى من وقى كما أتقي النار خوفاً من ضررها كذلك أتقي الله خوفاً من مقامه وهيبته ، خوف إجلال لا خوف إرهاب.

**والتَّقْوَى** : رفعة للمؤمن وكمال ذاتي له فهو المستفيد بتقواه لنفسه ولغيره ، والزاد المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه ، ولنفسه ولغيره فهو زاد التقوى في دار القرار وهو الوصول لأكمل لذة وأجل نعيم دائماً أبداً ، وكل زاد غير التقوى منقطع فيتعرض للشر **(والتَّقْوَى)** من خُلق الأنبياء وهي قمة الأخلاق، ومنتهى رضا الله من عباده وحاجته من خلقه (وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) لأن التقوى أوثق حصن وأقوى حرز ، وبالتقوى تصلح الدنيا والآخرة **(وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)** تمسكوا بمنهج الله يا أهل العقول الرزينة والأفكار الواسعة وأهل الوعي والذكاء ، فإن أفضل ما تأمر به العقول هو تقوى القلوب وتقوى النفوس وتقوى العيون وتقوى الجراح... ونحوها ، فإتقوا الله في ما أمركم به ونهاكم عنه يا أصحاب العقول ذلكم خير لكم في كل حال ، وهذا معناه من لم يتق الله فكأنه لا لُبَّ (لا عقل) له ، لأن **(الْعَقْلُ مَاْ عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَأُكْتُسِبَتْ بِهِ الْجِنَانُ)** عن الإمام الصادق (ع) الكافي ١ص١١ والتزود بالتقوى لا يختص بالآخرة بل هو زاد الدنيا أيضاً وخير زاد ، إن رحلتنا الشاقة في الدنيا بحاجة إلى زاد التقوى في جميع أعمالنا وأقوالنا وتعاملاتنا وإختصاصاتنا ، فإن زاد التقوى يعطيك الصفات المثلى ويجعلك على ملة الله تموت وتحيا، ويحسن تعاملك مع الناس ومع نفسك ومع الله ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣ ، وقال تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً**﴾ الطلاق/٤.

**١٩٨-** ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾

**جناح** : حرج في الدين ، **الإبتغاء** : الطلب ، **عرفات** : موقف مبارك معلوم في مكة ، **الإفاضة من عرفات** : الخروج منها ، **المشعر الحرام** : المكان المعروف بالمزدلفة. **المعنى** : كان بعض الناس يتحرج من التجارة في موسم الحج لأنه عبادة وذكر ، فرفعت الآية الحرج في الاكتساب من فضل الله بأنواع البضائع والصناعات (**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**) فإذا خرجتم من عرفات إلى المزدلفة فإذكروا الله فيها كثيراً بالدعاء والتضرع ، وتتجلى في هذا الموقف التربوي الروحي الشفاف ، معاني الافتقار الجماعي لله **عن النبي** (ص) : (الْحَجُّ عَرَفَةٌ) ، فَيَعَرَفَ الإنسان حَدَّهُ فَيَقِفَ عِنْدَهُ ، وحتى يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَلاَ يَتَعَدَّى طَوْرَهُ **في غرر الحكم** (وَرَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ)، ويجعله هذا الموقف يتحرر من قيود المادة فلا يملكه المال ولا العقار والنساء ولا حب الدنيا وإنما هو الذي يملكها ولا تملكه ، وإنما يملكه الله مالك الملك (**وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**) إذكروا الله بالثناء على هدايتكم والشكر على نعمه عليكم ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ لقمان/٢٠ ، وأنعم عليكم بالنعم المعنوية الكبرى وهي (**الهداية**) ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ الأعراف/٤٣، (**وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الضَّالِّينَ**) وإن كنتم قبل الهداية ضالين عن سبيل الله ، ويغفر لكم بعد الهداية ، وإنكم كنتم لا تعرفون كيف تذكرون الله وتعبدونه، والله ﴿**يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٥١ **فائدة** : **١-** (**تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**) التفرغ لأداء المناسك العبادية أفضل من الإشتغال بالبيع والشراء والتجارة فإنها من متاع الدنيا ، ولا مانع منها بعد الإنتهاء من المناسك كاملة.

**١٩٩-** ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

**أَفِيضُوا** : انزلوا ، أي ثم **انزلوا** من مزدلفة حيث نزل الناس إلى منى **المعنى** : كانت قريش تميز نفسها عن الباقين من الحجاج بالوقوف في المزدلفة تكبراً وترفعاً ، بينما باقي الناس الحجاج في عرفات ، (**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) فجاءت هذه الآية نافية للتمايز آمرة الجميع بالوقوف في عرفات لأن (**الحج عرفات**)، ثم الإفاضة والنزول إلى المزدلفة في حركة جماهيرية واحدة موحدة متحدة وكأنما كلهم في ساحة المحشر ، يستغفرون الله ويطلبون السداد والتوفيق ليبطل ما كانت عليه غطرسة قريش وتهذيب لكل متكبر، **في غرر الحكم**: (إِحْذَرْ الْكِبَرْ فَإِنَّهُ رَأْسُ الطُّغْيَانِ، وَمَعْصِيَة الرَّحْمَنِ).

**٢٠٠** – ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

فإذا أتممتم أعمال الحج وفرغتم منها ،فاذكروا الله كثيراً ، ذكراً لا يقتصر على اللفظ بل مع الحضور القلبي للمعنى بحيث يحكيه اللفظ وتتفاعل معه المشاعر والضمائر فيكون اللسان والجوارح والجوانح كلها تذكر الله بلسان الحال ولسان المقال **في غرر الحكم**: (ذِكْرُ اللهِ جَلاءُ لِلصُّدُوْرِ وَطُمَأْنِيْنَةُ الْقُلُوْبِ)، والذكر يثمر العصمة ويُنبه من الغفلة ويستذوق الذاكر طعم الحياة ! (**كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ**) فحق الله عليكم أكثر من حق آبائكم عليكم (**أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**) فأكثروا ذكر الله بحيث يملأ نفوسكم وأوقاتكم. **المعنى** : كانت العرب تتفاخر بعد الحج بأنسابها وآبائها فجاء القرآن يغير العادات والتقاليد ويجعل ذكر الله فوق كل ذكر ، والارتباط به فوق كل ارتباط فهو واهب كل النعم ودافع النقم، **عن النبي (ص)** : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لأَعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوى) المراغي١٠٥/٢(**فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**) بيّن أن الناس في تلك المواطن العبادية أصناف ، فهم معادن كمعادن الذهب والفضة ، منهم من يسأل نعيم الدنيا كالصحة والمال وحسن الحال والرفاهية.. ولا يسأل نعيم الآخرة ، فيفضل نعيم الدنيا على الآخرة والله تعالى يقول ﴿**وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الأُولَى**﴾ الضحى/٤ ، إن هذا الصنف من الناس ليس له نصيب وحظ في الآخرة ، **الخلاق** : النصيب. **عن بعض الصادقين (ع)** : (إِنَّ النَّاْسَ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ يَعْلَمْ وَيَعْلَمْ أَنَّهُ يَعْلَمْ فَذَاْكَ مُرْشِدٌ عَاْلَمٌ فَإِتَّبِعُوْهُ ، وَرَجُلٌ يَعْلَمْ وَلاَ يَعْلَمْ أَنَّهُ يَعْلَمْ فَذَاْكَ غَاْفِلٌ فَأَيْقِظُوْهُ ، وَرَجُلٌ لاَ يَعْلَمْ وَيَعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمْ فَذَاْكَ جَاْهِلٌ فَعَلِّمُوْهُ ، وَرَجُلٌ لاَ يَعْلَمْ وَيَعْلَمْ أَنَّهُ يَعْلَمْ فَذَاْكَ ضَاْلٌّ فَأَرْشِدُوْهُ)ميزان الحكمة١٠/.٢٤٦٠

**٢٠١** – ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

من الذين يشهدون الحج (**مَنْ يَقُولُ**) في ذكره طالباً خير الدارين (**حَسَنَةً**) جاءت نكرة للدلالة على عموم معناها فهي جامعة لكل أنواع الخيرات والحسنات في الدنيا والآخرة وهو كل ما يَحسُن العيش معه ، وفيه حث على طلب الحياة الطيبة التي فيها الرفاهية **ومن مصاديق** الحسنة في الدنيا سعة الرزق وحسن الخلق والصحة والأمان والاطمئنان والتوفيق للخير.. ونحوها (**وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**) هي الثواب والرحمة والجنة ، ويقال (حَسَنَةُ الدُّنْيَاْ عَيْشٌ عَلَى سَعَاْدَةٍ وَمَوْتٌ عَلَى شَهَاْدَةٍ ، وَحَسَنَةُ الآخِرَةِ بَعْثٌ مِنَ الْقَبْرِ عَلَى بِشَاْرَةٍ وَجَوَاْزٌ عَلَى الصِّرَاْطِ بِسَلاَمَةٍ) ، **عن الإمام علي (ع)** (من مصاديق الحسنة): (الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَفِي الآخِرَةِ الْحَوْرَاءُ، وَعَذَابُ النَّارِ الْمَرْأَةُ السُّوءُ) مواهب الرحمن٢١٢/٣، وهم يطلبون من الله الحسنة ولا يحددون نوع الحسنة بل يدعون

اختيارها لله هؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطئ عليهم. **وعن الإمام الصادق** (ع) في الآية : (إِنَّهَا لَسَعَةٌ فِي الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فِي الدُّنْيَا وَرِضْوَانُ اللهِ وَالْجَنَّةُ فِيْ الآخِرَةِ) الكافي٥ص٧١، **وعن النبي (ص)** (من أوتي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وأخراه، فقد أوتي في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة ووقى عذاب النار) مجمع البيان٢/٧٥ (كمصداق)

**٢٠٢ – ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**

أولئك الصالحون الذين يطلبون سعادة الدارين والحسنة في المنزلتين ، يعطون نصيبهم وسهمهم ، ما دعوا الله تعالى فيه بكسبهم وسعيهم المبرور ، فهم قد طلبوا الدنيا بأسبابها وسعوا للآخرة سعيها ، فلا نصيب لهم من دون سعي وبذل الجهد والطاقة اللازمة ، فكان لهم حظ ونصيب من كسبهم في الدارين كل فرد على مقداره **(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)** يكون الجزاء أثراً للعمل بلا إبطاء ، وسرعة الحساب في الآخرة تكون بإطلاع كل إنسان على عمله إما بكتاب يقرأوه ، أو بفتح شاشة عمله الحية بالصورة والصوت والنية ويتم ذلك بسرعة **﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾** الإسراء/١٤ ، **عن النبي (ص)**: (إذا مَاتَ أحدكم قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨، **روي** : (إِنَّ اللهَ يُحَاسِبُ الْخَلاَئِقَ كُلَّهُمْ فِيْ مِقْدَارِ لِمْحَةِ الْبَصَرِ!) الأمثل٢/٤١، **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** النحل/٤٠. إعلم أن جميع المخلوقات في الكون والحياة والأحياء على كثرتها هي بمثابة أقل من ذرة ملقاة في صحراء فهو سبحانه يحيط بما خلق إحاطة كاملة مع كامل الرحمة والهيمنة والقاهرية والسيطرة عليهم والعلم الكامل بهم. وسريع الحساب من أسماء الله الحسنى ومن صفات فعله المتصل بإرادته ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّ اللهَ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ دَفْعَةً، كَمَا يَرْزُقُهُمْ دَفْعَةً) مجمع البيان٢/٥٣١، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره ، كما لا يشغله شأن عن شأن ولا شيءٌ عن شيء، وهذا يدل على أنه **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** الشورى/١١ ، وإنه ليس بجسم ، وإنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة وإلى قوة يد أو وعي قلب أو نظر فكر أو تأمل في شيء ، فإحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته تفوق على الوصف وأكبر مما تحدُّها الكلمات وتفوق على المعاني! **عن الإمام علي** (ع) : (فَإِذَا حَاسَبَ وَاحِداً فَهُوَ فِيْ تِلْكَ الْحَالَةِ مُحَاسِبٌ لِلْكُلِّ ، يُتَمُّ حِسَابَ الْكُلِّ بِتَمَامِ حِسَابِ الْوَاحِدِ كَقَوْلِهِ **﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** لقمان/٢٨). وهذا يدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان، ليصح أن يحاسب الجميع في وقت واحد!

**٢٠٣ – ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**

**الأيام المعدودات:** هي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد وهي (١١– ١٢– ١٣) من ذي الحجة لميزتها وشرفها كون بقية المناسك تفعل بها ولكون الناس أضيافاً لله فيها ، ولذكر الله المتواصل فيها مزية أكثر من غيرها ومن ضمنه التكبير المخصوص. **دعاء الإمام زين العابدين (ع) بخواتم الخير:** (يا مَنْ

ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِيْنَ، وَيَاْ مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِيْنَ، وَيَاْ مَنْ طَاْعَتُهُ نَجَاْةٌ لِلْمُطِيْعِيْنَ) الصحيفة السجادية. (**فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى**) وقد خيّرت الآية الحجاج بين التعجيل بالبقاء يومين منها في منى والتأخر إلى الثالث عشر ، ويختص التخيير لمن أتقى ، أي إمتنع من كل محرمات الإحرام وخصوصاً الصيد والنساء (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) والحج المبرور المقبول هو لمن إتقى الله في كل حال فإتقوا الله أيها الناس وتوقوا من مخاطر المعاصي فإنها تجاوز لحدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، (فَلاَ تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ) ، فإن يوم الحج الأكبر يذكركم بيوم الحشر الأكبر مما يساعد على تحقيق خشية الله وتقواه، ولا يفيد الإنسان فيه غير عمله الصالح.

**٢٠٤ -** ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾

أخبر الله بحال المنافق الفنان في نفاقه ، من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله ، ومن لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وخالفت مدّعياته حقيقته ، وكلام الإنسان إما أن يرفعه أو يخفضه ، والكلام حجة وحاجة فهو كالدواء إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأً كان داءً ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق/١٨.

**المعنى**: الآية تعكسُ أنموذجاً متلوّناً ومتقلّباً من الناس يتواجد في كل جيل ، إنه يجيد فن الكلام المؤثر فيعطيك من طرف اللسان حلاوة ولكنه يروغ عنك كما يروغ الثعلب، ويتأثر عامة الناس وينخدعون به ، هذا المخلوق الذي يتحدث فيصوّر لك نفسه خلاصة من الخير وحب العمل الصالح ويسعى إلى سعادة الناس ، إنه يعجبك حديثه ولباقة لسانه ونبرة صوته ويغريك بآماله ووعوده وطموحاته كقوله (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) المنافقون/٤ (**وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ**) اليمين الكاذبة من أساليب المنافقين يقول عن نفسه : إنَّ الله شاهد على ما في قلبي من المحبة والخير للناس ، موافق لما في لساني ، والله يشهد أنه مملوء حقداً ونفاقاً (**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**) شديد الخصومة والجدال والتعصب والكراهية والعداء ، وما يترتب على ذلك من قبائح الصفات وهو في الحقيقة أعدى الأعداء يتناقض ظاهره مع باطنه وحديثه مع منطويات قلبه ، هذا الذي يتقن الكذب والخداع والنفاق ، ليس كأخلاق المؤمنين الذين جعلوا السهولة مركبهم والإنقياد للحق وظيفتهم ، والسماحة سجيتهم ، بينما هو حاقد على الخير وأشد الأعداء للدين وللمؤمنين حتى إذا إنكشف المستور وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغي والحقد والعداء فقال في الآية التالية:

**٢٠٥ -** ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾

**وَإِذَا تَوَلَّى**: أدبر وانصرف عن مجلسك أو غلب وتسلَّم سلطة أو منصب وصار سفيراً أو رئيساً (**سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا**) **سَعَى** : من سرعة السير في قصدٍ وجهد وحقد لانتشار الفساد في

الأرض للدلالة على كثرته وسعته والتفنن فيه ، بمعنى أي مكان حلّ فيه من الأرض أفسد فيه أنواع الفساد فهو آفة مرضية وغدة سرطانية مؤذية **(وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ)** وتتمثل في إهلاك كل حي من العاقل وغير العاقل ، من الحرث وهو الزرع ومن النسل الذي يخرج من كل أنثى في البر والبحر والجو. **في الحديث** : (لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى أَسْبَابَ الْمَعِيْشَةِ جَعَلَ الْبَرَكَةَ فِيْ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ) روح البيان١/٣٢٣، فإهلاكهما غاية الإفساد ومبالغة القبح وكراهية العيش وتدمير إقتصاد الأمة وثقافتها **(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ)** ولا يحب المفسدين الذين ينشرون في الأرض الفساد بأنواعه مع القسوة والجفوة ، الذين يضرون أكثر مما ينفعون، والله لا يرضى عنهم ويغضب لفعلهم.

**فائدة: ١-** في الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص فهي دعوى وليست دليلاً على صدق المحتوى، حتى يقترن القول بالعمل فهو المصداق لها ، **في غرر الحكم:** (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَالٌ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ). **٢-** تشير الآية إلى أن الذي يعجبك قوله في الظاهر لا يكون مرضي عند الله إلاّ إذا صلح باطنه الذي يقرن القول بالعمل ، لأن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. **٣-** إذا إبتليت الشعوب بهذا الصنف من القيادات المنافقة الطاغية المتلونة والخطيرة التي تذل الأمة وتهين كرامتها وتنهب خيرات بلادها وتقتل شرفاءها ، فتكون إلى خسران (إِذَاْ حَكَمَ الأَشْرَاْرُ ذَلَّتْ الأَخْيَاْرُ) ، وأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عِبْرَةً لِلنَّاْسِ ، والنَّاسِ خَوْفُهُمْ مِنَ الذُّلِ أَوْقَعَهُمْ فِي الذُّلِ (وسَاْعَةُ ذُلٍّ لاَ تُعَادِلُ الْعُمْرَ كُلَّهُ!) **في غرر الحكم** (سَاْعَةُ ذُلَّ لاَ تفي بعزّ الدّهر) لأن الذل خلاف كرامة الإنسان ، **في غرر الحكم:** (شَرُّ النَّاْسِ مَنْ يَتَّقِيْهِ النَّاْسُ مَخَاْفَةَ شَرِّهِ) **عن الإمام الهادي** (ع) (مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلا تَأْمَنْ شَرَّهُ) تحف العقول ص٣٥٨، **في الحديث:** (خَيْرُ الشَّرّ مَاْ أَصَاْبَ الأَشْرَاْرِ، وَشَرُّ الْخَيْرِ مَاْ أَصَاْبَهُ الأَشْرَاْرُ !) ، **يقال** : الدعاوى إذا لم يكن عليها بيّنات فأصحابها أدعياء.

**٢٠٦ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**

هذا الذي يعيث في الأرض فساداً في البلاد والعباد ، ويهلك الحرث والنسل ويتبنى سياسة الأرض المحروقة ، وينشر الخراب والدمار والإرهاب هذا الإرهابي الطاغي الباغي إذا قيل له **(اتَّقِ اللَّهَ)** تذكيراً له بخشية الله والحياء منه وعدم التجرأ عليه ، وأن لا ينسى فضل الله عليه **(أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ)** حملته الأنفة التي فيه وحميته الجاهلية وطغيانه واستكباره على الإثم والإصرار على الذنب ، فهو لا يرضى أن يقال له إتق الله وإنتبه إلى عواقب أمرك ، أخذته العزة لا بالحق ولا بالعدل ولا بالخير ولكن أخذته العزة بالإثم ، فاستعز بالإجرام وفضَّل الفساد ورضي أن يرى هلاك الحرث والنسل **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** الكهف/١٠٣-١٠٤ ، هذا الإنسان الذي يعتز بالإثم ، فهو يجمع

بين كبيرتين العمل بالمعاصي والتكبر على الناصحين **عن الإمام علي** (ع) : (كُلُّ عَزِيْزٍ دَاْخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيْلٌ) تحف العقول ص١٥٣، **في غرر الحكم** (مَنِ إعْتَزَّ بِغَيْرِ اللهِ أَهْلَكَهُ العِزُّ !) ، ومن طبع المفسدين تنقلب عندهم المقاييس فيرون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ، فهم لا يحبون النصيحة ولا التذكير بالخير ، لأن يرون ذلك تشهيراً بهم وبمفاسدهم التي يستروها بزخرف القول، وإن استطاعوا الحبس حبسوا أو ضربوا أو قتلوا (**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**) النار مصيره ويكفيه عذابها جزاءً له على كبريائه وستكون مهاده وسكنه ومكانه اللائق به ، عذاب دائم وهمٌّ لا ينقطع ويأس مستمر ، فلا يموت ولا يحيا فلا يخفف عنه العذاب ولا يرجى الثواب. **فائدة: ١-** هكذا (الْذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ، لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ ؟!) وهكذا المغرور الذي يتصوَّر أنه يسعى لتحصيل أفضل شيء ولكنه يخسر أهم شيء وهي نفسه، وهي الخسارة العظمى ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ الأنعام/١٢، **روي** عن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي قال:(والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه**!**)تفسير النور١/٣١١ .

**٢٠٧-** ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾

**يشري** : يبيع. وعلى العكس من النموذج الطاغي الذي تأخذه العزة بالإثم في الآية ٢٠٦/ البقرة ، يعرض القرآن هنا نموذج مميز عالي المضامين يُقتدى به وهو المؤمن الفدائي المضحي بنفسه (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى ، وهذه أسمى غاية وأفضل هداية وأهم هدف.

**المعنى**: فإن المكلف لما بذل نفسه في طاعة الله بكل عباداته من الصوم والصلاة والحج والجهاد والاستشهاد في سبيل الله في ظروف مناسبة ، كأنه باع نفسه إلى الله (**ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**) وثوابه وكأن الله إشترى منه نفسه بمقابلة ما أعطاه (**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**) ثم أنه تعالى يشتري منه ملكه الخاص ، وهي نفسه ليست ملكه وإنما هي ملك خالقها والله وهبها له ، ثم اشتراها منه بإرادته ، فهو تعالى اشترى منه إرادته من نفسه ، وكأنما هو لا يملك نفسه ولا يرى لها حرية بعيدة عن منهج الله ، ولا يرى قيمة لحياته بعيدة عن طاعة الله ، فإذا وهب حياته لواهبها فقد دعم حياته بالخلود ، وإذا أعطى كل طاقاته الفكرية والعلمية والجسدية والإقتصادية... في سبيل الله فلا مجال للترف الفكري في الأجواء التي تتحدى الحق ولا وقت للفراغ والراحة في حركة القضايا السياسية الحاسمة التي تقرر مستقبل الإنسان ، وهكذا تنطلق هذه النفس لتنذر نفسها فدائية في خدمة الحق وأخذ الحقوق فلا تنحرف أمام المغريات ولا تستسلم أمام الضغوط وتضل في ساحات التحدي الصعب ليشهد الله على أنه صدق ما عاهد الله عليه ولم تأخذه في الله لومة لائم (**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**) لا يكلفهم إلاّ ما في وسعهم ، ويرفع هممهم ليبذلوها في أفضل سبل البذل لدفع الشر عن الناس ونصرة الحق وأخذ الحقوق بالعدل من الظالمين ، ولولا هذه النفوس الطاهرة التي تأبى الضيم لغلب

الشر على الخير كما قال تعالى : ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ**﴾ البقرة/٢٥١. **سبب النزول** ذكره الرازي والكاشف وغيرهما أنها نزلت في **علي بن أبي طالب** (ع) لما بات على فراش النبي فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فإختاركلاهما الحياة ! فأنزل الله عز وجل إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين مُحَمَّد (ص) فبات على فراشه يفديه بنفسه فيؤثره بالحياة ! فأنزل الله تعالى الآية تنبيه الخواطر ص١٤٢، **في غرر الحكم (والمؤثرون من رجال الأعراف) والأشراف**.

**فائدة: ١-** الآية وإن نزلت في شخص معين ولكن حكمها عام لتبقى مدرسة للأجيال ، لأن المورد لا يخصص عموم الوارد، أو أن السبب في النزول لا يخصص عموم المعنى. **٢-** هذه الآية في الإنسان الذي يأتي الله بقلب سليم ، الذي يرتقي بنفسه بسلّم الكمالات عن جاذبيات الشهوات وحب الذات واللذات ، فيكون خير من الملائكة ، **في غرر الحكم**: (ذَرْوَةُ الْغَايَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوُ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ). **٣-** وهناك فرق كبير بين من يبيع المؤمن نفسه في سبيل الله بثمن الجنة ، وبين من يبيع الولي من أولياء الله نفسه ابتغاء مرضاة الله. ولا بد لأصحاب الطموح من العروج من جاذبيات الخلق إلى جاذبيات الخالق ، ومن الحاجة بنفسه إلى الغنى بالله عز وجل ، فإذا فرَّ إلى الله وصل إلى حبه وجماله وكماله وغرق في مشاهدة جلاله ومقامه عز وجل ، وأول مجالات التربية في ذلك ترك الأموال ثم ترك الأولاد ثم ترك النفس وعدم التعلق بحب الدنيا ، فعند الأول يتجلى توحيد الأفعال وعند الثاني يتجلى توحيد الصفات وعند الثالث يتجلى توحيد الذات وهو أعلى الدرجات. ثم الإكثار من ذكر الله فإنه سبب لتصفية الباطن ويسقل القلب وتنشط أجهزة الإستقبال ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ الأنفال/٤٥. **عن الإمام علي** (ع): (المراد بالآية الرَّجُلُ يُقْتَلُ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوُفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ) الصافي١/٢٤١. **٤-** لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم النفاق والإفساد ، لإنهدمت أركان الدين والفضيلة في المجتمع ، لكنّ الله لايزال يزهق ذاك الباطل بهذا الحق، ويتدارك إفساد أعدائه بإصلاح أوليائه وجهادهم وقانا الله منها.

**٢٠٨-** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾

**السلم** : يُطلق على الإسلام والاستسلام لله تعالى والانقياد والطاعة له وعلى الصلح والسلام أي كفّوا عن الحرب والأذى بشتى أنواعه. **المعنى** : دعوة عامة للمؤمنين : أدخلوا في الإسلام ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، في جميع شرائعه وإعملوا بأحكامه وكامل منهجه ، فلا تأخذوا حكماً وتتركوا حكماً ، فلا تأخذوا بالصلاة وتمنعوا الزكاة... وهكذا فالإسلام دين الله وهو وحدة واحدة موحدة متحدة لا يتجزأ ، ولا تكونوا ممن إتخذ إلهه هواه وإن وافق الأمر المشروع هواه فعله ، وإن

خالفه تركه، والواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين ومن أصوله الوفاق بين الناس (**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**) لا تسلكوا مسالكه ولا تسيروا في طرقه ولا تطيعوه في ما دعاكم إليه من السبل التي ظاهرها يغر ويسرُّ وباطنها يضر ، ومن الوساوس الباطلة المتنوعة فيأتينا بها خطوة خطوة وبأساليب تدريجية منحرفة متنوعة مغرية موهمة انها على الحق ولكن يراد منها باطل (**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) ظاهر العداوة يريد أن يفسد عليكم إسلامكم فيجعلكم مختلفين في الدين ، فمن كان لكم عدواً فإتخذوه عدواً ، فتجب مخالفة وساوسه وخطواته ، **فائدة** : ليس هناك إلاّ إتجاهان إثنان إما الدخول في السلم كافة وإما إتباع خطوات الشيطان ، إما هدى وإما ضلال ، إما إسلام وإما جاهلية. **عن إبن عباس (كمصداق)** (مَاْ خَاْلَفَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ خُطُوَاْتِ الشَّيْطَاْنِ) الدر المنثور١/١٦٧، **ومن خطوات الشيطان:** بأن يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق، ويسمى ما ليس من الدين باسم الدين، فيأخذ به الإنسان من غير علم، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ الفرقان/٢٩، ومن لم يدرك ذلك في مبدأ الخطوات، أدركه في الغايات ومن لم يفهمه في معناه سيفهمه في مغزاه ودلالاته حين يذوق مرارة العاقبة السيئة. كقوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فاطر/٦ .

**٢٠٩ –** ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

**زَلَلْتُمْ**: انحرفتم. ثم يخوفهم عاقبة الزلل المتعمّد والانحراف مع الإصرار عليه، وإنهم يواجهون قوة الله حين يخالفونه، وللخسارة حين لا يتبعون منهجه القيم ولا ينتهون عما نهاهم عنه ، ومن بعد مجيء الحجج والبراهين القاطعة على ضرورة الدين في حياة الإنسان الذي يعطي للحياة معناها ، والحياة بلا دين الله القيم تصبح لغزاً مبهماً لا معنى لها! (**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) فإعلموا أن الله غالب غير مغلوب في أمره لا يعجزه الانتقام ممن عصاه ، حكيم في تصرفه وخلقه ، لا يتعدى عما تقتضيه حكمته من القضاء في شأنكم دون أن يمنعه مانع. وهذا فيه من الوعيد والتهديد ما تنخلع له القلوب **عن الإمام علي** (ع) (إنّ مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ) البحار٧٧/٢٩٣، ومثله قوله تعالى : ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ محمد/٣٨.

**٢١٠ –** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾

(**يَنظُرُونَ**) : ينتظرون (**إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ**) بأمره وبأسه (**فِي ظُلَلٍ**) وهو كل ما كان ظلالاً لك (**مِنَ الْغَمَامِ**) السحاب الأبيض الرقيق. **المعنى** : الإستفهام إنكاري ، ماذا ينتظر هؤلاء المنحرفون عن الإسلام (مع علمهم بأهميته في حياة الإنسان) الذي أدى بهم إلى كثرة الفساد في الأرض ، فهل ينتظر المكذبون إلاّ أن يأتيهم الله بما وعدهم به من العذاب من حيث لا يشعرون ولا يبالي بهم ، فقد قامت الحجج (والله لَقَدْ أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَلَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ ، وَأَنَّهُ أَنْذَرَ حَتَّى

كَأَنَّهُ أَعْذَرَ!) فليس أمامهم إلاّ العذاب في ظلل من الغمام ، لأن الغمام ظاهره الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان أفضع وأشد عذاباً ﴿**وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ الزمر/٤٧ ، (**وَالْمَلائِكَةُ**) تأتيهم بقضاء الله فيهم وإنهم وسائط في تنفيذ أمر الله (**وَقُضِيَ الأَمْرُ**) هو أمر قضاه الله وأمضاه فلا مفر منه فإنه من سنن الله الثابتة في الخلق ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ**﴾ المائدة/٩٥ وحينئذٍ يثاب الطائع ويعاقب العاصي (**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**) وإلى الله وحده مرجع الناس جميعاً وهو الحاكم الحكيم لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦. **فائدة** : في الآية عبرة للمؤمن تيقّضه وتوعيه بأن لا يأمن مكر الله وانتقامه ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩ ، وترغبه في التوبة النصوح ، وتحذره من الغفلة عما يراد منه **في غرر الحكم**: (احذروا الْغَفْلَةَ فإنها مِنْ فَسَادِ الْحِسِّ) فَلاَ تَغْفُلْ عمَّاْ يَهُمُّكَ فَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ الطور/٢١.

**٢١١** – ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾

سل يا محمّد بني إسرائيل وهم نموذج التمرد والتلكؤ والأصعب في الاستجابة للإيمان ، كم آتاهم الله (**مِنْ آيَةٍ**) من معاجز وخوارق خارجة عن المألوف والمعروف فلم يستجيبوا ، وكم بدلوا نعمة الله كفراً، وكانوا دائماً في موقف الشاك المتردد ، الذي يظل يطلب الدليل بعد الدليل والمعجزة بعد المعجزة في كل حركة ثم لا يؤمن بالمعجزة ولا يطمئن لنور الله وهداه (**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) والتهديد بشدة العقاب يجد مصداقه في بني إسرائيل أولاً ، وما بدلت البشرية بعمومها هذه النعمة إلاّ أصابها العقاب الشديد في الدنيا قبل الآخرة ، وسمى الله تعالى كفر النعمة تبديلاً لها ، لأن من أنعم الله عليه أية نعمة فلم يشكرها سوف يكفرها ، وكفر النعمة عدم تقديرها وتقدير منعمها بالتبذير والإسراف وسوء التصرف والبذل والسخاء في الحرام، فصار الكفر بدل النعمة. **فائدة** : **١**– من علامات المؤمن أن يشكر الله ، والشكر سبب للهدى والذي هو أجل النعم ، وتبديلهم للنعمة كفراً ، لتكون النعمة سبباً لهدايتهم فجعلوها أسباب ضلالتهم فكفروا بها وتركوا شكرها ، فصار تبديل النعمة كفراً وجرماً إذا كان بغير علم، وأشد جرماً وخبثاً مع العلم. **٢**– **عن النبي** (ص) : (أَحْسِنُوْاْ مُجَاْوَرَةَ النِّعَمْ لاَ تَمَلُّوْهَاْ وَلاَ تَنْفِرُوُهَاْ فَإِنَّهَاْ قَلَّ مَاْ نَفَرَتْ مِنْ قَوْمٍ فَعَاْدَتْ إِلَيْهِمْ !) البحار/٧٧/١٧١ (وَمَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاْسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ). كقوله ﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ إبراهيم/٢٨ ، **الْبَوَار**: الهلاك.

**٢١٢** – ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾

لقد زُينت للذين كفروا النعم الكثيرة وكفروا بالله ، هذه الحياة الدنيا بإهتماماتها الزهيدة ، زُينت لهم دُنوّها وجاذبيتها إلى تراب الأرض فوقفوا عندها لا يتجاوزونها ، ولا يعرفون قيماً أخرى أهم منها ، فأغلقوا عقولهم ضمن دائرة الدنيا دائرة الجسد والمادة ، ولم ينطلقوا إلى آفاق الروح والعالم الآخر المعنوي غير الحسي ، رأى الكافرون أن الحياة الدنيا كلها هي الشهرة والجاه والشهوات واللذات والمال والأولاد والزخارف ونحوها ، ولم يفكر أولئك بأن شيئاً وراء ذلك، وهو اليوم الآخر عالم الجزاء والحساب والحياة الباقية ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ الروم/٧ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَثَلُ الدُّنْيَاْ مَثَلُ مَاْءِ الْبَحْرِ كُلَّمَاْ شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَاْنُ إِزْدَاْدَ عَطَشَاً)! البحار٧٣ص٧٩(**وَيَسْخَرُونَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا**) وهم مع ضيق أفقهم يهزءون بالمؤمنين يرمونهم بقلة العقل لتركهم الدنيا وإقبالهم على عالم آخر غير معروف قال تعالى رداً عليهم (**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) إذا استعلى بعض الكافرين على بعض المؤمنين برهة من الدهر في هذه الحياة الدنيا القصيرة بما يكون لهم من الأتباع والأنصار والخدم ، فإن المؤمنين المتقين سيكونون فوقهم مقاماً وأرفع منهم منزلة ، وآثر التعبير بالذين إتقوا عن الذين آمنوا ، للدلالة إلى أن المفتونين بزخرف الدنيا يدّعون الإيمان ومع هذا لم يعتد بإيمانهم في الآخرة لأنه لم تصحبه التقوى والعمل الصالح (**فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)

فيكون المتقون في أعلى درجات النعيم المقيم، والكفار تحتهم في أسفل درجات الجحيم، ويكون الجزاء من جنس العمل ، والنتائج على قدر المقدمات، والإنسان المناسب في مكانه المناسب ، فتكون الفوقية منزلة حقيقية رفيعة والكفار في منزلة المهانة (**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**) الرزق هنا مفهوم عام يشمل كل انواع الرزق وأنواع النعم ، المادية والمعنوية ، فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر ، وأما الرزق المعنوي مثل رزق بصيرة القلوب من العلم والإيمان ومحبة الله ومعرفة فلسفة الحياة (وقِيْمَةُ الْوُجُوْدِ عَلَى أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ظَاْهِرِهِ الْمَشْهُوْدِ) ونحو ذلك ، فلا يعطيها الله إلاّ لمن إصطفاه وأحبه بسلامة قلبه (**بِغَيْرِ حِسَابٍ**) رزق مبسوط غير محدود على من يشاء من عباده مؤمناً كان أو كافراً ، على حسب الحكمة والمشيئة لأنه تعالى لا يخاف نفاذ ما عنده لأنه غني لا نهاية لقدرته ، فمنهم من تكون التوسعة عليهم استدراجاً نحو الهاوية من حيث لا يعلمون كغنى هؤلاء الكفرة ، ومنهم من تكون سعة الأرزاق كرامة ، كالأغنياء المؤمنين الذين يملكون المال ولا يملكهم المال وإنما يملكهم مالك الملك. **فائدة** : **١-** رزق الأفراد على خلاف رزق الأمم ، نرى كثيراً من الأبرار والفجار أغنياء بسعة الرزق وكثيراً من الفريقين فقراء معسرين، ولكن المتقي فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر فهو أحسن حالاً منه أما الأمم إذ ليس من سنن الله أن يرزق الأمة العزة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تحتسب ولا تعمل ولا تجاهد ، بل يعطيها الله بمقدار علمها وعملها وجدِّها

واجتهادها ويسلبها بمقدار تأخرها. قال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ الرعد/١١. **٢**- الكفر في القرآن هو الستر ، فكل من ستر حقيقة مهمة من حقائق الدين وأحكامه ، وغيَّر نعمة دينية ، ولم يقدِّر نعمة دنيوية ولم يشكرها فهو كافر زيّنت له الحياة الدنيا وهذا كفر نعمة وليس كفر بعقيدة التوحيد.

**٢١٣**- ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾

**عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ النَّاسَ كَانُوْا قَبْلَ نُوحٍ (ع) أُمَّةً وَاحِدَةً عَلَى فِطْرَةِ اللهِ لاَ مُهْتَدِيْنَ وَلاَ ضَالِّيْنَ فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّيْنَ) مجمع البيان٢/٩١ وفطرة الله فيها التمييز الذاتي بين الفجور الضار والتقوى النافعة ، **أُمَّةً وَاحِدَةً** : ذات أهداف واحدة كقوله : ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾ المائدة/٤٨ ، (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ**) بثواب الله لمن أطاعه (**وَمُنذِرِينَ**) بعقابه لمن عصاه (**وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**) وكل ما جاءت الكتب الإلهية بالهداية على قاعدة الحق ، ليفصل بين المختلفين، وأي إختلاف يرد إلى الله وإلى الرسول ، ولولا أن في الكتاب والسنة فصل النزاع لما أمر بالرد إليهما كقوله : ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ النساء/٥٩ ، (**لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**) أي أن الناس الذين كانوا أمة واحدة ثم أختلفوا فأرسل الله إليهم النبيين ، ثم أن الناس المرسل إليهم الأنبياء فمنهم من آمن ومنهم من كفر حتى بعد أن قامت البينات والمعجزات على صحة الرسالات ذلك هو البغي والعناد المؤديان إلى الهلاك ، **عن النبي** (ص): (مَا إِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَا إِلاّ ما شاء الله!) أمالي المفيد ص١٣٨ (**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**) وبعض حملة الدين المزيفين خدعتهم الدنيا بغرورها وأنفسهم بخيانتها فحرصوا على حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ، فراحوا يحرّفون الدين القيم الواحد الموحد المتحد لصالح أهوائهم المختلفة بغياً وظلماً ، فنشأ الإختلاف في الدين نتيجة دخول الهوى والأنا في الدين (**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ**) إن الله وفّق أصحاب النوايا الطيبة إلى الإيمان بالحق فاستذوقوا طعم الهداية ، والله سبحانه يوفّق كل الطيبين في كل زمان ومكان إلى تقبل النصيحة والعمل بالخير (**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) والله يختار من عباده المؤهلين لهذا الصراط المستقيم من يشاء ويريد ويرغب ممن يعلم منهم الاستعداد للهداية وتليق بهم الاستقامة على الصراط ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ آل عمران/١٠١. **فائدة : ١**- يكفي في هداية الإنسان أن يتأمل في نفسه ، ويعرف منزلته عند ربه وفي أمته ، **عن الإمام علي** (ع)

: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ مِنْ أَيْنَ، وَفِيْ أَيْنَ، وَإِلَى أَيْنَ) ، **٢- تدل الآية** : أن أفراداً من الناس في كل أمة لهم قابلية الهداية إلى الحق ، وهم المؤمنون الذين لا يؤثر فيهم إختلاف الناس في الحق ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ محمد/١٧ ، **في غرر الحكم**: (مَنْ إِهْتَدَى بِهُدَى اللهِ أَرْشَدَهُ).

**٢١٤-** ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾

نزلت هذه الآية يوم الخندق لما إشتد الخوف على المسلمين وحوصروا في المدينة فدعاهم إلى الصبر ووعدهم بالنصر. (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ**) بل ظننتم يا معشر المؤمنين أن تدخلوا الجنة بدون ابتلاء وامتحان واختبار. (**وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**) إنها سنة الله القديمة في امتحان المؤمنين وإعدادهم نحو القيم والمبادئ والأخلاق ليصلوا إلى المنازل العليا ، ليدخلوا الجنة ويكونوا لها أهلاً ، وليتأهلوا كأصحاب العقيدة المحقة للدفاع عن عقيدتهم وإن يلقوا في سبيلها الشدائد والآلام والضرر ، فإن أصحاب العقيدة الحقة يدفعون الثمن من أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وهكذا جرت سنة الله بتمحيص المؤمنين وإعدادهم لتحمل المسؤوليات كقوله ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ آل عمران/١٧٩. والإيمان نعمة كبرى يراد له أن ينظم العالم البشري كله ويقوده للتي هي أقوم ، ولن تكون كذلك حتى يحملها المؤمنون ويقتحموا في سبيلها العقبات ويلاقوا (**الْبَأْسَاءُ**) وهي الشدة في غير النفس كفقدان المال والجاه والأمن والأهل (**وَالضَّرَّاءُ**) وهي الشدة في النفس كالجرح والقتل والمرض (**وَزُلْزِلُوا**) اضطربوا وأزعجوا بشدة (**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**) إنهم أصابهم من الشدائد الكبيرة التي تزلزل الأعصاب حتى وصل الأمر بالرسول وهو أعلم الناس بالله وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بسيرة الرسول (ص) يقولون.

(**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟**) الذي وعدنا إياه وذلك استبطاء منهم للنصر لشدة المحنة عليهم حتى بلغت أقصاها ، فإن الشدة وإن قصرت مدتها فهي طويلة في عين صاحبها ، إن سؤالهم (**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟**) إنها صورة بعيدة الدلالات على مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة بالله ، فكيف حال القلوب ضعيفة الإيمان عند هذا الزلزال الشديد ؟! ولن تكون إلاّ محنة فوق الوصف فأجابهم الله (**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**) أنا ناصر أوليائي ونصري قريب منهم (وَكُلُّ آتٍ قَرِيْب) وهكذا تكون في كل محنة منحة وفي المشقات راحات وفي المكاره مكارم ، وإن البلايا بدايات نهاياتها الكرامات ، **روي عن النبي (ص)** : (إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ أَحَدُهُمْ يُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيَخْلُصُ إِلى قَدَمَيْهِ لاَ يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا بَيْنَ لَحْمِهِ

وَعَظْمِهِ لاَ يَصْرِفُهُ ذلِكَ عَنْ دِينِه) كنز العمال خبر١٣٣٤. **وعن الإمام الحسن العسكري** (ع): (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فيها نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَاْ !) البحار٧٨/.٣٧٤

**٢١٥ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**

نزلت في عمر بن الجموح وكان غنياً فقال يا رسول الله بماذا أتصدق ؟ وعلى من ؟ فأنزل الله هذه الآية (**قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ**) والخير ذو مفهوم عام ولكن يبرز أول مفهوم الخير هو المال. والمال يسمى خيراً لأن حقه أن يصرف إلى جهة الخير فصار بذلك كأنه نفس الخير ، الذي ينفق من خير بالسر أو بالعلن يكون أولاً (**لِلْوَالِدَيْنِ**) الأب والأم والجد والجدة ، لأن الجد والجدة يدخلان في إسم الوالدين الواجب برهما والمحرم عقوقهما (**وَالأَقْرَبِينَ**) على إختلاف طبقاتهم بحسب القرب والحاجة والأقربون أولى بالمعروف (**وَالْيَتَامَى**) من لا أب له ولا مال ولا معيل فهم في حاجة (**وَالْمَسَاكِينِ**) الذين اسكنتهم الحاجة ، والمسكين أشد حاجة من الفقير (**وَابْنِ السَّبِيلِ**) المسافر المنقطع عن أهله ووطنه ولا نفقة عنده ولو كان غنياً في بلده (إرحموا عزيز قومٍ ذلَّ) ، ثم عمم الإنفاق بعد أن خصصه فقال (**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**) وما تنفقوا من أموال على الأعمال الصالحة المختلفة فإن الله بها عليم فيجازيكم عليها كل حسب إخلاصه ومقداره ومنافعه وليس شيء بخير من الخير (إلاّ ثوابه) وينبغي أن لا يكون على نحو الشر ، كالإنفاق بالمن والأذى والرياء ، والإنفاق الصالح يقوي الترابط الاجتماعي ويقدم العمل الحضاري ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ**﴾ البقرة/٢٧٢ ، **في غرر الحكم**: (لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ دُنْيَاْهُ إِلاَّ مَاْ أَنْفَقَهُ عَلَى أُخْرَاْهُ).

**٢١٦ - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**

الإسلام يحسب حساب الفطرة فلا ينكر مشقة فريضة القتال ولا يهوّن من أمرها ، ولا يحرم على الإنسان المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل ، ولكنه يعالج الأمر من جانب نفسي آخر، إنه يقرر من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق ، ولكن وراءه حكمة كبيرة تهوّن مشقته وتسيغ مرارته وتحقق به خيراً كثيراً مخبوءاً قد لا يراه النظر الإنساني القصير في آنه ، من يدري فلعل وراء المكروه خيراً ووراء المحجوب شراً ؟ وقد عالجته الآية بالتذكير بحكمة الله وعلمه بالمصالح التي كثيراً ما تخفى على الإنسان ، فقد يحب شيئاً وهو ضررٌ عليه ، وقد يكره شيئاً ولكن من ورائه خير كثير (**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ**) الكتابة تدل على التشريع المكتوب المفروض الثابت للجهاد لإحقاق الحق وإزهاق الباطل (**وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**) مشقة عليكم (**وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً**) الذي فيه المشقة والتضحية (**وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**) فأنتم تحكمون على ظواهر الأمور دون علم بمواطن الخير

المخبوء (**وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**) مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة في الظاهر فهو خير على المدى القريب ، ولكنه هو شر في الباطن وعلى المدى البعيد لأنه يعقبه الخذلان والهوان وتسلط الأعداء على الإسلام والمسلمين (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ**) ما هو خير لكم في دنياكم وآخرتكم فلذا يأمركم به (**وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) ذلك. **فائدة : ١-** وهكذا يربي الإسلام الفطرة فلا تمل التكليف ولا تجزع عند الصدمة الأولى ولا تتهاوى أمام الشدائد ، وعليها أن تبذل الذي هو أدنى في تحصيل الذي هو خير ، لترتفع على حب ذاتها متطوعة لا مجبرة ، وقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة ، وقد يكون المكروه مختبئاً خلف المحجوب ! **٢-** المعنى العرفاني (**وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**) لاحتجابكم بهوى النفس وحب لذّات الجسد عن اللذائذ الروحانية والفكرية والعلمية العظيمة التي تستحقر تلك الشدة السريعة الانقضاء أمام نعيم مقيم سرمدي أبدي. **عن النبي** (ص) : (مَنْ لَقِيَ اللهَ بِغَيْرِ أَثَرٍ مِنْ جِهَادٍ لَقِيَ اللهَ وَفِيهِ ثُلْمَةٌ) كنز العمال خبر١٠٤٩٥.

**٢١٧-** ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾

نزلت في سرية عبد الله بن جحش أرسلها النبي (ص) لتترصد حركة قوافل قريش ولكنها إلتحمت مع العدو في الأشهر الحرم ، بقتال لم تكن قد أُمرت به ، وعادت تحمل الغنائم والأسرى ، وثار التساؤل عن حكم القتال في الشهر الحرام ، فجاء الرد القرآني يؤكد أن أصل القتال فيه مستنكر وكبير وخطير، ولكن فتنة قريش وصدها الناس عن الإسلام ، ومنعها بشدة من الاعتقاد به بالتعذيب ، وكفرها بالله وبحرمة المسجد الحرام وإخراج المسلمين منه كل ذلك أشد فضاعة من القتال في الأشهر الحرم (**قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**) **الْصَدُّ** : المنع ، والصرف عن العبادة والحج خاصة (**وَكُفْرٌ بِهِ**) كفر المشركون بالله ومنعوا الناس عن الإيمان به (**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ**) وأيضاً منع المشركون المسلمين عن المسجد الحرام والتعبد به لله ، وأخرجوا المسلمين من مكة (**أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ**) مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ**) ما ارتكبوه من فضائع الذنوب، وصدوا الناس وفتنوهم عن الإسلام أكبر من القتل كقوله : ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ البقرة/١٩١ ، بمعنى نشر الإرهاب بين الناس أعظم وأشد من القتل. (**وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا**) إظهار لعداوتهم وإصرارهم على الفتنة في الدين.

(وأشد الفتنة في الدين) ويحاول الكفار عدة محاولات وبأساليب مختلفة كي يصرفوكم عن دينكم القيم إلى ضلالهم البيّن (**إِنْ اسْتَطَاعُوا**) إشارة إلى تصلبهم في ضلالهم ، **في غرر الحكم** (الثَباتُ على

الدّينِ مِنْ قوةِ اليقينِ) **عن الإمام علي** (ع) : (صُنْ دِيْنَكَ بِدُنْيَاْكَ تَرْبَحْهُمَاْ ، وَلاَ تَصُنْ دُنْيَاْكَ بِدِيِنكَ فَتَخْسَرْهُمَاْ) مستدرك الوسائل٢/٣٢٥ **(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) الردة في الدين** : الرجوع من الإيمان إلى الكفر وهو من الذنوب الكبيرة والخطيرة والمريرة ومن الخسارة العظمى. الآية تحذر من الارتداد ، فإنه انتكاسة في الروح وفي الفكر وفي الحياة وفي العيش... ومن يرجع عن دينه بعدة مؤثرات سلبية تؤثر عليه ، دلالة على ضعف شخصيته ، وضعيف الشخصية يكون ضحية أقوياء الشخصية وينقاد إلى ما هم عليه. **(فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ)** كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾ المائدة/٥ ، **(أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) حَبِطَتْ** : بطلت أعمالهم وفسدت كأنهم لم يعملوا صالحاً أبداً ، لأن قلوبهم قست وقد أظلمت وضلّت ، فيذهب من نفوسهم أثر أعمالهم الصالحة الماضية وخسروا إصلاح المعاد كقوله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣ ، **(فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)** ففي خسارة الدنيا تهدر حياته وقتله عند الظفر به ، وتعزل عنه امرأته ، ولا تؤكل ذبيحته ويحرم الإرث.. ونحوها وفي خسارة الآخرة إحباط الثواب وتعس المآب لأن عبادتهم لم تصح في الدنيا **(أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** يخلد الله في جهنم أهل الكفر والشرك وأهل الكبائر ، **في دعاء كميل** : (أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلأَهَاْ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاْسِ أَجْمَعِينَ وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيْهَاْ الْمُعَاْنِدِيْنَ).

**فائدة: ١-** دلّت الآية أن المرتد إذا عاد إلى الإسلام أنه يرجع إليه عمله ، وكذلك من تاب من المعاصي تاب الله عليه بقدر توبته النصوحة ، **٢-** القلب الذي يذوق لذة الإسلام ويعرّج في آفاق الطاعة لله لا يمكن أن يرتد عنه لأنه ثبت عليه وتفاعل معه واستذوق حلاوته ، والارتداد هو فساد القلب بأجمعه فساداً لا صلاح له ، كما تتحول الصفحة البيضاء إلى سوداء ﴿**بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ المطففين/١٤ ، **٣-** قيمة كل عمل تتحدد من الإيمان بالله ، فلا قيمة لأي عمل لا ينطلق من تلك القاعدة الإيمانية الأساسية الشفافة. **٤- عن الإمام الصادق** (ع) : (إِذْاْ أَذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَاْبَ إِنْمَحَتْ وَإِنْ زَاْدَ زَادَتْ، حَتَّى تَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ، فَلاَ يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَدَاً) البحار٧٣/٣٢٧.

**٢١٨-** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾

إن الذين إنعكس الإيمان على واقعهم العملي وصدق فعلهم فهاجروا وتركوا أوطانهم ومنازلهم وجاهدوا في سبيل الله وابتغاء مرضاته في ظروف موضوعية مناسبة ، وصبروا وتحملوا كثير من المعاناة حتى حقق الله وعده بالنصر أو بالشهادة وكلاهما خير لأنهما ﴿**إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ التوبة/٥٢ **(أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) يَرْجُونَ** : يأملون ، إنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة ، فكان رجاؤهم وتوقعاتهم على ضوء أعمالهم الصالحة المناسبة **(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** وهكذا (مَنْ رَجَاْ شيئاً

طَلَبه، وَمَنْ خَافَ شيئاً هَرَبَ منه) البحار٧٨ص٥١/ عن الإمام علي (ع) (وليس الرّجاءُ مجرّدُ تمنٍّ خادعٌ ولا أملٌ كاذبٌ ، وإنما الرّجاءُ حُسنُ الإتباعِ ومقدارُ الوفاءِ والعطاءِ ، وجمالُ الانتماء وحُسنُ السيرةِ).

**٢١٩ - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**

يسألونك يا مُحَمَّد عن **الْخَمْرِ** : كل مائع مسكر يسكر العقل ولا يدعه يفكر بشكل صحيح ، فكل ما قليله مسكر فكثيره حرام. **وَالْمَيْسِرِ** : القمار ويسمى ميسر لسهولة اقتناء مال الغير به من غير تعب (**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**) في الخمر تعطيل العقل وذهاب المال ، وفي القمار ذل وفقر وسوء العاقبة (**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**) منافع مالية تجارية مؤقتة والتفكه والتلهي وتذهب مع الريح كنشوة السكران ومواعيد الشيطان (**وَإِثْمُهُمَا**) وإضرارهما والعقاب عليهما (**أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**) وقد كبر الإثم ، ونفعهما جاء بالمفرد ولم يقل منافعهما ، فما كان الضرر فيه أكثر فهو متروك وما كان النفع فيه أكبر وهو محلل فهو مطلوب. وقد تدرج الإسلام في تحريم الخمر لإنتشاره بين الناس ، فعالجه بمرونة تدريجية وتهيئة عقائدية ونفسية فالمرحلة الأولى في هذه الآية ، فجاءت المرحلة الأخرى قوله تعالى : ﴿**لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ النساء/٤٣ ، ثم نزل النهي الصارم بقوله ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ المائدة/٩٠. ، فهو رجس ثم من عمل الشيطان ثم اجتنبوه وهو أمرٌ للدلالة على الوجوب (**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ**) **الْعَفْو** : الفضل الزائد عن الحاجة من كلّ شيء، أو الاعتدال والوسط والاتّزان في كلِّ شيء في الأقوال والأفعال مادي ومعنوي.

**بمعنى:** أنفقوا الوسط المعتدل بين الاسراف والبخل ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ الفر قان/٦٧ ، **والْعَفْو** : أنفق المال ما زاد عن حاجة العيال ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ آل عمران/٩٢ ، ومادة (**عفو**) تتضمن معنى السهولة ﴿**خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ**﴾ الأعراف/١٩٩ ، والعفو من أسماء الله المقدسة ، فإن انتشار نظام العفو بين الناس يعمل على انتشار نظام الأحسن بين الشعوب بمعنى حصول سرعة التفجّر الحضاري والتقدُّم العلمي في الأمة. وقد أطلق القرآن (**الْعَفْوَ**) ليقدره كلُّ قومٍ بحسب عصرهم وما يليق بحالهم. **أنفقوا العفو**: الصفح والمغفرة عن أخطاء الآخرين وهو أمرٌ ميسّر ، فكأنه قيل : قل أنفق ما سهل وما تيسَّر من كلِّ ما تتمكن عليه من مال وعلم وجاه وأخلاق..إلخ ولم يشق ويصعب عليك إنفاقه ، فالعفو من المال ما يسهل إنفاقه ويأتي بمعنى التوسط في النفقة وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه من غني وفقير ومتوسط كل ينفق على قدره ووسعه وتيسر من ماله ﴿**عَلَى**

**الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾** البقرة/٢٣٦ ، (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ**) الدلالات على شريعة الإسلام السهلة السمحة التي تتناسب مع كل إنسان (**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**) لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه ، وتعرفوا أن أوامره سبحانه فيها مصالح الدنيا والآخرة لتكونوا على وعي للدين ، وهذا حث على التعلّم حتى أصبح (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) عن النبي (ص) البحار١/١٧٧، **روي : سئل أبو الحسن علي** (ع) عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل؟ فَقَالَ قوله تعالى : (**إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) الأعراف/٣٣، فأما الإثم فإنها الخمر بعينها. مع إطلاق مفهوم الإثم، وأضرار الخمر كثيرة في انتشار الفساد الأخلاقي وارتفاع معدلات الجريمة بانواعها والإضطراب النفسي والإصابات المرضية وتفكيك الأسرة.. إلخ وكذلك القمار.

**٢٢٠ - ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**

(**فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**) متعلقان في (يُبَيِّنُ) في الآية السابقة ، أي نعمل لهما معاً ولاننصرف بكلنا على أحدهما دون الأخرى ، فتفكروا في الدنيا وسرعة إنقضائها ، وفي الآخرة وخلودها وإنها دار الجزاء فتعمروها **عن النبي** (ص) : (أَعْظَمُ النَّاسِ هَمّاً الْمُؤْمِنُ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَمْرِ آخِرَتِهِ) تنبيه الخواطر ص٤. **العنت** : المشقة. بعد نزول آيات ناهية عن أكل مال اليتيم ، تحرّج بعض المسلمين من أموالهم ، وربما أدى بعضهم أن يتخلى عن كفالتهم ومخالطتهم إحتياطاً مما أضرَّ بهم ، فوضّح القرآن الكريم أن العمل على إصلاح أمورهم خير من ذلك التحرّج ، (**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**) إنها معادلة إنسانية بين اليتيم الضعيف والولي المتمكن ، وإلغاء الميزات فإنها مصادر الفساد والاستبعاد والاستذلال البغيض ، وهذه قاعدة عامة بين الغني والفقير ، والضعيف والقوي لأنه **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** الحجرات/١٠ ، **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** التوبة/٧١ ، فلا تحرّموا على أنفسكم مخالطة الأيتام وإصلاح أموالهم واستثمارها لأجل إنمائها ، وحسن تربيتهم وإدارة شؤونهم ، (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ**) كقوله: **﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾** النجم/٣١ ، (**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ**) لكلفكم وألزمكم ما هو شاق عليكم وهو وجوب رعاية اليتامى الذي لا معيل لهم ، ولكن الإسلام الشريعة السهلة السمحة التي تنسجم مع الفطرة لا توجب ذلك وإنّما تشجع عليه وفي هذا دلالة أنه لايجيز الإسلام تكليف الإنسان فوق طاقته (**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) عزته سبحانه دلالة على قوته وقهره ، وحكمته دلالة على عنايته التامة ، فعزته تدعم حكمته ، وحكمته تدعم مصلحة خلقه.

**٢٢١-** ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

أصل النكاح للعقد ثم أستعير للزواج والجماع ، **والشرك** : إتخاذ شريك (مهما كان نوعه) مع الله عز وجلّ سواء كان شرك خفي أو جليّ. **المعنى** : (**وَلا تنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ**) لا تتزوجوا أيها المسلمون من المشركات ما دمن على الشرك (**حَتَّى يُؤْمِنَّ**) ينطقن بكلمة التوحيد (**وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ**) مملوكة تقول الشهادتين (**خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ**) عند الله سبحانه وخير لكم في سعادتكم (**وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**) بجمالها وبفهمها وثقافتها وجاذبيتها ونسبها ومالها (**وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ**) ولا تزوجوا الرجال المشركين من النساء المسلمات (**حَتَّى يُؤْمِنُوا**) وهذا أمر عام لا تخصيص فيه (**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**) ماله وفهمه وثقافته وصفاته الحسنة ، ثم ذكر تعالى الحكمة من ذلك (**أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**) في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم المنحرفة ودعوتهم إلى عقيدتهم الضالة ، فمخالطتهم على خطر وحذر في الدنيا والآخرة (**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ**) والله يدعو إلى الاستقامة في حياتكم التي توصلكم إلى الجنة والمغفرة بعنايته وتوفيقه (**وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) فآيات الله لكل الناس ويوضحها لهم لعلهم يتعظون ويعملون بما فيها من أحكام تنفعهم. **فائدة** : **١-** تنهى الآية من تمتين العلاقة مع المشركين ، وترغّب في العلاقة مع المؤمنين الذين تربطهم معهم وحدة العقيدة ، **عن النبي** (ص) : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ) البحار١٩٢/٧٤، **وعنه** (ص): (أظفر بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) ، **بمعنى** : طاب عيشك وسكنت نفسك ، **٢-** من فلسفة عدم التزويج بالمشركات ، لأن المرأة ثقة الرجل وهي مرآته العاكسة يأمنها على نفسه وولده وعرضه ، وهي تمثل امتداده في الحياة ، وما كان الجمال وحسن الحال وكثرة المال تحقق السكن بينهما ، فالمشركة أو (الكافرة) لا دين لها فقد تخون زوجها وتفسد عقيدة ولدها ولا تعرف العبادات والطهارات ونحوها.

**٢٢٢-** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

**المحيض** : العادة الشهرية (حيض) المرأة ، وهي حالة غير عادية وتشكل أذى للنساء **والمعنى** : سألوا النبي (ص) هل يجوز مباشرة النساء وهن في الحيض ؟ (**قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ**) فقل لهم : إنه شيء مستقذر ومعاشرتهن الجنسية فيها أذى للزوجين فاعتزلوا النساء في هذه الحالة (**وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**) لا تجامعوهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويغتسلن ، للدلالة على أن الغرض عدم المباشرة لا عدم المعاشرة والقرب منهن والتمتع بهن وليس المقصود

عدم الأكل معهن ومجالستهن، **في الحديث** (اصنعوا كل شيء إلاّ الجماع) الكاشف١/٣٣٦، فوازن الإسلام بين إفراط بعض اليهود والمشركين في التجنب التام للنساء ، وتفريط النصارى بعدم التجنب مطلقاً (**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ) أمركم الله** : في منبت الإخصاب دون سواه ، فإذا تطهرن وإغتسلن فأتوهن وجامعوهن في المكان الذي أحله الله لكم وأمركم به في التكوين والتشريع ، وهو مكان النسل والولد وهو **(القُبُل)** لا الدبُر بمعنى الشرج ، لأن في القُبُل محل الحرث وزراعة الولد ومضت سنة الله بحفظ النوع به ، وفيه دليل على وجوب إغتسال الحائض **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)** الذين لا يصرون على الذنب فالتوبة تمحو الذنوب **(وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)** المتنزهين عن الفواحش والشذوذ والأقذار ، وهذا يشمل التطهر الحسي والنفسي والأخلاقي كمجامعة الحائض والإتيان في غير المأتي الذي يعبر الشذوذ في إتيانه ، فليس الهدف مطلق الشهوة وإنما تهذيب الشهوة وامتداد الحياة بالحلال (إِذَا كَبُرَ الْعَقْلُ صَغُرَتْ الشَّهْوَةُ) **في غرر الحكم** (إذا كمل الْعَقْلُ نقصت الشَّهْوَةُ). **فائدة: ١-** في الآية إشارة إلى أن الإسلام طلب التزويج وحرّم الرهبانية ، وطلب إلينا أن ندعوه بالزوجة الصالحة والولد البار ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ الفرقان/٧٤. **٢- (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ)** التطهّر مبالغة الطهارة فهو طهر وزيادة ، فالطهر هو إنقطاع دم الحيض والتطهّر الإغتسال. **٣- (الشذوذ)** كأن يأتي بعضهم المرأة في دبرها وهو إنحراف عن طبيعة الأحياء فإن إتصال الذكر بالأنثى في عالم الحيوان في مكان النسل فكيف لا يعف الإنسان عما عفّ عنه الحيوان ؟!! **عن النبي (ص)** (أحبّكم عند الله أحسنكم إلى زوجته) مواهب الرحمن٣/٣٨٦

**٢٢٣-** ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾

**حَرْثٌ لَكُمْ** : محل زرعكم الولد تعبير الآية دقيق المبنى وبليغ التعبير وعميق المعنى واسع الدلالة ، بينت الآية الكريمة أن أصل العلاقة الزوجية لحفظ النوع الإنساني ، والتمتع مقدماته ووسائله ، فشبه النساء بالحرث على سبيل التمثيل والتقريب وهي الزراعة ، كما أن الأرض مكان الزرع ، كذلك النساء مكان النسل حيث تحتضن بذور الرجل، كقوله (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ) البقرة/٢٢٢، أما مكان حرث النساء هو **(القُبُل)** ، فأتوا حرث نسائكم ، مكان نسلهن وهو قبلهن أنى شئتم. و**(أَنَّى)** تأتي للزمان وللمكان. فإذا كانت للزمان ، فإتوا حرث نسائكم في أي وقت شئتم ، وإذا كانت **(أَنَّى)** للمكان، بمعنى كيف ، أي بأية كيفية شئتم من الأمام أو من الخلف في القبل أو من الجوانب في القبل وإن شئتم قعوداً أو نياماً في كل حال، ويستفاد منها بالتوسعة في إتيان النساء حتى يزداد التعلّق بهن وبالأولاد ! **عن الإمام الصادق** (ع) : **(أَنَّى شِئْتُمْ)** مَتَى أي ساعة

شِئْتُمُ فِيْ الْفَرَجِ (القُبُل) كنز الدقائق١/٥٣٣، **وعنه** (ع): (لاَ يَفْعَلُهَاْ (إتيان النساء في أدبارهن) إِلاّ أَرَاْذِلُ شِيْعَتِنَاْ) أي الساقطين والقذرين والمنحرفين الشاذين، **وعن النبي (ص)**: (ملعون من أتى امرأته في دبرها) الْذِيْ يَأْتِي إِمْرَأَتُهُ فِي دُبُرِهَاْ (في الشرج) هِيَ اللُّوْطِيَةُ الصُّغْرِى! روح البيان١/٣٤٧ جاءت آية الحرث بعد آية المحيض لبيان جاهزية الحرث للاستمتاع بالنساء. **عن الإمام الصادق** (ع) : (لَكَ أَنْ تَسْتَمْتِعَ بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْكَ مِنْ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَاْ) مواهب الرحمان٣/٣٨٣، **تشبيه المرأة بالحرث له دلالة بليغة** : **١-** الإنسان يحتاج إلى الحرث الزراعي للإنبات كما يحتاج إلى الحرث النسائي للتكاثر. **٢-** الحارث الزراعي يلاحظ حرثه دائماً للاطمئنان على صلاحه، فليس كل زمان ومكان مناسبين للزراعة. كذلك إتيان حرث النساء ليس كل زمان ومكان مناسبين للمجامعة وأفضل الحالات ما كانت الرغبة الجنسية متبادلة ومتعادلة بين الزوجين وتكون من **(قُبلهن)** لحصول السكن والاستمتاع المتبادل بين الزوجين والمودة والرحمة ، فلا مانع من أخذها من الدبر (من الخلف) ولكن يوضع في القُبُل مكان الحرث وليس في الشرج ! **٣-** مراعاة مقدار سقي الماء للحرث أن لا يكونَ كثيراً ولا قليلاً والحذر من الأمراض، كذلك مراعاة أحوال النساء ومقدار حاجتهن للجنس وإقبالهن عليه وعلاج أمراضهن **٤-** جمال خضرة الزرع يؤدي إلى انشراح الصدر كذلك جمال الزوجة وراحتها النفسية وهيئتها الجذابة (تَسُرُّهُ إِذَاْ نَظَرَ إِلَيْهَاْ). تكملة الآية **(وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ)** صالح الأعمال التي تبقى ذخيرة نافعة لكم في الدنيا والآخرة ، ولكن من كان همّه شهوة النساء ، صغُر عقله بقدر همّه لأنه (إِذَاْ كَبُرَتْ الشَّهْوَةُ صَغُرَ الْعَقْلُ) وَإِذَاْ كَبُرَ الْعَقْلُ صَغُرَتْ الشَّهْوَةُ ! **في غرر الحكم** (إذا كمل الْعَقْلُ نقصت الشَّهْوَةُ) وهكذا (مَنْ إِشْتَغَلَ بِالْمُهِمْ ضَيَّعَ الأَهَمّ) **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** في إتيان النساء فإن التقوى الحصن الحصين الذي يمنع صاحبه من الشذوذ ومن كل ضلال (وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) وتجعل العقل يقود الشهوة وليس العكس **(وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ) عن النبي (ص)** (إذا مَاْتَ أحدكم فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَاْمَتُهُ)كنز العمال خبر٤٢٧٤٨ **وعنه (ص)** (يُبْعَثُ كل عبد عَلَى مَاْ مَاْتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢ **(وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ)** على عموم البشرى وبحسن العاقبة لأنهم إلتزموا بحدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١.

**٢٢٤-** ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

نهى الله سبحانه عن الجرأة بكثرة اليمين والحلف بالله من غير ضرورة ، لأن من أكثر ذكر شيء فقد جعله عَرضاً مبتذلاً فتقل قدسية الله في النفوس ، ومن علامات الكذّاب كثرة حلفه **(أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ)** إن الله نهاكم عن هذا اليمين المبتذل لتكونوا أتقياء بررة ، مصلحين لا مفسدين **(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** يسمع أقوالكم ويعلم بالكاذب والصادق في يمينه. **فائدة : المعنى العام:** لا تكثروا الحلف فتجعلوا الله هدفاً لأيمانكم وحلفكم تبتذلون اسم الله في كلِّ شيء قليل أو

كثير ، عظيم أو حقير تريدون لها التوثيق والتوكيد ، والمطلوب أن تبروا وتتقوا وتصلحوا فإن الحلاّف لا يكون براً ولا تقياً لأنه يفتح الطريق إلى الكذب (والكَذِبُ مِفْتَاْحُ كُلِّ شَرٍّ) البحار٧٢/٢٦٣ وكذا ينزل قدره سبحانه عند الناس فيكون الحلف بالله مانعاً لكم من عمل ما هو أهم من البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

**٢٢٥-** ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

**اللَّغْوِ** : الكلام الذي لا فائدة منه من غير قصدٍ ولا عمد ولا رويّة. لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد اليمين ، مثل (بلى والله لا والله) **(وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)** ولكن يؤاخذكم بما قصدتم إليه وعقدتم القلب عليه من الأيمان والحلف ، وفي هذا دليل أن الإنسان يؤاخذ بأقواله كما أنه يؤاخذ بأفعاله **(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)** واسع المغفرة لا يعاجل عباده بالعقوبة. والله تعالى ينظر إلى النوايا وما إنطوت عليه القلوب **في غرر الحكم** (النِّيَةُ أَسَاْسُ الْعَمَلِ). **عن الإمام الصادق (ع) في الآية:** (لاَ تَحْلِفُوْاْ بِاللهِ صَاْدِقِيْنَ وَلاَ كَاْذِبِيْنَ)وسائل الشيعة١٦/١١٦، ﴿**وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ**﴾ البقرة/٢٢٤.

**٢٢٦- ٢٢٧** ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

**الإيلاء** : أن يحلف الزوج بالله على عدم مقاربة الزوجة مطلقاً أو مدة تزيد على الأربعة أشهر ، يقولها غضباً وإضراراً لها فيشدد عليها بهذه الطريقة الخشنة ، لا هو يطلق سراحها لتتزوج من رجل آخر ، ولا يعود إليها بعد هذا القسم ليصالحها ويعايشها. **والتربص** : الانتظار ، **والفيء** : الرجوع. **المعنى** : **(لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)** فإن آلى وحلف الزوج تربص الحاكم به وانتظر أربعة أشهر **(فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** فإما أن يفيء (يرجع) الزوج إلى حق الزوجية ويكفّر عن يمينه ليغفر الله له وإما الطلاق فيقول : **(وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** وإن يصمم الزوج على الطلاق وإلاّ فإن الحاكم الشرعي يرى الحكم الأصلح في الموضوع **(فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** يسمع صيغة الطلاق وعليم بالضمائر والسرائر.

**٢٢٨-** ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

**قروء** : مدة ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار. **والتربص** : الانتظار. والآية خاصة بحكم المطلقات طلاقاً رجعياً ، المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل ، أعتبر الطلاق في الإسلام من أبغض الحلال لأنه يهدم الأسرة ويفكك بين أعضائها ، وشُرّع للضرورات ، (والضَّرُوْرَاْتُ تُبَيْحُ

الْمَحْظُورَاْتُ) ومن هنا جاءت الأحكام تنظمه وتمنع من تأثيراته السلبية قدر الإمكان ، ومنها حكم (العدة) حيث تتربص المطلقة وتصبر وتنتظر ثلاثة قروء إلى أن يطهرن ثلاث مرات من دم الحيض ، وربما كان الغرض من ذلك إمتحان بقاء الحالة التي استوجبت الطلاق ، فلعلها عارضة مؤقتة تزول في أثناء العدة ويرجع العش الزوجي إلى الانسجام **(وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ)** لأن الحمل لو كان لظهر أثره خلال فترة العدّة ، وهنا لا يحل للمطلقة المؤمنة بالله واليوم الآخر أن تكتم حملها **(إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ)** من طلق زوجته طلاقاً رجعياً وللزوج إرجاع زوجته في العدة ، إن كان يريد الإصلاح لا الإيذاء **(إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً)** لا يحصل الإصلاح بين الزوجين ، إلاّ إذا كان من إرادة الزوجين إرادة متعادلة ومتبادلة ومن رغبتهما وقناعتهما معاً ، ويفشل الإصلاح إذا كان من قناعة طرف دون طرف **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن بالمعروف الذي أمر الله به من حسن العشرة وترك الضرار، المماثلة هنا في وحدة الإنسانية وإن الحقوق بينهما متبادلة متكافئة ، كما أنهما متساويان في الشعور والإحساس، فليس من المصلحة أن يتفرعن الزوج على زوجته. يضع التشريع الإسلامي الحقوق بإزاء الواجبات بين الزوجين ليحقق التوازن في الحياة الزوجية، للمرأة من الحقوق التي لها ما يقابل واجباتها التي عليها **(بِالْمَعْرُوفِ)** طبق المعروف والمألوف بين الناس وكذلك الأزواج وقال الفقهاء : حقه عليها أن تطيعه بالمعروف ، وحقها عليه أن ينفق عليها ويكرمها ولا يؤذيها. وبذلك يرفع قدرها ويمنحها مكانتها الإنسانية، **عن الإمام علي** (ع) : (الْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاْءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لاَ يَجْرِي لأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ ، ولاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَىَ لَهُ) شرح النهج١١/٨٨، ثم قال : **(وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)** منزلة وهي القيادة وحسن إدارة مصالح الأسرة. التشريع القرآني لاحظ الإختلاف الطبيعي والوظيفي بين الزوجين ، وبينهما (تعدد أدوار ووحدة هدف) ، فمنح الرجل قيادة العائلة وجعل ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ النساء/٣٤ ، وجعل الطلاق بيده من دونها لأنه أضمن استقامة ورزانة وتعقلاً ، وجعل للرجل النبوة والقضاء والإمامة وله ضعف الميراث ونحوها **(وَاللَّهُ عَزِيزٌ)** قاهر مقتدر **(حَكِيمٌ)** في تصرفه وتشريعاته. **عن إبن عباس:** (إِنِّيْ لأَتَزَيَّنَ لإِمْرَأَتِيْ كَمَا تَتَزَيَّنُ لِيَ لهذه الآية)المراغي٢/١٦٦.

**٢٢٩** – ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾

كان في الجاهلية طلاق وعُدة ، ولكن لم يكن للطلاق عدد معيّن ، فقد يطلق الرجل زوجته عشرات المرات ثم يرجع إليها أثناء العدة ، فأنزل الله تعالى **(الطَّلاقُ مَرَّتَانِ)** أي أن الطلاق الذي يجوز فيه للرجل أن يرجع لزوجته المطلقة من دون عقدٍ جديد ، في الطلاق الأول والطلاق الثاني فقط وليس بعد الطلقتين إلاّ المراجعة والمعاشرة بالمعروف أو الفراق بإحسان هو الطلاق العادل المبني على الإنصاف والرضا بين الطرفين ، أما الطلاق الثالث كما في الآية ٢٣٠ فلا يحل الرجوع بعده حتى تنكح المطلقة زوجاً آخر غير الذي طلقها **(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)** الآية بليغة ولطيفة وشفافة وتدخل تعابيرها إلى القلب وتحرك المشاعر بلا استئذان. **المعنى** : إذا طلق الزوج زوجته للمرة الثانية فهو مخيّر أن يرجعها إليه بقصد الإصلاح وحسن المعاشرة لأجل حياة مرضية وهذا معنى **(إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ)** أو يدعها وشأنها حتى تنقضي عدتها فيؤدي إليها ما في ذمته من مهرها وحقوقها المالية إن وجدت ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفّر الناس منها من أراد الزواج بها بعد إنقضاء العدة وهذا معنى **(تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)** **(وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً)** من مهر ونفقة أثناء الحياة الزوجية مقابل طلاقها **(إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)** إلاّ أن يغلب على ظنهما أن لا يلتزما بأوامر الله ونواهيه **(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ)** **فلاجناح** : فلا مانع. **حدود الله** : منهج الله في أوامره ونواهيه ، وتعني هنا الحقوق والواجبات الزوجية. **المعنى**: فإن خفتم سوء العشرة بينهما وأرادت الزوجة الطلاق الخلعي بالنزول عن مهرها أو بدفع شيء من المال لزوجها حتى يطلقها ، فلا إثم على الزوج في أخذه ولا على الزوجة في بذله **(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا)** تلك الأحكام الشرعية والأحوال الزوجية الشخصية هي من **(حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا)** فلا تتعداها ولا تتجاوزها **(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)** وفي آية أخرى ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، من يظلم نفسه فسوف يظلم الآخرين. **فائدة** : **١-** تدل الآية أن الحكم في عدم إمكان الرجوع المطلقة إلى زوجها، لا يتم إلاّ بتكرير الطلاق والرجوع ، فلا يقع الطلاق بلفظ (طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي بعدها أبداً) في مجلس واحد وإنما يحصل ثلاث طلقات كل طلقة في مجلس ، حتى لا يتسرع الإنسان في الطلاق. **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ كُلَّ مِطْلاَقٍ ذَوَّاقٍ) فروع الكافي٦ص٥٥ يعني كثير الطلاق على المزاج (والذي يستهين بطلاق النساء فإنه يستهين بزواجهن !) والذي يستهين بزواجهن وطلاقهن فإنه يستهين بقيمة المرأة على أنها سكن لزوجها ، والذي يستهين بقيمتها فإنه يستهين بقيمة نفسه لأن زوجته من نفسه وهو كفؤ لها !

**٢٣٠ -** ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾

فإن طلق الزوج زوجته الطلاق الثالث يعني دخل فيما كره الله عز وجل فعله ، عندئذٍ لم يمكنه الرجوع لها في العدّة أو العقد عليها بعدها ، نعم إذا تزوجت زواجاً دائمياً حقيقياً لا صورياً ولا مؤقتاً من شخص آخر وواقعها وتمَ الدخول بها، ثمّ طلقها برضاه ، جاز للزوج الأول أن يعقد عليها برضاها بعد إنقضاء عدتها ، وتكون زوجته الشرعية، إذا رأيا أنهما سينسقان حياة عائلية صالحة ملتزمة بحدود الله وهذا معنى قوله (**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) **فَلا جُنَاحَ** : لا حرج ، لأنهم المنتفعون بها والنافعون لغيرهم. وإن الله تعالى يحب من عباده الاستقامة على نهجه ومعرفة حدوده والتفقه في الدين **في غرر الحكم** (إذَاْ إراد الله بَعَبْدٍ خيراً فَقَّهَهُ فِيْ الدِّيْنِ، وأَلهَمهُ اليقينَ). **والحكمة من التشريع للطلاق الثالث** حتى يرتدع الزوج ولا يتسرع إلى الطلاق الثالث لمن له رغبة في زوجته ، لأن كل ذي مروءة وعفة يكره أن يفترش إمرأته زوجاً آخر ويذوق عسيلتها (لذّتها) وتذوق عسيلته (لذته).
**سئل الرضا** (ع) عن العلة التي من أجلها لا تحل المطلقة ثلاثاً لعدة زوجها حتى تنكح زوجاً غيره ؟! **(خلاصة الحديث) قوله** : لئلا يوقع الناس في الاستخفاف بالطلاق والتسرع في الحكم ، وحتى لا تضار النساء، ولا يستهان بهن، من لا يحضره الفقيه٣/٥٠٢.

**٢٣١ - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**

(**وَإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ**) أيها المؤمنون وأوشكت العدة أن تنقضي (**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**) راجعوهن بالحسنى قبل انتهاء العدّة (**أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**) أو دعوهنَّ وشأنهنَّ ، ولا معنى للإمساك ولا التسريح بعد انقضاء العدّة (**وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا**) ولا تراجعوهن بقصد الإيذاء والاعتداء كما يفعل الظالمون (**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**) من يمسكها للإضرار بها فقد ظلم بذلك الاعتداء نفسه ، والسبب لأن وجدانهم سوف يعذبهم ، والاعتداء ينغّص العيش ويكرّهُ الأيام ، لأن ما يؤذيها سوف يؤذيه أيضاً لأنه حمّلها على ألانحراف عن طريق الفطرة ، مع عذاب الله تعالى في الآخرة (**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**) لا تستخفوا ولا تتهاونوا بأوامر الله ونواهيه ، لأن التشريع الإسلامي قائم على أساس من علم إلهي دقيق مبني على الحكمة والمصلحة ، فهو النظام الأصلح للبشرية يهديها للتي هي أقوم ، وعليها أن تعمل على تطبيقه بالكامل فمن آمن بذلك وتهاون عن تطبيقه فقد استهزأ به (**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**) في ما أباحه لكم من الأزواج والأموال ونعمة الدين القيم (**وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ**) القرآن الكريم (**وَالْحِكْمَةِ**) علوم الإسلام المتنوعة (**يَعِظُكُمْ بِهِ**) لتلتزموا بها ولا تتسامحوا فيها في كلِّ شيء **في نهج البلاغة خطبة١٧٦**: (وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ مَاْ هَذَا الْقُرْآنِ فإنه حبلُ اللهِ المتينِ، وسببُهُ الأمينِ) (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) لأن التقوى أمان

من الزلل (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ، وَمَنْ شَكَرَ اللهَ جَزَاْهُ، وَمَنْ نَسِيَ اللهَ نَسَاْهُ) مِنْ رَحْمَتِهِ (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) وإعلموا أن الله لا تخفى عليه خافيه من أحوالكم ، فلا يخالف ظاهركم باطنكم ، فلا يكن ظاهركم التدين وباطنكم وسوء تصرفكم يسيء إلى الدين.

**٢٣٢** - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

**تَعْضُلُوهُنَّ** : تحبسوهن أو تمنعوهن. **المعنى** : وإذا طلقتم النساء وانقضت عدتهن (**فَلا تَعْضُلُوهُنَّ**) فلا تمنعوهن ظلماً (**أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ**) من يخترن من الأزواج فلا تقفوا في سبيلهن وفي هذا الحكم إعطاء للمرأة حقها الإنساني في إختيار شريك حياتها بحرية وأيضاً لا يجوز تزويجهن بالإكراه ولا بالإجبار ، لأن شرط صحة العقد رضا الخطيبة بخطيبها ورضا الطرفين. (**إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ**) ونعم القرين الرضا ، فلا تمنعوهن يا معاشر الأولياء من العودة لأزواجهن إذا صلحت الأحوال بين الزوجين ، وظهرت علامات الندم ورضي كل منهما العودة لصاحبه والسير بما يرضي الله (**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) هذا الحكم الشرعي للجميع والخطاب عام لمن يهمه الأمر. (**ذَلِكُمْ**) بعدم المنع عن رجوعهن إلى أزواجهن (**أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ**) الزكاة هي النمو الطيب والطاهر لنفوسكم وأحوالكم، وأنظف للسمعة وأبعد للشبهة وأحفظُ للأسرة، ولا دلالة في النص القرآني على أن العقد لا يصح إلاّ بولي وإنّما حضور الولي للإطمئنان من سلامة العقد والعلاقة الزوجية ، ولاسيما إذا كانت المرأة وليّة لنفسها واستقامة سلوكها وأعرف بمصلحتها. (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، وهذا حث على العلم والتعلم والعمل بأحكام الله تعالى وإن جهلنا الحكمة والمصلحة إبتداءً. **فائدة** : (**فَلا تَعْضُلُوهُنَّ**) فكم كان عضل النساء والتضييق عليهن مدعاة للفسوق وسبباً لتفكيك البيوت وتشتيت الذرية لذلك لا يجوز تزويج المرأة لمن تكره ، فمن فعل ذلك فقد إتخذ آيات الله هزواً والقرآن يقول ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١ ، فإن هذه الزيجة من زنى ، والأولاد ذرية من حرام وعواقبها سيئة.

**٢٣٣** - ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(**وَالْوَالِدَاتُ**) : الأمهات المطلقات وغير المطلقات (**يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**) ذكرت بعض أحكام الرضاع ، إن إرضاع الطفل حق للوالدات لا تمنع منه ، وإن

كانت مطلقة ، ومدّته سنتان كاملتان إن أرادت كمال الرضاعة وليس على سبيل الإلزام **(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** تشير الآية إلى لحوق ولده به في تربيته وحياته لأنه من كسبه ، وتشير إلى وجوب النفقة على الزوجة **(لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا)** لا يحق للزوجة أن تكلف الزوج ما لا يطيق ، وعليه أن ينفق على المرضعة بالمقدار المتعارف الذي يتيسر له ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ البقرة/٢٣٦ ، **(لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ)** الضرر منفي في الإسلام بشتى أشكاله ، فلا يحق لأحد الأبوين أن يتخذ من الولد ورضاعه وسيلة للإضرار بالآخر ، كأن يمنع من رؤية إبنه ، أو يمنع عن الزوجة النفقة في حق الحضانة والإرضاع **(وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ)** إذا مات والد الرضيع وترك مالاً ، فأجرة الرضاع تخرج من سهم هذا الطفل الرضيع سواء أكانت المرضعة أمه أم غيرها **(فَإِنْ أَرَادَا)** الأبوان **(فِصَالاً)** فطام الطفل **(عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)**: لا إثم عليهما ، للوالدين أن يفطما الطفل قبل استيفاء الحولين أو بعدهما إذا تم هذا الإتفاق عن شورى بينهما ، وكان ذلك غير مضر بالطفل ، وهذا حث على قاعدة **(الشورى)** في كل شؤون الحياة الزوجية ، **حتى لو يوضع بينهما نظام داخلي للأسرة معتمد ومفصّل بإتفاق الطرفين ، عن الإمام علي (ع)** : (مَنْ إِسْتَقْبَلَ وُجُوْهَ الآرَاْءِ ، عَرَفَ مَوَاْقِعَ الأَخْطَاْءِ) ، **(وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ)** الخطاب للآباء في إختيار مرضعة غير الأمهات بأجور، مع حفظ كرامة الأم الوالدة. إختاروا المرضعة الصالحة المؤمنة الأصيلة ولا تختاروا ما سواها فإن اللبن يعدي ، **في الحديث** : (الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاْعَ)روح البيان١/٣٦٥ **(فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ) لا جُنَاحَ** : لا بأس عليكم، ضمان لأن تكون المرضع ناصحة للطفل راعية له، وأن يعطي المرضعة أجرها وأن يحسن معاملتها بالمعروف **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** كل العلاقات العامة ولاسيما العلاقة الزوجية تتطلب تقوى الله لإصلاح الأعمال ، لأنها إحساس بالرقابة الإلهية التي تدفع الوالدين للإهتمام الشديد بالطفل لتحقيق الجو الصالح لتربيته. **فائدة : ١- (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ)** تشير على وجوب نفقة الأقارب المعسرين على القريب الوارث الموسر. **٢- (وَتَشَاوُرٍ)** تشير إذا رضي أحدهما دون الآخر في فطامه ولم يكن مصلحة للطفل فلا يجوز فطامه، والشورى حكم قرآني ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ آل عمران/١٥٩ ، والمشورة عين الهداية على عمومها وهي لقاح العقول ورائد الصواب ، واستنارة الآراء في حزم الأمور ومن علامات التدبير وحسن التقدير.

**٢٣٤-** ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

**يَذَرُونَ** : يتركون ، **يَتَرَبَّصْنَ** : ينتظرن. **المعنى** : والحديث هنا عن عدة المتوفى عنها زوجها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام ، وهذا الحكم يعم كلّ زوجة إلاّ الحامل ، فإن عدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل (**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**) إنتهت عدة الوفاة (**فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**) فلا إثم عليكم أيها الأولياء في الإذن لهن بالزواج، ولا سبيل لأحد عليها من أهل الزوج والزوجة (**فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) من اختيار من يردن من الأزواج وفق ضوابط الشريعة وفيه إشارة إلى إباحة الزينة وغيرها ما كانت ممنوعة عنها. (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) عليم بأعمالكم كلها وخبير في مجازاتكم، وهذا يدل على عدم منع المرأة عن حلال الله. وبهذا الحكم القرآني قضى الإسلام على مجموعة من الأعراف والخرافات التي تكبّل المرأة من ممارسة حريتها الشخصية المحللة. **فائدة** : (**بِالْمَعْرُوف**): في الآية دلالة أنه لا يجوز تزويج المرأة بالإكراه والإجبار، ومن يفعل ذلك فتكون هذه العلاقة الزوجية مبنية على الحرام فهي زنى والذرية غير شرعية وعواقبها سيئة في الدنيا والآخرة.

**٢٣٥-** ﴿**وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾

**عَرَّضْتُمْ** : **التعريض** : التلميح بالكلام غير المباشر في فترة العدة ليفهم المخاطب به أمراً مقصوداً دون تصريح ، **الخِطْبَة** : طلب الرجل المرأة للزواج ، **أَكْنَنتُمْ** : أخفيتم. **المعنى** : أباح الله تعالى للرجل التلويح بالخطبة دون التصريح للمعتدة عدة الوفاة أو عدة الطلاق البائن ، حتى تحجز نفسها له إن رغبت فيه (**أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ**) كل ما يخطر بالبال ويعزم عليه القلب فلا بأس به إذا فكرتم في خطبة فلانة المتوفى عنها زوجها ما دام في طي الكتمان (**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ**) في أنفسكم ولذا أباح لكم هذا التلويح وهذا أمر فطري (**سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً**) على الزواج قبل إنقضاء العدة إلاّ بطريق التعريض والتلويح وبالمعروف الذي أقره لكم الشرع ولعلّ هذه المواعدة سراً قد تؤدي إلى الحرام لذلك منعها لمنع وسائل المحرمات (**إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً**) ما تعارف عليه المجتمع من شأنه أن يقال علانية لأنه لا غُش فيه. (**وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاح**) العزم عقد القلب على الفعل ، **والعقدة** : الشدة. **المعنى** : لا تعملوا عقد الزواج (**حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ**) حتى تنقضي العدة (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**) فخافوا حسابه وعقابه ولا تخالفوا أمره في خطبة المعتدات والتعريض والتلميح لهن ، ولا تواعدوهن سراً ، فهذه الأمور ضارة وغير نافعة (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**) يمحو ذنب من أناب ولا يعاجل العقوبة لمن عصاه. **فائدة:**

**١-** هذا حكم (**خِطْبَةِ النِّسَاءِ**) للمعتدات للوفاة أو عدة الطلاق البائن ، وأما النساء الباكرات فإن خطبتهن جائزة بالتصريح وبالتلميح. **خطوبة الباكر** : طلب الخطيب من أهل البنت خطبتها وبوسائل الخطوبة الشرعية المعروفة ، مع رضا البنت وأهلها ، أولاً خطبة بلا عقد ولا خلوة ، لقاء تعارف شريف واختبار علمي نظيف أحدهما للآخر ، وإذا حصل الوفاق والتفاهم والرضا على كل شيء يحصل العقد الشرعي ثم العقد القانوني. **الهدف من الخطبة** : معرفة الخطيبين أن العلاقة الزوجية مبنية على علم وفهم وتنظيم، وتخضع لميزان ، فمن وفّى ، استوفى ! ومعرفة الرجل الخاطب هل هو كفؤ مناسب لهذه البنت باعتبار الحديث الشريف : (الْمُؤْمِنُ كُفْؤُ الْمُؤْمِنَةِ) و(الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ الْمُؤْمِنَةُ وَعِدْلُهَا) وقوله تعالى ﴿**الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾ النور/٢٦ ، فمن الخطأ الكبير تزويج الكفؤ بغير الكفؤ فلابد من التعارف حتى تعرف التكافؤ ومقدار التآلف ، **ومعنى التكافؤ** : التآلف المتعادل والتوافق المتبادل بينهما ، في أغلب الأشياء المادية والمعنوية ، في الشكل والمضمون ، في الوسائل والغايات ، في الأشكال والجمال والمال وحسن الحال ، وفي الطبائع والمصالح والتقاليد ، وفي الدم والنفس والعقائد والغرائز مع التقارب العرفي في العمر ، والتوافق في وحدة القرب والحب والجذب وفي وحدة الرضا وفي وحدة النفس الواحدة الموحدة والمتحدة بحيث يكونان جسمين في نفس واحدة !! فإذا توحدت النفس فسوف يتوحد السكن والاستقرار بينهما ثم تكون المودة والرحمة كقوله تعالى ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾الروم/٢١. (راجع السكن **الزوجي المتكافئ/ للتوسعة/ للمؤلف مكي قاسم البغدادي**).

**٢٣٦-** ﴿**لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**﴾

**لا جُنَاحَ** : لا إثم ، **مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ** : كنّى تعالى بالمس عن الجماع تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ في ما يتخاطبون به. **المعنى** : لا إثم عليكم (**إِنْ طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ**) قبل أن تواقعوهن وقبل (**أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً**) دون أن يسميّ لها مهراً في متن العقد ، فالطلاق في هذه الحالة لا مانع منه إذا كان لمصلحة أو ضرورة (**وَمَتِّعُوهُنَّ**) أي أعطوهن هدية مناسبة من المال أو أي متاع تتمتع به ، والعرف هو الذي يحدد ما يناسبه من العطاء، هدية بلا منٍّ ولا أذى تطييباً لخاطرهن وجبراً لوحشة الفراق والتخفيف عنها بالإحسان إليها بهدية مناسبة على قدر الحالة الإقتصادية للرجل في الغنى والفقر. (**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ**) ينفق الغني بقدر غناه (**وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**) وعلى الفقير بقدره وحسب قدرته (**مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**) وهذه الهدية الطوعية حق فرضه الله على المحسنين ، الذين يحسنون إلى أنفسهم في تأدية الحق لأهله عن طيبة نفس (تَهَادُوْا تَحَابُّوْا). **فائدة ١-** من عقد على إمرأة ولم يسمِ لها مهراً في صيغة العقد ثم طلقها

قبل الدخول ، فلا مهر لها وإنما تستحق عليه من المتعة الهدية المالية المناسبة فما أحسن هذا الحكم الإلهي ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ المائدة/٥٠. **٢**- إنما كرّر السياق القرآني كلمة (**قَدَره**) في الغنى والفقر لبيان أن الغني ينفق بقدر وسعه ولا يكون بخيلاً فينفق أقل من مقداره، وأيضاً حال (**الْمُقْتِرِ**) يلاحظ حاله ويعطي ضمن إمكانيته المادية فلا يستدين فيعطي ، ولو لم تكن مكررة لما أفاد هذه الفائدة.

**٢٣٧**- ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾

من طلق زوجته وسمّى لها مهراً في متن العقد ، فينظر إن كان الطلاق بعد الدخول فلها المهر المسمى بالكامل ، وإن كان لم يدخل بها فلها نصف المهر (**إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ**) أي تسمح المطلقة عن طيب نفس (**أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**) وهو الولي على البنت الباكر ، والشرط الأساس لتصرفه إن كان فيه مصلحة لها وعدم الإضرار بها (أو) يعفو الزوج الذي بيده عقد الزواج الشرعي والقانوني فيعطيها المهر كاملاً بجود وكرم منه ، (**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**) حث على التساهل والتسامح للرجال والنساء فهو من علامات التقوى (**وَلا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**) إذ لا ينبغي أن يؤدي الطلاق إلى نسيان الفضل بين المؤمنين ، ويؤدي إلى النفور والشحناء والبغضاء والإساءة بين أهل الزوجين، وتقطع العلائق الإجتماعية والعاطفية ، فإنها من عمل الشيطان ، ثم يذكّر الله بالفضل الذي بينكم، بعدم نسيان المودة والرحمة والإحسان الجميل بين الزوجين (**إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) إن الله أحاط بصره بما يعامل به الأزواج بعضهم بعضاً ترغيباً في الإحسان وترهيباً لأهل المخاشنة والقسوة ، **في غرر الحكم:** (مَنْ آثَرَ عَلَى نَفْسِهِ، اِسْتَحقَّ اسْمَ الفَضِيْلَةِ) ، **عن النبي** (ص): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي).

**٢٣٨**- ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾

وذكرت الآيات السابقة واللاحقة الشؤون الزوجية ، فقد وقف القرآن الكريم هنا عند الصلاة ليذكّر المسلمين بأهميتها البالغة حيث تقوّي الصلة بالله تعالى ، وتصوغ الإنسان المستقيم ، وهي عمود الدين وقربان كل تقي، **عن الإمام علي** (ع) (مِيزَانٌ (دَقِيْقٌ) فَمَنْ وَفَّى، اسْتَوْفَى!) البحار٨٤/٢٦٤ (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**) حفظ الشيء ضبطه والمواظبة عليه وحسن أداؤه ، أقيموا الصلوات الخمس في أوقات فضيلتها في أول وقتها ، والإتيان بها بشرطها وشروطها بالخشوع والخضوع القلبي (وَالْعَبَادَةُ عَلَى قَدَرِ الْعِلْمِ) بحيث تحقق أهدافها التربوية عالية المضامين وتطهر الروح وتطمئن القلب ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر (**وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**) ذكرها الله تعالى بالخصوص بعد العموم لأهميتها وتفخيم شأنها ، ووسط الشيء خيره وأعدله ، وأن المحافظة على الوسطى

تستلزم المحافظة على طرفيها ، والصلاة مدرسة تربوية أخلاقية عبادية تعمل تخلية ثم تحلية ، تخلية عن العادات السيئة ، والتحلية بالفضائل والمحاسن. **عن النبي (ص)** : (لاَ يَزَاْلُ الشَّيْطَانُ ذَعِراً مِنَ الْمُؤْمِنِ مَاْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ فَأَدْخَلَهُ فِي الْعَظَائِمِ (من الذنوب))الكافي٣/٢٦٩. **أُختُلِفَ فِي الصَّلاةِ الْوُسْطَى: عن الإمام علي** (ع): (إِنَّهَاْ صَلاَةُ الْعَصْرِ لأَنَّهَاْ تَقَعُ بَيْنَ صَلاَتَيْ النَّهَاْرِ وَصَلاَتَي اللَّيْلِ ، وَإِنَّمَاْ خُصَّتْ بِالذِّكْرِ لأَنَّهَاْ تَقَعُ فِيْ وَقْتِ إِشْتِغَاْلِ النَّاْسِ فِيْ أَعْمَاْلِهِمْ) مجمع البيان٢/١٦٤. **وأفضل الأقوال** : إنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا عليها جميعاً ، كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان وأخفى إسمه الأعظم في جميع الأسماء ، وأخفى ساعة الإجابة في ساعات الجمعة **(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)** داعين طائعين. **عن الإمام الصادق** (ع): (تُشِيْرُ إِلَى الْقُنُوْتِ هو الدعاء فِي الصَّلاَةِ حَاْلَ الْقِيَاْمِ) مجمع البيان٢/١٦٥، كمصداق للقنوت وإنما **القنوت** : دوام الطاعة والاستقامة مع الإخلاص والخشوع والخضوع والتقرب لله عز وجل. والقرآن يقول عن الوجود ﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ الروم/٢٦ ، وتشير الآية إلى أهمية إقامة الصلاة جماعة والحرص عليها.

**٢٣٩** – ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

**رِجَالاً** : جمع راجل وهو الماشي على رجله، **الرُّكْبَان** : جمع راكب على ظهور الدواب أو في السيارة أو في الطائرة. **المعنى** : **(فَإِنْ خِفْتُمْ)** عدواً أو غيره سيراً على الأقدام **(فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً)** فصلوا مترجلين (ماشين) أو راكبين **(فَإِذَا أَمِنتُمْ)** من الخوف **(فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ)** أي صلوا صلاة الآمن المطمئن الخاشع على النحو الذي علمكم عليه **(مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**. **فائدة** : **١**– الصلاة فريضة مهمة بالغة الأهمية يجب أن تصلى في جميع الظروف ولا تسقط عن المكلف بحال من الأحوال ولو في أصعب الظروف، فإن عجز المكلف عن الإتيان ببعض أفعالها صلى بما يستطيع ، فإن تعذرت جميع الأفعال صلى بالنطق والإيماء (بالإشارة) فإن تعذر استحضر صورة الصلاة بقلبه ، وصلى كيفما تيسر له إلى القبلة أو غيرها ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**﴾ البقرة/١٨٥ ، فإذا عاد الأمن عادت الشروط في إقامتها وحسن أدائها ، **روي عن النبي** (ص): أنّه صلّى يوم الأحزاب إيماءً بالإشارة، تفسير الأمثل٢/١٣١ (وتسمى صلاة الخوف). ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ الحج/٧٨، **عن النبي** (ص): (بُعِثْتُ بِالشَّرِيْعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَاءِ) بحار الأنوار٢٢/٢٦٣.

**٢٤٠** – ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

تطلب الآية من الأزواج أن يوصوا بإبقاء زوجاتهم بعد موتهم في بيوتهم **(مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)** حولاً (سنة) مع الإنفاق عليهن والكسوة والسكن وعدم إخراجهن من بيوت الأزواج ، فإذا خرجت المرأة أثناء الحول أو بعده فلا إثم على الوصي أو على أولياء الميت فيما فعلته بنفسها

من معروف (**فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ**) يعني إذا خرجت المرأة من دار زوجها الميت فلها أن تترك الحداد وتتزين وتعدّ نفسها لمن يخطبها ضمن الحدود الشرعية. **عن الإمام الباقر** (ع) : (هِيَ مَنْسُوُخَةٌ نَسَخَتْهَاْ ﴿**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**﴾ البقرة/٢٣٤، وَنَسَخَتْهَاْ آيَةُ الْمِيْرَاْثِ) مجمع البيان٢/١٦٩، **وقيل**: إنّ هذا الحكم غير منسوخ لأن عدم خروج المرأة لمدة سنة حق لا فريضة.

**٢٤١ - ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**

هذه تأكيد للآية (٢٣٦) يستحب على الأزواج أن يمتعن المطلقات بقدر استطاعتهم بتقديم هدية لائقة جبراً لوحشة الفراق وإحساسهن بالوحدة وهذا الاستحباب يعتبره المتقون حقاً واجباً عليهم ، وهذه الهدية تساعد على التقليل من مشاعر الكره والحقد والغضب بين الطرفين. (تَهَاْدُوْاْ تَحَاْبُّوُاْ).

**٢٤٢ - ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**

**تَعْقِلُونَ** : تتدبرون ، ذلك البيان الشافي الذي يوجه النفوس نحو المودة والرحمة ، ويبين الله تعالى لكم آياته وأحكامه لتعقلوا ما فيها من حكمة ومصلحة وتعملوا بموجبها ، ويسمّي القرآن إدراك الإنسان الآيات والأحكام والقوانين عقلاً ، كما وتستدل على كثرة الصواب في القول والعمل على كبر العقل و(إِذَاْ كَبُرَ الْعَقْلُ نَقَصَتْ الشَّهْوَةُ) وإذا كبرت الشهوة نقص العقل!!. في غرر الحكم (إذا كمل الْعَقْلُ نقصت الشَّهْوَةُ) **فائدة** : تقرن الأحكام الشرعية بالعلل المفيدة حتى يتحروا الاستفادة من كلّ عمل أنه مبني على الحكمة والمصلحة لأن دين الله هو دين العقل السليم ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، لأنه دين الإنسان السليم ، والعقل السليم في الجسم السليم.

**٢٤٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾**

(**أَلَمْ تَرَ**) : ألم تعلم. وعدَّ القرآن العلم الصحيح بمنزلة الرؤية ، والاستفهام للتعجب والاعتبار. من الآيات المتشابهة، **وخلاصة القول** : إنها تمثيل للاعتبار والموعظة وليست إشارة إلى قصة واقعة حقيقية، وإن الهدف بيان سنة الله في الأمم كيف تحيا وكيف تموت ؟ نلاحظ الآية تطلق مفهوم (**الحياة**) (**ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**) على حال عموم الأمة التي طابعها العزة والقوة والهيبة والعلم ، وتطلق مفهوم (**الموت**) (**مُوتُوا**) على حال عموم الأمة التي طابعها الذلة والتخلف والجهل والاستعباد ، وهذا معهود في السياق القرآني كقوله : ﴿**إسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ الأنفال/٢٤ و﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾ الأنعام/١٢٢ ، هذا مفهوم الحياة والموت للأمم بمعناها المعنوي.

**المعنى**: جرت سنن الله التأريخية في القرآن الكريم تبين **(قاعدة عامة)**: أن الأمة التي تأبى الظلم وتتعلم وتتسابق في الفضائل وتجاهد عن بلادها وتحرص على استقلالها وأخذ حقوقها وتدافع عن حقها المهظوم و(مَاْ ضَاْعَ حَقٌّ وَرَاْءَهُ مُطَاْلِبٌ) ، تحيا حياة حضارية مهابة طيبة قوية ، بعد أن وحّدوا كلمتهم وتعاونوا على البر والتقوى. (وبالعكس) إن الأمة التي تحب أن تعيش بأية حياة ، ولو كانت حياة ذليلة جبانة مستسلمة خانعة للظلم ، تحيا حياة متخلفة ومهانة مهدورة حقوقها مملوءة بعيوبها سيءٌ مستقبلها ، والناس خوفهم من الذل أوقعهم في ذل أكبر ! ، وساعة ذل لا تعادل العمر كله ! فقوله تعالى **(مُوتُوا)** إعتبارياً أي عيشوا بالاستعباد والاضطهاد واحتمال الظلم بسبب جبنكم ، لأن مثل هذا العيش موتٌ بطيء معنوي لا أمل فيه ولا حياة ، وقوله **(ثُمَّ أَحْيَاهُمْ)** فخرجوا من ذل العبودية وعاشوا عيش الحرية العزيزة والإرادة القوية ، وكانوا أباة الضيم بجهادهم ومقاومتهم للأعداء ودفاعهم عن حقهم كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ البقرة/٥٦ ،. **عن الإمام علي** (ع) : (أُطْلُبُوْاْ الْمَوْتَ تُوْهَبُ لَكُمُ الْحَيَاْةُ !) موسوعة الشهادة١/٢٨٧ **في نهج البلاغة خطبة٥١**: (الْمَوْتُ فِيْ حَيَاْتِكُمْ مَقْهُوْرِيْنَ ، وَالْحَيَاْةُ فِيْ مَوْتِكُمْ قَاْهِرِيْنَ)، **وعن الحسين بن علي** (ع): (مَوْتٌ فِيْ عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاْةٍ فِي ذُلٍّ) البحار٤٤/١٩٢، **في غرر الحكم**: (الْمَغْلُوْبُ بِالْحَقِّ غَاْلِبٌ، وَالْغَاْلِبُ بِالشرّ مَغْلُوْبٌ !) **(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ)** بما جعل في موتهم حياة ناهضة ، وجعل المصائب محيية لإرادتهم فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَاْرِهِ مِكَاْرِمٌ، وَفِيْ الْمُعَاْنَاْةِ هِبَاْةٌ، وَفِيْ الْبَلاَيَاْ الْكَرَاْمَاْتُ ، كما جعل الجبن والهلع من ضعف الأمم ، وجعل ضعفها مغرياً للقوى بالاعتداء عليها ، وجعل هذا الاعتداء منبهاً لها إلى اليقظة والنهضة بعد طول السبات ! **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ)** أغلب الناس يجهلون هذه السنن فلا يقيمون بحقوقها وشكرها بل هم في غفلة منها ، وهذه السنن لا تحمي المغفلين **في غرر الحكم**: (احذروا الْغَفْلَةَ فإنها مِنْ فَسَاْدِ الْحِسْ) (لاَ تَغْفُلْ فَلَيْسَ بِمَغْفُوْلٍ عَنْكَ) (وَمَنْ لاَ يَتَّعِظْ بِالْمَاْضِيْنَ كَاْنَ عِبْرَةً لِلْبَاْقِيْنَ) **عن الإمام علي** (ع) (السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ) البحار١٠/٩٩. **فائدة**: إن **(إماتة)** الأمة هو إذلالها وفقرها وجهلها وتسليط الطغاة القساة عليها **(وإحياءها)** يكون بإحياء أبنائها وإزالة الظلم عنها والجهل والفقر وإرجاع كرامتها كالعضو الفاسد الذي يجب أن يبتره الطبيب ليسلم الجسم كله. لن تكن أمة فاسدة وقائدها صالح ، كما لا تكون أمة صالحة وقائدها فاسدٌ، فالحاكم من جنس المحكوم، **عن النبي** (ص) (كَمَاْ تَكُوْنُوْاْ يُوَلّى عَلَيْكُمْ) كنز العمال خبر١٤٩٧٩، كقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ الرعد/١١.

**٢٤٤ – ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**

فرضٌ للجهاد في سبيل الله وعدم التخاذل في الدفاع عن الحق والعزة والكرامة وأن نتحلّى بالشجاعة والقوة ليخشى العدو جانبنا ونكون أعزاء. وهكذا القرآن الكريم يجعل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله حصراً ، لا في سبيل سلطة دنيوية ولا تحت راية قومية أو عصبية أو

عشائرية.. إلخ ، بل قاتلوا في سبيل الله وحده لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى وفي ذلك صلاح الناس في دنياهم وآخرتهم ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ**﴾ العنكبوت/٦ ، (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) يسمع قولهم ويعلم ما في قلوبهم ، وفيه تحذير للمؤمنين أن لا يخالفوا لسانهم عن قلوبهم ، ولا قولهم عن فعلهم. **عن الإمام الصادق**(ع): (الْجِهَادُ أَفْضَلُ الأَشْيَاءِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ)وسائل الشيعة١١ص٧.

**٢٤٥ –** ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾

خطاب الآية في منتهى الفصاحة وأعلى مراتب البلاغة ، يحث على الإنفاق بمعناه العام بأسلوب رفيع مشوّق يجد الفرد لذة في تنفيذه لأنه يدخل إلى المشاعر ويحرك الضمائر بلا استئذان (**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ**) ولم يقل (يقرض الناس) لكي يشعر الفقراء بأن الله معهم ، الآية بواقعها أمر وأتى به بصيغة الاستفهام ، لأن ذلك أبلغ في تحريك أحاسيس المؤمنين ، لم يستقرض الله سبحانه على الحقيقة كيف وهو الغني الحميد ، ولم يستدين ونحن كلنا فقراء إليه سبحانه ، بل أراد أن يرغّب عباده على الإنفاق في سبيله ليبلوهم أيهم أحسن عملاً (**قَرْضاً حَسَناً**) هو ما يستحسنه المحتاج وكان الإنفاق في موضعه المناسب ضمن حدود الحكمة والمصلحة وليس فيه رياء ولا سمعة، ما كان من الحلال ويبذل عن رضا وطيب نفس بقصد رضا الله ولا تظنوا أن الإنفاق يقلل من أموالكم بل يضاعفها، **في غرر الحكم** (جُوُدُوْا بِمَاْ يَفْنَى تَعْتَاْضُوْا عَنْهُ بِمَاْ يَبْقَى). وهنا أطلق القرض ليكون كل إنسان بقدره ، حتى التضحية والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، هو قرض معنوي مرن وحسن ما دام في سبيل الله (**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**) كما قال تعالى ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ البقرة/٢٦١ ، (**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) والله يضيق الرزق عن قوم ، ويوسّع على آخرين ضمن نظام الأسباب والمسببات، **في غرر الحكم** (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ) ، قال تعالى : ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾ الكهف/٨٤ ، (**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**) وعلة القبض والبسط أو السبب في السعة والفقر كقوله ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ**﴾ الشورى/٢٧ ، **عن الإمام العسكري** (ع) : (لاَ يَشْغَلْكَ رِزْقٌ مَضْمُونٌ عَنْ عَمَلٍ مَفْرُوضٍ) البحار٣٨٤/٧٨ أنفقوا أيها الأغنياء ولا تبخلوا بمال الله على ما يرضي الله ، ﴿**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ سبأ/٣٩ ، **في نهج البلاغة حكم١٣٨:** (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ) ، **عن النبي** (ص) : (مَنْ إِحْتَاْجَ إِلَيْهِ أَخُوْهُ الْمُسْلِمُ فِي قَرْضٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ) البحار١٠٣ص١٣٨، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ مَنَعَ حَقّاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَقَ فِيْ بَاْطِلٍ مِثْلَيْهِ) وسائل الشيعة٦ص٢٥.

**٢٤٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**

**الْمَلإِ** : الرؤساء والقادة الذين يملؤون العيون عظمة وبهاء ، **هَلْ عَسَيْتُمْ** : هل يتوقع منكم أن تجبنوا، هذه قصة من قصص القرآن للعبرة والموعظة البليغة. **الخلاصة** : تشير الآية إلى أن أوضاع بني إسرائيل ساءت بعد موسى (ع) وتعرضوا من جديد لحكم الطغاة **عن النبي** (ص) (كَمَاْ تَكُوْنُوْاْ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ!)كنز العمال خبر١٤٩٧٩، كان لموسى (ع) بعد موته خلفاء من الأنبياء يقيمون أمر الله في بني إسرائيل ومن هؤلاء الخلفاء نبي ذكره الله ولم يسمه ، في يوم أتاه جماعة وقالوا له : (**ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا**) فقال لهم نبيهم وقد اختبرهم ، إني أتوقع تخاذلكم إذا كتب عليكم القتال (**قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**) واستولى على أرضنا وسُبِيَ نسائنا بالقهر ، فأوحى الله إلى نبيه أني إخترت لكم طالوت ملكاً ، قالوا كيف يكون له الملك علينا وهو ليس عريق النسب وفارغ اليد من المال ، فقال النبي إن زعامة الجيش لا تحتاج نسب وإنما تحتاج إلى ﴿**بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾ البقرة/٢٤٧ ، وأعطاه مؤهلات الزعامة ، كان طالوت رجلاً ذكياً عالماً مدبراً متين الأعصاب ضخم القامة رجل الحرب والقتال (**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ**) تخاذلوا وهذا ما كان متوقعاً منهم إلاّ القليل صمّموا على الجهاد مخلصين **فائدة** : **١-** إنهم كانوا في الحقيقة فاسدين ذليلين ، ورجوعهم إلى دينهم ونبيهم كان مزيفاً لأنهم عند الحاجة يتخاذلون ويتعللون بالمعاذير الواهية (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**). **٢-** (**بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**) له مؤهلات علمية وعملية ، وله روح قيادية وقدرة بلاغية بحيث تتعادل مؤهلاته القيادية مع مؤهلاته الخطابية والتبليغيةفلا تتغلّب قدرته الخطابية والبلاغية على قدرته القيادية (أو بالعكس) ولا تبرز عنده القدرة القيادية والسيادية وتضعف عنده القدرة العلمية والخطابية ، وهذا التوازن المتعادل والمتبادل بين الموهبتين ضرورة لنجاح المسؤولية ، وهكذا مطالب الإمام المهدي (عج) في نهضته العالمية ودولته الكريمة بدعاء الإفتتاح بقوله (وَتَجْعَلُنَاْ فِيْهَاْ مِنَ الدُّعَاْةِ إِلَى طَاْعَتِكَ، وَالْقَاْدَةِ إِلَى سَبْيِلِكَ وَتَرْزُقُنَاْ بِهَاْ كَرَاْمَةَ الدُّنْيَاْ وَالآخِرَةِ).

**٢٤٧ - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**

أخبرهم نبيهم بأن الله قد اختار لهم طالوت ملكاً وقائداً عسكرياً لخلاصهم من طاغيتهم وشدتهم وذلتهم ، فهو رجل المرحلة ، فاعترض اليهود بأن طالوت ليس من سلالة ملوك إسرائيل ولا يملك ثروتهم بينما إختيار الله الصفات الأهم لهم ، فطالوت رجل كفؤ ويتميز بالقدرات العقلية والقوة

الجسمية التي تؤهلانه لتسلّم الملك والسلطة (**قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا**) وهم يعتبرون بيت النبوة وبيت الملك محصوراً في بني إسرائيل وطالوت ليس من هذين البيتين (**وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ**) لأن فينا من هو من أولاد الملوك ، وطالوت فقير والنظرة الاستعلائية مدانة على غرار قول الشيطان ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ الأعراف/١٢ ، (**قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**) لأن زعامة الجيوش لا تحتاج إلى النسب والتفاخر بالمال ، بل إلى الشجاعة والكفاءة التي تتناسب مع المرحلة، وكان طالوت أعلم بني إسرائيل وأشجعهم آنذاك (**وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ**) فالملك لله وهو أعلم بالمصالح منكم ، وقد سخّر له أسباب النصر ودعمه بالتوفيق ، وإضافة الملك إلى الله تعالى يشعر بأن المراد بالملك هنا الملك الحق المشروع الذي تستقيم به الأمور الحضارية وتنهض البلاد والعباد في مقابل الملك المأخوذ ظلماً وغصباً. (**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) واسع الفضل عليم بمن يليق بالرئاسة فهو الرجل المناسب في المكان المناسب ، وليس بالإمكان أبدع مما كان. **فائدة** : **١-** (**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ**) وهذا يعطينا درساً أن لا نغفل عن اكتشاف مواهب الأشخاص المغمورين واستثمارها بعلم لخدمة المجتمع الناهض حضارياً. **٢- عن الإمام علي** (ع) : (آلَةُ الرِّيَاْسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ) شرح النهج١٨/٤٠٧. **٣- عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ طَلَبَ الرِّئَاْسَةَ بِغَيْرِ حَقٍّ، حُرِمَ الطَّاْعَةَ لَهُ بِحَقٍّ) تحف العقول ص٢٣٧، راجع الآية السابقة (**بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**) العقل السليم في الجسم السليم.

**٢٤٨ -** ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾

بعد الاعتراض على طالوت ببيان كفاءته ، تطلّب الموقف معجزة خارقة تطمئنهم على أن تنصيب طالوت ملكاً عليهم إنما هو من الله (**أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ**) وكانت المعجزة مجيء الملائكة بطريقة غير مألوفة حاملة التابوت : وهو صندوق صغير الذي كان موسى يضع التوراة فيه ، وقد رفعه الله إلى السماء بعد وفاة موسى سخطاً على بني إسرائيل ومعاصيهم (**فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**) تسكن إليه نفوسكم وتطمئن قلوبكم ويثبتون ولا يفرون من القتال وكان للتابوت شأن ديني مبارك عظيم (**وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ**) وفي التابوت بقية من آثار آل موسى وآل هارون وهي عصا موسى وثيابه وعمامة أخيه هارون وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة تحمله الملائكة وهي تنزل من السماء إلى الأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) إن في نزول التابوت لعلامة واضحة لإختيار الله لطالوت ملكاً عليكم وعنايته بكم إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. **فائدة** : كان بنو إسرائيل أعزة كرماء أقوياء ملتزمين ما دام

ذلك الصندوق معهم، ولكن بعد هبوط إلتزامهم الديني وغلبة الأعداء عليهم رفعه الله منهم ، وأصابتهم الذلة بما كسبت أيديهم.

**٢٤٩** – ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

فلما قاد طالوت قومه وسار بهم إلى قتال عدوهم ، **فَصَلَ** : إنفصل بهم عن البلد وابتعدوا عنها ، كان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم ما يحتاج إلى اختبارهم حتى يميز الصابر من الضاجر **(قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ)** فأخبرهم أنهم سيلاقون نهراً وعليهم ألاّ يشربوا منه رغم عطشهم وتعبهم **(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي)** فمن ارتوى منه فليس مؤهلاً للسير مع جنود الله في مهمتهم الكبرى **(وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي)** ومن لم يشرب منه فإنه المؤهل للسير معي، فهو إمتحان عسير لاختبارهم أمام الفتح الكبير **(إِلاَّ مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)** فأذن لهم بغرفة واحدة بيده من الماء تذهب بالعطش بلا إرتواء **(فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ)** أطاعت الأمر فلم تشرب أو شربت قليلاً ففازت بكرامة السير مع طالوت الذي انطلق بها لمقابلة جيش العدو الضخم ، وهنا كان الإمتحان العسير الآخر **(فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)** لما اجتاز النهر مع الذين صبروا على العطش والتعب ورأوا كثرة عدوهم إعتراهم الخوف فقال فريق منهم **(قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)** لا قدرة لنا على قتال الأعداء مع قائد جيشهم جالوت ملك العمالقة ، فنحن قلة وهم كثرة **(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ)** قال المؤمنون من إتباع طالوت الصابرون بعزم وثبات وهم على يقين أنهم ملاقو الله بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)** كم من فئة قليلة تسلحت بالعقيدة والصبر ولها العدة الحربية البسيطة ، فنصرها الله على فئة كثيرة العدد والعدّة خاوية الإيمان وضعيفة الإرادة ، والله لا يُذلُ من ينصره وإن قل عددهم، ولا يُعزّ من خذله وإن كثرت عدتهم وعددهم **(وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)** فهو ينصرهم على عدوهم وفيه حث على الصبر الجميل المؤدي إلى النصر الجليل ، والثقة بالله عند الشدائد. **فائدة : من عوامل النصر** : إمتحان الجيش وحُسن تدريبه والإلتزام بالخطة المرسومة وطاعة القائد الكفؤ وعدم مخالفته والاعتماد على النوعية أكثر من الكمية وإعداد القوة التي ترهب عدوّ الله وعدوّكم.

**٢٥٠** – ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

**(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً)** : أفرغ الإناء إخلاؤه.

**أَفْرِغْ عَلَيْنَا**: صبّ علينا الصبر صبّاً وإخلاؤه من الفشل والضجر والملل والكسل والجهل وخيبة الأمل وكل السلبيات و(**صَبْراً**) جاء نكرة إشارة إلى طلب كثرة الصبر الذي يكفي للنصر ، وهو إستعارة تشبيهية بلاغية ، أخلو منا الضجر وأفرغ منا الكسل وزيل عنا الجهل ، وصُبَّ علينا الصبر فيملأ كياننا كله ظاهره وباطنه فيلقي في القلب قوةً وقدرةً وبرداً وسلاماً ، وهذه تربية قرآنية نموذجية عامة أن تبدأبالتخلية من الضجر وكل السلبيات ثم التحلية بالصبر وكل الإيجابيات الممكنة ، **المعنى**: لما برزوا لجالوت وجنوده الأعداء المدربين على الحروب ، وظهروا أمامهم وجهاً لوجه أمام ذلك الجيش الجرار لم يصبهم الخوف وإنما (**قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً**) دعوا الله متضرعين إليه بثلاث حاجات مهمة **١-** ربنا تصب علينا صبراً يملأ كياننا ويشمل جمعنا ويوحد صفوفنا لنقوى على قتال أعدائنا (**وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا**). **٢-** إرزقنا عوامل الثبات من قوة القلب وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء ، وثبات القدم دلالة على كمال القوة والقدرة والرسوخ وعدم التزلزل وقت المقاومة (**وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**). **٣-** ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ آل عمران/١٢٦ ، أنصرنا وانتصر بنا وأنصرنا نصراً عزيزاً وإفتح لنا فتحاً يسراً وإجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً وأرزقنا كرامة الدنيا والآخرة ، عندما ينهزم أعداءنا ونكسب حلاوة الظفر بالنصر. وهذه الحاجات الثلاث دليل على تقديم أسباب النصر، **في غرر الحكم** (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ) **عن الإمام علي** (ع) مخاطب ابنه مُحَّد بن الحنفية: (تَزُولُ اَلْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ، عَضَّ عَلَى نَاْجِذِكَ (أسنانك)، أَعِرِ اَللَّهَ جُمْجُمَتَكَ، تِدْ (ثبّت) فِي اَلْأَرْضِ قَدَمَكَ، إِرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى اَلْقَوْمِ، وَ غُضَّ بَصَرَكَ، وَ إِعْلَمْ أَنَّ اَلنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ سُبْحَانَهُ). **فائدة** : (**رَبَّنَا أَفْرِغْ**) الدعاء مع العمل ضروري ، ولكن الدعاء ليس بديلاً عن العمل ، والأدعية الخالصة مستجابة.

**٢٥١ - ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**

استجاب الله دعاء قوم طالوت ، وحقق الله لهم النصر على أعدائهم الأقوياء ، مع الفوارق الكبيرة بينهما في العدة والعدد والقدرة والقوة ، مما يدل على ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ النحل/١٢٨ ، (**وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ**) كان داود شاباً من بني إسرائيل وأحد قادة جيش طالوت وكان (**جالوت**) ملكاً قوياً وقائداً عسكرياً مخيفاً من العمالقة ، وأراد الله ليري البشر أن الشاب الصغير المؤمن الشجاع ، يغلب الملك القائد القوي الجبار العملاق بإذن الله، عندما يهيء الله له أسباب الانتصار ، وإذا أراد الله شيئاً هيء أسبابه ، وصار لداود بقتل عدوه جالوت من الشهرة والسمعة ما ورث به ملك بني إسرائيل وهذا يدل على أنه سبق القوم بمبادرة مميزة جعلته يسبق طالوت القائد العام ويقود القوم بدلاً عنه فلما ظهر لطالوت شجاعة داود زوجه إبنته!

**(وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)** والحكمة هي النبوة ، ولم يجتمع في بني إسرائيل الملك والنبوة قبله إلاّ له وأنزل عليه الزبور.

**(وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)** مما يشاء الله تعليمه إيّاه من صنعه الدروع بإلانة الحديد وكان لا يأكل إلاّ من عمل يده ، وعلّمه منطق الطير وتسبيح الجبال وكان صوته حسناً وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها ، وتطلبه الطير خاضعة له **(وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ)** تكشف هذه الآية عن سنة من سنن الله التأريخية وحكماً من الأحكام الإجتماعية المهمة ، وتبين الحكمة من مشروعية الجهاد والقتال ضد أعداء الله، **الدفع**: الرد بقوة ، وهو قانون الصراع التأريخي العام بين الخير والشر واسع الدلالة ، إنه ليس صراع من أجل المغانم وكسب الأمجاد الفردية، إنما هو دفع الفساد كل فساد من أجل الصلاح كل الصلاح في الأرض كل الأرض ، ودفع بعض الناس ببعض ، قانون إنساني يسري مع الفطرة ويحرك كل ذي شعور وإحساس ، من مصاديق قانون الدفع الإجتماعي غلبة المؤمن الصالح على الكافر الفاسد وقد يتحقق بدفع الله العذاب عن الأشرار بسبب الأبرار.

**عن النبي (ص)**: (إِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بِصَلاحِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَأَهْلَ دِيْرَتِهِ (جيرانه) وَلاَ يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللهِ مَاْ دَاْمَ فِيْهِمْ !) مجمع البيان١٩٣/٢، وقد يتحقق قانون الدفع بتسليط الظالم على الظالم وتضعيف شوكته ليستعد المصلح ويتمكن من قهره ، ويتعمم قانون الدفع بين الناس بمطلق الإرشاد إلى الحق عن طريق النصيحة أو التذكير أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. آية الدفع الإلهي بين الناس فيه دلالة استنباطية على **فضيلة الملك وإستلام السلطة للمؤمنين** ، ولولاه لما إنتظم أمر العالم ، ولهذا قيل **(الدين والملك توأمان)** ، ففي قوة أحدهما قوة للآخر ، لأن الدين أساس والملك حارس ، وما لا أساس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع. **في غرر الحكم**: (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَاْدِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَاْدَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَاْدِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ) **قيل** : (نَحْنُ قَوْمٌ سِيَاْسَتُنَاْ عِبَاْدَةٌ، وَعِبَاْدَتُنَاْ سِيَاْسَةٌ). وهكذا يكون قانون الدفع عاماً ومستمراً ، وله دفع ظاهر ودفع خفي ، ودفع مباشر وغير مباشر ودفع بالقوة ودفع بالعلم ودفع للفرد ودفع للمجتمع وهكذا **عن الإمام علي** (ع): (لاَ تَسْتَقِيْمُ الْحَيَاْةُ إِلاَّ بِقَوِيٍّ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ) التفسير المبين ص٥٢، وقد يكون قانون الدفع مع الأنبياء (ع) فلا ينقادُ الناسُ لهم بالدليل والبرهان ليؤمنوا ويستقيموا ، فإحتاجوا إلى المجاهدة بالقتال ، ثم أن لهم آجالاً معينة فوجب أن يكون لهم نقباء كنقباء موسى وحواريو عيسى وخلفاء محمّد (ص) وأئمة الهدى يمتدون في المجتمعات لإعداد أجيال مؤمنة صالحة مؤهلة تجعل كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى ، وهذا من معاني.

(**دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**). وعن النبي (ص) : (لَوْلاَ عِبَاْدٌ رُكَّعٌ وَأَطْفَاْلٌ رُضَّعٌ وَبَهَائِم رُتَّعٌ، لَصُبَّ عَلَيْكُمْ الْعَذَاْبُ صَبّاً) مجمع البيان٢ص١٩٣، وفيه معنى الدفع. (**وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ**) عظيم عندما قدّر الأشياء وجعل لها مقاديرها اللازمة ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ القمر/٤٩ ، (**عَلَى الْعَالَمِينَ**) والله ذو فضل على كل الناس على الكرة الأرضية ، ولكنه يدفع فساد بعضهم ببعض فيخفف الفساد في الأرض سواء يعلمون أو لا يعلمون ، ففضله تعالى يعم العوالم كلها العاقلة وغير العاقلة. هذه القصة من قصص القرآن تكشف عن سنن الله الثابتة في خلقه ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ فاطر/٤٣.

**فائدة: ١**–تتجسد إرادة الله وفضله عبر الأسباب الطبيعية ضمن الواقع العملي كقوله(**دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**) وكقوله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ المائدة/٢. **٢**–(**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ...**)ونسب الله تعالى (**الدَفْعُ**) إلى نفسه ، لأنه سنّةٌ من سُنن الله في نظام المجتمع البشري، وعليه بنى نظام هذا العالم حتى يرث الله الأرض ومن عليها! وهو المعبر عنه في العصر الحديث (بنظرية تنازع البقاء) وصراع الحضارات الحق مع الباطل لنصرة الحق كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ محمّد/٤، ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**﴾ الرعد/١٧، ومثله قوله ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً**﴾ الحج/٤.

**٢٥٢**– ﴿**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾

تلك القصص العالية المقام (**نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ**) ومعها الحق وفيها دروس وعبر ودستور حياة للعباد بالحق (**وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**) نزودك بتجارب البشرية كلها ونورثك يا محمّد ميراث المرسلين أجمعين. **فائدة** : علينا أن نتدبّر بهذه الآيات والقوانين ونتفهمها بدقة ونعمل بها بشكل متوازٍ ولا نتعارض مع قوانينها ولا نصطدم مع نظامها ، لنحيا حياة كريمة طيبة يريدها الله تعالى لنا..

## الجزء الثالث من القرآن الكريم

**٢٥٣**– ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾

(**تِلْكَ الرُّسُلُ**) ذكر الرسل ولم يذكر رسالتهم لكونهما فضيلة مشتركة مفخمة واحدة فالرسول (ص) (كَاْنَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) (**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**) مع كونهم في سلم الكمال والجمال والجلال في ذاتهم ومكتسباتهم ، وقد سمى الله ما للأنبياء من نعم وميزات تفضيلاً ونسبه إلى نفسه عز وجل وسمّى ما عند الناس من إجتهادات إختلافاً (**وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا**) ونسبه إلى أنفسهم ، باعتبار (**وَمَا**

**بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ)** وما بكم من نقائص فمن أنفسكم ، **في غرر الحكم** (ذَرْوَةُ الْغَاْيَاْتِ لا ينالها إلاّ ذوو التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ) وهكذا تختلف الدرجات بحسب القدرات والمهمات و(الْهِمَّةُ عَلَى قَدَرِ الْمُهِمَّةِ) **(مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)** وهو موسى (ع) **(وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)** رفعة الدرجات على قدر رفعة النفوس والكفاءات ، فمن الكفاءات ما هو فاضل بذاته كالآيات البينات والتأييد بروح القدس، ومنه ما هو فاضل بغيره كتكليم موسى (ع) ، وقد جمع نبينا كلتا الفضيلتين **عن النبي** (ص) : (فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاْءِ بِسِتٍّ : أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ) روح البيان١/٣٩٤، **(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ)** الآيات المعجزات الباهرات الظاهرات من إحياء الموتى بإذن الله وشفاء المرضى وأنزل معه الإنجيل وغيرها **(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)** قويناه بجبريل للتشريف وبالروح الطاهرة المقدسة **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ)** حيث ابتعد أتباع الأنبياء وأممهم وأقوامهم عن رسالة نبيهم لتحقق مكاسب لنفسهم **(مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ)** يبين الله منهجه الرسالي ويلقي الحجة الواضحة على الناس، ويترك حرية الاختيار للطاعة والمعصية للإنسان وهو مسؤول عن اختياره حيث لا إنسانية بلا حرية **(وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا)** بغياً بينهم فاختلفت قلوبهم وسيطر شيطانهم وعاشوا النفاق والتلون في الدين ، بسبب خبث السرائر وسوء الضمائر **عن الإمام الصادق** (ع) (حُبُّ الدُّنْيَاْ رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ) لبحار٧٣ص٧، **عن النبي** (ص) : (مَاْ اِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إلاّ ما شاء الله) شرح النهج٥/١٨١، **(فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ)** وعمل بمنهج الأنبياء **(وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ)** بعد وضوح الحجة والدليل دلالة على حرية اختيار الإنسان ، وهو مسؤول عن اختياره **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا)** مشيئة الجبر والقهر أن يلجئهم إلى الإتفاق فلا يتنازعون ولا يقتتلون ولكن الله حكيم يفعل ما فيه المصلحة **(وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)** وكل ذلك عن قضاء الله وقدره فهو الفعّال لما يريد وكل ما يريده سبحانه هو الحكمة والمصلحة (فَمَاْ شَاْءَ اللهُ كَاْنَ، وَمَاْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) كقوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) التكوير/٢٩ قضى الله سبحانه أن تكون حرية الإنسان ضمن حدود مشيئة الله وإرادته ومسؤوليته عن أفعاله في حدود قدرته عز وجل وحكمته.

**٢٥٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**

الخطاب للمؤمنين يحثهم نحو الإنفاق بمعناه العام ، كل إنسان ينفق بقدره وإمكانيته **﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾** البقرة/٢٣٦ ، وكل إنسان ينفق من موقعه بقدره مما عنده ، هذا ينفق من علمه ، والعلم يزكو بالإنفاق، وهذا ينفق من ماله هو رزق الله أودعه عندكم ليختبركم ،

وهذا ينفق في جاهه وهذا ينفق من شجاعته.. ونحوها ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ**﴾ البقرة/٢٧٢. **في غرر الحكم**: (لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ دُنْيَاهُ إِلاَّ مَاْ أَنْفَقَهُ عَلَى أُخْرَاْهُ)، **في نهج البلاغة حكم١٣٨**: (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَاْدَ بِالْعَطِيَةِ) (**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ**) إن هذه النفقات المتنوعة ذخيرة لكم عند الله ، في يوم لا بيع فيه ولا بضاعة ولا مال ، والكل تقول : ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ الفجر/٢٤، (**وَلا خُلَّةٌ**) والخليل الصديق القريب لمداخلته إياك في شؤون حياتك فكأنها تتخلخل المودة والمحبة ، وتنقطع العلاقات يوم القيامة بين الأخلاء (الأصدقاء) إلاّ بين المتقين ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ الزخرف/٦٧، (**وَلا شَفَاعَةٌ**) حتى لا تتكلوا على شفعاء تتوسط لإنقاذكم ، فلا شفاعة يوم القيامة من دون إذن من الله ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتَضَى**﴾ الأنبياء/٢٨ ، **في غرر الحكم**: (شَاْفِعُ الْخُلُقَ الْعَمَلَ بِالْحَقِّ وَلُزُوْمِ الصِّدْقِ) (**وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ**) وأيضاً الظالمون هم الكافرون **عن النبي (ص)** : (مَنْ أَعَاْنَ ظَاْلِماً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَاْلِمٌ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الإِسْلاَمِ!) كنز العمال خبر١٤٩٥٥، **في غرر الحكم**: (مَنْ ظَلَمَ عِبَاْدَ اللهِ كَاْنَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَاْدِهِ)، **وعن النبي (ص)** (مَنْ أَعَاْنَ ظَاْلِماً سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٧٥٩٣، تعبير شديد اللهجة ، عبّر عن التاركين للإنفاق وللزكاة كافرين لأنهم يستعلون على أمر الله ، واستعانوا بنعمه على الكفر والفسوق والعصيان فلم يبقوا للعدل موضعاً ، فلهذا حصر الظلم المطلق بهم! **عن النبي (ص)**: (مَنْ مَنَعَ مَاْلَهُ مِنَ الأَخْيَاْرِ إِخْتِيَاْراً صَرَفَ اللهُ مَاْلَهُ إِلَى الأَشْرَاْرِ إِضْطِرَاْرَاً)البحار٩٦ص١٣١، **في نهج البلاغة كتاب ٣١**: (ظُلْمُ الضَّعِيْفِ أَفْحَشِ الظُّلْمِ)، **في غرر الحكم** (مِنْ أَفْحَشِ الظُّلْمِ ظُلْمُ الْكِرَاْمِ).

**٢٥٥** – ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾

(**آية الكرسي**) لها فضل كبير لسمو معانيها وسعة دلالاتها، إذ تحوي أسس التصوّر الإسلامي وتنفي التوهمات حول الحقيقة الإلهية ، الجامعة لصفات الكمال والجمال والجلال ، وذات الله تعالى المعبودة باستحقاق دون غيرها. **الْقَيُّومُ** : مبالغة قيام بالأمر على تمامه ودوامه وتقال للقائم بذاته والمقيم لغيره وبه تقوم كافة المخلوقات ويحفظها ويدبر أمرها ويقدر عليها ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ الرعد/٣٣ ، **سِنَةٌ** : نعاس. **المعنى العام** : (**اللَّهُ**) هذا الإسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات والصفات ، والجامع لمعاني سائر الإسماء ، فهو يجمع معاني الألوهية، ولا يستحق الطاعة والعبودية إلاّ هو سبحانه ، وعبادة غيره باطلة ، وهو الإله الذي يستحق الإلهية وليس لأحد سواه أن يدعيها ، (**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**) نفي كلّ إله وتثبيت ألوهية الله وحده ، وحدانية الخالق التي هي أساس الإسلام وأصل الدين ، فهناك **التوحيد النظري**: هو توحيد ذات الله وصفاته وأفعاله، **وتوحيد عملي**: توحيد السلوك والأفكار والأخلاق، هو توحيد

العبادة والاستعانة وتوحيد الخوف والرجاء ، وتوحيد الحب والكراهية ، وتوحيد التوكل ، توحيد الله النفسي (الاستئناس بالله) ﴿**إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ الشعراء/٦٢ .

**التوحيد الخالص**: هو نفي تأثير كل إله مع تعدد الآلهة فالهوى إله يُعبد من دون الله ﴿**أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ الفرقان/٤٣ ،﴿**ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**﴾ يونس/٣ ، **في غرر الحكم** (التوحيد حياة النفس) وتثبيت ألوهية الله وحده على النفس والحياة والأحياء (**الْحَيُّ**) الحياة له حصراً سبحانه إلاّ ما أفاضه لغيره ، وله جميع معاني الحياة الكاملة التي لا تخضع للموت كقوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) الفرقان/٥٨، (ياحيُّ الذي ليسَ كمثلِهِ حيُّ) (**الْقَيُّومُ**) صفة مبالغة من القيام بالأمر، الذي قام بنفسه واستغنى عن خلقه واستغنى خلقه به، فهو يقوم بحفظهم وتدبير وتقدير أمورهم ، وقيامهم محصور بقيموميته عليهم، وحفظه لهم، **نهج البلاغة خطبة١٠٨**: (كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ) ، (**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**) لأن النعاس والنوم من صفات المخلوق الضعيف وليس من صفات لذي العظمة والكبرياء (**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**) له الملك والسلطان المطلق على الوجود كله ، ولا أحد يملك مع الله شيئاً إلاّ ملكه عز وجل وهذا من مصاديق قيموميته (**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**) ذكر بصيغة الاستفهام ومعناه النفي والإنكار أي لا يشفع أحد عنده إلاّ بأمره ، حتى الكلام لا أحد ينطق به غداً ﴿**لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً**﴾ النبأ/٣٨ ، (**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**) وهو محيط بهم ، حاضر معهم موجود عندهم قريب منهم بل أقرب إليهم من حبل الوريد ، ولا يخفى عليه شيء وهو أدرى بمن يستحق الثواب ومن يستحق العقاب فلا مجال إذن للشفاعة ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ الزمر/٤٤ (**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**) والإحاطة بالشيء علماً أن يعلمه كما هو على الحقيقة ، وهو الذي يعلم وحده كل شيء علماً شاملاً كاملاً وهو سبحانه يتأذّن فيكشف للعباد (بقدر) عن شيء من علمه ويطلعهم عليه (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**)

**الكرسي**: كناية تشبيهية بتعبير بلاغي ظاهره أنيق وباطنه عميق ، للدلالة على ملك الله وعلمه وقدرته وعظمته وحكمه ، وإن هذه القدرة القاهرة مهيمنة على السماوات والأرض وما بينهما ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾ يوسف/٢١ ، (**وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**) ولا يتعبه ولا يثقل عليه حفظ هذه العوالم لكمال عظمته واقتداره وسعة حكمته في أحكامه (**وَهُوَ الْعَلِيُّ**) بذاته على جميع مخلوقاته وهو العليُّ بعظمة صفاته وهو العلي في قهر مخلوقاته، وخضعت له الصعاب وذلت له الرقاب (**الْعَظِيمُ**) الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، بحيث لا يجهده أمر الخلق فهو سبحانه أعظم مما يوصف وأكبر من أن يقاس ولاتدركه العقول والحواس ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١. **فائدة** : آية الكرسي إحتوت معاني

ضخمة يحق أن تكون من أعظم آيات القرآن الكريم كما **روي عن النبي (ص)** ، ويحق لمن قرأها متدبراً أن يمتلئ قلبه من اليقين ، وأن يكون محفوظاً من الشيطان ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيْ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ كَاْنَ الْذِيْ يَتَوَلَّى قَبْضَ نَفْسِهِ ذَاْ الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَكَاْنَ كَمَنْ قَاْتَلَ مَعَ أَنْبِيَاْءِ اللهِ حَتَّى اِسْتَشْهَدَ)مجمع البيان٢/١٩٩.

**٢٥٦- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**

ليس في دين الله القيم إكراه ، والعبد مخيّر فيه بعد إستكمال الحجة ، لأن الدين هو إيمان في القلب واستقامة في الفكر والقول والعمل ، وإن الذي يكره عليه في الشهادتين ليس بدين حقيقة، فهو لم يُسلم وإنما استسلم ، كما أن من أكره على كلمة الكفر ليس بكافر ، الآية تبين كمال الدين الإسلامي، فهو دين العقل والعلم ، ودين الفطرة والحكمة فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى إكراه عليه ، لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر منه القلوب ، لذلك فمن جاءه هذا الدين المنسجم مع الفطرة ورده ولم يقبله فإنه جاهل معاند **(قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ) الرُّشْدُ** : من الرشاد والهدى وكل خير مثل الإسلام ، والإيمان والحق ، **الغَيّ** : مقابل الرشد مثل الضلال ، والباطل ، والفساد. الدين القيم عقيدة هادية للتي هي أقوم ، والعقيدة تخضع للإقناع ولا تخضع للإكراه والإجبار ، فهو دين الحرية والاختيار في حالة بيان الرشد من الغي بوضوح (ولكن إذا حصل العكس) إذا لم يتبين الرشد من الغي ، وهناك شكوك وشبهات حول الدين ، عندئذٍ يصير موجباً للبيان وضرورة التربية والتعليم وطرح الحجة والبرهان ، حتى لو حصل إلقاء الحجة مع الإكراه ، ومع الفرض والوجوب، **عن النبي (ص)** (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) البحار١/١٧٧، وأصبح الجهاد قائماً إلى يوم القيامة ، سواء كان جهاد النفس أو جهاد العدو وكذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمة ، والغاية إلقاء الحجة الإلهية على الناس بوضوح وباستمرار ، قال تعالى **﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** النساء/١٦٥ ، وقال تعالى **﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾** النحل/٣٥. **(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ)** الطاغوت معنى عام لكل طغيان وتجاوز الحدود المعقولة ، وهو كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه مثل زعامة أو مال أو منصب أو إمرأة أو كبرياء أو إعتداء.. إلخ، والكفر به هو الإعراض عنه وعدم عبادته ومقاومته عما كان سبباً للطغيان.

**(وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ)** إيماناً علمياً يقينياً لا يعتريه الشك والشبهات ، والإيمان بالله يستلزم التمسك بمنهجه بصدق ، **وقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله** ليعتمد القرآن في تربيته المميزة للإنسان على (قاعدة التخلية ثم التحلية) بمعنى التخلية من السلبيات ثم التحلية بالإيجابيات ، فلا يمكن أن تؤثر

الإيجابيات في نفس الإنسان وهناك كم كبير من السلبيات والمنغصات تعيق السير في الطريق فلا بد من التخلّص من السلبيات بالتدريج لتنطلق الإيجابيات فتستقر وتؤثر في داخل النفس بلا منغصات فمنهج القرآن التربوي كقوله ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ محمّد/١٩ ، نفي كلِّ إله وتثبيت إلوهية الله وحده وقوله ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ الأحزاب/٣٣ ، قام بإذهاب الرجس عن أهل البيت (ع) أولاً ثم يطهركم تطهيراً كاملاً فقام بالتخلية ثم التحلية.. وهكذا.

**في غرر الحكم**: (ذَرْوَةُ الْغَايَاتِ لاَ يَنَالُهَا إِلاَّ ذَوُوْ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاهَدَاتِ) (**فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**) تشبيه بليغ واستعارة لطيفة ، وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ، شبّه من يسلك منهج الله الصحيح بمن أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع، وهذه هي مدرسة القرآن الكريم لبيان أن الإيمان بالله بعد الكفر بالطاغوت ، يؤدي إلى إستقرار نفس المؤمن وإطمئنان قلبه واستقامة فكره وسلوكه ، وعدم تأثير الأوهام والشبهات فيها ، وهو التمسك والاعتصام (**بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**) وعقد لنفسه من الدين عقداً قوياً محكماً وثيقاً لا تحله شبهة (**لا انفِصَامَ لَهَا**) لا انقطاع لها بمعنى كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالإيمان، والذي تمسك بعروة الدين القيّم الصحيح فإنه يمضي على هدى من ربه فلا ينحرف ولا يضل ولا تتفرق به السبل فمثله مثل الممسك بعروة الحبل المحكم المأمون الانقطاع لدى حمل جسم كبير ثقيل الوزن (**وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) والله سميع لكل شيء لأنه قريب من كل شيء ، وعليم بكل شيء لأنه محيط به.

**٢٥٧ - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

**الوَلِيُّ** : معناه واسع الدلالة منه : الناصر والمعين والمرشد والهادي والمؤيد والمحب... إن المؤمنين لا يتخذون ولياً غير الله ، ولا يجعلون سلطاناً عليهم غير الله ، منه سبحانه يستمدون العون ، لأنه محبهم ومعزهم ومتولي أمورهم ولا يفارقهم ولا يفارقونه ، فهو سبحانه معهم بمقدار ما هم معه كقوله ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ الحديد/٤ ، فهو تعالى ولي المؤمنين عندما ثبت في علم الله أنهم مؤمنون صادقون يستعينون بالله ويعتمدون عليه وإيمانهم به وعلمهم منه وعملهم إليه وفي سبيله وخدمة عباده وهو الذي أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الهدى والرشاد بفضله سبحانه وتعالى. (**يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**) (**الظلمات**) جاءت بالجمع (**والنور**) جاء بالمفرد ، وهذا تسهيل للمؤمنين وتدبير في منهجهم الإلهي إنه حق واحد ونور واحد يهدي إلى سبيل واحد هو سبيل الله ، وأما الظلمات فأنواعٌ شتى لا حصر لها ، ظلمات مادية ومعنوية ، ظلمات نفسية وعقائدية وأنواع الشبهات والخرافات والغلو والخلافات.. وما أن يترك الإنسان نور الله الواحد الأحد الموحّد المتّحد الذي لا يتعدد ، فتراه يدخل بسرعة في ظلمات متعددة الأصناف ، وكل

صنف هو ظلمات بذاته، ويسمى الانحراف عن الإسلام ظلمات لأنها ضلالات متنوعة لالتباس طريقها ، ويسمى الإسلام نوراً لهدايته لخير وسلامة الدنيا والآخرة ، والله سبحانه أنقذ أهل الإيمان من أنواع الظلمات التي تحيط بهم التي تنغّص معيشتهم وهداهم برغبتهم إلى نور الإيمان والإيقان ، نور يرى حقيقة الدين أنه هو الحياة لأنه لا حياة مطمئنة إلاّ بدين الله القويم.

**(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ)** والذين كفروا تركوا ولاية الله فتلقفتهم ولاية الشياطين من الجن والإنس وسائر المضلين وقادة الشر ، وهكذا الذي لا يليق به الحق يليق به الباطل، والذي يرفض حلاوة الهداية فتستقبله سبل الضلال وأنواع الغواية **(يُخْرِجُونَهُمْ)** بالوسواس والإغواء **(مِنَ النُّورِ)** الإيمان الفطري النقي الشفاف **(إِلَى الظُّلُمَاتِ)** الجهل والجهل المركب والإعجاب بالنفس وظلمات الشكوك والشهوات ، تواجهه فنون الظلمات وأنواع البدع **(أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** لا يليق بأهل الظلمات الذين لم يبق لنور الحق مكان في نفوسهم إلاّ تلك النار التي وقودها الناس والحجارة. **في دعاء كميل** : (أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلأَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيْهَا الْمُعَانِدِيْنَ) لأن جهنم غاية المفرطين، والجنة غاية الصالحين.

**٢٥٨** - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الاستفهام للتعجب والإنكار ، بعد أن بين سبحانه أن المؤمن يتخذ الله ولياً وناصراً ومعيناً له ، والكافر يتخذ الطغيان ولياُ وناصراً ومعيناً له ، قصّ على نبيه (ص) قصة إبراهيم (ع) ومحاججته للطاغية النمرود وهو من (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) عن النبي (ص) كنز العمال خبر٤٣٥٨٨ **حَاجَّ** : مقابلة الحجة بالحجة ، فهو جدال بعلم بالتي هي أحسن ، **فَبُهِتَ** : دهش وأخرس متحيراً مبهوتاً ذُهل عن رد الجواب **(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ)** تذرع النمرود أن الله قد آتاه الملك، فبدّل نعمة الله كفراً ، لم يذكر إسمه دلالة على إنكار شخصه وخسة نفسه وأمره **(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)** سأل الطاغية إبراهيم من ربك ؟ قال إبراهيم (ع) ربي الذي يحي ويميت **(قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)** قال الطاغية وأنا كذلك أحيي وأميت ، ثم أمر بإحضار رجلين من السجن فقتل أحدهما يعني استطاع ان يميت وأطلق الآخر يعني أنه استطاع أن يحيي ، إنه حفظ له حياته التي وهبها الله له ولكنه لم يهبه الحياة ! ، فالتبس الأمر على الحضور ، ووجد إبراهيم أنه لو بين وجه المغالطة وتلبيس الأمر ليدخل في جدال عقيم ، فسلك طريقاً آخر لا يستطيع أن يغالطه فيه **(قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)** وهكذا البرهان يقطع اللسان وينهي الجدال وينتصر الدليل.

**(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** إن الله لا يهدي من أعرض عن الهداية وإتبع الغواية وأصرّ على الضلال وظلم نفسه ، **فائدة** : هذه الآية في آداب الحوار والنقاش والجدال والجدال مذموم وممدوح ، **والجدال المذموم** : هو الجدال العقيم الذي يدور في دائرة مفرغة لا يصل إلى نتيجة محمودة ، ونتيجته النزاعات والبغض والكراهية فهو يضر ولا ينفع ، لأنه جدال بلا علم ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ غافر/٥ .

**وجدال حسن ممدوح:**﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾النحل/١٢٥، وهو جدال علمي مبني على الدليل والبرهان، والدليل سيد الموقف ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ البقرة/١١١، فهو جدالٌ يحبب ولا ينفر، ويقرِّبُ ولا يبعّد، ويعلّم ولا يجهّل، فهو يُقدّمُ أسلوب البحث على مادة البحث،يبدأ من حيث يحب،ثم ينتهي من حيث تحب لأنه مبني على الحكمة والموعظة الحسنة، وليس الجدال صراع ومغالبة وتحدّي للآخر،وإنما بيان الفكرة الصحيحة لمن سبق معرفتها بلا اشتباه.

**٢٥٩**- ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

هذه مرتبة متقدمة في الهداية عبر المشاهدة. إن شئت فأنظر إلى قصة الذي مرّ على قرية وهو (عزير) ذلك الرجل الصالح فوجدها خالية من الناس (**خَاوِيَةٌ**) متهدمة سقطت سقوفها وجدرانها ، فيقف معتبراً متسائلاً (**قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**) كيف يعمّر الله هذه القرية بعد خرابها وموت أهلها ؟ وكيف ينهض أهلها حضارياً لإعادة التقدم فيها ؟ فيأتي الجواب عملياً وسريعاً (**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**) بقبض روحه وإبقائه على هذه الحال ميتاً مائة عام ثم ردَّ روحه إليه (**قَالَ كَمْ لَبِثْتَ**) كم مكثت ميتاً يا عزير ؟ (**قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**) إنه لم يشعر بطول المدة وكأنه نام وأفاق، لأن الله أماته في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار ولكن الله يخبره (**قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**) لم يتعفن ولم يتغيّر (**وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**) وقد صار عظاماً رميمة تدل على طول مدة المكث ، بينما حال الطعام والشراب سالمين ، مما يدل على إمكان حفظ الطعام والشراب بوسائل حديثة حيث تبقى طوال هذه المدة على حالة واحدة (**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**) وليجعله آية وعلامة على وجود البعث والنشور.

(**وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً**) **نُنشِزُهَا** ننميها ونحييها ونردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها لحماً حتى يدل أن المعاد إلى يوم القيامة هو معاد جسماني (**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ**) فلما رأى الآيات الباهرات في إحياء الميت بعينه كقوله ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ**

**تَعُودُونَ﴾** الأعراف/٢٩ ، **(قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** وأن إرادته تعالى هي عين قدرته على الفعل والإيجاد ، أما إرادتنا نحن البشر محدودة مقيدة فلا بد لها من قدرة معها وأدوات تدعمها.

**فائدة: (وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ)** أنظُرْ كيف صارت عظام الحمار الصلبة رميماً مع بقاء طعامك وشرابك سالمين من الخراب ؟ إنها قدرة الله تعالى. وهذا أبلغ في المعجزة ، لأن الجو واحد ، فلو كان هو المؤثر لأسرع التلف إلى الطعام والشراب قبل أن يسرع إلى الحمار ، إنه من أصدق الدلائل على وجود البعث والنشور وأن الله على كل شيء قدير **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾** الأنبياء/١٠٤ ، نستفيد من هذه القصة ينبغي على الإنسان أن لا ينكر ما يعجز عقله عن إدراكه، ولا ينفي بسرعة إذا خالفت قناعاته.

**٢٦٠ -** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

هذه القصة الثالثة على الدليل الحسي على ظاهرة إعادة الحياة بعد الموت. سأل إبراهيم (ع) عن كيفية الإحياء لا عن أصل الإحياء ، وسأل عن البيان بالمشاهدة لا بالاستدلال ، والسؤال في الآية ليس عن كيفية قبول الأجزاء المادية الحياة بل عن كيفية إفاضة الله الحياة على الأموات. آمن إبراهيم (ع) بأن الله يحي الموتى إيماناً يقينياً لا ريب فيه ، ولكنه أحبّ أن يشاهد ذلك بعينه ، لقد استجاب الله لهذا الحب في قلب إبراهيم ومنحه هذه التجربة الفريدة المباشرة بلا وساطة **(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ)** أولم تصدق بقدرتي على الإحياء ؟ وهو العلم بيقينه **(قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** قال نعم أؤمن ولكن الإنسان يتأثر بمحسوساته أكثر من تأثره بمعقولاته ، وقد عمل الإسلام كثيراً على تقريب المفاهيم الغيبية المعقولة إلى مستوى حس الإنسان مباشرة **عن الإمام الحسن** (ع) : (أَسْلَمُ الْقُلُوْبِ مَاْ طَهُرَ مِنَ الشُّبُهَاْتِ)البحار٧٨/١٠٩ **في غرر الحكم** (لايصدر من القلب السليم إلاّ المعنى المستقيم).

**(لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** ليستقر قلبي ويسكن بالمعاينة عندئذٍ ارتفع بدرجات الإيمان من مستوى (علم اليقين) إلى مستوى (عين اليقين) لأصل إلى درجة قصوى (حق اليقين) **المرتبة الأولى (علم اليقين)** كعلمك بأن في هذا الوادي ماء ، (**المرتبة الثانية) (عين اليقين)** كرؤية الوادي بالعين المجردة، **المرتبة الثالثة (حق اليقين)** كالشرب منه مباشرة ، **﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾** التكاثر/٥-٧ ، **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾** الواقعة/٩٥ ، **في غرر الحكم:** (لَوْ كُشِفَ لِيَ الْغِطَاءُ مَاْ إِزْدَدْتُ يَقِيْنًا !) ومن يؤمن بالله يزدد هدى ويقيناً وغاية الإيمان اليقين كما ان غاية الدين الإيمان كقوله **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا**

**إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** الفتح/٤ ، **(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً)** اختار أربعة من الطير بلا تعيين **(فَصُرْهُنَّ)** أي قربهن وميلهن إليك وأن يذبحن وتقطع أجسادهن وتفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة **(ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)** نادهن وكأنهن أحياء فاهمات يأتينك مسرعات ، فتجتمع أجزاؤهن مرة أخرى وتعود الروح للأجساد وترجع إليهن الحياة بطريقة إعجازية ، وهذا يدل أن المعاد إلى يوم القيامة هو معاد جسماني **(وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** يشاهد إبراهيم عملية المعاد الجسماني أمامه ، ويعلم عين اليقين أن الله بقدرته وحكمته حصل كل ذلك ، وهكذا يحصل في يوم القيامة.

**فائدة: ١-** سؤالُ إبراهيم (ع) ما يشعر بالشك ، لأن الإنسان يطمح في مزيد العلم والرغبة في الوقوف على أسرار المخلوقات ، وأكمل الناس عقلاً وعلماً أشدهم رغبة في طلب الوقوف على المجهولات ، وهكذا نحن نستعمل الأجهزة المتنوعة الألكترونية كالخلوي ولا نعرف أسرارها ونحب أن نعرفها. وهذه وظيفة العلم والعلماء البحث عن أسرار الكون وإكتشاف أنظمته المجهولة. **٢-** كان إبراهيم ينشد اطمئنان قلبه إلى رؤية قدرة الله تعمل في إحياء الموتى وانكشاف الحجب للأسرار أمامه **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾** الأنعام/٧٥.

**٢٦١- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**

حث القرآن الكريم على معانٍ ثلاثة : الدعوة إلى الله والجهاد والإنفاق في سبيل الله ، وآيات ألإنفاق متعددة منها ما تعد الذين ينفقون في سبيل الله بالتعويض سبعمائة ضعف أو تزيد ، ومنها النهي عن إتباع الصدقة بالمن والأذى، ومنها أن يكون البذل خالصاً لوجه الله. وفي هذه الآية الكريمة ضرب الله مثلاً (والأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِلاِعْتِبَارِ) في حبة واحدة **(كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ)** فتكون سبعمائة حبة وهي قابلة للزيادة أيضاً **(وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)** مضاعفة عددية غير محدودة إلى ما شاء الله ، من فضله على المنفق وحسب نيته من إخلاصه وصدقه ومقدار بذله هل يتناسب مع مقدار غناه ، فمن قضى دين مؤمن معوز استدانه من أجل قوت عياله المؤمنين خير ألف مرة ممن يوسّع على مؤمن غير محتاج وإنما للترفيه ، **وفي الآية دلالة :** إلى أن المال إذا أنفق في محله لخدمة الفرد أو المجتمع عاد نفعه وأجره على المنفق من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب بمقدار ما قدَّم من خدمة صالحة **(وَاللَّهُ وَاسِعٌ)** الرحمة والمقدرة **(عَلِيمٌ)** بمن يضاعف له أضعافاً مضاعفة. **فائدة :** **(فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** في الوجوه التي تنفع الناس وتقدم المجتمع وترضي الله ، نلاحظ الأمم المتقدمة التي ينفق أفرادها أو حكومتها في إعلاء شأنها حضارياً بنشر وسائل التقدم فيها واستثمار الطاقات التي تقوم بها المصالح العامة نلاحظها صاحبة القوة والقدرة والهيبة ، بعكس الأمم التي ضعفت وذلت بإهمال الإنفاق عليها نلاحظها أمة متخلفة تطمع بها

الدول المستكبرة وينفر منها أهلها. ويهدف القرآن الكريم أن يصوغ الإنسان الذي لا يعيش لذاته ولذّاته فحسب وإنما يعيش هموم الأمة التي هو ينتسب إليها فتكون هي همومه وإهتمامه ، فيكون حجم الثواب بمقدار حجم النتائج النافعة **عن النبي (ص)** : (الإِسْلاَمُ يَسْبُكُ الرِّجَالَ كَمَا تَسْبُكُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيْدِ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)كنز العمال١/٧٨، وفي الآية ترغيب في الإنفاق على سعة معناه فلا يخسر المنفق لصالح المجتمع شيئاً، **في نهج البلاغة حكم١٣٨**(مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ) ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ سبأ/٣٩ ، **في غرر الحكم**: (إِنَّكُمْ إِلَى إِنْفَاقِ مَا إِكْتَسَبْتُمْ أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى إِكْتِسَابِ مَا تَجْمَعُوْنَ)

**٢٦٢ - ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

(**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) في سبيل منافع الناس وتقدم المجتمع حضارياً بما يرضي الله (**ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلا أَذًى**) الإنفاق والبذل الذي يحبه الله ويضاعفه أضعافاً مضاعفة هو الذي يتجه لرضا الله وتقدم الأفراد والمجتمع وسد حوائج الفقراء والمساكين ، لا من أجل الشهرة والرياء وحب الجاه والسمعة.. ولا يجوز أيضاً أن يتبع المنفق بمنّة وأذى لأن المنَّ والأذى يتعارضان مع رضا الله تعالى ، **والمنَّة** : ذكر ما ينقص المعروف ويُعكِّر النفوس ، **والأذى** : الضرر المؤذي بالقول أو بالفعل ، في العاجل أو الآجل ، بأن يقول لمن أعطاه : ألم أعطك ، ألم أساعدك وفيه شيء من التوبيخ ، فإن غاية الإنفاق تطهير الروح من البخل بينما تعمل المنَّة على تدنيس الروح وتلويثها (**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**) لهم أجرهم على إطلاق معناه ، عند ربهم ، هذه العندية عند رب كريم رحيم له دلالاته ، إذا أعطى أدهش وإذا أخذ فتّش (**وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**) لا يتوقعون الضرر مما يكون في مستقبل حياتهم (**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) لا يصيبهم الغم والهم الذي يغلظ على النفوس وينغّص عليهم حاضرهم ، في دنياهم وآخرتهم. **عن النبي** (ص) : (إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَنَّانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَظَرَةَ لُطْفٍ) تفسير النور١/٤٠٣.

**٢٦٣ - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾**

**الْقَوْلُ الْمَعْرُوفُ** : الكلام الحسن والرد الجميل الذي تحبه القلوب ولا تنكره النفوس والعادات كقولك رزقك الله، (**وَمَغْفِرَةٌ**) : مسامحة مع السائل وتحمُّل سؤاله وإلحاحه والصبر على حاجته سواء قضيتها أم لا. **والمعنى** : ان يتسامح المسؤول مع السائل إذا ألح بالسؤال (ولو صدق السائل لهلك المسؤول) (**خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**) والمقصود من الآية الكريمة هو إنّ مقابلة السائل بكلمة طيبة والدعاء له بالخير والصبر عليه أفضل عند الله من العطاء مع الإيذاء بسوء التعامل (**وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**) والله مستغنٍ عن الخلق بينما كل الخلق يستغنون بالله سبحانه ولا يستغنون عنه

، **حَلِيمٌ** : لا يغضب عند كل جهالة ، ولا يعاجل العقوبة لمن خالف أمره (فَتَشَبَّهُوْا بِأَخْلاَقِ اللهِ) ، **عن النبي** (ص): (إِذَا سَأَلَ السَّائِلُ فَلاَ تَقْطَعُوْا عَلَيْهِ مَسْأَلَتَهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ثُمَّ رُدُّوْا عَلَيْهِ بِوَقَارٍ وَلِيْنٍ إِمَّا بِذُلٍ يَسِيْرٍ أَوْ رَدٍّ جَمِيْلٍ، فَإِنَّهُ قَدْ يَأْتِيْكُمْ مَنْ لَيْسَ بِإِنْسٍ وَلاَ جَانٍ يَنْظُرُوْنَ كَيْفَ صَنِيْعِكُمْ فِيْمَا خَوَّلَكُمْ الله تعالى) نور الثقلين١/٢٨٣، **وعنه** (ص) (إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوْا النَّاسِ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوْهُمْ بِأَخْلاَقِكُمْ) الكاشف١/٢٧٢.

**٢٦٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**

الخطاب للذين آمنوا أن (**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ**) لا يطلق إسم الصدقات على بذل المال إلاّ مع النية الخالصة لوجه الله تعالى إذا كانت الصدقة في مصلحة المجتمع وتقدمه كانت أحسن ، وكل عمل لا يؤدي الغاية الصالحة منه فقد حبط وبطل ، أما (**المن والأذى**) لا يجتمعان مع الإخلاص في النية ، لذلك تكون الصدقات مع المن والأذى يسببان حبط الطاعات وليس فيها قربات لله (**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**) الرئاء والرياء والمراءاة معنى واحد أن يعمل ليراك الناس ، والمرائي يبطل إنفاقه بالرياء وهو كالمنافق الذي يبطن خلاف ما يُظهر (**وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) لا يصدق بلقاء الله ليرجو ثواباً أو يخشى عقاباً ، فيكون عمل المرائي وعمل الكافر سواء ! (**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدا) صَفْوَان** : الحجر الأملس ، **وَابِلٌ** : مطرٌ شديد ، **الصَلْد** : الصلب. الضمير في (**مَثَلُهُ**) يعود إلى المرائي فقد شبه سبحانه المان المؤذي بالمنافق المرائي لأنهما لم يطلبا معاً وجه الله ، ثم شبه هؤلاء (**بصفوان**) حجر أملس عليه تراب خفيف يغطيه ، يظنه الناظر أرضاً طيبة صالحة للزراعة ، فإذا أصاب هذا الحجر الأملس مطر شديد أذهب عنه التراب وظهرت حقيقته أنه يبقى حجراً صلداً غير صالح للزراعة في كلِّ الأحوال ، كذلك هذا المنافق المرائي أو المال والمؤذي يظن أن له أعمالاً صالحة فإذا كان يوم القيامة إضمحلت وذهبت (**لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**) لا يقدر أحد على رد ذلك التراب الذي إجتاحته السيول كذلك لا يقدر المراؤون والمؤذون على رد صدقاتهم لأنهم لا يجدون لأعمالهم ثواباً فلا ينتفعون بشيءٍ منها في الآخرة (**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) كيف يهدي الله من كفر النعمة ورآءى وآذى الناس بإنفاقه ؟ فأفقد نفسه قابلية الهداية وأغلق أجهزة الاستقبال في نفسه. كما قال تعالى : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣ ، **عن النبي** (ص) : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبَلُ عَمَلاً فِيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رِئَاْءٍ) تنبيه الخواطر ص١٥٣، **وعن الإمام علي** (ع) : (ثَلاَثُ عَلاَمَاْتٍ لِلْمُرَائِي : يَنْشَطُ إِذَاْ رَأَى النَّاْسَ ، وَيَكْسَلُ إِذَاْ كَاْنَ وَحْدَهُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ

فِيْ جَمِيْعِ أُمُوْرِهِ) البحار٧٢/٢٨٨ وهذه علامات المنافق أيضاً. **فائدة:** يجب على المؤمنين اجتناب الرياء والمن والأذى فإنها من صفات الكافرين والمنافقين.

**٢٦٥ – ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**

بعد أن ضرب الله مثلاً لصدقة المرائين والمؤذين السيئة ، ضرب مثلاً في هذه الآية لصدقة المخلصين المقبولة ، إن صدقة أولئك المرائين كان على صفوان وهو الحجر الأملس لا ينفع للزراعة ، بينما صدقة المؤمنين في سبيل منافع الناس التي ترضي الله ، صدقة نافعة لهم في الدنيا والآخرة (**وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) تمكين وعزيمة من أنفسهم في مراتب الإيمان والإحسان باطمئنانها عند إنفاقها حتى يكون ذلك سجية لها ، فلا تخشى من البخل ولا تخاف من الفقر ولا يستولي عليهم حب المال واستثماره (**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**) **جَنَّة** : بستان ، **رَبْوَةٍ** : تل. فإن صدقة هؤلاء المؤمنين كجنة في مرتفع من الأرض عميقة التربة لا يخشى عليها من السيول ، فتكون أطيب ثمراً وأزكى طعماً وأكثر إنتاجاً لأنها إن (**أَصَابَهَا وَابِلٌ**) المطر الغزير (**فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ**) بسبب خصوبة تربتها ويكفيها القليل من الري (**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**) المطر الخفيف ، فإن لم ينزل عليها المطر الغزير فيكفيها المطر الخفيف (الندى) لجودة منبتها ولطافة هواها فهي مورقة خضراء جميلة يستفيد منها الناس. وهكذا نفقات المؤمنين زاكية نامية عند الله وعند الناس بمقدار إخلاصها ، ويُشبّه نفقتهم الكثيرة والقليلة بالمطر الغزير والخفيف، فيكون كل واحد منهما سبب لتنامي الخير كل واحد بقدره (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) من عمل الإخلاص أو الرياء لا يخفى عليه شيء ، وهو ترغيب في الإخلاص مع تحذير عن الرياء. **فائدة:** (**وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) بعض أنفسهم ولم يقل لأنفسهم ، (**مِنْ**) تبعيضية ، أي جعل بعض أنفسهم ثابتاً على الإيمان والطمأنينة لأنها مجبولة على حب المال حتى تهذب نفسها وتتسامى بالتدريج لتصل إلى تثبيت النفس بالكامل واطمئنانها ببذل المال والنفس معاً في سبيل الله في ظروف مناسبة فقد ثبتها كلها كقوله ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ**﴾ الحجرات/١٥.

**٢٦٦ – ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**

مثال تشبيهي لإبطال الصدقات بالمنّ والأذى.

**المعنى**: أيحب أحدكم أن تكون له جنة غنّاء وسميت بذلك لأنه تجن الأرض بالظلال وتسترها بأنواع الأشجار الكثيفة وتقيها من حر الشمس وهذه الجنة (**مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**) إنها ظليلة وأشجارها كثيرة وجريان الأنهار من تحتها ليحصل

صاحبها على ثمارها المتنوعة ، ويحقق بها آماله عند كبره ، لتكون سنده المادي في حالة ضعفه وكثرة عياله ، فهو بذل لها جهود كثيرة وأموال طائلة لتعميرها بهذه الصورة، وهكذا تكون الصدقات الطيبات خيرات تتكاثر لصاحبها من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب **(وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ)** فهو يحقق بها آماله عند الكبر عندما يعجز عن العمل ولتكون سنده المادي والمعنوي في حالة ضعفه وكثرة ذريته ، فمن الذي يود أن تكون له هذه الجنة ثم لا يحميها ولا يتقيها بحسن التصرف ؟! **(فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ)** أصاب تلك الحديقة الغنّاء ريح عاصفة شديدة معها نار وإنتقام فإحترقت وقضت عليها وعلى آماله العريضة ، فلا هو يستطيع أن يسترجع قوته ولا لذريته الكثيرة قدرة على إعادتها إلى نضارتها الأولى ، وهكذا حال من يفعل الخير ويبذل المال ولكن يحبط عمله بالرياء أو بالمن والأذى ، فيأتي يوم القيامة فيرى الحقيقة بعينه فإن كل نفقاته **(أَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ)** وصارت هباء منثوراً بسبب إعصار فيه نار الرياء والمن والأذى أحرق كل أفعاله فيندم في وقت لا ينفع الندم ﴿**فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦ ، **(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)** كذلك يبين الله لكم دلائل شريعته وأسرارها لعلكم تعتبرون ، **ولربما أشارت الآية** إلى أن عمل الآباء ينعكس على أبنائهم في المستقبل في الخير أو في الشر ، نلاحظ البناء يحصل بالتدريج بينما الهدم وحبط الأعمال يحدث في لحظة واحدة. **عن الإمام علي** (ع) : (إِنْتَفِعُوْا بِبَيَانِ اللهِ وَإِتَّعِظُوْا بِمَوَاعِظِ اللهِ وَإِقْبَلُوْا نَصِيْحَةَ اللهِ)، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ) (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوْا الْأَلْبَابِ) الرعد/١٩، البحار ٣٢٧/٧١ **وعن النبي** (ص): (أَخْلِصْ قَلْبَكَ للهِ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ) البحار ١٧٥/٧٣، **ومن دعاء النبي** (ص): (اللّهُمَّ إِجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّيَ وَإِنْقِضَاءِ عُمُرِيَ)، **ومن دعاء النبي** (ص) أيضاً : (اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجْآءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيْعِ سَخَطِكَ).

**٢٦٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**

يحث ويرغّب القرآن الكريم المؤمنين على الإنفاق من طيبات ما كسبتم، **الطيب**: الأفضل عندكم، المستطاب كقوله ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ آل عمران/٩٢ ، ومعنى الكسب هنا عاماً يشمل الكسب الذي فيه مال وأرباح، سواء كان مصدره الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو الإرث أو الغوص أو المعدن أو أي شيء استثماري آخر ، فإن ما كسبتم يشمل جميع المكاسب المادية والمعنوية **(وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنْ الأَرْضِ)** فكل النعم مصدرها الأول من الأرض كالبترول وأنواع المعادن **(وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ)** ولا تقصدوا الرديء من أموالكم أو بضاعتكم أو

محاصيلكم فتنفقوا في سبيل الله (**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**) لو أُهديَ إليكم ما قبلتموه ولا رضيتموه لأنفسكم إلاّ إذا تساهلتم وأغمضتم البصر مع الكراهة والحياء والمسامحة ، فكيف إذن تقدمونه لله ما لا تقبلونه لأنفسكم ؟! (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**) وإن الله عندما طلب الإنفاق فقد أراد به تقدم المجتمع حضارياً وأخلاقياً وإلاّ فهو (**غَنِيٌّ**) عن الإنفاق والطاعة و (**حَمِيدٌ**) يجازي المنفق للطيبات بأفضل الجزاء. **فائدة** : **١-** كلما أعطى المنفق لله تعالى أحب ما عنده فإن الله يجازيه بكرمه بأعز ما عنده ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ الرحمن/٦٠ ، وأشارت الآية إلى أحسن أنواع التكسب هو التجارة والزراعة والصناعة ، **عن النبي** (ص) : (عَلَيْكُمْ بِالْتِجَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْجَسَارَةِ فَإِنَّ فِيْهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ). **٢-** الإنفاق من المال الحرام لاقيمة له ، بل القيمة والفضل في إنفاق المال الحلال من كدِّه وتعبه (**مَا كَسَبْتُمْ**) لأن المال الحرام أوله يغرُّ ويسرُّ وأخرُهُ يضرُّ.

**٢٦٨-** ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾

**يَعِدُكُمْ** : يخوفكم ، **الْفَحْشَاءِ** : تجاوز الحدود في الأعمال السيئة ، وهي معنى عام لكل معصية كبيرة فاحشة قبيحة والتي منها البخل. **المعنى:** خطاب الآية عام. يعد الشيطان الناس عامة والمنفقين خاصة بالفقر ، يعدهم تارة بالوسوسة ويحرضهم على الحرص والبخل والتكالب على الدنيا والسعي في زيادة الأرباح، ويخوفهم من الإنفاق وعدم إعطاء الحقوق الشرعية والزكاة والصدقات فإنه يؤدي إلى الفقر وسوء الحال وقلة المال ولا يكتفي بتخويفكم الفقر وإنما يستخدم خطواته المضلة الممكنة (**وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**) يدفعكم بإغراءاته ، ويحرضكم بوساوسه بصيغة الأمر لزيادة التحريض على الحرص وارتكاب المعاصي الكبيرة ومنها البخل وترك المحاسن والأخلاق والطاعات (**وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**) فارق كبير بين ما يعدكم الشيطان وما يعدكم الرحمن ، وقدّم السياق القرآني المغفرة على الفضل ، والفضل زيادة فوق المغفرة ، والله يعدكم من ينفق مما يستطاب من كسبه إبتغاء مرضاة الله تعالى يعدكم أن يكفّر عنكم من سيئاتكم ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ التوبة/١٠٣.

ويعدكم أن يخلف ويعوّض المنفق خيراً مما أنفق كقوله ﴿**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ سبأ/٣٩ ، (**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) يعطي عن سعة ويعلم ما توسوس به نفسه. **عن إبن عباس:** (إِثْنَانِ مِنَ اللهِ وَإِثْنَانِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَالَّذَانِ مِنَ اللهِ الْمَغْفِرَةُ عَلَى الْمَعَاصِيْ وَالْفَضْلُ فِي الرِّزْقِ، وَاللَّذَانِ مِنَ الشَّيْطَانِ الْوَعْدُ بِالْفَقْرِ وَالأَمْرُ بِالْفَحْشَاءِ)مجمع البيان٢/٢٤٢. **فائدة:** بخل الأغنياء يسوق الفقراء نحو الفساد والرذيلة (**يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**).

**٢٦٩-** ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾

**الْحِكْمَةَ** : من الإحكام والإتقان فلا بطلان ولا نقصان ، **و الْحِكْمَة** : هداية إلهية وملكة إنسانية ومؤهلات مميزة شخصية تعتمد العلوم النافعة والحكماء أصحاب العقول المسددة الرزينة ، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال وأصحاب الاستقامة والسلامة والكرامة ، وتمكن الحكيم من تمييز سبل الخير المتداخلة مع سبل الشر ، والتوازن في الإنفاق ، والاعتدال في المعيشة ، ونفي وساوس الشيطان، وتقبل هداية الرحمن (**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**) ومائدة الحكمة مفتوحة للجميع لمن يمتلك مؤهلاتها فينال منها بمقدار ما يعطيها ويتفاعل معها ، وجميع الأمور لا تصلح إلاّ بالحكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها الصحيحة ، وينزل الأمور منازلها المناسبة ، فمن أوتي الاعتدال فلا يتعدَّ الحدود، ومن أوتي إدراك الغايات من خلال التهذيب و المجاهدات فلا يضل في تقدير الأمور ، ومن أوتي البصيرة المستنيرة تهدِهِ إلى الصراط المستقيم ، والحكمة معقودة بمشيئة الله تعالى (**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**) أصحاب العقول النيرة ، **اللب** : العقل الذي يتبع الأحسن في كل شيء لأنه بمنزلة اللب من القشر، **والتذكر**: الانتقال من النتيجة إلى مقدماتها ، والتقاط الحكمة يدل على التذكر **عن النبي (ص)** (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ أَيْنَمَاْ وَجَدَهَاْ أَخَذَهَاْ) البحار٢/٩٩، والحكمة ليست مما تدرك بالعقول وإنما هي نور المواهب الربانية الداعية لكشف أسرار الحياة ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ النور/٤٠ ، **عن النبي (ص)** : (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ)كنز العمال خبر٥٨٧٣، **في غرر الحكم**: (مِنْ خَزَائِنِ الْغَيْبِ تَظْهَرُ الْحِكْمَةُ)، **وفيه أيضاً**: (إِغْلِبْ الشَّهْوَةَ تَكْمُلُ لَكَ الْحِكْمَةُ)، **وفيه أيضاً**: (لاَ حِكْمَةَ إِلاَّ بِعِصْمَةٍ)، **وعن إبن عباس** : (الْحِكْمَةُ: التَّفَقُّهُ فِيْ الْقُرْآنِ)، **عن النبي (ص)** (القرآن غنى لا غنى بعده) روح البيان١/٤٣١ والآية تحث على استعمال العقل فلا يجوز تعطيل العقل، (**أُوْلُوا الأَلْبَابِ**): أولو العقول ولاتطلق على كلِّ الناس وإنّما تخصُّ الذين يحركون عقولهم ويفكرون ويختارون الأحسن بعلم.

**٢٧٠** - ﴿**وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾

إن الله يعلم النفقة بأي دافع تكون لأن، **في غرر الحكم** (النِّيَّةُ أَسَاسُ الْعَمَلِ) ويجازي عليها بحسب دافعه إخلاصاً أو رياء (**أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ**) **النذر** : العزم على فعل شيء أو تركه ، فما كان النذر في طاعة الله فأنت أوجبته على نفسك فيجب الوفاء به ، وما كان النذر في معصية فلا وفاء فيه (**فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**) يجازي عليه (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**) وما للذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ولم يعطوهم النفقات الواجبة من أنصار ، وفيه إشارة في التهديد والوعيد لمن ظلم الفقراء فلم ينفق عليهم ، فهذا ظلم فاحش لا يقبل التكفير والتوبة ولا الشفاعة ، لأن عدم الإنفاق الواجب من الكبائر. **عن الصادقين (ع)** : (لاَ تُوْجِبْ عَلَى نَفْسِكَ الْحُقُوْقَ (كالنذور) وَإِصْبِرْ عَلَى النَّوَائِبِ) وسائل الشيعة١٦/١٨٩، **وعن النبي (ص)**: (النَّذْرُ لاَ يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلا يُؤَخِّرُهُ وَإِنَّمَاْ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ

الْبَخِيْلِ) صحيح مسلم٣ص١٢٦١، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا قَدَّمْتَهُ لآخِرَتِكَ وَمَا أَخَّرْتَهُ فَلِلْوَارِثَ)! **في غرر الحكم**: (ظُلْمُ الضَّعِيْفِ أَفْحَشِ الظُّلْمِ) (ظُلْمُ الْمُسْتَسْلِمِ أَعْظَمُ الجُرْمِ) (ظُلْمُ الْكِرَامِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ).

**٢٧١ - ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**

**تُبْدُوا** : تظهروا ، **الصَّدَقَاتِ** : مطلق الإنفاق. **المعنى** : إن تظهروا الصدقات وتشتمل أنواع النفقات فنِعم شيء إظهارها ما دام القصد وجه الله ورضاه ولم يكن رياء وسمعة لأن فيها مساعدة الفقراء وتماسك المجتمع (**وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**) ولا شك في أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها لبعدها عن الرياء وإظهار حاجة الفقير أمام الناس لتعرفه حتى تساعده فيه مصلحة ، كذلك لو كانت إظهار الصدقات مدعاة للأسوة والاقتداء وعندها يكون إظهارها أفضل ، ولأن الصدقات من شعائر الله ومن تقوى القلوب التي لو أخفيت لتوهم تعطيل حكمها. **عن الإمام الصادق** (ع): (كُلُّ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ فَإِعلاَنُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِسْرَارِهِ وَمَا كَانَ تَطَوُّعَاً فَإِسْرَارُهُ أَفْضَلُ مِنْ إِعْلاَنِهِ) مواهب الرحمن٤/٤١٧. **وعن النبي** (ص): (صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتُطْفِئُ الْخَطِيْئَةَ ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَتَدْفَعُ سَبْعِيْنَ بَابَاً مِنَ الْبَلاءِ) مجمع البيان٢/٢٤٩، (**وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ**) بعض سيئاتكم لأن الصدقة لا تمحو جميع الذنوب وتدفع كثير البلايا وهذا ما ظهر على أرض الواقع بالتجربة. (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) يعلم نفقاتكم بالإسرار والإعلان والله خبير بخفايا النفوس. **فائدة** : **١-** (**وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ**) عليكم أن تذهبوا إلى الفقراء لمساعدتهم لا أن يأتوا إليكم. **٢- ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾** التوبة/١٠٤ ، **وعن النبي** (ص): (الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ) فروع الكافي ج٤ص٢، **عنه** (ص) : (دَاوُوْا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنْ الأَعْرَاضِ وَالأَمْرَاضِ وَهُوَ زِيَادَةٌ فِيْ أَعْمَارِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ) البحار٩٦/١٢٣.

**٢٧٢ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾**

خطاب الآية خاص للنبي ولكن أريد به عموم المعنى. **المعنى** : ليس من واجبك يا مُحَمّد (ص) أن يكونوا مهتدين. **سبب النزول** : إن المسلمين كانوا لا يتصدقون إلاّ على أهل دينهم ، فخاطب الله نبيه بهذه الآية والمراد بها أن الكافر لا يعاقب على كفره في هذه الحياة بمنع الرزق عنه والتضييق عليه، **وفي الآية دلالة** : على أن الصدقة جائزة على غير المسلم في الواجب والمستحب ، وأما الهداية فهي بيد الله يهدي بها من يشاء ويريد الهداية وهو مؤهّل لها ويسعى إليها (**وَلَكِنَّ اللَّهَ**

**يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)** فهدى التوفيق على الله ، وهدى البيان على النبي (ص) فإذا كان الله هو الذي يهدي من يشاء ولائق للهداية ويقبل النصح والإرشاد ، والله لا يجبر الهداية على من لا يريد ، إذن فلا يمنعك كفر الكافر من الإنفاق عليه ، لعّل بذلك تفتح قناة الهداية بينك وبينه فيستذوق طعم الهداية﴿**يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ**﴾ الرعد/٢٧ ، **(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ)** الذي تنفقونه من خير على إطلاق معناه سواء كان الخير المادي أو المعنوي كنفقة العلم والجاه والشجاعة والقدرة.. إلخ ، كل ينفق من موقعه فثوابه ومنافعه تعود إليكم في دنياكم وآخرتكم والغرض منه الترغيب على الإنفاق ليكون المنفق أطيب نفساً في البذل وأسمح كفاً وفي موقعه المناسب **(وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)** ليست نفقتكم لشيء من الأشياء الدنيوية إلاّ لإبتغاء وجه الله ورضاه ، فما بالكم تمنون بها أو تنفقون الرديء الذي لا يوجه مثله إلى الله **(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)** يعود خيره لكم فلا تتوهموا أن هذا الإنفاق لا مصداق له على أرض الواقع ، فلا عذر لكم في أن تعرضوا عن الإنفاق الطيب وأنتم لا تنقصون شيئاً من الثواب المضاعف. **عن الإمام علي** (ع) : (طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ كَلاَمِهِ) البحار٩٦/١١٧.

**٢٧٣-** ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾

**أُحْصِرُوا** : حصروا وحبسوا ووجهوا أنفسهم وتفرغوا للجهاد ولكل عمل في سبيل الله ، ومنه الإحصار والإختصاص في تعلم الفنون العسكرية ، وإحصار النفس وطلب الإختصاص في كلِّ العلوم لإعداد كفاءات متقدمة في المجتمع ، وكل الأعمال الحضارية التي تنفع الصالح العام هؤلاء تجب النفقة عليهم من بيت المال ، والسبب لأنهم لو إشتغلوا لطلب الرزق لصالحهم الخاص لتعطلت المصلحة العامة ولتأخر المجتمع **(لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ)** لا يستطيعون طلب الرزق بسبب عوائق تعيقهم مشروعة كالمرض والعجز **(يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ)** **التَّعَفُّف** : من العفة والنجابة ، المبالغة في التنزّه وهو منع النفس من هواها وتهذيب الطبع عما يريد. تعففوا : ترفعوا عن الحاجة إلى الناس، ولا يظهرون فقرهم وإذا رآهم الجاهل بحالهم والذي لا يعرفهم ظنهم أغنياء **في غرر الحكم:** (الْعِفَّةُ : رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ)، وزينة الفقر وأفضل العبادة وأحسن عادة ، **(تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ)** علاماتهم العامة وظاهرهم يدل عليهم لعدم ظهور النعمة والرفاهية عليهم.

**(لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)**

**إِلْحَافا:** إلحاحاً، لا يسألون ولا يلحون في السؤال هؤلاء أولى بالإنفاق من غيرهم ، وقد نهى الإسلام عن إعطاء الصدقات للميسورين وهذا يقتضي معرفة أبناء المجتمع بدقة ، ولا يحل للغني أن

يأخذ الصدقات والحقوق الشرعية من يُعلَمْ أنه يسأل الناس زيادة في غناه كالشحاذين الذين جعلوا السؤال حرفة وهم قادرون على العمل هؤلاء ينبغي أن لا يعطوا شيئاً ، وإعطاؤهم ضررٌ لهم وللمجتمع. **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّهَاْ نَزَلَتْ فِيْ أَصْحَاْبِ الصِّفَةِ ، كَاْنُوْاْ نَحْوَاً مِنْ أَرْبَعْمَاْئَةٍ مِنَ الْفُقَرَاْءِ وَالْمُهَاْجِرِيْنَ يَسْكُنُوْنَ صِفَةَ الْمَسْجِدِ (مكان الظل فيه) يَسْتَغْرِقُوْنَ أَوْقَاْتَهُمْ بِالتَّعَلُّمِ وَالْعِبَاْدَةِ ، وَكَاْنُوْاْ يَخْرُجُوْنَ فِيْ كُلِّ سَرِيَةٍ يَبْعَثُهَاْ رَسُوْلُ اللهِ (ص)) مجمع البيان٢/٢٥٣، **عن النبي (ص)** : (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَبَؤُسَ وَيُحِبُّ الْحَلِيْمَ الْمُتَعَفِّفَ مِنْ عِبَاْدِهِ وَيَبْغَضُ الْفَاْحِشَ الْبَذِيْءَ وَالسَّاْئِلَ الْمُلْحِفَ (الملح في السؤال)) مجمع البيان٢/٢٥٤، **وعنه** (ص): (الأَيْدِيْ ثَلاَثَةٌ: فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَاْ وَيَدُ الْمُعْطِيْ الَّتِيْ تَلِيْهِا وَيَدُ السَّاْئِلِ السُّفْلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ) المصدر السابق، **وعنه** (ص): (مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَاْ يُغْنِيْهِ فَإِنَّمَاْ إِسْتَكْثَرَ مِنْ جُمَرِ جَهَنَّمَ!)كنز العمال خبر١٦٦٩٣. **فائدة:** خمس صفات لأهل الصفة : ١- التفرغ للجهاد (**أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) ، ٢- العجز عن الكسب ليس من كسل (**لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ**)، ٣- التعفف (**يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ**)، ٤- ظهور علامات الفقر من حالهم وظاهرهم لا من إلحاحهم في السؤال (**تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ**) ، ٥- عدم السؤال بإلحاح ممّا في أيدي الناس (**لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**)، قليل يكفي خير من كثير يلهي.

**٢٧٤- ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

الذين ينفقون أموالهم في مكانها المناسب وفي جميع الأزمنة وفي سائر الأحوال ، إن نفوسهم قد سمت وتكاملت فهم ملكوا المال ولم يملكهم المال ، وأصبحت منافع الناس وتقدم المجتمع شغلهم الشاغل، هذا هو المستوى من الأمة المتعاونة الحضارية التي يكفل أقوياؤها ضعفاءها وأغنياؤها فقراءها، ويستثمرون الطاقات ويدعمون الكفاءات لتقدم المجتمع حضارياً وأخلاقياً ، تجعل الأمة مهابة قوية في ذاتها وفي أعين الأمم الأخرى. وقدّم الليل على النهار والسر على العلانية، للدلالة على تفضيل صدقة السر والليل ، مع أن لكل منهما فيه مصلحة إذ الأوقات والأحوال لا تقصد لذاتها. (**فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) فلهم أجرهم بلا حدود ولا قيود وتخصيص ذلك بأنه (**عِنْدَ رَبِّهِمْ**) يدل على شرف هذه الصفة الكريمة ، وتنعكس فوائدها في واقعهم الحياتي فتنالهم هدية إلهية شفافة ، وهي حياة مطمئنة هانئة بعيدة عن الخوف والحزن ، في الدر المنثور وإبن كثير نزلت في علي (ع) (كمصداق) كانت معه أربعة دراهم فتصدق بواحدة ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية. وأيضاً مروي عن الإمام الصادق (ع) مجمع البيان٢/٢٥٥.

**٢٧٥- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

**الرِّبَا** : الزيادة على أصل المال يأخذها الدائن من المدين مقابل مدة معينة ، **التَخَبُّطُ** : التصرف على غير هدى ومن غير بصيرة ولا نظام ، **الْمَسِّ** : الجنون ، **سَلَفَ** : مضى. **المعنى** : الوجه الآخر المذموم الأسود مقابل الصدقات هو الربا. إن حال الذين يتعاملون بالربا كحال المجنون الذي يتخبط في تصرفاته (**لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ**) الذين يتعاملون بالربا وأخذ الأرباح بلا أتعاب ويمتصون دماء الناس المحتاجين فهم لا يميزون بين الخير والشر والحلال والحرام والنافع والضار ولا يستطيعون التوازن والاعتدال في حياتهم ، هؤلاء ، لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلاّ كما يقوم المصروع من جنونه ، يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشي سوياً يقومون كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند المحشر هتكاً لهم وفضيحة (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**) ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرّمه الله ، وقد تقولوا فيه سفاهة بأن البيع يشابه الربا فكيف يكون البيع حلالاً والربا حراماً ؟ فرد الله عليهم.

(**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**) فهم يتساءلون عن الفرق بين البيع والربا ، قد يتشابه البيع والربا في ظاهر الأمر وشكله الخارجي، ولكن حقيقة الأمر وعمقه الداخلي يختلف عن الظاهر ، فإن البيع عملية تجارية نافعة ، والبائع يكون وسيطاً بين المنتج والمستهلك فربحه عوضٌ عن أتعابه وليس أكلاً للمال الباطل ، أما (**الرّبَا**) فهو استغلال محض وأخذ الزيادة عن رأس المال من غير مقابل ولا تعب ولا عمل ولا عوض ، مجرد استغلال لحاجة المحتاجين فيكون أكلاً للمال بالباطل.

(**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ**) من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى عن التعامل به ، فله ما مضى قبل التحريم ، وأمره موكولٌ إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه (**وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) أما الذين لا يأتمرون بأمر الله وأصروا على التعامل بالربا واستمروا في ذلك عناداً واستخفافاً فهؤلاء تليق بعقابهم نار جهنم خالدين فيها أبداً ، **فائدة: من أسباب تحريم الربا في الإسلام**: ١- يمنع الناس من العمل كأنواع الحرف والصناعات والمكاسب الصحيحة، معناه يؤدي إلى الغنى بواسطة الكسل فلا يساهم في تقدُّم المجتمع، والمال يأخذه من حرام ثم ينفقه في الحرام وليس له عاقبة حسنة (والأمور بالخواتيم) ، ٢- يؤدي إلى العداوة والبغضاء والخصومات ، ٣- الربا نوع من الظلم لأن للمال حقاً وحرمة فلا يجوز لغير مالكه السيطرة عليه قهراً بطريق غير مشروع **عن النبي** (ص) : (حُرْمَةُ مَالِ الإِنْسَانِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ) تفسير الرازي٧/٨٧، ٤- عاقبة المرابين الخسران ولو بعد حين لأنه يأخذ المال (الفوائد) بالحرام ثم يصرفه في الحرام أيضاً ، ٥- **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ الرِّبَا لِئَلاَّ يَمْتَنِعَ النَّاسُ مِنَ اِصْطِنَاعِ الْمَعْرُوُفِ) مواهب الرحمن٤/٤٦٥، ٦- **عن الإمام الرضا** (ع) : (هِيَ الْكَبِيْرَةُ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالاِسْتِخْفَافُ بِذَلِكَ دُخُوْلٌ فِيْ الْكُفْرِ) نور الثقلين١/٢٩٣، ٧- **عن الإمام علي** (ع) : (لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ (ص) فِي الرِّبَا خَمْسَةٌ : آكِلُهُ وَمُوْكِلُهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبُهُ) مجمع البيان٢/٢٥٩، ٨- **في الحديث** : (مَنْ إِتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدْ إِرْتَطَمَ بِالرِّبَا) البحار١٠٣ص٩٣، ٩- الربا يضاد التوازن والتعادل والتعاون الإجتماعي ، والمرابي يعمل

خلل في المقادير المقدّرة ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ القمر/٤٩ ، ويفسد سلامة الفطرة ويعمل قلقاً في نفس الفرد والمجتمع وكراهية بين النّاس بسبب تأسيس المجتمع الطبقي.

**٢٧٦ - ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾**

**يَمْحَقُ** : المحق : النقصان حالاً بعد حال ، ويذهب ببركة المال بالتدريج ، (**يَمْحَقُ**) فعل مضارع يدلُّ على الإستمرار حتى يكشف عن سنة إلهية تمحق وتنقص المال الربوي بالتدريج ، **وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ:** يزيدها وينميها. **المعنى** : يذهب الله ريع الربا وربحه وبركته ويمحو فيه خيره بالاستدراج وإن كان زيادة في الظاهر ، ويُكثّر بركات الصدقات وينّميها ولو بعد حين وإن كانت نقصاناً في نظر الشاهد، الربا وآثاره السلبية في الإقتصاد والأخلاق ويخلف الجريمة والتفكك الإجتماعي ويوقف التقدم الحضاري والأخلاقي في الأمة ، في حين بالمقابل الصدقات تنشر المحبة والأخوة والتوازن والتعاطف وتعمل على التقدم الحضاري والأخلاقي في الأمة (**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**) **كَفَّارٍ** : مبالغة الكفر. فأكل الربا وإن كان ظاهره يغرِ ويسرِ ولكن باطنه يضرُّ ، فهو كثير الضرر وكثير الكفر لكفره بنعم الله وستره على سلامة الفطرة وتلويثها في الحياة الإنسانية ، وهو كثير الإثم عندما يستقر الإثم في نفسه ، والله لا يحب من كانت هذه صفاته.

**فائدة** : **قيل للإمام الصادق** (ع) : (قَدْ يُرى للرجلِ يَرْبي فيكَثُرَ مالُهُ فَقَالَ (ع) : يَمْحَقُ اللهُ دِيْنُهُ وَإِنْ كَثُرَ مَالُهُ) مجمع البيان٢/٢٦٠، فليس في ماله بركة ولا خير ولا يصرفه في الخير! والله لا يقبل إلاّ الطيّب الحلال. كقوله ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ الروم/٣٩ ، **عن الإمام الباقر** (ع):(أَخْبَثُ الْمَكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا) وسائل الشيعة١٢/٤٢٣، **وعن النبي** (ص):(مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ) البحار٩٦/١٣١. **معنى الصدقة:** النفقة العامة في سبيل الله ولخدمة عباد الله سواء كانت الصدقة واجباً أو مستحباً، وقد تأتي بمعنى الزكاة المفروضة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله.

**٢٧٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

من أهم الأسباب لاجتناب الربا ، استذواق طعم الإيمان المقترن بعمل الصالحات على عمومها خصوصاً إقامة الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة إحسان إلى الخلق ينافي تعاطي الربا الذي هو ظلم لهم وإساءة عليهم ويولّد حقد وحسد فيهم ويمنع سبيل المعروف بينهم. (**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) يعد الله سبحانه الذين يقيمون حياتهم على منهج الله تعالى ، يحتفظ لهم بأجرهم عنده ، ويعدهم بالأمن فلا يخافون مما يكون في مستقبل أمرهم، وبالسعادة فلا يحزنون على إطلاقه فلا يهتمون على شيء ينغِّص عليهم حاضرهم ، في الوقت الذي يتوعد أكلة الربا بالمحق والسحق وسوء العاقبة ولو بعد حين ، **فائدة** : خص بالذكر الصلاة والزكاة ، لأنهما أعظم أركان العبادات النفسية والمالية ، فمن اتى بهما فإنه دليل على إيتاء

بقية العبادات واستقامته في معاملاته مع الناس ، لذلك قدّم (**عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) على (**أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ**) للدلالة على أن الدين المعاملة، والأخلاق وعاء الدين، **عن النبي** (ص): (الإِسْلامُ حُسْنُ الخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥.

**٢٧٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

**ذَرُوا** : إتركوا. **اتَّقُوا اللَّهَ** : قوا أنفسكم عقابه. **المعنى** : سياق الآية شديد اللهجة ، يا أيها المؤمنون المصدقون برسالة الله قوا أنفسكم عقابه بإتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه ، وإتركوا ما بقي لكم من الربا عند الناس إن كنتم صادقين بإيمانكم واقتصروا على رؤوس أموالكم. فمن لم يترك ما بقي من الربا فلا يعدُّ من أهل الإيمان ، لأنه يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فلا يعمل به ! هذا لا يعدُّ إيماناً حقاً وإن أعلن أنه مؤمن بلسانه ، لأنه لا إيمان بغير طاعة ، والنص القرآني البليغ لا يدع إنساناً ليتستر وراء كلمة الإيمان بينما هو يعطّل أحكام الله ولا ينفذها في حياته ومعاملاته ، والذي يفرّق في الدين بين العبادات والمعاملات ليس بمؤمن.

**٢٧٩- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾**

إنه ترهيب يزلزل القلوب. **فَأْذَنُوا** : فأعلموا من أذن بالأمر إذا علم به ، **الحَرْب** : بنوع من الحرب لا يقادر قدرها كائن سواء كانت حرباً تكوينية أو تشريعية أو نفسية أو إقتصادية أو معنوية (استدراج) ضمن سنن الله. **بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ** :أي بغضبٍ منه لأن المرابي محارب لله ورسوله ويرتكب أكابر الذنوب، وحرب من رسوله بمعاملتكم معاملة البغاة العتاة الطغاة العصاة. **لا تَظْلِمُونَ** :لا تفعلون الظلم بغرمائكم المدانين بأخذ الزيادة ، **وَلا تُظْلَمُونَ** : بنقص شيء من رأس المال. **وفي هذا دلالة:** أن عدم الخضوع لأوامر الشريعة خروج منها واستهانة بأحكامها. وحرب الله غضبه وانتقامه بأية صورة من الصور ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام**﴾ آل عمران/٤ ،﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ البروج/١٢، وحرب رسوله باعتبارهم خارجين من الإسلام ، يحل مقاومتهم وقتالهم وعداوته لهم ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، (**وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**) وإن رجعتم عن الربا وتبتم توبة نصوحة فلكم رؤوس أموالكم لا تأخذون عليها شيئاً من الغرماء المديونين ، ولا تنقصون من أصل المال شيئاً ، بل تأخذونها كاملة فالإسلام يحترم الملكية الخاصة من المال الحلال ، **فائدة** : **١-** الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف ، وهي حرب معنوية على الأعصاب والقلوب ، حرب على البركة والرخاء ، حرب على السعادة والطمأنينة ، حرب بإشعال فتيل القلق والأرق والخوف ، حرب خراب النفوس وانهيار الأخلاق وسوء العاقبة وتنغيص العيش وكدارة الحياة. **٢- عن الإمام الصادق** (ع) : (آكِلُ الرِّبَا يُؤَدَّبُ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ (بعد النهي) فَإِنْ عَادَ أُدِّبَ (ثانية) فَإِنْ عَادَ قُتِلَ) مجمع البيان٢/٢٦٣، وقيل

في الثالثة وقيل في الرابعة. **٣-** من وظائف الحكومة الإسلامية إرساء العدالة الإقتصادية في المجتمع ورفع الظلم بينهم **(لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ)**.

**٢٨٠ - ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

فلو كان المقترض (المدين) فقيراً لا يمكنه إرجاع رأس المال ، فالإسلام بمقتضى أخلاقيته السمحة يوجب إمهاله حتى يقدر على ذلك ، كما لا يجوز لصاحب الدين الموسر أن يماطل بالوفاء. أما حد المعسر الذي لا يجوز مضايقته ، فهو الذي لا يملك إلاّ الضروريات والأساسيات من حياته **(وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** وإن تعفوا عن الدَّين فضيلة بل من أحسن الطاعات ، لأن فيه تنفيساً عن كربته وقضاء لحاجته ورضا الله ، ما دمتم تعلمون أن التسامح مع المعسر الفقير خير، فعليكم أن تعملوا به ، حتى يطابق علمكم الشريف مع عملكم النظيف. **عن النبي (ص) في الآية:** (مَنْ نَظَرَ (أمهل) مُعْسِرَاً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَضَلَّهُ اللهُ ظِلَّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ) مجمع البيان٢/٢٦٥، **في الحديث** : (مَنْ إِدَّانَ دَيْناً وَهُوَ يَنْوِيْ أَنْ لاَ يُؤَدِّيَهُ إِلَى صَاحِبِهِ فَهُوَ سَارِقٌ) تفسير النور١/٤٢٨.

**٢٨١ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**

**آخر آية نزلت من القرآن** : إحذروا يوماً حاسماً جازماً سترجعون فيه إلى ربكم يوماً ضرورياً لابد منه **(ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)** ثم تعطى كل نفسٍ حسابها كاملاً غير منقوص وأنتم لا تظلمون شيئاً **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** الكهف/٤٩ ، ويكون الجزاء من نفس العمل. إنها آية جامعة مانعة ، وآخر ما نزل من القرآن الكريم وبنزولها انقطع الوحي وقد عاش النبي (ص) بعد نزولها تسع ليالٍ ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى. **فائدة** : الآية الشريفة بمعناها الرفيع ، وبمغزاها الجذاب تدعو إلى محاسبة النفس على أعمالها فهي أساس الإيمان والتقوى ، وتدعو الآية إلى العبودية لله فإنها حرية في الأرض واطمئنان القلب ، وهذا سير نحو الكمال الإنساني.

**٢٨٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**

**(أطول آية في القرآن الكريم، آية الدَّين)**. ينظم القرآن المعاملات العامة في المجتمع ويجعلها في مسيرتها الصحيحة في سد الإحتياجات وتثبيت الثقة والاطمئنان بين تعاملات الناس وقضاء

حوائجهم بعيداً عن سوء التفاهم والإختلافات. فالمجتمع الإسلامي مبني على العدل (**والْعَدْلُ أَسَاسُ الْمُلْكِ**) ويثبّتُ الحكم ، ويقدِّمُ المجتمع ، ويدفع العدل على التعاون وإحقاق الحق وإعطاء الحقوق للناس كافة وليس كما نجده اليوم من فقدان الثقة والنزاع بين أفراده وجماعاته. **الأحكام الواردة** : الخطاب موجه إلى الذين آمنوا إذا أراد أحدكم أن يستدين (**إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**) وعينتم الوقت المحدد للدفع فيجب عليكم أن تكتبوا الدَّين في كتاب حفظاً للحق والحقوق موثقاً بالصك والشهود (**وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**) وتوجه إلى الذي عليه الحق أن يكون في ذلك شهود والذي يكتب كتاب المداينة أو البيع بين المتعاقدين كاتب مؤتمن على العدل لا يزيد فيه ولا ينقص ، ولا يستبدل ولايكتب شيئاً يضر بالطرفين.

(**وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ**) **وَلا يَأْبَ** : ولا يمتنع ، وهذا النهي للكراهة لا للتحريم ، ولا يمتنع أحد من الكتابة بالعدل كما علّمه الله إلاّ إذا أيقن المدعو بأن إمتناعه عن الكتابة سبب للفساد، ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ البقرة/٢٠٥، (**وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ**) الإملال والإملاء بمعنى واحد ، يملي الرجل للكاتب ما يكتبه والذي يملل هو الذي عليه الحق وهو المديون لأن الشهادة على إعترافه (**وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ**) وقد قرن الذي يملي الكتابة بالتقوى تذكرة بالتقوى لأنها تقي من الذنوب وتدفع نحو الاستقامة.

وأن يعترف بما عليه (**وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً**) ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً. ثم بيّن سبحانه من لا يصح منه الإملاء فقال : (**فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً**) إن كان المدين ناقص العقل مبذراً أو كان صبياً أو شيخاً هرماً (**أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**) لا يستطيع الإملاء بنفسه بسبب خرس أو عائق مرضي فليملل الذي يلي أمره من أب أو وصي أو وكيل أو ترجمان أمين على أساس العدل من غير نقص أو زيادة أو تحريف (**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ**) أطلبوا مع الكتابة على الدين أن يشهد لكم شاهدان من المسلمين زيادة في التوثقة الرسمية (**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ**) الشهيدان (**فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ**) فإن لم يكن الشاهدان رجلين ،فليشهد رجلٌ وإمرأتان ممن يوثق بعدالتهم لأن العدالة شرطٌ في الشهادة ، **ومعنى** (**الْعَدْلِ**) الإنصاف الاعتدال والاستقامة ، فهو حياة الأحكام وزينة الإيمان وفضيلة الإنسان وإنماء للإحسان ، (**والعدل**) يعمر النفوس والبلدان وبه تصلح الأمة وتتضاعف البركات... (**فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ**).

**سؤال** : ما هو السر في أن شهادة إمرأتين تساوي الرجل الواحد ؟ **والجواب** : إنه كلام الله في كتابه الكريم وعلينا أن نتعبد بالنص حتى لو جهلنا الحكمة منه. ونحن نتحدث بمقدار ما يفتح الله علينا من علم ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ البقرة/٣٢ ، **فنقول**: طبيعة عمل المرأة الأساس في مجال تربية الأجيال في البيوت ، فيكون طلبها للشهادة غير ضروري ، وقد جرت

العادة أن المرأة لا تشتغل في المعاملات التجارية ولا تنزل لتعمل في الأسواق ، وكل إنسان لا يعمل في إختصاصه تقل خبرته فيه (وَقِيمَةُ الْمَرْءِ عَلَى قَدَرِ تَجْرِبَتِهِ، وَمِقْدَارِ خِبْرَتِهِ) **(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)** إن تنسى أو تخطأ أو تشتبه إحداهما فتذكر كل منهما الأخرى بما كان ، فتكون شهادة أحدهما مجتمعة ومتممة لشهادة الأخرى ، أما الرجلان فيفرّق بينهما ، فإن قصر أحدهما أو نسي أو أخطأ شيئاً في بيان الحق لا يعتد بشهادته ، وتكون شهادة الآخر وحده غير كافية. وعلى القاضي أن يسأل إحداهما بحضور الأخرى، وتكون شهادة الرجلين كلاً على حدة ، ولكن كثير من القضاة لا يعملون بهذا جهلاً أو تسامحاً منهم.

وهنا معنى **(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى) معنى ضلالها** : ليس ضعف عقلها أو قلة ذاكرتها وإنما قلة علمها ومعرفتها وخبرتها في مجال الشهادة والحضور في المعاملات التجارية فتكون ذاكرتها ضعيفة يعني إلمامها بالأمر قليل أو معرفتها بالحدث بسيطة ، وبخلاف الأمور المنزلية فإن ذاكرتها فيها أقوى من ذاكرة الرجل ، فقد جُبل الإنسان على أن تقوى ذاكرته لما يهتم به ويُعنى بشأنه، واشتغال بعض النساء في هذا العصر بالتجارة والتداولات المالية لا يغيّر حكم هذا النص القرآني ، لأن الأحكام إنما تكون للقاعدة العامة والاستثناء منها معاً وإن كان قليل لأن المرأة عاطفية وتتأثر بمؤثرات خارجية ووجود المرأة الأخرى معها يمنع عاطفتها والمؤثرات التي عليها ، أما كيف نجيب القول بأن النساء ناقصات الإيمان والحظوظ **والعقول** فهذا غير صحيح لأنه يخالف القرآن الكريم ، ولا يُمكن أن يخلق الله المرأة ناقصة وهو أتقن كلَّ شيء ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ النمل/٨٨ ، ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ التين/٤ ، أما نقصان عقولهن فشهادة إمرأتين كشهادة الرجل الواحد ، فإن الشهادة اعتراف على حضور الحدث ومشاهدته ، وهذا الحضور لا يرتبط بنقص العقل وإنما يرتبط بالمشاهدة والصدق في المعاينة، والمشاهدة علاقتها بالحس فيما يراه ويسمعه وينقله بصدق وليس علاقتها بنقص العقل **(فنتوقف هنا عن الإجابة للإختصار) راجع كتاب السكن الزوجي المتكافئ، للمؤلف مكي قاسم البغدادي للتوسعة.** ثم قال تعالى : **(وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) وَلا يَأْبَ** : لا يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة أو تحملها إذا طلب منهم ذلك ، فمن يكتم الشهادة فإنه آثم قلبه **(وَلا تَسْأَمُوا) ولا تملوا (أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ)** ولا تملّوا أن تكتبوا الدّين قليلاً أو كثيراً إلى وقت حلول ميعاده **(ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ)** ما أمرناكم به من كتابة الدين أعدل في حكم الله تعالى **(وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ)** وأثبت للشهادة لئلا تنسى **(وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا)** وأقرب أن لا تشكّوا في قدر الدَّين والأجل وبذلك تطيب نفوسكم **(إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا)** لا بأس بترك الكتابة في المعاملات التجارية التي تقع بينكم بثمن معجّل حيث لا يتوهم فيها ما يتوهم في التداين **(وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ)** أشهدوا على حقكم مطلقاً سواء كان البيع عاجلاً أو آجلاً (بالدَّين) لأنه

أبعد عن النزاع والإختلاف **(وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ)** اي لا يضر صاحب الحق الكتّاب والشهود، هذا نهي عن الإضرار بهما قولاً أو فعلاً **(وَإِنْ تَفْعَلُوا)** ما يوجب الضرر **(فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ)** هذا الفعل الضار يخرج بكم عن طريق الحق والصلاح **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وَاتَّقُوا اللَّهَ** في جميع شؤون حياتكم سواء كانت التقوى في العبادات أم في المعاملات ، في الأقوال أم بالأفعال **(وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ)** ما فيه صلاح حالكم وحفظ أموالكم ولولا هديه لكم لم تعلموا شيئاً ، وقدّم **(اتَّقُوا اللَّهَ)** على **(وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ)** لأن التقوى هي التي تحصِّن العلم من الانحراف ، فهي صمام أمان لكل علم وعمل ، والعلم بلا تقوى شيطنة ودهاء، والتقوى بلا علم دروشة وسذاجة ، والجمع بينهما عصمة من الخطأ وحكمة في التصرف **في غرر الحكم:** (بِالتَّقْوَى قُرِنَتْ الْحِكْمَةُ) و(قُرِنَتْ الْحِكْمَةُ بِالْعِصْمَةُ).

**فائدة:** في الآية مبالغة في التوصية بحفظ المال وصونه من الضياع ، حتى يتمكن المرء من الإنفاق المناسب في سبيل الله لتقدم الفرد والمجتمع حضارياً.

**٢٨٣-** ﴿وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

بعد أن أمر الله بكتابة الدّين حفظاً له جعل الرهن وثيقة له بدلاً عن الكتابة حيث تتعذّر الكتابة في السفر **(وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً)** للصك ولا شهوداً تشهدونهم **(فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ)** يقدِّمُ المدِين ليد الدائن رهناً ثميناً يضمن دينه ، في حالة عدم وجود ثقة تامة بين الجانبين ، والقبض شرط في صحة الرهن **(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ)** إن الدائن إذا أحسن الظن بالمديون وأعطاه بلا صك ولا رهن ولا إشهاد ثقة بصدقه ، فعلى المديون حينئذٍ أن يكون عند حسن ظن الدائن ويرد الحق له كاملاً **﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾** الرحمن/٦٠، **(وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ)** كتمان الشهادة إثم كبير يجعل القلب آثماً وصاحبه فاجراً مع تمكنه من أدائها ، وخص القلب بالذكر لأنه سلطان الأعضاء ورئيسها وهو الذي يدرك الوقائع ويشهد بها فهو آلة الشعور والعقل ، إذا صلح القلب صلح الجسد كله ، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله وإثم القلب من أكبر الآثام والإثم كما يكون بحركات الأعضاء كذلك يكون بعمل القلب والعقل كقوله **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾** الإسراء/٣٦ ، **(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)** لا يخفى عليه شيء. **فائدة: ١-** في آيات الدَّين يوجب حوالي (٢٠) حكماً من أحكام المعاملات. **٢- عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ ذَهَبَ حَقُّهُ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ لَمْ يُؤْجَرْ) وسائل الشيعة٩٣/١٣. **٣-** دلالة الآية يعاقب الإنسان على ترك المعروف كما يعاقب على فعل المنكر.

**٢٨٤ –** ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الملك لله وحده خالصاً وله التصرف الحكيم في السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وكل شيء خاضع له ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦ ، وعلى المسلم أن يتذكر هذه الحقيقة دائماً (**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**) لفظ الآية عام. على الإنسان أن يدرك أن الله يعلم منه كل شيء ما يكمن في النفوس سواء أظهره أم أخفاه الإنسان من نيةٍ سيئة أو صالحة وغير ذلك لقربه سبحانه منه. (**يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**) ويجازيكم عليه ، والجزاء من نفس العمل (**فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) يغفر لمن يستحق المغفرة وأنه عادل ورحيم ومن عدله يعذب من يستحق العذاب لأن (الْقَصَاصُ عَلَى قَدَرِ الْجِنَايَةِ) ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ البقرة/١٧٩ ، (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

**فائدة: ١ –** تشير الآية أن الله يطالب العباد باستدامة المراقبة ومصاحبة المحاسبة يومياً ، لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر وضبط حركات الباطن فيقعوا في آفة ترك أدب من آداب العبودية فيهلكوا بسطوات الإلوهية ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩. **٢ –** (**مَا فِي أَنفُسِكُمْ**) الإناء ينضح بما فيه ، فأعمال الإنسان مرآة لأفكاره والتي لها قرار في النفس وعنها تصدر الأعمال مؤاخذ عليها كقوله ﴿**يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ البقرة/٢٢٥ ، أما الخواطر والهواجس التي قد تأتي بغير إرادة الإنسان ولا يكون لها أثر في نفسه فلا يُحاسب عليها إلاّ إذا استرسل معها حُسبت عليه عملاً يُجازى عليه لأنّه أيّدها باختياره.

**٢٨٥ –** ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

آمن الرسول إيماناً مَنْ يثق بما عند الله أكثر مما يثق بما في يده ! وهذا القرآن العظيم وحي الله إليه ، آمن به الرسول بعد أن مرّ بمرحلة تربوية خاصة من التفكر والتدبر والتأمل والتذكر والتهيؤ ، وهي مرحلة قبل النبوة وبعد ذلك تكشفت له الحقيقة اليقينية بالحس والعيان (**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) كلٌّ من الرسول والمؤمنين آمن بالله ، وكان إيمانه (ص) مبنياً على المشاهدة والعيان وإيمان المؤمنين ناشئ عن الحجة والبرهان ، وكان أثر هذا الإيمان الصحيح أن زكت نفوس المؤمنين الصادقين وقويت إرادتهم فأتوا بالعجب، حيث اختصروا الزمن في الرقي الحضاري والأخلاقي ، وعرّفوا الناس فلسفة الحياة على أنها لغزٌ مبهم لولا أن يحله الإيمان ، وكان إيمانهم عملياً في العبادات والمعاملات وفي الأقوال والأفعال ، إيماناً بالمرسل وبجميع ما أنزل الله من الرسل والرسالات دون تفريق لأنهم مدرسة إسلامية واحدة أسلمت وجهها لله واستسلمت لمنهج الله تعالى ، وبينهم تعدد أدوار وإختلاف أساليب مع وحدة هدف نبيلة وغاية

مشتركة سامية. (**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض كما فعل اليهود والنصارى (**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) وقالوا سمعنا وأطعنا في كل شيء ، لا في شيءٍ دون شيءٍ ، حتى لو خالف ما نهوى ونحب ، نسألك المغفرة بإصلاح نفوسنا وعيوبنا وأفكارنا وأعمالنا والاستعداد للقائك يا رب ، فإن فلسفة المعاد تعمل مع المؤمن على تخليص نفسه من قيود جسمه المادي حتى لا يجذبه تراب الأرض وحبّ الدنيا بل تأخذه جاذبية السماء وعالم الغيب وقيم الرسل والرسالات. **فيكون الإنسان بين جاذبيتين** : جاذبية الأرض فيأخذه خدمة الجسد وشهوات البطن والفرج ، وبين جاذبية السماء فتأخذه جاذبية الروح والعقل والفكر والقيم والمبادئ والأخلاق الإنسانية ، فيأتي الإيمان ليوازن بين الجاذبيتين ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً**﴾ القصص/٨٣ ، **عن الإمام علي (ع)** : (إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً، وَإِعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدَاً) تنبيه الخواطر ص٤٦١.

**٢٨٦ - ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**

(**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً**) جاءت (نَفْساً) بالمفرد للدلالة أن الله يراعي النفس الواحدة ويكرمها كأنما يراعي كل النفوس، فلا يكلفها بأي تكليف إلاّ ما يتسع فيه قدرتها ودون مدى الطاقة ولا يضيق عليها بلطفهِ بها ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**﴾ البقرة/١٨٥ ، **عن النبي (ص)** : (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ : الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانِ وَمَا أُكْرِهُوْا عَلَيْهِ وَمَا لاَ يَعْلَمُوْنَ وَمَا لاَ يُطِيْقُوْنَ وَمَا أُضْطُرُّوْا إِلَيْهِ ، وَالْحَسَدُ وُالطِّيَرَةُ (التشاؤم) وَالْتَفَكُّرُ فِيْ الْوَسْوَسَةِ فِيْ الْخَلْقِ مَاْ لَمْ يُنْطَقُ بِشَفَةٍ) التوحيد ص٣٥٣، (**لَهَا مَا كَسَبَتْ**) من الخير (**وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**) من الشر والسيئات ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ النمل/٩٠ ، (**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**) أي قولوا ذلك في دعائكم.

**والمعنى** : ربنا سامحنا ولا تحاسبنا بما يصدر منا رحمة بنا وتفضلاً منك ، ولا تؤاخذنا بسبب النسيان والخطأ تهاوناً منا وتقصيراً لا عن إصرار واستكبار (**وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً**) ربنا لا تكلفنا تكليفاً ثقيلاً شاقاً يأصر صاحبه ويحبسه مكانه (**كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا**) كما كلفت الأمم من قبلنا كبني إسرائيل فرض الله عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وعدم جواز صلاتهم في غير المسجد ، ويجب عليهم قطع موضع النجاسة في الثوب إذا تنجس وكون الزكاة ربع مالهم وغيرها (**رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**) من العقوبات والبلايا والمحن ، ولا تكلفنا ما يشق علينا الدوام عليه ، ولا تسلط علينا الطغاة والجبابرة الذين لا يخافونك ولا يرحموننا. (**وَاعْفُ عَنَّا**) إجعلنا طلقاء عفوك ولا تعاقبنا على ذنوبنا (**وَاغْفِرْ لَنَا**) أذقنا حلاوة مغفرتك (**وَارْحَمْنَا**) وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين (**أَنْتَ مَوْلانَا**) سيدنا ومتولي أمورنا وأنت منحتنا الهداية والدراية ونحن عبيدك

**(فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** مكنّا منهم وأرزقنا القدرة عليهم لنجعل كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى ، وهذه دعوة إلى التمكين في الأرض، **روي**: (إِنّ هَذِهِ الأُمَّةَ لاَ تُغْلَبُ مِنْ قِلَّةٍ) وإنما تغلب من فرقة واختلاف وتنازع، **في نهج البلاغة خطبة ١٤٤** (إِنَّ هذَا الأَمْرَ — يريد الإسلام – لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَة وَلاَ بِقِلَّة، وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ)! **عن النبي (ص)**: (فِيْ آخِرِ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ آيَاتٌ إِنَّهُنَّ دُعَاءٌ وَإِنَّهُنَّ يُرْضِيْنَ الرَّحْمَنَ) مجمع البيان٢/ ٢٨٧، لهذا يستحب الإكثار من هذا الدعاء.

**فائدة : ١-** الفرق بين **(كَسَبَتْ واكْتَسَبَتْ)** كسبت تستعمل في الخير ، واكتسبت تستعمل في الشر ، **بمعنى** لها خير ما كسبته لنفسها من قولٍ أو فعل ، وعليها يقعُ ضُرُّ ما جدّت فيه من شر، وأضيف الاكتساب إلى الشر لبيان أن النفس تولد على الفطرة السليمة فهي مجبولة على فعل الخير، وتفعل الشرَّ بالجهل والتأسّي بالجهلاء ، فالميل إلى الخير مغروس في طبع الإنسان كعبادة الله مغروسة في طبعه ، وأما الشر فإنه يعرض للنفس لأسباب خارجية ليست من فطرتها ، وفي هذا ترغيب في عمل الخير لأن نفعه يعود لصاحبه ، وتحذير من فعل الشر لأن مضرته تعود عليه لا على غيره، حتى يكون دافعاً ذاتياً في اجتنابه ، **في غرر الحكم**: (مُتَّقِيْ الشَّرِّ كَفَاعِلِ الْخَيْرِ) **في نهج البلاغة حكم٣٢**: (فَاْعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ)، كقوله **﴿لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾** فاطر/٤٣ ، أما موضوع **(النفس الأمارة بالسوء)** فهي في صراع مع **(النفس اللوّامة)** لينال المؤمن بركات **(النفس المطمئنة)** وينال غير المؤمن النفس القلقة ، فإذا انتصرت النفس اللوّامة في صراعها مع النفس الأمّارة وصلت النفس المنتصرة إلى النفس المطمئنة ، وإذا إنتصرت النفس الأمّارة بالسوء على النفس اللوّامة وصل المنتصر إلى النفس القلقة المتقلبة.

**وفي الختام نقول ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** الجاثية/٢٠ ، **وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**يونس/١٠.

**تمّ بعون الله تعالى (وَعيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر) لسورة البقرة ، بقدري لا بقدرها ، بجهدٍ متواصل ، فللّه الحمد والمنّة، وبالحمد تتمُّ الصّالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات بتأريخ ١٠/ربيع الثاني/١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٤/٣/١٥ مع تصحيحها عدّة مرّات وتدقيقها في بغداد-الكاظمية ، داعين الله تعالى أن يُعيننا على تكملة بقية السُّور القرآنية الكريمة ، إنّ ربّي سميعٌ مجيب الدُّعاء.**

**بقلم الباحث: مكي قاسم البغدادي**

# سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

**من مقاصد السورة :**

مدنية كلها إلاّ آية واحدة ، إشتملت السورة على العقيدة ووحدانية الله والجهاد في سبيل الله والردِّ على الشبهات وتحذير المسلمين من دسائس أهل الكتاب وتحدّثت عن النبوة وصدق القرآن وعن فريضة الحج وحذّرت من الربا وحكم مانع الزكاة ، وتحدّثت عن غزوة بدر وأحد وعن النفاق والمنافقين وختمت بأهمية التفكّر والتدبّر ، وسمّيت بآل عمران لذكر قصة تلك الأسرة الفاضلة (آل عمران) والد مريم أم عيسى وما تجلّى فيها من الورع ومظاهر الرعاية الإلهية. رقمها ٣ / عدد آياتها ٢٠٠. **فضلها: عن النبي (ص)** : (تَعَلَّمُوْا سُوْرَةَ الْبَقَرَةِ وَسُوْرَةَ آلِ عِمْرَاْنَ فَإِنَّهُمَاْ الزَّهْرَاْوَاْنِ وَإِنَّهُمَاْ تُظِلاَّنِ صَاْحِبَهُمِاْ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ كَأَنَّهُمَا غُمَاْمَتَاْنِ) مجمع البيان٢/٢٨٩، **وعنه (ص)** : (يُؤْتَى يَوْمُ الْقِيَاْمَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الْذِيْنَ كَاْنُوْاْ يَعْمَلُوْنَ بِهِ ، تُقَدَّمُهُمْ سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْراْنَ). **ملحوظة عامة** : كل فضل من فضائل سور القرآن كلها يعتمد على مقدار الصدق والعمل من الإنسان ومقدار الرضا من الله عز وجل تجاه الإنسان وليس **بالمنى** والأماني و(كل فضل بشرطه وشروطه والإلتزام بمنهج الله من شروطه).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكرنا تأويلها بإختصار في أول سورة الحمد.

**١** – ﴿**الٓمٓ**﴾ : الحروف المقطعة ذكرنا تأويلها في أول سورة البقرة. وهناك إرتباط بين هذه الحروف والمعاني الموجودة في السورة ، القرآن مؤلف من جنس هذه الأحرف العربية التي يستخدمها البشر ومع ذلك هم عاجزون عن الإتيان بمثله أو بعضه في الفصاحة والبلاغة والعلوم المتنوعة.

**٢** – ﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾

هذا هو مفترق الطرق بين حياة المؤمن وحياة سائر أهل العقائد الأرضية ، فالعقيدة تحدد منهج الحياة ونظامها في الفكر والقول والعمل. **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)** هذا هو التوحيد الخالص. اللَّهُ الواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الْذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ، لا شريك له في الإلوهية ولا ربَّ سواه ولا معبود بحق غيره لا الهوى ولا الأنا ولا المال ولا الجمال ولا حسن الحال ، تعالى الله عمّا يصفون، ولا نقول ثالث ثلاثة ، لذلك أصبح **(التوحيد)** خير العبادة فهو حياة النفس واطمئنان القلب وانشراح الصدر. **(الْحَيُّ)** دائم الحياة بلا زوال القائم على الدوام بتدبير خلقه وحفظهم

ورعايتهم. يتصف بحقيقة الحياة الذاتية المطلقة من كل قيد فلا شبيه له في صفته (**الْقَيُّومُ**) مبالغة القيام في تدبير الكون والكائنات، وتقال القيوم القائم بذاته والمقيم لغيره لأنه يتقوَّم به كلُّ شيء ، والقيوم الذي به تقوم كل حياة وبه يقوم كل موجود ، فلا قيام لحياة في هذا الكون ، ولا وجود إلاّ لله جلّ في علاه، فهو الحي الذي لا يموت ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ السجدة/٥ ، **عن النبي** (ص): (اِسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِيْ ثَلاَثِ سُوَرٍ : فِيْ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ/٢٥٥ (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) وَفِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرِاْنَ (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) وَفِيْ سُوْرَةِ طه/١١١ (**وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**) ، **عن ابن عباس** (الحي القيوم اِسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ هُوَ الْذِيْ دَعَاْ بِهِ آصِفُ بِنْ بَرْخِيَاْ صَاْحِبُ سُلَيْمَاْنَ (ع) فِيْ حَمْلِ عَرْشِ بَلْقِيْسَ مِنْ سَبَأْ فِيْ الْيَمَنِ إِلَى سُلَيْمَاْنَ فِيْ فِلَسْطِيْنَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ!)مجمع البيان٢/٢٩٣، جاء في دعاء الجوشن الكبير (يَاْ حَيَّاً قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ ، وَيَاْ حَيَّاً بَعْدَ كُلِّ حَيّ) تفسير النور١/٤٤٥.

**٣ – ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾**

نزّل عليك القرآن بالتدريج متصفاً بالحق الذي لا شبهة فيه ولا يطرأ عليه الباطل ، والتنزيل يدل على التدريج ، والإنزال يدل على دفعة واحدة ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ الإسراء/١٠٥ ، (**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**) مبيناً صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين الداعية إلى توحيد الله (**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ**) كلمة عبرانية بمعنى الشريعة (**وَالإِنْجِيلَ**) كلمة يونانية بمعنى البشارة من قبل القرآن ، وجاء الإنجيل بصيغة (المفرد) ليقابل صدقه مع تعدد الأناجيل الموجودة وهي أربعة لإثبات التحريف.

**٤ – ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾**

أنزل التوراة والإنجيل جملة واحدة من قبل إنزال القرآن لهداية قوم موسى وعيسى (ع) (**وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**) سمي القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل وكرر ذكره تعظيماً لشأنه (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (كُلُّ شَيْءٍ يَجُرُّهُ الإِنْكَاْرُ وَالْجُحُوْدُ فَهُوَ الْكُفْرُ) الكافي٢/٣٨٧، الذين كذبوا بالقرآن وبالرسالات بما يلقي الكفر في عقولهم من الانحرافات والخرافات التي تدنس نفوسهم وتلوث أفكارهم وتحرف سلوكهم ، فما ينفعهم لو يربحون كل شيء في الحياة ولكنهم يخسرون أهم شيء وهي أنفسهم؟! ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ الأنعام/١٢، (**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) عذاب جاء نكرة بمعنى عموم العذاب النفسي والمعنوي قبل العذاب المادي، عذاب الجهل والخلل والفشل وخيبة الأمل كقوله ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ طه / ١٢٤ ، ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء / ٢١٣ ، وقوله : ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً**﴾ الجن / ١٧ ، (**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**) إن الله بعزته وقهره ينفذ سنته وينتقم ممن خالفها بسلطانه ، فانتقامه عزة وعدلاً وليس تشفياً ،

والله عزيز منيع لا يرضى أن تنتهك محارمه ، فهو لم يُعْصَ مغلوباً ولم يُطَعْ مكرهاً. **فائدة** : كل ما يكون أمامنا من أحاديث وروايات وعقائد وقناعات.. يجب أن تتطابق مع القرآن الكريم ولا تختلف عنه لأنه (**الْفُرْقَانْ**) الذي يفرّقُ بين الصحيح والخطأ.

**٥ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾**

توكيد العلم المطلق الذي لا يخفى عليه شيء بهذا الشمول، ولن يمكن إذن ستر النوايا عليه، فإذا كان علمه عز وجل بهذه السعة فلا يقاس بعلوم المخلوقين، فعلمه بكلِّ شيء يدل على قربه من كلِّ شيء وإحاطته بما خلق رحمة وعلماً، فهو (الْذِيْ بَعُدَ فَلاَ يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَى) وهذا فيه حسٌ تربوي بعيد الدلالة إشارة إلى قرب الله تعالى من الإنسان فهو أقرب إليه من نفسه ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ ق/١٦.

**٦ - ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

الله الذي يجعلكم على صور مختلفة متغايرة وأنتم في الأرحام فيختلف الذكر والأنثى والأسود والأبيض والطويل والقصير والجميل والأقل جمالاً ، بحيث يكون كل إنسان له صورة مختلفة عن غيره في زمنه وفي جيله وفي كل جيل إلى يوم القيامة ، وتمنح خصائص مميزة خاصة بكلِّ شخصية بحيث تكون مستقلة عن غيرها في كل شيء ، حتى تختلف الأعضاء في كل إنسان عن بقية الناس، فتختلف الأشكال والألوان والسيماء والنفوس والطبائع والأصوات وشبكيات العين وخريطة الإبهام.. إلخ ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ القيامة/٤ ، وكل صورة تصاغ على أتم مايكون دقة ونظاماً وإتقاناً ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ النمل/٨٨ ، ومستحيل أن يكون هذا النظام من دون منظم ، ومستحيل أن يأتي صدفة ، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾ يوسف/٢١ ، فلا يجوز التلاعب بالعوامل الوراثية وتشويه خلق الله (**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) فهو المتفرد بالخلق والإبداع الجميل، العزيز الذي لا يُغلبُ في صنعه، الحكيم فلا يعمل شيئاً إلاّ على قاعدة الحكمة والمصلحة ، حتى قيل: (لَيْسَ بِالإِمْكَاْنِ أَبْدَعُ مِمَّاْ كَاْنَ) ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ المؤمنون/١٤، **عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِذَاْ أَرَاْدَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَاً جَمَعَ كُلَّ صُوُرَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ ثُمَّ خَلَقَهُ عَلَى صُوُرَةِ إِحْدَاْهُنَّ (شبيهة بإحداهن ضمن العوامل الوراثية) ، فَلاَ يَقُوُلَنَّ أَحَدٌ لِوَلَدِهِ هَذَاْ لاَ يُشْبِهُنِيَ وَلاَ يُشْبِهُ شَيْئَاً مِنْ آبَاْئِيَ) كنز الدقائق٢ص١٤، والتشابه لا يعني التطابق بل يعني التقارب في الشبه وكلُّها تدور في تدبيره وحكمته ومن مظاهر قيمومته سبحانه ، **عن النبي (ص)** : (الشَّقِيُّ مَنْ شَقَى فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ) كنز العمال خبر٤٩٠، ولا يعني الشقاء والسعادة ان الله كتب عليهم ذلك ، وإنما يعني أن الله تعالى كشف حالهم ضمن الأسباب التي

صنعوها لأنفسهم بأنفسهم فتكون النتائج على قدر المقدمات ، والله يعلم بما كان قبل أن يكون ، والعلم بالشيء لا يعني هو المسبب له.

٧ - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

**المُحْكَمَ**: من أحكم الشيء بمعنى أتقنه ، **الأُمُّ** :الأصل ، **مُتَشَابِه** : ما يشتبه من الأمور ويلتبس معناها، **الزَيْغ**: الانحراف ، **التَأْوِيل** : التفسير ، **الرَّاسِخُونَ**: الثابتون المتمكنون في العلم ، المتعمقون في الدين عن علمٍ وعمل وهداية ودراية ووعي. **المعنى**: تنقسم آيات القرآن الكريم بالنظر إلى الوضوح وعدم الوضوح إلى نوعين : محكم ومتشابه ، وهما مصطلحان قرآنيان ، **والمُحْكَمَ** : الآيات الواضحة المعنى لا يشتبه في المقصود منها وهي أصل الكتاب والمرجع للآيات الأخرى ، **والمُتَشَابِه**: الآيات التي تتضمن ألفاظاً لها دلالات دقيقة على عدةِ معان معينة عميقة ، ولها مصاديق متعددة ، وفيها تحريك للعقل الإنساني وامتحان للنفوس ومقدار التزامها وتسليمها لمنهج الله، ولا يؤدي وجود المتشابه إلى اختلاف عميق **(لأن المتشابه يكشف عنه المحكم)** فيكون تفسير القرآن بالقرآن فيعود كله محكماً ، ثم يكشف عن المتشابه أيضاً وهذا الكشف بحاجة إلى إختصاص وقدرات مميزة ، **الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** وهم النبي وعترته الطاهرة (ع) كمصاديق حقيقية وحركية ، وهم خزائن علم النبي (ص) وحفظة سنته فيكون القرآن والعترة هما الثقلان ما إن تمسكت بهما الأمة لن تضل أبداً ولن تختلف ، كما في الحديث الصحيح المشهور. وإن الآيات المتشابهة كنوز القرآن وإعجازه تتكشف دلالاتها مع الزمن لتقيم الحجة على الناس في كل زمان ومكان، **الخلاصة** : كافة آيات العقيدة والعبادات والمعاملات محكمة واضحة الدلالة ، وأما الآيات الغيبية فهي متشابهة أتت للتصديق بها دون إدراك أعماق معانيها.

**والمتشابه أنواع**: منها ما يعرف معناه على سبيل الإجمال لا التفصيل، ومنها ما يعرف بدلالة تدل عليها، وهو إختصاص أهل العلم والإيمان أو الراسخين في العلم **(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) الزَّيْغٌ** : الانحراف عن الحق ، **وابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ** : إشارة إلى أصحاب المقاصد الفاسدة يطلبون التشابه ويؤولونه حسب أهواءهم (التفسير بالرأي) المنهي عنه، ومعناه التلاعب في معنى النص القرآني، وسحب معنى النص إلى ما يريد ويستذوق، ولا يكون هو في خدمة النص، ولا يكون مقصوده التعليم من القرآن الكريم، وإنما هو يُعلِّم القرآن ويتعالى عليه ولا يتعلّم منه!! كقوله (أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) البقرة /١٤٠، وقوله (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) الحجرات/١٦، **في غرر الحكم** (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ) **عن النبي** (ص): (مَنْ تَكَلَّمَ فِيْ الْقُرآنِ

بِرَأْيِهِ وَأَصَاْبَ فَقَدْ أَخْطَأْ !) البحار٩٢/١١١، **عن الإمام الصادق** (ع) (من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه) البحار٩٢/١١٠ بأسلوب التلاعب في المعنى والمنحرف عن المقصود ليفسدوا القلوب المؤمنة ويفتنوا الناس عن دين الله **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** تأويل الآيات المتشابهة مختص بالله تعالى أولاً **﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾** القيامة/١٩ ، وأما الراسخون في العلم فقد دفعهم ثبات قلوبهم واطمئنانها وما فتح الله عليهم من أبواب العلم لا يقولون إلاّ عن علم وحجة وبرهان ، ويعترفون بالعجز عن فهم ماحجب الله عنهم ، ولا يتعمقون في ما لم يكلفهم الله بالبحث عن كنهه ، لذلك ورد اسم الراسخين في العلم مع اسم الذات الإلهية المقدسة، وما ذلك إلاّ لمقامهم السامي كقوله **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾** آل عمران/١٨ ، **عن الإمام علي** (ع) : (ذَاْكَ الْقُرْآنُ الصَّاْمِتُ، وَأَنَاْ الْقُرْآنُ النَّاْطِقُ) الكاشف٢/١٤، **(يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)** يقولون آمنا بجميع آيات القرآن المحكمة والمتشابهة إذ كلها من عند الله تعالى **(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) والتذكر** : هو التدبر نحو الدليل بحسن استنتاجه. واللب هو العقل الذكي الخالص من الشوائب ، فأهل التذكر والإيمان والإنابة والإتباع الأحسن في الأقوال والأفعال هم أولوا العقول المفكرة لأنهم يُلِمُّون بأنواع المعارف الحقة الصحيحة وهذا مدحٌ للراسخين بالعلم بحسن التأمل والتفكر والتدبر والتذكر ، **عن الإمام الرضا** (ع) : (مَنْ رَدَّ مُتَشَاْبِهَ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاْطٍ مُسْتَقِيمٍ) البحار٩٢/٣٧٧، **وعن الإمام علي** (ع): (إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ... قَسَّمَ كَلاَمَهُ ثَلاَثَةَ أَقْسَاْمٍ : فَجَعَلَ قِسْماً مِنْهُ يَعْرِفُهُ الْعَاْلِمُ وَالْجَاْهِلُ، وَقِسْماً لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ مَنْ صَفَاْ ذِهْنُهُ وَلَطُفَ حِسُّهُ وَصَحَّ تَمْيِّزُهُ مِمَّنْ شَرَحَ اللهُ صُدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ، وَقِسْماً لاَ يَعْرِفُهُ إِلاَّ اللهُ وَأَنْبِيَاْؤُهُ وَالرَّاْسِخُوْنَ فِيْ الْعِلْمِ) نور الثقلين١/٣١٣، **وعن الإمام الباقر** (ع) (إِنَّ الرَّاْسِخِيْنَ فِيْ الْعِلْمِ مِنْ لاِ يُخْتَلَفُ فِيْ عِلْمِهِ) مواهب الرحمن٥/٦٠. **فائدة : معنى التفسير** : يعني تفسير لفظ الكلمة وبيان الأبعاد الظاهرية للآية ، **أما التأويل** : تفسير معنى الكلمة لا تفسير اللفظ ومعرفة مبناها ومغزاها ودلالاتها الحركية الواسعة ، والتأويل المرحلة المعمقة من التفسير ، فيكون كل تأويل تفسيراً وليس كل تفسير تأويلاً.

**٨ – ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾**

ولما كان المقام مقام ابتلاء في المتشابه ، دعوا الله أن يهبهم عوامل الثبات والاستقامة على فهم الآيات المتشابهة التي لها أكثر من دلالة. **الزَيْغ** : الضلال والانحراف او الميل عن الصواب والوقوع في الزلل والجهل. **المعنى** : يستعين المؤمن بالدعاء ، **عن النبي** (ص) (الدُّعَاْءَ سِلاَحُ الْمُؤْمِنِ **وعَمُودُ الدِّينِ، ونور السماواتِ والأرضين)** الكافي٢/٤٦٨ بل يدعو كل مؤمن أن لا يبتليه الله بمحن تزيغ فيها القلوبُ وتضِلُّ الأبصار ، وأن لا يقع في الأخطاء والشبهات والانحرافات والخرافات والغلو ،

ويُقصّر في البحث عن الحقيقة. **(بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)** إنهم يطلبون إلى الله أن يحفظهم من شبهات الزيغ والضلال بعد أن جعلهم مؤهلين لاستذواق طعم الهداية ومعرفة الحق بتوفيقك وعنايتك **(وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** ينادون الله بخشوع أن يدخلهم في رحمته ، التي أدركتهم بالهدى بعد الضلال وبالعلم بعد الجهل ، ووهبتهم هذا العطاء الذي لا يعدله عطاء ، وتهبهم أيضاً الثبات على الاستقامة والسير في سلَّم الكمال الإنساني ، وتعصمهم من الزلل وتسددهم في القول والعمل ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ إبراهيم/٢٧، **في دعاء النبي (ص)** : (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ وَالأَبْصَارِ ثَبِّتْ قَلْبِيَ عَلَى دِيْنِكَ) روح البيان٢ص٦، **(إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** مبالغة الهبات والفضل والإحسان ، وإطلاق معناها ليتناول كل موهوب فهو من فضل الله. عطاءٌ بلا عوض ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ الحجر/٢١. **فائدة** : الخطاب من الراسخين في العلم يطلبون من الله تعالى أن يحفظهم من الزيغ والإنحراف بعد الهداية والعلم ، فكيف يكون حال غير الراسخين في العلم ؟!

**٩ - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾**

يستمر استعانة المؤمنين بالدعاء فهو سلاحهم ، وهذا تتمة الكلام للراسخين في العلم ، ويجعلهم يتصورون حقيقة يوم المحشر ، ويجسّدها أمامهم بصورة حية يقينية ، فيجمع الله الناس ليوم مدبَّر مقدّر موعود آتٍ بلا ريب ولا شبهة في تحقيقه ، وَكُلُّ مُقَدَّرٍ كَائِنٌ، وَكُلُّ كَائِنٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ، وَكُلُّ قَرِيْبٍ كَادَ أَنْ يَكُوْنَ ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً**﴾ المعارج/٦-٧ ، **عن النبي (ص)**: (إذا مَاْتَ أحدكم فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨، والإيمان بالمعاد يصلح النفوس ويطمئن القلوب ويهذِّبُ السلوك ويدفع إلى الخير وينهى عن الشر. وهذا هو الدافع نحو سلّم التكامل وتقدم الفرد والمجتمع حضارياً **(إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)**، **عن الإمام علي (ع)** وهو يصف الله سبحانه : (الَّذِيْ صَدَقَ فِيْ مِيْعَاْدِهِ وَاِرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَاْدِهِ وَقَاْمَ بِالْقِسْطِ فِيْ خَلْقِهِ) ، إنهم جاءوا بهذا الدعاء بعد الإيمان بالآيات المتشابهة ليكونوا على حذر من تسرُّب الزيغ في نفوسهم ليكونوا على حذر منه، لأن الزيغ يسلبهم الرحمة في يوم القيامة ، ويسلبهم الإطمئنان في الحياة الدنيا.

**١٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾**

لما ذكر حقيقة يوم القيامة، أكد أن جميع من كفر بالله وكذب الرسل والرسالات ، فإنهم يشّقون طريقهم إلى النار من حيث لا يعلمون ، لأن الذي لا يعرف كيف ينتهي لا يعرف كيف يبدأ ؟ والمرء حيث يضع نفسه ، والجزاء من نفس العمل ، وأن الإنسان المناسب في المكان المناسب ، وإن أموالهم وأولادهم لن تغني وتدفع عنهم شيئاً من عذاب الله ولن تنجيهم من أهوال يوم القيامة ،

بل إن أموالهم وأولادهم تجعل صاحبها غداً وقوداً للنار فهم حطب جهنم ، كقوله ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً**﴾ سبأ/٣٧.

**١١ – ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**

**الدَأْب** : العمل المستمر الذي يولد العادة في العمل الجاد والمتعب ولكن يغفل عما يُراد منه ، فيكون العمل للشكل دون المضمون ، وللدنيا دون الآخرة ، وللجسد دون الروح ، هذه الآية سنة ثابتة من السنن التأريخية ، والقوانين الربانية لأن فيها لفتة لطيفة وعميقة ودقيقة الدلالة وهي أن في تأريخ الماضين وتجاربهم أبلغ المواعظ والدروس. **المعنى** : لقد كان لفرعون وأتباعه والجبابرة من قبله الجاه الواسع والمال الوفير والعدّة والعدد الكثير ، مما دعاهم إلى الكِبر والعناد (**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ**) وأصابهم الطغيان وأصبح عادة ثابتة في طبائعهم ، **في غرر الحكم** (الظَّالِمُ طَاغٍ يَنْتَظِرُ إِحْدَى النِّقْمَتَيْنِ) لهذا يهددهم الله بعذاب شديد ويأخذهم بذنوبهم الكثيرة ، فما دام الإثم يصبح ممارسة طاغية مؤقتة في الحياة ، فإن الرجوع عنه ميسور وعقابه خفيف ، ولكنه إذا نفذ الطغيان إلى داخل النفس وصل إلى أعماق الإنسان وأصبح سلوكاً يمارس وعادةً ونهجاً يُعتمدُ ، فالرجوع عنه متعذّر والعقاب عليه شديد، والجزاء من نفس العمل ، والعقوبة على قدر الجناية (**وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) فلا تستهينوا بعقاب الله فيهون عليكم الكفر والطغيان ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١. إنه سنة الله في المكذبين، فإذا كذبوا ظلموا وفسدوا وتعدوا حدود الله، فلا أمان لمن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، ولا ضمان لمكذب بآيات الله. **عن الإمام علي** (ع) وهو يصف الله سبحانه: (لاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ !) نهج البلاغة خطبة١٩٥، وهكذا مَنْ لاَ يَتَّعِظُ بِالْمَاضِيْنَ كَانَ عِبْرَةً لِلْبَاقِيْنَ!، نهج البلاغة خطبة٨٦(السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ).

**١٢ – ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**

إنه تنبؤ قرآني صادق عن أسرار المستقبل ، ويميط اللثام عن عالم الغيب في الوقت الذي لا تشير فيه الظواهر على هذا التنبؤ ، فإنه من آيات إعجاز القرآن الكريم. **المعنى** : إن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون وينحرفون عن منهج الله قائم في كل لحظة ، وليس على المؤمنين إلاّ الإطمئنان إلى هذه الحقيقة ويصبرون حتى يأذن الله ، وعليهم أن يعدّوا للأمر عدته المناسبة ، ومن أراد شيئاً هيأ أسبابه. كقوله ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**﴾ الأنبياء/١٠٥، وقوله ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ هود/٤٩ .

**١٣ – ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾**

هنا يتجلى التثبيت الإلهي لحملة رسالته المؤمنين في معركتهم مع الكافرين ، وإن كانت نزلت في خصوص السبب ولكن أُريد بها عموم المعنى. قد كان لكم أيها المغترون بأموالهم وأولا دهم وجاههم آية (ومعجزة) عظيمة بصدق على ما أقول لكم إنكم ستغلبون (**فِي فِئَتَيْنِ**) حيث إلتقى حزب الرحمن وهم مُحَمَّد (ص) وأصحابه بوقعة بدر وحزب الشيطان وهم أبوسفيان وقومه (**فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ**) ومكان العظمة والعبرة في هذه الواقعة أن حزب أبي سفيان كانوا أكثر من الف مقاتل مدججين بالسلاح ، وكانت فئة مُحَمَّد (ص) بمقدار (٣١٣) ثلث العدد ، لا يملكون في العدّة إلاّ فرسين وسبعة أدرع وثمانية سيوف ومع ذلك كتب الله لهم النصر ، وغلبت الفئة القليلة الضعيفة الفئة الكثيرة القوية بإذن الله كقوله ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ البقرة/٢٤٩ ، (**يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**) إن المشركين رأوا المسلمين ضعف عدد المشركين قريباً من ألفين مقاتل، ليهابوهم وينهاروا أمامهم ، ويُراد رؤية المسلمين للمشركين ضعفي عدد المسلمين حتى ترتفع معنوياتهم وتقوى إرادتهم للمقاومة العنيفة (**وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ**) والله يقوي بمعونته من يستحق النصر في كل زمان ومكان (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ**) إن في هذا النصر المؤيد من الله مع قلة عددهم وكثرة عدوهم لعبرة وموعظة لمن تفكر وتدبر وهم أصحاب العقول والبصائر ، **في غرر الحكم:**

(لَوْ إِعْتَبَرْتَ بِمَا أَضَعْتَ مِنْ مَاضِيْ عُمُرِكَ لَحَفِظْتَ مَا بَقِيَ). **فائدة: ١-** إن أولي الأبصار والبصائر المكشوفة يرون الحقائق الغامضة وكأنها تقع على أرض الواقع ، إنهم يدركون أن (بِالإِخْلاَصِ للهِ يَكُوْنُ الْخَلاَصُ) وأن الله هو الذي يدير المعركة بين الحق والباطل كقوله ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**﴾ الأنفال/١٧-١٨. **٢- هنا حالة إعجازية تبيّن** : أنَّ الكفّار كانوا يرون جند المسلمين ضعف عددهم (٦٢٦) مقاتل (**يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ**) بما تشير الآية ٢٤/الأنفال إلى أن المشركين كانوا يرون المسلمين قلة ﴿**وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ**﴾ فكيف يمكن تفسير ذلك ؟ **الجواب** : في بداية المعركة ظهر المسلمون قلة في أعين الكفار حتى يتجرأوا على مهاجمتهم ، ولكن عندما حمي وطيس المعركة ظهر المسلمون في أعين الكفّار بأعداد مضاعفة فكان ذلك سبب هزيمتهم ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ الأنفال/٤٤ ، وهكذا يأتي الإمداد الغيبي للدعم والمساندة والنصرة بمقدار ما ينهض الناس لنصرة دين الله ﴿**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ مُحَمَّد/٧

**١٤ - ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**

إن الله فطر الناس على حبّ هذه الشهوات ، وللناس رغبات ومطامح إلى أشياء كثيرة وتفكر دائماً في الأحسن ، أشار الله تعالى إلى أهمها. **النَّاس** : يستعمل القرآن لفظ الناس في الموارد التي فيها الذم، فليس لهم القدرة على التمييز ولهم دناءة الفكر وقسوة الطبع ، بعكس استعمال لفظ **(البشر)** في الموارد التي فيها المدح ، **الشَّهَوَات** : الأشياء المحبوبة على إطلاقها لدى نفس الإنسان والتي تشتهيها وتشعر بالغبطة والسعادة إذا حصل عليها كما يريد ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ الكهف/٧ ، ثم فضّل هذه المشتهيات الستة والباب مفتوح لغيرها فقال **(مِنْ النِّسَاءِ)** وقدّم حبّ النساء لأنهن أكبر الشهوات وأهم الحاجات وأكثر الضروريات ، فإذا كبرت الشهوة لهن صغر العقل (وبالعكس) ، لذلك الزوجة الصالحة من أكبر النعم لأنها سكن واستقرار للزوج ، والزوج سكن واستقرار للزوجة ، جعل الله النقص في الزوج حتى يكمل بزوجته لحاجته لها (وكذلك الزوجة) على أن تكون شهوة النساء لا تستغرق مشاعر الرجال ، لإن الاستغراق يُضيّع الاستحقاق **(وَالْبَنِينَ)** الأولاد مطلقاً فتنة ، فهم يمثلون امتداد الإنسان في الحياة ، وقدّم البنين على البنات لأن البنين نعم والبنات حسنات والإنسان بحاجة إليهما معاً ، والبنين يتصل بهم النسب والقدرة والقوّامة والأمل.. **(وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ)** الأموال الكثيرة **(مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)** التي تعمل على افتتان الإنسان فتشغل قلبه بالمهم فيضيع الأهم. **عن النبي** (ص) (لَوْ كَانَ لإِبْنِ آدَمَ وَادِياْنِ مِنْ ذَهَبٍ لَتَمَنّى أَنْ يَكُوْنَ لَهُمَاْ ثَاْلِثٌ ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ إِبْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَاْب وَيَتُوْبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَاْب) المراغي٣/١١١ **(وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ)** المعلمة الأصيلة الحسان **(وَالأَنْعَامِ)** الإبل والبقر والغنم **(وَالْحَرْثِ)** الزرع بجميع أنواعه ، وحب الثلاثة (البنين والنساء والأموال) إنها شهوة النفوس في كل العصور وترغبها كل الأجيال، أما حب الخيل والأنعام والحرث فتأتي بالمرتبة الثانية **(ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الْمَتَاعُ**:

ما يتمتع به الإنسان ويستلذ به قليلاً ، ومتاع الدنيا قليل مهما كثر وكبر لأنه لا يبقى ، فلا تكن لذاتكم في الحياة الدنيا كثيرة وتبعاتها طويلة ومنغصاتها كبيرة ، فليس من الحرام أن تستلذ بكل متاع محلل ، ولكن الحرام أن يملكك هذا المتاع ولا تملكه ، فيشغلك عن حب الله وطلب رضاه والاستعداد للآخرة (ولاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ). **(وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) الْمَآب** : المرجع الجنة الخالدة، وكل متاع الدنيا وسيلة شريفة لهدف سام وهو الآخرة وحسن المرجع لها. **فائدة** : فمن عشق متاع الدنيا على أنه الهدف النهائي للحياة ، فقد اختار لنفسه دنيا الحياة وفاتته الحياة العليا ، فاختار المهم وترك الأهم ، واختار متاع الجسد وغفل عن متاع الروح ، كقوله ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا**﴾ القصص/٧٧، **عن النبي** (ص) : (مَنْ أَحَبَّ

دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ) البحار٧٣ص٨١. **فائدة** : كان الله تعالى قد زيّن للناس هذه الشهوات فهي جميلة في طبيعتهم ولكنه يذمُّ التولّع بها والإفراط في حبها.

**١٥ - ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**

**النبأ والإنباء** : يرد في القرآن الكريم لما له من شأن عظيم. **المعنى**: أأخبركم بخير من جميع زينة الدنيا ومتاعها المحدود الزائل ؟ وجيء بالكلام على صورة الاستفهام بتوجيه النفوس إلى الجواب وتشويقها إليه (**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ**) أجاب عن هذا الاستفهام للذين إتقوا وكان الله معهم في كل حال ، إنهم عند ربهم وهذه الخصوصية (**عِنْدَ رَبِّهِمْ**) تدل على المفاجأة وزيادة المكافأة ، أن لهم فِيْهَاْ مَاْ لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ **السجدة/١٧** ، وذكر من هذه المفاجأة نوعين أحدهما حسي جسماني وهو الجنات والنعيم والخيرات والأزواج المطهرة المبرءة من العيوب والنقائص ، وثانيهما : روحاني عقلي وهو رضوان الله المطلق ، الذي هو أكبر من كل نعيم (**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**) الخبير بأفعالهم وأحوالهم ، وهذا يدفع الإنسان ليحاسب نفسه قبل أن يحاسبه أحد ، فليس كل من تظاهر بالتقوى كان متقياً ، وإنما المتقي من يعلم ربه منه التقوى (وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ). **فائدة** : إذا كان متاعهم في الدنيا نساء وبنين... أما في الآخرة لهم ما يشاؤون فيها ولهم المزيد ، وهناك ما هو أكبر من كلّ متاعٍ حسي هناك (**رِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ**) أكبر من الحياة الدنيا والآخرة لأنه بمقدار (**رِضْوَانٌ اللَّهِ**) تنال درجات الجنة ونعيمها ، فمن أعطى لله رضوانه فيعطيه الله ما يريد ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ التوبة/٧٢ ، **في غرر الحكم**: (عَلاَمَةُ رِضَاْ اللهِ سُبْحَاْنَهُ عَنْ الْعَبْدِ، رِضَاْهُ بِمَاْ قَضَى بِهِ سُبْحَاْنَهُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ) ، **عن النبي** (ص) (إِذَاْ أَرَاْدَ الله بِعَبْدٍ خَيْرَاً جَعَلَ لَهُ وَاْعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاْهُ) كنز العمال خبر ٣٠٧٦٢، وفي ذلك دلالة إلى أن أهل الجنة مراتب ودرجات كما نرى ذلك في الدنيا ، لأن أهل الإيمان درجات وأهل العلم والعمل درجات.

**١٦ - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**

يصوّر حال المتقين في الآية السابقة ، الحال النموذجي الذي استحقوا به (رِضْوَانٌ اللَّهِ) والتنعم بجنته ، أولئك الذين قالوا بقلوبهم وألسنتهم معاً ربنا صدقنا بالله والرسول والرسالة واستقمنا عليها بقدر المستطاع، فاغفر لنا ذنوبنا مما لم نستطع وادفع عنا عذاب النار برحمتك بنا ، عاملنا بلطفك ولا تعاملنا بعدلك

**١٧ - ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾**

ثم وصف المتقين بصفات مميزة ومدحهم وأثنى عليهم فقال (**الصَّابِرِينَ**) : الصبر ترفع على الألم واستعلاء على الشكوى ، وثبات على منهج الله ، وصبر على ما أمرهم الله به وترك ما نهاهم عنه ، وبالصبر تدرك الرغائب وتنال المعالي وتخفف من المعاناة وتصلح النقائص وتهذب النفوس ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ لقمان/١٧ ، (**وَالْقَانِتِينَ**) الدائمين على الطاعات مع الخضوع والخشوع وهو لب العبادة وأنس النفس واطمئنان القلب (**وَالْمُنْفِقِينَ**) الإنفاق : تحرر النفس من استغلال المال والتخلص من البخل ، والتكافل بين الناس ، والإنفاق في سبيل الله الواجب والمستحب في السبل التي تنفع الناس وتقضي على الفقر وتقدم المجتمع نحو الحضارة والرقي، والإنفاق دلالة على الكدح فإنهم لا يعيشون كلاًّ على الآخرين ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ الحديد/٧ ، **في غرر الحكم:** (إِنَّكُمْ إِلَى إِنْفَاقِ مَا اكْتَسَبْتُمْ أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى اكْتِسَابِ مَا تَجْمَعُونَ) (**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**) فهم يطلبون من الله المغفرة في كل وقت ولاسيما (**بِالأَسْحَارِ**) حيث الدعاء فيه أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذٍ أشق والنفس أصفى والروح أنقى وتكون شفافة ، فتتلاقى روحهم مع روح الكون والكائنات لتتوجه لبارئ الكون فينتظم سلوك الإنسان مع النظام الكوني العام فيكونون في وحدة واحدة موحدة متّحدة فيطمئن قلب الإنسان ويستقيم ويستقر! **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ اللهَ سَبْعِينَ مَرَّةً فِي وَقْتِ السَّحَرِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الآيَةِ) مجمع البيان٢/٣١٦، (**والإنفاق**) بمعناه العام كل ينفق حسب قدرته من مال أو جاه أو موقع مسؤول أو التضحية بالنفس (والشهادة في سبيل الله).

**١٨ – ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

شهد الله بذاته لذاته مع كثرة الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس على وجوده ، وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك ، تدفع الفطرة إلى التصديق الكامل بشهادة الله على نفسه بالوحدانية (**وَالْمَلائِكَةُ**) أخبروا الرسل بحقيقة الوحدانية وهي عند الأنبياء من اقوى اليقينيات وإنزال الوحي الذي يحمل الشريعة العادلة المنقذة للبشرية (**وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**) يؤمنون ويدعون إلى الإيمان بالحجة الكافية والبينات الوافية التي تملأ المشاعر ثقة والقلوب اطمئناناً ، الطرق إلى الله بعدد أنفاس البشر ، وأقصر الطرق إلى الله عن طريق الإيمان والعلم والاستقامة على منهج الله (**قَائِماً بِالْقِسْطِ**) قائماً بالعدل في الاعتقاد والأحكام والشريعة وسنن الحياة والطبيعة ، والعدل في العبادات والمعاملات ، والعدل في الظاهر والباطن ، وفي الأقوال والأفعال ، والعدل بين القوى الروحية والبدنية ، كما وجعل سنن الخليقة قائمة على أساس العدل والإنصاف ، فإن وحدة النظام العالمي تدل على وحدة منظمه (**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) العزة إشارة إلى كمال القدرة ، والحكمة إلى كمال العلم ، والقدرة لا تتم إلاّ بالتفرّد والاستقلال ، والعدالة لا تكمل إلاّ بالإطلاع على المصالح

والأحوال ومن كان كذلك فلا يغلبه أحد في عدله ولا يخرج شيء عن حكمته ، **فائدة** : (**شهادة الله وملائكته وأولو العلم**) فقد ساوى شهادة أولو العلم بشهادة الله وملائكته لبيان فضيلة العلم والعلماء العاملين فإنهم خلفاء الرسل وورثة الأنبياء وأمناء الله على خلقه ، وهذه الشهادة تنفتح على آفاق الشهداء العامة لكل عظيم ولكل مبدأ ولكل طريقة ولكل إنسان يشهد لنفسه بنفسه بما ترك للناس من ثمار وآثار نافعة ، وهكذا المرء حيث يضع نفسه. **عن الإمام علي (ع)** : (الْعَدْلُ أَسَاسٌ بِهِ قَوَامُ الْعَالَمِ) البحار٧٨ ص٨٣.

**١٩ – ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**

**الدِّين** : بمعنى الطاعة والخضوع والاستسلام لأمر الله وتصديق أنبيائه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ النساء/١٢٥ ، معنى الإِسْلامُ بهذه السعة بالدلالة ، فهو يشمل جميع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء (ع) وإن إختلفت في بعض التكاليف ولكنها تتفق مع التوحيد الخالي من شوائب الشرك ، وتتفق مع الإيمان والعمل الصالح من أي ملة كان ومعنى هذا أن دين مُحَمّد ينطوي على كلِّ الأديان السماوية وزيادة ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ آل عمران/٨٥، **عن الإمام علي (ع)** : (الإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيْمُ ، وَالتَّسْلِيْمُ هُوَ الْيَقِيْنُ ، وَالْيَقِيْنُ هُوَ التَّصْدِيْقُ، وَالتَّصْدِيْقُ هُوَ الإِقْرَارُ ، وَالإِقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ ، وَالأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ) البحار٦٨/٣١٠، (**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**) ودين الله واحد وهو الإسلام لامجال فيه للإختلاف إلاّ بسبب البغي والعناد والجهل والحقد والاعتداء وتحريف نصوص الدين حسب الهوى وفهم القرآن حسب التفسير بالرأي المنهي عنه : وصار الناس مذاهب وأحزاب بسبب تجاوزهم لحدود الحق ﴿**وكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ الروم/٣٢ ، (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ**) جعل الإختلاف في الدين الواحد الذي يعتمد على التوحيد كفر (**فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) هدد الكافرين بسرعة الحساب لكي لا يتسامحوا في كفرهم ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ المؤمنون/١١٧. **فائدة** : **١– (سَرِيعُ الْحِسَابِ)** : يحاسبهم وسرعان ما يلقون جزاءهم بالدنيا وبالآخرة بطريقة فوق تصوّر البشر وهكذا قدرة الله لا تقاس بقدرة البشر. **٢–** سبب تشريع الإسلام للناس لأنه يصفّي الأرواح ويخلّص العقول من حيرة الضلالة ومن ظلمات الجهالة ، حتى تصلح القلوب وتطمئن بذكر الله في الدّنيا وتكون مؤهلة لدخول الجنّة في الآخرة.

**٢٠ – ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**

فإذا إستمر أهل الكتاب في جدالهم وعنادهم في التوحيد ودين الله فإن الجدل العقيم يُقسّي القلب (**فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي**) فقل لهم إن النبي وأتباعه المسلمين قد أسلموا وجوههم لله

تعالى وحده , أخذوا بمنهجه وأعرضوا عمن سواه وتساموا عن الجدل العقيم المضر **(وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا)** فإن استسلموا لأمر الله فقد ذاقوا طعم الهداية وفازوا في النهاية **(وَإِنْ تَوَلَّوْا)** وأعرضوا فهناك نهي عن المراء (الجدل العقيم) فإنه يُفسد النفس ويورث الشك وينغِّص العيش ، لأن النقاش في البديهيات من أشكل المشكلات **(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ)** وظيفة الرسول (ص) البلاغ المبين الذي يلقي الحجة عليهم وهو ليس عليهم بوكيل كقوله ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ الغاشية/٢١-٢٢ ، **(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)** فهو يعلم متقلبهم ومثواهم ليقرر في حقهم وفق حكمته ويحاسب كلاً بحسب عمله، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ)

**٢١ –** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾

ذكر الكفر بآيات الله مصحوباً بقتل النبيين بغير حق. وما يمكن أن يُقتل نبي ثم يكون هناك حق ، أي قتلوهم بغير سبب ، إلاّ عندما دعوهم إلى الله ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ البروج/٨ ، وهم اليهود قتلوا زكريا وابنه يحي وغيرهم **(وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ)** الذين يأمرون بالعدل والإحسان ويرشدون الناس فينتهكون حرمتهم ويسفكون دماءهم **(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** فالإقدام على قتل هؤلاء جناية كبرى على حقوق الإنسان، وإعاقة لحركة التقدم الحضاري وتحجيم العقل وبغض للعدل وتجاوز للحدود الحمراء ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، وكفى بهذه الجرّأة جرماً ، وهو ذنب الكامل عند السافل ، والمحق عند المبطل، ولابد أن يكون (الْقِصَاصُ عَلَى قَدَرِ الْجِنَايَةِ) **(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** الأسلوب للاستخفاف بهم ، إذ ما تحمله البشرى إليهم هو العذاب الأليم على إطلاق معناه فكيف بما يساق إليهم بين يدي النُذر لا يمكن تصوره من الأهوال التي أخفّها العذاب الأليم !! **فائدة** : القرآن يكشف أن القتل المتعمد للفرد المؤمن وحده له خمس عقوبات كبرى ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً** ١- **فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ** ٢- **خَالِداً فِيهَا** ٣- **وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ** ٤- **وَلَعَنَهُ** ٥- **وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾ النساء/٩٣ ، فكيف بقتل أنبياء الله ورسله ؟ أو قتل أمة من النّاس ؟! ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ عبس/١٧.

**٢٢ –** ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾

**حَبِطَ** : بطل وهدر. الحبوط هو انتفاخ الدابة التي ترعى نبتاً مسموماً تمهيداً لهلاكها ، وهكذا الأعمال الإجرامية البشعة لهؤلاء هي انتفاخ وورم مهلك ومذل ومهين ليكونوا عبرة لمن يعتبر لأن كلَّ أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة أصبحت كأن لم تكن ، وأخسر الناس من كان عبرة للناس **(وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)** أو شافعين يحموهم من سوء مصيرهم كقوله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣. **سئل النبي (ص)** أي الناس أشدُّ عذاباً يوم القيامة ؟ **فقال**

(ص) : (رَجُلٌ قَتَلَ نَبِياً أَوْ قَتَلَ رَجُلاً أَمَرَ بِمَعْرُوْفٍ وَنَهَى عَنْ مُنْكَرٍ) ثم قرأ الآية آل عمران/٢١، مواهب الرحمن٥/١٨٩.

**٢٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**

**سبب النزول** : يهوديٌ زنى بيهودية محصنة وهما من أشراف القوم ، وإختلف اليهود في أمرهما إلى فريقين ، فريق أراد الرجم وفريق أراد التخفيف ولما إشتد بينهم النزاع تحاكموا إلى النبي (ص) فحكم بالرجم ، فرفض الفريق الذي لا يتفق مع الرجم فدعاهم النبي إلى حكم التوراة التي نصت على الرجم فتولوا وهم معرضون. **المعنى** : حصل أحبار اليهود علماً وافراً من التوراة ، وعند إختلافهم يدعون إلى التوراة فيأبون حكمها (**يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ**) هم قومٌ معاندون لا يليق بهم الحق بل يليق بهم الباطل ، والذي لا ينفعه اليقين يضره الشك. **فائدة** : الآية تحذر المسلمين من أفعال اليهود ، وأن لا يضعوا القرآن وأحكامه وراء ظهورهم، ويميزوا بين الناس في العقوبات اللازمة.

**٢٤ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾**

ذلك التولي والإعراض عن حكم التوراة هي نظرة استعلائية على الدين ، بسبب إفترائهم على الله وزعمهم أنهم أبناء الأنبياء ، وأن النار لن تصيبهم إلاّ مدة يسيرة -أربعين يوماً- مدة عبادتهم للعجل (**وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**) خدعهم كذبهم على الله في قولهم : ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ المائدة/١٨. **فائدة** : إنهم يكررون ما افتروه على الله تعالى ويلقنونه أنفسهم حتى اطمأنوا بخدعة أنفسهم وركنوا إليها بالتلقين الذي يؤثِّر أثر العلم (**كما بينه علماء النفس**) فصار الكذب الباطل بالتكرير والتلقين كأنه هو الصدق (**وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ**) ومنعهم عن التسليم لله والخضوع للحق الذي أنزله في كتابه (**كقولنا**) : إكذب إكذب حتى يصدقك الناس ! لذلك نهى الله تعالى عن (**الكذب**) وجعله من الكبائر ومفتاح كلِّ شر، ويُخرِّبُ الإيمان، ويُفقدُ الثقة بين المجتمع، ويفكك العلاقات بين الناس، ويكون هذا المجتمع الكذّاب ، فريسة للطامعين وضحيّة للمستكبرين. كقوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ البقرة/٨٠.

**٢٥ - ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**

كيف يكون حالهم يوم القيامة حين يجمعهم الله للحساب ، والاستفهام لتهويل واستعظام لما يداهمهم من أنواع الشدائد والأهوال (**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ**) نالت كل نفسٍ جزاءها العادل بلا ظلم مما يدل أن كل عمل له أثر يرجع على صاحبه مما كسبت نفسه (**وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) هذا هو دين الله

الحق بالميزان العدل الذي له تأثيره في تهذيب النفس، لا شعب مختار ، ولا أبناء الله ، وإنما (الْجَزَاءُ مِنْ نَفْسِ الْعَمَلْ) كقوله ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً**﴾ الأنبياء/٤٧ ، عندئذٍ يندمون في وقتٍ لا ينفعهم الندم ويتجرعون الحسرة ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ**﴾ يونس/٥٤.

**٢٦** – ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إنه إله واحد فهو المالك الواحد وهو (**مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**) بلا شريك ، وهو يعطي ملكه من يشاء بما يشاء كيف يشاء متى يشاء من ملكه ، يملِّكه إياه ملكاً إعتبارياً مؤقتاً يسترده صاحبه ممن يشاء عندما يشاء ، فليس هي ملكية أصلية ثابتة دائمة، وإنما هي ملكية معارة خاضعة للإمتحان ، فإذا تصرّف المستعير فيها تصرفاً مخالفاً لشرط المالك الحقيقي تحتم نزعه ورده في الدنيا ولو بعد حين ، أما في الآخرة فهو محاسب على انحرافه وبطلانه ومخالفته لصاحب الملك الأصيل (**وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ**) بالتوفيق والعناية (**وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**) بالخذلان والتخلي ، فلا معقب لحكمه وهو بالغ على أمره ولا راد لقضائه ، فهو صاحب الأمر كله (**بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) إنّ قوامية الله على ملكه الواسع الخير كل الخير ، فهو يتولاه بالقسط والعدل ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء بالعدل ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالعدل ، فهي المشيئة المطلقة على تحقيق هذا الخير (**بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) إنّ قوامية الله على الملك تعني قواميته الكبرى على الكون والحياة والأحياء على الإطلاق.

**فائدة:**

**١**– الآية الكريمة تكشف عن سنن الله التأريخية ، حين بدأ الإسلام غريباً لم يكن آنذاك شيء من الملك والعزة والسلطان وكان موزعاً بين الفرس والروم ، وبعد أن جاء نصر الله والفتح وانقلبت المعادلة وأصبح الذليل عزيزاً والعزيز ذليلاً ، وصار الفرس والروم محكومين للمسلمين بعد أن كانوا حاكمين ، وصار المسلمون حكاماً بعد أن كانوا مستضعفين ﴿**إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ الأعراف/١٢٨، أما الآن نرى الشعوب الإسلامية مستضعفة يهيمن عليها الاستكبار العالمي (**والسبب في ذلك**) أنهم إنشغلوا في نزاعات أخّرتهم إلى الوراء قروناً ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ الأنفال/٤٦ ، وصرنا أشداء فيما بيننا رحماء على الكفار ، وهكذا من ينحرف عن سبيل الله يصفه **النبي (ص)** بقوله : (مَاْ إِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قط بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إلاّ ما شاء الله!)شرح النهج٥ص١٨١ وهكذا اختلفنا واستغرقنا في الخلاف فضيعنا الاستحقاق ، فاختلفت قلوبنا وساء حالنا وكرهت أيامنا ، **٢– سؤال : كيف نفهم ملك الظالم**

**وحكمه** ؟ والله مالك الملك ؟ (بإختصار) : لن تكون أمة فاسدة وقائدها صالح ، كما لا تكون أمة صالحة وقائدها فاسد ، فالحاكم من جنس المحكوم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ الرعد/١١ ، **عن النبي (ص)** : (كَمَاْ تَكُوْنُوْاْ يُوَلَّىَ عَلَيْكُمْ) كنز العمال خبر١٤٩٧٩، **وعنه (ص)** : (إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَلاَ تَنهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ، يُسَلَّطُ عَلَيْكُمْ شِرَاْرُكُمْ فَيَدْعُوْنَ خِيَاْرُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَاْبُ لَهُمْ) البحار١٠٠ص٧٢ حكم الظالم نتيجة لها مقدماتها وأسبابها ، فإذا كان المجتمع ظالماً فإنه ينتج الحاكم الظالم، **في الحديث** : (مَنْ عَذَرَ ظَاْلِمَاً بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ) البحار٣٣٢/٧٥، وَالنَّاْسِ خَوْفُهُمْ مِنَ الذُّلِ أَوْقَعَهُمْ فِي الذُّلِ ، ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، وساعة ذل لا تعادل الدهر كله ، **عن الإمام علي (ع)** (وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ خَلَقَكَ اللهُ حُرّاً)البحار ٢١٤/٧٧

**٢٧ - ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**

ويستمر الدعاء القرآني مستعرضاً قدرة الله وحكمته في الأمور التكوينية كظاهرة تداخل الليل والنهار وتفاوتهما بالقصر والطول ، يلفت القرآن النظر إلى كيفية حدوث هذه الظاهرة الواضحة الدقيقة في شكلها والفلسفية في أعماقها أي ينشأ من تداخل الليل والنهار ، بطول الليل في الشتاء وقصر النهار، وفي الصيف يحصل العكس فيطول النهار ويقصر الليل ، وينشأ من ذلك التداخل المنظم بين الليل والنهار الفصول الأربعة للسنة وما فيها من فوائد. وأيضاً يدخل ظلام الليل بالتدريج في ضياء النهار عند مغيب الشمس ، ويدخل ضياء النهار بالتدريج في ظلام الليل عند الشروق بشكل عجيب ، وتعتدل بسببه حرارة الأرض. (**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ**) يدب أحدهما في الآخر في بطء وتدرج ، كل لحظة تمر على الحي يدب فيه الموت إلى جانب الحياة ، خلايا حية منه تموت وتذهب وخلايا جديدة فيه تنشأ وتعمل ، إنها حركة في كيان الكون كله وفي كيان كل حي كذلك ، ثم أن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً ورزق الجميع بيد الله فالتعاقب بين الظلمة والنور والموت والحياة من سنن الخالق ، فلا عجب أن يبدل ضعف المسلمين قوة وذلهم عزاً أو يبدل قوة أهل الكتاب والمشركين ضعفاً وعزهم ذلاً ! (**وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) من إيتاء الملك والعز والحياة والموت ليست وحدها بيد الله بل بيده كل أنواع الرزق على إطلاق معناه ولكن هذا الرزق يخضع لقاعدة الأسباب والمسببات ، **في غرر الحكم** (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ).

**فائدة:**

**١-** الآية تتحدث عن ظاهرة أنيقة ولكن تكشف من خلالها سنّة عميقة لها دلالات واسعة، إن هذا التداخل بين الليل والنهار والحياة والموت ، أنها ظاهرة واضحة تكشف من خلالها عن قانون عام إن كل شيء في الحياة يخضع إلى سنة التداخل ، كما يتداخل الأمل مع العمل، والخير مع

الشر، والصحة مع المرض ، والعلم مع الجهل، والضعف مع القوة والعسر مع اليسر ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾ الشرح/٥-٦ ، كذلك تتداخل الحياة الدنيا مع الآخرة ، والنوم مع اليقظة ، والعزة مع الذلة... وهكذا الحياة الدنيا. **٢- عن الإمام الصادق** (ع) في قوله : (**تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنْ الْحَيّ**) : (تُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَاْفِرِ، وتُخْرِجُ الْكَاْفِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ) كنز الدقائق٢/٥١ .

**٢٨ - ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾**

**أَوْلِيَاءَ** : أنصار وأعوان ، **تُقَاةً** : من الوقاية والحذر والخوف ويجمعها معنى التقية. **المعنى** : ينهى القرآن الكريم كثيراً عن مودة الكافرين والركون إليهم مما يفسح المجال للتأثر بهم ، ويؤكد أن العواطف يجب أن تبنى على العقيدة (**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**) وإذا والى المسلم كافراً فقد قطع علاقته بربه ولم يعد من حزبه المفلحين ، وليس من الله ولا من حزب الله في شيء وأنه سبحانه بريء منه لأنه لا يجتمع الإيمان مع الكفر في **نهج البلاغة حكم٢٩٥**: (صَدِيْقُ عَدُوِّكَ عَدُوُّكَ) ، (**إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**) استثنى سبحانه من هذه القاعدة الذين يخافون على أنفسهم وأعراضهم، فعندئذٍ لا مانع من المجاملة والمداراة وهذه رخصة عند الخوف ، أن يبدي ولاءه للكافر قولاً وحتى عملاً عند الضرورة ولكن (قلبه مطمئن بالإيمان) تقية منه ودفعاً عن نفسه مع إخفاء عداوته لهم ، وهذا ما حصل للصحابي عمار بن ياسر كقوله ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ النحل/١٠٦ ، (**وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ**) تهديد وتحذير للمؤمنين من نقمة الله وغضبه وعذابه في تعبير مثير وعجيب ، وجاء هذا التحذير بعد رخصة التقية لئلا يتجاوز الإنسان حدوده في هذه الرخصة ، فخافوا الله وقدموا خشيته على خشية الظالمين (**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**) إلى الله ترجعون ويكون الجزاء من جنس العمل. **روي** : أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما: أتشهد بأن مُحَّمداً رسول الله قال نعم ، قال أفتشهد أني رسول الله فقال نعم ، ثم دعا بالآخر فقال : أتشهد بأن مُحَّمداً رسول الله فقال نعم ، ثم قال أفتشهد أني رسول الله فقال إني أصم قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثل الأول ، فضرب عنقه ، وأطلق سراح الأول. فبلغ ذلك رسول الله فقال (ص) : أَمَّاْ ذَلِكَ الْمَقْتُوْلُ فَمَضَى عَلَى صِدْقِهِ وَيَقِيْنِهِ وَأَخَذَ بِفَضْلِهِ فَهَنِيْئَاً لَهُ ، وَأَمَّاْ الآخَرُ فَقَبِلَ رُخْصَةَ اللهِ فَلاَ تَبِعَةَ عَلَيْهِ ! فعلى هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة مجمع البيان٢/٣٣٧، **وعن الإمام الباقر** (ع): (التَّقِيَّةُ فِيْ كُلِّ شَيْءٍ يُضْطَرُّ إِلْيه إِبْنُ آدَمَ فَقَدْ أَحَلَّهُ اللهُ لَهُ) الكافي٢/٢٢٠و(عِنْدَ الضَّرُوْرَاْتِ تُبَاْحُ الْمَحْضُوْرَاْتُ) والضرورات تقدر بقدرها كقوله (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) البقرة/١٧٣.

**٢٩ – ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

بعد أن رخّص الله سبحانه بالتقية للمضطر ، جاء في هذه الآية تحذير من قرب الله لنا وعلمه في أسرارنا وما تخفي قلوبنا من موالاة الكفار أو ما أظهرتموه فإن الله مطلّع عليه لا تخفى عليه خافية ، وإنّ المعوّل عند الله على ما في القلوب **(وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)** ويعلم ما يحدث وما هو حادث في كل صغيرة وكبيرة في السماوات والأرض **(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** والله قادر على الإنتقام ممن تعدّى حدوده وخالف حكمه وتجرّأ عليه وهو تهديد وتحذير ، وهذا بيان لقوله تعالى **(وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ)** في الآية السابقة ، اللهم إنا نعوذ بك أن نغتر بسترك علينا وأن نجهل بعلمك بنا وأن لا نتحسس بقربك منّا.

**٣٠ – ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**

إحذروا يوم القيامة يوم تجد كل نفس عملها من الخير حاضراً أمامها فيكون ذلك غبطة وسروراً لها ويجازيهم الله بأحسن ما عملوا **(وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً)** وتنكير سوء للتعميم ، وما عملته من سوء وهو ما يسوء النفس تتمنى أن يكون بينه وبين ذلك اليوم بعد المشرقين حتى لا تؤاخذ بجريرته طلب البعد الزماني أبلغ في التعبير من طلب البعد المكاني ، فاحتمال الحضور موجود في الفاصل المكاني بينما ينتفي هذا الاحتمال كلية في الفاصل الزماني **في غرر الحكم**: (لَنْ يُجْزَى جَزَاْءَ الْخَيْرِ إِلاَّ فَاعِلُهُ وَلاَ يُجْزَى جَزَاْءَ اَلشَّرِّ إِلاَّ عَامِلُهُ) **(وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ)** تكرير التحذير والاعتناء به ، كما في الآية/٢٨ ، لزيادة أهمية المطلب وأن لا يغفلوا عنه فليس بمغفول عنكم ، والحذر يقيك الضرر **﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾** الزمر/١٦ ، **(وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)** من رأفته أن حذرهم نفسه فإنه سبحانه (أَرْحَمُ الرَّاْحِمِيْنَ فِيْ مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ ، وَأَشَدُّ الْمُعَاْقِبِيْنَ فِيْ مَوْضِعِ النَّكَاْلِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِيْنَ فِيْ مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاْءِ وَالْعَظَمَةِ) من دعاء الافتتاح كقوله **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾** الحجر/٤٩-٥٠

**٣١ – ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

هذه الآية الكريمة تكشف أن حب الله جلّ في علاه ميزان دقيق فمن وفّى ، استوفى ، بهذا الميزان يُعرف من أحبّ الله حقيقة ومن إدّعى ذلك بلا دليل فعلامة الحب الإتباع دون ابتداع ، مع الوفاء وحسن العطاء وحسن الإنتماء ، فلا تنال محبة الله إلاّ بالتصديق ما جاء به رسول الله (ص) وامتثال أمره واجتناب نهيه ، إتبعوا الشريعة الإسلامية الصحيحة، وعلى قدر الإتباع تكون البشارة للمحب بحب حبيبه له. **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ يَمْحَضُ رَجُلٌ الإِيْمَاْنَ بِاللهِ حَتّى يَكُوْنَ اللهُ أَحَبَّ

إِلَيهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبِيْهِ وَأُمِّهِ وَوُلْدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَاْلِهِ وَمِنَ النَّاسِ كُلِّهِمُ) البحار٧٠ص٢٤، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَاْ أَحَبَّ اللهَ مَنْ عَصَاْهُ) وبهذا الإتباع الخالص تشكّل علاقات الحب بين الخالق والمخلوق ، وبين الناس أنفسهم، **وعن النبي (ص)**: (أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ تَعَاْلَى) كنز العمال خبر٢٤٦٣٨ **عن الإمام الصادق** (ع): (وَهَلِ الدِّينُ إلاَّ الْحُبُّ)؟ثم ذكر الآية، البحار٦٩/٢٣٧ وهذه حجة على من يدّعي محبة الله في كل زمان وأعماله تكذب إدعاءه ، إذ كيف يجتمع حب مع الجهل بالمحبوب وعصيانه ؟ (**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) يكشف حُجب الذنوب عن قلوبكم ويتجاوز عن سيئاتكم ويفسح المجال للتقرب من ربكم فإن بمقدار القرب يكون الحب ، وبمقدار الحب يكون الجذب، وبمقدار الجذب يكون التآلف والتعارف ثم تكون فيها الاستقامة التي فيها السلامة. وبعد هذه الحقيقة لا يبقى مجال لإتهامات المغرضين بأن الإسلام قام بالسيف والقهر والقرآن يقول ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ البقرة/٢٥٦، صحيح الإسلام رفع السيف ولكن للدفاع عن المسلمين/ وإلقاء حجة الله على الناس.

**٣٢ – ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾**

ترشد الآية إلى حكم العقل والفطرة إلى أن حقيقة الدين هي الحب ، والحب هو طاعة الله ورسوله (**فَإِنْ تَوَلَّوْا**) فإن أعرضوا عن الطاعة (**فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**) لا يحب من كفر بآياته وعصى رسله لأن حقيقة الدين هي طاعة الله ورسوله وإن ترك هذه الطاعة هو الكفر ، **فائدة** :لم يقل (إنَّ الله يبغض العاصين) وإنما قال (**لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**) فقد اعتبر الله الإعراض عن الطاعة عصيان جريء واستهتار بالقيم والمبادئ والأخلاق وهذا هو الكفر بعينه. وقد يشمل هذا التولي والإعراض عن الطاعة إنما هو في الفروع إذا سلمت الأصول ، ككفر مانع الزكاة وتارك الصلاة والحج المستطيع، وتولي أعداء الله ، ومنكر ضروريات الدين ، وإن إدّعى في نفسه الإيمان ، فكيف تصح دعواه وآخرها ينقض أولها ؟ **في غرر الحكم**: (أَكْرِمْ نَفْسَكَ مَاْ أَعَاْنَتْكَ عَلَى طَاْعَةِ اللهِ) ، ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٥٤ ، وكذلك الظالمون هم الكافرون **عن الإمام الباقر** (ع) : (كُلُّ شَيْءٍ يَجُرُّهُ الإِقْرَاْرُ وَالتَّسْلِيْمُ فَهُوَ الإِيْمَاْنُ ، وَكُلَّ شَيْءٍ يَجُرُّهُ الإِنْكَاْرُ وَالْجُحُوْدُ فَهُوَ الْكُفْرُ) الكافي٢/٣٨٧.

**٣٣ – ٣٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**

**الإصطفاء** : الانتقاء والاختيار لصفوة الشيء وتخليصه من النواقص التي لا تليق به ، وتقديم لهم خصائص مميزة خاصة بهم.

**المعنى** : اختار الله تعالى صفوة مختارة من البشرية بمقتضى علمه بكفاءتها وإخلاصها فجعلها نموذج يحتذى به ، فهي المسيرة التصاعدية نحو الكمال الإنساني بجانبيه المادي والمعنوي (**اصْطَفَى آدَمَ**)

أبو البشر الأول وقد سجدت له الملائكة ، وأول من شرع له الدين **(وَنُوحاً)** أبو البشر الثاني وهو أول أولي العزم وصاحب كتاب وشريعة ، وقال الله فيه ﴿**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ الصافات/٧٩ ، ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ**﴾ الصافات/٧٧ ، **(وَآلَ إِبْرَاهِيمَ)** والآل هم خاصة الشيء والاصطفاء لهم ولذريتهم ، الطيبين ومنهم إسماعيل ومن ذريته سيدهم مُحَمَّد (ص) وآل مُحَمَّد (ع) **(وَآلَ عِمْرَانَ)** وآل موسى وهارون وقيل هو أبو مريم جدُّ عيسى **(عَلَى الْعَالَمِينَ)** إصطفى كل واحد منهم على عالم زمانه وميزه عليهم بصفات مميزة ، وجعل لهم خصائص نموذجية تقتدي بها الإنسانية جميعاً. **٣٤ –** ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾هؤلاء المصطفون هم وآباؤهم من معدن واحد ، كل واحد منهم فضّل هداه على هواه ، وآخرته على دنياه ، وروحه على جسده ، وعقله على شهوته (وإذا كبر العقل صغرت الشهوة).**في غرر الحكم**: (إذا كمل الْعَقْلُ نقصت الشَّهْوَةُ) فجاء الفرع مشابهاً للأصل طيباً وكاملاً ﴿**يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾ الشورى/٨، سئل **الإمام الصادق** (ع) : (ما الحجة في كتاب الله أن آل مُحَمَّد هم أهل بيته (ع) ؟ ثم ذكر الآيتين) **(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** والله يسمع لأقوالهم عليم بما في قلوبهم، كنز الدقائق٢ص٦٦.

**٣٥ –** ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

**مُحَرَّراً** : معتقاً من كل قيد وعبودية بشرية ولا أشغله بشيء من المسؤوليات ، ليوقف حياته خالصاً لله ولعبادته ، لا يعمل عمل الدنيا ويكون في خدمة بيت المقدس. **النَذْرْ**: يوجب الإنسان على نفسه ما ليس بواجب ، ولا يقدم شيئاً ولا يؤخره من قضاء الله. **المعنى**: يعرض القرآن الكريم إحدى قصص النبوة العامرة بالإيمان والتسليم لله تعالى وهي قصة عيسى بن مريم (ع) ليؤكد بشريته وعناية الله به وإخلاص أسرته وإسلامهم لله. فقد نذرت إمرأة عمران (أم مريم) بإنقطاع إلى الله أن تجعل ما في بطنها من حمل محرراً من قيود الدنيا ويكون خالصاً لله ، ودعت الله أن يتقبل منها نذرها **(إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** السميع بدعائها العليم بحالها. **عن النبي** (ص) : (النَّذْرُ لاَ يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلا يُؤَخِّرُهُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيْلِ) صحيح مسلم٣/١٢٦١خبر٣، **وعن الصادقين** (ع) : (لاَ تُوجِبْ عَلَى نَفْسِكَ الْحُقُوقْ وَإِصْبِرْ عَلَى النَّوَائِبِ) وسائل الشيعة١٦/١٨٩.

**٣٦ –** ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾

عندما وضعت حملها وتبين أنها أنثى صارت في حيرة من أمرها ، إذ لا تصلح الأنثى للخدمة الدائمة في المعبد عادة، فلجأت إمرأة عمران إلى ربها مرة أخرى تخبره عن حالها ، والله أعلم بحالها وبما سينتظر هذه المولودة من مستقبل عظيم **(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى)** فإذا إختلف التركيب بين الذكر والأنثى إختلفت الوظائف والمسؤوليات ، وتعددت الأدوار وتوحدت الأهداف **(وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا**

**مَرْيَمَ)** المرأة العابدة في لغتهم **(وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)** أجيرها وأعصمها بحفظك لها ولأولادها من الشيطان الرجيم لتستقيم لها العبادة وتليق بها الطهارة ويطابق اسمها مسمّاها.

**٣٧ – ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**

فتقبلها ربها الذي رباها ورعاها واستجاب دعاءها وتقبّل نذرها مع الأجر فإنه سميع مجيب الدعاء ، وتقبل الله مريم بقبول حسن بأن تكون محررة من مسؤوليات الدنيا ، خالصة لعبادته سبحانه في بيت المقدس **(وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً)** أي رباها تربية حسنة صالحة ، فكانت طاهرة عابدة مخلصة **(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)** متعهداًللقيام بمصالحها وقد رأى فيها زكريا مثالاً للمرأة الصالحة المميزة المؤيدة من الله **(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً)** وجاء الرزق هنا نكرة لإطلاق معناه وسعة مغزاه **(قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا)** يسأل باستغراب وتعجب من أين يفيض عليك الرزق وكيف ومتى ، والأبواب مغلقة عليك ؟ **(قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** فلا تعجب فإن الله إِذْا أَعْطَى أَدْهَشَ **(إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** والرزق مائدة مفتوحة شهية غير محددة بنوع من الرزق والعطاء ، ولكن الله يعطيه من له مؤهلات خاصة حتى تنفتح عليه هذه المائدة بغير حساب **﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** القصص/١٤. **فائدة** : في الآية دليل على جواز الكرامة للأولياء ، ومن أفضل الكرامات والعبادات ، تبديل العادات المذمومة من أخلاقك وفي **(أَنَّى لَكِ هَذَا)** بإمكان المرأة الصالحة أن ترتقي بمنزلتها على الرجال وتثير إعجاب حتى الأنبياء (ع) ! ولو كانت النّساء كمريم وآسية وفاطمة وخديجة وغيرهنّ لفضّلت النّساء على الرجال ! وهذا يثبت خطأ مقولة النّساء ناقصات حظٍ وعقلٍ ودين لأنّه يخالف القرآن.

**٣٨ – ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾**

لما رأى ما رأى من آيات ربه الباهرات ذات الكرامات اليقينيات في مريم على صغر سنها تحركت في نفسه عاطفة الأبوة، ورجا أن يكون له مثلها في الكرامة عند الله تعالى **(قَالَ)** زكريا على شيخوخته وعقم إمرأته لم ييأس من رحمة الله **(رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)** رب صاحب الفضل عليّ أعطني بقدرتك على كل شيء **(ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً)** التي تستطاب أفعالها وأخلاقها وقيمة الذرية بصلاحها **(إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)** مجيب له. من آداب الدعاء الثناء على الله تعالى.

**٣٩ – ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**

لم يمض وقت طويل حتى أجاب الله دعاءه في محراب الصلاة ﴿**وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ طه/١٤ ، للدلالة على أن كلَّ الأديان دعت إلى الصلاة (**فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**) **يَحْيَى** : اسم سمّاه الله به قبل أن يولد ، اختاره له إشعاراً بأن الله يحيي الأرحام العقيمة كما يحيي العظام الرميمة ، وصفاته كصفات عيسى (ع) (**مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ**) مصدقاً بعيسى الذي ولد بكلمة الله (كن فيكون) (**وَسَيِّداً**) يسود قومه علماً وخلقاً وبصفات مميزة عالية المضامين (**وَحَصُوراً**) الحصور من الحصر وهو الحبس والتهذيب أي يزكّي نفسه ويمنعها ما ينافي فضلها وكمالها ، مبالغاً في حصر نفسه عن الشهوات ! مع القدرة عليها مثله كعيسى (ع) عاش حياة العزوبة! لا يأتي النساء ، وإنها لرحمة خاصة للإنسان الخاص ، وهو المعرِضُ عن الشهوات ورغبات النفس مع ميوله لها زهداً فيها وتهذيباً لها وعدم التعلّق بها لأنه منشغل عنها بما هو أهم منها **عن الإمام الباقر** (ع) : (عِفَّةُ يَحْيَى (ع) مَنَعَتْهُ مِنَ الزَّوَاجِ وَجَعَلَتْهُ يَعْتَزِلُ النِّسَاْءَ) تفسير النور ٤٨٨/١، **وعن الإمام علي** (ع) : (لَيْسَ الزُّهْدُ أَنْ لاَ تَمْلِكَ شَيْئَاً وَلَكِنَّ الزُّهْدَ أَنْ لاَ يَمْلِكَكَ شَيْءٌ) ميزان الحكمة٢٩٢/٩ إلاّ الله مالك الملك (**وَنَبِيّاً مِنْ الصَّالِحِينَ**) وهي بشارة عظيمة أخرى لزكريا. **فائدة: ١-روي:** أن يحيى مرّ في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت. وروي **عن الإمام الصادق** (ع):سأله رجل يطلب الولد فقال أدعُ الله وأنت ساجد ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ آل عمران/٣٨، ﴿**رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾ الأنبياء/٨٩.

**٢- سؤال:** هل الحصور (العزوبة) حالة سلبية في المجتمع أم إيجابية ؟ **الجواب:** لا تدل كلمة (الحصور) العزوف عن الزواج ، لأنها صفة سلبية ضارة في المجتمع ولها آثار سلبية خطيرة ، لذلك جميع الأديان رغّبت في الزواج ونهت عن العزوبة ، ولا يمكن أن تكون صفة (الحصور) قانوناً عاماً للناس، لأنه يُعطل قانون الزوجية العام الطبيعي ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ الذاريات/٤٩ والمقصود من (الحصور) القوة الروحية العالية التي تمتلك القدرة على تهذيب الشهوات بحيث هو يحكمها ولا تحكمه ، ويسيطر عليها ولا تسيطر عليه، فهو يطفئ دوافع الشهوة في نفسه ويبالغ في التعفف والترفع عن متطلبات الشهوة ، إذن هناك شهوة ولكن يهذبها **في غرر الحكم**: (إِذَاْ كَملَ الْعَقْلُ نقصَتْ الشَّهْوَةُ)، وهذه حالة فردية نموذجية خاصة للإنسان النموذجي الخاص ضمن ظروف خاصة، ولا يمكن تعميمها ، لأن القرآن والسنة تدفع إلى الزواج ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ الحديد/٢٧ ، **وعن النبي** (ص): (النكاح سنّتي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِيَ فَلَيْسَ مِنِّيَ) البحار٢٢٠/١٠٣، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ الروم/٢١ ، **وعن النبي** (ص) : (الدُّنْيَاْ مَتَاْعٌ وَخَيْرُ مَتَاْعِهَاْ الزَّوْجَةُ الصَّاِلحَةُ) البحار ٢٢٢/١٠٣، **عن الإمام الصادق** (ع) (الإمرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح) وسائل الشيعة١٢٤/١٤.

**٤٠ -** ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾

تحركت عند زكريا طبيعته البشرية فيتساءل : كيف يولد له ولد وهو شيخ طاعن في السن ويقال عمره (٩٩) سنة ، وإمرأته عاقر عقيم ويقال عمرها (٩٨) سنة ، معناه أنه أمل بعد يأس إنه حالة إعجازية خارقة ؟ **(قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)** وجاءت هنا المشيئة الإلهية المطلقة التي لا تحدها حدود ولا قيود (مَاْ شَاْءَ اللهُ كَاْنَ، وَمَاْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) ، والآية لها عموم المعنى وإن نزلت بخصوص السبب.

**٤١ – ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾**

سأل زكريا ربه أن يجعل له علامة يعرف بها وقت الحمل **(قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ)** إن علامة حمل إمرأتك أن يحتبس لسانك ويعجز عن النطق مع الناس ثلاثة أيام فإذا حاولت أن تتكلم لا يتحرك لسانك وليس فيك حالة مرضيّة **(إِلاَّ رَمْزاً)** وإنما تتفاهم مع الناس بالإشارة **(وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)** ولكن لسانك ينطق بالكلام كما تريد حين تتجه إلى ذكر الله في عبادتك ومناجاتك فإذكره كثيراً في كل زمان ومكان ولاسيما ذكر الله في آخر النهار وأوله. **في غرر الحكم:** (الذِّكْرُ لَذَّةُ الْمُحِبِّينَ) ، (الذّكرُ مجالسَةُ المحبَوبِ).

**٤٢ – ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**

لم يكن وحياً إليها وإنما هو إلهام بما لها من المكانة الرفيعة عند الله **(يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)** هناك اصطفاءان (اختياران) لمريم الأول : قبولها محررة من كلِّ قيد ومهيئة لخدمة بيت الله (بيت المقدس) وكان ذلك خاصاً بالرجال ، **والاصطفاء : التطهير** ، والتطهير الحسي كعدم الحيض والنفاس ومن الأفعال الذميمة ومن مسيس الرجال ، والتطهير المعنوي والأخلاقي والروحي والتسامي عن ذميم الصفات ، **والاصطفاء الثاني** : ولادتها نبياً من غير أن يمسها بشر ، والتطهير شهادة بنزاهة مريم وبراءتها من كل شبهة وقد اصطفاها وانتقاها واختارها الله سبحانه على نساء العالمين في زمانها ، **عن الإمام الباقر** (ع) في قوله **(اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)** اختارك: (عَلَى نِسَاْءِ عَاْلَمِيْ زَمَاْنِكِ، لأَنَّ فَاْطِمَةَ (ع) بِنْتِ رَسُوْلِ اللهِ (ص).. سَيِّدَةَ نِسَاْءِ الْعَاْلَمِيْنَ) مجمع البيان٢/٣٥٦، فيكون الاصطفاءان مختلفين في عطائهما ، وفي هذا دلالة على إمكان المرأة الصالحة أن ترتقي بأرقى درجات القرب الإلهي كما اقتربت خديجة وفاطمة وآسية ومريم.

**٤٣ – ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**

أمرها الله بالقنوت وهو التزام الطاعة والشكر لله والخشوع والخضوع في العبادة في محراب العظمة الإلهية، والسجود والركوع مع قوافل الراكعين العابدين لله تعالى ، لإعدادها وتهيئتها لتلقي النفخة

النموذجية لولادة عيسى (ع) ، **(مَعَ الرَّاكِعِينَ)** حث على صلاة الجماعة مع حضور النساء في الجماعة والمراسم والاحتفالات مع كامل عفتهن ، وأن يشترك المسؤولون مع الجماهير ولا يعتزلون الناس. **فائدة** : لأن الإهتمام بثقافة النّساء هو إهتمام بثقافة الرّجال والأجيال ، وليس من العدل الإهتمام بالرجال دون النّساء وعندئذٍ لا يكون (الْمُؤْمِنُ كُفْؤُ الْمُؤْمِنَةِ).

**٤٤ –﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**

كل ذلك من قصة مريم وأمها وزكريا ويحيى لم تقرأه في كتاب وإنما هو علم الغيب ووحي من الله على صدق دعوتك يا مُحَمَّد (ص) **(وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)** ما كنت عندهم إذ يختصمون ويتنافسون على كفالة مريم حيث ينتهي إلى الإقتراع إذ يلقون أقلامهم في النهر فإيهم لم يجرف التيار قلمه فهو الكافل ، وقد كان ذلك زكريا النبي والقريب لمريم لتقتبس منه صفات التكامل **(وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ)** يتنازعون من يكفلها منهم ، وهكذا يتنافس القادة على المسؤوليات المهمة.

**٤٥ – ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾**

يبشرك بمولود مبارك يحصل بكلمة الله الإعجازية ، ويحمل رسالة الله للناس ، وكلام الله المبشر به مطابق في الكتب السماوية السابقة عليه **(اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)** اسمه عيسى ولقبه المسيح بمعنى المبارك **(وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)** سيداً ومعظماً فيها في الدنيا بالنبوة ، ووجيهاً في الآخرة بالشفاعة وسيكون **(وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ)** عند الله تعالى.

**٤٦ – ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**

ويكلم الناس وهو طفل في المهد ويكلمهم وهو كهل من غير تفاوت في الإعجاز والكلام البليغ ، وأنّه سيعيش حتى يبلغ سن الكهولة وينزل عليه الوحي ، لكونه مدعوماً بالوحي وهو من أعظم المعجزات ، **فائدة** : **١–** قال مجاهد **قالت مريم** : إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته ، فإذا شغلني عنه إنسان يسبح في بطني وأنا أسمع. **٢–** والكهل قيل أربعون سنة إلى الخمسين وما قبلها شباب وما بعدها شيخوخة **(وَمِنْ الصَّالِحِينَ)** وذكر من الصالحين بعد ذكر الأوصاف المتقدمة ، دليل على أنه كون الإنسان صالحاً من أعظم المنازل ، لأنه لابد أن يأتي بسبل التكامل ، وهي من أفعال سلامة القلوب والجوارح وتألق الروح وتسامي الأخلاق في الأقوال والأفعال وفي السرّ والعلانية.

٤٧ – ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

تذهل مريم لخبر الوحي أن يكون لها ولد ولم يمسسها إنسان ، فتتساءل عن هذه الحالة الإعجازية الخارجة عن المألوف والمعروف ، فأجابها الوحي (**قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) هكذا أمر الله لا تحده حدود ولا قيود ولا يعجزه شيء لأنه مالك كل شيء، إذا أراد شيئاً حصل بسرعة من غير تأخير ولا حاجة إلى سبب ، كما للإنسان بحاجة إلى سبب ، فإنه يقول له كن فيكون ، إنها تصوير لكمال قدرته وسرعة حدوثها وسهولة إنجازها بلا فاصلة زمنية ولا تدرج.

٤٨ – ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾

(**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ**)كل كتاب منزل على إطلاق معناه، يعني يعلمه كتاب منزل ويعلمه الكتابة والخط بالقلم بالإلهام والوحي ، وكان أحسن الناس خطاً في زمانه (**وَالْحِكْمَةَ**) مَلَكَة خاصة تدل على تسامي النفس وتزكيتها واستقامتها في الفكر والقول والعمل ، فتضع الأمور في مواضعها الصحيحة ومعرفة الصواب وإتباعه وفيها خير كثير أكبر من الوصف (**وَالتَّوْرَاةَ**) كتاب موسى (ع) وكان المسيح عليماً بالتوراة ويبين أسرارها لقومه ويحتج عليهم بنصوصها (**وَالإِنْجِيلَ**) كتاب عيسى (ع).

٤٩ – ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

(**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**) ويعّده الله تعالى للقدوة والقيادة فيبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل بالخصوص دون غيرهم (**أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**) مكنني الله تعالى بمعجزات خارقة غير مألوفة وغير معروفة سابقاً تثبت صدقي (**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**) أصنع لكم طيراً من الطين (**فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ**) طيراً حياً بإذن الله وهذه المعجزة الأولى (**وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ**) **الأَكْمَهَ** : أشفي الذي ولد أعمى كما أشفي المصاب بالبرص وهو مرض جلدي فيه بياض منفّر وهذه المعجزة الثانية ، وهي علاج الأمراض المستعصية (**وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ**) وقدرته وكرر اللفظ (**بِإِذْنِ اللَّهِ**) تأكيداً على عدم استقلاليته في ذلك دفعاً لتوهم الألوهية وهذه المعجزة الثالثة (**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**) وأخبركم بالمغيبات من أحوالكم الخاصة ، فكان يخبر الشخص بما أكل وما إدخّر في بيته وهذه المعجزة الرابعة (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً**

**لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** كل هذه المعجزات الخارقات عن العادة علامة واضحة على صدق نبوتي إن كنتم مصدقين بآيات الله.

**فائدة: ١-** جرت سنَّةُ الله أن تكون معجزة كل نبي من جنس ما إشتهر به زمنه ، ففي زمن عيسى (ع) كان الطب متقدماً ، وفي زمن موسى (ع) كان السحر منتشراً. **٢- سؤال : هل معاجز الأنبياء تعني الولاية التكوينية ؟ الجواب (باختصار)** : كل المعاجز تحصل بإذن الله ، وكل شيء ممكن بإذن الله، ويحصل بالكيفية التي يريدها الله تعالى (وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن) ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ التكوير/٢٩ ، **أما الولاية التكوينية** إنه مفهوم معاصر عليه خلاف بين العلماء ، وهو بمعنى أن الله فوض للأنبياء (ع) أمر التصرف في الكون بقدرة ذاتية ، وأصبحوا وكلاء عن الله ، وهذا خلاف القرآن ، والذين قالوا بهذه الولاية ، يجب أن تكون الولاية (بإذن الله) قلنا لهم ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ النمل/٦٤ ، والقرآن يصرح : ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨، ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ آل عمران/١٥٤ ، ﴿**بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً**﴾ الرعد/٣١، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ السجدة/٥. ﴿**وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ إبراهيم/١١ ، ﴿**قُلْ ءاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ يونس/٥٩ ، وغيرها **عن الإمام الرضا** (ع) : (اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ الْذِيْنَ إِدَّعُوْا لَنَاْ مَاْ لَيْس لَنَاْ بِحَقٍّ ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ الْذِيْنَ قَاْلُوْاْ فِيْنَاْ مَاْ لَمْ نَقُلْهُ فِيْ أَنْفُسِنَاْ.. اللَّهُمَّ إِنَّاْ عَبِيْدُكَ لاَ نَمْلِكُ لأَنْفُسِنَاْ نَفْعاً وَلاَ ضَرَّاً وَلاَ مَوْتَاً وَلاَ حَيَاْةً وَلاَ نُشُوْرَاً ، اللَّهُمَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّاْ أَرْبَاْبٌ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرْاءٌ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَيْنَاْ الْخَلْقُ وَعَلَيْنَاْ الرِّزْقُ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرْاءٌ..) البحار٢٥/٢٧٣، **وقال الشيخ الصدوق في رسالة الإعتقاد** : (إعتقادنا في **الغلاة** (وهم المتجاوزون الحدَّ في الولاء والمتطرفون في الانتماء والإتّباع) **والمفوّضة** : (وهم يعتقدون أنّ الله فوّض الخلق والرزق والكون والكائنات بيد أناس معينين) يقول الصدوق **(الغلاة والمفوّضة:** أَنَّهُمْ كُفَّاْرٌ بِاللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ، وَأَنَّهُمْ شَرٌّ مِنَ الْيَهُوْدِ وَالنَّصَاْرِى وَالْمَجُوْسِ وَمِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاْءِ الْمُضِلَّة) البحار٢٥ص٢٧٣، لأنهم صغّروا الله عزّ وجلّ الخالق وعظّموا المخلوق المرزوق ، وأعطوا صفات الخالق الخاصة للمخلوق مهما كان موقعه عند الله فهو ممن تؤلمه البقة وتنتنه العرقة وتخنقه الشهقة ، كقوله : ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ النساء/١٧١ ، **وعن النبي (ص)** : (يَاْ عَلِيُّ مَثَلُكَ فِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَثَلِ عِيْسَى بِنْ مَرْيَمَ أَحَبَّهُ قَوْمٌ فَأَفْرَطُوْاْ فِيْهِ ، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ فَأَفْرَطُوْاْ فِيْهِ) فنزل قوله : ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ الزخرف/٥٧ البحار٢٥/٢٨٤، **عن الإمام الرضا** (ع) (مَنْ تَجَاْوَزَ بِأَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ (ع) الْعُبُوْدِيَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنَ الضَّاْلِّيْنَ) البحار٢٥/٢٧٤.

**٥٠ – ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾**

بعث الله تعالى عيسى (ع) إلى بني إسرائيل ليكمل رسالة موسى (ع) فهو مؤيد لرسالة موسى(ع) عالماً بها(**وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**) لأرفع عنكم بعض التضييقات التي فرضت عليكم عقوبة على عنادكم وبشكل مؤقت، مثل لحوم الإبل وبعض الطيور والحيتان وبعض أنواع السمك (**وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**) وجئتكم بالدلائل القاطعة من الله ربكم ، وذلك لعلاج النفسية اليهودية المعقدة التي طال عليها الأمد على التمرد والعصيان فقست قلوبهم وغرقت نفوسهم في المادة فأراد أن يستنقذها من مستنقع المادة فقال (**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**) خافوا الله وأطيعوا أمري (فكُلُّ مَنْ خَافَ مِنْ أَحَدٍ هَرَبَ مِنْهُ ، وَمَنْ خَافَ مِنَ اللهِ هَرَبَ إِلَيْهِ وَتَقَرَّبَ مِنْهُ) لأنّه خوف هيبة ورغبة ومحبة، وليس خوف رهبة ورعب **في غرر الحكم**: (إِذَا خِفْتَ الْخَالِقَ فَرَرْتَ إِلَيْهِ، إِذَا خِفْتَ الْمَخْلُوقَ فَرَرْتَ مِنْهُ)!.

**٥١ – ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾**

(**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**) أنا وأنتم سواء في العبودية لله جل في علاه (**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**) فإن تقوى الله هي الطريق المستقيم. **فائدة : ١–** (فمن إتقى الله وقاه ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن شكر الله جزاه ومن نسي الله نساه) من رحمته. **٢– (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)** الاستقامة طريق السلامة والكرامة بلا أية ندامة ولاملامة ، لأن الاستقامة أقصر الطرق إلى رضوان الله تعالى وأسهلها. **٣– في غرر الحكم**: (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْعُبُودِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُوُلِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ! وبمقدار العبودية تكون العبادة ، وبمقدار العبادة نهتدي إلى الصراط المستقيم.

**٥٢ – ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**

كان اليهود قبل ميلاد عيسى يؤمنون بالمسيح ، فلما جاءهم بالبينات والمعجزات إختلفوا فيه فآمن به المستضعفون وكفر به المستكبرون الأغنياء خوفاً على امتيازاتهم (**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ**) والعناد ولاقى منهم الشدائد والأذى فأرادوا قتله (**قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**) أين المؤمنون الذين ينصرون دين الله ويحامون عنه؟

(**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ**) وهم صفوة رجال عيسى (ع) وخاصته لصفاء قلوبهم ونقاء سرائرهم وهم إثنا عشر (**نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**) أنصار دينه ورسوله ﴿**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ محمد/٧ (**آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) من التسليم والخضوع، أي مستسلمون لأمر الله منقادون لمنهجه، وهذا دليل على أن الإسلام دين الله على لسان كل نبي ، لأنهم يدعون الناس إلى التسليم لمنهج الله وتوحيد الله وإن اختلف الأنبياء في بعض صوره وأشكاله وأحكامه وأعماله ﴿**إِنَّ الدِّينَ**

**عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾** آل عمران/١٩ ، **﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ﴾** الحج/٧٨ ، **في نهج البلاغة حكم٣٧١:** (لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلاَمِ) ، **في غرر الحكم:** (ظَاْهِرُ الإِسْلاَمِ مُشْرِقٌ وَبَاْطِنُهُ مُوْنِقٌ). **فائدة** : وهذا دليل على أن إسلام القرآن هو دين الله الأصيل الثابت وهناك إسلام الحديث والرواية والسيرة ، وهذا الإسلام دخل فيه ما ليس فيه ، **إذن** : هناك **إسلام القرآن و إسلام الحديث** (أو) **(إسلام آية وإسلام رواية)** فلابد أن يرجع المتغيّر إلى الثابت، القرآن هو الثابت المحفوظ ، والحديث هو المتغيّر ، فلابد أن يرجع كلُّ حديث إلى القرآن فما وافقه فخذوه وما خالفه فإضربوا به عرض الحائط ، فالنبي وآله (ع) يصرحون : إِنَّنَاْ لاَ نَقُوْلُ شَيْئَاً يُخَاْلِفُ الْقُرْآنَ. **إذن** : لابد أن تكون ثقافتنا تعتمد القرآن الكريم فهو كالمصفاة الذي ينقّي كل ما فيها من شوائب وانحرافات وخرافات وغلو ، والقرآن هو الذي يحثك على اعتماد السنة والعترة **﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** النساء/٨٠ ، **﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** الشورى/٢٣.

**٥٣ - ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾**

هذا تضرع إلى الله وعرض لحالهم عليه بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار صدقهم **(وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ)** وفي ذكرهم الإتباع بعد الإيمان دليل على أن إيمانهم مقترن بأعمالهم ، لأن الإيمان والعلم يستلزمان العمل **(فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)** في جملة المؤهلين للشهادة مع الأنبياء والأولياء الذين يشهدون يوم القيامة على أعمال أممهم الحسنة والسيئة لنفوز كما فازوا.

**٥٤ - ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**

**المَكَرَ** : تدبير خفي وصرف الغير عما يقصده بحيلة ، أغلب استعماله في التدبير السيء وإن كان يستعمل في الحسن والسيء معاً ، فيكون المكر حراماً إذا قصدت به الإضرار بالغير وحلال إذا قصدت به دفع الضرر عن نفسك أو غيرك. **المعنى** : أرادوا قتل عيسى (ع) منقذهم ، بتدبير لئيم خفي وأراد الله نجاته بتدبير جميل نقي ، عبدي (أَنْتَ تُرِيْدُ وَأَنَاْ أُرِيْدُ وَاللهُ يَفْعَلُ مَاْ يُرِيْدُ) **(وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** أي خير من يعاقب الماكر الغادر بما يستحق من عقوبة ، فنجاه الله من شرهم ورفعه إلى السماء ، وألقى شبهه على الخائن يهوذا الذي حرض على قتله وهكذا **﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾** فاطر/٤٣، **في غرر الحكم:** (مِنْ أَعْظَمِ الْمَكْرِ تَحْسِيْنُ الشَّرِ)، **عن الإمام علي (ع)** (مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ) البحار٧٧ص٢١١، **﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾** الأعراف/٩٩.

**٥٥ - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**

بعد أن عزم اليهود (التي صفتهم الكفر والشر والغدر) على قتل عيسى ودبروا الأمر لقتله ظلماً وعدواناً، بشره الله بنجاته منهم ولن يقتلوه بل يتوفاه الله حين إنتهاء أجله وفاة طبيعية ، **(مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)** وإنه سبحانه يرفعه روحاً وجسداً وينقله إلى عالم النجاة والأمان والنعيم **(وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا)** بإبعاده عنهم وخلاصه منهم ، وهكذا من لا يليق به الحق يليق به الباطل ، والذي لا ينفعه الهدى تضره الضلالة ، والذي لا ينفعه اليقين يضره الشك **(وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** وجاعل الذين إتبعوك قولاً وعملاً واستقاموا على منهجك ، فوق الذين مكروا بك وكذبوك وقد يراد فوقهم بالحجة والبرهان والطاعة لله وحسن الأخلاق والقرب من الحق والبعد عن الباطل. وقد يراد أن النصارى الذين إتبعوه هم فوق اليهود بالعزة والنصر والعدد والسلطان والسيطرة إلى يوم القيامة ، فاليهود أذلاء إذا قيسوا بالنصارى ، وإن ما هم عليه الآن مايسمى بدويلة إسرائيل المستقلة المغتصبة (الغدة السرطانية) الضارة وأينما يحلّوا يضرّوا ، إنما كانت بفضل النصارى المتصهينين ولولاهم لبقوا أذلاء مشردين محتقرين في كل بلد ، وهذه آية واحدة من آيات الإعجاز ومن تنبؤات القرآن الغيبية ، وهذا معنى قوله تعالى **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ﴾** آل عمران/١١٢ ، **(ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾** الأعراف/٢٩ ، تعودون إلى الله ليحكم بينكم وحكمه عدل وفصل **﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾** الرعد/٤١.

**فائدة : (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ)** المراد ممن إتبعه الطائفة التي آمنت بعيسى (ع) ونصرهم الله على من انحرف عن دينه من المسيحيين ، وكذلك نصر الله المسلمين فكانوا مؤيدي عيسى وأتباعه حقاً ، حتى أظهر الله الإسلام على الدين كله **(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** بمعنى سوف يكون للمسلمين والنصارى واليهود (المؤمنين منهم) أتباع وأنصار إلى يوم القيامة ويكونون فوق الذين كفروا كقوله **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** التوبة/٣٣ ، وعندما ينزل عيسى من السماء ويصلي خلف الإمام المهدي (ع) ليتعاون المسيحيون مع المسلمين لقتال الصهاينة المجرمين مصدر الفتن والمحن في كل بلاد العالم **﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾** التوبة/١٢.

**٥٦ – ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**

أما الكافرون بنبوتك المخالفون لمنهجك المستقيم فإني أعذبهم عذاباً شديداً **(في الدنيا)** بالذل والهوان والانكسار وكراهية الناس لهم وفشلهم في سياساتهم التوسعية ، بعد إمهال الله لهم كثيراً ودعمهم من قبل الدول الاستكبارية ، ولكنّ الله يسخر لهم عباداً مقاومين **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** الفتح/٢٩ ، ويجعلهم فوقهم ويكسرون كبرياءهم كما في قوله تعالى : **﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ**

**عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾** الإسراء/٥ ، **(وَالآخِرَةِ)** بعذاب النار وبئس المصير **(وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)** وما لهم من شفيع ولا معين عند حلول العذاب بساحتهم وهو قضاء حاسم وجازم وقاصم.

**٥٧ – ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**

وأما المؤمنون الذين صدقوا في ظروف الشدة ولم يقصّروا في عمل الصالحات فيعطيهم جزاءهم الذي يستحقونه كاملاً غير منقوص ، ويكون الجزاء من جنس العمل ، وهكذا (الَّذِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ) والْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ **(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** **﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** يوسف/٢٣ ، **في نهج البلاغة خطبة١٥١:** (أَقْدَمُوْا عَلَى اللهِ مَظْلُوْمِيْنَ وَلاَ تَقْدَمُوْا عَلَيْهِ ظَالِمِيْنَ) ، وإن الله لا يرضى لعباده الظلم ، وَمَنْ ظَلَمَ كُرِهَتْ أَيَّامهُ، وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُ، وَقَسَى قَلْبُهُ، وَسَاءَتْ عَاقِبَتُهُ ! **في غرر الحكم:** (الظُّلْمُ أُمُّ الرَّذَائِلِ، يَزِلُّ الْقَدَمِ، وَيَسْلِبُ النِّعَمْ، وَيُهْلِكُ الأُمَمَ).

**٥٨ – ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾**

هذه الأنباء التي نقصها عليك يا مُحَمّد لتعرف بها سنن الماضين لتكون عبرة للباقين **(مِنْ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ)** من آيات القرآن الكريم المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وخالٍ من كلِ هزلٍ أو باطلٍ أو خرافة ، والقيادة الناجحة قاعدتها العلم والعمل والحكمة ، **في نهج البلاغة حكم٣١٣:** (فِيْ الْقُرْآنِ نَبَأُ مَاْ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَاْ بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ).

**٥٩ – ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**

اعتقد النصارى بألوهية عيسى أو كونه إبناً لله لأنه ولد من غير أب ، فإحتج القرآن عليهم بآدم (ع) وهم لا يدّعون له ما يدعونه لعيسى (ع) وقد خلقه الله من تراب وأراد له أن يكون فكان بشراً سوياً ، وأمر آدم أعجب من أمر عيسى (ع) فإذا كانت ولادة عيسى بلا أب دليلاً على ألوهيته ، فآدم أولى منه بذلك لأنه خلق بلا أب ولا أم.

**٦٠ – ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**

إن ما أنزلناه عليك بشأن عيسى المسيح المبارك أمر بالحق ومن الحق ويهدف إصابة الحق ولا يعتريه الشك ، فلا تتردد فيه وتنزه عن الشك. الخطاب للنبي (ص) ومعناه للأمة ، **بمعنى** : دم على يقينك يا مُحَمّد (ص) واطمئنانك بالحق وترفّعك عن الشك فيه ، وهذا يدعونا ألا يؤثر على حقنا كثرة المنكرين ودعايات المغرضين وأموال المشككين. **فائدة: (فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)** الشاكين ، لا يشك النبي (ص) بوحي ربه ، لأن الشك ينافي الإيمان والعصمة ، وإنما جاء هذا النهي عن الشك للنبي مع كونه معصوم من باب التذكير والتوجيه والعبرة للنّاس **في غرر الحكم:** (الاِعْتِبَاْرُ يُفِيْدُ الْعِصْمَةَ) والعصمة ليست غريزة في الأنبياء (ع) بحيث يستحيل عليهم المعصية بحسب الطبيعة

البشرية ولهم القدرة على المعصية ، وإلاّ لم يكن لهم فضل ولم يكونوا قدوة ولأصبحوا مجبورين على الاستقامة كالملائكة ، وإنما يستحيل صدور المعصية منهم ، لأنهم أصبحت العصمة عندهم ملكة وقدرة ذاتية فتساموا عن المعصية وكرهوا المنكر كما يكره الإنسان القذارة ، فيصح والحال هذه أن يوجه الله تعالى لنبيه النهي بهذا الاعتبار ، وهكذا نفهم النواهي الكثيرة في القرآن للحبيب المصطفى محمّد (ص) كقوله ﴿**وَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ الأحزاب/١.

**٦١ – ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**

**تسمى آية المباهلة ، حَاجَّكَ** : جادلك ، **نَبْتَهِلْ** : من الإبتهال وهو نتضرع في الدعاء وطلب من الله أن يلعن الكاذب ، واللعن يؤدي إلى الهلاك. **المعنى** : فمن جادلك في أمر عيسى بعد أن وضح لك الحق واستبان (**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**) وهنا جاءت الروايات الصحيحة من مصادر المسلمين عامة لتؤكد أنه (ص) لم يُخرج للمباهلة سوى أهل بيته (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم (**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**) الحسن والحسين (ع) (**وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ**) فاطمة الزهراء (ع) سيدة نساء العالمين (**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**) نفس النبي الشريفة مع علي (ع) وهما من نفس واحدة موحدة متحدة ، **عن النبي** (ص) : (أَنَاْ وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاْحِدَةٍ، وَبَاْقِيْ النَّاْسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى) مجمع البيان٢/٣٨٠، (**ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**) نتضرع إلى الله ونقول : اللهم إلعن الكاذب منا في شأن عيسى ، فلما دعاهم إلى المباهلة الحاسمة امتنعوا وأعطوا الجزية بعد أن رأوا أنه أحضر أهله دون قومه فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألت الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ، وهنا قبلوا الجزية ! يقول الزمخشري وغيره : **وفيه دليل** : لا شيء أقوى منه على فضل أهل الكساء (أهل البيت) (ع) فقال النبي (ص): (وَالْذِيْ نَفْسِيَ بَيَدِهِ لَوْ تَبَاْهَلُوْاْ لَمُسِخُوْاْ قِرَدَةً وَخَنَاْزِيْرَ وَلاِضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَاْدِيْ نَاْرًا) مجمع البيان٢/٣٧٨. **وفي صحيح مسلم:** أن رسول الله (ص) خرج وعليه كساء فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ الأحزاب/٣٣، وبعد هذه المباهلة أعلن كثير من الناس إسلامهم وظهر إيمانهم وسلّموا تسليماً.

**فائدة: (أَبْنَاءَنَا)** بصيغة الجمع والمقصود الحسن والحسين (ع) **(وَنِسَاءَنَا)** بصيغة الجمع والمقصود فاطمة (ع) **(وَأَنْفُسَنَا)** بصيغة الجمع والمقصود علي (ع) وهذا يدل على زيادة التكريم والإحترام والفضل ، وأنهم امتداد الرسول (ص) وحملة الرسالة من بعده وأمناء على تبليغها. **عن النبي (ص)** في حديث متواتر : (إِنِّيْ تَرَكْتُ فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَاْبُ اللهِ وَعِتْرَتِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ مَاْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَاْ لَنْ تَضِلُّوْاْ

بَعْدِيَ وَإِنَّهُمَاْ لَنْ يَفْتَرِقَاْ حَتَّى يَرِدَاْ عَلَيَّ الْحَوْضَ) كنز العمال خبر٨٧٠، **وعنه (ص)**: (إِنَّمَاْ مَثَلُ أَهْلُ بَيْتِي فِيْكُمْ كَمَثَلِ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ مَنْ رَكِبَهَاْ نَجَاْ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَاْ هَلَكَ) كنز العمال خبر٣٤١٦٩.

**٦٢ – ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

وقال تعالى ﴿**فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ الأعراف/١٧٦ ، **المعنى** : الذي قصصته عليك في شأن عيسى ومريم هو الحق ، والحق يعلو ولا يُعلى عليه ، لا ما يدعيه النصارى واليهود (**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ**) التوحيد الخالص في الفكر والقول والعمل ، وهذا رد على النصارى الذين يقولون إنَّ الله ثالث ثلاثة (**وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) ذو العزة الذي لا يغالبه أحد ، وذو حكمة لا يساويه أحد.

**٦٣ – ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾**

فإن أعرضوا عن التوحيد مع البراهين الساطعة واستمروا على عنادهم فلا يليق بهم الحق ، فإقطع كلامك عنهم وفوّض أمرهم إلى الله فإنهم ينشدون الإفساد وهدم قواعد الدين القويم والله عليم بهم ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ، وَأَكِيدُ كَيْداً ، فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً**﴾ الطارق/١٥-١٧ ، ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ آل عمران/٨٥.

**٦٤ – ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** **كَلِمَةٍ سَوَاءٍ** : كلمة متساوية مشتركة بين الطرفين لا إختلاف فيها ، كلمة عادلة فيها إنصاف من بعضنا لبعض ، ولا ميل فيها ولا تطرُّف لأحد على صاحبه وهي (كلمة الإتفاق). وهي دعوة وقاعدة عامة لكل حوار علمي أن (تَبْدَأُ مَعَهُ مِنْ حَيْثُ يُحِبُّ ، حَتَّى تَنْتَهِيْ مِنْ حَيْثُ تُحِبُّ !).

**المعنى**: قل يا أيها اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة سواء كلمة وفاق ومسائل نتساوى في فهمها والإهتمام بها ، كلمة متفقين عليها (مواضيع لا خلاف عليها) نحن وأنتم ولا نشك فيها إطلاقاً ، لأنها أنزلت في التوراة والإنجيل والقرآن وهي كلمة التوحيد الخالص ، ونؤجل التي فيها خلاف. (**أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**) نوحده بالعبادة ونخلص له الدين ، ولا نجعل غيره شريكاً في استحقاق العبادة (**وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**) ولا يعبد الناس بعضكم بعضاً ولا يعلو بعضكم على بعض ، والتذلل له وكأنما يعبده ويطيعه طاعة عمياء فهو بمثابة إتخاذه رباً يُعبد من دون الله ، ورفع له واستعلاء عن التساوي الإنساني **عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاْطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس) بحار الأنوار٧٢/٢٦٤، ويكون على حساب حرية الآخرين وبطلان لفطرتكم وكرامتكم وانهدام لبشريتكم ، وهذا الخضوع الذليل خلاف كرامة الإنسان وهو منهي عنه ، فلا ينبغي

للمؤمن أن يذل نفسه **في غرر الحكم**: (لاَ تَكُونَنَّ عَبْدَ غَيْرِكَ فَقَدْ جعلَكَ اللهُ حُرّاً) بينما العبودية لله حرية في الأرض وتزكية للنفس واستقامة في السلوك **في غرر الحكم**: (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْحُرِّيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أَحْكَامِ الْحُرِّيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ)، **وفيه أيضاً**: (الْحُرُّ حُرٌّ وَلَوْ مَسَّهُ الضُّرُ ، وَالْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاْعَدَهُ الْقَدَرُ) لذلك أصبحت من أفضل العبادات تهذيب العادات وتحسين الخُلُق.

**سبب نزول الآية** : قال عدي بن حاتم الطائي ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال النبي (ص) : (أَمَاْ كَاْنُوْاْ يُحِلُّوْنَ لَكُمْ وَيُحَرِّمُوْنَ فَتَأْخُذُوْنَ بِقَوْلِهِمْ ؟) فقال نعم فقال النبي (ص) هُوَ ذَاْكَ تفسير النور١/٥١١. **في الآية دلالة** : على أن الحق يجب إتباعه من أيِّ وعاءٍ خرج ، من غير اعتبار بالقلة والكثرة، **في نهج البلاغة خطبة٢٠١**: (لاَ تَسْتَوْحِشُوْاْ طَرِيْقَ الهُدى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ) **(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** فإن أعرضوا عن الإسلام وعاندوا فقولوا لهم **(بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** من التسليم والخضوع/ أي مستسلمون لأمر الله، موحدون من دونكم (أيها الضالون) مخلصون لله وحده عبادتنا وديننا. **فائدة**: **(فَإِنْ تَوَلَّوْا)** كقوله ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ الأنعام/٧٠، **في غرر الحكم**: (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ !) وهكذا خاطب رسول الله (ص) هرقل ملك الروم : (أَسْلِمْ تَسْلَمْ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ) الأمثل٢/٤٠٧، وهكذا خاطب الرسول (ص) ملوك العالم بهذه القوة وإلقاء الحجة البالغة والدعوة لا تزال فتية كقوله ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ سبأ/٢٤ ، هذا الأسلوب المرن في الحوار والنقاش الموضوعي فهو من خصائص العالم الواثق بعلمه ، وكأنه يقول لخصمه إبحث ودقق لتعلم أي الفريقين أهدى سبيلاً ، ويدع تحديد المهتدي منهما والضال ويترك المسألة للتفكير السليم والتدبير الحكيم وبهدوء وحجة وبرهان وحسن بيان وكقوله : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ النحل/١٢٥ ، الذي يناظر بالأسلوب الأحسن وهو الأحسن الذي يعتمد ثلاثة شروط مهمة **(بالحكمة)** الحجة المحكمة **(وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)** هي الموعظة المؤثرة الناجحة والصادقة النوايا **(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** أي بالرفق واللين كقوله ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ طه/٤٤.

**٦٥ –** ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾

يا معشر اليهود والنصارى لِمَ تجادلون في إبراهيم وتزعمون أنه على دينكم وكل طائفة تضمه لنفسها فكذبهم الله بمنطق العقل والبديهة قال **(وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)** نزلت التوراة بعد إبراهيم بألف سنة ونزل الإنجيل بعد إبراهيم بألفي سنة ، فكيف يكون إبراهيم

يهودياً أو نصرانياً ، فأين العقل الذي يفكر ؟ **عن الصادق** (ع) : (تَفكُّرِ سَاْعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَاْدَةِ سَنَةٍ) البحار ٣٢٦/٧١، ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ الرعد/١٩.

**٦٦ – ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**

هَاأَنْتُمْ جادلتم في المسيحية واليهودية كما هي في علمكم واعتقادكم ، فالنصارى تجادل اليهود في بعثة موسى ونبوته، واليهود تجادل النصارى وتبطل ألوهية عيسى (ع) وأنه إبن الله وهو ثالث ثلاثة (الله والإبن وروح القدس) (**فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**) وهو دين إبراهيم ، وما لكم ودين إبراهيم وأنتم لا تسيرون على دينه ، تكلموا عن أنفسكم واعتقادكم وتثبتوا من صحته **في نهج البلاغة خطبة١٥٤**: (العامل بَغَيْرِ علم كَالسَّاْئِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاَّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ!). **فائدة** : ينهى القرآن الكريم عن الجدل المذموم ، لأنه عقيم ويدور في حلقة مفرغة ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ غافر/٤ ، **عن النبي (ص)**: (مَاْ ضَلَّ قَوْمٌ إِلاَّ أَوْتَقُوْاْ الْجَدَلَ) البحار١٣٨/٢، (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**) حقيقة إبراهيم (ع).

**٦٧ – ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**

لأنه كان نبياً قبل ملة اليهود والنصارى بأمد طويل (**وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً**) **الحَنِيف** : الذي ترك العقائد الزائفة وثبت على الإسلام **والمسلم** : الموحّد الذي أسلم وجهه لله وأخلص له (**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) لم يشرك بالله طرفة عين أبداً. **فائدة** : فدين الله الواحد هو (**الإسلام**) عند كلِّ الأنبياء (ع) فالإسلام بمعناه العام والشامل هو تسليم الوجه لله والاستسلام لأمره والخضوع لمنهجه والطاعة لشريعته ، أما (**الإسلام الخاص**) والخالص هو إسلام محمّد (ص) ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ آل عمران/١٩، **في نهج البلاغة خطبة١٦٧**: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)، وهو إسلام الشهادتين. **عن النبي (ص)** : (الْمُسْلِمُ أَخُوْ الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَشْتِمُهُ، وَلاَ يَخُوْنُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ) كنز العمال خبر٧٤٥، ٧٤٧.

**٦٨ – ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾**

أحق الناس بالانتساب إلى دين إبراهيم الحنيف الذين استجابوا دعوته في زمانه وفي كل زمان ومكان (**وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا**) إنهم حملوا الإسلام الخالص والتسليم الصحيح لدين الله القيم فانطلقوا في سلَّم التقدم الحضاري في مسيرة تكاملية تصاعدية واعية (**وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**) وكان الله ناصراً كل مؤمن عبر التأريخ ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ النساء/١٤١ ، **في نهج البلاغة حكم٩٦**: (إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ (ص) مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ (نسبه)، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ (ص) مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ).

**٦٩ – ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**

رغبت جماعة من أهل الكتاب أن تعمل دعايات مغرضة مشككة في معتقدات المسلمين لإضلالهم عن سبيل الله ، كما تعمل الأحزاب والجماعات المختلفة المنحرفة عن الإسلام في هذا العصر على نفس الغرض بأساليب متنوعة ، وهذا هو الغزو الثقافي الجديد والخطير **(وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ)** جملة حالية جيء بها للدلالة على رسوخ إيمان المخاطبين ، وتعود هذه الحملة التشكيكية المغرضة وبالها عليهم ، حيث أنهم يقتلون بذرة الإصلاح في نفوس هؤلاء ضحايا التشكيك ويلوثون فطرتهم ونتائجها سلبية عليهم في مستقبل الأيام **(وَمَا يَشْعُرُونَ)** أنهم لا يضلّون إلاّ أنفسهم ويحملون أثقالاً مع أثقالهم، **عن النبي (ص)**: (مَنْ سَنَّ سُنَّة سَيِّئَةً فعَلَيْهِ وِزْرهَاْ (إثمها) وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَاْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ) البحار ٧١/٢٥٨، **عن النبي (ص)**: (تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاْءَ لَيْلُهَاْ كَنَهَاْرِهَاْ لاَ يَزِيْغُ بَعْدَهَاْ إِلَى غَيْرِهَاْ إِلاَّ هَاْلِكٌ) روح البيان ٢/٤٨، كقوله **﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾** مريم/٧٥.

**٧٠ – ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾**

تنديد بتعصب أهل الكتاب ، إنهم يكفرون بالإسلام ونبوة مُحَمَّد (ص) وصدق القرآن وهم يعلمون حقيقة بأن مُحَمَّداً نبي بشرت به الأديان السابقة ولكن تكتمون الحق وتجادلون بالباطل ، و(الجِدَاْلُ فِيْ الْبَدِيْهِيَّاْتِ مِنْ أَشْكَلِ الْمُشْكِلاَتِ) (والكفر بالله) أشمل وأشد من الكفر بآيات الله ، حيث الكفر بالله شامل والكفر بآيات الله كفر جزئي.

**٧١ – ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

**تَلْبِسُونَ** : تخلطون. لِمَ تجعلون الحق باطلاً ؟ والباطل حقاً لتشوشوا الحقيقة وتشككوا في الدين القويم وتضلون الناس عن سبيل الله ، أما يكفيكم ضلال أنفسكم ؟ **(وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ)** بغياً وعدواناً **(وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** بأنكم كاذبون **﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** آل عمران/٧٨ ، وهو عتاب للجميع لرضا بعضهم بفعال البعض الآخر من المنحرفين ، في الحديث (السَّاْكِتُ عَنْ الْحَقِّ شَيْطَاْنٌ أَخْرَسْ) تفسير الكاشف ٥/٣٢. **فائدة** : وهكذا الدس واللبس حصل في كل الأديان ، إنهم دسوا ولبسوا في التأريخ الإسلامي، ودسوا ولبسوا في الحديث الشريف فتفرقت الناس إلى مذاهب ، ودسوا ولبسوا في تفسير القرآن ولكن الله تعالى حفظ القرآن كنص **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** الحجر/٩ ودسوا ولبسوا في رجال الحديث وفي العقائد وهكذا.. وما يزال هذا الكيد قائماً ولكن بألوان مختلفة وبأساليب فنية تنطلي على البسطاء فإنهم يخلطون السُمَّ بالعسل ويشوهون الحقائق ويشيعون الفساد ويعرضونه إلى الناس على أنه تقدُّم وتطوُّر ولاسيما بوسائل الإعلام المتنوعة المرئية والمسموعة والمقروءة.

**٧٢ – ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**

تشير الآية بظاهرها إلى خدعة ماكرة أخرى إتفق عليها جماعة من أهل الكتاب ، وذلك بدسهم بعض أتباعهم ليدخلوا في عداد المؤمنين في مطلع النهار **(وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ)** ويرتدوا عنه في آخره، عسى أن يقع بعض ضعاف العقول من المسلمين في التشكيك ويخلقون البلبلة والإضطراب بينهم **(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** لعلهم بزرع الشكوك يتراجعون عن دينهم ولم ينتشر الإسلام ، ولا تزال هذه الخدع المضللة تبتكر وتتطوّر حتى هذا اليوم، فلا تغفلوا عنهم فليس بمغفول عنكم. (الْغَفْلَةُ مِنْ فَسَادِ الْحِسْ) فإحذروا من الإختراقات في صفوف المسلمين.

**٧٣ – ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**

قال بعض أهل الكتاب لبعضهم : ولا تثقوا بمن لا يتبع دينكم ، لا تفشوا أسراركم إلاّ لأمثالكم ، ولا تثقوا بأحد إلاّ إذا كان على دينكم ، وهذا شأن الاعتقادات الباطنية المرفوضة في القرآن كقوله **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** المائدة/٦٧ ، القرآن يدعو إلى نشر الرسالة وفتح مدارس لتعليمها وهكذا كل رسالات السماء **(قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ)** الهداية هدف أساس في رسالات السماء ، وغاية سعي كل مؤمن ؛ وأهم نعمة من الله والله يهدي من يشاء ويريد الهداية من أي دين كان ، والقرآن كله كتاب هداية **والهداية** : دلالة على الشيء المقصود وتشمل كل شؤون الحياة، وتتنوع مقادير الهداية بحسب اختلاف مقادير الناس وتنوع مستوياتهم وعقولهم وإيمانهم **﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾** الأعلى/٣ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ اهْتَدَى بِهُدَى اللهِ أَرْشَدَهُ) ، فلا هدى إلاّ إلى هدى الله ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ لأنه ثابت الإيمان، والهداية مائدة مفتوحة لكل من هو مؤهل لها ، والجملة اعتراضية ، ثم ذكر تعالى بعد ذلك الاعتراض بقية كلام اليهود فقال **(أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ)** أي يقول اليهود بعضهم لبعض لا تصدقوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، وأنظروا فيمن إدعى النبوة فإن كان متبعاً لدينكم فصدقوه وإلاّ فكذبوه ، ولا تعترفوا لأحد بالنبوة إلاّ إذا كان على دينكم ، خشية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وخشية أن يحاجوكم به عند ربكم ، فإذا أقررتم بنبوة مُحَّد (ص) ولم تدخلوا في دينه تكون له الحجة عليكم يوم القيامة ، وغرضهم نفي النبوة عن مُحَّد (ص) ، **(قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)** قل إن الفضل كله بيد الله ولاسيما فضل النبوة ، فالله يختار لرسالته من هو كفؤ لها سواء أكان إسرائيلياً أم عربياً **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** الأنعام/١٢٤ ، **(وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** والله واسع النعم ويعلم من هو أهل لها.

**٧٤ – ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**

**(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ)** فهو سبحانه حكيم ويتصرف بحكمة بالغة ، فهو يختص بالنبوة من يشاء ممن له مؤهلات خاصة تتناسب مع هذه المسؤولية الكبيرة ويختص من عباده من يراه جديراً برحمته كقوله ﴿**يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾ الإنسان/٣١ ، **(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)** وفضل الله مطلق بلا حدود ، **في غرر الحكم:** (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ).

**٧٥ – ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

المقصود بِقِنطَار هنا الكثرة ومن الدينار القلة. **المعنى** : وصف قرآني واقعي لحالة أهل الكتاب من هو غاية في الأمانة ، إنك لو ائتمنته على المال مهما يكن كثيراً يؤده كاملاً غير منقوص **(وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ)** ومنهم من هو عكس ذلك لا يؤتمن على دينار واحد **(إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً)** وإذا أداه فإنما بالأتعاب والمشقات وتلح عليه وتقاضيه ولو بالقوة يؤديه **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)** **الأُمِّيِّينَ** : العرب وكل الذين ليسوا على دينهم. **السَبِيل** : المؤاخذة والذنب ، استحلَّ أهل الكتاب أموال الأميين ، لأنهم زعموا بأن الله لا يحاسبهم على هذا الإغتصاب وأخذ الربا منهم وهضم حقوقهم استكباراً من أنفسهم واستصغاراً للآخرين وينسبون ذلك الكذب إلى الله وهم يعلمون أنّه كذب **(وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** وهم يكذبون عن عمد وتصميم ويعلمون أن الله لا يرضى الاعتداء على حقوق الناس وهو من أعظم الجرائم وأقبح الافتراءات. **فائدة** : **عن الرسول** (ص) : (لاَ تَنْظُرُوْا إِلَى كَثْرَةِ صَلاَتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ ، وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوْفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ ، وَلَكِنْ أُنْظُرُوْا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيْثِ وَأَدَاءِ الأَمَاْنَةِ) البحار٧١ص٩ ولو كانوا فساقاً ، أنظروا إلى معاملاتهم مع الناس، **في غرر الحكم:** (التَّبَجُّحُ بِالْمَعَاْصِيْ أَقْبَحُ مِنْ رُكُوْبِهَا) ، **عن الإمام الصادق (ع) في حقوق الأخوان** : (مَنْ عَظَّمَ دِيْنَ اللهِ عَظَّمَ حَقَّ إِخْوَاْنِهِ ، مَنْ اِسْتَخَفَّ بِدِيْنِهِ اِسْتَخَفَّ بِإِخْوَاْنِهِ) البحار٣٠٢/٧٤.

**٧٦ – ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**

علاقة الآية بما قبلها **(بَلَى)** عليكم في الأميين سبيل ، هم مسؤولون ومعاقبون على الاستهانة بأمانات الناس غير اليهود والاستخفاف بحقوقهم. **المعنى** إن الله يحب الوفاء بالعهد والوعد والعقد مع كل الناس لأنها من علامات المتقين والله يحب المتقين. **فائدة** : دلت الآية على تعظيم أمر الوفاء بالعهد لتعظيم أمر الله والشفقة على عباد الله، والوفاء بالعهد مشتمل عليهما معاً ، **عن النبي** (ص) : (حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الإِيْمَاْنِ) البحار١٥١/٧٧، **وعنه** (ص): (لا إيمان لِمَنْ لا أمان له، لاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) المراغي١٩٢/٣، **أما التقوى** : فإنها وقاية من الذنوب والعيوب واستقامة في الفكر

والقول والعمل، وفيها رضا الله وحُسنُ الخُلق وورع ذاتي عن المحارم وإن فيها مفتاح الصلاح ومصباح النجاة، في غرر الحكم: (مَاْ أَصْلَحَ الدِّيْنُ كَالتَّقْوَى).

**٧٧ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

الذين يستبدلون بالعهد والوعد والعقد الذي عقدوه ، **وعهد الله** معنى عام يشمل كل ما أمر الله به، وفرضه الإنسان على نفسه **(وَأَيْمَانِهِمْ)** القسم بالله الكاذب **(ثَمَناً قَلِيلاً)** مقابل متاع الحياة الدنيا من جاه أو مال أو منصب وكل متاع الدنيا قليل ، **(أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ)** ليس لهم حظ ولا نصيب من رحمة الله تعالى في الآخرة وهناك (لاَ يُنْجِيْ عَمَلٌ مِنْ دُوْنِ رَحْمَةٍ) **(وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** يهملهم ويعرض عنهم ، ولا ينظر إليهم بعناية ورحمة يوم يقوم الناس لرب العالمين بل يوكل أمرهم إلى ملائكة العذاب **(وَلا يُزَكِّيهِمْ)** ولا يطهرهم من الذنوب والعيوب كناية عن غضبه وسخطه **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** موجع. **عن النبي** (ص) : (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِيْنٍ يَقْتَطِعُ بِهَاْ مَاْلَ أَخِيْهِ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَاْنٌ) ، فأنزل الله هذه الآية مجمع البيان٢/٣٩٨. **فائدة** : كل هذا التهديد والوعيد في الآية تتجلى أهمية الوفاء **(بِعَهْدِ اللَّهِ)** والإيمان بتشريعاته وجعلها نموذجاً لحياة حضارية متقدمة ، وكذلك أهمية الوفاء بالعهد بين الناس ، والعمل بمقتضى القسم الشرعي والأيمان المغلظة وذلك لإشاعة روح الثقة لكل مجتمع ناهض همته على قدر مهمته. **عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيَاً قَطُّ إِلاَّ بِصِدْقِ الْحَدِيْثِ وَأَدَاْءِ الأَمَاْنَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاْجِرِ) البحار٧١ص٢. **تدلنا الآية والحديث** : أن الإسلام يرتبط بالأخلاق مباشرة، **عن النبي (ص)** (الإسلام حُسنُ الخُلُق) كنز العمال خبر٥٢١٥ويرتبط بالعبادات التي تقترن بالمعاملات ، ويرتبط الوفاء بالعهد مع الناس بمثابة وفاء العهد مع الله ، وكلها من أجل حفظ مصالح الناس.

**٧٨ – ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

**يَلْوُونَ** : من اللي وهو اللف والفتل ، والمراد أنهم يفتلون ألسنتهم لينطقوا الآيات بشكل محرف ليوهموا النّاس أن الكتاب جاء بهذا. **المعنى** : وإن من اليهود طائفة مخادعة مراوغة يفتلون ألسنتهم لتحريف معاني الكتاب وتبديل كلام الله بعيداً عن المراد منه **(لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ)** لتظنوا ان هذا المحرّف من كلام الله وما هو إلاّ تضليل وخداع وإبتداع **(وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** وينسبون ما يبتدعونه إلى الله وهو كذب على الله ، وما قالوه ليس فيه شيء من عند الله **(وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ)** الصريح **(وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** ذلك الكذب والافتراء. **فائدة** : **١–** ورد أنهم كانوا يبدلون صفة النبي (ص) الموجودة في التوراة بكلمات مخادعة

لا تنطبق عليه ، ثم ينسبونها إلى التوراة كذباً وافتراءً متعمداً وقحاً على الله سبحانه. **٢–** آفة رجال الدين حين يكونون رجال دنيا فيكونون خطراً على الدين وعلى المتدينين ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ كَمَا أَدْخَلُوهُ فِيهِ ، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ زَالَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ!) البحار٢/١٠٥.

**٧٩ – ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾**

يتجه القرآن الكريم هنا إلى النصارى ويكشف تحريفاتهم العقائدية ، مؤكداً أن الإنسان الذي يؤتيه الله الكتاب الهادي والحكمة والنبوة فيصل إلى كمال العلم والإيمان ، مثل هذا الإنسان لا يمكن أن ينحرف عن رسالته **(ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ)** ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون عبادة الله ، إن الذي يختاره الله سبحانه لرسالته عن علم **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** الأنعام/١٢٤، **﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** الدخان/٣٢ ، وهذا ردٌّ على من يلصق بالأنبياء والأولياء صفة من صفات الربوبية أو **الغلو فيهم** ، **عن الإمام الصادق** (ع) **كان رسول الله (ص) يقول:** (لاَ تَرْفَعُوُنِيْ فَوْقَ حَقِّيْ فَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَنِيْ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيَاً) ثم تلا هذه الآية، نور الثقلين١/٣٥٧ **وعن الإمام علي** (ع): (يَهْلَكُ فِيَّ إِثْنَاْنِ وَلاَ ذَنْبَ لِيَ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ، وإنا لنبرأ إلى الله تعالى ممن يغلو فينا فرفعنا فوق حَدِّنا، كبراءة عيسى بن مريم (ع) من النصارى) نور الثقلين١/٣٥٨ **والغلو** منهي عنه في القرآن **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** المائدة/٧٧ ، **وعن الإمام الصادق** (ع): (إِحْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمُ الْغُلاَةَ لاَ يُفْسِدُوهُمْ فَإِنَّ الْغُلاَةَ شَرُّ خَلْقِ اللهِ وَيُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ وَيَدَّعُوْنَ الرُّبُوْبِيَّةَ لِعِبَاْدِ اللهِ ، وَاللهِ إِنَّ الْغُلاَةَ لَشَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَاْرَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْاْ)! البحار٢٥/٢٦٦ راجعوا أحاديث **(الغلو)** الخطيرة والكثيرة في مصادر الحديث للتوسعة، **والغلو:** حالة من الضلال الخطير وهو تجاوز الحد المعقول في القناعات المفرطة في دين الله، وهو التطرف والتعصب في الحب والبغض والمغالي لا يعرف كيف يحب ولا يعرف كيف يبغض **﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ﴾** آل عمران/٧٨ ، **(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)** الرباني المنسوب إلى طاعة الرب والعالم برسالته والمحافظ عليها والعامل بها والصادق معها والمضحي من أجلها والداعية لها ، والرباني يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ، ويجعلونهم ربانيين مستقيمين في سلوكهم ، كما يقال رجل إلهي إذا كان مقبلاً على معرفة الإله والانقطاع في طاعته **(بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)** فبعِلّم الكتاب ودراسته وتعليمه والعمل به والصدق معه يكون الإنسان ربانياً و(الْعِلْمُ مَقْرُوْنٌ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَاْبَهُ وَإِلاَّ إِرْتَحَلَ عَنْهُ) البحار٢ص٣٣

وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرف التعليم والعمل به على دراسة العلم دون تعليمه لأنه (لاَ خَيْرَ فِيْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ)

**في غرر الحكم:** (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَالٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ).

**٨٠ – ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**

النبي على إطلاق معناه هو النموذج للإنسان الرباني الذي يقتدى به ، ولا يمكن أن يدعو الناس إلى إتخاذ الملائكة والأنبياء أرباباً يُعبدون من دون الله **(أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** كيف يأمركم بعبادة غير الله فإنها كفر، بعد أن كان الناس مسلمين بالفطرة ، وركز الأنبياء روح التوحيد والتسليم لمنهج الله في البشرية. **فائدة** : وبهذا يرفض القرآن الكريم الإتباع الأعمى من إنسان لإنسان، فالإسلام خلّص البشرية من عبادة الأصنام الحجرية كما خلّصهم من عبادة الأصنام البشرية ، كما خلصهم من أية عبادة لغير الله عز وجل ، فإن العبودية لله حرية في الأرض وكرامة للإنسان وتقدم في الحياة وسعادة في الدارين ، والعبودية لغير الله خسارة بكل المقاييس ، **في غرر الحكم:** (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُوْلِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ! على قدر العبودية تكون الرحمة ويكون رضا الله.

**٨١ – ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**

**المِيثَاق:** العهد الموثَّق المؤكد. **إِصْرِي:** والإصر هو العهد الثقيل لأنه ثقل على صاحبه فلا يتهاون فيما إلتزمه وعاهد عليه. **المعنى:** في إطار تنزيه الأنبياء من دعاوى أهل الكتاب بنسبة الإلوهية والتفرد لهم ، يرسم القرآن الكريم هذا المشهد العظيم حيث أخذ الله الميثاق والعهد المؤكد من النبيين **(لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ)** لهداية البشرية **(ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ)** ثم جاء بعد النبيين رسول من الله ، وهنا عمم الأنبياء وخصص رسول من الله لعظمته ولأهميته والتمهيد لظهوره وهو سيد المرسلين وخاتم النبيين مُحَمَّد (ص) حيث عيسى بشر به **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾** الصف/٦ ، **عن الإمام علي (ع)** في آية البشارة : (مَاْ بَعَثَ اللهُ نَبِياً إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ (ص) وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ فِيْهِ بِأَنْ يُؤْمِنُوْا بِهِ وَيُنَاْصِرُوْهُ إِذَاْ أَدْرَكُوْا زَمَاْنَهُ) التفسير المبين ص٧٦، وتكون النصرة علامة الإيمان **(قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا)** أأعترفتم بهذا الميثاق وأخذتم عليه الإصر (العهد) الثقيل المؤكد قالوا إعترفنا **(قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** قال الله **(فَاشْهَدُوا)** على أممكم والله وملائكته وأنبياؤه يشهدون على أخذ هذا الميثاق الغليظ على رؤوساء الأديان ، ومع ذلك حرّف وخالف أحبار اليهود والنصارى.

٨٢ – ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

**(فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ)** وأعرض ونكث عهده وخالف ميثاقه **(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** هم الخارجون عن طاعة الله. **فائدة** : **١–** تتجلى نظرة الإسلام إلى الأنبياء في وحدة واحدة موحدة متحدة ، بينهم تعدد أدوار ووحدة هدف ، ولا تعصب بينهم ولا أنانية ، بل عملية رسالية ربانية متواصلة تقود البشرية إلى هداية ربها واستقامتها في الفكر والقول والعمل والسعي على نهضتها حضارياً ، كل الأنبياء يهدفون بناء الإنسان الرسالي أولاً ثم بناء الآلة والصناعة والتطور الحديث ثانياً، (وليس العكس) بناء الآلة والصناعات قبل استقامة الإنسان كما هو عليه الآن ! **٢–** تشير الآية إلى أن دين الله يوحّد ولا يفرّق ، **عن النبي (ص)** : (بَشِّرُوْا وَلاَ تُنَفِّرُوْا ، يَسِّرُوْا وَلاَ تُعَسِّرُوْا ، حَبِّبُوْا وَلاَ تُكَرِّهُوْا). **٣–** إصرار الآية على أخذ الميثاق من الأنبياء وأممهم على التوالي لاجتناب التفرق والتنازع والتعصب بين الأمم.

٨٣ – ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

الإستفهام للإنكار ، دين الله واحد موحد متّحد مع جميع الأنبياء (ع) ، وهو دين كل الكائنات في العالم لذلك دين الله دين الإنسان في العالم ، ودستور الحياة للبشرية جمعاء **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾** يوسف/١٠٤، إنها صورة عميقة للإسلام ودقيقة في المعنى ورقيقة في المغزى والدلالة ، إنها صورة كونية تأخذ بالمشاعر وصورة تشريعية تحرك الضمائر وصورة نظامية تأخذ بالقلوب إلى إرتباط نظام الفرد بنظام الكون بوحدة هدف مع إختلاف الأدوار ، وصورة متحركة ترد الأشياء والأحياء إلى سنن واحدة وشريعة الله واحدة ومصير واحد **(وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)** الذي أخلص وانقاد وخضع واستسلم لله تعالى كل المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وفي كل زمان ومكان طوعاً وكرهاً كلهم أسلموا لله إسلاماً تكوينياً **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾** الأنعام/١٨ ، إذن فَلْتُسلّم الإنسانية أمرها لله خالقها وإنها كادحة إليه كدحاً فتلاقيه ، فعليها أن تنقاد لله وتسلم وجهها له سبحانه في القوانين التشريعية وعليها أن تستعد لهذا اللقاء الحاسم الجازم ولترجع إليه سبحانه في تنظيم حياتها في عمرها المحدود ، كما عليها تنظيم حياتها في عمرها الممدود اللامحدود الخالد يوم القيامة ، فلا ينفرد الإنسان بنظام من صنع نفسه ، فإنه لا يتناسق مع ذلك النظام الكوني الضخم ولا ينسجم مع فطرته السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فيحتار ويقلق ويأرق ويشقى **﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾** الجن/١٧ ، **﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ﴾** الشعراء/٢١٣.

٨٤ – ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

مما يلفت النظر في التعبير القرآني البلاغي أنه قدم وخصص **(وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا)** على **(مَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ)** بمعنى قدم القرآن الكريم وفضله على جميع ما جاء به سائر الرسل وأحفاد الأنبياء وهم **(الأَسْبَاطِ)** **(وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ)** لأنهم في وحدة هدف وغاية سامية ، وإن اختلفت الأدوار والأساليب والأسباب بينهم، وليعلن الجميع **(وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)** خاضعون لله بقولنا وفعلنا مستسلمون بقلوبنا وجوارحنا لمنهج الله ، في رخائنا وشدتنا ، في ضعفنا وقوتنا ، في صغرنا وكبرنا ، فهذا الإقرار بالإسلام له مغزاه البعيد المتحرك الدائم ، حتى لا يشتبه بعض الناس أن الإسلام مجرد كلمة تقال باللسان ولاتستقر في القلب ولا تصدقها الجوارح والأعمال والأقوال. **فائدة** : إفتتحت الآية بالإيمان العملي ، وإختتمت بالإسلام الخالص وهو الاستسلام لأمر الله والخضوع لمنهج الله ، وهكذا تقترن النظرية الإسلامية بقواعدها العملية ، وهي الثمرة والغاية من كل دين أرسل به نبي.

**٨٥ - ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**

**وَمَنْ يَبْتَغِ** : يطلب شريعة غير الإسلام **﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** الروم/٣٠ ، ليدين به فلن يقبله الله منه لأنّه ذهب إلى ربّه ودينه هواه ومُناه فهو سائر على غير هدى كالسائر على غير الطريق الصحيح لايزيده سرعة السير إلاّ بُعداً عن الصواب ، **في نهج البلاغة خطبة١٩٨**: (إِنَّ هَذَا الإِسْلاَمَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ واصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَهَدَمَ أركان الضلالة بركنه) ، **في نهج البلاغة حكم٣٧١** (لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلاَمِ) فهو يعلو ولا يُعلى عليه ، ظاهره أنيق دقيق جذاب ، باطنه عميق رقيق منساب ، أعدّه الله عز وجل ليكون دين البشرية جمعاء **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** التوبة/٣٣، الإسلام دين الله الذي يدين به الكون والكائنات والحياة والأحياء كلها إسلام الاستسلام لأمر الله وخضوع للنظام الذي قرره الله له ودبره به واستقام الكون على ضوئه ، إذن ليس هو إسلام المظاهر وإنما إسلام الجواهر والمضامين ، وليس هو إسلام القول والإدّعاء وإنما هو إسلام العمل والقول من خلال العمل بحيث لا يسبق القول العمل ، ولا يختلف العمل عن القول حتى تتحقق بذلك منازل الإيمان ، وليس هو إسلام التنازع والتباغض ، وإنما هو إسلام وحدة الطاعة لله سبحانه والورع عن محارمه ، وليس هو إسلام التخلّف والتأخر ، وإنما هو إسلام التطور والتقدم الحضاري بحيث يسبق كل تطوّر معاصر حتى يعدّه الله ليكون (ذكر للعالمين) ودستور الناس أجمعين. **في نهج البلاغة خطبة١٦١**: (..أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمْ

كَبْوَتُهُ (عثرته)). فأما الذين يعرضون عن هذا الإسلام العالمي المؤثر في الضمائر ومُحيي المشاعر ومنقذ البشرية فهم (**فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**) **عن النبي** (ص) (الْخَاسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَاْدِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩.

**فائدة:** فإبراهيم (ع) يسأل الله أن يوفقه وأهله وذريته إلى دين الإسلام ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ البقرة/١٢٨ ، فليس المراد (بالإسلام) هو إسلام النبي مُحَمَّد (ص) خاصة ، إذ ليس إسلام مُحَمَّد (ص) غريباً عن الشرائع السماوية التي سبقته بل هو دين الله الخالص وكلّها تعني إسلام القلب لله وإخلاص الوجه له وفي إبراهيم (ع) يقول الله تعالى ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ البقرة/١٣١ ، والخلاف الذي بين الإسلام وبين اليهودية والنصرانية هو نتيجة التحريف الذي حصل في التوراة والإنجيل وإلاّ جاءت جميع الرسل بالإسلام العام بمعنى التسليم لأمر الله.

**في غرر الحكم:** (من أفنى عُمرَهُ في غيرِ ما يُنجِيهُ فَقدْ أضاعَ مطلبَهُ).

٨٦ - ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

الإستفهام يفيد الإستبعاد والإنكار. نزلت في أهل الكتاب ولكن أُريد لها عموم المعنى. **المعنى** : إنّ أهل الكتاب علموا من كتبهم بصدق الرسول (ص) وأحقيّة رسالته ، وعرفوا الإيمان وإطّلعوا عليه وضيّعوا فرص الهداية الثمينة التي أتيحت لهم ، فعاشوا الضلال والعناد (**وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ**) إنهم انحرفوا عن الحق مع توفُّر الدلائل والبراهين ، هؤلاء لا تليق بهم الهداية ، لأن الهداية إلى الإيمان تحتاج إلى قلب سليم تحل مكانه وهؤلاء قست قلوبهم من كثرة ذنوبهم فتعطلت أجهزة الاستقبال عندهم ، إنهم تعاملوا مع القضايا الكبرى المصيرية بأساليب خبيثة ظالمة (**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم ، والظلم يتنافى مع الهداية ، **وفي الآية دلالة** على استعلائهم واستكبارهم لأنهم ارتدّوا بعد إيمانهم ، فكيف ينصف غيره من ظلم نفسه ؟ **في غرر الحكم:** (ظَلَمَ نَفْسَهُ مَنْ عَصَى اللهَ وَأَطَاْعَ الشَّيْطَاْنَ).

٨٧ - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

(**أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ**) الطرد من رحمته ومغفرته (**وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**) ولعنة الملائكة والناس عبارة عن الدعاء عليهم بأن يعذبهم الله ويبعدهم عن عطفه ويطردهم من رحمته ﴿**أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ الأعراف/٤٤. **فائدة : ١- فلسفة اللعن في الإسلام** : جاء اللعن في القرآن الكريم للصفات العامة بلا تحديد ، وليس للأشخاص المعينين ، ليكون اللعن للعمل الذي يستحق اللعن لعامله. **٢-** اللعن في حالة الصفات الخبيثة التي لها طابع عدواني لئيم لا يخص الفرد وإنما الجماعة التي لها تأثير ضار على المجتمع. **٣-** القاعدة العامة يكره الإسلام أن

ينشغل الناس باللعن وجاء اللعن استثناء على القاعدة ، **عن النبي** (ص) : (إِنِّيْ لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) كنز العمال خبر٨١٧٦، **وعنه** (ص) : (لاَ يَكُوْنُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا) كنز العمال خبر٨١٧٨.

**٨٨ – ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾**

خالدين في جهنم لا يفتّر عنهم العذاب **(وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ)** لا يمهلون بل يُعجّل لهم ما يستحقون من العذاب المقيم، عذاب ناتج من غضب الله عليهم لأنهم كانوا مصدر ضرر على الناس.

**٨٩ – ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**

باب التوبة النصوحة مفتوح لهؤلاء الضالين المرتدين كي يعودوا إلى صراط الله المستقيم ويندموا على ما بدر منهم **(وَأَصْلَحُوا)** أنفسهم وسلوكهم ، فالتوبة الصادقة تطهر باطنهم بالإيمان وتغسل ذنوبهم وتفتح لهم آفاق المستقبل السليم لتشملهم رحمة الله ومغفرته. **فائدة : ١–** في الآية دلالة أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف لها العمل الصالح الناتج من إصلاح باطنهم مع أنفسهم وإصلاح معاملاتهم مع الناس. **٢– عن النبي** (ص) : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الدر المنثور١/٢٦١، **عن الإمام الصادق** (ع) : (كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْعَبْدُ وَإِنْ كَانَ عَالِماً فَهُوَ جَاهِلٌ ! حِيْنَ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ فِيْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، فَقَدْ حَكَى اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَ يُوْسُفَ لأِخْوَتِهِ ﴿**هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ يوسف/٨٩ ، فَنَسَبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ لِمُخَاطَرَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى) كنز الدقائق٥ص٣٣.

**٩٠ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾**

إن الذين كفروا بعد ظهور الحق وقيام الحجة الواضحة عليهم **(ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً)** ازدياد الكفر يكون بكثرة الذنوب والعمل على بث الكفر وانتشاره ومحاربة الإيمان والمؤمنين ، ولا سبيل لإصلاحهم أولئك **(لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ)** لأنهم يتوبون توبة مزيفة ، يتظاهرون بالتوبة إلى الناس ولا يتوبون إلى الله ، إنهم تغلغل الشر في نفوسهم وأحتل كيانهم فلا مكان للتوبة النصوح فيها **(وَأُولَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ)** المنحرفون عن الحق المصرون على الفساد في أعمالهم ويتظاهرون بالإيمان في أقوالهم ، فلا تليق بهم الهداية فتليق بهم الغواية والضلال. **فائدة** : كما أن الإيمان قابل للزيادة والنقصان كذلك الكفر قابل للزيادة والنقصان كقوله : ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً**﴾ الفتح/٤ ، ﴿**لِيَزْدَادُوا إِثْماً**﴾ آل عمران/١٧٨.

**٩١ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾**

هذه الآية مع الآيتين السابقتين ذكرت أقسام الكافرين ثلاثة : ١– قسم تاب عن الكفر بصدق ولم يعد إليه ، ٢– وقسم تاب من الكفر توبة كاذبة ورجع إلى الكفر ﴿**ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ آل عمران/٩٠ ، ٣– وهذه الآية الكريمة تتحدث عن القسم الثالث الذين كفروا وماتوا على الكفر مصرين عليه ولم يرجعوا عنه وفاتت التوبة عليهم ولا يليق بهم الصلاح **(فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ)** فدية ضخمة ولو كانت **(مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوْ افْتَدَى بِهِ)** شبه الله بإستعارة تمثيلية

لتقريب المعنى وكأنه صورة حية من الواقع ، لو كانت الأرض كلها مملوءة بالذهب الخالص ويستطيع الكافر أن يفديه يوم أهوال القيامة لتخليص نفسه من سوء المصير الأسود لأفتدى به ! **عن النبي (ص)** : (يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ ، فَيُقَالُ لَهُ : لَقَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ) ، **(أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)** مجمع البيان٢/٤١٣ فلا ناصر من العذاب المؤلم. **فائدة: عن النبي (ص)** : (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اثْنَانِ إِتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ فَأَمَّاْ إِتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّاْ طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ) كنز العمال خبر ٤٣٧٦٤.

**٩٢ – ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**

**الْبِر** : كلمة جامعة لكل صفات الخير على إطلاقه ، لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون، ولن تنالوا ثواب الله ورحمته وعطاه ، ولن ترافقوا غداً الأبرار والأطهار **(حَتَّى تُنْفِقُوا)** في سبيل الله رغبة في رضاه **(مِمَّا تُحِبُّونَ)** بالبذل والعطاء من كل ما يحبه لنفسه يحبه لغيره ، فتكون نفسه ميزاناً في ما بينه وبين الناس فيحب للناس ما يحبه لنفسه ، ويكره للناس ما يكرهه لنفسه ، وكل إنسان ينفق ما يحب من موقعه وبقدره ، **﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾** البقرة/٢٣٦ ، أنفقوا من أنفسكم وراحتكم وجاهكم وعلمكم وإختصاصكم ومواهبكم وأموالكم.. إلخ لكل إنسان حسب وضعه ، أنفقوها في خدمة الفرد وتطور المجتمع حضارياً ، **الآية الكريمة** : ربطت بين نيل المنفق مما يحب وبين الدرجات العليا عند الله تعالى، فإنه بمقدار النفقة الممكنة تكون علو الدرجة، وهذا هو الذي يميز بين الإيمان الصحيح والإيمان المدّعى ، وهذه تربية قرآنية كريمة لتزكية النفس وتطهير الذنوب من الطمع والتعلّق بحب الدنيا ، وفيها حب الإيثار ومحبة الآخرين. **فائدة: ١– عن الإمام علي (ع)** : (لاَ حَاْجَةَ للهِ فِيْمَنْ لَيْسَ للهِ فِيْ مَاْلِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيْبٌ) الكاشف٢/١٠٧ ثم قال : **(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)**) وما تنفقوا من شيء طيب أو سيّء يجازكم عليه كل بقدره ، لأنه كل شيء يعلمه ومحفوظ عنده. **٢–** روي أن علياً (ع) إشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به ! وقال سمعت رسول الله (ص) يقول **(مَنْ آثَرَ عَلَى نَفْسِهِ آثَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ بِاْلجَنَّةِ)** مجمع البيان٢/٤١٤. **٣–** يريد القرآن الكريم في الإنسان أن لا يتعلّق بالأشياء كثيراً فيزداد على تعلقه بالله تعالى كقوله **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** الحديد/٢٢، **عن الإمام الباقر (ع)** : (الْبِرُّ وَصَدَقَةُ السِّرِّ يَنْفِيَاْنِ الْفَقْرَ وَ يَزِيدَاْنِ فِي الْعُمُرِ وَ يَدْفَعَاْنِ عَنْ صَاْحِبِهِمَاْ سَبْعِينَ مِيتَةَ سَوْءٍ) البحار٧٤ص٨١. في الحديث حول الآية (طَرِيْقُ بُلُوْغِ الْبِرِّ هُوَ مُسَاْعَدَةُ الْوَاْلِدَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَاْ ذَلِكَ حَتَّى لَوْ كَاْنَاْ غَيْرَ مُحْتَاْجِيْنَ) نور الثقلين١/٣٦٣. **٤–** حب الدنيا يحرم المرء من بلوغ مقام البر **(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ)**. **٥–** درجة البر تجعل المال والجمال وحسن الحال يملكها الإنسان ولا تملكه لأن درجة البر مدرسة لتربية البشرية نحو حبِّ الله.

# الجزء الرابع من القرآن الكريم

**٩٣ - ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**

**إِسْرَائِيلْ** : هو يعقوب بن إسحاق. لهذه الآية الكريمة قصة خلاصتها : كان اليهود يعتقدون جهلاً بأن لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة في دين إبراهيم ومن جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل ، ولما رأوا مُحَمَّداً (ص) يحللها أذاعوا وأشاعوا بأن مُحَمَّداً يحلل ما حرمه الأنبياء ، فرد الله عليهم بقوله (**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**) ومنه لحوم الإبل وألبانها كان حلاً لبني إسرائيل (**إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**) كان يعقوب قد إمتنع عن بعض الأطعمة من تلقاء نفسه لا بتحريم من الله ، بل ﴿**حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾ يوسف/٦٨ ، (**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) وهذا تحدٍ صارخ لليهود الذين زعموا أن لحم الإبل محرم بنص التوراة فبهت اليهود وانسحبوا خاسئين.

**٩٤ - ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**

(**فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**) فمن اخترع وابتدع على الله الكذب بأساليب فنية متنوعة ، أي بعد ظهور الحجة (**فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**) لأنفسهم ولغيرهم بإصرارهم على الباطل ومخالفتهم للحق الصريح. **فائدة** : وهكذا أبتليت الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان بوضاعين باعوا دينهم بدنيا غيرهم ، وكانوا وعاظ السلاطين، الذين شوهوا جمالية دين الله وانحرفت الناس عن سبيل الله بغير علم.

**٩٥ - ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**

**الحَنِيف** : المستقيم على دين الحق وتارك كلِّ أنواع الضلال ، وبهذه الحنيفية ترسخت شريعة إبراهيم، وبها يثبت دين المؤمن. **المعنى** : (**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ**) فيما أوحي إليّ وكذّبتم أنتم وصدق الله في أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل (**فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**) في إباحة لحوم الإبل وألبانها ، وهو يؤكد أن القرآن كلام الله ، والله أصدق القائلين ، وقد أخبر بأن الإسلام هو امتداد لملة إبراهيم حنيفاً خالصاً من شوائب الشرك والضلالات ، ينبغي إتباع الإسلام وترك الضلالات والانحرافات والخرافات (**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) برّأ الله إبراهيم (ع) أنه على دين اليهود والنصارى.

**٩٦ - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾**

إن أول مسجد بني في الأرض يقصده الناس ويسيرون إليه لعبادة الله عز وجل المسجد الحرام الذي هو بمكة، وبيت المقدس بناه سليمان (ع) بعد إبراهيم بقرون (**لَلَّذِي بِبَكَّةَ**) **بَكَّةَ**: من اسماء مكة، **والبك**: الدفع والناس في مكة لكثرتهم يدفع بعضهم بعضاً في الطواف والصلاة وغيرهما (**مُبَارَكاً**

**وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)** وُضِعَ مباركاً ، كثير البركات والخيرات المعنوية والأخلاقية والعقائدية والأخروية والدنيوية لمن حجه واعتمره ، وهو أيضاً مصدر هداية ونور لأهل الأرض (جَعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِ) في كل انحاء العالم، كقوله (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) إبراهيم/٣٧، لأنه قبلتهم ويعلنون فيه (كَلِمَةُ التَّوْحِيْدِ وَتَوْحِيْدُ الْكَلِمَةِ) وائتلاف الأمة فهم كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلاّ بالتقوى ، وهدى للعالمين بكافة مراتب الهداية من الحضور الذهني والانقطاع الروحي والتلذذ العبادي وهو في ضيافة الله في بيته الحرام وكأنهم في يوم المحشر. وقد حجّ آدم ونوح وسليمان قبل أن يبعث النبي مُحَمَّد (ص).

**٩٧ - ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**

**بيان لمزايا بيت الله الحرام** : فيه عدة آيات وعلامات تدل على أهميته لإتصاله بملة إبراهيم، ١- فيه مقام إبراهيم وهو الحجر الذي كان يقف عليه عند بناء البيت وحين العبادة، ٢- الأمن لمن دخله **(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً)** وهو حكم تشريعي أصبح سنة تأريخية متصلة بإبراهيم (ع) وأقرّها الإسلام ودعا إليها ، ٣- تشريع فريضة الحج وهي من أركان الإسلام ، وهذه المناسك المهمة والضرورية لكل مسلم ، التي بدأت بأذان إبراهيم ودعوته الناس ليأتوا إليه من كل فج عميق ، وإستمرت المناسك عند العرب حتى ظهور الإسلام فهذّبها من الخرافات التي علقت بها ثم أقرّها **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)** والحج هو القصد وهو واجب شرعي ومن أركان الإسلام على المستطيع من حيث القدرة المالية والجسدية ، **وفي الحج أهداف جليلة منها** : تقوية العلاقة مع الله، تركيز توحيده بالطواف حيث الحاج لا يطوف حول حجر وإنما يطوف حول أمر الله في هذا الطواف، وطلب المغفرة والتوبة ، والتضرع بالدعاء، وتتجلى عظمة الإسلام بتركيز مشاعر الوحدة والأخوة والمساواة والتعرف على أوضاع المسلمين ونشر التآلف بينهم **(وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ)** قابل عدم الحج بالكفر تأكيداً لوجوبه وتشديداً لتاركه ، فهو كفر بالفروع نظير الكفر بترك الصلاة والزكاة ، ومن ترك الحج مستخفاً به وجاحداً بوجوبه فهو كافر لأنه ترك ركن من أركان الإسلام ، ومن تركه متهاوناً فهو فاسق ، ومن استغنى عن ضرورة من ضروريات الدين **(فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ)** ولن يضر الله شيئاً فلا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه ، فالخلق يستغنون به ولا يستغنون عنه جلّ في علاه. **فائدة : ١- عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ مَنْ دَخَلَهُ عَارِفَاً بِجَمِيْعِ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ كَاْنَ آمِناً فِيْ الآخِرَةِ مِنَ الْعَذَاْبِ الدَّائِمِ) مجمع البيان٢/٤٢٢.

**٢-** الحج مؤتمر المسلمين السنوي العام دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، فهو تجمع ظاهره أنيق وباطنه عميق ومغزاه بعيد.

**خلاصته:** كيف يرتبط الإنسان بخالقه حتى يعرف قدره ولا يتعدَّ طوره، **في غرر الحكم:** (رَحِمَ اللّهُ إمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ) ، فينظم حياته مع منهج الله فيرتبط بالنظام العالمي التكويني للكون والحياة والأحياء بوحدة واحدة موحدة متحدة ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١ ، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦. **٣- عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ حجة الإسلام، ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق الحج من أجله أو سلطان يمنعه، فَلْيَمُتْ إنْ شَاْءَ يَهُوْدِيَاً أَوْ نَصْرَاْنِيَاً) البحار٩٩ص٢٠ إذا كان مستطيعاً. **٤-** قال (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**) ثم قال (**وَمَنْ كَفَرَ**) قابلت الآية تسويف الحج بالكفر! لأنه أنكر فريضة واجبة، وترك ركن من أهم أركان الإسلام، وتهاون بها واستخف. (**مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**) **معنى الاستطاعة:** القدرة المالية، والإرادة الجسدية، والتهيئة الإمكانية اللازمة على السفر.

**٩٨ -** ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**﴾

توبيخ لأهل الكتاب على كفرهم بآيات الله بتحريفها وكتمانها وإنكار العلامات التي جاء بها النبي مُحَمَّد (ص) والمعروفة عندكم (**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**) والله شاهد على ما تنكرون وتفسدون وهو لكم بالمرصاد وسيجازيكم عليه على قدر ما تستحقون.

**٩٩ -** ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾

**تَصُدُّونَ** على إطلاق معناه : تحرفون. **المعنى** : إنها إشارة ذات دلالة كبيرة. أنَّهم يحرفون الناس ويمنعونهم بأساليب مختلفة مباشرة وغير مباشرة وتقديم صورة مشوهة عن الإسلام وعن سبيل الله المستقيم ، وما عداه طرق معوجّة بكافة معاني الإعوجاج (**تَبْغُونَهَا عِوَجاً**) ، وحين يصدون الناس عن منهج الله ، فإن الأعمال كلها تفقد استقامتها وسلامتها ، وتختل عندهم موازينها الصحيحة ومعاييرها الدقيقة ، فيرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، بل يدعون إلى المنكر وينهون عن المعروف، فلا تجد في مسيرة الحياة إلاّ الإعوجاج الذي لا يستقيم ، عندئذٍ تقلق النفوس وتضطرب القلوب وتحتبس الصدور وإن عاشوا الغنى والثروة ، فلا يشفع عالم المادة (الجسد) إذا فسد عالم الروح! فتنساق الناس إلى عاقبة الخسران ولو بعد حين، فَمَاْ الْفَاْئِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ؟! (**وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) والله شاهد عليهم بفسادهم. (**وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ**) العلماء الضالون هم أساس الفتن والمحن ، لأنهم يعرفون الدين ويحرفونه عن مواضعه فهم عالمون بهذه البشائر وهم ممن يستشهد بهم قومهم في أمورهم الدينية ، فكيف تستغلون ثقتهم بكم لتحرفوهم عن الإسلام الصحيح؟! فإن كان بعض النّاس ينخدعون بوساوسكم ومؤامراتكم لغفلتهم، فإن الله يعلم أسراركم وخفايا أعمالكم وهو لكم بالمرصاد.

**١٠٠ -** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾

تحذير للمؤمنين من إتباع بعض أهل الكتاب (**يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**) يزرعون في نفوسكم الشكوك ويحببون لكم الفساد ويغرونكم بحب الدنيا ويكرهون لكم الدين المستقيم ، التي تؤدي إلى الارتداد والكفر بعد الإيمان ، إنهم يبذلون كل ما في وسعهم من مكر وحيلة لانحراف الأمة عن استقامتها ، وهكذا في عصرنا الحاضر قال المستكبرون : (لم يبق أمامنا عدوٌّ إلاّ الإسلام) ! ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٢.

**١٠١** – ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾إنكار وتعجب. لا ينبغي للمؤمن الواعي أن يتأثر بمثل تلك المؤامرات والدسائس ويتبع سبيل الكافرين في أقوالهم وأفعالهم الضالة المضلة ، وعندنا المناعة والحصانة وهما (الثقلان) ، (كِتَابُ اللهِ وَعِتْرَتِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ مَاْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَاْ لَنْ تَضِلُّوْاْ بَعْدِيَ وَإِنَّهُمَاْ لَنْ يَفْتَرِقَاْ حَتَّى يَرِدَاْ عَلَيَّ الْحَوْضَ) كنز العمال خبر ٨٧٠ وهذا حديث صحيح متواتر.

(**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يَعْتَصِمْ** : يتمسك بقوة ، فإذا سار المسلمون في السبيل الصحيح الذي يحصنهم ويحميهم من جميع الضلالات وهما الثقلان ، فقد إعتصموا بالله وهدوا إلى صراط مستقيم ، وهو منهج الله القيم الذي يعطيهم عوامل الثبات فلن ينحرفوا عن الإسلام في كل الأحوال مهما تكن المحاولات والإغراءات. أما حال المسلمين اليوم في تخاذل وهوان لأنهم تركوا مصدر الحصانة والمناعة وإلتجؤا إلى أعدائهم الملحدين ، وهو ما نهاهم عنه القرآن الكريم فزادوهم رهقاً ، وكانوا عبرة لمن يعتبر ، وأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ كَاْنَ عِبْرَةً لِلنَّاْسِ ! كقوله : ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ آل عمران/٧٣ ،﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ البقرة/١٢٠. **فائدة** : الآية تحذر من عوامل الانحراف ومنهم علماء السوء الذين يبحثون عن المناصب والأموال ويبيعون الدين بالدنيا. **في غرر الحكم:** (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَاْلٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ) ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (الْمَعْصُوْمُ : هُوَ الْمُمْتَنِعُ بِاللهِ عَنْ جَمِيْعِ مَحَاْرِمِ اللهِ ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَاْلَى (**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) نور الثقلين١/٣٧٦. **يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ** : يتوكل على الله ويستقيم على منهجه في جميع الأحوال هو سرُّ الحصانة ضد كلّ انحراف ، **والاعتصام بالشيء** : التمسك والالتزام به والثبات عليه.

**١٠٢** – ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾

إرشاد قرآني بالغ الأهمية خاضع لحكم العقل وتطويع النفس على طاعة الله تعالى المنعم الوحيد على الكون والكائنات ليكون الإنسان سيد الكون والكائنات ويكون أفضل من الملائكة المقربين ، عليه أن يتقي الله وهو هدف الخالق من خلقه (فَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) **في غرر الحكم:** (**التَّقْوَى** : مُنْتَهَى رِضَاْ اللهِ مِنْ عِبَاْدِهِ وَحَاْجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ) ، (**اتَّقُوا اللَّهَ**) كل بحسب قدرته وطاقته ، ولكن المطلوب والمرغوب

أن (**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**) أعلى درجات التقوى لأن التقوى على قدر الإيمان والعلم ، والتقوى تجعل الإنسان يتطلع إلى أفق أبعد ، فيجهد نفسه للتعرف عليه ، وكلما سعى ليكتشفه تكشفت له أشواق وآفاق أرفع مما بلغ وأجمل مما قصد فيكون قلبه متيقضاً فلا يغفُل ، متقياً فلا يضل، فبالغوا في تقوى الله ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦ ، حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً. **عن الإمام الصادق** (ع) **في معنى** (**حَقَّ تُقَاتِهِ**):

(أَنْ يُطَاْعَ فَلاَ يُعْصَى وَيُذْكَرَ فَلاَ يُنْسى وَيُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرُ)نور الثقلين١/٣٧٦، (**وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) هذه الآية الكريمة نظرية عمل نموذجية لمحاسبة النفس، فمن أراد ألا يموت إلاّ مسلماً فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلماً وفي كل حال مسلماً ويمتحن إسلامه دائماً ويراقب سلوكه ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه أحد لئلا يموت وهو غير مسلم أو هناك خلل في إسلامه وضعف في إيمانه ، **عن الإمام علي** (ع) : (الدُّنْيَاْ كُلُّهَاْ جَهْلٌ إِلاَّ مَوَاْضِعُ الْعِلْمِ ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ حُجَّةٌ إِلاَّ مَاْ عُمِلَ بِهِ ، وَالْعَمَلُ كُلُّهُ رِيَاْءٌ إِلاَّ مَاْ كَاْنَ مُخْلِصاً ، وَالإِخْلاَصُ عَلَى خَطَرٍ حَتَّى يَنْظُرَ الْعَبْدُ بِمَاْ يُخْتَمُ لَهُ) نور الثقلين١/٣٧٧، **فائدة: ١-** لا تضلوا عن إسلامكم بالتفرق والتشتت وخلق الفتن المتنوعة بينكم والإنسياق وراء العصبيات الجاهلية. (**وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) يعلمنا الإسلام كيف نحيا سعداء كما ويعلمنا كيف نموت شهداء وَالإِنْسَاْنُ الْذِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ ؟! **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ). **٢-** كل من فعل الواجبات بتمامها وتجنب المحرمات بصغائرها وكبائرها فقد إتقى الله حق تقاته ، ونهى الله عن ترك الإسلام وبالثبات عليه حتى الموت.

**١٠٣ -﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**

بعد وصية القرآن بتقوى الله حق تقانه ، تأتي الوصية الأخرى الاعتصام بحبل الله، **والاعتصام**: التمسك بمنهج الله بوعي. وجاء الاعتصام بعد التقوى للدلالة أن التقوى هي التي ترفع الإنسان إلى مستوى الاعتصام بحبل الله : بدين الإسلام المتمثل (الثَّقَلَيْنِ كِتَاْبُ اللهِ وَعِتْرَتِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ مَاْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَاْ لَنْ تَضِلُّوْاْ بَعْدِيَ أَبَدَا) كنز العمال خبر٨٧٠، الحديث المتواتر الصحيح مما يحقق الوحدة الإسلامية مع وحدة حقوقها ووحدة عقيدتها ، وإن تعددت أدوارها ولكن تتحد أهدافها الشريفة ، وهي حقوق الوحدة الإسلامية التي تسع الجميع ، التي هي أقوى من الرابطة النسبية وأن يعملوا بموجبها ولا يتفرقوا فيتنازعوا وتذهب هيبتهم وقوتهم ويكونون ملل وأحزاب ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا**﴾ الأنفال/٤٦، **عن النبي** (ص): (مَاْ إِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قط بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إِلاّ ما شاء الله!) شرح النهج٥/١٨١ (**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً**) يذكّر الله المسلمين بحالهم وحال آبائهم قبل الإسلام وما كانوا عليه من جاهلية عمياء صمّاء

خرساء تنتشر بينهم العداوة والبغضاء والحروب المدمرة كحرب الأوس والخزرج التي إمتدت ١٢٠ سنة ولما جاء الإسلام ألّف بين قلوبهم فأصبحوا بالإسلام إخواناً متحابين ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٧١، **عن الإمام الصادق** (ع): (الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ عَيْنُهُ وَدَلِيْلُهُ لاَ يَخُوْنُهُ وَلاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَغُشُّهُ وَلاَ يَعِدُهُ عِدَةً فَيُخْلِفُهُ) البحار٧٤/٢٦٨ والمؤمن كثير بأخيه ، والحب بينهم على قدر تقواهم ، لذلك قال (**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**) ولم يقل (فألّف بينكم) وركز على القلوب لأنه إذا صلح القلب صلح الجسد.

**في نهج البلاغة حكم١٤٧**: (إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا) ، (**وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**) كنتم بشرككم بالله كأنّكم على طرف حفرة يوشك أن تنهار بكم في النار ، فليس بين الشرك والهلاك بالنار إلاّ الموت ، فأنقذكم الإسلام منها، وصورة النجاة بعد الخطر مشهد يحرك القلوب والأبصار حول سبل النجاة من كل خطر ، ونحن –المسلمين– الآن في أعماق هذه الحفرة ونحن ندّعي الإسلام والإسلام نجاة من الهلكة ! **عن النبي** (ص): (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَزِلُّوْا وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا) مواهب الرحمن٦/٢٢٨، (**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) آيات الله كثيرة وفضله علينا واسع لو نلتفت إلى دقة هذه الآيات والألطاف الإلهية لنارت أبصار قلوبنا ونشطت الهداية في نفوسنا وثبتنا مستقيمين على منهج الله أقوياء أعزاء في جميع الأحوال.

**١٠٤** – ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(**وَلْتَكُنْ**) أمر يدل على الوجوب ، (**مِنْكُمْ**) من بعضكم. إنها فريضة كفائية واجبة على الكل ، فإن أقامها البعض وكفت سقطت عن الباقين ، ولو تركها الكل أثموا لأنهم خذلوا المؤمنين وأعانوا الظالمين. المخاطب بهذا هم المؤمنون كافة فهم مكلفون بأن ينتخبوا منهم نخبة مؤهلة لهذه المسؤولية الكبيرة ، وذلك بأن يكون لكل فرد منهم قدرة في إنجاحها ومراقبة سيرها وإنجازاتها ومقدار تأثيرها ، وجاء (**وَيَأْمُرُونَ**) بِالْمَعْرُوفِ (**وَيَنْهَوْنَ**) عَنْ الْمُنْكَرِ ، بمعناها العام بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ، والأمر والنهي للدلالة على القدرات والإمكانيات والإختصاصات المتنوعة في الحجة العلمية ، والأسلوب الأخلاقي ، والقدرة على التأثير والإقناع ، ومن مهماتها الرئيسة مراقبة مسيرة الأمة من أي انحراف والقدرة على تقويمه والسيطرة عليه ليصونوا المجتمع من كل فساد الذي ينخره من الداخل ، وهذه خصائص عالية المضامين بحاجة إلى **عدة مؤهلات لإنجازها نذكر منها**: معرفة شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقدرة على تنفيذ هذه الفريضة الضرورية التي تشجّع على الفضيلة وتحارب الرذيلة بإتخاذ أفضل الأساليب الحضارية في الأمر والنهي ، في الترغيب والترهيب ، مع الموعظة الحسنة والمرونة في التعامل والثبات على القيم والمبادئ والأخلاق ، مع العلم

بمعاني المعروف والمنكر بدقة، وهناك مقدمات قبل الأمر والنهي هي النصائح والمواعظ وأساليب التذكير المؤثرة ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الذاريات/٥٥ ، وقال تعالى: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ**﴾ الأعراف/٦٢، والمؤمن غريزته النُصح لأنه من أخلاق الكرام ، أما الموعظة الحسنة فإنها تحيي القلوب وتزيل الغفلة وتقوّي المودّة.

**في غرر الحكم:** (لاَ وَاعِظَ أَبْلَغُ مِنَ النَّصْحِ) ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه أساس الإسلام ويقوّي إرادة المؤمنين ويضعف فساد المفسدين فهو من أفضل الأعمال، **عن الإمام الباقر** (ع): (الأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ خَلْقَانِ مِنْ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ نَصَرَهُمَاْ أَعَزَّهُ اللهُ وَمَنْ خَذَلَهُمَاْ خَذَلَهُ اللهُ) البحار١٠٠ص٧٥، وإذا تعطلت هذه الفريضة الأساسية فاضرارهما خطيرة، **عن النبي** (ص): (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلَتَنْهَنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَاْرُكُمْ ثُمَّ تَدْعُوْنَ فَلاَ يُسْتَجَاْبُ لَكُمْ) المراغي٤/٢٤، (**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) فمن بدأ بالصلاح والنجاح فسوف يؤدي به إلى الفلاح وهذه نتيجة حتمية ، وهكذا (الْذِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأْ ؟) فمن بدأ بتأسيس هذه النخبة الكفوءة المؤهلة لهذه المهمة الكبيرة ، صوناً لأمتهم وحفاظاً على منهج ربهم فإن الله يسلك بهم سبل الفلاح.

**فائدة: ١- في نهج البلاغة خطبة١٢٩:** (لَعَنَ اللهُ الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّاْرِكِينَ لَهُ وَالنَّاْهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَاْمِلِيْنَ بِهِ)، **وعن النبي** (ص): (لا يَزَاْلُ النَّاْسُ بِخَيْرٍ مَاْ أَمَرُوْاْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوْاْ ذَلِكَ نُزِعَتْ مِنْهُمُ الْبَرَكَاْتُ وَسُلِّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَاْصِرٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) وسائل الشيعة١١/٣٩٨. **٢- (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)** المراد **بالخير** هنا الإسلام ، **وبالمعروف:** طاعة الله ، **وبالمنكر:** معصيته، **المعنى:** لابد من وجود جماعة تدعو غير المسلمين إلى الإسلام ، وتدعو المسلمين إلى فهم الإسلام والإلتزام به ، وهذه جماعة مؤهلة صالحة وفالحة في كلّ الأحوال ، وفيها دلالة على وجود حزب منظّم عالي الكفاءة ﴿**أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ المجادلة/٢٢ ، ﴿**فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ المائدة/٥٦

**١٠٥ - ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

تحذير للمسلمين من آفة التفرق والاختلاف المؤدي إلى التنازع والتباغض والتكاره ، فإنها آفة خطيرة وعواقبها مريرة، لذلك أكّد القرآن الكريم الدعوة إلى الوحدة ورصّ الصفوف وبالغ في النهي عن الاختلاف ، فالذين اختلفوا قد تفرقوا باختلاف أفكارهم وقلوبهم وقناعاتهم ولم يكونوا بعضهم أولياء بعض ، وآفة الاختلاف يقطّع نسيج التآلف ويقطع روابط التحابب ، فتختلف القلوب وتتفرق الأفراد إلى جماعات متناحرة ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ المؤمنون/٥٣ ، وقوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) الأنعام/١٥٩ يكفّر ويلعن ويطعن بعضهم بعضاً ، فمن لا

يليق به التآلف يليق به التفرق ، إنهم أبدلوا سعادة الحق بشقاء الضلال وأبدلوا جمال الأخوة بقبح العداوة والبغضاء ، يصفهم القرآن ببلاغته المميزة ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ، وقال تعالى ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ محمد/٢٥ ، **(مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)** وكأن الإنسان لا يؤاخذ على الاختلاف من دون بينة ، ولكن يؤاخذ عليه بعد قيام الحجة، لأن التفرّق والشقاق دافعة نحو الفساد بواسع معانيه ، فلا تصلح أن تدعو إلى الخير والحياة لأنها لا تليق بها الحياة الهادية وإنما تليق بها الحياة الغاوية **(وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** وهذه نتيجة تصلح لتلك المقدمة ، **عن النبي (ص)** : (كُلُّ مَاْ كَاْنَ فِيْ الأُمَمِ السَّاْلِفَةِ فَإِنَّهُ يَكُوْنُ فِي هذِهِ الأُمَّةِ مِثْلُهُ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ.. لَتُنْقَضنَّ عُرَى الإِسْلاَمِ عُرْوَةً عُرْوَةً) تفسير مواهب الرحمن٦/٢٣٢ **وعنه (ص)**: (يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَاْبِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوْاْ بَعْدَكَ إِرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى) المصدر السابق. **فائدة:** ومن حُسْنِ طريقة القرآن إذا أكّد على شيء أو بالغ في التحذير من شيء أو النهي عن اقترافه كان ذلك دليل وقوعه في المستقبل.

**١٠٦ - ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**

**بياض الوجه** : كناية عن سرور المؤمن واستبشاره يوم القيامة ، **وسواد الوجه** : كناية حزن الكافر والفاسق وخوفه من غضب الله عليهما، **عن الإمام علي** (ع): (مَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ) البحار٧٧/٢٩٣. يرد الإنسان يوم القيامة على ما قدمت يداه، **عن النبي** (ص): (يُبْعَثُ كلُّ عبد عَلَى مَاْ مَاْتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) وهكذا ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ الأعراف/٢٩ ، فمن ثقلت موازينه بالحسنات استبشر بالفوز ، ومن خفّت موازينه بالسيئات إشتد حزنه وغمه بسوء العقاب. **(فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ)** وهم الذين فرقهم خبث السرائر وسوء الضمائر فيقال لهم **(أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)** الهمزة للتوبيخ والتعجّب من حال بعض المسلمين لم يستفد من التحذير من خطورة التفرق وإتباع الهوى والضلال وسلك سلوك الكفار **(فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)** وإطلاق الكفر هنا يشمل كفر الجحود وكفر المعصية مع الإيمان بالتكليف وهكذا يفعل الجاهل بنفسه كما يفعل العدو بعدوه. **فائدة** : يوم تبيض وجوه الذين اعتصموا بالقرآن والسنة الصحيحة ، وتسود وجوه الذين تركوهما وأولوهما حسب الهوى وأيضاً **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ)** الذين استقاموا وتعاونوا على البر والتقوى **(وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)** الذين انحرفواوتعاونوا على الإثم والعدوان.

**١٠٧ - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**

وأما الذين ثبتوا على الاستقامة على منهج رهم (مع تحمّل جميع المعاناة) فإن في الاستقامة السلامة والكرامة بلا أية ندامة ولا ملامة (**فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) عبّر عن نعيم الجنة بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلاّ برحمة الله تعالى ، حيث لا ينجي عمل من دون رحمة ، رحمة فيها نعيم مقيم، **في غرر الحكم:** (بِبَذْلِ الرَّحْمَةِ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَةُ).

**١٠٨ - ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾**

يتحدث القرآن الكريم عن آيات الله أنها الحق وتعمل بالحق وتدعو إلى الحق وتذكّر بالثواب والعقاب في الآخرة بالحق، فإنه لا يستقيم على الحق إلاّ من يعرف فضله والحق أحق أن يُتبع ، والحق أقوى ظهير , وأفضل نصير (**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ) والظلم** : وضع الشيء في غيرموضعه ، الظلم ينافي الحكمة والكمال في النظام وفي التشريع (وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إلى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ) والظلم الذي ينفيه الله عن نفسه هو ما ينافي مصلحة العباد وهدايتهم إذاً لا حاجة لله لممارسة الظلم وهو غني عنه وهو يخالف النظام والأحكام ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ آل عمران/٥٧. والله ينهى عباده عن الظلم وجعل الظلم والجهل توأمان ، وهو يخرّبُ القلوب وينغّصُ العيش ويكرّهُ الأيام ، فليس من المعقول أن ينهى عباده عن الظلم وهو يمارسه !

**١٠٩ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾**

والله مالك كل شيء ، وله التصرف فيه كيف يشاء ، وليس في ملكه شيء ناقص حتى يحتاج إلى إتمام فيتممه بظلم غيره لأن الظلم ينافي الحكمة والكمال والجمال والجلال ، فالظالم يعتدي على حقوق الغير لينال حاجة لا يمكنه نيلها إلاّ بالاعتداء ، والله غني عن الظلم ، لأنه غني بذاته وغني بملكه وغني عن غيره (**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**) فهو سبحانه الحاكم بين عباده ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦ ، ومن سواه من المخلوقات محكوم عليها بحكمه ليس لها من الأمر شيء، **عن النبي** (ص) : (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢.

**١١٠ - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**

تكريم للأمة المسلمة بجعلها خير أمم الأرض (الأمة الوسطى) بشرط حملهم للرسالة الخاتمة والدعوة المؤثرة إليها ، ومعرفة الناس منهج الله فيحببونه لأنفسهم عندما يقيمون حياتهم على الإيمان ، ويدعون الآخرين إليه (**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**) والسبب في كونهم خير الأمم لأنهم يتصفون بهذه الصفات التكاملية الثلاثة (تأمرون وتنهون وتؤمنون) وبذلك تتأهلون لخدمة المجتمع الإنساني وقيادته ، فلا تحتجز الخير لنفسها وإنّما تدعو النّاس إليه ، فإذا تركوها سلبوا من أنفسهم صفات عزتهم وتكاملهم وقوتهم ، وقدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان

بالله في الذكر ، مع ان الإيمان مقدّم على كل الطاعات وأساسها ، لأن الأمر والنهي حصن الإيمان وسياجه الحافظ (**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ**) لو آمنوا بالإسلام فإن به السلام والأمان ، وقد آمن منهم القليل وفسق الكثير وخرجوا عن المنطق السليم.

**فائدة: ١-** تعبير (**أُخْرِجَتْ**) في الآية لها دلالات : وكأن قوة مدبرة لطيفة أخرجت هذه الأمة من قمقمها وتخلفها إخراجاً لتنقلها من الظلمات إلى النور وتدفعها إلى الظهور لتحمل صفات مميزة نموذجية ، لتعرف هذه الأمة أنها أخرجت لتكون الطليعة ولها القيادة والقدوة المؤثرة لحمل الرسالة والدعوة إلى الناس أجمعين ، وإذا لم ينهض المسلمون بعبئ هذه القيادة المشرفة ، زالت عنهم مؤهلاتها وأصبحوا في حاجة إلى قائد يأمرهم وينهاهم فيقودهم إلى ما هو عليه! **٢-** في قوله ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾ ال عمران/١٠٤ ، عرضت الآية جماعة خاصة وخالصة ومخلصة ونخبة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بطريقة منظمة وكفوءة ومؤثرة وفي هذه الآية عرضت الأمر والنهي في أحكامها العامة عندما تكون وظيفة جماعية وفريضة إسلامية ، وتتحقق (**خَيْرَ أُمَّة**) بمقدار أمرها ونهيها ، وكلما أحسن نظام الأمر والنهي تحقق حسن الإيمان وبرزت (الأمة الحضارية الفضلى) وأسلوب الطرح المؤثر قبل حجيّة الطرح بحيث بَشِّرُوْا وَلاَ تُنَفِّرُوْا ، حَبِّبُوْا وَلاَ تُكَرِّهُوْا ، يَسِّرُوْا وَلاَ تُعَسِّرُوْا.. **عن النبي (ص):** (إنّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ لم يباعدا رِزْقَاً ولم يُقَرّبا أَجَلاً) البحار١٠٠ص٧٣، **عن الإمام علي (ع)** : (الْيَمِيْنُ وَالشِّمَالُ مُضِلَّةٌ وَالطَّرِيْقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ) البحار٧٨/٣٢٥، وقوله ﴿**وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ الحج/٧٨. **٣- (خَيْرَ أُمَّة)** كنتم في أول ما ظهرتم للناس خير أمة ظهرت لكونكم (تأمرون وتنهون وتعتصمون بحبل الله) متفقين متعاونين على نصرة الإسلام كنفس واحدة ، والمؤمن كثير بأخيه وقوي بوحدة كلمته عزيز بعلمه ، ولو كان أهل الكتاب بهذه الصفة لكان خيراً لهم (**خَيْرَ أُمَّة**) هذه الخيرية لا تثبت لهذه الأمة إلاّ إذا حافظت على هذه الأصول الثلاثة بتمامها، فإذاتركتها لم تكن لها هذه المزية.

**١١١ - ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾**

بشّر الله تعالى المسلمين ، أن أعداءهم لا يستطيعون الإضرار بهم إلاّ بالكلام المؤذي كالسب والدسائس وعرقلة الجهود (**وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمْ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ**) أما في القتال فهم مهزومون نفسياً وأنتم المنتصرون بنصر الله والأقوى معنوياً وإرادياً.

**١١٢ - ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**

**ضُرِبَتْ** : كتبت عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ والانكسار والمطاوعة والإحساس بالحقارة والهزيمة النفسية مهما حاولوا إخفاء ذلك ولن يمكنهم العيش مستقلين ، أدرك الإسلام اليهود وهم يؤدون الجزية إلى المجوس ، وكانوا مشتتين في شرق الأرض وغربها فهم دائماً محكومون وغير حاكمين وتابعون وغير متبوعين **(أَيْنَ مَا ثُقِفُوا)** أي أين ما وجدوا فلا نجاة لهم من صفات الذلة ولا مفر باستثناء **(إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ)** **إِلاَّ بِحَبْلٍ** : بعهد وعقد وسبب من الله بأن يعودوا إلى صراطه المستقيم ويتوبوا من ضلالهم وفسادهم أو يدخلوا مع المسلمين في عهد الله وذمة المسلمين **(وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ)** وسبب من الناس حين يعقدون تحالفاً مع الأقوياء يوفرون لأنفسهم الحماية من الذلة والأمن من المسكنة ، كحبل الولايات المتحدة التي تمد إسرائيل اليوم بالمال والسلاح ويربطون مصيرهم بمصير حلفائهم ، ويبقون يعيشون ذيولاً وأتباعاً لهم ليتخلصوا من هذا الذل ! **(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ)** **وَبَاءُوا** أي رجعوا مستوجبين للغضب الشديد من الله ، وألزمتهم المسكنة من السكون والخزي والفاقة والفقر ، على منطق، **في نهج البلاغة حكم٣٢٧:** (مَاْ ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ بِالإِثْمِ)، **في غرر الحكم:** (الغالِبُ بالشّرِ مَغْلُوبٌ، والمغلوبُ بالحقِ غَالِبٌ) **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)** ذلك الذل والصغار والفساد والوهن والشعور النفسي بحقارة الذات بسبب جحودهم بآيات الله ، وما زالوا يتمادون في الطغيان والعدوان لطبيعتهم العدوانية **(وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)** أنه وصف قتل الأنبياء بغير حق تشديداً وتنكيراً واستهجاناً لهذه الجريمة الشنعاء النكراء لبيان أن قتل كل نبي إنما يكون بالاعتداء عليه بغير حق ولا يمكن أن يقتل نبي ويكون هناك حق وأول من تجرأ على قتل الأنبياء هم اليهود! والذي يجرأ على قتل خير الناس هم شر النّاس! **في نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبدة:** (إِذْاْ كَاْنَتْ الْوَسِيْلَةُ لِظَفَرِكَ بِخَصْمِكَ رُكُوْبُ إِثْمٍ وَإِقْتِرَاْفُ مَعْصِيَةٍ فَإِنَّكَ لَمْ تَظْفَرْ حَيْثُ ظَفَرَتْ بِكَ الْمَعْصِيَةُ) ، **(ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** إنه ما جرأهم على تلك الكبائر إلاّ اعتداؤهم على حقوق الناس وتعديهم لحدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩. **فائدة : ١-** ومن مصاديق قتل الأنبياء وتنوع دلالات معناه **عن الإمام الصادق** (ع) : (وَاللهِ مَاْ قَتَلُوْهُمْ بِأَيْدِيْهِمْ وَلاَ ضَرَبُوْهُمْ بِأَسْيَاْفِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ سَمِعُوْاْ أَحَاْدِيْثَهُمْ (الخاصة السريّة) فَأَذَاْعُوْهَاْ ، فَأُخِذُوْاْ عَلَيْهَاْ فَقُتِلُوْاْ فَصَاْرَ قَتْلاً وَإِعْتِدَاْءً وَمَعْصِيَةً)كنز الدقائق٢/٢٠٣. **٢-** وإن دلّ هذا التكرار والتوكيد بقوله **(وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)** ومرادفاتها ، فإنّه يدل على طبيعتهم الخبيثة الشرسة ويصدر منهم أنواع الجرائم والمآثم ويشعلون الحروب وينشرون الفتن والأحقاد والكراهية بين النّاس على قاعدة (فَرِّقْ تَسُدْ) أما إسرائيل فإنها دولة في الاسم فقط وحقيقتها قاعدة استكبارية تابعة للدول الكبرى كقواعده العسكرية وثكناته العدوانية الموجودة هنا وهناك ، ولابد أن تزول هذه الغدة السرطانية من جسم الأمة الإسلامية ، فإن كان لهم جولة ومهلة ولكن ليس لهم دولة مستقرة ثم بين سبحانه، السبب لذلهم **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ**

**بآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...**) فكان هذا الذل ميراثاً خبيثاً يتوارثونه من جيل إلى جيل ﴿**لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢ ، وهكذا يكون (الْبَلاَءُ عَلَى قَدْرِ الطِّبَاعِ).

**١١٣ –** ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾

ليسوا متساويين في الوصف ليس كل أهل الكتاب في الفساد والضلال (**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ**) مستقيمة عادلة قائمة على أمر الله وثابتة عليه (**يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**) يتهجدون في الليل بتلاوة آيات الله حال الصلاة والسجود خضوعاً لله. **فائدة :١– آنَاءَ اللَّيْلِ : عن الإمام الصادق** (ع) : (عَلَيْكُمْ بِصَلاَةِ اللَّيْلِ فَإِنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ وَدَأْبُ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَكُمْ وَمُطْرِدَةُ الدَّاءِ عَنْ أَجْسَادِكُمْ)علل الشرائع ص٣٦٢. **٢–** وهذا يدل أنّ أية أمة إلاّ وفيها صالحون (وَلَوْ خُلِيَتْ قُلِبَتْ) كقوله ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧ ، وقوله ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ فاطر/٢٤.

**١١٤ –** ﴿**يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾

ومن أهل الكتاب مؤمنون صالحون طيبون يأمرون بالمعروف وبه يأتمرون وينهون عن المنكر وعنه ينتهون (**وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**) لزيادة الرغبة فيها لأن من رغب في أمر سارع إليه (**وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**) من صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم ورضي عنهم ربهم. **فائدة: ١–** يتقدم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر دائماً في السياق القرآني ، وذلك أن أبواب المعروف إذا فتحت أُوصدت أبواب المنكر. **٢–** (**وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**) حيث أمنية كل فرد أن يلحق بهم ﴿**وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ يوسف/١٠١ ، الصالحون يشملهم سلامنا في صلواتنا اليومية الواجبة على الأقل خمس مرات (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين). **٣–** (**وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**) يسارعون جاءت بالفعل المضارع المستمر للدلالة على استمرارية المسارعة على الدوام وليس مرحلياً مؤقتاً **في غرر الحكم**: (عَلَيْكُمْ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ فَتَبَادَرُوهَا، وَلاَ يَكُنْ غَيْرُكُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ) ، ومن فعل الخير تخلّى عن الشر

**١١٥ –** ﴿**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾

**فَلَنْ يُكْفَرُوهُ** : لن يجحدوه ، لن يحرموا جزاءه ولن يضيع أجره عند الله كيف و﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ الرحمن/٦٠ ، (**وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**) هذا إشعار بأن الفائز عند الله هم أهل التقوى ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾ الأنفال/٣٤، **عن النبي** (ص) : (مَنْ رُزِقَ التُّقَى رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) كنز العمال خبر٥٦٤١.

**١١٦ –** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾

كل من خالف منهج الله وعصى أحكام الله وتعدّى حدوده ، لا ينفعه مال ولابنون كافراً كان أو مسلماً، وعليه فالمراد بالكفر هنا عام يشمل الجحود والإنكار والعصيان بعد الإيمان وكل تغطية للنعم والمنعم (**وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) وهكذا الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ ، ويكون جزاءه من جنس عمله. **فائدة** : عن الأموال والأولاد قال تعالى ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى**﴾ سبأ/٣٧ ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ أَقْرَبَ مَاْ يَكُوْنُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ أَنْ يُؤَاْخِيَ الرَّجُلَ عَلَى الدِّيْنِ فَيُحْصِيَ عَلَيْهِ عَثَرَاْتِهِ وَزَلاَّتِهِ لِيُعَنِّفَهُ بِهَاْ يَوْمَاً مَاْ) البحار٧٥/٢١٥.

**١١٧ - ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**

الأَمْثَاْلُ تُضْرَبُ لِلاعْتِبَاْرِ ، **الصر** : البرد الشديد أو الجليد ، **الحرث** : الزرع. **المعنى** : مثل عام لكل غني ظالم لنفسه. إن الذين يجمعون الأموال من هنا وهناك بالحلال والحرام ثم ينفقونها على شهواتهم وأولادهم في الحلال والحرام أو ينفقون من دافع السمعة والرياء والشهرة ، ولا يحسبون لله حساباً ولا ينفقون في سبيل الخير الذي يرضاه الله ولا يعالج الفقر ويقدم المجتمع ، فإن نفقاتهم ليست ذات قيمة أخلاقية في موازين الله ، إن مثل هؤلاء كمثل ريح عاصفة شديدة البرودة والثلج عصفت فأهلكت الزرع والضرع في بستان خصب كثير الخيرات فدمرته عن آخره (**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ**) تشبيه حالهم في كل ما ينفقون بعيداً عن رضا الله ، وإن كان فيه منافع للناس محدودة كحال الريح الشديدة البرد التي تدمر البستان كاملاً ، فهؤلاء لا يستفيدون من نفقاتهم شيئاً كما أن أصحاب البستان لا يستفيدون منها شيئاً **وفي ذلك دلالة** : إن خطايا البشر الكثيرة والمستمرة من أسباب الكوارث الطبيعية كقوله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣. فائدة : يعتبر الإسلام نية المرء خير من عمله ، بل هي أساس لكل عمل وقبل كل عمل ، ولا عمل من دون نية ، لذلك ترفع البركات عند فساد النيات ، **عن النبي** (ص) : (يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاْتِهِمْ) كنز العمال خبر٧٢٤٥، **في غرر الحكم**: (مَنْ سَاْءَ مَقْصَدُهُ سَاْءَ مَوْرِدُهُ)، (**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩، **تدل الاية**: على نفي الظلم عن الله وثبوت الإختيار للإنسان وأن أولئك الضالين جنوا على أنفسهم بأنفسهم ، وَالْجَاْهِلُ يَعْمَلُ بِنَفْسِهِ كَمَاْ يَعْمَلُ الْعَدُوُّ بِعَدُوِّهِ! ويكون الْجَزَاْءُ عَلَى قَدَرِ الأَفْعَاْلِ، **نهج البلاغة خطبة١٥٤**: (العَاْمِلُ بغَيْرِ علم كَاْلسَّاْئِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ) ، **في غرر الحكم**: (مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ كَاْنَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ)، **وفيه أيضاً**: (كَيْفَ يَعْدِلُ فِيْ غَيْرِهِ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟!).

**١١٨ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**

**بطانة الرجل** : خاصته وحاشيته والمؤثرين عليه وتسمى أيضاً الوليجة هوالذي يعرّفه الإنسان أسراره ثقةً به ، وشبِّه في التصاقه بصاحبه ببطانة الثوب. **لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً** : لا يقصرون في مضرتكم وإفساد أموركم ، **وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ** : يتمنون أن تقعوا في أشد المصاعب ، **والعنت** : المشقة. **المعنى** : تحذّر الاية المؤمنين كافة من أعدائهم كافة ، فلا يتخذونهم بطانة ومستشارين وموضع ثقة وخواص لكم من دون المؤمنين ، لأن هؤلاء يخالفونهم في العقيدة وفي النوايا وفي الأهداف وفي الوسائل وينصبون لهم المكائد وينتهزون الفرص للقضاء عليهم **(لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً)** لا يقصرون في مضرتكم ، يجدّون ويجتهدون في إلحاق الشر والضر وإفساد كل أمر عليكم **(وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ)** **العنت** : الضرر يتمنون أن يقع المسلمون في المشقة بخلق الأزمات عليهم **(قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)** في الطعن في دينكم ونبيكم وقرآنكم فقد ظهرت من لحن قولهم وفلتات لسانهم **(وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)** فإن قلوبهم تحمل حقداً أكبر ، فما فاض من البغضاء (رغم كل وسائل الإخفاء) فلت بعضه على ألسنتهم. ولكن بعض المسلمين في الهوية (البسطاء) انطلت عليهم حيل الأعداء وحقدهم عندما أعطوهم من طرف اللسان حلاوة ، ودفعتهم بعض العواطف الساذجة فمنحوهم حباً وثقة ، لا يبادلهم أعداؤهم المنافقون مثلها.

**تعلمنا الآية:** أن نعرف عدونا أولاً ونشخّصه ونحذره ، فلا نتوقع من العدو غير الضرر. **من أجل ذلك حذّر الله:** من بطانة السوء وصديق السوء ومستشار السوء وحاشية السوء.. وأمثالها سواء أكان مسلماً أم غير مسلم **(قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)** فقد آتاكم الله البيان الكافي والدواء الشافي الذي تهتدون بنوره فيميز لكم العدو من الصديق إن كنتم تتفكرون وتتدبرون. **فائدة:** في الحذر من صديق السوء وإعرف أولاً عدوّك ، وصديق عدوك عدوك ، وعدو صديقك عدوك ، **في غرر الحكم:** (إِنَّمَا سُمِّيَ الْعَدُوُ عَدُوّاً لأَنَّهُ يَعْدُوُ عَلَيْكَ (أي يتجاوز) فَمَنْ دَاْهَنَكَ فِي مَعَاْيِبِكَ فَهُوَ الْعَدُوُ) ، **في غرر الحكم:** (إِيَّاْكَ وَمُصَاْحَبَةُ أَهْلِ الْفُسُوُقِ فَإِنَّ الرَّاْضِيَ بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاْخِلِ مَعَهُمْ) ، **وعنه** (ع) : (إِتَّقُوْا مَنْ تَبْغضُهُ قُلُوُبُكُمْ).

**١١٩ - ﴿هَا أَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**

تبدأ الآية بتشخيص نفسية الأعداء وتحليل نواياهم الجهنمية وهو أمر مهم للغاية ، يدل على تصدير الآية بحرف التنبيه **(هَاأَنْتُمْ)** وما يزال القرآن يوجّه ويحذِّر المؤمنين الخطّائين في موالاة الكفّار وإنخداعهم بقوتهم إلى أن يلتفتوا إلى الفارق العقائدي الكبير بينهم وبين عدوهم فلا يصح التعاشر

معهم فكيف لو صار حباً ؟!! إنه حب من طرف واحد ، وهم لا يحبونكم أبداً (**تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ**) إنه حب ساذج مخلخل مبني على الخطأ والضلال ويظهر خطره وضرره ولو بعد حين ، إنكم تريدون لهم النفع وهم يريدون لكم الضر ويضمرون لكم العداوة بخفاء ودهاء ، وكيف توادونهم وهم أعداء الله ورسوله والمؤمنون والله يحذر من التودد إليهم ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ المجادلة/٢٢ ، وهم يريدون أن تتاثروا بعاداتهم وتنبهروا بتقدمهم الصناعي ليحرفوكم عن عقيدتكم المستقيمة القيمة.

(**وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ**) إنكم تؤمنون بجميع الكتب السماوية النازلة من عند الله كتابهم وكتابكم بينما هم لا يؤمنون بكتابكم (**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا**) كذباً ونفاقاً (**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ**) وإذا خلت مجالسهم منكم وخلوا ببعضهم ، عضوا أطراف الأصابع من شدة الغضب والتأسف والتحسر لما يرون من ائتلافكم وقوتكم ووحدة كلمتكم ونصرة الله إياكم وعدم التمكن من إيذاء المؤمنين (**قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ**) وهو دعاء عليهم **بمعنى** : قل يا مُحَمَّد (ص) أدام الله غيظكم حتى تموتوا عليه والمراد بذلك إزدياد قوة الإسلام وعزّ أهله وهم كارهون (والغيظ هو أشد الغضب والحنق والحقد) (**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**) إن الله يعلم بما تنطوي عليه صدوركم من البغضاء والشحناء والحقد والحسد للمؤمنين.

**وفي ذلك دلالة**: أن لا نوالي الكفار ونطلب منهم النصرة بحجة اجتذابهم، لعلّه يجذبوكم إلى واقعهم بالتدريج ولا تجذبوهم إلى الاستقامة ، والله يعلم أسرار القلوب كقوله ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ آل عمران/٧٣، ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ البقرة/١٢٠ ، (**هَاأَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ**) هؤلاء الذين يثقون بالأعداء وإن تظاهروا بالإيمان والصداقة ولكنهم في موضع الخيانة والنفاق ورفع الثقة عنهم والخيانة للوطن والدّين والنفاق مع النّاس أنّهم بمثابة عملاء الأعداء المعروفين بالطابور الخامس وبالمرتزقة والإنتهازيين لأنّهم يبيعون دينهم ووطنهم وأمّتهم لكل من يدفع الثمن !! فلا قيم عندهم ولا أخلاق ولا مبادئ.

**١٢٠ – ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**

وأيضاً تحذّر هذه الآية المؤمنين من بطانة السوء وصديق السوء وهذا شأن كلّ عدو ، **الحَسَنَةُ** : معنى عام تشمل كل المنافع الحسية والمعنوية التي يستحسنها الإنسان السوي ، **والسَّيِّئَةُ** : معنى عام يشمل كل المساوئ التي تسوء الإنسان. **المعنى** : إن نالكم خير أو أي نفع يرفع شأنكم أحزنهم ، وإن نالكم أي شيء يُسيء لكم فرحوا بذلك (**وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا**) وهذا شأن كل عدو،

**وفي الآية تعبير بلاغي**، إنه ذكر (**تَمْسَسْكُمْ**) في الحسنة للإشعار بأن كل خير يناله المسلمون يسيء عدوهم ويزداد حقداً، وذكر (**تُصِبْكُمْ**) في السيئة للإشعار بانه كلما تمكنت البلايا والمصائب والسوء من المسلمين إزداد عدوهم فرحاً ، وهذا أبلغ تعبير لغوي عن شدة العداوة (**وَإِنْ تَصْبِرُوا**) على طاعة الله وأذى أعدائه (**وَتَتَّقُوا**) المحرمات والمعاصي والحذر من مولاة بطانة السوء فإن (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ، وَمَنْ نَسِيَ اللهَ نَسَاْهُ) مِنْ رَحْمَتِهِ (**لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً**) فالأمن من كيد بطانة السوء مشروط (بالصبر والتقوى) وهما الدواء لكل داء وهما مفتاح النصر على كلِّ الأعداء فمن كان مع الله كان الله معه ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ الطلاق/٢، (**إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**) فهو يعلم علم إحاطة تامة ما يكيدون به لكم وكيف يصرفه عنكم. **فائدة: ١-** سماحة الإسلام في وجه أعدائه ، فهو يأمر الحذر من إتخاذ بطانة السوء وخبراء السوء وأصدقاء السوء ولكنه لا يحرضهم على مقابلة حقدهم بحقد مثله ، إنما هي مجرد وقاية وحذر فإنه يقيك الضرر.
**٢-** لحد الآن هناك استعانة بالمستشارين الأجانب وبطانة السوء من إختصاصات مختلفة تعمل سراً وعلناً في بلادنا الإسلامية اليوم لدليل على بعدنا عن إرشادات القرآن وتحذيراته كقوله: ﴿**لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ المائدة/٥١ ، ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ البقرة/١٢٠.

**١٢١ -** ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾

كمصداق لما تقدم من تآمر أعداء الإسلام ، تذكّر الآية بواقعة (أُحد) (**غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ**): خرجت من بيتك ، خرج الرسول الأكرم مُحَمّد (ص) غدوة (الصباح الباكر) من بيتك تودع أهلك في المدينة (**تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**) **تُبَوِّئُ**: تهيء وتدبر جيش المسلمين وتنزل المؤمنين أماكنهم المناسبة منهم للرماية ومنهم للهجوم.. لقتال عدوهم (**وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) وهو سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم.

**١٢٢ -** ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ**﴾

معنى **هَمَّتْ** : عزمت طائفتان من جيش المسلمين أن تجبنا وتضعفا وهمتا بالرجوع (ولم يفعلاه) نتيجة الحرب النفسية وفتنة عبد الله بن أُبي سيد المنافقين ، تَفْشَلا والفشل هو ضعف نفسي مع جبن (**وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**) فلا ينبغي للمؤمن أن يفشل وهو يؤمن بأن الله وليه وناصره ، فتداركتهما عناية الله تعالى وهو أعلم بالنتائج وأدرى أين يوجه عنايته (**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ**) اعتمدوا على الله مع إتخاذ الأسباب اللازمة لا على المنافقين وأعداء الدين وإن ملكوا الأموال والسلاح ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ الطلاق/٣ ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُوْنَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) البحار٧١/١٥١، **في غرر الحكم**: (أَصْلُ قُوَّةُ الْقَلْبِ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ) ، **في الآية دلالة** : إنّ الله سبحانه هو الذي يدير المعركة بين الحق والباطل ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾ الأنفال/١٧ ، وهو الذي قلب أوضاع المعركة وبدّل موازينها.

**١٢٣ – ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**

الآية تذكِّر المسلمين بنصر الله على الرغم من قلة العدد وضعف العدّة والسلاح والزاد لتدرك منه المعجزة الخارقة والإمداد الغيبي الواضح وهذا الذي يقرر مصير الحرب لا العوامل الطبيعية لوحدها ! **(وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)** وأنتم ضعاف قليلون لتعلموا أن النصر عند الله لا بكثرة العدد والعدّة ، لا ضير من ذل الطاعة والممانعة خير من ذل الاستسلام والخضوع للطغاة والبغاة، ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، فإن ساعة ذل لا تعادل العمر كله ، فإن ذل الطاعة خير من ذل المعصية **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** المائدة/٥٤ ، ذلة الطاعة بين المؤمنين وصلت إلى درجة التواضع والتراحم والتحابب **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾** الفتح/٢٩، وإنما قال **(أَذِلَّة)** ضعفاء الشكل أقوياء المضمون، جمع قلة ذلة ظاهرية، لضَعف الحال وقلة المال والعَدد والعُدّة، ولم يقل **(أذلاّء)** بجمع الكثرة ذلة جوهرية وإنهيار الإرادة ، ليدل على أنهم أقوياء الإرادة مستعدين للقتال والتضحية وما كان بهم من ضعف وفيهم رسول الله (ص) **(فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** فتقوى الله تدفعكم إلى الشكر ، والشكر يرفعكم إلى التقوى ، والتقوى ترفعكم إلى القوة والقدرة والتمهيد للخلافة على الأرض والنصر على أعدائكم **﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾** آل عمران/١٢٠، **عن الإمام علي (ع)** : (لَقَدْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُوْلِ اللهِ (ص) وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسَاً) كنز العمال خبر٢٩٩٤٣، **وعن النبي (ص)**: (مَنْ أَقَرَّ بِالذُّلِ طَائِعَاً فَلَيْسَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ) البحار١٦٢/٧٧.

**فائدة:** وصف القرآن المؤمنين هنا بالذلة ليست ذلة نفسية ولا ضعفاً قلبياً وإنّما هي ذلّة حاجة وقلة مال ورجال ، أمّا حقيقة أنفسهم المؤمنة وتوكلهم على الله جعلهم في عزة وقدرة فهم أقوى من الجبل وأصلب من الحديد ، **عن الإمام الكاظم** (ع) : (إِنّ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الجَبَلِ ، الْجَبَلُ يُسْتَقَلُّ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمُؤْمِنُ لاَ يُسْتَقَلُّ مِنْ دِيْنِهِ بِشَيْءٍ) تنبيه الخواطر ص٣٦٤، **عن الإمام الصادق** (ع): (الْمُؤْمِنُ أَشَدُّ مِنْ زُبرِ الْحَدِيْدِ لأَنَّ زُبَرَ الْحَدِيْدِ إِذَا دَخَلَ النَّارَ لآنَ وَتَغَيَّرَ وَالْمُؤْمِنُ ثَابِتٌ قَلْبُهُ وَلَوْ قُتِلَ وَنُشِرَ) البحار ٣٠٤/٦٧، **عن النبي (ص)** (إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرِجَالاً الإِيْمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوْبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِيْ) مجمع البيان١٤٤/٣

**١٢٤ – ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾**

وعد النبي (ص) المؤمنين في بدر وهم قلة بنصر إلهي غيبي وحسّي وتشعرون به ولكن لا ترونه ، وهكذا الإيمان بالغيب نؤمن به ولا نراه بأبصارنا ولكن نتحسس به ببصائرنا ، وقوة البصيرة أقوى من قوة البصر ، وذلك بدعمكم في ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء لنصرتكم تشاركم في قتال أعدائكم في معركة مصيرية **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾** النساء/٤٧ ، كما قال النبي (ص) ليلة بدر (اللّهُمَّ إِنْ تَهْلَكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ (الجماعة) لاَ تُعْبَدُ).

**١٢٥ – ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾**

**بَلَى**: نعم تصديق للوعد بنصر الله، أي بلى يمدكم الله بالملائكة تساعدكم بشرط أن تصبروا في المعركة وتطيعوا أوامر الرسول (ص) بمقتضى التقوى (**وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا**) من ساعتهم هذه، فإن الله يضمن لكم إذا أتاكم العدو من فورهم ، إتيان بغتة سريعة وهاجمكم (**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**) معلمين على السلاح ومدربين على القتال الذي لا هزيمة فيه ، وإن الملائكة لهم علامات مميزة ولهم قدرات نموذجية مؤهلة ليذيقون الأعداء الطغاة الذلة والهوان ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ المدثر/٣١ ، فالآن يعلّم الله المؤمنين أن مرد الأمر كله لله تعالى﴿**لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾ الروم/٤ ، فهو الذي يدير المعركة بشرط أن يتخذ المؤمنون الأسباب الممكنة ويعدّوا ما استطاعوا من قوة ، أية قوة مناسبة ولازمة. **فائدة** : (**إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا**) هما عاملا نزول الملائكة والإمداد الغيبي وهو قانون عام في كل زمان ومكان وفي جميع الأحوال فيجعل السكينة في قلوب المؤمنين ويدخل الرعب في قلوب الأعداء. والله تعالى يتولى إدارة المعركة ﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الروم/٤٧.

**١٢٦ - ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**

(**جَعَلَهُ**) الهاء هنا هاء الغيب يعود على غير مذكور بلفظه وباسمه وهو معلوم بدلالته ومذكور بمعناه وهو الإمداد الغيبي المفهوم من (**يُمْدِدْكُمْ**). **المعنى** : وما جعل الله الإمداد الغيبي والوعد به إلاّ بشرى تنشرح به صدوركم (**وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ**) وتسكن وتستقر بدعم الله لكم ، فلا تتخاذلوا عن واجبكم في قتال أعدائكم والبقية على الله تعالى حتى يجعل الأمور تجري بأسبابها وتكون المعجزة الاستثناء وتأتي عند الضرورة. (**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) قاعدة رد الأمر كله إلى الله وقدرته الفاعلة وقدره المباشر من علامات الموقنين، كقوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) التكوير/٢٩ (فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) وتكون الأسباب كالإمداد بالملائكة لتحقيق النصر أدوات بيد الله تحركها مشيئته سبحانه ، لتحصل صلة مباشرة متوازنة حركية شعورية بين العبد وربه وبين قلب المؤمن وقدر الله ، وبين ثقة المؤمن بنفسه وإيمانه بالإمداد الغيبي وتوكله على الله (**الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) **الْعَزِيزِ** : القوي ذو السلطان الفعّال لما يريد من تعجيل النصر وهو (**الْحَكِيمِ**) الذي يجري قدره وقضاؤه وفق حكمته. **فائدة** : (**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) جعل النصر بيد الله حصراً حتى لا يتكل الإنسان على غيره سبحانه ، فهو الذي يهيء أسباب النصر ، وأن لا يتكل الإنسان على الأسباب فقط ، بل يتوكل على مسبب الأسباب فهو لا يعجزه شيء ﴿**وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً**﴾ النساء/٤٥ ، و(مَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ) و(عَلَى قَدَرِ الْيَقِيْنُ يَكُوْنُ التَّوَكُّلُ) ، **في غرر الحكم**: (مَنْ وَثِقَ بِاللهِ صَانَ يَقِيْنُهُ)، **وعن الإمام الجواد** (ع): (الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَالَى ثَمَنٌ لِكُلِّ غَالٍ، وَسُلَّمٌ إِلَى كُلِّ عَالٍ) البحار٧٨/٣٦٤، **في غرر الحكم**: (حُسْنُ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَى اللهِ عَلَى قَدَرِ ثِقَتِهِ بِهِ).

**١٢٧ - ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾**

ذلك التدبير الإلهي الذي أعانكم على النصر. **المعنى** : (**لِيَقْطَعَ طَرَفاً**) لينقص ، ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وينقص عددهم ويقهر سلطانهم ويغنم أموالهم ، ويهدم ركناً من أركان الشرك (**أَوْ يَكْبِتَهُمْ**) يغيظهم ويخزيهم بالهزيمة النفسية والعسكرية (**فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**) فينصرفون مهزومين خاسرين أذلاء. وهذا ما حصل في بدر حيث قتل المسلمون من صناديدهم سبعين وأسروا سبعين وأعزّ الله المؤمنين وأذل الشرك والمشركين. قال (**خَائِبِينَ**) ولم يقل (**يائسين**) لأن الخيبة تكون بعد أمل وقع النصر وسرعة إنتظاره ، أما اليأس يكون بدون إحتمال النصر أو ضعف إحتماله. يجب أن تكون وحدة المسلمين وسلطتهم وسياستهم وقيادتهم على نحو لا يُبقي للعدو أي أمل (**فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**).

**١٢٨ - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾**

قد يظن المسلمون أن للنبي يداً وسبباً فيما حدث للمشركين من خذلان ببدر ، فدفع الله سبحانه وتعالى هذا الوهم ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ آل عمران/١٥٤ لله وحده ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ آل عمران/١٢٦ ، وليس لك من الأمر شيء سوى أنك منفّذ أمر الله تعالى وأداة فاعلة لقدرته، ومخلوق مؤثّر صنعه الله على عينه لتحقيق إرادته كقوله (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) الطور/٤٨، وإستناداً على هذه القاعدة القرآنية الأساسية نتعرّف أن النبي (ص) إذا أصابه مكروه وإذا دارت الدائرة على المسلمين ، فإنهزموا لا يلام على ذلك وإن انتصروا لا يستوجب المدح له لأنه ليس له من أمر الناس شيء إلاّ أن ينفذ فيهم أمر الله وتحقق طاعته وإنما أمرهم إلى الله تعالى حتى شفاعة الأولياء لا تتم إلاّ بإذن الله ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ يونس/٣ ، ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ الحديد/٥ ، ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/٧١ ، ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦، ولهذه القاعدة القرآنية أثر كبير في تهذيب نفوس المسلمين وتزيد في انقطاعهم إلى الله تعالى وتوكلهم عليه ، والقصد من هذا وأمثاله أن لا يغالي المسلمون بمحمد (ص) وأهل بيته (ع) كما غالى المسيحيون بالسيد المسيح (ع). **عن الإمام الصادق** (ع) : **قال رسول الله (ص)** : (لاَ تَرْفَعُوْنِيْ فَوْقَ حَقِّيْ فَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَنِيْ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيَاً) البحار٢٥/٢٦٥ ثم قال : (**أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**)، الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر فإنهم ظالمون يستحقون العذاب ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾ الأحزاب/٣٨. **عن الإمام الرضا** (ع) : (اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ الْذِيْنَ إِدَّعُوْاْ لَنَاْ مَاْ لَيْسَ لَنَاْ بِحَقٍّ ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ الْذِيْنَ قَاْلُوْاْ فِيْنَاْ مَاْ لَمْ نَقُلْهُ فِيْ أَنْفُسِنَاْ.. اللَّهُمَّ مَنْ زَعَمَ إِنَّاْ أَرْبَاْبٌ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاْءٌ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَيْنَاْ الْخَلْقُ وَعَلَيْنَاْ الرِّزْقُ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاْءٌ) المصدر السابق، **وقال الشيخ الصدوق**

**في رسالة الاعتقاد** : اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جلّ جلاله، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة...البحار٢٥/٢٧٣

**١٢٩ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

من كان له ملك السموات والأرض كان حقيقاً بأن يكون له الأمر كله وليس لأحد من الأمر من شيء (**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**) ليس العقاب محتوماً على المسيء بل ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾ الروم/٤ ، فإن شاء غفر فبرحمته ، وإن شاء عاقب فبعدله (**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**). **فائدة** : إنما أبهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة ، فلم يبين من يغفر له ومن يشاء تعذيبه حتى لا يصاب أحد باليأس أو الغرور ، ليقف المكلف بين قاعدة الخوف والرجاء ﴿**يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ الزمر/٩ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لَوْ وُزِنَ رَجَاءُ الْمُؤْمِنِ وَخَوْفُهُ لإعْتَدَلاَ) مجمع البيان٢/٤٦٦، وإنما علق الأمر على مشيئة الله لأنها مبنية على الحكمة ، ورحمته الواسعة لا تغلب حكمته جلّ وعلا وقدَّم (**يَغْفِرُ**) على (**يُعَذِّبُ**) للدلالة على أنّ رحمته سبقت غضبه ويقوم قضاؤه على الحكمة والمصلحة.

**١٣٠ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**

**الرِّبَا** محرم قليلاً كان أم كثيراً. **المعنى** : نهي من الله لعباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأخذه والثراء منه مع التوبيخ ، وقوله : (**أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً**) ليس قيداً ولا شرطاً للنهي ، بل إشارة إلى ما كان عليه المرابون في الجاهلية ، إذا حلّ أجل الدين يقول الدائن : إما أن تقضي وإما أن تُرْبِي ! فإن قضاه وإلاّ زاده في المدة وزاده في القدر ، وهكذا كل عام حتى يصير أضعافاً مضاعفة ، حتى كان الربا في بعض الحالات يستغرق أموال المديون بالكامل. هذا وإن للربا آثار مدمرة للمجتمع وآثار سيئة على نفسية الفرد (**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) ودائماً القرآن يعالج أمراض المجتمع بدواء التقوى (فَمَنْ إتَّقَى اللهَ وَقَاهُ) وكان من الفائزين. **فائدة:** مراحل تحريم الربا نزلت بالتدريج: **١-** ﴿**وَأَخْذِهِمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ**﴾ النساء/١٦١. **٢-** (**أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً**) هذه الآية **٣-** ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ البقرة/٢٧٩ ، **عن النبي** (ص) : (شَرُّ الْكَسْبِ كَسْبُ الرِّبَا) البحار١٠٣ص١١٥، **وعنه** (ص): (الآخِذُ وَالْمُعْطِي سَوَاءٌ فِيْ الرِّبَا)كنز العمال خبر٩٧٦٠.

**١٣١ - ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**قرن أكل الربا بالكفر ، فابتعدوا عن المرابين فإنه سبيل إلى نار جهنم وهذا تشديد في النهي. **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ أَكْلَ الرِّبَا مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي تُخْرِجُ صَاحِبَهَا مِنَ الإِيْمَانِ)تفسير النور١/٥٨١.

**١٣٢ - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**

الراحمون يرحمهم الرحمن. إنه ترغيب بالوعد بالطاعة بعد الترهيب بالوعيد في النهي عن الربا فإن بطاعة الله تحظى برحمته وهي مفتاح السداد وصلاح الفساد ، **في غرر الحكم:** (أَكْرِمْ نَفْسَكَ مَاْ أَعَاْنَتْكَ عَلَى طَاْعَةِ اللهِ) ، فأكل الربا معصية كبيرة لله ورسوله تمنع الرحمة وتقرب النقمة. **فائدة: عن النبي (ص)** : (لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَاْ وَمُوْكِلُهُ وَشَاْهِدِهِ وَكَاْتِبُهُ والْمُحَلّلْ) كنز العمال ج٦ص٧٦ص٣٣٠، ومن أخذ الربا بوجه شرعي مع الاحتياج فيجعلوه يجوز في الفتوى التي فيها البلوى والحيل الشرعية، ولكن التقوى فوق أمر الفتوى ، **وإعلم أن الربا يؤدي:** إلى الحرص على طلب الدنيا **في غرر الحكم:** (حُبُّ الدُّنْيَاْ رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ) يمنع سبيل المعروف ، ويُقسِّي القلوب وينشر الظلم وتذهب البركات وتحتبس النفوس ، وآخذ الربا لا يقبل الله منه صدقة ولا صلاة ولا جهاداً ولا حجاً ، فهو مبطل للصالحات، وإنّ أكثر ما ينتزع إيمان المؤمن وأسرعه ظلم العباد ، فإن الظلم في الدنيا ظلمات في الآخرة ، وتنغيص للعيش وكراهة للأيام.

**١٣٣ – ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**

بعد أن نهى الله تعالى عن أكل الربا وحذّر من النار ودعا إلى طاعة الله ورسوله ، أمر بالمسارعة إلى المغفرة وذلك بالمبادرة الجادة إلى الأسباب الموصلة إليها من الأعمال الصالحة وأداء الفرائض والاستغفار من كلِّ ذنب وهي دعوة للتنافس في فعل الخيرات والمبادرة الجميلة إلى خدمة الإنسان والإنسانية وجعل المجتمع يسير نحو التقدم العلمي والحضاري **﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** المطففين/٢٦ ، **﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** الصافات/٦١ ، **(فالمغفرة)** تمحو الأنانيات والسلبيات وتشيع الصلاح والإيجابيات ، مع المسارعة لطلب المغفرة **(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)** تشير الآية إلى سرعة فوائد عمل الخير حيث ينعم الإنسان بخير الدّنيا وبجنة **(عَرْضُهَا)** وذكر العرض للمبالغة في سعتها على طريقة التمثيل والتقريب لأذهان الناس ، بينما حقيقة سعة الجنة ليس لها حدود وطول وعرض هيئت للمتقين وهم أحق بها وأهلها وفيه دليل أن الجنّة مخلوقة الآن وأنّها خارجة عن هذا العالم الدنيوي، **عن إبن عباس:** (لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ تشابه الأَسْمَاءُ) المراغي١٣٥/٣٠، **عن النبي (ص):** (خَيْرُ الْعِبَاْدَةِ الِاسْتِغْفَاْرُ) نور الثقلين٣٨/٥، **في غرر الحكم:** (سِلاَحُ المذنب الِاسْتِغْفَاْرُ)، **وعن النبي (ص):** (مَنْ كَثُرَتْ هُمُوْمُهُ فَعَلَيْهِ بِالِاسْتِغْفَاْرِ) فروع الكافي٩٣/٨.

**فائدة:** **(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ)** الدعوة إلى الإسراع يوحي بأن العمر فرصة سانحة قد لا تمتد طويلاً فلابد من اغتنامه كفرصة ذهبية لا تعوّض **في غرر الحكم:** (إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَاْرَ يَعْمَلاَنِ فِيْكَ فَإِعْمَلْ فِيْهِمَاْ وَيَأْخُذَاْنِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَاْ) فبادر وسارع باستثمار شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وقوتك قبل ضعفك وحياتك قبل موتك **(وَسَارِعُوا)** وكأن الحياة حلبة مسابقة بين النّاس فالذي يسرع بجهد وجد وقصد وهدف نبيل فإنه يسبق غيره

لتحصيل الجائزة ونيل الغنيمة ، والمفتاح لهذه الجائزة الثمينة هي طاعة الله الدائمة والمغفرة والرحمة وهي الوسيلة الأمينة لدخول الجنّة مكان التكريم الإلهي والتعظيم.

**١٣٤ - ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**

يعرض القرآن الكريم بعض صفات المتقين وهي مناقب وفضائل أخلاقية مميزة ، فقدم الإنفاق في سبيل الله لأهميته.

(**فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**) في الرخاء و الشدّة ، في السراء وهو ما يسرّه في حالة اليُسر والسعة والضراء ما يضره في حالة العسر والضيق، **عن النبي** (ص) (**السَّخيُّ**: قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجِنةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ عَنِ النَّارِ، **والبَخِيلُ**: بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ الجِنةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ) روح البيان٢/٩٥ **في نهج البلاغة حكم١٣٨**: (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ)، **و عن النبي** (ص): (مَاْ نَقَصَ مَاْلٌ مِنْ صَدَقَةٍ قَطُّ فَأَعْطُوْاْ وَلاَ تَجْبُنُوْاْ) البحار٩٦/١٣١، فالسراء والرخاء لا تبطرهم فتلهيهم ، والضرّاء والشدائد لا تضجرهم فتثنيهم ، فهم ينفقون إحساساً بالواجب في كل حال وكل إنسان بقدره ومن موقعه نفقة مادية ومعنوية صغيرة وكبيرة ، والنفقة تدلُّ على حسن الحال ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ البقرة/٢٣٦ ، مع التخلّص من البخل والحرص والإنفاق بحاجة إلى السخاء والروح الكريمة لا إلى الغنى والثروة. (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**) المسيطرين على غضبهم بصبرهم الجميل، **في غرر الحكم**: (إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيْماً فَتَحَلَّمْ)، **عن النبي** (ص) : (مَنْ كَظَمَ غَيْظَاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاْذِهِ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيْمَاْنَاً) مجمع البيان٢/٤٧٢، **و عن الإمام علي** (ع): (تَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جَرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاْقِبَةً ولاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً (عائدة)) الكاشف٢/١٥٨(**وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ**) التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته ، والعفو عمن أساء إليك ، هناك تلازم بين الإحسان وسعة الصدر ، **عن النبي (ص)**: (مَاْ عَفَاْ رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ إِلاَّ زَاْدَهُ اللهُ بِهَاْ عِزَّاً) مجمع البيان٢/٤٧٢، **والآية دالة** : على جميع جهات الإحسان إلى الغير فإنّ ثوابها كبير لذلك قال (**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) يحب المتصفين بتلك الأوصاف الجليلة وغيرها ، ويدعو القرآن للإحسان بكل معانيه الواسعة المادية والمعنوية وجعله إطاراً عاماً للسلوك الإجتماعي. **ومعنى الإحسان:** أن تتقن الأعمال الصالحة على عمومها في السر والعلانية وتكون في موضعها المناسب وتخلص النيات لوجه الله تعالى وفي خدمة عباد الله على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع. **فائدة: روي عن علي بن الحسين** (ع): (أن جارية جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه ، فرفع رأسه إليها فقالت : إنّ الله يقول (**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**) قال (ع) : قَدْ كَظَمْتُ غَيْظِيْ، قالت (**وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ**) قال (ع) : قَدْ عَفَاْ اللهُ عَنْكِ ، قالت (**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) قال (ع) : إِذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ لوجه الله) تفسير النور١/٥٨٤، **عن النبي** (ص) : (لَيْسَ الشَّدِيْدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّمَاْ الشَّدِيْدُ الَّذِيْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبْ)

تنبيه الخواطر ص٩٩، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَاْ مِنْ عَبْدٍ كَظَمَ غَيْظَاً إِلاَّ زَاْدَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزّاً فِيْ الدُّنْيَاْ وَالآخِرَةِ ثم ذكر الآية) الكافي٢/١١٠، **قصة الإمام الحسن بن علي (ع) مع خادمه (مختصر)** رفع الخادم قصعة طعام فانحرفت القصعة من يده فسقط منها شيء على الحسن فقال (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) آل عمران/١٣٤، قال (ع) قد عفوت عنك، فقال (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال (ع) أنت حرّ لوجه الله، وقد زوجتك فلانة فتأتي وعليّ ما يصلحكما. روح البيان٢/٩٥

**١٣٥ – ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**

لا يزال يعرض القرآن من صفات المتقين ، بالسماحة هذا الدين المرن قبل أن يتسامح الناس في ما بينهم ، يفتح الله نافذة السماحة مع المتقين ليتذوقوا طعم السماحة والمرونة والغفران والصفح ، فيذكر القرآن أنهم يسيئون لأنفسهم بفعل فاحشة وجاءت على إطلاق معناها ، وهي من أبشع الذنوب وأكبرها في القباحة كالزنا والاعتداء على حقوق الناس وحياتهم وأموالهم وأعراضهم (**أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**) أساؤوا إليها دون أن يسيئوا إلى الاخرين **في غرر الحكم**: (مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ كَاْنَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ) ، بفعل المعاصي الصغيرة لأن الفاحشة من الذنوب الكبيرة ، وهذه الذنوب تعيقهم من سيرهم المستقيم نحو التكامل الإنساني فلا ينالوا وسام المتقين ، فالذنوب حالة طارئة في حياتهم ، قد ينسحبون إليها سحباً لضعفهم ولجهلهم وغفلتهم ، ولكن سرعان ما يندمون ويرجعون إلى الله بالإنابة والاستغفار والتوبة وعدم العودة إلى تلك الحالة السيئة (**ذَكَرُوا اللَّهَ**) بالسنتهم وجوارحهم ولجأوا إليه تعالى بإخلاص وتذكروا حقه وكرمه العظيم وفضله الكبير عليهم حيث أنقذهم من حيرة الضلالة وظلمات الجهالة (**فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**) ويندمون على فعلهم مع العزم والتصميم على عدم العودة ، أما الاستغفار باللسان فلا أثر له إلاّ إذا كان مدعوماً بتاييد الجوارح (**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ**) بشارة لهم بسعة الرحمة وقرب المغفرة عندما علموا أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه (**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا**) قيّد الاستغفار بعدم الإصرار على الذنوب ، فالإصرار يورث في النفس الاستهانة بأمر الله ، وعدم المبالاة بهتك حرماته والاستكبار عليه سبحانه ولا تبقى معه عبودية ولا ينفع معه ذكر ، **ومعنى هذا** : إنّ من يرتكب الحرام من المؤمنين (المتقين) عن غفلة أو جهل مع عجز عن التعلم فهو معذور ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ كَبِيْرَةَ مَعَ الاِسْتِغْفَاْرِ، وَلاَ صَغِيْرَةَ مَعَ الإِصْرَاْرِ) الكافي٢/٢٨٨ والإصرار على الصغائر كبائر (**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) بقبحه والنهي عنه والعقاب عليه. **روي** : (مَنْ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَلاَ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَلاَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ التَّوْبَةَ فَذَلِكَ الإِصْرَاْرُ) الكافي٢/٢٨٧.

**١٣٦ – ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**

أولئك المتقون الذين وصفوا بتلك الصفات الحميدة جزاؤهم العفو عما سلف من الذنوب ، لأن المغفرة تستر نقائصهم وتهذّب نفوسهم وتحسن عاقبتهم وتَعدُّهُم (**جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**) لهم ذخر لا يبخس وأجر لا يونكس ، وجنات لا تنقضي ولذّات لا تمضي (**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما تستحقان مقابل العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والتناهي عن المعاصي. **فائدة** : يدرك الإسلام ضعف الإنسان أمام كثير من الابتلاءات ، فيذوقه حلاوة المغفرة ويكرهه المعصية فتصيبه رحمة الله ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾ الأعراف/٥٦.

**١٣٧ – ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**

**خَلَتْ** : مضت ، **سُنَن** : طرق معتبرة وسِيَر وعادات وقوانين متبعة ، شبهت بها السنّة لتوالي أجزائها على نهج واحد، **وسُنَنُ اللهِ تَعالٰى** : معاملات الله في الأمم المكذبة وغير المكذبة باعتبار السنن قوانين الله العامة وأنظمته في الكون والحياة والأحياء وهي مدبرة ومقدرة بمقادير ثابتة ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ الرعد/٨ ، وهي ثابتة لا تتحول ولا تتبدل ولا تتغير ، فتعرّفوا على هذه السنن وسيروا بالتنسيق معها بشكل متوازٍ والحرص على عدم التعارض معها، والذي يكشف عنها هو القرآن الكريم ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ فاطر/٤٣ ، هذه السنن تحكم الحياة كلها ، فما وقع منها في غير زمانكم فسيقع ما يشابهه في زمانكم، وما إنطبق منها على أحوال الماضين سينطبق على أحوال الباقين ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾ الأحزاب/٣٨ ، والَّذِيْ لاَ يَتَّعِظُ بِالْمَاْضِيْنَ كَاْنَ عِبْرَةً لِلْبَاْقِيْنَ ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ آل عمران/١٤٠ ، (**فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ**) تأملوا أينما كنتم في السفر والحضر في ما حلّ بالأمم قبلكم من صراع بين الحق والباطل وجرى ذلك على سنن تأريخية وقوانين ثابتة وأسباب ومسببات **إذن** : السياحة الهادفة أحسن مدرسة لتربية الأجيال (**فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) تأمل وتفكر وتدبر ولا تكن من الغافلين لأن (الْغَفْلَةَ مِنْ فَسَاْدِ الْحِسْ) تعرّف على أخبار الطغاة والفراعنة والمستكبرين لم تنفعهم جواهر كنوزهم ولا شواهق قصورهم ولا أمجاد عروشهم وجموعهم وقد صاروا أحاديث وعبرة لمن يعتبر **في نهج البلاغة خطبة٨٦**(السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ) ، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ النازعات/٢٦ ، **عن الإمام علي (ع)** : (مَاْ أَكْثَرَ الْعِبَرْ وَأَقَلَّ الْمُعْتَبِرِيْنَ) البحار٧٨ص٦٩.

**١٣٨ – ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**

**هَذَا** بيان إلى ألاية السابقة وكشف لبعض قوانين السنن التأريخية لكافة الناس ، واكتشف أنت القوانين الأخرى بنفسك ، إن ما جرى للمنحرفين عن منهج الله بالماضي سيجري مشابهه في

الحاضر بأشكال مختلفة وأساليب متعددة ولكن مع وحدة هدف **(وَهُدًى)** معرفة أسرار هذه السنن تعمل على زيادة هدى وموعظة وقوة بصيرة بالدلالة والإرشاد إلى طريق الدين القويم ليتدين به ويتمسك ويستقيم **(وَمَوْعِظَةٌ)** نافعة وحكمة بالغة الأهمية وعالية المضامين **(لِلْمُتَّقِينَ)** خاصة، فصارت ظواهر السنن بيان للناس عامة، ومعرفة أسرار السنن هدى وموعظة للمتقين خاصة. **فائدة: ١-** هذه السنن التأريخية والقوانين التكوينية لصالح الإنسان المستقيم فالعاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ الأنبياء/١٠٥ ، فإن كان للباطل جولة فإن للحق دولةً ، والخسارة للمكذبين ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ الأنعام/١٢ ، فَمَاْ الْفَائِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ؟! **٢-** يدفع القرآن الإنسان لتخطّي محيطه الروتيني ويتجاوز عاداته المغلقة ، ولينطلق في السير في آفاق الأرض الواسعة بالعلم والمعرفة، ودراسة كيف ترقى الحضارات وكيف تنحط وكيف تهوى وتسقط؟ ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ**﴾ الأعراف/٣٤، عرفنا أجل الأفراد فعلينا أن نعرف أجل الأمم والشعوب. **٣- عن الإمام الصادق** (ع): (يَعِيْشُ النَّاسُ بِإِحْسَاْنِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّاْ يَعِيْشُوْنَ بِأَعْمَاْرِهِمْ، وَيَمُوْتُوْنَ بِذُنُوْبِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا يَمُوْتُوْنَ بِآجَاْلِهِمْ) البحار٥/١٤٠، **وعن الإمام الكاظم** (ع) : (خُذْ مَوْعِظَتَكَ مِنَ الدَّهْرِ وَأَهْلِهِ، فَإِنَّ الدَّهْرَ طَوِيْلُهُ قَصِيْرٌ، فاعْمَل كأَنَّكَ تَرىَ ثَوابَ عَمِلَكَ لِتَكُنْ أَطْمَعَ فِي ذَلَكَ)البحار٧٨/٣٠٦.

## ١٣٩ - ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

**لا تَهِنُوا** : لا تضعفوا. **المعنى** : يكشف القرآن عن سنة إلهية تؤكد إنّ المؤمن الملتزم الواعي هو الأعلى وهو الذي يكسب الجولة والدولة في مستقبل الحياة و(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ)، وأن لا معنى للضعف والهوان وفقدان الإرادة بعد معرفة سبب الهزيمة، وهو فقدان روح الإيمان الواعي وعدم الأخذ بأسباب النصر ومخالفة القيادة الشرعية وعدم الإلتزام بالخطة، فليس العظيم الذي لا يسقط ، ولكن العظيم الذي يسقط وينهض من جديد. **(وَلا تَهِنُوا)** لا تضعفوا عن قتال أعدائكم **(وَلا تَحْزَنُوا)** بما أصابكم بأموالكم وأنفسكم **(وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ)** في عاقبة أموركم ﴿**إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ**﴾ الصافات/١٧٢-١٧٣ ، أنتم قادة البشرية كلها حتى تهتدي بهدى الله ، إذا إعتمدتم على الصبر والتقوى **(إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** الإيمان الواعي يوجب قوة القلب والاستعداد للجهاد والتضحية والثقة بنصر الله والصبر على أعدائه ، مع مراعاة السنن الطبيعية والأخذ بأسباب الظفر ، فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها ، فإن كنتم حقاًوصدقاً مؤمنين عاملين واعين إذاً فأنتم الأعلون ومن توكل على الله لا يهن ولا يضعف. **في غرر الحكم:** (أَصْلُ قُوَّةُ الْقَلْبِ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ) وعلى قدر الثقة بالله يكون مقدار التوكل، **عن الإمام علي** (ع) (فِيْ تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ) الأمثل٢/٥٥١.

**١٤٠ - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**

**القَرْح** : جرح الجسم مع الم النفس وفيه عذاب حسّي ومعنوي. **المعنى**: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم فعادوا لقتالكم ، فأنتم أولى أن لا تضعفوا، فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون **(وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)** أحداث الأيام ومتغيراتها يداولها الله وينقلها ويصرفها بين جميع الناس ، حسب نظام الأسباب والمسببات، لذلك أصبح نظام مداولة الأيام وتقلباتها **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾** الرحمن/٢٩ ، سنة من سنن الله في حركة المسيرة التأريخية ، ومن مداولة الأيام أن تكون الشدة بعد الرخاء ، والرخاء بعد الشدة ، والعسر مع اليسر، والضعف مع القوة ، والأمل مع العمل ، وهكذا تنكشف معادن الناس وتظهر عن مؤمنين ومنافقين ، صادقين ومتذبذبين ، وسنة مداولة الأيام محك لا يخطئ وميزان لا يظلم ، والرخاء في هذا كالشدة في ذاك ، وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك ولكنها تتراخى بالرخاء ، وتوقن النفس المؤمنة أن ما أصابها من شدة ورخاء فبإذن الله.

**فلسفة المداولة**: ليس المراد من المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وتارة ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله تعالى منصب شريف ونظيف فلا يليق بالكافر ، بل المراد أنه تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار بسبب نقاط ضعفهم وأخرى على المؤمنين بنفس السبب ، لتكون (القوة) مرة لهؤلاء ومرة تكون لهؤلاء ، فالبلد الجاهل ضعيف بالفعل وإن كان غنياً (بالقوة) بالبترول والذهب كما في البلاد العربية ، والبلد الطموح قوي وإن خلت أرضه من جميع المعادن كما في اليابان وهكذا **(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)** تعبير مجازي ، علم الله بالأشياء ثابت في الأزل وهو مطابق للواقع ، إنه تعالى أعلم بالمؤمنين والكافرين من أنفسهم ، ولكن يبتليهم بالأمر والنهي وتغيّر الأحوال ومداولة الأيام فإنها تكشف ما هو مغطّى ومخبوء وتجعله واقعاً في حياة الناس لتظهر أفعالهم لكل العيون ويميزوه بوضوح ، فهو كقوله: **﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ﴾** الأنفال/٣٧ ويجزي كلاً بما كسب ، والله سبحانه لا يحاسب الناس على ما يعلمه من أمرهم ، ولكن يحاسبهم على ما يعملوه بأنفسهم **(وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) عن النبي (ص)**: (أَفْضَلُ الْمَوْتِ قتل الشَّهَادَةُ) البحار١٠٠ص٨ تعبير (الشهداء) ظاهره أنيق وباطنه عميق ودلالته واسعة ، إن الشهداء لَمختارون ولَمُصطَفَوْنَ يختارهم الله من بين المجاهدين ويتخذهم أحياء عنده كقوله : **﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** آل عمران/١٦٩ ، ويكرمون ، إن هؤلاء الشهداء يخصهم الله بقربه ، لأنهم أعطوا لله أعز ما يملكون فأكرمهم الله أكثر مما يستحقون و(الجُوُدُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةُ الجُوُدِ) ثم هم شهداء يستشهدهم الله تعالى على حضورهم الواقع ، فيكونوا شهداء على أعمال الناس، وشهداء على هذا الحق الذي صار حجة بالغة على الناس ، لما لهم في ذلك من علو مرتبة ، **عن النبي (ص)**: (فَوْقَ كُلِّ ذِيْ بِرٍّ بِرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ

الرَّجُلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ) البحار٧٤ص٦١، **قال الشهيد الإمام الحسين** (ع): (إنّي لا أرى الموتَ إلاّ سعادةً، والحياةَ مَعَ الظالمينَ إلاّ برماً (شقاءً)) تحف العقول ص١٧٦ والشهداء أخلصوا في إيمانهم وأعمالهم لله تعالى وفِيْ الإِخْلاَصِ يَكُوْنُ الْخَلاَصُ **(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** ويبغضهم فلا يتخذ منهم شهداء ، ولا يطلعهم على الحقيقة البعيدة وإنما يغلبهم استدراجاً لهم ليزدادوا إثماً ، وليبتلي المؤمنين ويختبرهم. **فائدة** : **(الشهادة)** تعديل كامل لمفهوم الموت متى كان في سبيل الله تعالى والشهداء أتقنوا فن الموت واختاروا موتاً حركياً حضارياً واعياً مليئاً بالحياة المؤثرة ، فهو خرج من الحياة ليعود إليها بحياة الخلود فلئن كان الناس يعبرون إلى الموت عن طريق الحياة ، إنّ الشهيد يعبر إلى الحياة عن طريق الموت المقدس! **(للتوسعة راجع موسوعة الثقافة الاستشهادية للمؤلف مكي قاسم البغدادي بعنوان (الشهادة تأصيل الاستئصال))**.

**١٤١ - ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾**

**لِيُمَحِّصَ** : **التمحيص** : تنقية الشيء مما فيه من الشوائب ، ليخلّص المؤمنين من عيوبهم ويطهر نفوسهم، فهي عملية تطهير في داخل النفس ، والتمحيص درجة بعد التمييز بين الناس في الواقع ، من خلال تداول الأيام وتقلبات الأحداث ليعلم المؤمنين حقيقة أنفسهم من خلال حركة الواقع ، هذه هي مرحلة تصفيتهم وبالمقابل **(يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) المَحْق** : النقصان التدريجي لقوتهم وقدرتهم تمهيداً لنهاية دورهم، تحقيقاً لسنة الله في دفع الباطل بقوة الحق متى استكمل الحق قوته وتخلّص المؤمنون من نقائصهم ، ونلاحظ أن الله سبحانه هو الذي يدير المعركة بين الحق والباطل على مدى حركة التأريخ، وهو مدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، والمؤمنون نسقوا مع الله في تدبيره وتقديره فصاروا أداة لقدرته وعناصر لتحقيق إرادته ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ المدثر/٣١. **فائدة** : لابد للحق أن ينتصر بأهله وللباطل أن يندحر ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ هود/٤٩.

**١٤٢ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**

صيغة السؤال الاستنكارية لبيان خطأ هذا التصوّر ، أتظنون أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بدون أن يمتحنكم الله ويميز المستحق للجنة منكم، والإنتماء لمعسكر المؤمنين في القول دون الفعل والتجربة لا يكفي لدلالة الصدق ولا هو وسيلة معوّل عليها لحصول النصر ودخول الجنة **(وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)** وإنما جرت سنة الله وقوانينه الثابتة في الإمتحانات والإبتلاءات والمصاعب ﴿**حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ آل عمران/١٧٩ ، ويميز المؤمن المجاهد المضحّي عن الآخر المدّعي المتخاذل المتستر بالإيمان وغير الثابت على الحق ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ آل عمران/١٥٤. **فائدة** : **(لَمَّا يَعْلَمْ)** الله يعلم كل شيء ما كان وما سيكون حتى يتطابق علم الله بالغيب مع علمه بالشهادة وعلى أرض الواقع. فالجنة لا تكون

بالعبادات دون المعاملات ، ولاتكون بالصلاة والصيام فقط من دون الأعمال الصالحة النافعة للناس وكلُّ إنسان بحسب قدرته.

**١٤٣ - ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾**

تعاتب الآية أصحاب الأمنيات الكاذبة فإن التمني رأس مال المفلسين ، ومن إدّعى بما ليس فيه كذبته شواهد الإمتحان ، **في نهج البلاغة حكم٣٤٩:** (مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيْمَا يَعْنِيهِ)، ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق/١٨ ، **المعنى** : تذكير للمسلمين لإظهار حقيقتهم لأنفسهم، أنهم تمنوا الموت في سبيل الله في الكلام ، ولكن خالفت أفعالهم أقوالهم في الاختيار، ليوازنوا في حسهم بين وزن الكلمة يقولها اللسان ووزن الحقيقة يواجهها في العيان ، وبذلك يقدرون قيمة الكلام الفارغ ، والأمنيات الجوفاء ، والوعود الكاذبة في ضوء ساحات الجهاد الحاسمة، المطلوب في التربية القرآنية تجسيم الأمنية وتصديق الوعد وتقوية الإرادة لتحقيق النصر لتتسلم الطليعة المؤمنة قيادة البشرية وتوجهها لهدى ربها (**فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**) تمنى البعض أن يشهدوا غزوة ليفوزوا بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، ولما شهدوا غزوة أحد وجدّ الجد ولوا الأدبار فعاتبهم الله ، فعلى المؤمن أن لا ينخدع بأمنيات النفس الكاذبة ، وعليه أن يقول كلمة يستطيع أن ينفذها وإلاّ (قُلْ خَيْرَاً أَوْ إِصْمِتْ) ، ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/٣٦.

**١٤٤ - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾**

**خَلَتْ** : مضت. إن البشر إلى فناء ، والعقيدة إلى بقاء ، ومنهج الله للحياة ، مستقل في ذاته عن الذين يحملونه ويبلغونه إلى الناس ، من الرسل والدعاة **وسبب هذه الآية** : أن صائحاً صرخ بملء فيه يوم أُحُد : قتل مُحَّد (ص)، فإنقلبوا على أعقابهم إلاّ قليلاً منهم ، وتركوا النبي (ص) في قلب المعركة مع نفر يسير وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (ع). لقد عالج القرآن نقاط ضعف المؤمنين حين علقوا ثباتهم وإيمانهم بحياة النبي (ص) وما أن أشاع قتله (ص) فروا يائسين ، قد صححت الآية هذا التصوّر وعليهم أن يحملوا الإسلام ويبلغوه حتى بعد وفاة الرسول (ص)، إذ الرسول أدّى رسالته كما ادّى الرسل من قبله رسالتهم (**أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**) عدتم إلى الكفر بعد الإيمان، إنها عملية تقهقر نفسية بعد ثبات ، وتشمل الارتداد عن الدين وترك العمل به (**وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً**) إنما هو الخاسر ، والخاسر من ظلم نفسه وضل عن سبيل ربه ، **في نهج البلاغة حكم٤٣٠:** (إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً وَأَخْيَبَهُمْ سَعْيَاً، رَجُلٌ أَخْلَقَ (أرهق) بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ، وَلَمْ تُسْعِدْهُ الْمَقَادِيْرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ)

وإنقلابه لن يضر الله شيئاً ، فالله غني عن الخلق ، والخلق أغنياء بالله ، والذي لا يغنيه الله لا يغنيه شيء **(وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)** الذي يعرفون أهمية الثبات على الإيمان ويعتبرونها نعمة كبيرة تستحق الشكر اللفظي والعملي ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً**﴾ سبأ/١٣ ، فيشكرونها بالاستقامة على منهج الله ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله. **فائدة : ١- (مَاتَ أَوْ قُتِلَ)** يجب أن يقف المؤمن أمام الشائعات بالتثبت والبيان ﴿**فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦. **٢-** في الآية إرشاد مهم إلى أنّه لابد من الوصول إلى الهدف المنشود والغاية المطلوبة، سواء استمرت الحرب أو توقفت ، ويجب مراعاةالمصلحة العامة سواء فُقِدَ الرؤساء أو قُتِلوا، فمن الضروري أن تُعدّ الأمة لكلّ أمرٍ عدّتهُ ، فتوجد لكلّ عمل رجالاً بدائل أكفّاء حتى إذا فقدت قائداً، فهناك رصيد من القادة ممن يقوم مقامه ويسدّ الفراغ ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١.

**١٤٥ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾**

الحياة والموت بيد الله عز وجل ، **(كِتَاباً مُؤَجَّلاً)** كتب لكل نفس عمر معين ولها أجل مكتوب ومؤقّت ولها مدّة معينة تنتهي بالموت ولذلك صار الموت حق لأنّه يتناسق مع الأجل ، وأجل الموت مكتوب بعلمه سبحانه لكل نفس بوقت معلوم وبمكان مرسوم وقضاء مكتوم ، وهذا الموت المكتوب المؤجّل لا يتقدّم ولا يتأخر ، سواء كان سببه السيف أو المرض أو القتال ، وإن الخوف على الحياة والفرار من القتال لا تطيل أجلاً ، كما أن الشجاعة والإقدام والثبات لا تقصّر عمراً ، والأجل حتمي ومكتوب ومقدّر ومدبّر لا ينقص منه يوم ولا يزيد ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ الأعراف/٣٤ ، **(وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا)** شتان بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، والذي يعيش للدنيا فإنه يعيش دنيا الحياة ، دنيا الجسد والشهوات التي لذاتها قصيرة وتبعاتها طويلة ، والذي يعيش للآخرة فإنه يعيش عليا الحياة رقي الروح وتطلعات النفس، فينفلت من جاذبية الأرض ويلتحق بجاذبية السماءِ بآفاقها المعنوية العليا التي لا حدود لها ، والمؤمن يعتني بأمر دنياه وآخرته ، فلا تضر دنياه آخرته ، ولا تضر آخرته بدنياه ، فخذ من دنياك ما يبلغك أعلى منازل الآخرة ، ولا تأخذ من دنياك ما يمنعك خير الآخرة **(وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)** الذين يقدّرون أنواع النعم ويشكرون المنعم ويريدون رضاه ﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾ النمل/٤٠ ، **عن الإمام علي** (ع) : (الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ الْفِتْنَةِ) البحار٧١ص٥٣.

**١٤٦ - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾**

**وَكَأَيِّنْ** : كلمة دالة على تكثير العدد ، **والربي** : الرباني المنسوب إلى الرب فلم يشغله غير الله سبحانه. **المعنى** : كثير من الأنبياء قاتل معهم علماء عاملون ربانيون لتكون كلمة الله هي العليا ، كان الأليق بكم أيها الفارون في يوم أحد أن تقتدوا بهؤلاء الربانيين (**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) فما فتروا في أثناء القتال وما فروا من الموت كما فررتم بل ثبتوا وأمامهم إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله (**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**) ما جبنوا عن القتال وما خضعوا لقوة العدو (**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**) على مقاساة الشدائد وتحمل معاناة المكاره في سبيل نصرة ما هو أهم فصارت موضع حب الله والقرب من رحمته ﴿**نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ يوسف/٥٦ ، إنها تربية نموذجية للمؤمنين في مواقف الشدة ، وهناك تربية أخرى في مواقف الرخاء.

**١٤٧ –** ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾

بعد أن بيّن الصورة الظاهرة للمؤمنين في مواقفهم الثابتة في الشدة ، الآن يرسم القرآن الصورة الباطنة لمشاعرهم من داخل نفوسهم ، بصورة أدب في الدعاء مع الله عز وجل ، وهم في قلب المعركة والخطر يحيط بهم من كل جانب ، إنهم لا يطلبون النصر أولاً ، ولكن طلبوا العفو والمغفرة وتثبيت الإقدام والمواقف والنصر على الكفار ، فالنصر لا يطلبونه لأنفسهم وإنما لهزيمة الكافرين والتخلّص من فسادهم، إنهم توجهوا لوجه واحد أحد فكفاهم الوجوه كلها ، إنهم وقفوا مواقف مشّرفة ولكنهم لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً ، لأنهم لا يعملوا لذواتهم ، فأعطاهم الله من عنده كل شيء.

**١٤٨ –** ﴿**فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾

أعطاهم الله من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة ، فإنه إذا أعطى أدهش ، وأعطاهم كل ما يتمناه طلاب الآخرة ، فكانوا في نعيم مقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إنهم أحسنوا مع الله فأعلن الله حبه لهم ، وحبه أكبر من كل نعمة ، وبمقدار حبهم له كان حبه سبحانه لهم ، والحب على قدر القرب ومقدار الجذب ! **فائدة** : تشير الآية إلى أن الذنوب والإسراف في الأمر وهو : تقصيرنا في طاعة الله سبحانه ، من عوامل الخذلان والهزيمة ، كما أن الطاعة والثبات في أداء الواجبات في كل الأحوال من أسباب النصر والفلاح ، وخصَّ ثواب الآخرة بالحسن المميز مع إعطاء ثواب الدنيا إشعاراً بفضل الله وكرمه عليهم ، **عن النبي (ص)**: (مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ)كنز العمال خبر٥٦٩٣. **في غرر الحكم**: (أَحَقُّ النَّاْسِ بِالإِحْسَاْنِ مَنْ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ وَبَسَطَ بِالْقُدْرَةِ يَدَيْهِ).

**١٤٩ –** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾

الخطاب تربوي للذين آمنوا إذ تطيعون الذين كفروا يضلونكم عن منهج الله بكافة الوسائل الممكنة ويثبطونكم عن القتال ويلقون التنازع والتفرقة فيكم بالترغيب والترهيب فيردونكم على أعقابكم أي يرجعوكم من الإيمان إلى الكفر ومن الهدى إلى الهوى (**فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**) فولاية الكافرين والإعتماد عليهم تهدي إلى الخسران ، وإن كان ظاهرها يغر ويسر ولكن باطنها يضر وعواقبها سيئة و(الأُمُوْرُ بِالْخَوَاْتِيمِ). **فائدة** : الإنسان بطبعه سواء كان محقاً أو مبطلاً يعجبه أن يكون الناس على دينه ومبدئه، والفرق أنّ طاعة المبطل خسارة وطاعة المحق ربح، من أجل هذا حذّر الله المؤمنين من طاعة الكافرين فإنّهم يردونكم إلى الكفر بالتدريج فتلاقون الخسران والحرمان ولو بعد حين! **في غرر الحكم**: (مَكْرُوهٌ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ خيرٌ مِنْ مَحْبُوبٌ تُذَمُ مَغَبّتَهُ (خَاتمتَهُ))

**١٥٠ - ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾**

فإذا كان الميل إلى طاعة الذين كفروا هو رجاء الحماية والرعاية والعزة والنصرة عندهم فهو ربهم (**بَلْ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**) ﴿**فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ الحج/٧٨ ، ومن كان الله مولاه فما حاجته بولاية أحد من خلقه ولا يحتاج معه إلى معين مثل هؤلاء ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ النساء/١٣٩ ، ﴿**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ البقرة/١٦٥ ، فالله تعالى مولاكم وناصركم وهو خير الناصرين في الدّنيا والآخرة فهو أولى أن تطيعوه.

**١٥١ - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾**

يمضي السياق القرآني في تثبيت قلوب المسلمين ، ويبشرهم بإلقاء الرعب في قلوب الذين أشركوا ، (**والرعب**) سلاح نفسي فتّاك وهو خوف مجسّم يملأ القلب ويعمل على إضعاف الإرادة والهمة ، وهذا كفيل لهزيمة أعدائه ونصرة أوليائه وهو وعد مفتوح في كل معركة بين الكفر والإيمان ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يوسف/٢١، ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ**﴾ الصافات/١٧٣ ، والسبب في ذلك (**بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً**) أنهم أشركوا مع الله آلهة متعددة أخرى لا سلطان لها ، لأن الله لم يمنحها سلطاناً أي حجة وبرهاناً ولم يجعل لها قوة وقدرة والسبب لأن أية عقيدة أو منظمة إنما تؤثر بمقدار ما فيها من سلطان وحجة وبيان وقوة وما تستند عليه من (الحق) المتفق مع النظام العالمي للكون والحياة والإحياء ، هذا السلطان يتفق مع سنن الله الثابتة وإلاّ فهي قوة زائفة وسلطان وهمي واهٍ مؤقت مهما ظهر فيه من قوة. (**وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**) تلك في سنن الدنيا وأما في مصير الآخرة النار وبئس المصير. **فائدة** : روي : أن الله تعالى خصّ النبي (ص) من بين سائر الأنبياء بالنصر بسلاح الرعب الخطير والمرير. **فائدة** : (الشرك الخفي أوالشرك الجلي) فإنّه يقتل في صاحبه كلّ معاني الإنسانية ويجعله يعيش قلقاً مضطرباً

﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً**﴾ الإسراء/٢٢ ، ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣

**١٥٢ –** ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾

ولقد صدقكم الله وعده بالنصر (**إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ**) **تَحُسُّونَهُمْ** : تخفون حسّهم بقتلهم ، والحس هو القتل على وجه الاستئصال وقد ظهرت علامات النصر من المؤمنين على الكفار في أحد ، عندما ثبتوا وصبروا وأطاعوا ، فراحوا يهزمون المشركين ويخمدون حسّهم ، ويستأصلونهم من الوجود بإذن الله، بإلقاء الرعب في قلوبهم وسلب الإرادة من نفوسهم ، (**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ**) ولكن المسلمين فقدوا شروط النصر والعون الإلهي وهو ﴿**إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً**﴾ آل عمران/١٢٠ ، ضعف فريق من الرماة أمام إغراء الغنيمة (**وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ**) فمنهم من فضل طاعة الرسول المطلقة وهي الثبات في المواقع المرسومة ، ومنهم من أغرته المغانم فتركوا أماكنهم وخالفوا الأوامر (**وَعَصَيْتُمْ**) وتركتم بعض الرماة وهم قلائل حتى حمل عليهم خالد بن الوليد بجيشه فقتلوهم (**مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ**) فتح عليكم بشائر النصر ، والنصر الإلهي مشروط بإتباع القيادة الشرعية (**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا**) أي الغنائم وهم الرماة الذين تركوا وصية رسول الله (ص) (**وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ**) أي ثواب الله وهم العشرة الذين ثبتوا في مركزهم متبعين وصية الرسول (ص) حتى استشهدوا جميعاً (**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**) ردكم بالهزيمة عن المشركين بعد أن نصركم عليهم بسبب تنازعكم وعصيانكم أوامر القيادة الشرعية (**لِيَبْتَلِيَكُمْ**) يعاملكم معاملة من يمتحنكم ليظهر ثباتكم على الإيمان ، وصبركم على الشدائد ، ويميز بين المخلصين والمنافقين (**وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ**) قد يخطئ الإنسان عن جهل وطيش ثم يرجع إلى رشده ويستغفر وينيب فيعفو الله عما سلف (**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) في جميع الأحوال والأشكال. **فائدة** : (**لِيَبْتَلِيَكُمْ**) **عن الإمام علي (ع)** : (فِي تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ، وَ الأَيَّامُ تُوضِحُ لَكَ السَّرَائِرَ الْكَامِنَةَ) البحار٢٨٦/٧٧.

**١٥٣ –** ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾

يستمر القرآن في استحضار صورة الهزيمة في أحد وكأنّها حالة حية متحركة فيذكِّر المسلمين بحالهم من أجل أن تحرك مشاعرهم ، ويكونوا عبرة من بعدهم وهي تبين حركتهم النفسية في بلاغة عالية (**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ**) **تُصْعِدُونَ** : تذهبون ، ألم تكونوا تصعدون في الجبل هرباً وتبتعدون عن المعركة إمعاناً في الفرار (**وَلا تَلْوُونَ**) ولا يلتفت أحد منهم إلى أحد (**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي**

**أُخْرَاكُمْ)** يناديكم من ورائكم : إرجعوا إليّ عباد الله ، يدعوهم ليُطَمْئِنَهم على حياته ، بعدما صاح صائح : إن مُحَّداً قد قتل ، فزلزل ذلك قلوبهم **(فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ)** جازاكم الله بالمثل حيث أذقتم الرسول غمّاً بمعصيتكم ، فأذاقكم الله غمّاً بالهزيمة ، وهكذا واحدة بواحدة جزاءً وفاقاً **(لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)** من منافع لتستصغروا في نفوسكم كل ما يفوتكم من غنائم فإنها متاع قليل **(وَلا مَا أَصَابَكُمْ)** من المشقة والأضرار ، ليعلمكم الله أن لا تعودوا لمثله أبداً **(وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** والله مطلع على خفايا أعمالكم ويعلم دوافع حركاتكم ، ويميز بين المخلص وغيره. **فائدة** : **(لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)** **عن الإمام علي** (ع) : (لا تُشْعِرْ قَلْبَكَ الْهَمَّ عَلى مَا فاتَ، فَيَشْغَلَكَ عَنِ الإِسْتِعْدادِ لِما هُوَ آتٍ) ، **وعن النبي** (ص): (الدُّنْيَا دُوَلٌ (تتداول تتغير من حال إلى حال) فَمَا كَانَ لَكَ مِنْهَا أَتاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقَوَّتِكَ ، وَمَنْ إِنْقَطَعَ رَجَاْهُ مِمَّا فَاتَ اِسْتَرَاحَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا رَزَقَهُ اللهُ قُرَّتْ عَيْنُهُ) البحار ١٣٩/٧١.

**١٥٤ – ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**

أعقب الله هول الهزيمة في أحد وشدائدها ونتائجها المؤلمة حالة سكون عجيب وغريب ، سكون في نفوس المؤمنين الذين نصروا الله ورسوله (ص) في الشدة ، شمل الله هذه الطائفة الصادقة ، فألقى عليهم أمناً يتمثل بالنعاس مما أذهب الكثير من تعبهم ، وطمأن قلوبهم وقويت إرادتهم فردّوا الكرة على العدو ، إنها ظاهرة عجيبة ، يُشعر من خلالها بأن الله تعالى هو الذي يدير المعركة بحكمته ، وهو الذي يرعى دينه ويحمي رسوله ويحفظ جنده **(وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ)** وطائفة من المؤمنين متذبذبين ضعاف الإيمان شغلهم الإهتمام بأنفسهم فنسوا كلَّ شيء دونها ، فلم يكرمهم الله بالعفو ولا بالأمان ولا بالنعاس والسكن بل وكلهم إلى أنفسهم فهم في قلق وحرج وعندهم ضبابية في الرؤية وتوتر في الأعصاب ، ولا يعرفون حقيقة الدين على أنه القيمة العليا في الحياة **(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ الأَمْرِ مِنْ شَيْء)** والمعنى أنهم تصوروا بان الله سبحانه مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء وإنما دفعوا إليها دفعاً والله لا ينصرهم بالرغم من وعود القرآن بالنصر ، كان سوء ظنهم بوعد الله بالنصر متجاوزين أصول الحق وقواعد الإيمان وأقرب إلى ظن الجاهلية **(قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ)** فأمر هذا الدين ونصره والجهاد لإقامته وتقرير نظامه حاكم في الأرض كلها من أمر الله وليس للبشر فيها من شيء حتى النبي (ص) كقوله **﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** آل عمران/١٢٨، وقوله (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)

يونس/٤٩، واجبهم ان لا يقصِّروا في مسؤوليتهم والله قادر على أن ينزل عليهم النصر متى وجدهم أهلاً له (**يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ**) نفوسهم مملوءة بالدسائس والشكوك ما لا يظهرونه لك ، ويقولون بينهم وبين أنفسهم.

(**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**) النفوس التي لم تخلص لعقيدتها تبدأ بالشك بوعد الله ، حين ترى الثمن أفدح مما كانت عليه تظن فتتساءل عن النصر ، وعن صحة تخطيط النبي (ص) وصدق وعوده وإلاّ فلماذا قُتل رجالها في المعركة وهذا تشكيك بالنصر الإلهي للمؤمنين وهي حالة نفسية منهارة وصلت كحالة أهل الجاهلية (**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**) إن هناك نظاماً للآجال والموت حق لا ينجو منه هارب ، فمن هرب منه فإنه يهرب إليه ، ولا يستطيع أي إنسان أن يتجاوزه، حتى لو إختاروا البقاء في بيوتهم لخرج من كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم (مصارعهم) ، وإن الحذر لا يمنع القدر وإن التدبير لا يتجاوز التقدير ، وإن الله يجري الأمور بما يقتضيه الحق لا بما يرتضيه الناس، إنه قدر الله وراء حكمته ، فالذين قُدِّر عليهم القتل لا بد أن يقتلوا بأي حال من الأحوال، وإنما جاء القتل لإنتهاء آجالهم (**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**) ليختبر الله ما في صدور المؤمنين من حقائق مكتومة ، ويُطهّر ما في قلوبكم من العيوب حتى تصل إلى سلم التكامل الإنساني (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور**) عالم بالسرائر مطلع على الضمائر.

**فائدة : ١- عن الإمام علي (ع)** : (إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَإِنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ (وقاية) حَصِينَةٌ) البحار٥/١٤٠. **٢-** الحكمة من الابتلاء والمحن إنها المحك الذي يكشف معادن الناس وتظهر حقائقهم فيميز بين الطيب والخبيث ، وبين الواضح والمستور كقوله : ﴿**وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ محمّد/٤ ، وهذا هو درس تربوي مهم في حياة الإنسان في جميع أحواله.

**١٥٥ -** ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

يخبر الله تعالى عن حال الذين انهزموا وانسحبوا منكم من المعركة يوم إلتقى جمع المسلمين وجمع المشركين (**إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**) يكشف القرآن عن أسباب الفرار أنه ضعف أرتباط نفوسهم بالله يجعلها معرضة لوساوس الشيطان ، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم ليوقعهم في الزلل والخطأ ، فلو اعتصموا بالله والتزموا أوامر القيادة المسددة من الله لما كان للشيطان عليهم من سلطان ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ الحجر/٤٢ ، إنه أغراهم بحب الغنيمة والحرص على الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب (**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**) لتوبتهم واعتذارهم (**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**) لا يعاجل العقوبة على من عصاه.

**١٥٦** – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

تستمر التربية القرآنية الخاصة للمؤمنين لا تكونوا كالذين كفروا (**وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ**) وقالوا لإخوانهم المنافقين إذا خرجوا في السفر فماتوا (**أَوْ كَانُوا غُزًّى**) خرجوا غازين فقاتلوا وقتلوا (**لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**) لو أقاموا عندنا ولم يخرجوا لما ماتوا وما قتلوا ، ردّ الله عليهم (**لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ**) ليصير ذلك الاعتقاد الخاطئ حسرة في نفوسهم وكآبة (**وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ**) فإن شاء الله أمات القاعد والمقيم ، وقد يسلم المسافر والمحارب ولا تأثير للحرب ولا للسفر في تحديد الآجال لأنها بيد الله وحده (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. وفيه إشارة تنهى عن التشبه بالكافرين. **فائدة : عن النبي (ص)** : (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ بَاْعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاْ غَيْرِهِ).

**١٥٧** – ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

فالموت أو القتل في سبيل الله على جناح الشهادة ، وبهذا الاعتبار السامي خير من الحياة ، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أنواع المتاع (**خَيْرٌ**) لأنه فيه المغفرة والعزة والكرامة والرحمة من الله (**لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**) وقدّم فعل القتل على الموت لأنه أقرب إلى المغفرة ، والمغفرة والرحمة نعمة دائمة ، خير من الدنيا وما فيها من مال وحسن حال وجمال، وهي في ميزان الحقيقة خير مما يجمعون من زخارف الدنيا المؤقتة فهي في النتيجة متاع قليل

**١٥٨** – ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

كلهم محشورون إلى الله على كل حال وهذه حقيقة كبرى فوق كل الحقائق ، ماتوا على فراشهم أو قتلوا وهم يجاهدون ويستشهدون في سبيل الله فمصيرهم إلى الله. وكل من يقتل مدافعاً عن الحق والحقوق أو يموت مكافحاً من أجل العيش والعيال ، ولخدمة أخيه الإنسان في السبل التي ترضي الله فهو شهيد أو في حكم الشهيد ، والشهادة أرقى أنواع الموت ، وأعلى المنازل بعد الموت ، **عن الإمام علي (ع)** : (إِنَّ أَكْرَمَ اَلْمَوْتِ اَلْقَتْلُ وَ اَلَّذِي نَفْسُ إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى اَلْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اَللَّهِ) شرح النهج٧/٣٠٠. **فائدة : ١**– الموت لا يعني الفناء والعدم وإنّما هو نقلة مميزة من حياة قصيرة إلى حياة أخرى خالدة ، وإلى الله تحشرون وعنده تجازون فآثروا ما يقربكم إلى الله تعالى وتحقق لكم رضاه. في الآية السابقة قدّم القتل في سبيل الله (**الشهادة**) على الموت لأن القتل أقرب إلى المغفرة والرحمة ورفع الدرجة وللترغيب إليه ، وهنا قدّم الموت على القتل لأن الموت أعم من القتل وأكثر فناسب الترتيب الطبيعي لمختلف مستويات الأمة. **٢**– **في الآية ١٥٧** كان الحشر إلى مغفرة الله ورحمته، وفي الآية ١٥٨ كان الحشر إلى الله من يعبد الله ، لأنّه أهل

للعبادة وهذا أعلى المقامات. **عن الإمام الحسين** (ع) : فَإِنْ تَكُنْ الأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ – فَقَتْلُ إِمْرِئٍ فِيْ اللهِ بِالسَّيْفِ أَفْضَلُ، البحار٤٤/٣٧٤.

**١٥٩ – ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾**

**لِنْتَ** : لنت اللين الرفق وسهولة المعاملة واستيعاب الآخر (**فَظّاً**) جافيا سيء الخُلق خشن الكلام (**لانْفَضُّوا**) لتفرقوا، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلت النبي (ص) رحيماً بهم ليّناً معهم ولوكان فظاً خشناً شرساً غليظ القلب القاسي لا يعرف الرحمة ما تآلفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى مَنْ يتحمل جهلهم ويحمل همومهم ويجدون عنده العناية والأدب الرفيع ، وهكذا وصفه ربه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ القلم/٤، **عن النبي** (ص): (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥، ما غضب لنفسه قط ، ولا جاهد لأجل شيء من متاع الدنيا ، وكلما تقرب الناس منه (ص) إزدادوا حباً له وكلما إبتعدوا عنه (ص) إزدادوا شوقاً إليه ، لأن قلبه الودود استوعب الجميع (**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) وتفرقوا عنك وطمع فيك الأعداء ولم يتم أمرك بالنصر ورسالتك بالظفر السريع (**فَاعْفُ عَنْهُمْ**) وسامحهم عما صدر منهم من مساوئ (**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**) في ما يختص بحقوق الله ، فهو الذي فتح لهم باب الاستغفار حتى يعفو عنهم (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**) ممالم ينزل عليك وحي فيه حيث لا إجتهاد في قبال النص ، وفي المشورة تنشرح صدور المسلمين وترتاح نفوسهم وتتوسع آفاقهم.

﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ الشورى/٣٨، (في الحوار تتضح وتنضج الأفكار)، ويقرر الإسلام الشورى مبدأ أساس في نظام الحكم، وفي كلّ أمرٍ بحاجة إلى شورى وملء مناطق الفراغ التي تركتها الشريعة له يملؤها بمشاورة أصحاب العقول ، وهي من العبادات والقربى إلى الله ، بالشورى يُرفع الاستبداد والتسلّط ، وتقدم المصلحة العامة على الخاصة لذلك بذل الصحابة كل جهدهم في طاعة النبي (ص) ، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم ، فإذا إنتهت المشورة فالذي يقرر الرأي الحاسم ، هي القيادة العليا المخلصة والكفوءة وهي النبي (ص) أو من ينوب عنه وعليه أن يمضي في تنفيذ القرار النهائي متوكلاً على الله تعالى. **ويلاحظ أن الشورى غير الديمقراطية الغربية** حيث إنَّ في الشورى تكون القيادة لها الرأي الحاسم دون إلزام بإتباع الأكثرية ، وإنما يتبع (ص) الرأي الأصوب في نظره البعيد والمصيب ويتوكل على الله في تنفيذه ويبتعد عن التردد ، لأن التردد يجهض الرأي الصائب ويؤخر تنفيذ العمل الصالح. **في نهج البلاغة حكم١٦١:** (مَنِ اِسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ) **عن الإمام علي** (ع) (مَنْ شَاْوَرَ الرِّجَاْلَ شَاْرَكَهَمْ فِي عُقُولِهَمْ) تفسير النور١/٦٠٨، **في غرر الحكم:** (شَاْوِرْ فِيْ أَمُوْرَكَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ اللهَ ترشد)، كان النبي (ص) يستشير السواد الأعظم من المسلمين ويخص بها أهل الرأي

والمكانة في الأمور التي يضر إفشاؤها (**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**) فإذا صار القرار النهائي فإعزم على تنفيذه وأخذ الأهبة والاستعداد متوكلاً على الله **عن النبي (ص)**: (مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ) كنز العمال خبر٥٦٩٣ (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) **لأن التوكل**: تفويض الأمر إلى الله والاعتماد على هدايته، مع الأخذ بكافة الاستعدادات اللازمة والممكنة، **والتوكل**: أن يراعي الإنسان الأخذ بالأسباب الضرورية مع الاعتماد على مسبب الأسباب.

**في غرر الحكم**: (فِي التَّوَكُّلِ حَقِيقَةُ الإِيمَانِ) ، وعلى قدر الإيمان يكون التوكل. **فائدة : ١-** الرفق واللين من أجل حماية الحق والحقوق ، أما إذا كان بهما ضياع الحق والحقوق لم يجز ، لأنه (لا تَكُنْ لَيِّناً فَتُعْصَرْ ولاَ تَكُن صَلِباً فَتُكْسَرْ)، **في غرر الحكم**: (أُخْلُطِ الشِّدَّةَ بِالرِّفْقِ، وَإرْفِقْ مَاْ كَاْنَ الرِّفْقُ أَوْفَقْ)، ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ الحجر/٨٨، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ التوبة/٧٣ وفي حد الزنى ﴿**وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ النور/٢ ،**إذن**: القاعدة لا ترغيب ولا ترهيب ولا إفراط ولا تفريط، ويبقى الوسط هو الصراط المستقيم وهي الأمة الوسطى ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ البقرة/١٤٣. **٢-** يذم القرآن الكريم الاعتماد على الأكثرية بقوله ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ الأنعام/١١٦، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ غافر/٥٧، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾ غافر/٦١، **سؤال**: لماذا لا يمكن الاعتماد على نظام الأكثرية؟ لأنهم تُشترى أصواتهم ، وهم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، ولا يتبعون التفكير السليم، ويعتمدون على التخمين وهم مع العقل الجمعي والنفعي غير المبدئي.

**١٦٠ - ﴿إِنْ يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾**

النصر من الله مشروط بتوفر أسبابه ، منه التهيؤ وإعداد ماتستطاع من قوة بكافة أشكالها وقدرة بكافة أنواعها ، لأن قيمة كل إمرئ على قدر خبرته ومقدار تجربته ، وحسن توكله على الله تعالى على مقدار ثقته بالله ، فإذا تحققت المقدمات تتحقق النتائج ، وإذا أراد الله نصركم فلا يتمكن أحد أن يغلبكم ﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الروم/٤٧ ، (**وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ**) إن الله يخذل المتخاذلين المتفرقين المتنازعين الذين لا يمتلكون مقومات النصر فيكلكم إلى أنفسكم ومن يخذله الله لا ناصر له ولا معين ولو أعانكم جميع الخلق ، فالأمر كله لله ، وبيده العزة والنصرة والإذلال والخذلان مع الأخذ بنظام الأسباب والمسببات وهذا قانون عام ينطبق في كل زمان ومكان (**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ**) وعلى الله يعتمد المؤمنون في كل حال ، لإيمانهم أن لا ملجأ ولا منجى ولا ناصر لهم إلاّ الله عز وجل، **في غرر الحكم**: (مَنْ وَثِقَ باللهِ تَوُكَلَ عَلَيهِ) وعَلَى قَدَرِ إِيْمَاْنِ الْمَرْءِ يَكُوْنُ مِقْدَاْرُ

تَوَكُّلِهِ ، وهذا ترغيب في التوكل على الله بعد المشورة والعزيمة الصادقة والأخذ ما استطاعوا من قوة ، والقوة على سعة معناها كقوله ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ الأنفال/٦٠.

**١٦١ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**

**الغُلُّ** : الخيانة. الأنبياء أمناء الله على وحيه ورسالته ومنزّهون عن النقائص ومعصومون عن الخطأ ، وشأنهم أكبر من أية خيانة ، أي ما صحّ شرعاً ولا استقام عقلاً لنبي من الأنبياء أن يخون في غنيمة الحرب ، والنفي هنا نفي للشأن وهو أبلغ من نفي الفعل ، لأن المراد أنه لا يتأتى ولا يصح أن يتصور فضلاً عن أن يحصل ويقع (**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ومن خان وسرق شيئاً يأتِ غداً بإثم الشيء الذي سرقه وينلْ نتيجة ما كسب مستوفياً ويفتضح أمام الخلائق جميعهم (**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) فلا يزداد في عقاب العاصي و(الْعِقَابُ عَلَى قَدَرِ الذَّنْبِ) ولا ينقص من ثواب المطيع ، وتجازى كل نفس على إطلاقها بما عملت بالحق وبلا أي ظلم ، ويكون الجزاء على ضوء العمل ، **عن النبي** (ص) : (هَدَايَا الوُلاَةِ غُلُولٌ) لأنه في معنى الرشوة روح البيان٢/١١٨. **عن الإمام علي** (ع) : في قوله : ﴿**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ المائدة/٤٢ **السُّحْت**: الحرام وهو أنواع كثيرة (هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته) فتكون الرشوة سحت وحرام وكل حرام لا خير فيه ولا بركة ولا يهنأ به صاحبه ، **في غرر الحكم**: (مَا نَهَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شَيْءٍ إلاَّ وَأَغْنَى عَنْهُ).

**١٦٢ - ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**

موازنة بين حالتين ، بين القيم الحقيقية التي يقصدها المؤمن وأكبر طموح عنده هو إتباع السبل التي توصله إلى رضوان الله تعالى ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ التوبة/٧٢ ، ورضوان الله مقرون بطاعته ،وعلى قدر الطاعة يكون الرضا ، وبين الحالة المقابلة التي يتبع السبل المنحرفة التي بها سخط الله كالفرار من الجهاد والاعتداء على حقوق الناس.. دون مبالاة برضى الله بل تسوقه إلى سخطه وانتقامه (**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) وإن مصير من غضب الله عليهم جهنم وبئس المصير ، وأعظم ما يشتد هذا الغضب حين يطلب العبد رضا المخلوق بسخط الخالق! وهكذا يبني الإنسان مستقبله الأبدي بنفسه، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفَسَهُ) ، وما يزرع في الدنيا يجنيه في الآخرة.

**١٦٣ - ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

(**هُمْ**) يعود على من إتبع رضوان الله ومن باء بسخطه معاً. تتفاوت الدرجات والمنازل حسب تفاوت الناس وإختلاف أعمالهم ونياتهم وكل واحد ينال استحقاقه بالعدل ، فمن إتبع رضوان الله فله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الأليم (**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**)

والله محصي أعمال العباد أكثر مما يحصوها لأنفسهم ، **عن الإمام الرضا** (ع) : ((هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ) الدَّرَجَةُ مَاْ بَيْنَ السَّمَاْءِ وَالأَرْضِ) نور الثقلين٢/٢٧٣، وتكون درجات الجنة بقدر عدد آيات القرآن الكريم وهي (٦٢٣٦ آية) ومعناها هناك (٦٢٣٦ درجة) في الجنة، (اخْتِلافُ الدَرَجَاتِ اخْتِلافاً كَثِيراً، بِحَيْثَ يَكوْنُ التَفَاوتُ غَيرُ مُتَنَاهٍ!) مواهب الرحمن٧/٤٨.

**١٦٤ - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**

مثلها في **سورة البقرة / ١٢٩** ، لَقَدْ أنعم الله نعمة عظيمة ثمينة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خاصة وعلى الناس عامة حين أرسل إليهم رَسُولاً عربياً من جنسهم من أقرب الناس إليهم وأحب الناس وأرحمهم عليهم عرفوا أصله وخبروا شأنه ويتمتع بصفات تكاملية نموذجية مميزة (كَاْنَ خُلُقُهُ (ص) الْقُرْآنُ) ، وخص تعالى المؤمنين بالذكر وإن كان الرسول رحمة للعالمين لزيادة انتفاعهم ببعثته **(يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)** وعلامات وجوده ووحدانيته الدالة على قدرته وعلمه سبحانه **(وَيُزَكِّيهِمْ)** يطهرهم من طبائع الجاهلية ومن المعتقدات الفاسدة ومن مساوئ الأقوال والأفعال والأفكار ويصوغهم صياغة تكاملية جديدة **(وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)** القرآن والسنة ، وأخرجهم من ظلمات الأمية والجهل إلى نور العلم والعرفان ، والحكمة تقوية البصيرة بفهم حقائق الأشياء ومعرفة أسرار الحياة وفلسفة الوجود وفقه الأحكام ومعالي الآدب وقدَّم **(وَيُزَكِّيهِمْ)** على **(وَيُعَلِّمُهُمْ)** لأن بتزكية النفس وطهارتها ترقى العلوم والمجتمعات وتستثمر أحسن استثمار ، لذلك كان جميع الأنبياء (ع) هدفهم الأول تزكية نفوس المجتمع وبعد ذلك يعلمونهم الصناعات التكنولوجية والألكترونية والعسكرية.. إلخ وليس العكس ، كما هو عليه الواقع الآن إبتدأ الغرب بالصناعات الحديدية قبل صياغة الإنسان وتزكيته ، فأصبحت الآلة مدللة والإنسان معذَّبٌ وضال !! **(وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** وإن كانوا قبل هذه البعثة في ضلال واضح وضياع مستمر وجهل مستحكم ، وصارت البعثة منه رحمة لكونها وردت بعد محنة فكان موقعها أعظم ، فلا تعود للإشاعات المغرضة الفاسدة أي قدرة على النفوذ في صفوف المجتمع المسلم، وإن مُحمَّداً (ص) منح العرب هيبتهم العالمية والحضارية ولولاه لم يكن لهم اي أثر يشكر وخلصهم من ظلمات الجهالة ومن حيرة الضلالة. **قال جعفر الطيّار (ع) للنجاشي ملك الحبشة** : (كُنَّاْ قَوْمَاً أَهْلَ جَاْهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاْحِشَ ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَاْمَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّاْ الضَّعِيفَ ، وَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا..) الكامل في التاريخ٢ص٨٠

**١٦٥ - ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

بمقتل سبعين منكم في أحد أيها المسلمون (**قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا**) في بدر حيث قتل سبعون وأسر سبعون من كفار قريش (**قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**) يستنكرون أن تقع بهم الهزيمة وفيهم رسول الله (**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**) إن سبب النكسة والهزيمة والمصيبة من عند أنفسكم وكان تدميركم من سوء تدبيركم وجهالة تقديركم لأنكم خالفتم وصية الرسول ، وهذا ما جنيتموه على أنفسكم وتعمم الضرر على غيرهم ، وليست المسألة فقط وجود النبي ودعوات المسلمين ، وإنما المسألة بالإضافة إلى ذلك إحكام خطة وتنفيذ صحيح ، وإن الله لا يجري الأمور إلاّ على قاعدة الأسباب والمسببات ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً**﴾ الكهف/٨٤ ، ويجري الأمور على ما يقتضيه الحق وليس على ما يرتضيه الناس بأعتبار للنصر أسبابه وللهزيمة أسبابها (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) فهو القادر على نصركم لو ثبتم وصبرتم، وهو القادر على التخلي عنكم إذا تخليتم عنه وخالفتم أمر رسوله (ص).

**١٦٦ – ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**

هو عزاء ومواساة للمسلمين على ما أصابكم يوم أحد يوم إلتقى المسلمون وجمع المشركين ، فبقضاء الله وقدره وبإرادته وتقديره الحكيم ليتميز المؤمنون عن المنافقين فهو امتحان وابتلاء لهم ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ آل عمران/١٥٤ ، (**وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**) الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا أي أن الله يظهر علمه للناس بإيمان المؤمنين الثابتين ، ليكونوا قدوة ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾ الأنعام/٩٠.

**١٦٧ – ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾**

المنافقون قبل أُحد لم يكونوا مكشوفين عند الناس وغير متميزين عن المؤمنين ، في أُحد ظهروا على حقيقتهم والمنافق أخو المشرك وصديق الكافر وتوأم الكاذب وهو نتيجة ذلّ يجدهُ في نفسه (**وَقِيلَ لَهُمْ**) للمنافقين (**تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) ودافعوا عن دينكم وكرامتكم (**أَوْ ادْفَعُوا**) عن أنفسكم وأهلكم وأموالكم إن لم يكن لكم دين (**قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ**) قال المنافقون للمؤمنين لو كنا على علم اليقين بان الحرب واقعة بينكم وبين المشركين لقاتلنا معكم ، ولكن الأمر سينتهي في حدود المباحثات والمناورات وكفى ومن طبيعة المنافق يبرر كلَّ خطأ (**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ**) إن تصرفات وإدّعاءات هؤلاء بشتى أنواعها هي لمصلحة الكافرين ، ولا شيء منها لمصلحة الإسلام والمؤمنين على الرغم من إدعائهم الإيمان والتظاهر بالإسلام ، إذن (كل دعوى إذا لم يكن عليها بينات ، فأصحابها أدعياء) (**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**) يظهرون خلاف ما يضمرون ، وهذه من أهم صفات المنافقين ، **عن النبي (ص)** : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَّبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفْ وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) البحار٧٥ص٩٤، **في نهج البلاغة:**

(قَوْلُهُمْ شِفَاْءٌ وَفِعْلُهُمْ الدَّاْءُ الْعَيَاْءْ) أي أعيى الأطباء (حيّرهم) التفسير المبين ص٩٠، **(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)** من الكفر والكيد للمسلمين. **فائدة :١- قال (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ)** ولم يقل **(إنهم كفار)** منعاً لتداول الكفر وتعميمه عليهم عن طريق العلامات دون أن يكون تصريح بالكفر ، ثم أن النبي (ص) كان يعاملهم معاملة المؤمنين على حذر ، تأديباً لهم عسى أن يتوب منهم تائب ، ومنعاً للناس من الهجوم عليهم بالتكفير عن طريق الظنون و الشكوك والكراهية. **٢- لا يجوز تكفير المسلمين** أما ما حصل من سياسة التكفير في عصرنا الحاضر فهي سياسة بعيدة عن الإسلام والقرآن والدين الصحيح ، فهي سياسة لا تريد للإسلام والمسلمين خيراً ولا تحب وحدة المسلمين وقوتهم فكونوا منها على حذرٍ لأنها تنفِّر ولا تبشِّر وتكرِّه ولا تحبّب وتباعد ولا تقرِّب ، وهذا خلاف ما أوصانا به نبي الرحمة (ص). وصدرت سياسة تكفير المسلمين الظلامية من غير المسلمين ومن نفس المنبع المشبوه الذي قال (فَرِّقْ تَسُدْ)

**١٦٨ - ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**

بدت شماتة المنافقين الذين قعدوا عن القتال في قولهم لإخوانهم ومن يعيشون معهم في المجتمع المسلم **(لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا)** لو كان قتلاكم أطاعونا في عدم الخروج إلى قتال المشركين ما قُتِلوا ولتمتعوا بهذه الحياة **(قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** في أنّكم قادرون على دفع الموت وأسبابه عمن كتب عليه فواجههم القرآن بأن أمر الموت والحياة بيد الله ، فهل يمكن لهؤلاء أن يدرؤوا (يدفعوا) عن أنفسهم الموت إن حلّ بهم وهم قاعدون ؟ ومَنْ لم يمت بالقتل مات بغيره ، تعددت الأسباب والموت واحد ، بمعنى : إن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوباً لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾** النساء/٧٨ ، **﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾** المنافقون/١١، **في نهج البلاغة خطبة١٢٣:** (إِنَّ اَلْمَوْتَ طَاْلِبٌ حَثِيثٌ لاَ يَفُوْتُهُ اَلْمُقِيمُ وَلاَ يُعْجِزُهُ اَلْهَاْرِبُ).

**١٦٩ - ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**

آية مباركة تحمل معاني الأمل للمجاهدين، وتنفي موارد الحسرة وتصحح مفهوم الموت على أنه نقلة نوعية من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة ، وتكشف عن حقيقة ضخمة في ذاتها وفي آثارها ، حقيقة الشهداء أنهم لم ينقطعوا عن حياة الأحياء، فالشهداء متأثرون بهم ، ومؤثرون فيهم ، والتأثر والتأثير أهم خصائص الحياة ، الآية تتحدث عن مصير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ، وليس هناك شهداء إلاّ في هذا السبيل المبارك! وسبيل الله معناه في سبيل خدمة الناس ونصرة الحق والحقوق بالأساليب التي ترضي الله **(بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** إنهم أحياء ولهم خصائص الأحياء ، وتنهى الآية عن حسبان الشهداء في سبيل الله وفارقوا الحياة وبعدوا عن أعين الناس أموات **(بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ**

**رَبِّهِمْ)** وهذه (العندية) لها دلالات واسعة لمعنى الحياة ، فهم يرزقون ، والرزق دليل الحياة ، والرزق على إطلاق معناه ، ويستقبلون أنواع الرزق الكريم استقبال الأحياء وأَحْسَنُ الْعَيْشِ عَيْشُ الآخِرَةِ ، وَأَفْضَلُ الْمَوْتِ مَوْتُ الشَّهَدَاْءِ. **من فضائل الشهداء** : إنهم شفعاء وأول من يدخل الجنة وتغفر جميع ذنوبهم إلاّ الدَّين ، ترتفع بالشهادة في سبيل الله في أعلى درجات الجنة ، تصبح للموت قيمة كبرى حينما يكون في سبيل رضا الله. **فائدة: (البقاء الصحيح)** إنّ بقاءك إلى فناء، وفناءك إلى بقاء، فخذ من فنائك الذي لا يبقى، لبقائك الذي لا يفنى! **عن النبي (ص)** (خُلِقْتُمْ لِلبقَاءِ لا لِلفَنَاءِ) حق اليقين٢/٥٥، **عن الإمام علي** (ع): (أُطْلُبُوْا الْمَوْتَ تُوْهَبُ لَكُمُ الْحَيَاْةُ) موسوعة الثقافة الاستشهادية١/ ٢٨٧. **في نهج البلاغة خطبة٥١** (فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ)

**١٧٠ - ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

هم أحياء حقاً ويعيشون مبالغة الحياة وأرقى أنواع الحياة حياة تتفجر منها الحياة ، لأنها مملوءة بالأفراح وبعيدة عن المنغصات ، فرزقهم بأنواعه يدر عليهم بلا تعب من رب رحيم كريم ، والفرح يغمرهم بفضل الله ، فهو دليل رضاه وهم قتلوا في سبيل رضاه ، فهم أعطوا الله أعز ما يملكون وهي أنفسهم، فأعطاهم الله فوق ما يريدون **(وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** وهم لا يفكرون بأنفسهم وذواتهم فقط وإنما مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم وبقوا في الدنيا فيستبشرون بمستقبلهم الذي يسر ، لما علموه من رضى الله عنهم لأنهم لازالوا يجاهدون لتحقيق النصر وهم يحملون مشروع الشهادة **﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾** التوبة/٥٢ فهم شهداء أحياء بين الناس يكرمون ، وهؤلاء شهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهكذا فلا خوف عليهم من فقدان نعمة ولا حزن على ما فاتهم ، إذ لم يفتهم إلاّ متاع الدنيا الذي بدله الله بالثواب الأعلى **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** البينة/٨.

**١٧١ - ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**

يبدأ الاستبشار من عالم البرزخ ، بعد الموت مباشرة ، جاء السياق القرآني **(للنعمة والفضل)** بصيغة النكرة للتعظيم وللدلالة على الإطلاق والرزق المدهش غير المحدود ، والنعمة أجر على العمل والفضل خير زائد على أجر الاستحقاق، ومن يقينهم بأن هذا شأن الله مع المؤمنين **(وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)** **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** التوبة/١٢٠ ، **﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** الأنبياء/٤٧. **فائدة ١–** فما الذي يبقى من خصائص الحياة غير متحقق للشهداء. والشهادة تصحيح كامل لمفهوم الموت متى كان في سبيل الله ، والشهادة منظور جديد متطوّر للحياة والموت ، تجعل نفوس المؤمنين تحلّق فوق عالم المادة والجسد إلى عالم

المعنى والروح ، عالم الغيب الرحب ، عالم القيم والمبادئ والأخلاق حياة الشهداء في عالم آخر غيبي لا ندرك حقيقته ولكن نؤمن به ، وعبّر عن وصف الشهداء بالمؤمنين للإشارة إلى سمو مكانة المؤمنين. **٢- عن النبي (ص)** : (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَاْ عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ يَسُرُّهَاْ (لا تحب) أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَاْ وَمَا فِيهَا إِلاَّ الشَّهِيدُ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَاْ ، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى) كنز العمال خبر١٠٥٤٢، **وعنه (ص)** : (مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ) صحيح مسلم١٥١٧/٣. **في فضل الشهداء** بلا حدود نذكر منه قول **النبي (ص)** : (الشَّهِيْدُ لاَ يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَاْ يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ ، **وَلَهُ سَبْعُ خِصَالٍ** : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ قَطْرَةٍ قَطَرَتْ مِنْ دَمِهِ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَاْبِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاْجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ ثَلاَثاً وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ) روح البيان١٢٥/٢، **وعنه (ص)**: (أَشْرَفُ الْمَوْتِ قَتْلُ الشَّهْاْدَةِ) البحار١٠٠ص٨، **وعنه (ص)**: (الشَّهْاْدَةُ تُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ الدَّيْنَ) كنز العمال خبر١١٠٩٨

**١٧٢ - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ لقتال المشركين من بعد ما أصابتهم الجراح ، فيكون أجرهم مضاعفاً على قدر المشقّة. أي بعد معركة أُحد إتجه المشركون إلى مكة وهم يتلاومون ويقولون لم نستأصل من بقي من المسلمين فيعيدون الكرة علينا ، وهموا بالرجوع إلى حرب النبي وأصحابه ، ولما بلغ ذلك رسول الله (ص) أعاد تنظيم رجال الجيش بسرعة ، فإجتمع إليه جماعة من المسلمين المقاتلين على ما بهم من جراح والآلام وساروا إلى منطقة بإنتظار جيش المشركين ، ولما علم المشركون تجمع المسلمين خافوا وأسرعوا إلى مكة ، وعاد المسلمون إلى المدينة وهم أعزّاء (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**) وكفى الله المؤمنين القتال ، ومدح الله تعالى من إنطلق منهم بإخلاص للجهاد ، مع تحمل المعاناة مع الإحتفاظ بالتقوى، وعدهم بالأجر العظيم من رب كريم لإنسان كريم ، وهكذا من أعطى لله تعالى أعزّ ما عنده أعطاه الله أكثر مما يريد.

**١٧٣ - ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**

قال بعض الخونة المرتزقة المثبطون التافهون للمؤمنين المجاهدين يثبطونهم عن الجهاد (**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**) عمل بعض الناس المنافقين على تخويف المسلمين المجاهدين من تجمع المشركين الكبير القوي الذي صمم على قتالكم وإرهابكم حتى استئصالكم (**فَاخْشَوْهُمْ**) في هذا القتال (**فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) أن ثقتنا بالله لا يزعزعها شيء، أي فما كان من المجاهدين إلاّ أن أعلنوا ثباتهم على الحق وإزدياد إيمانهم بعدالة قضيتهم وإنتصارهم على كل حال ، بعد أن وفروا أسباب النصر وشروطه ، واستندوا بعد ذلك على الله وتوكلوا عليه وهو نعم الوكيل وهذه ثقة عالية بالله، **عن الإمام الجواد** (ع): (الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَاْلَى ثَمَنٌ لِكُلِّ غَاْلٍ ، وَسُلَّمٌ إِلَى كُلِّ عَاْلٍ) البحار٣٦٤/٧٨، و

**عن النبي** (ص): (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ أَمَانُ كُلِّ خَائِفٍ) المراغي٤/١٣٦. **فائدة** : **(فَزَادَهُمْ إِيمَاناً)** لأن الإنسان إذا نهاه من لا يحسن الظن به ، كان ذلك إغراء يزيد من عزيمته فيعمل على مخالفته وترك شكوكه وتثبيطاته ، لأنه لا يقابل اليقين الذي هو عليه بالشكوك الطارئة العارضة عليه. **عن الإمام الصادق** (ع) : (عَجِبْتُ لِمَنْ فَزِعَ مِنْ أَرْبَعٍ كَيْفَ لاَ يَفْزَعُ إِلَى أَرْبَعٍ مِنْهَا (عَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ كَيْفَ لاَ يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)) من لا يحضره الفقيه٤/٣٩٢. **فائدة:** الحذر من إعلام العدو وحربه النفسية ومن المخترقين بين صفوف المسلمين ليبثّوا الإشاعات المغرضة بينهم لتفكيك صفوفهم. **عن الإمام الجواد** (ع): (كَفَى بِالْمَرْءِ خِيَانَةً أَنْ يَكُونَ أَمِيناً لِلْخَوَنَةِ) البحار٧٨/٣٦٤.

**١٧٤ – ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾**

خرج المؤمنون مع النبي (ص) لمحاربة المشركين كما أمرهم النبي (ص) ، ولم يلقوا العدو ولم ينالوا أذى ولم يمسسهم سوء، لأن الله ألقى في قلوب الأعداء الرعب ، فهربوا وإتجهوا إلى مكة ، ورجع المسلمون بمعنويات عالية مع نعم كثيرة وفضل، وجاءت **(بنعمة وفضل)** نكرتان للدلالة على إطلاق معناهما المادي والمعنوي للتعظيم ، لأن العدو لما رأى الجد والعزم والثبات من المسلمين على حربه **﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾** المائدة/٥٤ ، ولى مدبراً بخيبته **(وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)** كان هدفهم رضوان الله ، الذي هو أكبر من كل نعيم ، والله أعطى فضله العظيم بقدر من إتبعوا رضوانه، فصارت منازل الجنة على قدر رضوان الله.

**فائدة: ١–** تركت هزيمة أُحد إعادة صياغة نفوس المؤمنين من جديد نتيجة النقد الذاتي لسلوكهم ، والقرآن يهديهم للتي هي أقوم ، وحكمة القيادة الرشيدة والسديدة للنبي (ص) حقاً إنها دروس مهمة تنفع المسلمين في كل حال. **٢–** ويكون رضا الله تعالى هو الهدف الكبير والشهادة وسيلة عارضة في طريق الجهاد في سبيل الله لأن الشهادة وسيلة شريفة وليست هدفاً ولا غاية ، والهدف تحقيق النصر ونصرة الحق وأهله ، وتكون الشهادة عارضة في الطريق وخوف الله خوف هيبة لا خوف رهبة.

**١٧٥ – ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

تخويفات الشيطان وشائعاته وتثبيطاته للمؤمنين وبث أساليب الرعب في وسطهم لم تنفع لأنهم ليسوا أولياءه وأتباعه، والله ولي المؤمنين وناصرهم ، والشيطان ولي لمن إتبعه **﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾** الفرقان/٢٩ ، لذلك يتأثر بتخويفات الشيطان ويغتر بها ضعاف النفوس والعقول وأصحاب المصالح الضيقة الذين لا يستمدون عونهم من الله **(فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** من علامات الثقة بالله من شغله خوف الله عن خوف الناس **﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾** الرحمن/٤٦، **عن الإمام الصادق** (ع): (مِسْكِيْنٌ إِبْنُ آدَمَ لَوْ خَافَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ

، وَمَنْ لَمْ يَخَفْ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) الكافي٢/٦٨، **في غرر الحكم**: (خَفْ تَأْمَنْ وَلاَ تَأْمَنْ فَتخَفْ!)، ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩. **فائدة** : الشيطان ماكر خادع غادر يختفي وراء أوليائه وأنصاره وهم جنده من الإنس ينفذون أوامره ، وينشرون الإرهاب والخوف والقلق في صدور المؤمنين ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ محمد/٢٥ ، ومن هنا يكشفه الله للمؤمنين ليعرفوا وسوسته الخبيثة ليكونوا منها على حذر ، ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ سبأ/٤٣ ، ﴿**فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾ النساء/٧٦ ، إن القوة الوحيدة التي يجب أن تُخشى وتُخاف هي التي تملك النفع والضر وهي قوة الله عز وجلّ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ هود/٦٦. كل من خاف من مخلوق فرّ منه ، وكل من خاف الخالق فرّ إليه ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾ إبراهيم/٢٤، **عن النبي (ص)** : (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ) البحار١٣٣/٧٧.

**١٧٦ - ﴿وَلاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

إنه الله سبحانه يواسي النبي (ص) ويدفع عنه الحزن ، وهو يرى المغالين في الكفر يسارعون فيه ويمضون بإندفاع وسرعة وكأنما هنالك هدف منصوب لهم يسارعون إلى بلوغه ! وهذه حالة مصوّرة للتشدد في الكفر والباطل والشر والفساد ، وكأنه يجهد نفسه ليحظى السبق فيه ، وكان قلب النبي (ص) يحزن حسرة على هؤلاء القساة الأجلاف الذين يسوقون أنفسهم مسارعين إلى جهنم ، وهو يحرص عليهم لينقذهم من ظلمات الجهالة ومن حيرة الضلالة (**إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً**) فالذين يسارعون في الكفر ليحاربوا الله ، وهم أضعف من أن يضروا الله شيئاً ولن يضروا دعوته ﴿**لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى**﴾ آل عمران/١١١ ، مؤقت (**يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) يدبر المدبرون والقضاء يضحك ، إنهم يدبرون بخبث والله يدبر لهم ما يستحقون من نتائج ، والأمور متعلقة بالخواتيم، إنهم يسارعون إلى الكفر فسوف يقودهم انحرافهم إلى حرمان كامل من أي حظ وموقع في نعيم الآخرة وفوق ذلك لهم عذاب أليم ، إنهم استحقوا هذه النهاية لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان. **عن الإمام علي (ع)** : (مَنْ قَصَّرَ بِالْعَمَلِ أُبْتُلِيَ بِالْحُزْنِ والهَمِّ !)شرح النهج٣١٧/١٨. **فائدة** : (**يُرِيدُ اللَّهُ**) فيه دلالة على بلوغهم الغاية في الكفر والفساد حتى أراد الله وهو أرحم الراحمين أن لا يرحمهم لأنهم لا يستحقون الرحمة ، والذي لا تنفعه الرحمة فتليق به النقمة **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ).

**١٧٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

لفظ (**اشْتَرَوْا**) يدل على أنهم باختيارهم كفروا بالله لا إنهم أجبروا على الكفر ، إنها التجارة الخاسرة أن يستبدل الإنسان نور الفطرة والإيمان بظلام الكفر والعصيان (**لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)

قد ضروا أنفسهم بهذا الاختيار ولن يضروا الله شيئاً ، لأنه غني عن الخلق يستغنون به ولا يستغنون عنه في **نهج البلاغة خطبة١٩٣**: (خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ).

**١٧٨ – ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**

**لا يَحْسَبَنَّ** : لا يظنن ، **نُمْلِي** : نمهل ولا نهمل ، وهو إطالة المدة في الغنى مع الفساد ، الآية تبين الاختلاف بين موازين الله وموازين الناس ، أغلب الناس تعتقد أن الغنى والسعة والثروة حالة نافعة في كل الحالات ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً**﴾ الفجر/٢٠ ، والإسلام يقول (**خير الغنى** : غنى النفس ، غنى العقل ، غنى الوعي ، غنى القناعة ، غنى الاستقامة ، الغنى بالله أعظم الغنى والأفضل الجمع معها غنى المال) **والمعنى** : إن الله تعالى يمهل الإنسان كي يختار لنفسه طريق الخير أو طريق الشر ، وطول المدة في الغنى والخير لأهل الخير فهو إلى خير ، وطول المدة في الغنى والخير لأهل الشر فهو إلى شر فكما يزرع يحصد ، وتكون النتائج كالمقدمات ، ويكون الجزاء من خلال العمل فيزداد المحسن إحساناً ، ويزداد المسيء طغياناً ، والإسلام لا يحرّم الغنى والثروة والرفاهية ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ**﴾ الأعراف/٣٢ ، وإنما يحرِّم أن يكون الإنسان مملوكاً لها ، فيكون المال يملكه أكثر مما هو يملك المال ، وتملكه الرفاهية أكثر مما يملكه الله ولا يستقيم على نهجه ولا ينفق في سبيله ، وهذه حالة الذين كفروا ومن سار في طريقهم من العتاة والطغاة.. يستدرجهم الإملاء والعصيان والإمهال الإلهي ليزدادوا إثماً (**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**) هناك سنة تقدير الأشياء ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ القمر/٤٩ ، فمقابل ما نالوا من مقام الغنى ومقدار الثروة والمكانة الإجتماعية التي استخدموها في الطرق التي يزدادون بها إثماً سينالون بمقدارها عذاب مهين واللام في (**لِيَزْدَادُوا**) للعاقبة.

**فائدة: ١– سؤال** : لماذا ترى أعداء الله متمتعين بالقوة والسلطان والمال والجاه ؟ **الجواب**: إنَّ الابتلاء بالنعمة أشد من الابتلاء في الفقر !، إنما هو (**الاستدراج**) الإمهال من الله سبحانه لعبده ، **بمعنى**: أن الله يتابع نعمه عليه وهو يعصيه ، ولا يقدّر النعمة ولا يشكر المنعم، **في نهج البلاغة** (فوالله لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ) التفسير المبين ص١٦٩، وَأَنّهُ أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَأَنّهُ أَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَّرَ، **نهج البلاغة حكم١١٦**: (كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ابْتَلَى اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلاَءِ لَهُ) الإملاء له: الإمهال، والله الذي يحبه يوقضه بالبلاء ليرتدع ، والذي لا يرتدع فيتركه في طغيانه يغرق في الفساد ليزداد إثماً حتى يواجه مصيره المأساوي بنفسه ، كقوله ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ الأعراف/١٨٢-١٨٣ ، ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**﴾

محمد/١٢ ، ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ**﴾ المؤمنون/٥٥-٥٦. **عن النبي (ص)** : (مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ عز وَجَلَّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ذُوْ الْوَجْهَيْنِ) البحار٧٥ص٢٠٤، **في الحديث:** (خَيْرُ الشَّرِّ مَا أَصَابَ الأَشْرَارِ ، وَشَرُّ الْخَيْرِ مَا أَصَابَهُ الأَشْرَارُ!). **٢-** دلت الآية على أنَّ إطالة عمر الكافر والفاسق وإيصاله إلى مراداته من زخارف الدّنيا ليس بخير بل هي نعمة في الصورة ونقمة في الحقيقة إنّه نعيم ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر لأن عاقبته سيئة ! **عن النبي (ص)** : (الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ ضَرَّتَانِ، فَمَنْ يَطْلُبُ الجَمْعَ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مَمْكُورٌ ، وَمَنْ يَدَّعِي الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مَغْرُوْرٌ) روح البيان٢/١٣٠، ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ النساء/١٣٤، خذ من الدنيا ما يبلغك أعلى منازل الآخرة ، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك خير الآخرة ، والمؤمن الصادق يهتم بدنياه وآخرته كقوله ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا**﴾ القصص/٧٧. **عن النبي (ص)** (خَيْرُ الناس مَنْ طَاْلَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وشر الناس مَنْ طَاْلَ عُمُرُهُ وَساء عَمَلُهُ) تفسير روح البيان٢/١٣٠

**١٧٩ -** ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾

**لِيَذَرَ** : ليترك. هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيميز له المؤمن المختلط بالمنافق ، وحتى لا تبقى الأشكال والمدّعيات الظاهرة هي التي تحكم الموقف فلابد أن تُعرف الناس على حقائقها ، فلابد أن يبتليهم بالمحن والفتن والإختبارات فيُعرف المؤمن الصابر من المنافق الفاجر ، وهكذا عند البرهان يُكرم المرء أو يُهان ، وقد فرض سبحانه على النبي (ص) والمسلمين أن يعاملوا كل من نطق بكلمة الإسلام معاملة المسلمين ، وهنا أصبح الحرج ، كيف يرفضهم وهم يشهدون الشهادتين ؟ وكيف يقبلهم وهم يفسدون ويضرون ؟ فجاءت سنة الابتلاء لتبين معادن الناس و(**حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**) حالة التميز ضرورة حياتية وسنة تأريخية. وليس من الحكمة أن يعطيكم معلومات مستقبلية قبل أوانها بل أنتم تكتشفون ذلك مع الأيام (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**) وما كان الله يؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على أسراره فيرى حقائق الناس من مؤمنين وغيرهم فعليكم أن تعرفوا حقائق الناس بالتجربة عند البلاء، والمحن فإن فيها منح من الله، وفي المكاره مكارم وفي المشقات خيرات، وفي المعاناة هباة، وفي العقوبات يقضات الضمير، عن الإمام الحسن العسكري (ع) (مَا مِنْ بَلِيَّةٍ إِلاَّ وَللهِ فِيْهَا نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَا) البحار٧٨/٣٧٤ (**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي (يصطفي ويختار) مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**) فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات لمصلحة ولحالة معينة ، لأن الأنبياء وسائط بين عالمي الغيب والشهادة (**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**) فهما أساس الدين ، فمنهج الله هو الطريق الوحيد للاستقامة التي فيها الكرامة والسلامة بلا أية ندامة ولا ملامة (**وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**) قرن

الإيمان بالتقوى ، وقرنت التقوى بالحكمة والعصمة والعمل الصالح ، ومن أوتي هذه النعم فقد أوتي خيراً كثيراً وأجراً عظيماً. **فائدة** : (**لِيُطْلِعَكُمْ**) علم الغيب ومفاتحه مختصٌّ بالله وحده ، ولا يطلِّع عليه إلاّ بعض أنبيائه ، يطلع على بعض الغيب في بعض حالاته في بعض أوقاته لمصلحة معينة ففي حجب المستقبل رحمة عنا رحمة بنا وإحسان إلينا ، ولو كان الغيب مكشوفاً للناس لماكان هناك داعية إلى الأوامر والنواهي، فكل يعرف مصيره الذي هو صائر إليه بلا تغيير ولا تبديل ، ولو عرف النّاس مصائرهم مقدّماً بالتفصيل لما إحتملت البشرية هذه الحقيقة ولكانت فتنة في الأرض وعذاب للنفس وفقدان للأمل والعمل ولإختلّت المقادير المقدّرة والتدابير المدبّرة. ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ الجن/٢٦-٢٧

**١٨٠ - ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**

**وَلا يَحْسَبَنَّ** : ولا يظنن ، يكون حال البخلاء مثل حال إملاء الكافرين وإمهالهم ليزدادوا إثماً ، لقد حث الله تعالى المؤمنين ورغبّهم في الجهاد والتضحية والشهادة في سبيل الله ، شرع هنا الترغيب على بذل المال في سبيل الله ، **بمعنى** : لا يظن البخيل أن جمعه المال وبخله بإنفاقه ينفعه وهو خير له ، بل هو مضرة عليه في دنياه وآخرته (**هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ**) ليس كما يظنون أنه خير لهم ، بل البخل شرٌ لهم ، وهكذا حبُّ الدنيا يقلب الموازين فيظن الشر خيراً ، والآية في خصوص ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ المعارج/٢٤-٢٥ ، (**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) سيجعل الله ما بخلوا به أطواقاً من النار يوم القيامة تلتحم في أعناق الذين يمنعون الحقوق الشرعية المفروضة عن الفقراء ، سواء في ذلك أصحاب الأموال والذين يقبضون هذه الحقوق الإلهية لأنفسهم ويبخلون بها عن المستحقين مما يدل أن المعاد جسماني (**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) جميع ما في الكون ملك له ويعود إليه بعد فناء الخلق ، فهو غني عنهم وعن نفقاتهم ولله تعالى كل الأرزاق فهي لكل الخلق على السواء فلماذا تحتكرها فئة دون فئة ؟! (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) سيجازي المحسن على إحسانه وكرمه والمسيء على إساءته وبخله. **فائدة: ١-** نزلت الآية في مانعي الزكاة ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَمْنَعُ دِرْهَماً فِيْ حَقِّهِ إِلاَّ أَنْفَقَ إِثْنَيْنِ فِيْ غَيْرِ حَقِّهِ) وسائل الشيعة٦ص٢٥. **٢-** عبّر عن آفة حب الدنيا والمال بالطوق لأنهما تحيطان بالقلب وتطبعان النفس بطبيعة البخل، وتنشأ منهما الصفات الذميمة. **٣-(آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)** والفضل زيادة على الاستحقاق ويشمل كل معاني الفضل على سعة معناه ، من هذا الفضل العلم والتعلم والإختصاص، والخُلُق والجاه والموقع الإجتماعي والسياسي والإقتصادي، فكل ينفق من سعته ومن

موقعه وبقدره، من بخل في ما آتاه الله من فضله، فقد خان الله وظلم نفسه، لذلك يحرمه الله من دخول الجنة ويلاقيه ما يستحق و(الْعُقُوبَةُ عَلَى قَدَرِ الذَّنْبِ).

**١٨١ -** ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

الذين يسيئون الأدب مع الله تعالى هم اليهود ، قالوا هذه المقالة الشنيعة الوقحة زعموا أن الله فقير ، وذلك حين نزل قوله تعالى ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ البقرة/٢٤٥ ، قالوا : إن الله فقير يقترض منا ، وكما قالوا سابقاً ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ المائدة/٦٤ ، وغرضهم تشكيك المؤمنين بدينهم (**وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**) الشعور بالغنى والإعجاب بالثراء والرفاه من دون إيمان فهو مقدمة للتمرد على منهج الله والاستهزاء به والعمل على محاربته بكافة الوسائل الممكنة. (**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**) سنحفظه ونثبته في صحائف أعمالهم مع الجريمة الشنيعة الأخرى بقتل الأنبياء (بالجمع) بغير الحق، بمعنى إنهم يقتلون الحق بقتلهم دعاة الحق ، ومن قتل الحق فقد أحيا الباطل ، ومن نصر الباطل بمعنى أنه ممن ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٢ ، والمراد (**بِقَتْلَهُمْ الأَنْبِيَاءَ**) رضاهم بفعل القتلة ، الْعَاْمِلُ بِالظُّلْمِ وَالرَّاْضِيْ بِهِ وَالسَّاْكِتُ عَنْهُ وَالْحَاْضِنُ لَهُ شُرَكَاْءُ فِيْ الظُّلْمِ ، **في نهج البلاغة حكم١٥٤** (الرَّاْضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كالدَاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وعلى كلّ دَاخِلٍ فِي باطِلٍ إِثْمَانٌ: إِثْمُ العملِ بِهِ وإِثْمُ الرِضَا بِهِ) **عن النبي (ص)** (إِذَا عَمِلَتِ الخَطِيئَةَ فِي الأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَأَنكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْها، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا)كنز العمال خبر ٥٥٣٧، وهكذا القاعدة في الرضا والسخط (مَنْ حَضَرَ فِعْلَ قَوْمٍ وَسَخِطَ عَمَلَهُمْ كَاْنَ كَمَنْ غَاْبَ عَنْهُمْ، وَمَنْ غَاْبَ عَنْ فِعْلَ قَوْمٍ وَرَضِيَ بِفِعْلِهِمْ كَاْنِ كَمَنْ حَضَرَ وَأُشْرِكَ فِيْ عَمَلِهِمْ !) ، (**وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**) العمل القبيح الشنيع مقابل عذاب الحريق الفظيع.

**فائدة:** وقد قرن الله قولهم الوقح هذا بقتلهم الأنبياء لكونه قولاً خبيثاً صلفاً ، فهم يقولون أخبث الأقوال ويعملون كبائر الذنوب وسينتقم الله تعالى منهم أشدّ إنتقام ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ آل عمران/٤ ، ولو بعد حين والأُمُوْرُ بِالْخَوَاْتِيْمِ. **عن الإمام علي (ع)**: (الدُّنْيَاْ كُلُّهَاْ جَهْلٌ إِلاَّ مَوَاْضِعُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ كُلُّهُ حُجَّةٌ إِلاَّ مَاْ عُمِلَ بِهِ، وَالْعَمَلُ كُلُّهُ رِيَاْءٌ إِلاَّ مَاْ كَاْنَ مُخْلِصاً، وَالإِخْلاَصُ عَلَى خَطَرٍ حَتَّى يَنْظُرَ الْعَبْدُ بِمَاْ يُخْتَمُ لَهُ) التوحيد ص٣٧١

**١٨٢ -** ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

ذلك العقاب (**ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**) مما كسبت أيديكم وأنتم جنيتم على أنفسكم بأنفسكم ، وأنّه تعالى عادل لا يعاقب إلاّ بسبب الذنوب وتجاوز الحدود ، وخص الأيدي بالذكر وإن كانت الذنوب تتم بجميع الجوارح ، لأنهم مارسوا القبائح بأيديهم وفيه دلالة أن الإنسان مخيّر في أفعاله ومحاسب عليها لأنه مسؤول عنها في أقوالها وأعمالها ويكون الجَزَاْءُ مِنْ خِلاَلِ الْعَمَلْ ، وَتَكُوْنُ النَّتَائِجُ

كَالْمُقَدِّمَاْتِ، وَالْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفْسَهُ (**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**) وإنما رحيم بهم ومن رحمته أن لا يجعل المصلح منهم مظهر صفة قهره ، ولا المفسد منهم مظهر صفة لطفه ومن العدل أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن وصيغة المبالغة (**ظَلاَّمٍ**) لنفي كلّ أنواع الظلم عنه سبحانه ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (وَاللهِ مَاْ قَتَلُوْهُمْ بِأَسْيَاْفِهِمْ وَلَكِنْ أَذَاْعُوْاْ أَمْرَهُمْ وَأَفْشَوْاْ عَلَيْهِمْ فَقُتِلُوْاْ !) الكافي٢/٣٧١/ باب الإذاعة، **عن الإمام علي** (ع) : (مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَاْلَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اِجْتَرَحُوهَا (**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**) كنز الدقائق٢/٣٠٠﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ النساء/١٢٣)، **في غرر الحكم**: (بِحُسْنِ الْعَمَلِ تُجْنى ثَمَرَةُ الْعِلْمِ لا بِحُسْنِ الْقَوْلِ).

**١٨٣ – ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**

**عَهِدَ إِلَيْنَا** : أوصانا ، عناد وكذب من اليهود الأعداء الألداء حيث إدّعوا أن الله أمرهم بل أوصاهم أن لا يؤمنوا لرسول إلاّ أن يأتيهم ببيّنة مميزة وآيات واضحة وهي القربان (وهو الشيء الذي يتقرب به العبد إلى ربه من حيوان يذبحه أو غيره) (**أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ**) وكان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله أي تحرقه ، بينما لم يأت النبي محمّد (ص) بهذا القربان (**قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) يفضح القرآن هذا التزوير بتذكيرهم برسلهم الماضين كزكريا ويحيى الذين جاءوا بالبينات والدلائل والمعجزات ومنها بيّنة القربان ولكن لم يمنعهم كل ذلك من تكذيبهم وقتلهم ممّا يوضح عنادهم ، وهذا دليل على أنهم قساة القلوب غلاظ طغاة عتاة جفاة ، لا يفقهون الحق ولا يذعنون له ولا تنفعهم معجزة ولا دليل ولا برهان. **فائدة** : والمؤمن دليل واضح يكفيه ، وغير المؤمن لو جئته بألف دليل ودليل لا يكفيه **وعن الإمام الصادق** (ع) : (كَاْنَ بَيْنَ الْقَاْتِلِيْنَ وَالقَاْتِلِيْنَ خَمْسَمِاْئَةِ عَاْمٍ فَأَلْزَمَهُمُ اللهُ الْقَتْلَ بِرِضَاْهُمْ مَاْ فَعَلُوْاْ) الكافي٢/٤٠٩، و(مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِيْ عَمَلِهِمْ)، **عن النبي (ص)**: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحِبَّ) كنز العمال خبر٢٤٦٨٤. **عن الإمام علي** (ع): (من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه) البحار٧٨ص٨٢

**١٨٤ – ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾**

إنه تسلية للنبي (ص) حتى يتأسى بالأنبياء (ع) الماضيين فقد عانوا التكذيب والإفتراءات من بني إسرائيل (**جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**) بعد قيام الحجج والبينات والمعجزات الدالة على صدقهم ، جاءوا (**بالزُّبُرِ**) جمع زبور وهو كتاب حكم ومواعظ كزبور داود ، والتوراة وهو الكتاب المنير الذي فيه تشريعات موسى القيّمة ، وهكذا يقيم الله الحجة على كل جيل. **فائدة : ١–** فتكون مسيرة الأنبياء عبر التأريخ مسيرة علمية عقائدية تربط الناس بالله وتلقي الحجة الشرعية الواضحة على الأمة وإن تعدّدت الأساليب ولكنها تتوحد بالأهداف السامية ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ**

**وَمُنذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** االنساء/١٦٥. **٢-** تنوعت معجزات الأنبياء بينما توحّدت أصول جميع الأديان لذلك نلاحظ (**الْبيِّنَاتِ**) جاءت في صيغة الجمع بينما (**الْكِتَابِ**) جاء بالمفرد لأن أصول كل الأديان واحدة.

**١٨٥ - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾**

علاقة الروح بالجسد مؤقتة ولا بد من الفراق بينهما ، وإن علاقة الحياة بالموت حقيقة مؤكدة ، المعنى: لابد لكل نفس تذوق الموت وتحس به وتستشعره بالحق ، فتفارق النفس البدن ، وهذا دليل أن النفس لا تموت بموت البدن ، وفصل العلاقة بين الروح والجسد (والنفس والبدن) تسمى ذائقة الموت ، كل نفس تموت وتذوق هذه الجرعة ، من هذه الكأس المعنوية الدائرة بالحق على الجميع ، لأن الموت حق والذي يذوق الموت بالحق ، وإن تعددت أسباب الموت ولكن النتيجة واحدة، **عن النبي (ص)**: (إذا مَاتَ أحدكم فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨، **وعنه (ص)** (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢، **في نهج البلاغة حكم٢٩:** (إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى؟!) ، إنما الفارق بين الناس في النتيجة بعد الموت (**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) وإنما تعطون جزاء أعمالكم صغيرها وكبيرها كاملاً وافياً غير منقوص يوم القيامة **في غرر الحكم**: (الْمَوْتُ أَوَّلُ عَدْلِ الآخِرَةِ) فالدنيا دار عمل ولا حساب والآخرة دار حساب ولا عمل ، **عن النبي (ص)** : (الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ) البحار٦/٢٦٧، (**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**) **زُحْزِحَ** : أُبعد ونُحي ، صورة دقيقة حية فيها شد وجذب ، وكأن للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها وكأن الشخص مشرفاً على السقوط فيها لأن أعمالهم تسوقهم إلى النار ، والنار تشدهم إليها ، فالزحزحة عن لهيب النار فوز عظيم ، وذلك بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾** الشورى/٢٢ ، (**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**) ليس متاع الحقيقة ولا متاع النعمة الدائمة ولا متاع اليقظة والوعي الكاملين ، إنها متاع الغرور والخداع ، لأن صاحبها مخدوع بهذا المتاع مهما كان كثيراً فهو قليل، لأن لذّاته قصيرة وتبعاته طويلة ومنغصاته كثيرة ، فيشغله المهم عن الأهم ، ويشغله الجسد عن الروح ، والشهوة عن العقل ، والهوى عن الهدى، والدنيا عن الآخرة ، والحياة عن الموت، والأمل عن العمل.. وهكذا الدنيا متاع الغرور لأن الذي يعرف حقيقة الدنيا يجدها فراغاً في فراغ وخواءً في خواء **﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾** النازعات/٤٦ ، **عن الإمام علي (ع)** وهو يصف الدنيا : (مَنْ أَبْصَرَ فِيْهَا بَصَّرَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ!)شرح النهج ٢٣٨/٦ **في غرر الحكم:** (إِنَّ الدُّنْيَا كَالشَّبَكَةِ تَلْتَفُّ عَلى

مَنْ رَغَبَ فِيْهَاْ) ، و عن النبي (ص) : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ.. يَأْتِ النَّاسَ بِمَاْ أَحَبَّ أَنْ يُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِ) روح البيان٢/١٣٨.

**١٨٦ - ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**

**عن الإمام العسكري** (ع): (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فِيْهَاْ نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَاْ !) البحار٧٨/٣٧٤، فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَاْرِهِ مِكَاْرِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاْتِ خِبْرَاْتٌ، وَفِيْ الْمُعَاْنَاْةِ هِبَاْةٌ، وَفِيْ الْبَلاَيَاْ بِدَاْيَاْتٌ نِهَاْيَاْتُهَاْ الْكَرَاْمَاْتُ. **المعنى** : يسعى الإنسان نحو التكامل في ذاته وآفاقه ، وتكامله الإجتماعي والعلمي والحضاري.. والتكامل الإنساني يتم من خلال المكابدة والمعاناة المستمرة ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ البلد/٤، والتحدي الإرادي المعقول لكل العقبات التي تزرع في طريقه ، وبهذه النظرة المتفائلة يواجه المسلم البلاء في المال والنفس (**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً**) ولينالكم من أعدائكم الأذى الكثير المتنوع ، وهذا إخبار من الله، وأمر لهم بالصبر **عن النبي** (ص): (إِنّ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَالنَّارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ) شرح النهج١٠ص١٦(**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**) (**وَإِنْ تَصْبِرُوا**) على جهاد المبطلين وما يحل بكم من البلاء (**وَتَتَّقُوا**) الله فيما يجب إتقاؤه (**فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**) : صواب التدبير وحسن التقدير ، وهو ما ينبغي للعاقل أن يعزم عليه ويثبت ويصمم على تنفيذه ، ويهذّب نفسه ويدربها للوصول إليه.

**المعنى**: إن تصبروا على الشدائد وتثبتوا على التقوى في كل الأحوال (**فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**) فإنها تعطيك المناعة والعزم والقوة والقدرة والإرادة فتمنعك من الوقوع فيما وقعت فيه وتعطيك العزم والرؤية البعيدة على حسن التخطيط للمستقبل ، وهذه تربية قرآنية عالية المضامين وهي قول فصل وليس بالهزل ، وفي عَزْمِ الأُمُورِ ﴿**فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦ ، و﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١. **فائدة** : (**فَإِنَّ ذَلِكَ**) جاء بالمفرد لبيان أن (**الصبر والتقوى**) متلازمان ومتوازنان ، يتحقق أحدهما بحضور الآخر وهما معاً سرُّ النجاح وقانون الفلاح في جميع شؤون الحياة، بحيث لا يزداد الصبر على التقوى ، ولا تقل التقوى على الصبر وإنّما التوازن والتلازم بينهما !

**١٨٧ - ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾**

يتابع القرآن بين الحين والآخر بنقده الذين أوتوا الكتاب ، وقدمت الميثاق والعهد المؤكد بحمل الكتاب كتاب الله ويبلغونه للناس ليهدوهم إلى منهج الله تعالى. (**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**) يوضحوا معانيه للناس ولا يحرفونه عن مواضعه وغير كاتمين له ، وهذه الآية وإن كانت لليهود والنصارى ولكنها تنطبق على المسلمين أيضاً (**فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**) تركوه ولم يهتموا بشأنه وكتموا

الحق الذي يعلمونه في صحة الإسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ولم يهتموا بالقرآن كدستور للحياة، **في الحديث** (والسَّاْكِتُ عَنْ الْحَقِّ شَيْطَاْنٌ أَخْرَسْ) الكاشف٥/٣٢، فهم إتبعوا سنن من قبلهم من الضلال والإنحلال والَّذِيْ لاَ تَنْفَعُهُ الْهِدَاْيَةُ تَلِيْقُ بِهِ الْغِوَاْيَةُ وَالضَّلاَلُ (**اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً**) فسّروا الكتاب حسب مصالح خاصة بهم وباعوا دينهم للشيطان والسلطان وقبضوا أبخس الأثمان (**فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**) إنهم أخذوا مالاً قليلاً مؤقتاً وعطّلوا كتاب الله الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور. **فائدة: في الآية دلالة** الوجوب على العلماء أن يبينوا كتاب الله للناس ويظهروا الحق ويكشفوا الحقائق لهم ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ومن لم يبينه للناس دخل تحت وعيد الآية ، **عن الإمام علي (ع)**: (مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا) كنز الدقائق٢/٣١٢، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ**﴾ البقرة/١٧٤ ، **عن النبي (ص)** : (كَاتِمُ الْعِلْمِ يَلْعَنُهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ وَالطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ)كنز العمال خبر٢٨٩٩٧.

**١٨٨ – ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

**لا تَحْسَبَنَّ**: لا تظنن ، تذم الآية (**المعجبون بأنفسهم**) بلا مبرر ولا يوجد إعجاب بالنفس بمبرر، ويفرحون بما أوتوا من مال وجمال وحسن حال ، وهم ضعفاء النفوس فيرون لها شرفاً وفضلاً ويحبون أن يمدحهم الناس بلا سبب ويفخّمون أعمالهم بعيداً عن الواقع ، ويبررون أخطاءهم وفسادهم ويظهرون لهم الحب والقرب ويضمرون العداوة والبغضاء في قلوبهم، وإنما فعلوا نقيضه فحولوا المدح لهم والتملق الفارغ إلى حالة كبرياء وخيلاء ، وقد إشتبه أمرهم على بعض الناس لكون ظاهرهم يغر ويسر ولكن باطنهم يضر وأعمالهم تضل إنها كلمات معسولة خادعة مؤقتة فارغة ولكن عواقبها سيئة، **هؤلاء على نوعين**: نوع يفعل القبيح ثم يندم ونوع لا يشعر بالندم فحسب، بل يعيش الإعجاب بالنفس، فيفرح بما فعل من قبيح ويتفاخر، **في غرر الحكم**: (لا وَزَرَ أَعْظَمُ مِنَ التَبَجُحِ بالفُجُورِ) وفوق ذلك يحب أن يمدحه الناس على عيوبه ومساوئه وعلى ما لا يستحق المدح بل يستحق الذم والعقوبة (**فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**). **في غرر الحكم**: (إِيَّاْكَ أَنْ تُثْنِيَ عَلَى أَحَدٍ بِمَاْ لَيْسَ فِيهِ فَإِنَّ فِعْلَهُ يَصْدُقُ عَنْ وَصْفِهِ وَيُكَذِّبُكَ) ، **وفيه أيضاً**: (عَجِبْتُ لِمَنْ يُقَاْلُ إِنَّ فِيْهِ الشَّرَّ الَّذِيْ يُعْلَمُ أَنَّهُ فِيْهِ كَيْفَ يَسْخَطُ ؟! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوْصَفُ بِالْخَيْرِ الَّذِيْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيْهِ كَيْفَ يَرْضَى؟)، **وفيه أيضاً**: (مَاْدِحِ الرَّجُلِ بِمَاْ لَيْسَ فِيْهِ مُسْتَهْزِئٌ بِهِ). **فائدة: (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا)** منعاً لأي حمد بغير عمل وبدون استحقاق فحرم الإسلام التملق والتزلّف والإطراء لذلك تجوز الغيبة على من يدّعي موقعاً أو إختصاصاً أو مسؤولية لكنه لا يصلح لأيٍّ منها **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ)، **وفيه أيضاً** (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ)، **وفيه أيضاً** (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ) ، الخطر الكبير هو يحب يُحمد لا أن يشكر ويثنى عليه ، لأن الحمد صفة جامعة لكل أنواع الثناء الممتزج بالعبادة ، والحمد صفة خاصة بالله وهذا المغرور

يريدها لنفسه إعجاباً بها لذلك هذا الصنف المنتفخ بالغرور والإعجاب له عقوبتان (**فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) وإعادة الفعل (**تَحْسَبَنَّ**) لتوكيد الحكم وإلصاقه بهم فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بمنجاة من العذاب (**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) وفي كلّ حالات العذاب هو أليم سواء كان نفسياً أو جسدياً كقوله ﴿**وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ الأنعام/٢٦ ، وهذه سوء العاقبة.

**١٨٩** – ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾لا داعي لأن يسلك المؤمنون سبلاً منحرفة لتحقيق مقاصدهم الشريفة ، ولا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وذلك بإتخاذ السبل المشروعة بالاستعانة بقدرة الله مالك الملك (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**). فمن توجه لوجه واحد أحد يكفيه الوجوه كلها، ومن تحمّل هماً واحداً تكفيه الهموم كلها.

**١٩٠** – ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾

أفضل الطرق لمعرفة الله سبحانه هو الطريق الذي استدلَّ به الله عز وجلّ على وجوده ، بأن ينظر العاقل الواعي إلى عجائب الكون ويفكر بعلم وإمعان في كل شيء فيرى فيه إبداع وإتقانَّ في الصنع، فيرى أن كل ما فيه ينبئ عن قصد وغاية جليلة ، في تنظيم الكون وسير الحياة ، فيستدل من نظام الكون على المنظم ، ومن القدرة الهائلة على عظمة المقدّر كقوله : ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ الملك/٣ ، (**وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**) اختلافهما في الطول والقصر وتعاقبهما ناتج من دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس ومن تعاقب الليل والنهار الذي يعدل من حرارة الأرض ويؤدي إلى نشوء الأيام والأسابيع والشهور والسنين ، وفي اختلاف الليل والنهار اختلافاً منظماً ومتعادلاً ومتبادلاً ومتوازناً فتحصل على الفصول الأربعة للسنة بحسب بقاع الأرض المختلفة ، وتداخل الليل بالنهار يكشف عن سنة التداخل الإلهية واسعة الدلالة إنّ هناك علاقة بين السنن الكونية والسنن الإنسانية ، وتكشف أنه كما يتداخل الليل والنهار كذلك تتداخل الأشياء المادية والمعنوية فيتداخل الضعف والقوة والخير والشر والذكر والأنثى والحياة والموت ، والروح والجسد، والدنيا والآخرة، والأمل والعمل، والعزة والذلة ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾ الإنشراح/٥-٦ ، وهكذا سنة الحياة (**لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ**) دلائل واضحة على صنع الصانع ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ النمل/٨٨ ، ولا يطلع إلى أسرار الكون والكائنات إلاّ لذوي العقول المتفكرة والمتدبرة والمتذكرة والأكثر وعياً وإدراكاً لعجائب خلق الله والتفكر جلاء القلوب فنحصل على ينبوع الحكمة وتنمية الحياة، لذلك من تفكر حسنت بصيرته وقاد نفسه، والذي لا يتفكر يقوده الذين يفكرون، ويكون على ما هم عليه! وهناك حث وترغيب على قراءة هذه الآيات الكريمات.

**١٩١ - ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**

من ذكر الله دائماً ذكره فأحيا قلبه ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ البقرة/١٥٢ ، وهذا يشمل ذكر الله في جميع الأحوال باللسان والقلب والجوارح ، وفي القيام والقعود والإضطجاع ، والتذكر اللفظي والعملي (التطبيقي) فلا يقتصر الذكر على التسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل ، بل يرتقي إلى الانقياد للحق لا للباطل ، ولا يقتصر الذكر أيضاً بالقيام والقعود مجرد الركوع والسجود وإنما بالقول الفالح والعمل الصالح ، (**وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**) يحاسبون أنفسهم حين يستلقون على فراشهم قبل أن يُحاسبوا ، ويزنوها قبل أن يوزنوا ، ويفكروا في فعل ما هو الأفضل عند الله وعند الناس ، والذي يفكر في الأفضل هو الأفضل (**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) **التفكر** : علم وهداية ودراية ورعاية وعبادة وهو يعطي سعة لآفاق العقل وانشراح النفس ، **عن الإمام الصادق** (ع): (تَفَكُّرِ سَاْعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَاْدَةِ سَنَةٍ) (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الْأَلْبَابِ) الرعد/١٩، البحار ٣٢٧/٧١، **في غرر الحكم:** (مَنْ قَلَّ أَكْلُهُ صَفَاْ فِكْرُهُ)، ويتفكرون وما فيهما من صنع منظم وتدبير محكم فلا ينظرون إلى الحياة بشكلها ، وإنما يغوصون إلى مضمونها ومعرفة فلسفتها وحقيقتها ويقولون : (**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً**) والباطل ما ليس له غاية يتعلق بها الصنع ، وليس له هدف سامٍ يستحق السير إليه ، فوراء الدنيا حياة عُليا أخرى أسمى منها، وبالإيمان والعمل الصالح ترتقي إليها ، وهي غاية عظمى لتحشر كل الناس للحساب والجزاء يوم القيامة. (**سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) ننزهك من كل خلق لا حكمة فيه سواء عرفناه أم جهلناه لعلمنا أنك الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها المناسبة النافعة. **فائدة** : (**يَذْكُرُونَ.. وَيَتَفَكَّرُونَ**) الذكر له قيمة كبيرة حينما يقترن بالتفكر ، فهناك من يذكر الله ولا يتفكر وهناك من يتفكر ولا يذكر الله ، والمطلوب كلاهما وباستمرار لذلك نلاحظ جاءتا في الفعل المضارع المستمر للدلالة على الدوام والاستمرار لأن أحدهما يكمل الآخر ويعطيه جماله وجلاله.

**١٩٢ - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾**

**في غرر الحكم:** (اَلْنّزَاْهَةُ مِنْ شِيَمِ الْنُّفُوْسِ الْطَّاْهِرَةِ) هؤلاء النزيهين لا يجعلون أنفسهم في موقف ضعيف يعرّضون أنفسهم للإهانة والخزي ، فهم يحذرون من الخزي والفضيحة قبل أن يحذروا من جهنم ، لأن حياءهم من الله أشد عليهم من جهنم ، وأنهم يؤمنون أنه لا منجا ولا مأوى ولا ملجأ لهم من الله إلاّ إليه (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**) يدفعون عنهم أو شفعاء يعينونهم على شيء **في غرر الحكم:** (الجورُ أحدُ المدّمّرينَ).

**١٩٣ - ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾**

هذه هي صفة المؤمنين الاستجابة لأهل الإيمان، وهذا هو شأن من طلب الحق لوجه الحق يفتح قلبه لمناديه ويستجيب إليه بمجرد سماع المنادي ينادي أيّاً كان المنادي المهم أن ينادي للإيمان الخالص، فكيف إذا كان المنادي سيد الرسل مُحَّد (ص) فإن لم ينادينا بلسانه ولكنه ينادينا بسنته وسيرته وخُلُقه (**أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**) وصدقنا المنادي فيما دعا إليه ، وكل ما دعا إليه (ص) منهج حياة ونظام حياة للفرد والانسانية جمعاء ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ النبياء/١٠٧ ، لذلك أجبناه (**رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**) استرها علينا ولا تفضحنا بها (**وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا**) امحُها عنا وسامحنا فيها ، والذنوب هي الكبائر ، والسيئات هي الصغائر كقوله ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ النساء/٣١ ، (**وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ**) ليس المراد بمعية الأبرار في الزمان والمكان، وإنما معية الصفات في البر والإحسان حتى الوفاة ، والبر للصلاح والإحسان للفلاح.

**١٩٤ –** ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

وهذا كلام عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ، وعد الله تعالى المؤمنين على لسان رسله بالنصر والغلبة في الدنيا والغفران في الآخرة (**وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**) وها هم يسألونه أن يؤتيهم ما وعدهم ، ولا يبتليهم بعذاب الخزي والفضيحة والحساب المكشوف العلني أمام الناس أجمعين يوم الحشر الأكبر والله لا يخلف الميعاد ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾ النساء/٨٧.

**١٩٥ –** ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

**عن النبي** (ص):(إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَسْتَجِيْبَ لِعَبْدٍ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّعَاءِ) كنز العمال خبر٣١٥٦كانت استجابة الدعاء مفتوحة ومصحوبة بالتوجه الروحي (**أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**) يحث نحو العمل الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة، فليس الدعاء مجرد تلفظ باللسان بعيداً عن العمل ، وركزت الآية على حقيقة مهمة هي انفتاح طريق السعي نحو التكامل أمام الذكور والإناث فكلهم أبناء آدم ويرجعون إلى أصل واحد ، ويمتلكون إمكانات التكامل وهم سواء في الإنسانية وإن إختلفت الوظائف والمسؤوليات لأحدهما عن الآخر ولكن يجمعهما وحدة هدف هو بناء أسرة صالحة نافعة ، فلا تفاضل إلاّ بالتقوى ، وبهذا يقضي الإسلام على كل التصورات الناقصة والمتطرفة ضد المرأة (**بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**) الذكر من الأنثى ، والأنثى من الذكر ، فإذا كنتم مشتركين في الأصل فكذلك مشتركون في الأجر والتكاليف والمعاناة بعد أن ربط سبحانه الجزاء بالعمل الصالح لا بالنسب والعنصروالقومية واللون ، ثمّ بيّن الأعمال التي يضاعف بها الثواب

**١–** (**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا**) خروج المؤمن من وطنه في ظروف موضوعية الذي يفقد الأمن والرزق فيه ،

**٢- (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ)** وهو التهجير القسري الإرهابي المجرم الظالم ، **٣- (وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي)** وتحمل أنواع المعاناة من أجل الله وفي سبيل نصرة دين الله وفي نهضة المجتمع المسلم ، **٤- (وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا)** جاهدوا وضحوا واستشهدوا في سبيل نصرة الحق والحقوق **(لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) لأُكَفِّرَنَّ** : لأمحُونّ ولأسترُنّ، كلُّ هؤلاء يمحو الله سيئاتهم ويغفرها لهم **(وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** وفوق ذلك يثيبهم ثواباً ليس كمثله ثواب كما انه سبحانه ليس كمثله شيء **(وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)**. هذا الثواب مقرون بالمفاجأة والبشارات والكرامات كقوله ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ النازعات/٤٠-٤١، **في غرر الحكم:** (بِالْمَكَارِهِ تُنَالُ الْجَنَّةُ) وَبِالْمَكَارِهِ مِكَارِمٌ. **وفيه أيضاً** (لَنْ يَفوزَ بالجنَةِ إلاّ السّاعِيَ لَهَا، لَنْ يَحُوزَ الجَنَةَ إلاّ مَنْ جَاهَدَ نَفَسُهُ).

**١٩٦ - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾**

**تَقَلُّب** : تَنَعُّم. **سبب النزول** : كان اليهود والمشركون يتجرون ويتنعمون بأرباح كثيرة ، فقال بعض المسلمين إن أعداء الله في رفاهية من العيش ونحن المؤمنين قد هلكنا من الجوع فنزلت ، وإن نزلت بخصوص السبب ولكن أريد لها عموم المعنى. **المعنى : لا يَغُرَّنَّكَ** : لا يخدعنَّك أيها السامع تنقل الذين كفروا وتنعمهم في البلاد وتحكمهم بالعباد بمالهم من جاه وسلطان ونهبوا الأقوات والأرزاق فالله سبحانه يمهلهم ولا يهملهم **في نهج البلاغة:** (فوالله لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ) التفسير المبين ص١٦٩، وَأَنَّهُ أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَأَنَّهُ أَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَرَ ! كقوله ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ الأنعام/٤٤.

**١٩٧ - ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**

**مَتَاعٌ قَلِيلٌ** : وكل نعيم الدنيا قليل، ولذّات يسيرة عابرة، وتبعات كثيرة، فهو مجرد متاع يستذوقه الطغاة قليلاً، فهو متاع ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر ، وهو قليل أيضاً مقابل نعيم الآخرة و(لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ) **عن النبي (ص)** : (مَاْ الدُّنْيَاْ فِي الآخِرَةِ إلاّ كَمَثَلِ مَاْ يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي هَذَاْ الْيَمِ (البحر) فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ) البحار٧٣/١١٩ **(ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)** مصيرهم الذي يأوون إليه ومهّدوه لأنفسهم كالفراش، و(الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفَسَهُ) هي جهنم تضمهم إليها ويا للخيبة والخذلان من كان فراشه وموضع راحته جهنم ! وهكذا الَّذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ، وَالَّذِيْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ! **عن الإمام علي** (ع): (إِحْذَرُوْا نَاْرَاً قَعْرُهَاْ بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيْدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيْدٌ، دَارٌ لَيس فيها رَحْمَةٌ، ولا تُسمَعُ فيها دَعوةٌ. ولا تُفَرجُ فيها كربةٌ) شرح النهج ١٥/١٦٥.

**١٩٨ - ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾**

ومن يعاقب المجرمين و(الْعُقُوبَةُ عَلَى قَدَرِ الذَّنْبِ) يثبْ المتقين ويستضفهم في جنته بنعيم دائم أكثر من الاستحقاق (**لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**) ، **عن الإمام علي (ع)** : (مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ اَلنَّارُ ، وَلاَ شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ اَلْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ اَلْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلاَءٍ دُونَ اَلنَّارِ عَافِيَةٌ) البحار٨/٢٠٠، تشير الآية إلى أن النازلين (**نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) جعل الجنات نزلاً لهم ، في الجنة هم في ضيافة الله يحفهم بلطفه ويخصهم بجوده بأنواع النعم المادية والمعنوية في الجنة **عن النبي (ص)**: قال الله تعالى (أَعَدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصالحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) كنز العمال خبر٤٣٠٦٩، (**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ**) مقام الأبرار أسمى من مقام المتقين كقوله ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٧، وما عنده من الكرامة الدائمة أفضل مما يتقلب فيه الذين كفروا من متاع قليل مؤقت لذّاته قصيرة وتبعاته كثيرة. وأيضاً ما عند الله بعد ذلك النعيم للأبرار خيرٌ من ذلك كله. **فائدة** : (**نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) في هذا النزل المميز النموذجي الكرامة العظمى للمتقين لأنها من عند الله تعالى وهم في ضيافة الله وهذه العندية (**عِنْدِ اللَّهِ**) فيها الشرف الكريم والمنزلة العظيمة لهم ، وفيه إشارة إلى عدم تناهي ذلك النّزُل كميةوكيفية ومدة فإنه من عند من لا تتناهى نعمه ولا يقل كرمه لهم من كل جهة (**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ**) نعم أخرى لا نهاية لها ، والتفنن في النعم لبيان أن الأولى من النعم الجسمانية وهذه النعم المعنوية واللذة الروحية كالقرب إلى الله تعالى والخطوة لديه ولقائه عز وجل ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ التوبة/٧٢ ، فهذه كرامة أخرى للأبرار زائدة عما كانت للمتقين.

**١٩٩ -** ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾

ليس كل أهل الكتاب ملة ضالة ، وإنما منهم من نبذ العناد وكره التعصب وكانوا مع الحق والإنصاف وآمنوا بالله واستقاموا على نهجه ، وآمنوا بالكتب السماوية المنزلة إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من التوراة والإنجيل ، ولم تساوم على آيات الله وأحكامه ولم تحرّف فيها شيء ، هؤلاء أصحاب النفوس الطيبة والقلوب السليمة ، وكان إيمان هذه الطائفة عميقاً فخشعت لله (**خَاشِعِينَ لِلَّهِ**) خاضعين لله ، ومتبعين هداه ويريدون رضاه ، فتوجهوا إلى وجه واحد أحد فكفاهم الوجوه كلُّها، وتحمّلوا همّاً واحداً فكفاهم الهموم كلُّها ، وهكذا خضعوا لله بكلِّهم بأقوالهم وأفعالهم ولم تختلف أفعالهم عن أقوالهم ولم تختلف حقائقهم عن مدّعياتهم ، فخشعت قلوبهم كما خشعت جوارحهم والخشوع ثمرة الإيمان الصحيح وخشية القلب لله ومنه تفيض على الشخصية بمشاعر طيبة صادقة ، (**لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**) عندهم منهج الله هو قيمة القيم ودونه القيم الأخرى لذلك لا يستبدلون الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ (**أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**) وجاء أجرهم مطلق بلا تحديد لأن فيه المفاجأة، فالمكافأة الأخروية غير محدودة بجنس أو بقوم أو بأسماء وإنما تتعلق بالصفات ، وكل من تشمله الصفات الإيمانية يدخل ليأخذ مقامه المناسب ، وهذا يدل أن

**(الفرقة الناجية)** هي الفرقة المؤمنة الصالحة النافعة من كل ملة ، كقوله ﴿**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**﴾ القصص/٥٤ ، وقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ المائدة/٦٩ ، **(إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)**

لنفوذ علمه بجميع الكائنات ويعلم لكل عبد ما يستحق من الثواب والعقاب ولا تخفى عليه خافية وقد يُسرّع الله تعالى في حساب عبده فيعطيه ما يستحق في دنياه ، والله سريع الحساب في الآخرة فيحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر ! ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الحشر/٦ ، فلا يقع إبطاء بسبب الإحصاء المكتوب في صحف أعمالهم فهناك الصورة والصوت والنية وكأنها (فلم) متحرك واقعي حي يصوِّر سرّهم وعلانيتهم وكل حالاتهم ﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩. **سُئل الإمام علي** (ع): (كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقَالَ (ع): كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ) البحار٧/٢٧١، فلا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ، ويحاسب الجميع في وقت واحد! وبقدرة قادر، **فائدة:** (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب كل عمل بمجرد وقوعه بلامهلة، فيه دلالة إلى أن الجزاء واقع من غير فصل ولا مهل، إلاّ أن ظرف ظهوره هو ذلك اليوم الحاسم! وختم الله سبحانه وتعالى هذه السورة بوصية مهمة فقال :

**٢٠٠ –** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

يرشد القرآن الكريم المؤمنين ويهديهم للتي هي أقوم فيجمعهم على الإيمان والوحدة الإجتماعية والمصالح المشتركة ويبين لهم أهم العناصر اللازم توفرها في المجتمع المسلم الذي يسير نحو التقدم الحضاري فذكر الأهم حتى تصل إلى المهم وهي : **١–** العقيدة الإيمانية السليمة والتي يقوم عليها نظام متكامل يصلح للحياة الإنسانية السعيدة ، والإيمان التام بتلك العقيدة (وهذا ما حققه الخطاب **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**)، **٢– (اصْبِرُوا)** إثبتوا على تجنب المعاصي والاستمرار على الطاعة في إقامة النظام الإلهي متجاوزين جميع العقبات في الطريق والصبر شجاعة وصبر ساعة فيه خير كثير ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ الأنفال/٤٦ ، **٣– (وَصَابِرُوا)** درجة أعلى من الصبر العام وهو الصبر الخاص وبه تدرك الرغائب ، أنْ يصبر بعضكم على بعض حتى تتوحد كلمتكم وتقوى صفوفكم ويهابكم عدوكم ، بخلق جبهة قوية تقارع الامتدادات العدوانية في المجتمع الإسلامي ، نعم الخلق التصبّر في سبيل الله ، عوّدنفسك التصبّر على المكروه فإنه يعصم القلب من الزلل.**٤– (وَرَابِطُوا)** المرابطة أعم وأهم من المصابرة ، وهي إيجاد الجماعة المرتبطة في قواها والمتعاونة في أدائها والمنظمة في تخطيطاتها في الشدة والرخاء من أجل حفظ الحدود والثغور الإسلامية المادية والمعنوية والفكرية ، ومراقبة العدو وإضعافه والتخلّص من شره لحماية دينكم وأنفسكم ومجتمعكم حتى لا تفاجئكم الهجمات المباغتة لأعدائكم وتنزل المعونة على قدر البلاء ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا**

**وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** البقرة/٢٥٠ ، **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** مراقبة الله في كل حال (فَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) واتقوا النقائص وعالجوا الأخطاء **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** بنيل جميع مقامات الشرف والكرامة في الدنيا والآخرة ، ولاسيما المراتب الثلاثة وهي الصبر على كمال الطاعات (ومصابرة) النفس في تزكية عاداتها واستقامة سلوكها.

**في غرر الحكم:** (أَفضلُ الْعِبَاْدَةِ غَلَبَةُ الْعَاْدَةِ) السيئة (والمرابطة) لحماية المجتمع المسلم من كل اعتداء **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** الأنفال/٦٠، فإذا حصلت هذه المقومات الأهم مع توفر ما هو مهم مع الأخذ بأسباب التقدم والنهضة الحضارية، فإنها تدفع إلى تحقيق النصر الإلهي وأخذ الدور القيادي والريادي رغم كل القوى العسكرية الهائلة للأعداء **﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾** الأنفال/١٨ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (إِصْبِرُوْا عَلَى الْمَصَاْئِبِ وَصَاْبِرُوْا عَلَى الْفِتَنِ، وَرَاْبِطُوْا عَلَى مَنْ تَقْتَدُوْنَ بِهِ) كنز الدقائق٢/٣٢٩، **وعن النبي** (ص): (حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَاْ وَيُصَاْمُ نَهَارُهَا) ، **وعن الإمام علي** (ع) : (رَاْبِطُوْا الصَّلَوَاْتِ أي إِنْتَظِرُوها وَاحِدَةٌ بَعْدَ وَاحِدَةٌ، لأَنَّ المُرَاْبَطَةُ لَمْ تَكُنْ حَيَنئِذٍ) مجمع البيان٢/٥٦٢.

**فائدة: عن الإمام علي** (ع): (إِنَّ لِلْمِحَنِ غَاْيَاْتٌ لاَبُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَيْهَاْ فَيَجِبُ عَلَى الْعَاْقِلِ أَنْ يَنَاْمَ لَهَا إِلَى إِدْبَاْرِهَاْ أي (يصبر حتى تجوز) فَإِنَّ مُكَاْبَدَتِهَاْ بِالْحِيْلَةِ عَنْ إِقْبَاْلِهَاْ زِيَاْدَةٌ فِيْهَاْ) البحار٧٨ص٧٩، أي زيادة في مكروهها ! **أقسام الصبر**: صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب، وصبر على المعصية لاجتنابها ، وصبر على الطاعة لإلتزامها ، وصبر على المصيبة لتجاوزها **(صبر جميل)** هو صبر في موضعه المناسب بلا شكوى **﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾** المعارج/٥، **(وصبر ذليل)** هو الصبر في غير موضعه صبر فيه شكوى عندئذٍ لا يسمى صبر وإنّما خنوع وخضوع ذليل كقوله **﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**الطور/١٦، **في نهج البلاغة كتاب٥٣**: التوازن في مطالب الإنسان (إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَاْنِهَا، أَوِ اَلتَّقَسُّطَ (التَّأَخُرَ) فِيهَا عِنْدَ إِمْكَاْنِهَا أَوِ اَللَّجَاْجَةَ فِيهَاْ إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوِ اَلْوَهْنَ (الضَعْفَ) عَنْهَا إِذَا اِسْتَوْضَحَتْ!).

**وفي الختام نقول قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾** المائدة/١٥-١٦، **وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)يونس/١٠.**

**تمّ بعون الله تعالى (وَعيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر) لسورة آل عمران ، بقدري لا بقدرها ، بجهدٍ متواصل، فللّه الحمد والمنّة، وبالحمد تتمُّ الصّالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات بتأريخ ١٥/جمادى الأولى/١٤٣٦ هـ الموافق ٢٠١٤/٥/٢٣ م مع تصحيحها عدّة مرّات وتدقيقها في بغداد–الكاظمية، داعين الله تعالى أن يُعيننا على تكملة بقية السُّور القرآنية الكريمة ، إنّ ربّي سميعٌ مجيب الدُّعاء.**

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**

# سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

**من مقاصد السورة :**

كلها مدنية إلاّ قوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ الآية/٥٨ ، عدد آياتها ١٧٦ آية ، الجزء الرابع، سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تتعلق بالمرأة والأسرة والدولة والمجتمع ، والأيتام والميراث والكسب والزواج وحسن المعاشرة بين الزوجين وإنصاف المرأة بإعطائها حقوقها كالمهر والميراث ومعنى ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ والمهر ليس ثمناً للمرأة وإنّما هدية توثّق المحبّة (تَهَادُوْا تَحَابُّوْا) وتديم العشرة وتربط القلوب ، وأمرت بالإحسان في كلّ شيء، والاستعداد للأمن الداخلي والخارجي، ووضع قواعد العلاقات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى ، وذكرت الجهاد وأهميته ضد الأعداء ولاسيما المنافقين ونبهت السورة من مخاطر اليهود والنصارى. وسميت سورة النساء لكثرة ما فيها من أحكام النساء فقيل عنها (**سورة النساء الكبرى**) وصارت سورة الطلاق (**سورة النساء الصغرى**). **فضلها** : **عن الإمام علي (ع)** : (مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ النِّسَاْءِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ أَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ) مجمع البيان٣ص٣. **ملاحظة عامة** : راجع فضل سورة البقرة (كل فضل بشرطه وشروطه والاستقامة على منهج الله من شروطه).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**١ – ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**

الآية ظاهرها أنيق وباطنها عميق ، الخطاب لكل الناس في العالم أن (**اتَّقُوا رَبَّكُمْ**) بالتمسك على طاعته والتورع عن معصيته ، عن طريق التقوى تستطيع أن تعلم نظام وأحكام وفلسفة النفس الواحدة في القرآن لأن بالتقوى تنفتح عليك آفاق الحقيقة لتعرف إيحاءات النص القرآني وفلسفته العميقة والدقيقة والرقيقة كقوله ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢ ، وقدّم التقوى على العلم (**الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**) يعني العلاقة الزوجية تبنى على وحدة النفس ، وهو مصطلح جديد على العقل البشري لا يستوعب فلسفته من أول نظرة وإنما بحاجة إلى معرفة إيحاءاته البعيدة ودلالاته الواسعة، فهذه النفس الواحدة كيف تتحول إلى حياة الزوجين ؟ وكأنما هناك إنشطار لوحدة النفس إلى شطرين متساويين بقدرة الله منذ الخلق والتكوين فيكون الشطر الأول لمن هو أكبر من الزوجين ويكون الشطر الثاني لمن هو أصغر ، وأراد بالتقاء شطري النفس الواحدة في علاقة زوجية شرعية دائمة ومتكافئة تحقق سكن النفس الواحدة الموحدة المتّحدة ، لتكون ستراً

وحصانة وصيانة وامتداداً للحياة ورقيها المستمر ، وهكذا القرآن يطرح هذه الفلسفة بإسلوب علمي بلاغي مميز آخر : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ الروم/٢١ ، وجعل الهدف والعلة من إلتقاء النفس الواحدة هو السكن الزوجي والمساكنة وحسن المعاشرة لأنها حاجة منظمة ومتوازنة ومتبادلة ومتعادلة بين الزوجين الكفوءين ، وأي خلل في تطبيق نظام وحدة النفس الواحدة يؤدي إلى الخلل في السكن الزوجي وتقلق النفس وتأرق ، وهذا النظام بحاجة إلى تفصيل [**راجع كتابنا للمؤلف مكي قاسم البغدادي (السكن الزوجي المتكافئ في المنظور القرآني الفريد) دراسة قرآنية تحليلية معاصرة**].

(**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**) (**مِنْهَا**) للتبعيض بمعنى : خلق الله أحد الزوجين من بعض النفس الواحدة ، وخلق البعض الآخر لهذه النفس للزوج الآخر ، فيكون الزوجان جسمين في نفس واحدة وهذا يحصل في حالة التكافؤ باعتبار الحديث الشريف (**الْمُؤْمِنُ كُفْؤُ الْمُؤْمِنَةِ**) ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾ النور/٢٦ ، وهذا يدل على أن كُلاً من الزوجين من نفس واحدة ، هما من أصل واحد منذ الخلق والتكوين. **إذن** : هما في نظام مقدَّر ومدبَّر ويستند على المساواة ، والمساواة منذ النشأة حتى تحصل حالة التعاطف والتراحم بشكل متبادل ومتعادل ومتوازن بينهما ، بذلك يتبين خطأ مقولة (**إنّ الله خلق حوّاء من ضلع آدم**) وغيرها من الأخطاء والخرافات.

(**وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**) ونشر من نظام الزوجين المتكافئين من نفس واحدة بطريق التوالد (**رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**) وصف الرجال بالكثير دون النساء لبيان أن اللآئق لحال الرجال الكثرة والاشتهار واللآئق بحال النساء التستر والتعفف **في غرر الحكم**: (زَكَاةُ الْجَمَالِ الْعَفَافُ) (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**) هناك تقوى الله و (**تقوى الأرحام**) لأن واو (**وَالأَرْحَامَ**) معطوفة على وإتقوا الله ، **ومعنى تقوى الأرحام** : إتقوا وخافوا وإحذروا حق الأرحام فلا تضيعوها ولاتقطعوها ، ويعطي القرآن الرحم وصلة القربى أهمية كبيرة إلى درجة أنه يذكر (تقوى الله) ويذكر (تقوى الأرحام) بعد ذكر الله وتقواه لإلفات النظر لأهميته ، (**وتقوى الأرحام**) تعبير غريب وعجيب وغير متداول ولكنه شفاف ونفّاذ ويدخل إلى المشاعر بلا استئذان ، ويحرك الأحاسيس والوجدان فعليكم تقويتها وإزالة الخلل في وشائجها ، وإصلاح ما فسد منها ، وإعادة صلة ما انقطع منها ، وتوقوا أن تؤذوها وتظلموها ولاتقطعوها ولا تغضبوها (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**) فالله هو الرقيب والمشرف على تفصيلات أعمالكم ودوافعها في نفوسكم فلا يشرّع لكم إلاّ ما ينفعكم، **عن النبي** (ص): (يَقُوْلُ اللهُ تَعَاْلَى : صِلُوْاْ أَرْحَاْمَكُمْ فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ فِيْ الْحَيَاْةِ الدُّنْيَاْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ فِيْ آخِرَتِكُمْ) مواهب الرحمن٧/٢٥٣، **وعن الإمام الرضا** (ع): (.. وَأَمَرَ بِاْتِّقَاْءِ اللهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، فَمَنْ لَمْ يَصِلْ رَحِمَهُ لَمْ يَتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ!)نور الثقلين١/٤٣٧، **كيف تناسل الخلق من ذرية آدم**

(ع)؟ **وعن الإمام الباقر** (ع): (إِنَّ آدَمَ وَلَدَ أَرْبَعَةَ ذُكُورٍ فَأَهْبَطَ اللهُ إِلَيْهِمْ أَرْبَعَةً مِنَ الْحُوُرِ الْعِيْنِ ، فَزَوَّجَ كُلَّ وَاْحِدٍ مِنْهُمْ وَاْحِدَةً ، فَتَوَاْلَدُوْاْ ثُمَّ إِنَّ اللهَ رَفَعَهُنَّ) نور الثقلين١/٤٣٣. **فائدة: (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)** جميع البشر من جنس واحدفلا تمييز بينهم على أساس العرق أو اللغة أو البلاد أو اللون.. إلخ ولا أحد من الناس إبن السماء والآخر إبن الأرض، بل كلكم من خالق واحد ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧ ، كلكم من آدم وآدم من تراب يجمعهما نفس واحدة موحدة متحدة مما يدل أنهما متساويان في الإنسانية ، أما النفس أو (**الروح**) فإنها كائن نوراني علوي خفيف شفاف حي متحرك ينفذ في جوهر أعضاء الإنسان فتجعل من هذا الجسم الترابي قيمة كبيرة ، وتسري هذه النفس في الجسم سريان الماء في الورد والنار في الفحم والدهن في السمسم كقوله ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ ص/٧٢، فإذا صارت فيه الروح استحق السجود والتكريم.

﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣، (**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**) بين الزوجين وحدة الخلقة الإنسانية فلا فضل لجنس أحدهما على الآخر بمعنى خلقت العلاقة الزوجية المتكافئة على المساواة ، مع تعدد الأدوار ووحدة الهدف ، (**تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**) كقوله : ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾ الرعد/٢١ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : في الآية (هِيَ أَرْحَاْمُ النَّاْسِ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِصِلَتِهَاْ وَعَظَّمَهَاْ أَلاَ تَرَى أَنَّهُ جَعَلَهَاْ مِنْهُ)، **وعن النبي (ص)**: (أَعْجَلُ الخَيْرِ ثَوَاْبَاً صِلَةُ الرَّحِمِ)البحار٧٤/١٢١ **وعنه (ص)**: (صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيْدُ فِي العمر، وتُنفي الفقر) البحار٧٤ص٨٨، **وعنه (ص)**: (صِلَةُ الرَّحِمِ تُهَوِّنُ الحِسْاَبَ وَتَقِيْ مِيْتَةَ السُّوءِ) البحار٧٤ص٩٤. **عن الإمام الصادق** (ع) (الذنوب التي تعجّل الفناء قطيعة الرّحم) البحار٧٤ص٩٤.

**٢ –** ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾

الخطاب للقائمين على رعاية الأيتام. لابد أن يكون الذي يرعى اليتيم ويدير شؤونه أميناً وفياً صادقاً يعمل في مصلحة اليتيم حتى يبلغ مرتبة الرجال الراشدين (**وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**) ونهى الله الوصي عن التمتع بأموال اليتيم ، لا تعزلوا لأنفسكم طيب مالهم وتردوا لهم رديء مالكم أو ضم شيء منها إلى أموال الولي (**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**)ولا تخلطوا أموالهم مع أموالكم (**إِنَّهُ كَانَ حُوباً**) إثماً وذنباً (**كَبِيراً**) جريمة كبرى، فإن اليتيم بحاجة إلى رعاية وحماية لأنه طفل ضعيف، وظلم الضعيف الغافل المستسلم أشد الظلم عند الله، **عن النبي (ص)**:(شَرُّ الْمَآكَلِ، أَكْلُ مَاْلِ الْيَتِيْمِ) البحار٧٩/٢٦٧، **في غرر الحكم:** (فَمَنْ ظَلَمَ كُرِهَتْ أَيَّاْمهُ)،وتنغّص عيشه، حق الملكية الفردية مكفولة لليتامى والقاصرين.

**٣ –** ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾

في الآية السابقة خاطب الأوصياء بحفظ أموال اليتامى ، وفي هذه الآية فقد خاطبهم بشأن الزواج من اليتيمات ، حيث كان الأوصياء وغيرهم يتقون ويحذرون من الزواج منهن خوفاً من التقصير بحقوقهن وعدم العدل في التعامل معهن لو تزوجوا بهن ، وتزوجوا من غير اليتيمات بما يطيب لهم منهن وحصلت الرغبة بهن على أساس التكافؤ ، على أن لا يتجاوز عددهن الأربع في الزواج الدائم، وحثت الآية على العدالة بينهن في المعاملة والنفقة وحسن المعاشرة والمباشرة وهذا معنى **(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ)** أي فتزوجوا ما مالت إليهن نفوسكم من غير اليتيمات واحدة أو إثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، **بمعنى** أباح التعدد إلى أربعة، وقيده بالعدل **(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً)** فإن خاف الزوج بمعنى يتوقع عدم القدرة على تحقيق أدنى درجات العدل فعليه الإكتفاء بزوجة واحدة وأيضاً على أساس العدل، لأن **(العدل أساس الملك)** وصلاح كلِّ أمر **(أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)** بالجواري والمملوكات لأن شروطهن أخف ، ولا يجوز ظلمهن لأن الله لا يرضى لعباده الظلم **(ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا)** ذلك الاقتصار على الواحدة بالعدل أقرب ألا تميلوا عن الحق وتجوروا وتتجاوزوا الحدود ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، وهذا ترغيب على الواحدة وتخويف من التعدد.

**فائدة: ١–** المراد **(بالعدل)**: الإنصاف وبه تصلح الأسرة وتقوى روابطها ، والعدل جُنة واقية ، وجنة باقية ، وهو زينة الإيمان وحياة الأحكام، ومن **العدل** : التسوية في حسن المعاشرة وصدق المعاملة بين الزوجات، واعتدال النفقة في الملبس والمأكل والمسكن وكل زوج بقدره ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ البقرة/٢٣٦ ، أما الميل القلبي في الحب والجذب النفسي فلا حرج فيه بقوله تعالى : ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾ النساء/١٢٩.

**٢– سئل الإمام الرضا (ع)** : (عن علة تزويج الرجل أربع نسوة وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد ، لأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ كَانَ الْوَلَدُ مَنْسُوْباً إِلَيْهِ ، وَالْمَرْأَةُ لَوْ كَانَ لَهَا زَوْجَانِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُعْرَفْ الْوَلَدُ لِمَنْ هُوَ ؟ إِذْ هُمْ مُشْتَرِكُوْنَ فِيْ نِكَاحِهَا، وَفِيْ ذَلِكَ فَسَادُ الأَنْسَابِ وَالْمَوَارِيْثِ وَالْمَعَارِفِ) كنز الدقائق٢/٣٥٥.

**٣–** الأصل في نظام وحدة النفس التي تعطيك وحدة سكن ، للزوجة الواحدة الكفؤ أما تعدد الزوجات لا يوجد فيه نظام وحدة النفس وإنما تقارب النفوس والطبائع والمصالح ، وكلما إزداد التقارب إزداد التحابب والتجاذب والتآلف والتكافؤ ، **بمعنى** أن هناك سكناً مشتركاً وعدالة متوقعة. **٤–** أمّا ملك اليمين **(أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)** فهو الآن في زماننا المعاصر حكمه معطّل لعدم وجود جواري ومملوكات والحمد لله.

**٥- (حول تعدد الزوجات)** : تعدد الزوجات ضرورة في ظروف معينة وهي ليست تشريعاً جديداً وإنما جاء الإسلام فوجده بلا قيود ولا حدود وبصورة غير إنسانية وظالمة ، فنظمه وهذبه وجعله علاجاً ودواءً لبعض الحالات الضرورية، فهو رخصة شرعية وليس حكماً واجب التطبيق ، وهو رخصة قائمة على العدل ، (فَإِنْ خِفْتُمْ) وتوقعتم واحتملتم عدم حصول العدالة مع الزوجات فلا تقربوا إلى حكم التعدد فالإسلام رخصّ بالتعدد وقيّده **(بالعدل)** فصار العدل أساس التعدد ، فيكون التعدد حراماً بلا عدالة ، **أما التعدد عند توفر شروطه** يؤيده الإسلام كما حصل بعد الحرب العالمية الثانية في ألمانيا حيث زاد عدد النساء فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات ، وقفت المسيحية حائرة حيث لا تبيح المسيحية التعدد فأخذ الشباب يبيح لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات بالرذيلة ووافقت الكنيسة التعدد ولكن بدون تسجيل بعقد رسمي ومن العجيب يُمنع تعدد الزوجات بالحلال وإباحته بالحرام ! حتى تاجروا بالمرأة تجارة حيوانية مقززة وحاربوا القيم والعفاف والذي لا ينفعه العفاف يضره الفساد ! **٦- حكمة تعدد زوجات النبي (ص)** : كان لأسباب سياسية فجذب إليه كبار القبائل بمصاهرتهم وعلّم أتباعه إحترام النساء وجعلهن يعلمن النساء الإسلام والأحكام الخاصة بالنساء ما أراد بتعدد الزوجات ما يريده الملوك والأمراء والزناة من التمتع بالنساء، ولو كان يريد التمتع بالنساء لإختارهن من حسان الأبكار لا من الكهلات الثيبات الأرامل ! لذلك صار حكم التعدد أكثرمن أربعة خاصاً بالنبي (ص) استثناءً من القاعدة لهذا السبب.

**٤ - ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾**

أعطوا النساء **(صَدُقَاتِهِنَّ)** أي مهورهن كاملة (المقدَّم) (نِحْلَةً) هدية وعطية للترغيب والمحبة (تَهَادُوْا تَحَابُّوْا) وهذه العطية مبنية على الصدق وطيب النفس وتكريم للزوجة ، من دون مقابل وبلا انتظار عوض منها ، وهذه العطية مفروضة على الزوج ، ولم يقل (آتوا صدقات النساء) لوليّها أيا كان ، وأطلق المهور ولم يحددها حتى يكون كل زوج بقدره ، ولا يراد بها التكثير وإنما التقدير ، والمهر ليس ثمناً للمرأة فهي لا تقدّر بثمن ، وإنما المهر مرآة عاكسة لمعدن الزوجين ، فإذا كان الزوج غنياً وأعطى مهراً قليلاً معناه أنه بخيل ، وإذا كان فقيراً وأعطى كثيراً معناه من أين لك هذا وهو مدعاة للريب ؟! وإذا قبلت الزوجة المهر من دون ملاحظة هذا النظام فمعناه أنها غفلت عن دورها في التقييم و(الْغَفْلَةُ مِنْ فَسَادِ الْحِسْ) وطلب أن يعطي الزوج المهر لزوجته فتمتلكه نحلة هدية وهبة كريمة خالصة لها **(فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً)** فإذا سمحت بطيب نفسها وبرضاها من دون إكراه أن تعطي شيئاً من المهر وليس كلُّ المهر ، هبة لزوجها فله أن يأخذه حلالاً طيباً ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ تَزَوَّجَ إِمْرَأَةً وَلَمْ يَنْوِ أَنْ يُوْفِيْهَا صَدَاْقَهَاْ (مهرها) فَهُوَ عِنْدَ اللهِ زَانٍ) ، فيكون المهر والهبة من أسباب الملكية الفردية ودعماً للزوجة. **فائدة** : **(نِحْلَةً)**

والتعبير عن إيتاء المهور بالنِحْلَةً مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة الإيتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر بلا منّ ولا أذى وبيان لإحترام المرأة وتكريمها ودعمها في مكانتها بالمجتمع باعتبارها الجانب الأضعف مقابل الرجل ، والمهر حفظ لحق المرأة وصيانة لكرامتها ، **(صَدُقَاتِهِنَّ)** جمع صدقة وهو المهر الذي ينطلق من مادة الصدق االذي يلزم الرجل به نفسه وينطق به عن اطمئنان ورضىً لزوجته وفيها مرضاة الله ، سواء أكان المهر بالمال أو أي شيء له اعتبار عرفي ولم ينه الشرع عنه ، والمهر عادة عرفية استمرت بين الناس وقررتها الشرائع السماوية، إلاّ عند بعض الملل والنحل ، والمهر أخص من الهبة إذ كلّ هبةٍ نحلة وليست كلُّ نحلةٍ هبة.

**٥ - ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾**

**السُّفَهَاء** : خفاف العقول أو المبذرين الذين لا يحسنون الإنفاق في ما ينبغي ولا تثق باستقامته، **المعنى**: الخطاب للأولياء الصالحين لا تسلطوا السفهاء الذين تحت ولايتكم على أموالكم التي جعلها الله قياماً ، أي بها تقوم حاجاتهم وتثبت منافعهم ، لا تزال مصالحهم العامة قائمة ثابتة وسارية المفعول ما دامت أموالهم في أيدي الأولياء يقومون بتنميتها بالتجارة ، وهذا حث على الإقتصاد وحسن التدبير والتقدير بلا بخل ولا تبذير ، وما افتقر من اقتصد **(وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ)** أنفقوا عليهم كل الحاجات الضرورية وغيرها بكل أمانة وإخلاص من فوائدها ونمائها دون أصلها حتى لا تنفذ بالتدريج **(وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً)** وإن كانوا سفهاء لكنهم لهم حقوق البشر يجب أن يعاملوا بالإحسان ويكلموا بالرفق واللين **عن النبي (ص)**: (إنّ الرِّفْقَ لم يوضع على شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَمَا نَزَعَ من شيء إِلاَّ شَانَهُ) **البحار٧٥ص٦٠**، وجمال المعروف تكملته ، **في غرر الحكم**: (إِكْمالُ الْمَعْرُوفِ أَحْسَنُ مِنَ إِبْتِدَائِهِ). **فائدة** : يجب أن لا يستلم السفهاء مواقع مهمة في مناصب الدولة وهم غير أمناء عليها وعلى أموالهم لذلك قالت الآية الكريمة **(أَمْوَالَكُمْ)** ولم تقل (أموالهم) وهذا يدفعنا كيف تحصل التنمية الإقتصادية الحضارية للمجتمع والنضوج الفكري لأفراده وزيادة الأرباح مع بقاء رأس المال ، لذلك قالت الآية **(وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا)** بدلاً من (وأرزقوهم منها).

**٦ - ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾**

اختبروا عقول اليتامى وتصرفاتهم **(حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ)** بلغوا سن الرشد ويصلحون للزواج **(فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً)** فإن وجدتم منهم رُشداً وصلاحاً وحسن تقدير وتدبير مما جعلكم تستأنسون به وتطمئنون عليهم **(فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)** فهي أمانة عندكم فترجع الأمانات إلى أهلها بدون تأخير وتقصير ، وقد اكتفى الإسلام بالنظر إلى أمر البلوغ في العبادات والحدود والديات ، أما في

المعاملات العامة ، ذات الموارد المالية فقد أوجب مع البلوغ الرشد والنضوج للوصول إلى ما هو أهم، مع تجنب المفاسد والخسائر **(وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً)** وتبذيراً من دافع الاعتداء على حقوقهم **(وَبِدَاراً)** مبادرة ومسارعة إلى أكلها خوفاً من **(أَنْ يَكْبَرُوا)** وتنعزل ولايتكم على أموالهم. **(وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ)** فليعف ويتنزه ويترفّع عن مال اليتيم ولا يأخذ أجراً على وصايته ، واستعفف أبلغ من عفَّ كأنه يطلب زيادة العفة **(وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)** فليأخذ بالقدر الذي يتعارف عليه الناس إنه ضروري وحاجات أساسية أو بقدر أجرة عمله المعقولة من دون زيادة **(فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ)** فإذا سلمتم إلى اليتامى الراشدين أموالهم ، فأشهدوا على ذلك شهوداً لئلا يجحدوا تسلمها ورفعاً للخلاف وإثباتاً لتأدية الحقوق بالحق **(وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)** محاسباً ورقيباً دقيقاً. **فائدة : عن الإمام الباقر** (ع) : (إِذَا عَلِمَ الرَّجُلُ أَنَّ إِمْرَأَتُهُ سَفِيْهَةٌ مُفْسِدَةٌ لِلْمَاْلِ ، وَعَلِمَ أَنَّ وَلَدَهُ سَفِيْهٌ يُفْسِدُ الْمَاْلَ لَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يُسَلِّطُهُمَاْ عَلَى مَاْلِهِ) كنز الدقائق٢/٣٦٤، ويدل على وجوب الوصية الشرعية إذا كانت الورثة سفهاء ، **واليتيم** : هو الطفل إلى دون سن الرشد ومبلغ النضوج.

٧ – ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾

للأولاد والأقرباء حظ وسهم من تركة الميت (الإرث) كما للبنات والنساء حظ وسهم أيضاً الجميع فيه سواء وهو من عوامل الملكية الفردية يستوون في أصل الموروث وإن تفاوتوا في قدره. **سبب النزول:** بعض العرب كانوا لا يورّثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الأهل فأبطل الله هذا الحكم **(مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ)** سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة **(نَصِيباً مَفْرُوضاً)** أسهماً معينة فرضها الله في كتابه الحكيم إلى مستحقيه. **فائدة** : فيه دليل أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه وإن حرمان النساء من الميراث أبطله الإسلام أربع آيات متتالية لبيان قواعد نظام الإرث والسنة فصلته تنقطع صلة المالك بماله عند الموت ويترك الأمر للشريعة التي سمحت له بأن يوصي بثلث ماله لينفقها الموصى إليه في الخير.

٨ – ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

وإذا حضر التركة الفقراء من قرابة الميت واليتامى والمساكين من غير الوارثين **(فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ)** فأعطوهم شيئاً من هذه التركة استحباباً وتطييباً لخاطرهم قبل تقسيمها بين الورثة وهو للتكريم وتعويد الإنفاق **(وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً)** قولاً جميلاً شفافاً يرفق بهم ويؤملهم خيراً. وبهذا تكونون قد حُلتم دون تحرك شعور الحسد والبغضاء لدى من يثور فيهم ذلك الشعور لحرمانهم من الإرث.

٩ – ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

تذكر أيها الوصي ذريتك الضعاف من بعدك ، كيف يكون حالهم ، وعامل اليتامى المسؤول أنت عنهم بمثل ما تريد ان يعامل به أبناؤك بعد فقدك ، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به (**فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**) فليخافوا الله في أمر اليتامى وليقولوا لهم عبارات العطف والحنان كما يقولونه لأولادهم ، و**القول السديد** : الكلام المفيد المؤثر الذي يتطابق القول مع العمل ، وهو القول العادل القويم المصيب للحق وتطيب به النفوس والبعيد عن الخلل والكذب والكلام الفارغ. **والقول السديد** : هو الكلام المناسب في مكانه المناسب في وقته المناسب وأسلوبه المناسب وفي ظروفه المناسبة للإنسان المناسب ، الذي يكون كالدواء المناسب ، **في غرر الحكم**: (الْعَاْقِلُ لاَ يَتَكَلَّمُ إِلاَّ بِحَاْجَتِهِ أَوْ حُجَّتِهِ) وخَيْرُ الْكَلاَمِ مَاْ قَلَّ وَدَلَّ وَلاَ يُملُّ.

**١٠ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾**

(**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً**) وعدواناً كلّها أو بعضها ، فيكون حكمهم كحكم النساء الأرامل والمساكين، يأكلون أموالهم بدون حق (**إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً**) فما أكلوه من مال ظلماً سيأكلونه في جهنم وتتحول أموالهم الحرام ناراً في بطونهم ، صورة مفزعة النار في البطون تشوي البطون هي النار مجسمة على مقياس تجسم أعمالهم الظالمة، فهناك يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، وهنا يأكلون في بطونهم ناراً بالحق لتحرق كيانهم من داخلهم ! وهذه المقابلة بين الذنب والعقاب ، ويكون القصاص على قدر الجناية والمرء حيث يضع نفسه (**وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**) بالإضافة في بطونهم ناراً سيصلون ناراً هائلة مستعرة تشوي الوجوه وتحرق الجلود من الخارج ! فأحاطت النار بهم من كل جانب من داخلهم ومن خارجهم ، **عن الإمام علي** (ع) : (مَنْ أَكَلَ مَاْلَ الْيَتِيمِ ظُلْمَاً، سَيُدْرِكُهُ وَبَاْلُ ذَلِكَ فِيْ عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَوَبَاْلُ ذَكَ فِيْ الآخِرَةِ) كنز الدقائق٢/٣٧٥.

**١١ – ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

يوجب ويفرض الله في شأن ميراث أولادكم (**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**) جعل الله نصيب الإبن من الميراث مثل نصيب البنتين عند إجتماع الذكور والإناث ، إن ما يرثه الرجل ضعف ما ترثه المرأة ، لا لفضله عليها بل لأن مسؤوليته المالية عليه أشق وأوسع فيجب عليه النفقة للزوجة والأولاد في كل متطلبات الحياة ، في حين أعفيت المرأة من الإنفاق حتى على نفسها ، فيبقى سهم المرأة من الإرث باقياً على حاله ، فالرجل يأخذ ضعف الميراث ويصرفه بينما المرأة تأخذ النصف وتحفظه ، وفي النتيجة يكون الربح لها والمسؤولية عليه ! (**فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ**) وإن كانت الذرية

نساءً بالكامل لا ذكر معهن ، وكنَّ أكثر من إثنتين (**فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ**) بالفرض (**وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**) مِمَّا تَرَكَ (**وَلأَبَوَيْهِ**) الأب والأم (**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ**) ذكراً أو أنثى واحداً أو أكثر ، وهذا دليل على أن الأبوين يشاركان الأولاد في طبقتهم (**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ**) ولم يكن له أخوة وإنحصر ميراثه بأمه وأبيه (**فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**) مِمَّا تَرَكَ إنْ لم يكن للميت أخوة يحجبونها عما زاد عن السدس (**فَإِنْ كَانَ لَهُ**) للميت (**إِخْوَةٌ**) وهذا دليل على كون الإخوة في طبقة ثانية لاحقة لطبقة الأبناء والبنات لا ترث مع وجودهم ، ولكن إذا وجدوا (**فَلأُمِّهِ السُّدُسُ**) بدل الثلث (**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**) فالدين يقدم على الوصية في الشريعة حيث أوجبت الإبتداء بتجهيز الميت أولاً من تركته وثانياً وفاء الديون المالية وثالثاً تنفيذ الوصية من الثلث (**آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ**) فإلزموها ، وهذا المقطع تربوي بمعنى أن الله تعالى تولى قسمة المواريث بنفسه على ما علمه من الحكمة.

فقسّم حيث توجد المصلحة وتتوفر المنفعة ، ولو ترك الأمر إلى البشر لم يعلموا (**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً**) بعد مماتكم أو في حياتكم ، فيضعون الأموال على غير حكمة ولهذا أتبعه بقوله (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) إنه تعالى عليم بما يصلح لخلقه لذلك قسَّم الإرث تقسيماً عملياً حكيماً فيما شرع وفرض.

**فائدة ١-** الآية تنهى عن الإفراط والتفريط في الأقوال والأفعال وتدعو إلى العدالة فهي الميزان السوي وهي إنصاف الناس من نفسك. **٢-** نظام التوريث يزيد من إجتهاد المورثين في تحصيل الرزق، مثال فرنسا عندما ألغت الحكومة قانون الإرث ، شهدت البلاد تراجعاً في النشاطات الإقتصادية غير مسبوق. **٣-** الأبناء يرثون من الآباء صفاتهم الخَلقية والخُلقية كما يرثون أموالهم. **٤-** تشير الآية (**لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً**) إلى أن تقدير المواريث وقسمتها وأسرارها لا تصاب بالعقول ولكن لا تتأباها ولا ترفضها من حيث الإمكان والجواز ، وإنّما يدرك هذه القسمة خالق الإنسان وهو يعلم ما يضر الإنسان وما ينفعه ، **والآية تدلّ أنّ الأحكام الإلهية شرّعت لمصلحة الإنسان وسعادته،** ومن هنا نستدل على إيمان الإنسان بصالح أعماله، وعلى فساده وضلاله بقدر ضرره وخطره على نفسه وعلى الآخرين ، وعلى المدى القريب أو البعيد، سواء أكان الضر مادياً حسّياً أو معنوياً فكرياً أو عقائدياً أو نفسياً أي ضرر غير حسي. كقوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) الجاثية/١٥

**١٢-** ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ

**بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴿١٢﴾**

الآية في نظام المواريث تناولت الآية السابقة إرث الأبناء والوالدين ، أما هذه الآية فتشرح إرث الزوجة والزوج والأخ والأخت للأم ، **المعنى** : ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم من المال إن لم يكن لزوجاتكم أولاد منكم أو من غيركم (**فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ**) من ميراثهن وألحق بالولد في ذلك ولد الإبن ذكراً كان أم أنثى (**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**) من بعد إخراج الوصية وقضاء الدين (**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ**) ولزوجاتكم واحدة فأكثر الربع مما تركتم من الميراث إن لم يكن لكم ولد منهن أو من غيرهن (**فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ**) فإن كان لكم ولد منهن أو من غيرهن فلزوجاتكم الثمن مما تركتم من المال (**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**) وفي تكرار ذكر الوصية والدين لزيادة الاعتناء بشأنهما (**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً**) **عن أهل البيت** (ع) : (الْمُرَادُ (**بالكَلالَةِ**) هُنَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ مِنَ الأُمِّ فَقَطْ) والمراد (**بالكلالة**) في الآية الأخيرة من سورة النساء إخوة وأخوات المتوفى لأبيه أو لأبويه ورد لفظ (**الكَلالَةَ**) في القرآن في هذين الموضعين فقط (**أَوْ امْرَأَةٌ**) عطف على رجل بمعنى أو إمرأة تورث كلالة (**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**) أي للمورث أخ أو أخت من أم (**فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ**) فللأخ من الأم السدس وللأخت من الأم السدس أيضاً (**فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ**) فإن كان الإخوة والأخوات من الأم أكثر من واحد فإنهم يقتسمون الثلث بالسوية ذكورهم وإناثهم في الميراث سواء (**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ**) لا ميراث إلاّ بعد وفاء الدين وتنفيذ الوصية وقد نهى الله عن الإضرار في الوصية ، والإضرار في الدين بقصد أن تكون الوصية للمصلحة لا بقصد الإضرار بالورثة أي في حدود الوصية بالثلث ، كما قال النبي (ص) (**وَصِيَّةً مِنْ اللَّهِ**) إنّ هذه الأحكام في توزيع الإرث توصية من الله يجب العمل بموجبها (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ**) وصية قائمة على أساس من مصالح الناس يعلمها الله.

**في الحديث** : (أَنْ تَذَرَ (تترك) وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُوْنَ النَّاْسَ، والإضرار في الوصية من الكبائر، ولا يلزم العمل بها)التفسير النور٢/٢٢.

**فائدة: ١-** معنى الإضرار في الدَّين والوصية المنهي عنهما **الإضرار في الدَّين** : أن يقر أو يوصي بدَين ليس عليه بقصد الإضرار بالورثة، **والإضرار بالوصية** : من الكبائر ولا يلزم العمل بها ، وهو أن يتجاوز حد الثلث مما يملك ، وإذا فعل يقف تنفيذ الزائد على إجازة الورثة. **٢- (الكلالة)** في اللغة الإحاطة من تكلله النسب وأحاط به أبناؤه وعشيرته ، ومنه الإكليل وهو التاج لإحاطته بالرأس. **٣-** الديون تشمل ديون الله على المتوفى من قبيل الحج والزكاة والصلاة والكفارة فضلاً عن

ديون الناس لأهميتها ذُكرت أربع مرات في هذه الآية (**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ**)، **في الحديث** : (يَغْفِرُ اللهُ لِلشَّهِيْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ) كنز العمال خبر ١١١١٠.

**١٣ – ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**

تلك الأحكام المذكورة في المواريث وغيرها شرائع الله التي حدّها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها (**وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**) لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته (**خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) وهكذا (الْذِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ) و(الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفْسَهُ) والإنسان المناسب في مكانه المناسب والنتائج كالمقدمات. **فائدة** : لما فرض الله سبحانه المواريث عقبها بذكر الترغيب في تنفيذها والترهيب على تعدي لحدودها لأهميتها.

**١٤ – ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ عن طغيان وتمرد وإنكار لأحكام الله فله عذاب جهنم وله عذاب مهين أي عذاب جسدي ونفسي مقابل استكباره وعناده ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، **عن الرضا** (ع): (مَن تَعَوَّذَ بِاللهِ مِنَ النَّارِ وَ لَمْ يَترُكْ شَهَوَاتِ الدُّنيَا (المحرمة) فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ) البحار٧٨/٣٥٦ **في غرر الحكم**: (أَكْرِمْ نَفْسَكَ مَاْ أَعَاْنَتْكَ عَلَى طَاْعَةِ اللهِ) ، **فائدة** : **سؤال** : لماذا تترتب كل هذه النتائج الضخمة على الطاعة أو المعصية في تشريع جزئي كالميرات ؟ **الجواب** : الآثار تبدو أضخم من الفعل ، والأضرار في الباطن أكثر من الأرباح في الظاهر لذلك قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩.

**١٥ – ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾**

سعى الإسلام في تطهير المجتمع وتوفير جو نظيف ، يأمر بعزل الفاحشات من النسوة وإبعادهن عن المجتمع متى ثبتت عليهن الفاحشة لأنهن يحملن مرض خبيث ومعدٍ وفتّاك هو نشر الرذيلة ومحاربة العفة والفضيلة وزيادة أولاد الزنا ، **والفاحشة** : الفعل القبيح الشنيع عقلاً وشرعاً في القول والفعل وهو أن الفاعل ذهب إليها بنفسه واختارها بإرادته، وهو مصطلح عام يشمل كبائر الذنوب وهو كل قبيح كالزنا واللواط والسحاق أو الكلام الفاحش ؛ الذي يضر بنفسية الفرد وباستقامة المجتمع (**فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ**) من المسلمين الثقاة ، ولا يثبت الزنا إلاّ بإقرار فاعله على نفسه أربع مرات سواء أكان رجلاً أم إمرأة أو بشهادة أربعة عدول يرون الفعل رأي العين ، وهذا شرط ثقيل لإثبات الفعل وذلك من أجل المحافظة على شرف الآخرين وعدم شيوع الفحشاء ، وباب التوبة مفتوح ويبقى التماسك الإجتماعي ولا يختص الزنا بإقامة أربعة شهود بل يشترك معه اللواط والسحاق أيضاً ، (**فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ**)

وهذا يكشف أن الفاحشات خبيثات يستقطبن الرجال ليكونوا خبثاء مثلهن لأن ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ**﴾ النور/٢٦ ، وهكذا كل إمرء يميل إلى جنسه ، وهذه عملية تلويث لفطرة المجتمع التلويث الأخلاقي والنفسي والأسري والعقائدي.. ، وهذا يكشف عن الاستخفاف بحكم الله ، والاستهانة بعفاف المجتمع وتدينه ، وهذا ما يرفضه الإسلام بشدة ، ويتم العزل بحبس الفاحشات ذات العَلم (المشهورات بالزنا) في البيوت حتى الموت ، والحكمة من حبسهن ليكن تحت المراقبة والمواظبة على تهذيبهن وتربيتهن تربية صالحة ليتأهلن للتوبة والاستقامة وإذا تحققت المراقبة والمواظبة على التربية ، وعلى هذا لا ينافي خروجهن من البيوت ، ويستفاد ذلك لفظ (الإمساك) (فأمسكوهن) أيضاً حيث لم يعبّر القرآن بالحبس أو السجن ونحوهما (**أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**) لم يجعل هذه العقوبة حتى الموت حكماً دائماً ، فحكمت السنة برجمهن إذا كنّ متزوجات ، وكذلك الرجم للزاني الرجل المتزوج، وعقوبة مئة جلدة من الأعزب أو العازبة ، أو يجعل لهم التوبة النصوحة ، والزواج الشريف في النكاح النظيف بعيداً عن السفاح الخبيث. **فائدة: ١-** الزنا من الذنوب الكبيرة والخطيرة والمريرة وعمل يمقته ويبغضه الله وأسوأ سبيل في المنكر، لذلك من زنى زُنِيَّ به ، كَمَاْ تَدِينُ تُدَاْنُ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ تَزْنُوْاْ فَتَزْنِيَ نِسَاْؤُكُمْ) البحار٧٩ص٢٧، **وعنه** (ع): (عُفُّوْاْ عَنْ نِسَاْءِ النَّاْسِ تَعُفُّ نِسَاْؤُكُمْ) البحار٧٣ص١٩. **٢- الزنا بين قتلين في القرآن** قوله ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ.. وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى.. وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**﴾ الإسراء/٣١-٣٣، ما فشى الزنا في مجتمع إلاّ كان مصيره إلى الضياع والانحلال ويسقط نظام الأسرة والأبوةوالأمومة ، فلا يؤمن بالعفة والشرف وتسقط عنده الغيرة ويبتلى بالكآبة عقوبة وكراهة العيش ونحوسة الأيام وضيق النفس وقلق القلب والأرق وعدم النوم ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِذَاْ كَثُرَ الزِّنَىٰ كَثُرَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ) البحار٧٩ص٢٧، **في نهج البلاغة حكم٣٠٥**(مَاْ زَنَىٰ غَيُوْرٌ قَطُّ).

**١٦ -** ﴿**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾

هذه الآية متممة للآية السابقة التي لم تتعرض إلاّ للنساء ، وهذه الآية تبين الحكم فيها للزاني والزانية معاً غير المتزوجين، فإنهما إذا أتيا الفاحشة بالزنا أو اللواط أوالسحاق (**فَآذُوهُمَا**) بأية وسيلة للردع العنيف كالشتم والتعيير والتوبيخ والضرب المخيف والخفيف للتأديب وللردع والمنع والتضييق والتأنيب وليس للانتقام حتى يحقق الإيذاء أهدافه المشروعة التربوية والنفسية والجسدية والأخلاقية كي يكون الردع بالإيذاء عبرة لمن يعتبر ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾ الحشر/٢ ، وبالاستبصار يحصل الاعتبار ، فتنصلح النفس الأمارة بالسوء وتهتدي إلى التوبة النصوحة فإنها تطهّر القلوب وتغسل الذنوب وتكشف الكروب وتستنزل الرحمة ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾ البقرة/٢٢٢ ، (**فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا**) **تَابَا وَأَصْلَحَا: تَابَا:** بالقول الصادق ، وليس بمجرد القول وإنما

**وَأَصْلَحَا:** الأعمال والنوايا ، وعطف الإصلاح على التوبة لبيان تحقق حقيقة التوبة **(تَابَا وَأَصْلَحَا)** قرينة على أن الحكم في الإيذاء كان مبنياً على السماحة والتسهيل في تحقيق هدف الردع من الفاحشة ولم يكن مبنياً على القسوة والانتقام **(فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا)** فإصفحوا وكفّوا عن إيذائهما **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً)** مبالغاً في قبول التوبة وواسع الرحمة والمغفرة. **فائدة : ١-** فإذا كان هذا خُلُق الله فعلينا أن نتشبه بخُلُق الله، فنكون فيما بيننا رُحماء متعاطفين متسامحين ولكن أشداء على الكفار والمفسدين وهكذا : (مرونة في التعامل ، وثبات على المبادئ). **٢-** وهذه الآية موضحة للآية **٢-٣/النور** وغير ناسخة لهما ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ..**﴾ النور/٢ ، ﴿**الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ النور/٣.

**١٧ - ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

أوجب الله تعالى قبول التوبة على نفسه بمقتضى فضله ووعده لأنه ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/١٢ ، **والتوبة** : هي الرجوع إلى الله بالإلتزام الصادق بمنهجه المستقيم والندامة على معصيته والاستغفار من الذنب والتصميم على عدم الرجوع إلى الذنب **(لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ)** **السُّوءَ:** هو كل عمل قبيح الذي يسوء فاعله إذا كان سليم الفطرة ويشمل الذنوب الصغيرة والكبيرة، **الجَهَالَةِ** : بجهل وتجاهل وسفاهة وبدافع من النفس الأمارة بالسوء بضعف أمام الشهوة أو الغضب وبدون عناد أو استكبار على الله، وكل من عصى الله فهو جاهل حتى يعود إلى رشده، وليست الجهالة عدم العلم لكنها التغافل والتجاهل وترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ولا يعلمه، **كما قال يوسف** (ع) ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ**﴾ يوسف/٣٣ ، **وعن الصادق** (ع): (كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْعَبْدُ وَإِنْ كَانَ عَالِمَاً فَهُوَ جَاهِلٌ ! حِيْنَ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ فِيْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ، فَقَدْ حَكَى اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَ يُوُسُفَ لأَخْوَتِهِ ﴿**هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ يوسف/٨٩ ، فَنَسَبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ لِمُخَاطَرَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى) مجمع البيان ج٣-٤ص٢٢، **(ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)** يندمون على الذنب ولا يُسوّفون الزمن ولا يفوّتون الفرصة وينيبون إلى ربهم ويتوبون إليه توبة نصوحة بعد زمن الذنب مباشرة وفي أقرب وقت ، ويستغفرون الله ولا يصرون على المعصية وقبل أن تحيط بهم خطيئتهم ، **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ كَبِيْرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ وَلاَ صَغِيْرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ) الكافي٢/٢٨٨، **في غرر الحكم:** (التَّبَجُّحُ بِالْمَعَاصِيْ أَكْبَرُ مِنْ رُكُوْبِهَا).

ثم قال: (**يَعْمَلُونَ السُّوءَ**) (بالمفرد) ولم يقل (**يَعْمَلُونَ السّيئات**) (بالجمع) لبيان قبول التوبة ممن يقع منهم السوء (بالمفرد) بمعنى عدم متابعتهم له ، ويقع من دافع الغفلة والضعف ولا يصرون عليه ويندمون ويستغفرون ويتوبون منه فلا تتمكن من أنفسهم أضرار المعصية ، بينما إذا جاءت (**السّيئات**) بالجمع بمعنى لا تقبل توبتهم لمتابعتهم السّيئات واستهتارهم بالذنوب ، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب (**فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ**) لصدق توبتهم وسرعتها وعدم التسويف بها (**وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً**) عليماً بخلقه حكيما في شرعه. فتكون التوبة منقذة له من الضلال والقلق والأرق وتفتح باب الهدى وتغلق أبواب الهوى ولا تتبع خطوات الشيطان وتقوى الروابط مع الرحمن ، والتوبة تحمي المجتمع من تحويل المذنب إلى مجرم محترف ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) الدر المنثور ٢٦١/١.

**١٨ – ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾**

لا تكون التوبة مفتوحة للذين يستغرقون في الذنوب ويستهزئون بالسّيئات ولا يحسبون للحلال والحرام حساباً ويغيب الله في نفوسهم فيقودهم الشيطان إلى سوء العاقبة وهم غافلون ، والْغَفْلَةُ مِنْ فَسَادِ الْحِسْ (فَلاَ تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ) ، حتى إذا فاجأه الموت وبدأ يقترب من عالم الآخرة تاب وأناب فهذه توبة المضطر فلم يعد لديه وقت لمواصلة الذنوب ، هذه توبة في غير موضعها ولم تحقق شروطها فلا يقبلها الله لأنها لا تنشئ صلاحاً في القلب ولا في السلوك ولا تدل على تغير في الطبع ولا تزكية للنفس ولا استقامة في الدين (**وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**) وليست التوبة للذين يصرون على الكفر حتى الموت أو عند معاينة العذاب في الآخرة ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ غافر/٨٥، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ آل عمران/٩٠ ، لأن **عن النبي (ص)**: (إذا مَاتَ أحدكم فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر ٤٢٧٤٨، **وعنه** (ص) (يَبْعَثُ كُلّ عبد عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢ (**أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**) وكل من ابتعد عن رحمة الله اقترب من نقمته بنفس مقدار ابتعاده عن الرحمة الإلهية ، عندئذٍ يندم وشرُّ النّدامة في يوم القيامة وهكذا (الْذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ) **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) **في نهج البلاغة خطبة١٥٤**: (العَّاملُ بغَيْرِ علم كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ).

**١٩ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾**

لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تجعلوا النساء كالمتاع والحيوان والأشياء ينتقل بالإرث من إنسان إلى آخر، لا ترثوا النساء كالأشياء بعد موت أزواجهن كرهاً عنهن ! (لا يحل الزواج إلا بعقد وبرضاهن) كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بإمرأته إن شاء تزوجها أحدهم وإن شاء زوجوها غيرهم، وإن شاءوا منعوها الزواج **(وَلا تَعْضُلُوهُنَّ)** ولا تمنعوهن وتضيّقوا عليهن وتسيؤا معاملتهن **(لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)** لا يحق للزوج ان يعتدي على حقوق زوجته وينغّصها عيشها ويكرهها حياتها فتظطر المرأة أن تبذل شيء من مهرها لفك عقد الزواج ، والتخلّص من هذه العلاقة المشؤومة المملوءة بالمعاناة **(إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)** **الفَاحِشَةُ المُبَيِّنَةُ** : العمل القبيح بواسع معناه والواضح من دون شبهة ويبنى على القطع لا على الظن كالزنا والنشوز والعصيان، عندئذٍ ساءت عشرتهن ولم ينفع معهن لغة الأخلاق والإصلاح ، في هذه الحالة يجوز تحديد حريتهن، وقد يظلم الزوج زوجته بكثرة **(الغيرة عليها)** فيغار عليها بلا سبب ولاريبة وهذه غيرة لا يحبها الله ، والغيرة التي يحبها الله سبب لدفع الشك ، وغَيْرَةُ الزَّوْجِ عَلَى قَدَرِ عِفَّتِهِ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ غَيْرَةَ فِيْ الحَلاَلِ) وسائل الشيعة١٤/١٧٦، **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** **الْمَعْرُوف** : ما تألفه الطباع البشرية ويدعمه العقل والفطرة ولا يستنكره الشرع ولا العرف الإسلامي ، بحيث لا يكون المعروف ما هو مألوف عند الزوج وأهله ، بل عند العقلاء المنصفين بحيث يرونه محسناً لا مسيئاً إليها في شيء بلا سبب ، والخطاب في مقام الأمر الواجب فإبتدأ بالأزواج ليوصيهم بزوجاتهم ، عاشروهن لتألفوهن ويألفوكم ، معاشرة المحتاج أحدهما للآخر ، معاشرة القرب والحب والجذب والتآلف والتكافؤ حتى تحصل معاشرة وحدة النفس للوصول إلى وحدة السكن النفسي بين الزوجين، معاشرة على مستوى المباشرة وإشباع حاجة أحدهما من الآخر ، والعيش معهن بما هو معروف ومألوف بين الأزواج الصالحين من جهة ، وبين أفراد المجتمع المسلم المستقيم من جهة أخرى ، وأطلق المعروف ولم يحدده، حتى يتعامل معه كل إنسان بقدره وقدرته وكفاءته ليكون العرف الإسلامي الشائع في كل عصر هو المعتمد.

**عن الإمام الباقر** (ع): (أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوْفِ فِيْ الآخِرَةِ) وسائل الشيعة١١/٥٢٣، **(فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)** تبين الآية حكم الاستمرار في الحياة الزوجية ولو كانت مع الكراهية النسبية ويصلح حالها بالصبر أحدهما على الآخر ، وحسن المعاشرة بالتعوّد على الطبائع والأمزجة لتعود حياتهما إلى السكن الزوجي المشترك، كي يحفظ العلاقة الزوجية أهميتها الإنسانية فلا يجعلها عرضة لنزوة عاطفة ولا لنزق نفسي معين **(فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)** فما قد يكون مكروهاً في الحاضر يمكن أن يكون محبوباً في المستقبل ويجعل الله فيه الخير الكثير ، فعسى أن يرزقكم الله منهن ولداً صالحاً

محبوباً تقرُّ به أعينكم. **في الحديث** : (لا يَفْرَكْ (لا يَبغَضْ، لا يكرَهْ) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)، وقد يتسرع الرجل فيطلق زوجته لبعض صفاتها ويتزوج بأخرى فإذا هي أسوأ حالاً وأقبح أعمالاً ، فيندم حيث لا ينفع الندم ، وهكذا لا تجتمع كل المحاسن في إنسان بعيد عن المساوئ (وبالعكس) ، وهكذا تختلط المحاسن والمساوئ في كل إنسان ، والمعصوم هو الخالي من النقائص. **فائدة** : الكراهية النسبية يمكن الصبر عليها وتحملها وتهذيب النفس عليها لاسيما إذا كانت من طرف واحد وليس من الطرفين **(فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً)** ، ﴿**وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ البقرة/٢١٦ ، ولكن الكراهية الكلية والتي تعني تنافر الأرواح هذه الحالة لا حل لها إلاّ الطلاق والفراق ، **عن النبي (ص)** : (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إِئْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ (تنافر) مِنْهَا إِخْتَلَفَ)كنز العمال خبر٢٤٦٦٠.

**٢٠ - ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾**

وإن كان لابد من الطلاق والفراق فإنه أبغض الحلال عند الله ، وأردتم أن تتزوجوا بأخرى **(وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً)** فيجب تأدية جميع حقوق الزوجة قبل طلاقها ﴿**وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾ الأحزاب/٤٩ ، أما **(القِنطَار)** كناية عن كثرة المال والنفقات ، بمعنى لو أعطيتم المرأة قنطاراً فلا يجوز أن تأخذوا منه شيئاً ، ولا تطمعوا فيه، وإن الله يستنكر هذا العمل ويسميه بهتاناً ويرتب عليه آثار الإثم. **والبهتان** : من بهت أي تحير ، هو الكذب القبيح الذي يبهت ويترك المفترى عليه في حيرة ودهشة **(أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)** استفهام إنكاري ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وباطلاً وظلماً مستقبحاً ؟ غير قابل للتبرير والإحتيال **في غرر الحكم:** (مِنْ أَفْحَشِ الظُّلْمِ ظُلْمُ الْكِرَامِ) و(مِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ (والجرم) ظُلْمُ الضَّعِيفِ الْمُسْتَسْلِمِ)

**٢١ - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾**

الاستفهام للتعجب ، **والمعنى** إنها تربية قرآنية عالية المضامين تقول : كيف تستحلون أخذ مهور النساء عند طلاقهن دون توفية حقوقهن كاملة **(وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ)** وقد استمتع بعضكم ببعض بالمعاشرة الزوجية **وتسمى (فلسفة الإفضاء) في القرآن** ، بعد أن تأكدت الرابطة الزوجية بأقوى الروابط المادية والمعنوية وفاقت جميع الروابط الأخرى ، ولابس كل منهما الآخر وخالطه وعاشره وإندمج فيه ، حتى صار أحدهما بمنزلة الجزء المتمم لوجود الآخر وكأنهما شيء واحد **وبعبارة أخرى** : كأن للزوجة فضاءً نفسياً جذاباً وللزوج فضاءً نفسياً منساباً ، فعندما يقتربان يتداخل الفضاءان النفسيان فيما بينهما فيصبح فضاءً واحداً لشدة التداخل بينهما روحياً وجسدياً ، وقوة الترابط في حبهما وقربهما وجذبهما وكأنهما جسمان في روح واحدة ونفس متحدة ، ويتكون منها الولد الإمتداد للحياة ، يستفهم القرآن كيف يقطع الزوج تلك الصلة القوية فيطمع

في مالها وهي العنصر الأضعف في الأسرة وهو العامل الأقوى؟!! **(وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً)** وأخذت الزوجات منكم عهداً وعقداً ثميناً مؤكداً هو عقد الزواج الشرعي والقانوني والذي فيه فقرة: **(على كتاب الله وسنة رسوله)**تتم العلاقة الزوجية فيكون الكتاب والسنة هما الأساسان لهذه العلاقة وليس للهوى والعادات والتقاليد دخلٌ فيها **لذلك أصبح هذا العقد الشريف ميثاقاً غليظاً لأنه يبنى على كتاب الله وسنة رسوله،** فهو عقد مكرّم لا يشبه بقية العقود إنه عقد روح مع روح، وحياة مع حياة لتنمية الحياة وامتدادها، ولا تبنى هذه العلاقة على أساس المادة بل هي أكبر من المادة إنها تنطلق من العالم المعنوي الرحب، عالم القيم والأخلاق وتبادل الحاجات وتعدد الأدوار ووحدة الهدف النبيل، **في الحديث**:(إِتَّقُوْا اللهَ فِي النِّسَاْءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ)مواهب الرحمن٧/٤١٠،والورع عن محارم الله، هو الميثاق الغليظ لحماية المرأة وحفظ حقوقها. وعزتها وكرامتها،وحفظ نعمة السكن المشترك والاطمئنان المتبادل بينهما.

**٢٢ – ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾**

**سَلَف** : مضى ، **المَقْت** : البغض الشديد ، **المعنى** : لا تتزوجوا من النساء ما تزوجهنّ آباؤكم كان بعض العرب في الجاهلية يتزوج إمرأة أبيه إذا لم تكن أماً له ، فنهى الله سبحانه عن ذلك وعفا ما قد سلف ومضى **(إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً)** فإن نكاحهن أمر قبيح قد تناهى في القبح والشناعة ، وبلغ الذروة العليا في الفضاعة والبشاعة ، **(فَاحِشَةً)** ذنباً كبيراً **(وَمَقْتاً)** مكروهاً عند العقلاء ومبغوضاً عند الله أشد البغض **(وَسَاءَ سَبِيلاً)** بئس ذلك النكاح القبيح الخبيث طريقاً ، فإنه لا يقدم عليه إلاّ الأرذال والأنذال وهو ممقوت ومنبوذ في الطبع الإنساني السليم لأن زوجة الأب بمثابة أم ثانية ، وله عواقب وخيمة على نفس الفرد وعلى المجتمع.

**٢٣ – ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**

إختصاص الخطاب للرجال ويشمل الحكم النساء أيضاً ، وقد حرّم عليكم سبعة أصناف من الزواج بالمحارم ، لإعداد العائلة الشريفة النظيفة **(أُمَّهَاتُكُمْ إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ)** حرّم عليكم نكاح أمهاتكم ومنهن الجدات للأب والأم **(وَبَنَاتُكُمْ)** وإن نزلن **(وَأَخَوَاتُكُمْ)** سواء أكُنّ للأبوين أم لأحدهما **(وَعَمَّاتُكُمْ)** أخت أبيك وتشمل عمات الآباء والأمهات وإن علون **(وَخَالاتُكُمْ)** أخت أمك وتشمل خالات الآباء والأمهات وإن علون **(وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ)** وكل من تناسل منهما، وهؤلاء محرمات بسبب النسب وهناك محرمات لسبب غير النسب ست منها بسبب

الرضاع جاء في **الحديث** (يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاْعَةِ مَاْ يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ) مجمع البيان٣/٦٢ **(وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ)** وعليه فكل إمرأة حرمت من النسب تحرم مثلها من الرضاع أُماً كانت أو أُختاً أو بنتاً أو عمة أو خالة أو بنت أخ أو بنت أخت والأخ أو الأخت من الرضاعة يكون خمس عشرة رضعة كاملة لا يفصـــل بينهما رضعة من إمرأة أخرى **(وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ)** تحرم أم الزوجة وإن علت بمجرد العقد على البنت، وإن لم يحصل الدخول **(وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) (رَبَائِبُكُمْ)**: من التربية والربيبة بنت إمرأة الرجل من غيره، وسميت بذلك لأنها تتربى في حجر الزوج وبيته ورعايته. **المعنى**: مجرد العقد لا يوجب حرمة نكاح بناتها من زوج آخر على زوجها على زوجها الثاني بل يشترط أن يدخل بها أيضاً مضافاً على العقد عليها **(فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)** إذا لم تدخلوا بأم الربيبة جاز لكم نكاح بناتهن **(وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ) حَلائِلُ** من الحلال، أي المرأة التي يحل للإنسان الزواج منها. **المعنى العام** : وحُرّم عليكم نكاح زوجات أبنائكم الذين من أصلابكم ، بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم **(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ)** يحرُم الجمع بين الأختين معاً في عقد الزواج ، وعلى هذا يجوز الزواج بالأختين في وقتين مختلفين ، وبعد الإنفصال عن الأخت السابقة ، إلاّ ما كان منكم في الجاهلية فقد عفا الله عنه **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)** غفوراً لما سلف رحيماً بالعباد. **فائدة** : **١- (فِي حُجُورِكُمْ)** ليس قيداً للحكم بل تنزيلاً على الغالب لأن الغالب أنها تكون مع أمها ويتولى الزوج تربيتها ، ولأن بنت الزوجة تحرم وإن لم تكن في حجر زوج الأم. **٢-** كل الأحكام القرآنية لها علل ومصالح واقعية تكوينية ولاسيما في تنظيم الأسرة وتهذيب السلوك واستقامة الأخلاق ، وبعث روح الاحترام المتبادل بين الرجل والمرأة... وغيرها. **٣-** السبب في تحريم **(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ)** في وقت واحد في الإسلام لعله أن بين الأختين علاقة مودة ورحمة ورابطة نسبية ، فإذا أصبحتا في ظل زوج واحد لم يمكنهما الحفاظ على تلك المودة والرحمة ، ويحصل بينهما صراع عاطفي يزيل رابطة الحب بينهما، ويحصل بينهما التحاسد والتباغض وتكون عاقبتهما غير سليمة. **٤- عن الإمام علي** (ع) : (إِذَاْ تَزَوَّجَ الرَّجُلُ إِمْرَأَةً حَرُمَتْ عَلَيْهِ إِبْنَتُهَاْ إِذَاْ دَخَلَ بِالأُمِّ ، فَإِذَاْ لَمْ يَدْخُلْ بِالأُمِّ فَلاَ بَأْسَ أَنْ يَتَزَوَّجَ الإِبْنَةَ ، وَإِذَاْ تَزَوَّجَ الإِبْنَةَ فَدَخَلَ بِهَاْ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَاْ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ الأُمُّ) التهذيب٥/٤٢٣ **وعنه** (ع) : (الرَّبَاْئِبُ حَرَاْمٌ كُنَّ فِيْ الْحِجْرِ أَوْ لَمْ يَكُنَّ) من لا يحضره الفقيه٣/٢٦٢.

## الجزء الخامس من القرآن الكريم

٢٤ – ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

وحُرّم عليكم نكاح المحصنات المتزوجات من النساء اللواتي في عصمة أزواجهن ، فلا يجوز إقامة أية علاقة جنسية معهن حفاظاً على الوحدة العائلية والتماسك الإجتماعي الصحيح (**إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) باستثناء ما ملكتموهن بالسبي ، فإنهن لا يعدن في عصمة أزواجهن بعد السبي لأن في دار الحرب والسبي تنقطع عصمة الكافر بزوجته ويمكن الزواج منها بعد عدة (٤٥) يوماً أو أن تحيض مرة واحدة. أمّا في عصرنا الحاضر لا يوجد إماء ولا ملك يمين ولله الحمد ﴿**وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾ الممتحنة/١٠ ، إعتبر الإسلام أسر النساء الكافرات بمثابة الطلاق من أزواجهن وكذلك الحال مع اعتناق الزوجة للإسلام فتنقطع علاقتها بزوجها إن بقي هو على كفره. (**كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ**) هذا فرض الله عليكم في الشريعة الإسلامية على أساس المصالح العامة دون التأثر بالعادات والتقاليد والنظرات الضيقة (**وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ**) هذه هي المحرمات من النساء عند الله تعالى، وأحل لكم نكاح ما سواهن في الزواج الشرعي (**أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ**) أن تطلبوا من تختارون من النساء بطريق شرعي فتدفعوا لهن المهور (**مُحْصِنِينَ**) في حصن من الدين والخُلُق والعفة عن الحرام (**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**) غير زناة ولا بغاة ، وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف النظيف والذي يطلب الزواج من أجل التعفف (**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**) يجعل القرآن صداق المرأة (مهرها) فريضة لها مقابل الاستمتاع بها ، فمن أراد أن يستمتع بإمرأة من الحلال – وهن مما أحل لكم ما وراء ذلكم من المحرمات المذكورة سابقاً – مع عقد في زواج شرعي فعليه أن يؤدي لها المهر المفروض المتفق عليه بينهما ، مهراً واجباً لا إحساناً ولا تفضيلاً ولا تطوعاً ، ويكون عقد الزواج بينهما برضا منهما بتعيين المهر والمدة.

ولفظة (**اسْتَمْتَعْتُمْ**) يعني (**زواج المتعة الشرعي**) أو (**الزواج المؤقت**) ولا استمتاع من دون عقد (زواج شرعي) إلاّ إذا كان زنا، **عن الإمام الصادق** (ع): (الْمُتْعَةُ نَزَلَ بِهَاْ الْقُرْآنُ وَجَرَتْ بِهَاْ السُّنَّةُ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ (ص)) ، **قال الفخر الرازي في تفسيره ج١٠ص٤٩**: (الْمُرَادُ بِالآيَةِ حُكْمُ الْمُتْعَةِ، وَاتَّفَقُوْا عَلَى أَنَّهَاْ كَاْنَتْ مُبَاْحَةً فِيْ إِبْتِدَاْءِ الإِسْلاَمِ، وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَاْ آيَةٌ تَنْسَخُهَاْ) ، وذكر الطبري **عن الإمام علي** (ع) : (لَوْلاَ أَنَّ عُمَرْ نَهَى النَّاْسَ عَنْ الْمُتْعَةِ مَاْ زَنَىَ إِلاَّ شَقِيٌّ) المصدر السابق١٠/٥٠، (**وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ**) إذا تم الزواج المؤقت بين الزوجين وإنقضى الوقت ، فلا بأس من تحديد الوقت والمهر برضاهما معاً ، ويمكن أن تترك الزوجة المؤقتة المهر لزوجها المؤقت

وتسامحه به برضاها سواء أكان كل المهر أو بعضه ، ويمكن أن تزيد المهر والمدة أو تنقصهما (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**) بما يصلح حاجة عباده.

(**حَكِيماً**) في تشريعه لهذا الزواج الشرعي. **فائدة: عن الإمام الباقر** (ع): (لاَ بَأْسَ بِأَنْ تَزِيْدَهَاْ وَتَزِيْدُكَ إِذَاْ إِنْقَطَعَ الأَجَلُ فَيْمَاْ بَيْنَكُمَاْ بِقَوْلٍ : إِسْتَحْلَلْتُكِ بِأَجَلٍ آخَرْ بِرِضَاْ مِنْهَاْ ، وَلاَ تَحِلُّ لِغَيْرِكَ حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَاْ ، وَعِدَّتُهَاْ حَيْضَتَاْنِ)، **وهناك دليل على وجود حكم المتعة في عصر النبي (ص) ما روي عن عمر بن الخطاب** : (مُتْعَتَاْنِ كَاْنَتَاْ عَلَى عَهِد رَسُوْلِ اللهِ وَأَنَاْ مُحَرِّمُهُمَاْ وَمُعَاْقِبٌ عَلَيْهِمَاْ) تفسير الرازي١٠/٥٠ (مُتْعَةُ النِّسَاْءِ وَمُتْعَةُ الْحَجِّ) تفسير الرازي١٠/٥٣، ومن الجدير ذكره: **نلاحظ**: آية الإستمتاع ذكرت الزواج المؤقت لغرض التمتع بلا ذكر السكن الزوجي، مما يدل أن هذا الزواج يفتقد عنصر الإطمئنان القلبي والنفسي بشكل كافٍ!، بينما ذكرت آية ﴿**لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ الروم/٢١ ، الزواج الدائم لغرض السكن والمساكنة وحسن المعاشرة ولم يذكر الاستمتاع ، **بمعنى**: أن السكن الزوجي يحقق السعادة التي فيها أعلى درجات الاستمتاع المنظم ، بينما زواج المتعة المؤقت لا يحقق السعادة الزوجية المتبادلة ، لأنه لا يعتمد السكن الزوجي كهدف وإنّما هدفه الاستمتاع ، مما يدل أن السكن الزوجي نعمة دائمة يفقدها زواج المتعة المؤقت بنسبة كافية ، بينما الزواج الدائم يعتمدها ، إذن : المطلوب الزواج الدائم وليس الزواج المؤقت ! **هناك بحث مهم في كتاب (السكن الزوجي المتكافئ، في المنظور القرآني الفريد) للمؤلف مكي قاسم البغدادي ، بحث نذكر أهم مافيه بعنوان**

(**زواج المتعة : بين الخلل في الفهم ، والجهل في التطبيق**) زواج المتعة رخصة شرعية مقيدة بشروط وشروطها أكبر من رخصتها ، والزواج المؤقت ليس حلاً للمشكلة الجنسية وله إيجابيات وسلبيات كثيرة ، وسلبياته تفوق إيجابياته وقد يكون إثمه وضرره أكبر من نفعه (في بعض الحالات) ولاسيما إذا تجاهل الناس أصوله النظيفة وقواعده الشريفة الشرعية والتي من أهمها الإطمئنان من الشرف والعفة ومن طهارة رحم الزوجة وبراءته من كل علاقة مع رجل آخر ، ومن أهم شروطه أن تكون المرأة ملتزمة بزوج واحد ، وبالعدة الشرعية الواجبة عند نهاية أي عقد شرعي ، ولا تتمتع المرأة المسلمة إلاّ بمسلم ولا نفقة لها إلاّ أن تشترط الزوجة ذلك بالعقد ، ولو حملت يلحق الولد بالزوج ، وله حقوقه كاملة كالولد بالزوجة الدائمة ، والزوجة المتمتع بها هي زوجة حقيقية شرعاً ، ومن أهم الشروط أن لا تكون زانية ، فلا يجوز نكاح الزانية إلاّ بعد إعلان توبتها بصدق ، ولا يجوز زواج المؤمن غير الزاني بزانية ، لأنه شبيه الشيء منجذب إليه والطيور على أشكالها تقع لأن ﴿**الزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ النور/٣ ، قال تعالى ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ**﴾ النور/٢٦.

**فيكون التمتع بالزانية هو التمتع بالخبيثة** والذي يرضى بأن يقترن بالخبيثة هو خبيث مثلها وإن تظاهر بالإيمان ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ الأعراف/١٥٧ ، ولا يبقى المؤمن الناكح للزانية مؤمناً ، لأن المؤمن طاهرة نفسه فلا يرتبط في أي نكاح مشبوه مع نفس زانية خبيثة بعيدة عن طهارة الإيمان، **عن النبي** (ص): (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حين يزني وَهُوَ مُؤْمِنٌ) كنز العمال خبر١٧٣٣ولا يبقى المؤمن الناكح للزانية مؤمناً ، وطبيعة المؤمن شفافة طاهرة تنفر من أية علاقة غير طاهرة وغير شريفة ، ومن علامات الإيمان التورع عن محارم الله **عن النبي** (ص): (**دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ**) **تنبيه الخواطر ص٤٣**. إنّ خطبة المتزوجة بالعقد الدائم حرام على الآخرين ، كذلك طلب يد المتزوجة بالعقد المؤقت حرام على الآخرين لأنها محصنة ، كما يجب على الزوجة الدائمة أن تعتد بعد الطلاق، كذلك يجب على الزوجة المؤقتة أن تعتد بعد إتمام المدة ، وإن عدة الزوجة الدائمة ثلاث حيضات ، وعدة الزوجة المؤقتة حيضتان أو (٤٥) يوماً. والذي يُسيئ ويتجاوز الشروط في الزواج المؤقت ليس عيباً بالزواج ، وإنما الخطورة بسوء استخدامه والتسامح في شروطه ، ومن خاطر في السير نحو الحمى (المخاطر والمحرمات) يوشك أن يقع فيها عندئذٍ لا يلومن الإنسان إلاّ نفسه. **فائدة**: إنّ الإهتمام الزائد بالزواج المنقطع من الرجال والنساء مع الأخذ بالشروط الشرعية فإنها حالة تجعل الإنسان همه شهوته و(إِذَاْ كَبُرَتْ الشَّهْوَةُ صَغُرَ الْعَقْلُ ، وَإِذَاْ كَبُرَ الْعَقْلُ صَغُرَتْ الشَّهْوَةُ)! **في غرر الحكم**: (إِذَا كَمُلَ الْعَقْلُ نَقَصَتْ الشَّهْوَةُ)

**٢٥ -﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

**الطَّوْل**: الغنى، **الْمُحْصَنَات** : الحرائر لمقابلتهن بالإماء المشار إليها (**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) ، **أَخْدَان**: أصدقاء غير شرعيين (زانيات سراً) وجاءت مقابل (**مُسَافِحَاتٍ**) زانيات علناً ، **الْعَنَت** :الجهد والمشقة. **المعنى**: من لم يكن منكم ذا سعة من المال وقدرة أن يتزوج الحرائر المؤمنات (**فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ**) فله أن يتزوج من الإماء المسبيات المؤمنات فإن مهورهن أقل ومؤنتهن أخف في الأغلب (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ**) إنه يكفي في الإيمان معرفة الظاهر المشهور والله أعلم بالسرائر والضمائر وما تخفي الصدور. (**بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**) إنكم جميعاً بنو آدم ومن نفس واحدة وبشر من جنسكم وكلكم كأعضاء الجسد الواحد فلا تستنكفوا من نكاحهن (فرُبّ أَمَةٍ خَيْرٌ مِنْ حُرَّةٍ) فالعبرة بفضل الإيمان لا بفضل الأحساب والأنساب ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣، (**فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ**) يكون التزويج بالإماء بعد إذن أهلهن

وموافقة أسيادهن (**وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) ادفعوا لهن مهمورهن عن طيب نفس ولا تبخسوهن منه شيئاً استهانة بهن لكونهن إماء مملوكات.

(ولا إماء ولا عبيد في عصرنا الحاضر ولله الحمد) ويستفاد من الآية أن المهر الذي يعطى لهن يجب أن يكون بالمعروف ما تعارف عليه الناس ، ومتناسباً مع شأنهن ومكانتهن ، وإن أريد بالآية خصوص الإماء ولكن المعنى عام لجميع النساء أن يكون المهر يتناسب مع مكانة الزوج الإقتصادية ومكانة الزوجة الإجتماعية (**مُحْصَنَاتٍ**) عفيفات طاهرات يكرهن البغاء (**غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ**) غير زانيات علناً ولا سراً (**وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ**) **الخدن** : صديق المرأة يزني بها سراً ، فنهى الله تعالى الاقتراب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن (**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ**) فإذا أحصن الإماء بالزواج ثم زنين فعليهن نصف ما على الحرائر من عقوبة الزنى (**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ**) إنما يباح زواج الإماء لمن خاف على نفسه (**الْعَنَتَ**) الوقوع في الزنى، (**الْعَنَتَ**) المشقة أي تحمله شدة الشهوة على الزنى (**وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ**) وفي شتى الأحوال من الأفضل للإنسان والأكمل أن يكبح شهوته الشيطانية ويتعفف عن كل حرام ، **عن الإمام علي** (ع): (أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْعَفَافْ) الكافي٢/٧٩، والعفاف خير من بعض الزوجات المسترجلات المذمومات الفاشلات ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ النور/٣٣ ، (**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) واسع المغفرة عظيم الرحمة ، **في غرر الحكم**: (عَلَيْكَ بِالْعَفَافِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ شِيَمِ الأَشْرَافِ). **عن النبي** (ص): (أَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَتِي النَّارَ إلاّ جَوْفَانِ: البَطْنُ والفَرْجُ) الكافي٢/٧٩

**٢٦ – ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**

يريد الله أن يفصّل لكم شرائع دينكم ومصالح دنياكم وآخرتكم لكي تستغنوا بالحلال عن الحرام وبالطاعات عن المعاصي (**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) يرشدكم إلى (سُنَنَ) وطرق وسبل الأنبياء والأولياء والصالحين الذين استقاموا على منهج الله في جميع الأحوال في الشدة والرخاء وما نالوه من حسن العاقبة لتقتدوا بهم ، ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾ الأنعام/٩٠ ، (**وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ**) يبين الله الأحكام الشرعية لعباده كي يطيعوا وإن أخطأوا أنابوا إلى الله ورجعوا إليه بالتوبة النصوحة (**وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) عليم بأحوال العباد حكيم في تشريعه لهم ويراعي مصالحهم.

**٢٧ – ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾**

وكرر التوبة ليؤكد سعة رحمته تعالى على عباده بفتح باب التوبة لأنها تطهر القلوب وتغسل الذنوب وتستنزل الرحمة وتدفع النقمة وتزيد النعمة (**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**) ويقابل صورة التوبة ، هذا خطاب إلى كل من يتبع الشهوات المحرّمة على إطلاق معناها من الفجرة

والفسقة والعصاة والطغاة الذين نسوا كل القيم والمبادئ والأخلاق وانغمسوا في الشهوات واللذات وتجسيد الذات وحب الأنا وحب الدنيا ، وأخسر الناس من عاش لذاته ولذّاته ، لأنه يجهل عما يُراد منه ولا يعرف إلى أين سينتهي.

**في غرر الحكم: (أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ: ذَنْبٌ صَغُرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَأَصَرَّ عَلَيهِ عَامِلُهُ)** هؤلاء الذين يدورون مع شهوات أنفسهم فكأنما أمرتهم بإتباعها فامتثلوا أمرها فظلموا أنفسهم بإتباع أهوائهم وسمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه إلى العمى والغفلة والضلال ، ويريد الفجرة أتباع الشيطان أن تعدلوا عن الحق وتميلوا إلى الباطل وتتحرروا من الدين والإيمان والأخلاق الإنسانية وتكونوا فسقة فجرة مثلهم ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ الزخرف/٣٧. **فائدة: ١-** جاءت (**يُرِيدُ**) مرتين بمعنى (إرادتين) الأولى إرادة الله الرحيمة والثانية إرادة أصحاب الشهوات اللئيمة فلنعرف أي الإرادتين نختار كقوله ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد/١٠ ، وهب الله الإنسان القدرة والعقل والإرادة وبيّن له الخير وأمره به وأثابه عليه ونهاه عن الشر وحذره منه وعاقبه عليه فمن أطاع أصاب سبيل السلامة ومن عصى سلك طريقاً تسوء عاقبته وتتحقق ندامته ولو بعد حين ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ فاطر/١٣. **٢-** ما يريده الله من عباده إرادة التيسير وإرادة التطهير وإرادة التنظيم وإرادة الخير والهداية في كل الأحوال.

**٢٨ - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾**

ما شرّع الله حكماً واحداً فيه إرهاق وضرر ، و ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ الطلاق/٧ ، و﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**﴾ البقرة/١٨٥ ، ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ الحج/٧٨ ، **عن النبي (ص)** : (بعثت بِالشَّرِيْعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَاء) البحار٢٢/٢٦٣ يريد الله أن يسلك بكم الطريقة المثلى الميسرة لتصلوا إلى كمالكم الإنساني **عن الإمام علي** (ع) : (الأُمُوْرُ ثَلاَثَةٌ : أَمْرٌ بَانَ لَكَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ ، وَأَمْرٌ بَانَ لَكَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبْهُ ، وَأَمْرٌ أُشْكِلَ عَلَيْكَ فَرَدَّدْتَهُ إِلَى عَالِمِهِ) تحف العقول ص١٥٣، (**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**) طبيعة الإنسان يلازمه الضعف العام من جميع الوجوه ، ضعف البنية والإرادة والعزيمة والإيمان وضعف الصبر والقدرة أمام الشهوات والمغريات وضبط النفس الأمّارة بالسوء.. مناسب ذلك أن يخفف الله عنه بقدر ما يضعف عنه لذلك جاءت التكاليف على قدر الوسع ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ البقرة/٢٨٦ ، وصار الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاْعِ ، وصارت الْهِمَّةُ عَلَى قَدَرِ الْمُهِمَّةِ **عن الإمام الصادق** (ع): (مَاْ ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّاْ قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ) من لا يحضره الفقيه٤/٢٨٦.

وتتفق شريعة الله في سهولتها وسماحتها مع فطرة الإنسان فهي التي تنقذه من ظلمات الجهالة ومن حيرة الضلالة ، لذلك أصبح الدين ضرورة حياتية ووسيلة إنقاذ من كل ضعف وضلال ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠. **فائدة** : **(وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً)** أشار الله إلى ضعف الإنسان كي لا يركن إلى قوته ويغتر بها فيطغى ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى**﴾ العلق/٦ ، وأشار إلى كرامة الإنسان وقوته كخليفة الله على أرضه كي لا يستسلم للضعف إن أصابه فهو قوي يتخلله الضعف ، وضعيف تتخلله القوة، فلا ضعف دائم ولا قوة دائمة ، فهو يعيش بينهما ، وكلما كانت قوته أكثر برزت شخصيته قوية وكلما كان ضعفه أكثر برزت شخصيته ضعيفة ، **إذاً** : فهناك عوامل قوة تجعل الإنسان قوياً وهناك عوامل ضعف تجعل الإنسان ضعيفاً ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ الكهف/٥٩ ، فعلى الإنسان أن يعالج نقاط ضعفه ويدعم نقاط قوته ، ومن هنا صارت محاسبة النفس ضرورة لتزكية النفس لتكون مع نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف باستمرار ، والقرآن وجه الإنسان إلى الأخذ بأسباب القوة ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾ البقرة/٦٣ ، ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ الأنفال/٦٠، وأعطاه الثقة بالنفس ليجاهد نفسه الأمّارة بالسوء ليتغلب على كل نقاط ضعف نفسه ليواجه تحديات الحياة ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ العنكبوت/٦٩ ، **في غرر الحكم**: (جِهَادُ النَّفْسِ مَهْرُ الْجَنَّةِ، جِهَادُ الهَوَىَ ثَمَنُ الجَنَّةِ)!.

**٢٩ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾**

يحذّر الله الذين آمنوا تشريفاً لهم أن لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل على إطلاق معناه ، وهو كل طريق لم تبحه الشريعة كالسرقة والخيانة والغصب والربا والقمار والغش والرشوة وأمثالها من المكاسب الرديئة ، ويدخل في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف وقال **(أَمْوَالَكُمْ)** وأضاف الأموال إلى الجميع ولم يقل (لا يأكل بعضكم مال بعض) تنبيهاً إلى تكافل الأمة في الحقوق والمصالح كأن مال كل واحد منها هو مال الأمة جميعها ، فإذا استباح أحدهم أن يأكل مال الآخر بالباطل صار كأنه أباح لغيره أن يأكل ماله ، إرشاداً إلى أن صاحب المال يجب عليه بذل شيء منه للمحتاج وعدم البخل به عليه ، إذ هو كأنما أعطاه شيئاً من ماله ، وقد ذكر أكل الأموال وأراد به جميع التصرفات السيئة **(إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)** استثناء منقطع ، والذي يجوز لكم أكله هو الذي يكون بسبب التجارة المبنية على البيع والشراء برضا من الطرفين وهناك حث على التجارة الصادقة (عَلَيْكُم بِالْتِجَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْجَسَارَةِ فَإِنَّ فِيْهَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الرِّزْقِ). **عن الإمام الصادق** (ع):

(التِّجَارَةُ تَزِيْدُ فِيْ الْعَقْلِ ، تَرْكُ التِّجَارَةِ يُنْقِصُ الْعَقْلَ) وسائل الشيعة١٢ص٤-٥، **(وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ)** يوحي بالآثار المدمرة التي ينشئها أكل الأموال بالباطل أنها عملية (قتل) المدمرة للحياة

والنسيج الإنساني المتماسك، فلا يقتل بعضكم بعضاً ، لأن قتل الإنسان لغيره يفضي إلى قتله قصاصاً أو ثأراً ، فكأنه قتل نفسه، **في الحديث** : **(الْمُؤْمِنُوْنَ كالنَّفْسِ الْوَاْحِدَةِ)** المراغي٥ص١٧، وهي نفس إنسانية محترمة ومصانة وبهذا علمنا القرآن أن جناية الإنسان على غيره جناية على نفسه، فعلينا إحترام نفوس الناس لأنها كنفوسنا ، وأن لا نعرّض نفوسنا إلى الانتحار فإنه أخس أنواع الموت ، فمهما اشتدت المصايب بالمؤمن فعليه الصبر وأن لا يلقي بيده إلى التهلكة وأن لا يشكو إلى الناس وإنما يشكو إلى الله لأن الشكوى لغير الله مذلة **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)** ومن رحمته بكم أنه نهاكم عن أكل الأموال بالباطل ، وعن قتلكم أنفسكم وعن قتلكم لغيركم ، إذ حفظ دماءكم كما حفظ أموالكم وعلمكم أن تتراحموا ويحفظ بعضكم بعضاً ويدافع عنه وعن ماله ، **عن الإمام الصادق** (ع) : في قوله **(وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ)** (عَنَى بِذَلِكَ الرَّجُلَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ يَشُدُّ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ وَحْدَهُ، يَجِيْءُ فِيْ مَنَاْزِلِهِمْ فَيُقْتَلُ ! فَنَهَاْهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ) مواهب الرحمن٨/١٢٥. **فائدة** : كقوله ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ المائدة/٣٢ ، **وعن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُبْتَلَى بِكُلِّ بَلِيَّةٍ، وَيَمُوتُ بِكُلِّ مِيتَةٍ، إلا أَنَّهُ لا يَقْتُلُ نَفْسَهُ) فروع الكافي٣/١١٢. **عن الإمام الصادق** (ع): (إنّ مَعْنَاهُ لا تُخَاطِرُوْا بنفوسِكُمْ فِي القِتَالِ، فتْقَاتِلوُا مَنْ لا تُطِيقُوْنَهُ) مجمع البيان٣/٧٩.

**٣٠ - ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾**

إشارة إلى قتل النفس وأكل المال بالباطل وكل من يتعدّ الحدود التي حدّها الله فقد ظلم نفسه وظلم الآخرين ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، جزاؤه **(فَسَوْفَ نُصْلِيهِ)** نحرقه **(نَاراً)** عظيمة لا توصف كما يفيده تنكير (ناراً) **(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)** وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل ، وقال : **(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ)** ولم يقل (ومن يفعل ذلك منكم) لأن هذه الأفعال من الذنوب الكبيرة فمن يفعلها ليس من المؤمنين. **فائدة** : **١-** الفرق بين **(عُدْوَاناً)** و **(ظُلْماً)** الأول يعني الاعتداء على الآخرين فيما يشمل الثاني ظلم النفس، **في غرر الحكم**: (مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ كَاْنَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ). **٢- عن الإمام الصادق** (ع) : (وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ مُتَعَمِّداً فَهُوَ فِي نَاْرِ جَهَنَّمُ خَاْلِدَاً فِيْهَاْ ثم تلا الآية) من لا يحضره الفقيه٣/٣٦٤.

**٣١ - ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾**

المعاصي كلها تعدُّ كبائر لكونها مخالفة لأوامر الله ، وإذا قيست إلى بعضها صارت كبائر وصغائر ، وتميّزت الكبائر بشدة النهي عنها وكثرة ضررها والوعيد عليها بالنار ، ومن رحمة الله بالإنسان أن تمنَّ على من اجتنبوا وتركوا الكبائر عفونا عن الصغائر التي يقترفها الإنسان في حالة الضعف والغفلة من دون إصرار وعناد وإلاّ فإن الإصرار على الصغائر تكون كبائر **(وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً)** ندخلكم مكاناً فيه كرامتكم وعزتكم وقرباً من ربكم وهي الجنة. **عن النبي** (ص) : (اجْتَنِبُوا

السَّبْعَ الْمُوبِقاتِ : الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَاْ، وَالتَّوَلِّي (الهُرُوبُ) يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاْتِ الْمُؤْمِنَاْتِ الْغافِلاتِ) المراغي٥/٢١

**وقيل مِنَ الْكَبَاْئِرِ**: عُقوقُ الْوالِدَيْنِ: واستحلال الحرام، وشَهادَةُ الزورِ، والزِّنَاْ، وَقَطْعُ الرَّحِمِ، والاِرْتِدَاْدُ، والاِعْتِدَاْءُ عَلَى النَّاْسِ بِأَمْوَاْلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وإِتِّبَاْعُ الْهَوى فَهُوَ إِلَهٌ يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ، والْكَذِبُ، والَيمِيْنُ الْغَمُوْسُ (الغَلِيظُ).. إلخ ، **عن الإمام علي (ع)**: (أَكْبَرُ الْكَبَاْئِرِ الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْقُنُوْطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وغَيْرُهَا) كنز العمال خبر٤٣٢٥، **عن النبي (ص)** : (مَاْ عُبِدَ إِلَهٌ أَبْغَضُ عَلَى اللهِ مِنَ الْهَوَى) روح البيان١٩٧/٢، **عن النبي (ص)**: (لاَ كَبِيْرَةَ مَعَ الاِسْتِغْفَاْرِ، وَلاَ صَغِيْرَةَ مَعَ الإِصْرَاْرِ) كنز العمال خبر ١٠٢٧٩

**٣٢ - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾**

ولا تتمنوا أيها المؤمنون ما خص الله به غيركم من أمور الدنيا والدين ، وما فضل الله به بعض الناس على بعض من القوة والقدرة والحياة والمال والجمال وحسن الحال وما خص الله به كلاً من الجنسين (الرجل والمرأة) من مميزات ، سواء كان تفضيلاً تكوينياً أو تشريعياً لأن ذلك سبب للحسد والحقد والتباغض وتنغيص العيش فهو مدخل للشيطان، وهذا التفضيل لكل نوع من أنواعه صادر عن حكمة وتدبير وتقدير بأحوال الرجال والنساء **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾** الرعد/٨ ، **وفي الحديث** : (لاَ يَزَاْلُ النَّاْسُ بِخَيْرٍ مَاْ تَبَاْيَنُوْا (تفاوتوا) فَإِذَاْ تَسَاْوَوْا هَلَكُوْا) روح البيان١٩٨/٢، وهذه مقدمة لنجاح القوّامة التالية الذكر **(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ)** وهذا حق المرأة في الملكية الفردية ، وأن الله لا يضيع **﴿عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾** آل عمران/١٩٥ ، لأن التشريع يوافق الموقع الإجتماعي ، **والمراد بالاكتساب** ذو معنى عام يسع جميع أنواع التحصيل المالي والمعنوي والعلمي ، وأعم من أن يكون بعمل مهنة أو صنعة معينة يكون صاحبها ذا مزية فيها ، ومصطلح الاكتساب جامع لأنواع المواهب في مختلف الموارد.

**المعنى:**

إن الله كلّف كلاً من الرجال والنساء أعمالاً فما كان خاصاً بالرجال لهم نصيب من أجره ، من الأفضل أن لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصاً بالنساء لهن نصيب من أجره ، من الأفضل أن لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر ، وعلى كل منهما أن يسأل ربه الإعانة والقوة على ما نيط به من عمل ومسؤولية ، ولا يجوز أن يتمنى ما خصص بالآخر ليتقن كل منهما عمله لينال أمله ولا يتجاوز حدوده مع الآخر **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ

إِمْرِئً عَرَفَ حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ) **وفيه أيضاً**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ). **سبب النزول** : سألت النساء الجهاد والغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال فنزلت (**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**) فإن خزائنه مملوءة لا تنفد ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ الحجر/٢١ ، فلا تتمنوا نصيب غيركم ولا تحسدوا من فضَّل عليكم وإسألوا الله من نعمه وكرمه فإنه يُحبُّ أن يُسأل ويُدعى ويجيب ، بدلاً من حسرات النفس في التطلّع إلى التفاوت ، وبدل الحسد والحقد والتباغض الذي أضراره كثيرة وإثمه كبير ولا نفع فيه (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**) فسبحانه عليم بالتفاوت بينكم ليكون بينكم تعدد أدوار ووحدة هدف ، وعليم في مصلحتكم وما ينفعكم ولا يخطئ في حكمه. **فائدة** : لنرض بقسمة الله وتقديره ولا يدفعنا الحسد إلى تمني مواهب الآخرين بالحقد عليهم ، وعلينا أن نعيش الطموح والجد والاجتهاد ونسأل الله من فضله ولطفه.

**٣٣ –** ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**﴾

**المَوَالِيَ** : ورثة الميت. جعلنا لكل من الذكر والأنثى أولياء في الوراثة يرثون ما تركتم من مال وهم (**الْوَالِدَانِ**) والأجداد والجدات (**وَالأَقْرَبُونَ**) وهم الأولاد والإخوة والأخوات والعمات والأخوال والخالات (**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**) وعقد الأيمان هو عقد الزواج ذكرت الآية أسباب ثلاثة للإرث وهي الأولاد والقرابة والأزواج ، فأعطوهم نصيبهم من الإرث المقدّر لهم بصورة تامة (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً**) إن الله شاهد على تصرفاتكم في التركة وغيرها ، فلا يطمعن أحد أن يأكل من نصيب أحد الورثة شيئاً. **فائدة** : (**عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**) الآية ناظرة إلى عقد ضمان ، وهو أن يتعاقد شخصان فيما بينهما على أن يتعاونا فيما بينهما عند المشكلات ، وإذا مات أحدهما قبل الآخر ورثه الحي إن لم يكن للميت ورثة ، وصورة العقد (**عَاقَدْتُكَ عَلى أنْ تَنْصُرُنِي وأنْصُرُكَ ، وتَعْقِلُ عَنِي وأَعْقِلُ عَنْكَ ، وتَرِثُنِي وأَرِثُك ، فَيَقُولُ الآخِرُ قَبِلْتُ**) وكان هذا العقد قبل الإسلام وقد عدّله الإسلام وأقره ، وجاءت هذه الآية لمنع طمع بعض الوارثين في بعض ، سواء أكان ذكراً أم أنثى ، كبيراً أم صغيراً.

**٣٤ –** ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**﴾

**قَوَّامُونَ** : مبالغة قيام في أداء المسؤولية وزيادة الرعاية والعناية بالواجبات كقوله ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ البقرة/٢٥٥ ، يقوم الزوج بواجبه تجاه زوجته وأولاده باستمرار بلا قصور ولا تقصير

ضمن حدود القدرة والاستطاعة ، قيام الراعي على الرعية ، وإلزام الزوجة بحقوق الله تعالى ، **والقوّامة خاصة** في الحياة الزوجية وليست عامة ، من أجل تنظيم الأسرة وتحديد الحقوق والواجبات، وحفظها من الخلافات وصيانتها من التفكيك بقدر المستطاع. والقوّامة (القيادة) ضرورة حياتية في عالم الأسرة وفي القضاء والحرب.. إلخ لا بد أن يكلف بها الأصلح ، وليست هي قضية منافسة بين الرجل والمرأة، وتبين الآية أن الأصلح للقوامة (والرئاسة) هو الرجل وهو ينسجم مع الفطرة الإنسانية ، والمرأة توافق على ذلك بشرط أن يكون الرجل كفوءاً في قوامته ، **سؤال** : هل يستطيع الزوج أن يؤدي قوامته بنفسه دون مساعدة زوجته ؟ الجواب : كلا لأنه أكثر أوقاته في العمل خارج المنزل فلابد أن تعينه على قوامة كاملة بلا تقصير ، فيكون هو القوّام وهي المعاونة له ، ولابد من التعاون المشترك على نجاح تكامل القوامة ، حتى تعطي مفعولها وجمالها وتكون الأسرة متماسكة وأي توانٍ وضعف عن المسؤولية فسوف تفقد القوامة من أهدافها ، ولا تعني القوّامة الهيمنة والسيطرة والتحكم وإظهار القوة على زوجته ولا تجعل الزوج مطلق الصلاحية في كل شيء في الأسرة ، ولا تلغي القوامة دور الزوجة بل تدعمه وتنظمه في حصول السكن الزوجي المشترك ، وأريدت (القوّامة) للرجال للرعاية والحماية والهداية وحسن الإدارة والإشراف العام ، ويكون القوّام أميناً عاماً على أسرته لحفظ الحقوق لا لتجاوزها ، ولتعيين الحدود والتوقف عندها ، ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ إمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ) ، ولتوحيد القرار بين الزوجين ، وليس القوّامة مطلقة في كل شيء ، لأن الزوجة ليست ملكاً لزوجها ، ولا يشتري الزوج زوجته بالمهر والنفقة ، وليست القوامة بعنوان المفاضلة بين الزوج وزوجته ، وليست للتشريف وإنما للتكليف وتحمّل المسؤولية ، ولتنظيم العلاقة الزوجية بالحب المشترك والتفاهم المتبادل، وعدم التنازع والاختلاف ، لأن البيت الزوجي لا يحتمل أكثر من قيادة واحدة ، ونظام القوّامة يعتمد على قاعدة الشورى بين أبناء الأسرة الواحدة المتماسكة، وفي المشورة لقاح العقول والتجارب وسبيل النجاح وتقوية العلاقة وانشراح النفوس واستثمار الطاقات ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ الشورى/٣٨ ، ولا يجوز جعل القوّامة بيد الزوجة إبتداءً إلاّ إذا عجز الزوج عنها وفشل أو توفّى ، فتنتقل القوّامة إلى الزوجة بشكل تلقائي ويكون الزوج معاوناً لها ، حتى تستمر فعالية القوّامة وتأثيرها الصحيح.

**حدود القِوَامة** : جعل الطلاق بيد الزوج ، وأن تطيعه في الفراش ولا تخرج من بيته إلاّ بإذنه ولا تدخل فيه من لا يحب ، وتحفظ فرجها وشرفها وأن لا تخون زوجها ولا تشحن عليه الأجواء وتؤلب عليه القلوب بالكراهية ، وتحفظ بيته وماله وولده في كل حال ، وهما في ما عدا ذلك سواء ، **وإن الله ذكر سببين للقوّامة : ١- (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)** ولم يقل (بما فضلهم

عليهن) ولو قال ذلك لفُهِم منه تفضيل جميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء وهذا غير مقصود ، فكم من إمرأة أفضل من ألف رجل ، وكم من زوج فاسق وزوجته مؤمنة صالحة هي أفضل منه ، لذلك جاء التفضيل لجنس الرجال عامة على جنس النساء كقاعدة ولكل قاعدة استثناء ، وقوّامة الزوج على قدر تجربته ومقدار خبرته وكفاءته ونزاهته ، وهي مسألة نسبية تتفاوت بين مقادير الرجال ، **فكلما إزدادت كفاءته إزدادت قوّامته**، وكلما قلّت كفاءته قلت قوّامته ، فلابد أن تشاركه زوجه الكفؤ في رفع درجة القوامة إلى المبالغة والكمال ورفع الخلل والضعف عنها بأي شكل من أشكال المشاركة الفعّالة، **بشرط** أن لا تتجاوز المرأة حدودها فتصبح مسترجلة وقحة صلفة سليطة اللسان ليس فيها جاذبية المرأة كأنثى وتفقد مصدر السكن لزوجها وتكون منافسة له في رجولته ودوره وعمله والمرأة المسترجلة هي المرأة الملعونة المذمومة الناشز ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، ولرفع هذه الإشكالات المحتملة ينبغي.

**(وضع نظام داخلي تفصيلي بين الزوجين)** منذ فترة الخطوبة والعقد الشرعي والقانوني ، يرجعون إليه عند الحاجة فيكون دستور حياة لهما (راجع التفصيل في بحث (**الرجال قوّامون على النساء**) على الموقع الألكتروني لمؤسسة الشهداء منتدى الخالدون في شبكة (الإنترنت) / بغداد) أيضاً راجع (**السكن الزوجي المتكافئ في المنظور القرآني الفريد) للمؤلف مكي قاسم البغدادي. ٢- (وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)** الحالة الوحيدة التي يجب فيها إنفاق الرجل على المرأة وهي في الحياة الزوجية الشرعية الدائمة فقط ، فالزوج يقوم بحفظ زوجته وأولاده وهدايتهم ورعايتهم والإنفاق عليهم بالمقدار الكافي ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ البقرة/٢٣٦ ، فالزوج يعطي بتكليف لا بتشريف بلا منٍّ ولا أذى ، ويعطي بتدبير وتقدير لا بإسراف وتبذير ولا ببخل وتقتير ، وإذا عجز الزوج ولم ينفق الواجب عليه ضمن مقدار وسعه ومقدرته ، لم يكن قوّاماً على زوجته ، ولها الأمر أن تطلب تسوية العلاقة والحوار معه أو الطلاق والإنفصال عنه.

**وهناك ردود أفعال النساء عامة تجاه نظام القوّامة : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ)** اللاتي استجبن لقوّامة الأزواج وتوافقن معهم ، من صفاتهن أنهن صالحات في الشكل والمضمون في السفر والحضر ، في القول والعمل، لأن الصلاح جاء على إطلاق معناه **(قَانِتَاتٌ)** مطيعات لله تعالى ولأزواجهن بعلم ومحبة وأخلاق وسلامة قلب ولم يقل **(مطيعات)** لأن قانتات أوسع دلالة من مطيعات ، وقائمات بواجباتهن خاضعات للأزواج ولله تعالى مستقيمات متعاليات على المشاكل والخلافات وهذا الذي يليق بالسكن الزوجي ويرفع إلى درجة المودة والرحمة ، وبذلك تحفظ شطري النفس الواحدة حفظاً يبين أن الزوجين جسمان في روح واحدة **(حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)** إنها من أبلغ العبارات في القرآن الكريم ، التي تجمع بين العفة والأمانة والأخلاق ، إنهن حافظات لكل ما هو خاص ،

وهو حفظ أسرار العلاقة بين الزوجين ولاسيما حديث الرفث والكلمات الخاصة بينهما قبل المباشرة، وحفظ العِرض والشرف والسكن الزوجي في السفر والحضر ، وتحفظ الغيب في المجالس الخاصة وللمقربين (**بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**).

والانتقال السريع من الغيب الخفي إلى حفظ الله الجلي يدل على وجوب ترفّع النفس وعدم تدخلها في ما يكون وراء الأستار من تلك الخفايا والأسرار الخاصة **في غرر الحكم**: (مَنْ تتبع عَوْرَاْتِ النَّاْسْ كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ) **في غرر الحكم**: (أفضل الناس من شغله معايبه عن عيوب الناس) **واللاتي رفضن وتمردن على نظام القوّامة وخالفن الميثاق الغليظ في العقد هن (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)** والخوف من النشوز ، وهذا الحذر له منافع كثيرة للرجال فعليهم الإنتباه والإهتمام بالأعراض الأولية قبل حلول الأمراض ، ليكون العلاج منذ الابتداء قبل ان يستفحل النشوز ، لأن النشوز لا يظهر دفعة واحدة بل بالتدرج ابتداءً من القول المخل والفعل المذل وسوء الأخلاق تمهيداً للعصيان والاستكبار على قوامية الزوج ، فهن نساء مسترجلات مستكبرات مترفعات ملعونات وأصبحن مصدر قلق وابتلاء ولم يكنّ مصدر سكن وإخاء.

**والنشوز قد يكون من الزوجة أو من الزوج أو منهما معاً** ، **والنشوز** : تعبير مجازي كناية عن التمرد على القوامة والترفع على الزوج دائماً وليس مؤقتاً ، فلا تعني المشاجرة وعدم الإمتثال المؤقت نشوزاً ، وهذا قلما يخلو منه حال الزوجين ، ومعالجة النشوز يعتمد على التدرج المرتب والمهذّب ، وبشكل علمي مقدّر ومدبّر ابتداءً من الأسلوب الناعم إلى الأسلوب الخشن ، وعدم تدخل الهوى والأنا والجهل والطبائع الشخصية والأعراف المحلية في العلاج ، ويكون علاج النشوز بالتدريج المدروس خطوة بخطوة بالترتيب: **١- (فَعِظُوهُنَّ)** لا يجوز الهجر والضرب بمجرد توقع النشوز قبل حصوله ، وجاء الوعظ مطلقاً وغير محدد بوقت وغير مقيد بأسلوب فخوفوهن الله ولا تتجاوزوا حدوده تعالى بطريق النصح والإرشاد البليغين ، فإن المواعظ حياة القلوب وصقل النفوس وتزيد الانتباه وتعالج الغفلة ، وترفع الحواجز النفسية ، **٢- ( وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ)** فإعتزلوهن في فراش النوم فلا تكلموهن ولاتقربوهن ويوليها ظهره ويقطّب وجهه أمامها وهي الحرب النفسية الباردة حتى تستوفي غرضها ووقتها، وأن لا يكون هجراً أمام الأطفال ولا أمام الغرباء ليذل الزوجة ، والمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة ولا إفساد الأولاد وتخريب الأسرة ، **٣- (وَاضْرِبُوهُنَّ)** الضرب المخيف والخفيف الذي فيه دواء لا اعتداء ، وأن لا يكون الضرب قاسياً ظالماً منتقماً ولا يخرج عن قوله تعالى

﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾ البقرة/٢٣١، وقد يكون ضرب الكلام أقوى من ضرب الحسام ، ضرباً تذكيرياً لمجرد الردع والتخويف من سوء العاقبة، ولا يحق للزوج أن يتجاوز

حدوده ويتعدى طوره ويضرب زوجته على وجهها أو يحرق جسمها أو يترك أثر عليه أو يجز شعرها أو يجعل فيها عاهة لاستضعافها، **في نهج البلاغة كتاب٣١:** (ظُلْمُ الضَّعِيْفِ أَفحشَ الظُّلْمِ وَأَعْظَمُ الجُرْمِ) وهذا عليه قصاص بقدر الجناية، **عن الإمام الصادق** (ع): (الضَّرْبُ بِالسِّوَاْكِ وَنَحْوِهِ وشبهه ضرباً رفيقاً) من لايحضره الفقيه٣/٥٢١، ما يسمى بالضرب، الضرب الذي ظاهره عنيف وباطنه لطيف ، ضرب شكلي دلالة على الاستنكار والتأديب (**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً**) التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والغرض من ذلك إرجاع المرأة إلى رشدها وعدم تمردها فإن عادت إلى استقامتها فليس للزوج عليها سبيل لإيذائها حتى ولو كانت تكرهه (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**) إن قدرة الله فوق قدرة الزوج عليها ، والله أعلى منكم وأكبر من قوتكم ، ولا يرضى لعباده الظلم وهو وليهن ويدافع عنهن وينتقم ممن يظلمهن ، **والآية وعيد وتهديد لمن يقصّر في حقوق المرأة عمداً. فائدة : عن الإمام الصادق** (ع) : (نُشُوْزُ الْمَرْأَةِ فِيْ الْفِرَاْشِ هُوَ إِذَاْ دَعَاْ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ) المصدر السابق(**بلا عذر**) وهذا أحد المصاديق على النشوز.

**٣٥ - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾**

ذكر سبحانه نشوز الزوجة وهذه الآية في نشوز الزوجين معاً وذكر نشوز الزوج في موضع آخر **﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** النساء/١٢٨ ، **الشِقَاق** : الخلاف ، يفيد أن الشق الواحد لا يحصل إلاّ في جسم واحد ثم ينشق قسمين **﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾** (كراهية) البقرة/١٣٧ ، الآية تجعل الشقاق والخلاف ناتج منهما معاً بسوء تصرفهما معاً (**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**) وإن خفتم من تفاقم الأمور وسوء الأحوال واستمرار الشقاق بظهور أسبابه من النزاعات المستمرة (والوقاية خير من العلاج) ، والخطاب لمن يهمهم الأمر كالأهل أو ولاة الأمور أو الحاكم الشرعي أو الأزواج أنفسهم (**فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا**) شكّلوا محكمة عائلية للإصلاح الفوري (**فَابْعَثُوا**) الفاء تدل على الإسراع في الأمر بين الطرفين و(إِصْلاَحُ ذَاْتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَاْمَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَاْمِ) المستحبان كما في الحديث المشهور. كقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الانفال/١، **في غرر الحكم:** (مِنْ كَمَالِ السَعَادَةِ السَعْيُ فِي صَلَاحِ الجُمْهُورِ) ويشترط في الحَكَم أن يكون خبيراً في الإصلاح ومطّلع على أسرار العائلة جيداً ويكون نزيهاً وكفوءاً وحريصاً على الخير من كلا الطرفين وهذا يدل أن الأفضل لحل الخلافات تكوين محكمة عائلية مصغرة بدلاً عن المحاكم والقاضي ، فأرسلوا حكمين عادلين صالحين للحكم من أهله وأهلها برضاهما (**إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**) وهذه نقطة أساسية، وضمير (**يُرِيدَا**) وضمير (**بَيْنَهُمَا**) يعود إلى

الزوجين لأنهما أصحاب العلاقة المباشرة أو يعود إلى الحكمين إن خلصت نيتهما في الإصلاح وفق الله الزوجين بسببهما ، فإن تعادلت الإرادة بينهما لطلب الصلح بحيث تكون إرادة متوافقة ومتوازنة ومتعادلة ومتبادلة عندئذٍ يوفّق الله بينهما. متى صلحت النية صلح الحال واستقامت الأفعال **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً)** عليماً بأحوال العباد حكيماً في تشريعه لهم.

**فائدة:** الآية لم تتحدث عن إرادة التفريق للتأكيد على التوافق والتآلف وعدم الوقوع في قبضة اليأس أمام بعض حالات الفشل والعناد بين الزوجين ، فلا يكون التفريق إلاّ في حالات الفشل التام والكامل بينهما ، وإطفاء كل وسائل الأمل واليأس من عودتهما ولا يجوز إجبارهما على الصلح لضرره عليهما لأن الأرواح المتناكرة المختلفة تكون متنافرة ، فلا يمكن العلاقة بين الضدين.

**٣٦-** ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾

عبادة الله أفضل القربى إلى الله عز وجلّ وطلب مرضاته ، وتهذيب العادة السيئة أفضل العبادة ، والعبادة واسعة المعنى وخلاصتها حسن النية بالطاعة من الوجوه المتعددة التي يطاع الله منها ، **في غرر الحكم:** (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْعُبُودِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُوْلِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ! وعبادة الله هو التوحيد العملي الناتج من توحيد الاعتقاد، وهو إتيان جميع الأعمال الحسنة التي فيها خدمة العباد ورضا الله تعالى ، فإن من أفضل العبادة كف الأذى عن الناس وقضاء حوائجهم ودفعهم نحو التقدم الحضاري المتنوع بحيث يهابهم أعداؤهم **(وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)** أي لا تشرك في عبادة الله أحداً **بمعنى** : فلا تتبعوا الهوى فإنه إله يُعبد من دون الله ويضلك عن سبيل الله ، وعبادة الأصنام الفكرية والبشرية ، ولا تطعْ من يحكم بغير ما أنزل الله ، ولا تقبل التعصب القبلي والجاهلي والوطني والعشائري والقومي فأمر الله فوق ذلك ، فمن تعصب وتُعصب له فقد خرج من نظام الإسلام أي لا تفعلوا شيئاً إلاّ لوجه الله وهو وجه الخير والصلاح ونصرة الحق والحقوق **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)** قرن الله سبحانه وجوب التقيد بعبادته بوجوب البر بالوالدين ، فاستوصوا بهما معاً براً وإنعاماً وإحساناً وإكراماً بالقول الكريم إليهما بأي شكل من الأشكال ، بل الحرص على رعايتهما والفعل الجميل والتعامل المؤدب وطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والحرص على خدمتهما ، وإكرام من له تعلق بهما ، وصلة الرحم التي لا رحم ولا وجود لك إلاّ بهما **(وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ)** وأحسنوا إلى الأقرباء عامة و(الأَقْرَبُوْنَ أَوْلَى بِالْمَعْرُوْفِ) وأولى بالصلة والتعاون ، وأحسنوا إلى اليتامى والمساكين فلا ينتظم حال المجتمع إلاّ بالعناية بهم وصلاح حالهم وإلاّ كانوا مصدر تخلف فيه ووبالاً عليه **(وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)** وأحسنوا إلى الجار القريب منك ، **(وَالْجَارِ الْجُنُبِ)** الأجنبي البعيد عنك داراً.

**عن النبي (ص):** (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيْنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ) البحار١٥١/٧٤ وحث الإسلام على إكرام الجار وحسن معاشرته بإرسال الهدايا إليه ودعوته إلى الطعام والمجالس الخاصة والعامة وزيارته.. (**وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**) وأحسنوا إلى رفيق السفر والحضر والذي صحبك في تعلم العلم وعمل معك في عمل أو قاعداً إلى جنبك في مجلس ومن له أدنى صحبة ومعاشرة بينك وبينه ، فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنسَه ولو ((بنداء هاتفي)) (**وَابْنِ السَّبِيلِ**) وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطع عن بلده وأهله ، ويشمل السائح في غرض غير محرم وفيه ترغيب في السياحة ، ويشمل الضيف الذي ينزل عليك وحقه ثلاثة أيام ، وقد جعل الله في أموالنا حقاً معلوماً ﴿**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ الذاريات/١٩ ، (**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) العبيد والإماء وهذا لا وجود له في عصرنا الحاضر والحمد لله (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**) **الْمُخْتَال** : المتكبر في حركاته ونفسه وأعماله و **الفَخُور** : المتكبر في أقواله ، فيرى نفسه مميزا عن الناس زهواً بنفسه ومحتقراً لغيره يأنف عن أقاربه وجيرانه، **والآية تبين بعض مكارم الأخلاق** ، وهكذا (الَّذِيْ لاَيَعْرِفُ قَدْرَهُ يَتَعَدَّى طَوْرَهُ) فيتعلق صاحبه بالمال والجاه والمنصب أكثر مما يتعلق بالقيم والمبادئ والأخلاق.

**٣٧ – ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾**

والمختالون الفخورون هم الذين يبخلون ويمنعون ما أوجب الله عليهم من النفقات العامة المادية والمعنوية، فيمنعون الحقوق الشرعية ويمنعون الإحسان الذي أمر الله به في الآية السابقة (٣٦) فيشمل البخل بلين الكلام وإلقاء السلام والنصح في العلم والعمل ولا يعمل به ، والبخل في قضاء حوائج الناس وكتمان ما آتاهم الله من فضله وهو يرجع إلى لؤم النفس وقسوة القلب **في غرر الحكم:** (اللَّئِيمُ إذَا بَلَغَ فَوْقَ مِقْدَارِهِ تَنكَّرَتْ أَحْوَالُهُ) ، (**وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**) وكل بخيل يأمر الناس بالبخل حتى يجد له أصدقاء مثله كالشيطان يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، فيقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يحدث ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ البقرة/٢٦٨ ، (**وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**) يخفون ما أنعم الله عليهم من أنواع النعم المادية والمعنوية ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، ويتظاهرون بالفقر كيلا يسألهم السائلون ، ويبخلون بالعلم وزكاة العلم إنفاقه حتى يهتدي به الضالون ، وهكذا يبخلون بكل خير أنعمه الله عليهم ، فجمعوا بين خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم وهذا هو الخسران المبين ، فما الفائدة أن أربح كلّ شيء وأخسر أهم شيء وهي نفسي ؟! (**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**) وسماهم الله كفاراً لبيان أن أعمالهم لا تصدر إلاّ من كفور ولا من مؤمن شكور ، فكما أهانوا عباد الله بالحاجة بمنعهم حقوق الله كذلك الله يهينهم بالعذاب الأليم ، ويكون الجزاء من جنس العمل. **فائدة :**

**في الحديث:** (إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ) مجمع البيان٣/٩٧، **وعن النبي** (ص): (خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي الْمُسْلِمِ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ) شرح النهج٦/٣٣٧، **في نهج البلاغة حكم٣٣٠:** (أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ الله أَلاَّ تَسْتَعِينُوْا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيْهِ) ، ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ الضحى/١١ ، ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ**﴾ التكاثر/٨.

**٣٨ –** ﴿**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾

الذي ينفق ماله رياءً أسوأ حالاً من البخيل ، لأن الرياء شرك خفي والبخل شرك جلي لأن البخيل يعيش حياة الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء ، والمرائي ينفق ماله للشهرة والسمعة والجاه والفخر وتقوية نفوذه ، ليس هدفه خدمة الناس ورضا الله (**وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**) المرائين في إنفاقهم يثقون بما عند الناس من التعظيم ولا يثقون بما عند الله من جنات النعيم ، ويفضلون التقرُّب إلى الناس على التقرب إلى الله ، فيكون الله في نظرهم أهون من الناس ، هؤلاء ليسوا بمؤمنين إيماناً حقيقياً بالله ولا باليوم الآخر (**وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**) **القَرِينْ** : الرفيق الصاحب والخليل ، إن البخل والرياء وجميع العيوب والنقائص لا تكون إلاّ بتحريض ووسوسة من الشيطان ، وهو بئس الصاحب والمحرّض والرفيق يتبع أمره ، ومن يصاحب الشيطان يكون بئس الإنسان وهو بئس القرين وله بئس المصير ، **وفي ذلك دلالة** : إلى تأثير قرناء السوء الخطير في حياة الإنسان ، والحذر من صحبة الأشرار فإن الشر معدي كالريح إذا مرت بالنتن حملت ريحها الكريهة كقوله : ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ الزخرف/٣٦ ، ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ فصلت/٢٥ ، والقلب الخالي من الله يتحول مقراً دائماً للشيطان ، وكم أفسد قرين السوء صالحاً ، وكم أصلح القرين الصالح فاسداً، **عن النبي** (ص) : (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه (صديقه) فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) البحار٧٤/١٩٢، وكقوله ﴿**يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً**﴾ الفرقان/٢٨

**٣٩ –** ﴿**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً**﴾

الاستفهام للإنكار والتعجب. ما الذي كان يصيبهم من الضرر لو آمنوا بالله واليوم الآخر إيماناً صادقاً يظهر أثره في القول والعمل ؟ وفي هذا الأسلوب إثارة تعجيب الناس من حالهم إذ هم لو أخلصوا لما فاتتهم منفعة الدنيا ولفازوا بسعادة الآخرة ، فالإيمان اطمئنان في القلب واستقامة في السلوك و (الْحَيَاةُ لَوْلاَ الإِيْمَانُ لُغْزٌ لاَ يُفْهَمُ مَعْنَاْهَا!) ، إذن الإيمان هو فلسفة الحياة ويفتح رموزها، ويغوص في عالمها الآخر، وفقده عرضة لليأس من كل خير ، لذلك يكثر الانتحار من فاقدي الإيمان ، وقد يبتلى المؤمن فيثبت بالصبر الجميل، ويتغلب حلاوة الإيمان على مرارة البلاء ، فهو يعتقد أن فِيْ الْمَكَاْرِهِ مِكَاْرِمٌ، فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ من الله، وَفِيْ الْمَكَاْرِهِ مِكَاْرِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاْتِ خِبَرَاْتٌ، وَفِيْ الْمُعَاْنَاْةِ هِبَاْةٌ، وَفِيْ العُقُوبَاتِ يَقَضَاتُ الضَمِيرِ، وَفِيْ الْبَلاَيَاْ بِدَاْيَاْتٌ نِهَاْيَاْتُهَاْ الْكَرَاْمَاْتُ، **عن الإمام العسكري** (ع): (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فِيْهَاْ نِعْمَةٌ تُحِيطُ بِهَاْ) البحار٧٨/٣٧٤، **ومن دعاء الإمام**

**الحسين** (ع) في يوم عرفة: (مَاْذَاْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَاْ الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ لَقَدْ خَاْبَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً) ثم قرن الإيمان الصادق بالإنفاق (**وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ اللَّهُ**) والإنفاق بمعناه العام المادي المعنوي ، إنفاق العلم والمكانة والسمعة... إلخ ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ**﴾ البقرة/٢٧٢ ، **في غرر الحكم:** (لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ دُنْيَاْهُ إِلاَّ مَاْ أَنْفَقَهُ عَلَى أُخْرَاْهُ) (**وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً**) يكتفي المؤمن بعلم الله في إنفاقه في السر ولا يبالي بعلم الناس.

**فائدة:** في هذه الآية الهداية إلى فن التعامل مع الناس بتثبيت المبادئ والمرونة في التعامل ، **عن النبي** (ص): (خِيَاْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلاَقَاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ)البحار١٤٩/٧٧، (وَلاَ خَيْرَ فِيْمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ) كنز العمال خبر٦٧٩.

**٤٠ – ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾**

إنّ الله لا يظلم أحداً وزن هباءة صغيرة منتهى الصغر ، يخبر الله عن كمال عدله ورحمته وتنزهه عن الظلم فهو لا يرضى لعباده الظلم فكيف يرضاه لنفسه ؟ ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩ ، من الظلم الكثير والقليل ، ومن الظلم للنفس أو للغير ، أي إن الله لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئاً ولو بمقدار ذرة وهي منتهى الصغر كالهباءة في الهواء التي لا تراها العيون إلاّ من خلال ضوء الشمس ، **فالظلم أصل الرذائل** وله تبعات موبقات فهو ينغِّص العيش ويكره الأيام ويقلق النفس يزل القدم ويسلب النعم ويقرب النقم ويهلك الأمم ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ آل عمران/٥٧، (**وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**) وإن كانت تلك الذرة الصغيرة حسنة ينمّها ويجعلها أضعافاً كثيرة وهكذا يضاعف ثواب المحسنين تفضلاً منه (**وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**) يزيد الثواب لمن أحسن ولا يعاقب المسيء بأكثر مما يستحق. وسمى عطاء المحسنين أجراً وليس له مقابل من الأعمال ، لأنه لما كان عمل المحسنين صدقة جارية مستمرة لذلك يتبعها الأجر على العمل النافع لذلك سمي الأجر باسم العمل لمجاورته له ، **في الحديث:** (إِذَاْ مَاْتَ إِبْنُ آدَمَ إِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٌ جَاْرِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) كنز العمال خبر٤٣٦٥٥، كقوله ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ الأنعام/١٦٠.

**٤١ – ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾**

الاستفهام للتوبيخ حيث لم تعدّوا لليوم الآخر الحاسم عدته المناسبة.**الشهيد** : هو الشاهد الحق الذي تُطلب شهادته لأمر مهم هو عليم به ، **المعنى** : فكيف يكون حال الناس عامة وحال الفجار خاصة إذا جمعهم الله يوم القيامة للحساب والجزاء وهو يحاسبهم على مثقال الذرة ، ونأتي من كل أمة بنبيها يشهد عليها ، فما من أمة إلاّ ولها شهود يشهدون عليها وعلى عقائدهم الحقة والباطلة وعلى أعمالهم الصالحة والطالحة ، وهذه الشهادة عبارة عن عرض أعمال الأمم على أنبيائهم فيكون منهم الشقي والسعيد (**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**) وجئنا بك يا محمّد (ص)

حبيب الله شهيداً على هؤلاء أي على أمته بأنه بلغهم رسالة ربه وأكمل دينهم الذي ارتضى الله لهم ، فيكون الرسول (ص) حجة وشهيداً على من ترك رسالته أو تساهل في إتباعها أو ابتدع فيها. يروى أن رسول الله (ص) حين نزلت هذه الآية تذكر أهوال يوم المحشر ففاضت عيناه بالدموع ، وإذا كانت هذه حال الشاهد الجليل المعصوم فكيف حال المشهود عليه الغافل عما يراد منه ؟! **فائدة** : الله تعالى في غنى عن الشهود يوم القيامة وهو خير الشاهدين وكل شيء يشهد على الإنسان ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ النور/٢٤.

**٤٢ –** ﴿**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً**﴾

يومئذٍ إشارة إلى ذلك اليوم الحاسم والجازم ، في يوم القيامة يتمنى كل من ضلّ عن سبيل الله ولم يعمل بمنهج الله تعالى وكفر بالله والرسول والرسالة ومعنى ذلك أن الذي يرفض الرحمن يتلقفه الشيطان ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ الزخرف/٣٦ ، **يَعْشُ** : يعمى ويُعرض (**لَوْ تُسَوَّى بِهِمْ الأَرْضُ**) لو يدفنون فتبلعهم الأرض فيكونون هم والأرض سواء ثم تُسّوى بهم كما تسّوى بالموتى ويكونون تراباً كقوله ﴿**يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ النبأ/٤٠ ، ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ الفجر/٢٤ ، لما يرون من أهوال يوم القيامة (**وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً**) لأنهم بارزون لله لا تخفى منهم خافية لظهور حالهم بكامل أعمالهم مع الصورة والصوت والنية، وشهادة أعضائهم وشهادة الملائكة الرقباء عليهم ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ النحل/٨٩.

**٤٣ –** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**﴾

السُكر قليله وكثيره محرّم في شتى الحالات ، والآية ليست في صدد بيان حكم الخمر في تحريمه أو تحليله، وإنما الآية تبحث عن مبطلات الصلاة. **المعنى** ينهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى أو نعاسى أو كسالى أو كل ما يمنع حضور القلب ، حتى يعلموا ما يقولون ، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر ، والآية تعبر عن مرحلة أولى من مراحل التحريم التدريجي للخمر الذي انتهى بالتحريم الكامل ، ويشمل النهي أيضاً أن لا يقربوا مواضع الصلاة كالمساجد، فإنه لا تقبل للسكران صلاة ولا عبادة سواء أثّر السكر على عقله أو لم يؤثر ، وإن النهي عن الصلاة حال السكر لا يدل على أنه حلال في غير الصلاة ، ثم جاء تحريمه بالتدريج بقوله : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾ البقرة/٢١٩ ، ثم نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة ، كما في هذه الآية ، ثم أنه تعالى حرمه على الإطلاق في

جميع الحالات في قوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**﴾ المائدة/٩٠-٩١ ، **وفيه دلالة** : عدم الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط ، وتشير الآية لمن أراد الصلاة عليه أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره.

**عن النبي** (ص): (رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ لاَهٍ) البحار٨٤/٢٤٩ (**وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا) السَبِيل** : الطريق ، ولا تدخلوا المساجد وأنتم جنب ، ولا تقربوا الصلاة جنباً إلى أن تغتسلوا ، ورخص لكم فيه مجرد العبور في طريق المسجد غير ماكثين فيه ، وفي هذا الحكم تركيز على قدسية المسجد وطهارته واحترام أماكن العبادة وهيبتها ، وغسل الجنابة يطهر الروح كما يطهر البدن (**وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى**) وخفتم الضرر من استعمال الماء (**أَوْ عَلَى سَفَرٍ**) مسافرين (**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ**) كناية عن قضاء الحاجة في المكان المنخفض وهو الحدث الأصغر بخروج شيء من أحد السبيلين (القُبل أو الدبر) (**أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ**) كناية عن الجماع (**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**) الصعيد تراب الأرض الطيب الطاهر (**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ**) الباء للتبعيض أي إمسحوا بعض وجوهكم من قصاص الشعر إلى طرف الأنف (**وَأَيْدِيكُمْ**) من الزندين إلى رؤوس الأصابع من الكفين ، وحكم التيمم تسهيل من الله للعبد لا لتعطيل الحكم ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ الحج/٧٨. **الخلاصة** : حكم المريض والمسافر كحكم المحدث حدثاً أصغر أو حدثاً أكبر في مقاربة النساء ، كل هؤلاء إذا أرادوا الصلاة ولم يجدوا الماء فحكمهم التيمم بدلاً من الوضوء أو الغسل من الجنابة (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**) كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين بتسهيل أمرهم غاية التسهيل. **فائدة : ١- عن الإمام الباقر** (ع) : (لاَ تَقُمْ إِلَى الصَّلاَةِ مُتَكَاسِلاً وَلاَ مُتَنَاعِساً وَلاَ مُتَثَاقِلاً فَإِنَّهَا مِنْ خِلَلِ (صفات) النِّفَاقِ). **٢-** الآية تدل على كمال العناية بالصَّلاَةِ لأنها صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، وَمِعْرَاجُ الْمُؤْمِنْ ، وَحِصْنٌ مِنَ الشَّيْطَاْنِ، وَمَرْضَاْةُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَاْجُ الأَنْبِيَاْءِ ، وَقُرْبَاْنُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَعَمُوْدُ الدِّيْنِ ، وَتَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، **عن الإمام علي** (ع): (الصَّلاةُ مِيزَاْنٌ (دَقِيْقٌ) فَمَنْ وَفَّى ، اسْتَوْفَى) البحار٨٤/٢٦٤ لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِطَهُوْرٍ.

**٤٤ -** ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾

الاستفهام للتعجب من سوء حالهم والتحذير من موالاتهم ، ألم تنظر يا مُحمَّد إلى الذين أعطوا حظاً من علم التوراة وهم أحبار اليهود ، إنهم تركوا كثيراً من أحكامها لم يعملوا بها وزادوا عليهاكثيراً من الأحكام والرسوم الدينية حسب مزاجهم فتمسكوا بها وهي ليست من التوراة ! (**يَشْتَرُونَ**

**الضَّلالَةَ)** يختارون الضلالة على الهدى ويؤثرون الكفر على الإيمان **(وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ)** لتكونوا مثلهم. **فائدة:**

عجيب أمر هؤلاء الذين عرفوا شيئاً من الدين وغابت عنهم أشياء أهم ، إنهم بدل أن يقوموا بهداية أنفسهم وإرشاد الآخرين في ضوء ما أتوا من نور الهداية ، فإنهم يشترون الضلالة لأنفسهم وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا أنتم كذلك، فهم يكيدون لكم دائماً ﴿**حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا**﴾ البقرة/٢١٧ ، وكقوله ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ فصلت/١٧، وتعبير **(يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ)** بقصد وعمد في مبادلة الضلالة بالهدى وهم فرحين بما عملوا وهكذا الَّذِيْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ الْحَقُّ يَلِيْقُ بِهِ الْبَاْطِلُ وَالَّذِيْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ ، الَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الإِيْمَاْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ وَالضَّيَاْعُ ، وهكذا الذي تنقلب عنده المقاييس يرى الأمور خلاف حقيقتها يصفه الله تعالى ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ الكهف/١٠٣ – ١٠٤. **فائدة** : العلماء المنحرفون يضلون الناس عن دين الله بسوء تصرفهم ﴿**فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ البقرة/٧٩ ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ اِزْدَاْدَ عِلْماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدَىً، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْدَاً) تنبيه الخواطر ص٢٧٥.

**٤٥ – ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾**

هؤلاء اليهود ومن شابههم من المنافقين ، وإن تظاهروا بمظهر الأصدقاء لكم إلاّ أنهم هم أعداؤكم حقاً يكيدون لكم في السر والعلانية ويخدعونكم بعنوان النصيحة **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً)** فهو الذي يرشدكم وهو الذي ينصركم فلا تطلبوا الولاية والحماية من غيره ولا النصرة من سواه سبحانه، وعليكم بإتباع سنن النصر ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً، فَأَتْبَعَ سَبَباً**﴾ الكهف/٨٤-٨٥. **فائدة: ١–** معرفة من هو العدو أولاً وتشخيصه بدقة متناهية ، ومن هو الأكثر عداوة ومن هو الأقل عداوة هذه المعرفة من علامات الوعي ، وحتى لا يختلط العدو بالصديق **(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ)**. **٢–** في ظل الوعد الإلهي لنصرة المؤمنين علينا أن لا نخشى المؤامرات والعداوات ما دام الله ولي المؤمنين **(وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً)** بشرط أن يؤدي الإنسان الواجب عليه فعله والنتائج على الله تعالى.

**٤٦ – ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**

من هؤلاء اليهود فريق خبيث يبدلون كلام الله ويفسرونه بغير مراد الله بقصد وعمد تبعاً لميولهم وأهوائهم ومصالحهم ، فتارة يغيرون اللفظ وتارة المعنى وتارة يحرفون اللفظ والمعنى والدلالة ، وهذا

من سوء أدبهم مع الله عز وجل وسوء تعاملهم مع الناس ، ومن هؤلاء رجال دين في الظاهر ولكنهم أعوان إبليس في الباطن ، إنهم إتخذوا الدين حرفة فيكون عندهم الدين سلّماً للدنيا والمناصب وكسب الأموال تحت أي عنوان من العناوين **(وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)** فكان حالهم في العلم شر حال وأما حالهم في العمل فهو غاية الكفر والعناد ، أي سمعنا قولك وعصينا أمرك وكذلك يخاطبون الرسول (ص) بأقبح خطاب **(وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ)** اسمع ما نقول لا سمعتَ ، والكلام ذو وجهين يحتمل الخير في ظاهره والشر في باطنه ، وأصله للخير أي لا سمعت مكروهاً ، ولكن اليهود الخبثاء اللؤماء كانوا يقصدون به الدعاء على الرسول (ص) أي لا أسمعك الله وهو دعاء بالصمم أو بالموت على النبي (ص) **(وَرَاعِنَا)** كانوا يهزئون برسول الله (ص) ويكلمونه بكلام ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه العذاب ، **وَرَاعِنَا** : سب من الرعونة والحمق في لغة اليهود ، وتقدمت في (١٠٤) من سورة البقرة **(لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ)** فتلاً في كلامهم وتحريفاً في مقاصدهم عن الحق إلى الباطل وقدحاً في الإسلام **(وَطَعْناً فِي الدِّينِ)** في زرع الشبهات ضده والسخرية فيه ، وما يزال اليهود مفترين ومحاربين لدين الله كما قال تعالى ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ الصف/٨ ، وكانوا يسلمون على النبي (ص) بقولهم : (السام عليكم) بمعنى الموت عليكم وكأنهم يقولون (السلام عليكم) وكان يحييهم بقوله (وعليكم) **(وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)** بدلاً من قولهم سمعنا وعصينا **(وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا)** بدلاً من قولهم غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا.

**بمعنى**: لو أن هؤلاء اليهود قالوا للرسول (ص) القول اللطيف بدل القول الشنيع **(لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ)** فكان ذلك القول خيراً لهم عند الله وأعدل وأصوب **(وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ)** ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن نور الهداية فلم تشملهم رحمته الواسعة بسبب إصرارهم على الكفر ، لأن الكفر يمنع صاحبه من التفكر السليم ويجعله بعيداً من الخير والرحمة ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٥٤ ، ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ المطففين/١٤ ، **(فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)** هذا الإيمان الظاهري القليل لا اثر له في نفوسهم، فهو لا يُصلح عملاً ولا قولاً ولا يرقى بعقولهم وتفكيرهم ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ كَانَ أَكْثَرُ هَمِّهِ نَيْلُ الشَّهَواتِ نُزِعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلاوَةُ الإِيْمَانِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٧، **في غرر الحكم:** (إيّاكَ وَالْمُجاهَرَةُ بِالْفُجُورِ فَإِنَّهَا مِنْ أَشَدِّ المَآثِمِ) وعواقبها سيئة، **وفيه أيضاً** (أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ ذَنْبٌ صَغُرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وأَصَّر عَليهِ عَامِلُهُ).

**٤٧ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾**

دعا النبي مُحَمَّد (ص) أتباع موسى وعيسى (ع) إلى الإيمان برسالته لأنها رسالة جميع الأنبياء فرفضوا، لأنها ليست مع أهوائهم ، وهناك العديد من المسلمين وقادتهم وعلمائهم يقودهم هواهم ولا

يقودهم دينهم فكونوا منهم على حذر، **في غرر الحكم**: (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ) ، (**مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ**) مصدقاً للتوراة والإنجيل (**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا**) من الآيات المتشابهة التي لها أكثر من معنى ، أهمها : **الْطِمسَ** : التغيير ومحو الأثر وإخفائه ، **وُجُوهاً** وتنكير وجوه يدل على الجمع : الوجهاء والرؤساء والقادة ، **فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا** : جعل هؤلاء الوجهاء مهانين ، والرؤوس أذناباً ، **بمعنى** : أن دائرة السوء سوف تدور على الرؤساء أصل الضلال والإضلال وهم سبب الفتن والمحن ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ فاطر/٤٣ ، **عن الإمام الباقر** (ع): (نَطْمِسُهَاْ عَنْ الْهُدَى فَنَرُدَّهَاْ عَلَى أَدْبَارِهَاْ فِي الضَّلاَلِ بِحَيْثُ لاَ تُفْلِحُ أَبَدَاً) كنز الدقائق٢/٤٧٠، **هذا الطمس بمعناه المعنوي ، وقد يكون بمعناه المادي** الذي يفقدهم كرامتهم الإنسانية فيجعلهم يَسِيْرُوْنَ عَلَى غَيْرِ هُدَى كَالسَّاْئِرِيْنَ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لاَ تَزِيْدُهُمْ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْداً عَنْ الصَّوَاْبِ ، **والْطِمسَ** : وعيد شديد يكشف عن سخط الله عليهم وشدة الانتقام منهم ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ آل عمران/٤ ، (**أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ**) وهذا وعيد شديد آخر ، فلابد أن يتحقق أحد الوعيدين من طمس أو مسخ في اليهود قبل قيام الساعة.

**المعنى**: أو نخزيهم بالمسخ ونطردهم عن رحمة الله ، كما لعنا ومسخنا وطردنا من رحمتنا أصحاب السبت: وهم الذين اعتدوا في السبت وتجاوزوا حدود الله بقباحة ووقاحة فمسخهم الله قردة وخنازير، **راجع ٦٥/ البقرة ، ١٦٣/ الأعراف** ، وصفوا بالبهيمية ومسخوا عن صفات الإنسانية الكريمة كقوله تعالى : ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الفرقان/٤٤ ، (**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**) فالأمر نافذ واقع لا محالة ولا راد لحكمه ولا ناقض لأمره، والله يمكر بهم كما مكروا بالإنسانية المظلومة ﴿**وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ النمل/٥٠، ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩، **في غرر الحكم**: (مَنْ أَمِنَ الْمَكْرَ لَقِيَ الشَّرَّ)، (يُدَبِّرُ الْمُدَبِّرُوْنَ وَالْقَضَاْءُ يَضْحَكُ). **فائدة: أنواع الطمس**: منه طمس على الأموال ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ**﴾ يونس/٨٨، والطمس على الأعين ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ**﴾ يس/٦٦.

**٤٨ – ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾**

﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/١٣ ، والشرك كفر وانقطاع ما بين الله والعبد وهو أقبح المعاصي لأن الشرك عدوان على الله وعلى توحيد رسله ورسالاته ، وتقليل من قدر الله حين يُسوى بينه وبين أي معبود يُعبد من دون الله ، لذلك الشِّرْكُ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، لأنه اعتداء على العقل، وتدنيس للنفس، والشرك أشد من الكفر لأن الشرك كفرٌ مبطّن بالإيمان ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ يوسف/١٠٦ ، ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ يوسف/١٠٣ ، ظاهر الشرك

توحيد وباطنه كفر ، وهو باسم الله يحارب الله ويتبع الهوى ، والشرك طاعة ظاهرية لا قيمة لها لأن قاعدتها الكفر والفسوق والعصيان.

**والشرك أنواع وأشكال:** من عبادة الأصنام الحجرية والبشرية والفكرية والعُرفية والقبلية والعشائرية ، وعبادة الطغاة والبغاة والزناة والمفسدين.. وطاعتهم وتلقي الأوامر الضالة منهم ، ومن الشرك تحريم الحلال وتحليل الحرام ، وعبادة الذات والأنا والهوى ، ومن الشرك الرياء وحب السمعة وعبادة المال والجمال والشهوات والنساء ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ الزمر/٥٦ ، وهناك شرك جلي واضح ، وشرك خفي وهو شرك طاعة وليس شرك عبادة ، وهناك شرك عقائدي وشرك عملي ، وشرك في الألوهية أن تجعل مع الله إلها آخر ، وشرك في الربوبية عبادة أشخاص وطاعتهم طاعة عمياء من دون هدى من الله ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ**﴾ البقرة/١٦٦.

**والحكمة في عدم مغفرة الشرك** : أن الدين إنما شرع لتزكية النفوس واستقامة السلوك وترقية العقول فيكون الدين القيم هو الحياة ، والشرك ينافي ذلك كله (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) ويغفر ما دون الشرك في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه سبحانه وإحساناً لكن لا لكل أحد بل (**لِمَنْ يَشَاءُ**) وهم المؤمنون الذين إتقوا من الإشراك بالله تعالى فيغفر لهم الصغائر إذا لم يصروّا على الكبائر واستغفروا منها لأنه لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار (**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**) ومن يشرك بالله على إطلاق معناه بأي نوع من أنواع الشرك وجاء فعل (**يُشْرِكْ**) بالمضارع المستمر للدلالة على الإصرار والعناد والبقاء على الشرك ، ومن تدنس بالشرك فقد ابتدع إثماً كبيراً يستحقر دونه جميع الآثام فلا مغفرة فيه لأنه تجاوز للحدود الحمراء المحظورة.

**فائدة: سئل الإمام الصادق** (ع) : عن أدنى ما يكون الإنسان مشركاً قال (ع) : (مَنِ ابْتَدَعَ رَأْياً فَأَحَبَّ عَلَيْهِ أَوْ أَبْغَضَ) الكافي٢/٣٩٧، قال المحققون: هذه الآية أرجى آية في القرآن لأن فيها إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران ، أوقف الله المؤمنين بهذه الآية بين الخوف والرجاء ﴿**يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ الزمر/٩ ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (لَوْ وُزِنَ رَجَاءُ الْمُؤْمِنِ وَخَوْفُهُ لاعْتَدَلا) ، **عن النبي** (ص) : (الظُّلْمُ ثَلاثَةٌ ، فَظُلْمٌ لا يَغْفِرُهُ اللهُ ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللهُ ، وَظُلْمٌ لا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئَاً ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ لأَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لا يَتْرُكُهُ اللهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ) كنز العمال خبر٧٥٨٨، وفي نهج البلاغة حكم١٧٦.

**٤٩ – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾**

الاستفهام للتعجب. (**يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ**) : يثنون عليها ، **المعنى** : ألم يبلغك خبر هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم ، وأنظر وأعجب من الذين يدّعون أنهم أزكياء صالحون بررة عند الله مع ما هم

عليه من الكفر وعظيم الذنوب وقبائح العيوب، زعماً أن الله يغفر ذنوبهم بل الله يحاسبهم على هذا التجرّأ ويعاقبهم على هذا التجاوز ، وتزكية النفس **تارة تكون تزكية عملية** وهي محمودة ، أن تهذب النفس وتطهرها من العيوب والنقائص فتكون أحسن عبادة تهذيب العادة ، وأيضاً تزكية النفس وتجعلها طاهرة كثيرة الخير والإيجابيات وحسن الصفات الأخلاقية بتنمية فضائلها وجعلها تسير في سلم التكامل الإنساني ، وإبتعادها عن كل السلبيات وقبائح العادات والترفع عن السيئات كقوله تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ الشمس/٩ ، **وتارة تكون تزكية النفس نظرية** (بالقول دون العمل) بالادّعاء وليس بالحقيقة وهي تزكية مذمومة ، ومن العيوب تزكية الإنسان نفسه ومدحها بالقول ، ولو حقاً وصدقاً لأنه حالة تفاخر وعُجب وغرور وطغيان كما قال اليهود والنصارى ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ المائدة/١٨ ، وكقوله ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ آل عمران/١٨٨ ، (**بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**) وتزكية الله لمن هو مؤهل لها من المؤمنين الصادقين وهو سبحانه أعلم بهم من أنفسهم. من زكّى نفسه أمام الناس فقد مدحها ، ومن مدح نفسه فقد ذمّها ، ومن النقائص مدح الإنسان بما ليس فيه كأنه مستهزئٌ به ، وليس من كمال العقل من ينزعج من قول الزور فيه وهو ليس فيه ، ولا بحكيم من رضي بمدح الجاهل عليه ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى**﴾ النجم/٣٢ ، **في غرر الحكم:** (أَكبَرُ الأَوْزارِ تَزْكِيَةُ الأَشْرارِ).

**المعنى** : إذا اكتسب الإنسان بعض الفضائل والكفاءات فهي بفضل الله ونعمه عليه ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، أما إذا أعطى لنفسه استغناء واستقلالاً عن الله فقد تجاوز حدّه وإنقلب إلى ضده ، وأيضاً لَمْ يَعْرِفُ قَدْرَهُ فَتَعَدَّى طَوْرَهُ ، والذي يزكيه الله فهو الذي يستخلصه ويستأهله ويجعله يحمل صفات الكمال والجمال والجلال ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى**﴾ النجم/٣٢، أو يجعله من المرضيين ومن عباده الصالحين (**وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**) لا ينقصون من أعمالهم بقدر الفتيل ، وهو الخيط الخفيف في شق النواة وهو مثل للقلة كقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ النساء/٤٠ ، وإن الله يحاسب بالعدل من يدعي بما ليس فيه ويفخر بنفسه، **في نهج البلاغة خطبة المتقين:** من صفات المتقين (إِذَا زُكِّيَ(إمتدح) أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَاْ يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَإغْفِرْ لِي مَاْ لاَ يَعْلَمُونَ).

**٥٠ –** ﴿**انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**﴾

هذا تعجب من افترائهم وكذبهم الوقح غير المؤدب ، أنظر كيف يكذبون على الله بتزكية أنفسهم ، وزعموا أن الله يحبهم فيعاملهم معاملة المحب (**وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**) وكفى بهذا الافتراء وزراً قبيحاً

وجرماً عظيماً ، **عن الإمام علي** (ع): (لاَ يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ، حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ هَزْلَهُ وَجِدَّهُ) البحار٧٢/٢٤٩

**٥١ -** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾

الاستفهام للتعجب والمراد بهم اليهود (ومن إتصف بصفاتهم) أعطوا حظاً من التوراة وعرفوا قسماً منها ولم يحيطوا بها علماً ، التي فيها هدى ونور وهم مع ذلك يؤمنون بسبل الضلال **وعبادة الجبت** (وهو كل ما ضرره أكثر من نفعه ولا خير فيه كأنواع الأصنام الحجرية والبشرية والفكرية والقبلية ، والمراد به الأوهام والخرافات والانحرافات والدجل) **وعبادة الطاغوت** (وهو كل من تمرد وتشرد وطغى على أمر الله، وبغى على الناس ، سواء كان شيطاناً أو حاكماً طاغياً من الطغيان والتجبر والتكبر، والاعتداء) **(وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً)** قال اليهود : المشركون في عبادتهم للأصنام إنهم أفضل من المسلمين في إيمانهم بالله وبمحمد (ص) ، ففضلوا الكفر على الإيمان، وهذا طعن صريح في مخالفة التوراة التي أكدت عليهم ترك الأصنام بكل أنواعها. **فائدة:** العلم الناقص بالدين يؤدي إلى الانحراف **(نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ)** وهكذا التجرأ على الفتوى بلا علم، ونشر البدع والضلالات ﴿**لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ**﴾ آل عمران/٧٨ ، **عن النبي (ص)** : (أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفَتْوَى أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ) البحار٢/١٢٣، **وعنه (ص)** : (إِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُوْنَ) كنز العمال خبر٢٩٣٣٩.

**٥٢ -** ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾

أولئك الذين طردهم الله ، أبعدهم عن رحمته كما لعن الشيطان وطرده من جنته ، وتركهم في طغيانهم يعمهون ويتخبطون والقضاء يضحك عليهم **(وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً)** من يطرده الله من رحمته فلا ينصره أحد ولا يعينه من عذاب الله والهزيمة تلاحقه إلى النهاية. **فائدة** : نلاحظ اللعن في القرآن يكون للصفات وللحالات السيئة وليس للأسماء، وللمجموع وليس للأفراد والأشخاص ولَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ الرَّجِلَةَ مِنَ النِّسَاْءِ بمعنى **(المرأة المسترجلة)** الوقحة الصلفة غير المؤدبة سليطة اللسان فهي تصنع الإزعاجات ولم تصنع الاستقرار لأسرتها. **الفرق بين السب والشتم** : **السب** : الشتم القبيح ﴿**وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ الأنعام/١٠٨ ، **اللعن** : الطرد والإبعاد والدعاء عليه بالهلاك (لاَ تَكُنْ لَعْنَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ).

**٥٣ -** ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾

وصف الله تعالى اليهود في هذه الآية بالبخل **(أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ)** والسلطة على الأمور المادية والمعنوية يؤهلهم للقضاء بين الناس والحكم في أمورهم ؟ إنّهم لا يمتلكون أية قابلية وأهلية للحكومة المادية والمعنوية على الناس لأن روح الاستئثار قدتحكمت في كيانهم ! إنهم ليس لهم ملك

ولا دولة ، ولو كان لهم ما للناس من الملك والسلطان لاحتكروا جميع الخيرات ولم يتركوا لأحد شيئاً حتى لو كان ذلك الشيء بمقدار النقير الصغير مقدار نقطة في ظهر النواة ، وكيف يعطون وديدنهم السلب والنهب وعندهم قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَمْلِكُهُ ، وَلَيْسَ مَا يُحْسِنُهُ، **في نهج البلاغة حكم٨١** (قيمَةُ كلِّ امْرِئٍ ما يُحْسِنُهُ).

**٥٤ – ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾**

الحسد مرض خطير مؤذي ومعدي يبدد طاقات الفرد والأمة ويسير بهما نحو الإنحلال والضلال ويبعدهما عن الحق والاستقامة ، ويتركهما فريسة القلق والأرق والأوهام. **عن الصادق** (ع) : (آفَةُ الدِّيْنِ الْحَسَدُ وَالْعُجُبُ وَالْفَخْرُ) البحار٢٤٨/٧٣، **وعن النبي** (ص) : (إيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ) البحار٢٥٥/٧٣، **والحسد:** تمني زوال النعمة عن صاحبها والسعي في إزالتها نتيجة حقد في النفس ولؤم في الطبع وسوء الظن بالله ، **وهو خلاف الغبطة** لأن الغبطة تمني مثل نعمة الغير مع بقاء النعمة له ، ولهذا جاء الحسد مذموماً والغبطة محمودة ، وقد يتحول الحسد من عقد نفسية إلى عداوة وحقد وكراهية وتآمر **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾** البقرة/١٠٩، **عن النبي** (ص) : (أَلاَ لاَ تُعَادُوْا نِعَمَ اللهِ ! قِيلَ يا رَسُولُ اللهِ ومَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللهِ ؟ قَالَ (ص) الَّذِيْنَ يَحْسُدُوْنَ) البحار ٣١٥/١.

**المعنى:** اليهود هؤلاء لحقدهم وحسدهم يريدون حصر فضل الله بهم دون غيرهم ولا يحبون أن يكون لأية أمة فضل أكثر مما لهم أو مثله ، لما استحوذ عليهم الغرور ، فقد حسد اليهود محمّد (ص) وأهل بيته (ع) ومن معه من المؤمنين على ما أنعم الله عليهم من دين الحق والتمكين في الأرض (**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**) فقد أعطينا أسلافكم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم كتاب الزبور وأعطيناهم الملك العظيم مع النبوة كداود وسليمان (ع) فلأي شيء تخصون محمَّداً وآله بالحسد دون غيرهم ممن أنعم الله عليهم؟ **عن الإمام علي** (ع): (نَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ) البحار٢٧٥/٢٨. **فائدة:** يجب أن يناط الحكم الإلهي بمن كانت له منزلة علمية وروحية ويحظى بالحكمة قبل الحكم والسلطة لهذا جاء (**الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) مقدّم على (**مُلْكاً عَظِيماً**). **في غرر الحكم:** (مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ أَدْرَكَ السِّيَاسَةَ).

**٥٥ – ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾**

من اليهود من آمن بمحمد (ص) وهم قلة قليلة عقلانية موضوعية ، ومنهم من أعرض واعترض عليه فلم يؤمنوا وهم الكثرة كقوله **﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾** الحديد/٢٦ ، (**وَكَفَى**

**بِجَهَنَّمَ سَعِيراً)** كفى بالنار المسعرة عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم وفسادهم الخبيث في البلاد والعباد.

٥٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾

هؤلاء الذين أصروا على الكفر بمنهج الله بمعنى أنهم أصروا على الفساد والإفساد سوف ندخلهم ناراً عظيمة تشوي الوجوه والجلود **(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)** كناية عن عظيم العذاب وشدته وخلوده وطول مدته ، **بمعنى** : كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ، ليدوم العذاب ، لأن الإحساس بالألم يصل إلى النفس بواسطة الحياة والأعصاب المنتشرة الموجودة في الجلد وهذا يدل على المعاد الجسماني ، وتعبير **(لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)** ليدوم إحساسهم بالعذاب كإحساس الذي يذوق المذاق ويتطعمه ، وكأنه يذوق الموت ويتحسسه ويتجرعه غصة بعد غصة وهذا النوع من العذاب مختص بالجاحد والمشرك ومن يخاف الناس من شره **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً)** عزيز لا يمتنع عليه شيء حكيم لا يعذّب إلاّ بالعدل مع الاستحقاق.

٥٧ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾

جعل الكفر والمعاصي سبباً لتذوق العذاب في الآية (٥٦) وجعل الإيمان والعمل الصالح وهما عنصرا التقدم الحضاري وسبباً لتذوق النعيم المقيم ، فيكون العمل الصالح مصداقاً للإيمان ، والإيمان ترجمان العمل الصالح ، لذلك لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان ، كما ان العبادات متصلة بالمعاملات (وبالعكس) **عن النبي** (ص): (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الخُلُقِ) كنز العمال خبر٥٢١٥، **عن الإمام الصادق** (ع): (الإِيمْانُ عَمَلٌ كُلُّهُ وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ) البحار٦٩ص٢٣، **(لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً)** ونجعلهم في مكان يتناسب مع كرامتهم والتمتع برغد العيش وكمال الرفاهية و لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ من العيوب الخَلقية والخُلقية ، ومطهرة عن الأقذار المادية كالبول والفضلات والحيض والمعنوية كالغيرة والحسد ، يستريحون إليهن ويجدون معهن لذة الروح والجسد مع نعيم مقيم متكامل ومن صفاته لا حرّ فيه ولا برد ووالتمتع برغد العيش و (لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ).

٥٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾

**الأَمَانَة** : كل حق يحفظ ليؤدّى إلى صاحبه وجب الوفاء به كائناً من كان بغض النظر عن دينه ! ومن عصى ولم يؤدِّ الأمانات المادية والمعنوية إلى أهلها صار خائناً. **عن النبي (ص)** : (لاَ تَنْظُرُوْا إِلَى كَثْرَةِ صَلاَتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ ، وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوْفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ ، وَلَكِنْ أُنْظُرُوْا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيْثِ وَأَدَاْءِ الأَمَاْنَةِ) البحار٧١ص٩، فصارت الأمانة من علامات الإيمان ومن لا أمانة له لا إيمان له ولا دين له، **وعن الإمام الجواد** (ع): (كَفَى بِالْمَرْءِ خِيَاْنَةً، أَنْ يَكُونَ أَمِيناً لِلْخَوَنَةِ) البحار٧٨/٣٦٤، وهناك أمانة العبد مع ربه ، وأمانة العبد مع الناس ، وأمانة الإنسان مع نفسه ، ويأمركم أيضاً **(وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)**

**والْعَدْل**: لايخص القاضي والوالي وإنما يخص كلَّ إنسان من موقعه وهو إيصال الحق إلى صاحبه ، وإنصاف الناس من نفسك ، والعدل أساس الملك، وإصلاح الناس وتقدم الأمم وتضاعف البركات، والعدل حياة لحفظ الحياة وجماليتها وتنميتها ، وخص العدل في الحكم في الآية وأُريد له العموم في جميع التعاملات، فلا تستقيم حياة من غير عدل وروح العدل ودوام العدل واستمراريته ، لأنه يحمي الحق ومظهر التوازن والمساواة ، فكل من نصر الحق والحقوق فهو عادل ، وكل من عانده فهو باغ ومن تعداه فهو طاغٍ ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ المائدة/٨ ، **(إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)** نعم الشيء الذي يعظكم به ، فإتعظوا بمواعظ الله وانتفعوا ببيانه ، فإن المواعظ حياة القلوب وتزيل الغفلة وتزيد الإنتباه **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)** فيه وعد ووعيد أي سميع لأقوالكم بصير بأفعالكم.

**فائدة: ١-** الأمانات مقابل الخيانات ، الأمانات عامة مادية (مالية) ومعنوية كالعلوم والتعليم وإبلاغ الرسالة، وأمانة الاستخلاف وإقامة نظام الله ، وأمانة القضاء والحكم على محاربة الفساد ، والقضاء على مظاهر العبودية لغير الله من نظم وقيم وشعارات جاهلية وقومية وقبلية ما أنزل الله بها من سلطان من أفضل الأمانات. **٢-** مفتاح السعادة أن يحكم الناس كافة بالعدل ويستلم السلطة أكفّاء نزهاء ، لأن سبب التخلّف والتأخر في المجتمع هو استلام المناصب والمسؤوليات المهمة أُناس منحرفون فاسدون يحكمون بالجور والفساد، **عن الإمام علي** (ع): (مَنْ تَقَدَّمَ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ (فِي مَنْصِبٍ أَوَ فِي حُكْمٍ أو فِي صَلاةٍ) وَهُوَ يَرَى فِيْهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ فَقَدْ خَاْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَالْمُؤْمِنِيْنَ) موسوعة الغدير٨/٢٩١. **٣- (نِعِمَّا)** بمعنى نِعمَ يُشعر بأن الله سبحانه لا يأمر إلاّ بنعم فيها الخير والصلاح في الدنيا والآخرة. **٤- (تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** لها معنى واسع ففي كلِّ شيء أمانة في المال أمانة وفي العلم أمانة وفي الطب أمانة وهكذا ، وفي كلِّ مرفق من مرافق الحياة أمانة ، والأمين هو الذي يؤدي ما عليه كاملاً غير منقوص، سواء أكان الذي فرض هذا الواجب هو الدين أو العلم أو العقل أو الوطن أو المجتمع أو القانون أو الحكم أي شيء آخر والمهم أن تؤدى المسؤوليات كاملة غير منقوصة ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**﴾ النساء/١٣٥ ، (أَتْقِنْ عَمَلَكَ تَنَلْ أَمَلَكَ).

**٥٩ –** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾

**في غرر الحكم:** (أَكْرِمْ نَفْسَكَ مَا أَعَانَتْكَ عَلَى طَاْعَةِ اللهِ)، **عن الإمام علي** (ع): ((عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لاَ تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ) البحار٧٠ص٩٥، **وعن النبي** (ص): (إِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ مَاْ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِطَاْعَتِهِ) وسائل الشيعة١١/١٨٤، والطاعة الأولى لله وحده وينبثق عنها طاعة الرسول ﴿**مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ النساء/٨٠ ، (**وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**) فلم يقل (وأطيعوا أولي الأمر منكم) وإنما جعل طاعتهم بواو العاطفة **بمعنى:** بمقدار طاعة أولي الأمر لله والرسول تتحقق طاعتهم ، لأن طاعتهم مستمدة من طاعة الله ورسوله ، مع أنه لا نصيب لهم من الوحي وإنما شأنهم الرأي المصيب الكفؤ المطابق للقرآن والسنة وعدم مخالفتهم لهما ، فالحق أحق أن يتبع إذ لا مداهنة في الدين، فلا طاعة (**أُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**) ولا طاعة لأي حاكم إذا لم يحكم بما أنزل الله مع مخالفته للكتاب والسنة **لقوله** (ص): (لاَ طَاْعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ) البحار٧٣/٣٩٣.

**وقد قيد الطاعة أيضاً لأولي الأمر بقوله (مِنْكُمْ)** من المؤمنين الحريصين على دينكم ، كونكم بعضكم من بعض ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٧١ ، فلا يساومون على دينكم ولا يتاجرون فيه ، وإنما يحملونه وهم أمناء عليه ويبلغونه بوعي بالحكمة والموعظة الحسنة وبكفاءة عالية ، فإن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لم يكن من أهل الإيمان، ولا تَسلّطَ (أولوا الأمر) عليهم قهراً وجبراً حتى يكون (**مِنْكُمْ**). أما المقصود (**مِنْكُمْ**) لها مزية خاصة أهّلتهم لهذا الموقع ولهم مؤهلات علمية نموذجية يطمئن المؤمنون إليها ويرتضون بها حاكماً عليهم فأطيعوا من لهم مؤهلات الطاعة (**إنّما الطاعة في المعروف**) والاستقامة على منهج الله تعالى ، وهو عنوان عام يمتد مع امتداد الأجيال (**ومن مصاديقه**) أئمة أهل بيت النبي (ص) وهم ذريته من ابنته فاطمة الزهراء (ع) ولا يعطف على طاعة الله إلاّ من يتقونه في كل شيء وهم بأمره يعملون ، ولا يعطف على طاعة الرسول إلاّ من كان امتداداً صحيحاً له قولاً وفعلاً. وما ثبتت العصمة عن الخطأ والخطيئة لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) إلاّ لعترته أهل بيته الذي ساوى النبي (ص) بينهم وبين القرآن العظيم وجعلهم عِدلاً له في حديث الثقلين المتواتر ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ يونس/٣٥.

(**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ**) فإن إختلفتم في أمر من أمور الدين والدنيا (**فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**) فاحتكموا فيه إلى القرآن والسنة الصحيحة ، أما أولو الأمر فليس لهم أن يضعوا أو ينسخوا حكماً ثابتاً بهما أو يغيروا شيئاً من شريعة الله ، وإنما وظيفتهم تطبيق الشريعة وحفظها وحمايتها وعدم مخالفتها ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ الحشر/٧ ، لذلك لم تذكر الآية

(فردوه إلى أولي الأمر منكم) **(إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)** إن كنتم حقاً وصدقاً مؤمنين فردّوا كلّ خلاف إلى الله والرسول وأبعدوا عنهما كل هوى وأنا ومصالح شخصية والتفسير بالرأي ، والغرض العلم بالقرآن والسنة والتمسك بهما **(ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)** ذلك الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله خير لكم وأصلح وأحسن عاقبة ومآلاً من القول بالرأي والاختلاف بالقناعات ، وتوقفت سعادة البشرية على مقدار العلم والالتزام بهما والصدق معهما. **فائدة: ١-** الإسلام دين عبادته سياسة ، وسياسته عبادة. **٢-** من مسؤوليات الدولة الإسلامية حل منازعات الأمة والدين الإسلامي كفيل بحلها. **٣- عن الإمام الرضا** (ع): (إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْنِ وَنِظَامُ الْمُسْلِمِيْنَ، وَصَلاَحُ الدُّنْيَاْ، وَعِزُّ الْمُؤْمِنِيْنَ) الكافي١/٢٠٠، **وعن النبي** (ص): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُوْنَ هَوَاْهُ تَاْبِعَاً لِمَاْ جِئْتُ بِهِ).

**٦٠ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾**

الاستفهام للتعجب من حال المنافقين ومن حال من يدّعي الإيمان ثم لا يرضى بحكم الله ولا يتصرف تصرّف المؤمنين، ألا تعجب من فعل المنافقين الذين يزعمون الإيمان **(بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)** وهو القرآن الكريم **(وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)** وهي التوراة والإنجيل ولكن **(يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ)** **سبب** النزول : كان بين رجل من المنافقين يدَّعي الإيمان وآخر من اليهود خصومة ، فقال اليهودي له : أحاكمك إلى مُحَمَّد لأنه الصادق الأمين ويحكم بالحق ولا يقبل الرشوة ، فأبى المنافق ألا يتحاكم إلاّ عند رئيس من رؤساء اليهود ، الذين يظهرون العداوة والبغضاء لنبي الرحمة ويأخذ الرشوة ، وهو من الطغاة البغاة ، فسجلت الآية هذا الموقف المخزي لمن يتظاهر بالصلاح وتكشفه تداول الأيام على أنه من الفاسدين لنكون من هؤلاء على حذر ، وهم في كلِّ زمان ومكان. **(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً)** أما الإسلام يأمرهم بالاستقامة وعدم إتباع المفسدين ووجه التعجب أنهم كذبوا على أنفسهم بأنفسهم حيث رفضوا المحاكمة عند النبي (ص) وانصرفوا إلى اليهود أهل الباطل ، ويريد الشيطان أن يزيّن لهم ضلالهم ويحرفهم عن الحق والهدى ويضلهم ضلالاً بعيداً عن الصواب يصعب الإنتباه منه، في نهج البلاغة خطبة١٥٤ (العَاْمل بغَيْرِ علم كَالسَّاْئِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الصَّحِيْحِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ)، فهم يعيشون التناقض بين إدّعاء الإيمان وسلوكهم الطاغوتي إنها مكيدة شيطانية للفصل بين الإيمان والطغيان وبين الدين والسياسة ، وبين القول والعمل ، وبين الحقيقة والإدّعاء ، وهذا يفقد الدين دوره في قيادة الناس نحو الهداية للتي هي أقوم ، وهذه أحد العوامل المؤثرة في إنحطاط المجتمع الإسلامي وتأخره ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (مَنْ رَفَعَ رَاْيَةَ ضَلاَلَةٍ فَصَاْحِبُهَاْ طَاْغُوْتٌ) كنز

الدقائق٢/٥٠٨، **والطاغوت**: من الطغيان الكثير والكبير وتجاوز الحدود المعقولة والمنقولة ، وهو من الذين يحكمون بغير ما أنزل الله. **عن الإمام الصادق** (ع): (**الطاغوت**: كُلُّ مَنْ يُتحَاكَمْ إليهِ مِمَنْ يَحكُمُ بغَيرِ الحَقِ) الأمثل٣/٢٦٥

**٦١ – ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾**

وإذا قيل لأولئك المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان تعالوا فتحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ليفصل بينكم فيما تنازعتم فيه (**رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً**) رأيتهم لنفاقهم المكشوف يعرضون عنك إعراضاً شديداً لأنهم يستجيبون لشهواتهم الرخيصة بسرعة ويحملون غيرهم على الإعراض أيضاً (**يَصُدُّونَ**) يعرضون لأنها جاءت بالمضارع المستمر ، وهكذا الإناء ينضح بما فيه ، وكل ينفق مما عنده ، وهكذا يكون الخط الفاصل بين الطيّب والخبيث

**٦٢ – ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً﴾**

النتيجة الطبيعية لعدم تطبيق منهج الله هو الضياع والبلاء والمصائب **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** الشورى/٣٠ ، وحين يحدث ذلك يلجأ المنافقون إلى الرسول وهم يقسمون بالله كذباً وزوراً.. وما أعظم جرأتهم عليه سبحانه – إنهم بإتجاههم إلى الطاغوت وتحكيمه إنما أرادوا التخفيف عنك والإحسان والتوفيق وحل الأزمة بين الحق والباطل ، وإيقاع التصالح بين الخصوم ما يريده الله وما يريده الناس!! (**ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً**) **﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ﴾** القلم/١٠ ، **في غرر الحكم**: (كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَذَابِ اللهِ الْمُتَسَرّعُ إِلَى الْيَمِيْنِ الْفَاجِرَةِ) ، **فائدة** : وهذه حالة منافقة خطيرة نشهدها في كل عصر ، وهو التصالح بين الهدى والهوى ويعتبرون ذلك من التقدمية وقد يسقط في هذه المكيدة كثير من السذّج ، حيث يسعون جاهدين إلى إضفاء الصيغة الشرعية على مناهج غربية تعتمد الديمقراطية كشعار وتعتمد القومية كسلوك وهكذا ، ما أنزل الله بها من سلطان ، فتجعل المجتمع يعيش الشك والقلق وتكون شخصيته غير مستقرة فتعيقها عن التقدم الحضاري.

**٦٣ – ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾**

والله سبحانه يعلم ما في قلوب المنافقين ولا يخفى عليه شيء منهم (**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**) وبما ان سياسة الرفق وحُسنُ الخُلُق وفسح المجال للتوبة هي سُنَّة الإسلام ، أمر سبحانه بالرفق والموعظة البليغة لعلهم يشعرون بخطئهم ويتوبون إلى ربهم ويحاولون تطهير نفوسهم، تفهمهم حقيقة ما هم عليه من الشر والخيانة وهذا السبيل عاقبته الذل والهوان والخسران ، ثم إنصحهم بكلام بليغ مؤثر بالغ الأهمية يحرك ضمائرهم ويُحيي قلوبهم ، **عن النبي** (ص) : (إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوْضَعْ عَلَى شَيْءٍ إِلاّ زَانَهُ، وَلاَ نُزِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ شَانَهُ) البحار٧٥ص٦٠، وفي الآية

شهادة للنبي (ص) بالقدرة على بليغ الكلام وقد أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعَلِمَ ألسنة العرب ويخاطب كل أمة بلسانها ، ويعامل كل نفس بما تحب فينتهي معها إلى ما يحب (ص) وهذا أبلغ قاعدة في الحوار: (**إِبْدَأْ مَعَهُ مِنْ حَيْثُ يُحِبُّ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْ حَيْثُ تُحِبُّ !**).

**٦٤ – ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾**

طاعة الرسول غنيمة المؤمنين ، هذه حقيقة كبيرة ظاهرها أنيق جذّاب وباطنها عميق منساب ، إن الرسول ليس مجرد واعظ يلقي كلمته بوضوح ويمضي ويروح ، وإنما الرسول صلة بين الله تعالى وعباده، فهو (ص) يبلغ عن الله رسالته ويطبق شريعته في الأرض حاكماً وقائداً ، فتجب طاعته من دون قيد أو شرط و ﴿**مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ النساء/٨٠ ، وإذا لم يُطَعْ فأية جدوى من إرساله ؟ لذلك تجب طاعته لكل ما يأمر وينهى في قوله وفعله وتقريره فهو مسدد ومؤيد من الله تعالى ، وهو يقودكم إلى الحياة وتنمية الحياة وتقدم الحياة لقوله ﴿**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ الأنفال/٢٤ ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ مَاْ عِنْدَ اللهِ إِلاَّ بِطَاْعَتِهِ) وسائل الشيعة١١/١٨٤، (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ**) لو أن هؤلاء المنافقين حين ظلموا أنفسهم بعدم قبول حكمك وفضّلوا حكم الطاغوت عليك لو جاؤوك تائبين من النفاق مستغفرين الله نادمين على ذنوبهم معترفين بخطئهم (والاعتراف بالخطأ فضيلة، والإصرار عليه رذيلة) (**وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ**) وسألت الله يا رسول الله أن يغفر لهم ذنوبهم فصرت شفيعاً لهم (**لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**) لعلموا أن الله كثير التوبة على عباده وواسع الرحمة بهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾ البقرة/٢٢٢.

**في غرر الحكم:** (التَّنَزُّهُ عَنْ مَعَاْصِيْ اللهِ عِبَاْدَةُ التَّوَّاْبِيْنَ). **فائدة:** (**فَاسْتَغْفَرُوا**) ولكان هذا الاستغفار خيراً لهم من أن يحلفوا بالله كذباً ، ويلفّقوا أعذاراً واهية لا ترضي النبي (ص)

**٦٥ – ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**

الأصل وربك (فلا) للتوكيد على موقف يراد منه النفي ، **والمعنى** أقسم سبحانه بربوبيته أن المنافقين لا يدخلون في الإيمان حتى يجعلوك حكماً إذا اختصموا فيما بينهم أو التبس عليهم أمر من أحكام الشريعة ، ولم يتحاكموا إلى غيره، وعليهم أيضاً أن يرضوا بما يحكمه (ص) فإن حكمه إذا كان لصالحهم أو فيه ضرر فإن فيه الحكمة والصلاح في كل الأحوال ولا يشعروا بأي حرج في نفوسهم لأن حكمه (ص) سديد وهو حكم الله (**ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**) وعليهم أيضاً أن لا يعترضوا ولا يجدوا شكاً ولا شبهة ولا ضيقاً فيما حكمت مع تسليم

تام ظاهري وباطني ورضا قلبي ، وأي إعتراض على أي حكم من أحكام الله فهو يؤدي إلى الضلال البعيد. كقوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ الأحزاب/٣٦ ، ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ الأحزاب/٦ ، وليس من الإيمان الاعتراض على الله في حكمه بل يجب التسليم المطلق لله عز وجل وكذلك للرسول (ص). **عن الإمام السجّاد** (ع) : (إِنَّ دِيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يُصَابُ بِالْعُقُوْلِ النَّاقِصَةِ، وَالآرَاءِ الْبَاطِلَةِ وَالْمَقَايِيسِ الْفَاسِدَةِ وَلاَ يُصَابُ إِلاَّ بِالتَّسْلِيْمِ) كنز الدقائق٢/٥١٦. **فائدة: ١-** الآية تبطل كل اجتهاد في مقابل النص من الكتاب أو السنة الصحيحة. **٢-** تثبت الآية عصمة النبي (ص) للتسليم الكامل إليه أو لسنته الصحيحة. ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ**﴾ آل عمران/٣١، **عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يَمْحَضُ رَجُلٌ الإِيْمَاْنَ بِاللهِ حَتّى يَكُوْنَ اللهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبِيْهِ وَأُمِّهِ وَوُلْدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَمِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ) البحار٧٠ص٢٤.

**٦٦ - ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾**

حمل الرسالة الإسلامية وإبلاغها وبيان أهميتها وضرورتها إلى أكبر عدد من الناس ، عمل كبير يتطلب عدة مؤهلات وقدمت الآية من أهم هذه المؤهلات التضحية بالنفس (**أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ**) والتضحية بالنفيس والهجرة عن الوطن وتنغيص النفس وسلب راحتها ، وهو ما لا يتحمله المنافقون ، وإنما يتحمله المؤمنون إيماناً عميقاً وإلتزاماً أكيداً بطاعة الله والرسول ، إنه أمر صعب مستصعب لا يتحمله إلاّ من امتحن الله قلبه بالإيمان وهم القلة المختارة المصطفاة. (**مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ**) لو أننا أمرناهم (اختباراً) بأن يقتلوا أنفسهم وذواتهم أو (بمعنى يقتل بعضهم بعضاً) أو يخرجوا من وطنهم ويهجروا منازلهم ، مثلان للتكاليف الشاقة ، التي لو كتبت عليهم ما فعلها إلاّ قليل من المؤمنين، وهي لم تكتب ولم يبتلوا بهذا الاختبار ، كما أبتلي اليهود بذلك كفارة لما ارتكبوا من عبادة العجل، إنهم لم يتحملوا حكماً بسيطاً فكيف يا ترى تحمّل التكاليف الشاقة ؟ ولو أن أولئك سمعوا الموعظة البليغة وفعلوا ما أمروا به لكان ذلك أدعى إلى الثبات وأبعد عن الشبهات ، وتقوية لنفوس الأفراد وعزة للمجتمع وأشدَّ تثبيتاً للقلوب والإرادات فلا تزعزعها الشبهات (**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً**) لكان خيراً لهم في عاجلهم وآجلهم وأشدُّ تثبيتاً لإيمانهم وأبعد لهم عن النفاق **فيه دلالة** كلما اجتهد الإنسان في السير في طاعة الله وتنفيذ أوامره ازدادت استقامته وازداد إيمانه وثباته ، بمعنى أن طاعة الأوامر الإلهية بوعي ، نوع من الرياضة الروحية الشفافة عالية المضامين ، التي تحصل للإنسان من تكريرها وحسن أدائها فتعطيك قوة وثبات أكبر، **عن الإمام الهادي** (ع): (مَنْ أَطَاْعَ الْخَاْلِقَ لَمْ يُبَاْلِ بِسَخَطِ

الْمَخْلُوْقِ) البحار٣٦٦/٧٨. **فائدة:** (**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ**) ينبغي للمؤمنين أن يختبروا أنفسهم كيف يتصرفون إذا ما واجهوا التكاليف الشاقة والبلايا الصعبة ، رحماك يارب.

**٦٧ – ﴿وَإِذاً لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾**

هذا بيان للخير في قوله تعالى : (**لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ**) في الآية السابقة ، لو حصل ثبات الإيمان في نفوسهم والعمل الصالح ، كان سبباً لتحصيل الأجر العظيم والنفع الجسيم في العاجل والآجل ، وللروح والجسد وللقلب ومن النعيم المقيم.

**٦٨ – ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾**

وذكر العموم بعد الخصوص لشرف الهداية إلى صراط مستقيم ، من كونها متضمنة للعلم بالحق ومحبته وإيثاره والعمل به وهي من عوامل السعادة والفلاح في حياة الإنسان ، أي لو فعلوا ما أمروا به لهديناهم إلى صراط مستقيم ووفّقوا لكل خير واندفع عنهم كل شر وضير. **في نهج البلاغة خطبة١٦:** (الْيَمِيْنُ وَالشِّمَاْلُ مُضِلَّةٌ وَالطَّرِيْقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَاْدَّةُ الْمُسْتَقِيْمَةُ عَلَيْهَاْ بَاْقِيْ الْكِتَاْبُ وَآثَاْرُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهَاْ مَنْفَذُ السُّنَّةُ وَإِلَيْهَاْ مَصِيْرُ الْعَاْقِبَةِ) **وفي النهج خطبة٨٧:** (مَنْ نَظَرَ بِعَقْلِهِ وَاسْتَبْصَرَ بِقَلْبِهِ، رُشِدَ وَهُدِيَ إِلَى صِرَاْطٍ مُسْتَقِيْمٍ). **روي في قوله ﴿أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾**النساء/٦٦، قال رجل من المسلمين: وَاللهِ لَوِ أُمِرْنَا لَفَعَلنا فَالحَمْدُ للهِ الذي عَافَانَا، **قال النبي (ص):** (إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرِجَاْلاً، الإِيْمَاْنُ أَثْبَتُ فِي قُلُوْبِهِمْ مِنَ الْجِبَاْلِ الرَّوَاْسِيْ) في ظلال القرآن٤٢٨/٢.

**٦٩ – ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾**

كل من أطاع الله ورسوله واستقام على القرآن والسنّة الصحيحة بحسب حاله وقدرته وحرصه على الفرائض والواجبات وترك المحرمات بقدر استطاعته من ذكر وأنثى وصغير وكبير حشره الله تعالى يوم القيامة مع الذين تفضل الله عليهم (**مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**) إنها مسيرة مؤمنة واحدة يتصل آخرها بأولها ، تختلف وسائلها وتتعدد سبلها وتتوحّد أهدافها وغايتها النبيلة ، إنها مسيرة الطاعة لله والرسول (ص) ، مسيرة الذين تمتعوا بنعم الله وفي طليعتهم (**النَّبِيِّينَ**) الذين فضلهم الله بوحيه وبالكمال الإنساني وإرسالهم مبلغين إلى الخلق (**وَالصِّدِّيقِينَ**) من مبالغة الصدق في القول والعمل والفكر والعلم والأخلاق ، وصدقوا برسالة الإسلام وأصبحوا مخازن علم وعمل في تبليغه وهذه مرتبة بعد الأنبياء المعصومين (ع) وهي منزلة نموذجية مصداقها العملي لمن قال الله فيهم ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ الشورى/٢٣ ، وهم قرابة الرسول وأهل بيته الذين وجبت علينا مودتهم وهم خمسة أهل الكساء المعروفون (ع) (**وَالشُّهَدَاءِ**) الذين جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا لإعلاء كلمة الله وقتلوا في هذا السبيل الشريف شهداء سعداء كرماء (**وَالصَّالِحِينَ**) الذين صلح ظاهرهم وباطنهم وسرهم وعلانيتهم فصلحت أعمالهم، وصاروا أهل اللياقة بنعمة الله،

**فائدة: فالنبيون**: السادة والقادة **والصديقون**: شهداء الحقائق والأعمال، **والصدِّيق** : هو الذي لا يكذِّب أصلاً بل يستحقر الكذب، والذي يتبع الهدى ويخالف الهوى ، ولا يقول إلاّ ما يراه حقاً ولا يرى شيئاً إلاّ ما هو محلل ومبني على الحق وهو يشاهد حقائق الأشياء ويقول الحق ولا يخالف فعله قوله ولا قوله فعله ، **والشهداء**: شهداء الأقوال الذين يحضرون للشهادة يوم القيامة ويشهدون على أعمال أممهم في الخير والشر ، **والصالحون**: هم المتهيئون للكرامة والعزة الإلهية **(وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً)** ومن كان هؤلاء له رفقاء ونعم الرفقاء فقد فاز والله فوزاً عظيماً. **عن الإمام الباقر** (ع): (أَعِيْنُوْنَا بِالْوَرَعِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْوَرَعِ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ فَرَجَاً ثم تلا الآية) الكافي٢/١٠٥، ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ**﴾ آل عمران/٣١ ، و(الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ، **عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ أَرَاْدَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَعْرِفْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِثْلَ مَاْ يُنْزِلُ الْعَبْدُ اللهَ مِنْ نَفْسِهِ) البحار١٥٦/٧١.

**٧٠ – ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾**

ما أروع هؤلاء من رفاق في هذه المسيرة التكاملية الممتدة الواحدة الموحدة المتّحدة ، التي تختلف أدوارها وتتوحد أهدافها **(ذَلِكَ الْفَضْلُ)** تفخيم للفضل الذي نالوه **(مِنْ اللَّهِ)** فهو الذي وفقهم لذلك وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم، وبه يتفاضل الناس فيفضل بعضهم بعضاً ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، **(وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً)** يعلم من يستحق منهم الثواب الجزيل والمنازل الرفيعة ، التي تؤهلهم لرفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وهي السعادة الخالدة والعيش الرغيد مع نخبة البشرية وصفوة الإنسانية والفوز الخالد في صحبتهم المميزة النموذجية النادرة.

**٧١ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً﴾**

من توجيهات القرآن العسكرية ، يوصيهم اليقظة وعدم الغفلة ، والحذر الدائم من العدو وخاصة المندسّين بين صفوفكم (والْحَذَرُ يَقِيْكَ الضَّرَرْ) (فَلاَ تَغْفُلْ فَلَيْسَ بِمَغْفُوْلٍ عَنْكَ) استخدموا أساليب متنوعة ومفاجأة في الحرب ترهب الأعداء ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ الأنفال/٦٠ **(فَانفِرُوا ثُبَاتٍ)** مجموعات منفردة ثابتة صلبة غير مهزوزة تعمل على إرهاب العدو وتسلبه الأمن ، **(أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً)** **والنفير** : الخروج إلى الحرب والجهاد والتهيؤ للقتال وخروج قطاعات الجيش تختلف باختلاف عدة العدو وقوته ، فإذا كان العدو قليلاً **(فَانفِرُوا ثُبَاتٍ)** مجموعات منفردة قوات خاصة عالية الكفاءة القتالية**(أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً)**إشارة إلى النفير العام، وتعبئة الشعب بشتى أفراده مع كامل اليقظة والحذر والاستعداد مادياً ومعنوياً، تبعاً لما تستدعيه المصلحة وحجم الخطورة إذا كان عديد العدو كثيراً وخطيراً ومدرباً تدريباً عنيفاً، فعلى الجيش والمقاومة الإسلامية الجهوزية القتالية في كل لحظة.

**٧٢ – ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾**

طرحت الآية السابقة خطر أعداء الخارج ، وهذه الآية تبين الخطر من أعداء الداخل وهم المنافقون والطابور الخامس. يذكّر القرآن المسلمين بوجود أناس من بينهم يتثاقلون هم عن القتال ويثبطون عزائم الآخرين ، فيهم ضعيفٌ إيمانهم وتركيزهم على مصالحهم المادية المحدودة ، وكأنهم يجعلون أنفسهم بمنأى عن الخطر كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾ التوبة/٣٨ ، (**فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ**) في ميدان القتال وجهاد الأعداء من قتل وجرح وهزيمة ، اعتبر عدم إصابته بها نعمة إلهية (**قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً**) قال بلؤم وشماتة وبفرح وسرور بالسلامة ، قد تفضل الله عليّ إذ لم أشهد الحرب معهم فاقتل ضمن من قتلوا، وهذا جاهل بنظام الأقدار إنه عرف شيئاً ظاهراً وغابت عنه أشياء خفية أهم ، فهو ما يدري أن الشهادة نعمة وكرامة يخص الله سبحانه بها ويختار لها من يشاء من عباده الصالحين لأنها منزلة سامية، **عن النبي** (ص): (أَشرفُ الْمَوْتِ قَتْلُ الشَّهَادَةِ) البحار١٠٠ص٨، **عن الإمام علي** (ع): (إنّ أكرم الموت القتل، وَالَّذِي نَفْسُ إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاْعَةِ اللهِ) شرح نهج البلاغة٧/٣٠٠. **فائدة:** (**مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ**) ليس كل صحابة الرسول (ص) عدولاً منهم أداة تثبيط وعناصر نقمة وفرقة فيجب تشخيصهم بدقة كقوله ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾ التوبة/١٠١

**٧٣ – ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**

ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر وظفر وغنيمة في الجهاد والقتال في سبيل الله (**لَيَقُولَنَّ**) الأناني والانتهازي وهو نادم متحسر (**كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ**) وكأن لم يكن بينكم وبينه علاقة وصداقة (**يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً**) يا ليتني كنت معهم في الغزو لأنال حظاً وأفوز في الغنيمة ، وهكذا طبيعة الحقود الحسود يفرح إذا نزلت بالآخرين مصائب ، ويتحسر ألماً إذا رأى عليهم نعمة أو غنموا غنيمة ساقها الله لهم ، وهذا تعبير استنكاري في عدم انسجامهم الإنساني مع مجتمعهم البشري ، حيث تنقلب عندهم المقاييس فيرون الشهادة نقمة والغنائم رحمة ولو كانت من دون استحقاق ، بينما يعتبر القرآن ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ الحجرات/١٠ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (وَالْمُؤْمِنُونَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) البحار٧٤/٢٧٤، والذي يختلف عن هذه الأخوة فهو ليس من المؤمنين.

**٧٤ – ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾**

**يَشْرُون** : يبيعون ، هذا أمر بالجهاد في سبيل الله في إعلاء كلمة الله ، فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله الذين يبيعون الحياة الدنيا الفانية بالحياة الآخرة الباقية (**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**) بعد تحديد الهدف السامي (**فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) ومعناه في سبيل منافع الناس بالأساليب التي ترضي الله، عندئذٍ هناك **إحتمالان** القتل والتضحية والشهادة ، وقدم القتل على النصر لأن ثوابه أفضل وعاقبته أحسن وأسرع ، وأما **الإحتمال الثاني** النصر والغلبة هو الأمل المقصود والهدف المنشود ، وهما إحدى الحسنيين ، ولم يذكر الإحتمال الثالث وهو الأسر والهزيمة ، لأن قوة المؤمن في جهاده وتوكله على ربه لا تجعله ينهزم ولا يغفل فيكون في فخ الأسر عند العدو الذي لا يرحم. **فائدة** : الآية تعطي للجهاد والاستشهاد شرفاً كبيراً متى كانا في سبيل نصرة الحق وأخذ الحقوق لا في سبيل الطمع والجشع والهوى ، **وفيه دلالة** أن يوطّن المجاهد نفسه على إحدى الحسنيين النصر أولاً والشهادة معترضة في طريق النصر ، لأن الشهادة وسيلة للنصر وليست هدفاً ولا غاية بذاتها ، لأنه لا يجوز أن يُعرِّض الإنسان نفسه للقتل دون أن يسعى للنصر وتحقيق الظفر ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ النساء/٢٩ ، **عن النبي (ص)** : (فَوْقَ كُلِّ ذِيْ بِرٍّ بِرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ) البحار١٠٠ص١٠، فيكون الجهاد الأكبر (جهاد النفس) قبل الجهاد الأصغر (جهاد الأعداء) في سبيل الله وليس في سبيل الدنيا ويكون أجر المجاهد الشهيد والمقاتل المنتصر في سبيل الله في درجة واحدة (**فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ... أَجْراً عَظِيماً**).

**٧٥** - ﴿**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً**﴾

الاستفهام والانكار لاستنهاض الهمم والترغيب في الجهاد لنصرة القيم والمبادئ والأخلاق ، ومحركاً الحس العاطفي والأخوة الإيمانية. **المعنى**: أي ما لكم أيها المؤمنون لا تقاتلون في سبيل الله من أجل خلاص المستضعفين من إخوانكم الذين لم يستطيعوا الهجرة وبقوا مع المشركين يلقون أنواع الأذى وهم (**وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**) الذين يدعون ربهم ليخلصهم من مكر الأعداء الطغاة وكشف الضرّ عنهم من الظلم والتعذيب والوحشية والإهانة ولإخراجهم من ذلك المحيط الإرهابي المشحون بأنواع البطش والرعب الفاحش (**وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً**) واجعل لنا يا ربنا من هذا الضيق فرجاً ومخرجاً ، وسخر لنا من عندك ولياً وناصراً فأنت نعم المولى ونعم النصير. **فائدة : ١-** توضح الآية أن الهدف الأساس من الجهاد والقتال أن يكون في سبيل الله ونصرة الحق والحقوق والتضامن لإنقاذ الضعفاء من ظلم الطغاة ، وإقامة العدل حيث لا عدالة من دون قوة كما إنَّ

القوة بلا عدالة ظلم واستبداد. **٢-** دلالة أهمية الدعاء في حياة الإنسان فهو سلاح المؤمن ومفتاح الرحمة ومصباح النجاة ومخ العبادة ، والدعاء يرد القضاء ولو أُبرم إبراماً. **٣-** شُرّع القتال لفسح المجال لحرية الدين وإقامة العدل ورفع الظلم وإعادة كرامة الإنسان المظلوم ، لأن القتال قبيح يكرهه العقل السليم إلاّ لإزالة قبيح أشدَّ منه ضرراً والأمور بمقاصدها وغاياتها. **٤-** **(الْمُسْتَضْعَفِينَ) الْمُسْتَضْعَف:** هو من أصابه الضعف بسبب ظلم الظالمين ﴿**إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي**﴾ الأعراف/١٥٠، سواء أكان الاستضعاف ثقافياً أو بدنياً أو إقتصادياً أو إرهابياً.. ونحوها ، والاستضعاف هو غير الفقير والمسكين، فهو الذي جعلته الظروف السياسية العامة مستضعفاً مسلوب الإرادة ، وربَّ مستضعف غني المال وغني النفس، **والاستضعاف على نوعين:** استضعاف يحمل صفات المستضعفين في نفسه بالفعل والقوة ، وهناك استضعاف يحمل صفات المستكبرين في نفسه بالفعل وليس بالقوة فظاهره مستضعف وباطنه طاغية مستكبر ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾ البقرة/٢٠٥ ، ثم إن قوله **(وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ)** يجب الاستجابة لصرخات الاستغاثة والنجدة لأخواهم المحاصرين والمستضعفين والأسرى والمضطهدين ، وكذلك يكون الجيش الإسلامي منقذاً للمحرومين في العالم.

**٧٦ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾**

هذه مقارنة بين أهداف المخلصين وأهداف الخائنين من القتال ، فالمؤمنون يجاهدون في سبيل رضا الله ونفع عباده لإحقاق الحق وإقامة العدل **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ)** ، وأما الخائنون أصدقاء الشيطان فيقاتلون من أجل السيطرة والحكم وتجسيد الذات والثراء لإحياء الباطل وتدعيم الظلم وإشاعة الفساد في الأرض ، هؤلاء طواغيت الأرض ومستكبريها أولياء الشيطان وأنصاره **والطَّاغُوت** : كل معبودٍ غير الله صنماً كان أو زعيماً أو مالاً أو منصباً أو إمرأة أو أي شيء من زخرف الحياة الدنيا. **والطَّاغُوت:** من الطغيان وتجاوز الحد. **(فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ)** قاتلوا يا أولياء الله وأنصاره أعوان الشيطان وأنصاره ، فهم خارجون عن ولاية الله فلا مولى لهم إلاّ الشيطان وهو ضعيف الكيد ، فسبيلهم سبيل نصرة الطاغوت الذي يقابل المجاهدون في سبيل الله و﴿**أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ البقرة/١٦٥ ، فإنكم تغلبونهم ،فشتان بين من يقاتل لإعلاء كلمة الله وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت الذين يفسدون في الأرض فإن قتالهم والخلاص منهم صلاح وخير للبشرية جمعاء ، والتعاون معهم نصرة للشر والفساد، **في غرر الحكم:** (اَلْغَالِبُ بِالْشر مَغْلُوبٌ) (والْمَغْلُوبُ بِالْحَقِّ غَالِبٌ) لهذا قال **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً)** كيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه **والكيد** : السعي في الفساد بالطرق الخفية المستندة

على الحيلة والخديعة، وإنما استُضعِفَ كيد الشيطان لأنه يقابل سبيل الرحمن ، لذلك حرّض المؤمنين وشجعهم على قتال أولياء الشيطان مهما بلغت عدتهم وعددهم ويكونون أجدر بالثبات والصبر والأمل بنصر الله وإمداده ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ الأنفال/١٠ ، وفي ذلك من القوة ما ليس في كثرة العدد والعدة ، **ولكن تخلّف أهل الحق عن حقهم وإعراضهم عن دينهم جعلهم أضعف من كيد الشيطان الضعيف** ، فإذا رجعوا إلى ربهم ونصرة حقهم فإن (الحق أقوى ظهير وأفضل نصير) فإن الله على نصرهم لقدير ، ونلاحظ **قرنت الآية الطاغوت بالشيطان** ، وهذا يدل على ان القوى الطاغوتية المتجبرة إنما تستمد قوتها من منبع ضعيف دافعه كيد الشيطان وقوة السلاح وكثرة العدد وتنوع العدّة التي تغر الضعفاء بانهم أقوياء ، ولكن هم في الحقيقة يعيشون وهم القوة وخيلاء الكبرياء ويعانون من جنون العظمة ، ولاسيما إذا وقفوا أمام قوة أولياء الله الذين هم ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ الفتح/٢٩ ، فإذا كان للباطل جولة فإن للحق دولة وأيّة دولة ، **سؤال** : فإذا كان كيد الشيطان ضعيفاً فكيف يضل كثيراً من الناس ؟ ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾ يس/٦٢.

**الجواب:** عمل الشيطان مهما بلغ فهو لا يتعدى الوسوسة وتزيين الفساد ولا يجبر أحداً على وسوسته ، وهو يدخل للإنسان من نقاط ضعفه وغفلته فالذي يستجيب له فهو مثله وهو أضعف منه ومطية له ويكون جسراً يعبر عليه ، وضحيةً من ضحاياه !، ويكون هو أيضاً شيطاناً من الإنس يمشي بين الناس بقدر طاعته له ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ الفرقان/٢٩ ، **من مواعظ الإمام الكاظم** (ع) : (فَلَهُ (لإبليس) فَلْتَشْتَدَّ عَدَاوَتُكَ وَلاَ يَكُونَنَّ أَصْبَرَ عَلَى مُجَاهَدَتِكَ لِهَلَكَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَبْرِكَ لِمُجَاهَدَتِهِ ، فَإِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْكَ رُكْناً فِيْ قُوَّتِهِ ، وَأَقَلُّ مِنْكَ ضَرَراً فِيْ كَثْرَةِ شَرِّهِ ، إِذَاْ إِعْتَصَمْتَ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيْتَ إِلَى صِراْطٍ مُسْتَقِيْمٍ) البحار٧٨/٣١٥، ﴿**وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾ النساء/٣٨. لاحظ ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ الأنفال/٧٣ ، ولكن ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٧١ ، فلا تكون ولاية الكفار متحققة وولاية المؤمنين متفرقة ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾ هود/١١٣.

**٧٧ – ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾**

ألا تعجب يا مُحَّد من قوم طلبوا القتال وهم بمكة قبل الهجرة ، فقيل لهم كفّوا أيديكم وألسنتكم وأمسكوا عن قتال الكفار فلم يحن وقته ، لأن القتال آنذاك عملية إنتحارية فاشلة ، وقال الرسول (ص) : إصمدوا على دينكم مهما قاسيتم في سبيله وأعدّوا نفوسكم وأعينوها بإقامة الصلاة

بخشوع وإيتاء الزكاة لمستحقيها فإنها نعم العون على الجهاد (**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ**) تصوير لحالهم من داخل نفوسهم وإضهارها بأنها لم تكن على استعداد للقتال ، أمروا بالجهاد بعد الهجرة إلى المدينة حيث أصبح للإسلام والمسلمين قوة رادعة (**إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً**) **الخشية** : خوف مع تعظيم وخضوع ، إلاّ جماعة منهم يخافون القتال ويفزعون من الموت والقتل كخشيتهم من عذاب الله أو أشدَّ من ذلك ، رجح خوفهم من الناس على خوفهم من الله لأن الجبن قد تمكن في قلوبهم ، وهكذا بعض الناس تحركهم عواطفهم ولا يعرفون أين مصالحهم ، فهم تحمسوا للقتال حين نهوا عنه ، وتقاعسوا عنه حين أمروا به ، ولكن خوفاً من الموت لا شكاً في دينهم (**وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ**) ليس هذا اعتراضاً بل رجاءً وإن كان الجبن والخوف من الموت هو الدافع (**لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**) طلبوا المزيد في آجالهم والتخلص من القتل والعيش زمناً أطول رغبة في الحياة الدنيا ، والله تعالى يريد أن يربيهم فلا يرضى لهم أن يعيشوا جهلاء في الحياة الدنيا (**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ**) هو تعبير قرآني دقيق وعميق كل نعيم الدنيا فهو متاع فيه متعة ولذة ، فمتاع الدنيا مهما كثر فهو قليل وعيشه قصير فهو إلى زوال مع نهاية العمر ، فهو متاع لذاته قصيرة وتبعاته طويلة وهمومه كثيرة ومصحوبة بالمكاره ، فكل متاع الدنيا أُريد لغيره وليس لذاته، فهو وسيلة لهدف ، لأن الدنيا أُريدت لغيرها وليست لذاتها أُريدت للآخرة (**وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى**) ونعيم الآخرة باقٍ فهو خير من ذلك المتاع الفاني لمن إتقى الله في السر والعلانية ، والآخرة هي نهاية الرحلة والمقر الأخير الدائم الأبدي (**وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**) ولا تنقصون من أجور أعمالكم أدنى شيء ولو كان فتيلاً وهو الخيط الخفيف في شق النواة كناية عن الشيء القليل الصغير، **فائدة**: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ النساء/١٣٤ ، **في غرر الحكم**: (مَنْ إِبْتَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ رِبِحُهُمَاْ ، وَمَنْ بَاْعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ خَسِرَهُمَاْ).

**٧٨-﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾**

**في نهج البلاغة خطبة٣٨**: (فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلا يُعْطَى الْبَقَاْءَ مَنْ أَحَبَّهُ)، **المعنى**: لا يمكنكم الفرار من الموت فإنه يلاحقكم بالحق في أي مكان وجدتم فلابد أن يدرككم الموت عند إنتهاء الأجل، ويفاجئكم ولو تحصنتم منه بالحصون المشيدة المرتفعة المنيعة، فلا تخشوا القتال خوف الموت.

**في غرر الحكم**: (الْمَوْتُ أَوَّلُ عَدْلِ الآخِرَةِ) **عن النبي (ص)**: (تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ) البحار١٧١/٨٢، (**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) إن تصب هؤلاء المنافقين حسنة أي نعمة ونسبوها إلى الله وهي كل ما يستحسنه الإنسان من خير الطبيعة ، من رزق وصحة ونصر وغنيمة ومطر

وزرع وخير ، يقولوا هذه من بركات الله ومن تقديره لما علم فينا من الخير (**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ**) وإن تنلهم سيئة أي بلية وأضافوها إلى مُحَّد متشائمين منه ، كما قالت اليهود منذ دخل مُحَّد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها ! والسيئة هي كل ما يسوء الإنسان من مساوئ الطبيعة من زلازل وقحط ومرض ونقمة وشدة وهزيمة وجوع.. (**يَقُولُوا**) جاءت مرتين بصيغة الجمع معناه تواجههم سنن عامة، هذه السيئة بسبب إتباعنا لمحمد ودخولنا في دينه ، فمن علامات التخلّف أن نلقي تبعات أفعالنا المشينة على الآخرين! كقوله ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾ الأعراف/١٣١ ، **يَطَّيَّرُوا** : يتشاءموا ﴿**تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ البقرة/١١٨ ، (**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) قل كل من الحسنة والسيئة وحوادث الخير والشر وعوامل الرخاء والشدة (**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) أي بنظامه وسننه وقضائه وقدره في الكون والكائنات ، يجريه طبقاً لنظام السنن والقوانين الطبيعية العامة من منطلق الحكمة والمصلحة ومن ضمن نظام الأسباب والمسببات التي أوجدها، **في غرر الحكم**: (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ) ﴿**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ لقمان/٢٠، فالله هو الذي يهب الأمم والمجتمعات سنن الجماعة ويعطيها ما تستحقه بحسب قدرها وقدرتها وهمتها وعلمها وعملها وقيمتها الوجودية يقدِّر لها ما تستحق من قدر.

﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ الرعد/٨ ، ولا يجبرها بالفعل والعمل والكسب ، ويحمّلها مسؤولية ما تختار ويحاسبها عليه ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ آل عمران/١٥٤، **وعن الإمام الصادق** (ع): (مَا مِنْ قَبْضٍ وَلاَ بَسْطٍ إِلاَّ وَللهِ فِيهِ الْمَنُّ وَالاِبْتِلاَءُ) التوحيد ص٣٥٤، ولكن هذه الحقيقة لا تمنع بل تدفع الإنسان من إتخاذه الأسباب اللازمة ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾ النجم/٣٩-٤١ ، ولكل أمة قدرها التي وضعت نفسها به ، فيكون (**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) أي من سنن الطبيعة العامة التي خلقها الله تعالى للجميع وهي تشمل الطيّب والخبيث والقوي والضعيف على السواء تماماً كالصحة والمرض والفقر والغنى من الضروري أن يكافح الإنسان المرض والفقر وكلَّ جهل وتخلُّف ، ويدعم الصحة والثروة والقوة بتشجيع وسائل توفرها واستثمارها، فيكون (**كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) بعلمه لا بسببه، بسننه وتقديره وتدبيره لا بجبره وقهره ، فتكون (**الْحَسَنَةُ**) من الرزق والمطر و (**السَّيِّئَةُ**) من القحط والزلازل.. كلها من لوازم الطبيعة وآثارها والله سبحانه هو خالق الطبيعة ، فتكون الحكمة في الزلازل فتحصل ، وقد تكون الحكمة في الأمطار فتحصل وقد تكون الحكمة بالخوف فيحصل ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ**﴾ البقرة/١٥٥، (**فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً**) استفهام وتعجب وتوبيخ

لهم على قلة الفهم وجمود الفطنة فهم لا يفقهون القرآن وعلومه والتصورات الصحيحة ولو كانوا يفقهونه لما وقعوا في هذا الخلط،، لأن المسببات تجري على ضوء الأسباب ، والأسباب بيد الإنسان، فتكون النتائج على ضوء المقدمات كقوله ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ الشورى/٣٠. **وفي ذلك دلالة** : إنّ الله يمدح من يفهم سنن الله ونظامه وتدبيره ويذم الجهل ﴿**فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ الأنعام/٣٥. **فائدة** : (**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) الحسنة والسيئة من عند الله غير أن الحسنة إحسان وإمتنان والسيئة مجازاة وعقوبة ، **عن النبي** (ص) **عن الله تعالى**: (عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، وَكُلُّكُم فَقِيرٌ إِلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُهُ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلاَّ مَنْ عَصَمْتُهُ) البحار ٥/١٩٨

**٧٩ - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾**

كان الخطاب السابق في الآية ٧٨ يشمل السنن العامة في الطبيعة كسنن الأمم والجماعات ، أما خطاب هذه الآية تشمل السنن الخاصة كسنن الأفراد (**فَمِنْ نَفْسِكَ**) جاءت بالمفرد ، **المعنى** : فما أصابك من حسنة وهي النعم الخاصة التي تحسن عند صاحبها كالنجاح والقوة والتوفيق والصحة والأمن والقدرة (الكفاءة) التي تشمل الفرد ، فمن الله تفضلاً منه وامتحاناً دونما استحقاق من الإنسان ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، وبالحسنة العامة (**يقولوا هذه من عند الله**) جاءت بالجمع التي تشمل نعمها جميع المجتمع فهي من الله أيضاً (**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**) وما أصابك من سيئة وهي كل شيء تسوء صاحبها مثل بلية ومشكلة ومصيبة والمرض والضعف والضلال.. (**فَمِنْ نَفْسِكَ**) جاءت بالمفرد ، لأنك السبب ومن تقصيرك وجهلك أنت لا من الله سبحانه الذي زودك بوسائل النهوض كالقدرة والعقل والإرادة وحثك على الكفاح والجد والاجتهاد (فَمَنْ جَدّ وَجَدَ ومَنْ زَرَعَ حَصَدَ) (**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**) فعلى الرسول إذن أن يواصل تبليغ الرسالة للناس كافة فرسالته عالمية ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ سبأ/٢٨ فما عليك إلاّ البلاغ المبين و﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨ ، وما عليه إذا لم يؤمن الناس أو يضعفوا عن حمل الرسالة من شيء ، إذ إن الله تعالى هو الذي سيحاسب هؤلاء وكفى به شهيداً وحسيباً. **فائدة** : **١-** هذه الآية أصل من أصول الإجتماع وعلم النفس وتكشف عن قواعد السنن الإلهية وفيها تكريم للإنسانية وتبيّن الآية العلاقة بين السنن التكوينية والسنن الإنسانية، وتعلمنا كيفية تحريك الله لقانون الأسباب والمسببات وتكون النتائج على ضوء المقدمات. **٢- عن النبي** (ص): (لاَ يُصِيْبُ رَجُلاً خَدْشُ عُودٍ ولاَ عَثْرَةُ قَدَمٍ ولاَ إِخْتِلاجُ عِرْقٍ إلاَّ بِذَنْبٍ وَمَا يَعْفُو اللهُ عنه أَكْثَرُ) مجمع البيان٣/١٦٠.

**الخلاصة**: إن كل حسنة وخير على إطلاقه يصيب الفرد أو المجتمع فهو من الله وبفضله بتهيئة الأسباب للإنسان ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ البقرة/٢٥١ ، أما السيئات والضر على إطلاقه الذي يصيب الفرد أو المجتمع ، فهو من آثار الأعمال المنحرفة التي يعملها الإنسان الفرد أو يرتكبها المجتمع فهي من الإنسان وبسببه كقوله ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ الروم/٤١ ، وكقوله ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ آل عمران/١٦٥ ، **إذن** : إذا كانت الحسنة والسيئة من الفرد تواجهه سنن فردية، وإذا كانت السيئة والحسنة من المجتمع توجههم سنن إجتماعية عامة وإن السيئات والحسنات إنما تكون بمشيئة الله ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ التكوير/٢٩. من لم يفقه توحيد الله ومحوريته (مَاْ شَاْءَ اللهُ كَاْنَ وَمَاْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) فلن يفقه أيّاً من المعارف والحقائق والسنن والقضاء والقدر (الجبر والاختيار).

**٨٠ – ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾**

وظيفة الرسول إبلاغ الرسالة بالصورة التي يرضاها الله لذلك تكون طاعته من طاعة الله ولا يمكن الفصل بين الطاعتين، وفيه عصمة الرسول (ص) لأن الله أمر بطاعته مطلقاً ، لأنه معصوم مطلقاً ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنْ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ النجم/٣-٤ ، (**وَمَنْ تَوَلَّى**) وأعرض عن طاعتك يا مُحَمّد (**فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**) أي: لم نكلفك لتحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها ولا أرسلناك لتجبرهم على الإيمان والطاعة ، لأنك قوة إرشادية علمية تبليغية ، لا سلطة تنفيذية جبرية. ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ النحل/٣٥. **فائدة: ١**–فمن أطاع سنة الرسول الصحيحة المتواترة الموافقة مع القرآن،فقد أطاع الله. **٢**–الإنسان مخيَّر وصاحب إرادة وليس مسيَّرًا(**مَنْ يُطِعْ.. وَمَنْ تَوَلَّى**)

**٨١ – ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾**

يقول المنافقون : أمرك يا مُحَمّد طَاعَةٌ مطلقة كقول القائل (سمعاً وطاعة) وعليكم أن تميزوا بين الكلام الصادق من الكاذب (**فَإِذَا بَرَزُوا**) ظهروا وخرجوا (**مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ**) **بيّت:** مكر وكيد دُبّر بليل ، فإذا خرجوا من عندك دبّر جماعة منافقة منهم أمراً في اجتماع سري (**غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ**) هذا الأمر يضمرونه (يبيتونه) غير ما يريده الرسول ، **في نهج البلاغة**: (قَوْلُهُمْ شِفَاْءٌ، وَفِعْلُهُمْ الدَّاْءُ الْعَيَاْءْ) التفسير المبين ص٩٠ (**وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ**) وهذا لا يخفى على الله إذ يكتب ما يسّرون ويضمرون ويحاسبهم عليه (**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**) أما الموقف الحكيم آنذاك عدم الإصطدام بهم وإنما الإعراض عنهم ولا ضير في عصيانهم ما دام الله هو الوكيل المتكفل بنصر هذا الدين. (**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**) و (مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ ، وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) أي فوِّض أمرك إلى الله وثق

به في جميع أمورك فهو سرُّ النجاح والفلاح ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ الطلاق/٣ ، ومعينه (**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**) وكفى به ناصراً ومعيناً لمن يتوكل عليه **في غرر الحكم**: (حُسْنُ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَى اللهِ عَلَى قَدَرِ ثِقَتِهِ بِهِ)، **عن النبي (ص)** : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتوكَّلْ عَلَى اللهِ) البحار ٧١/١٥١.

**٨٢ - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾**

**أصل التدبير**: التأمل في أدبار المعاني واعماق معناها وسعة مغزاها ودلالاتها ومعرفة أثرها الكبير في حياة الناس، **المعنى**: (**يَتَدَبَّرُونَ**): يتأملون، وهذه دعوة عامة لكل الناس ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ القمر/١٧ **مُدَّكِر** : متذكر. الاستفهام للإنكار وقد عاب الله تعالى المنافقين وكل المعرضين عن الإسلام لعدم تدبرهم في القرآن الكريم ، وشجع القرآن على التدبر ورغب فيه، فإنه مائدة الله الغنية بالعلوم فتعلموا منها ما استطعتم ، والقرآن منهج حياة الإنسانية جمعاء **عن الإمام علي (ع)** : (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، فَإِنَّهُ حَامِلٌ لِمَنْ حَمَلَهُ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ)، والتدبر التعمق في إيحاءات الآية والتعمق في مفاهيمها ومقاصدها وألفاظها البليغة ، لتتعلم منها لا لتعلمها، تبحث عنها بمقدارك لا بمقدارها ، حتى يظهر لهم أن القرآن كنز السماء في الأرض وأنه فيه (**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**) النحل/٨٩، وفيه (**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**) يوسف/١١١ (**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**) الأنعام/٣٨، وأنه لا يقدر على بلاغته ودقته إلاّ الله ، **في نهج البلاغة خطبة١٩٨**: يصف القرآن (**بَحْرٌ لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ**) ، وإنّ مثل ذلك يعجز عنه البشر (**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**) فظاهر القرآن أنيق جذاب وباطنه رقيق منساب، لا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه ولا تنكشف الظلمات ولا تحل معاناة البشرية إلاّ به ، وهذا القرآن الكريم ظاهر البيان ، متين الأركان ، ومعه الحجة والبرهان ، وكل إنسان لا يسلم من الإختلاف في نفسه وفي عمله ومع دينه ومع الناس، فكل المجتمعات تعاني من الاختلافات، وجاء القرآن من الرحمن دستور للإنسان ليعلمه البيان على مدى الأعوام ، وليضع لهذا المجتمع المسلم دستوراً يحل به خلافاته ويجلي تناقضاته ويهديه للتي هي أقوم ليحضى بخير الدنيا والآخرة، كقوله (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) الأنعام/١٥٥ **في نهج البلاغة كتاب٤٧** (اللهُ اللهُ فِيْ الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ)!

**والمعنى**: لو كان هذا القرآن مختلقاً من صنع البشر لوجدوا فيه تناقضاً كبيراً في أخباره ونظمه ومعانيه ولوجدوا هفوات وعثرات واختلال في النظم وتفاوت في البلاغة والدلالة فبعضها يكون فصيحاً وبعضها يكون ركيكاً ، ولكنه منزه عن ذلك فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأخباره صدق وسياقه بليغ ومعانيه محكمة ولها دلالات واسعة فدلّ على أنه تنزيل الله الحكيم العليم، لذلك يجب الاهتداء به فإنه معقول في نفسه موافق للفطرة ملائم مع المصلحة ويدعو إلى

الاستقامة ويتناسب مع كل زمان ومكان ، عليهم الالتزام به والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه. **فائدة : ١-** في التدبر والتفكر والتأمل تتبع الأحسن ويزداد العلم والإيمان حتى يتوازن الإنسان ويستقيم في كلِّ شيء لا بالتقليد الساذج والإتباع الأعمى، وكلما ازداد وأحسن التدبّر ازداد إيماناً وعلماً وبصيرة. **٢-** التناسق في آيات القرآن ، فهو يفسر بعضه بعضاً ، فيعطيه صفة الثبات والتأثير الدائم والهداية المستمرة فهو ثابت وقمة في ذاته ومثبِّت لغيره ، لذلك لا يطرأ عليه تغير لأنه لا يوجد فيه ضعف واختلاف وتناقض كقوله ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ ص/٢٩. **٣-** لو تدبر المسلمون القرآن الكريم وجعلوه مرجعاً هادياً لكل حياتهم ولم يميلوا لغيره ويهجروه، لما فسدت أخلاقهم ولما طغى حكامهم ولما زال ملكهم ولما استهان العالم البشري بهم كقوله ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ محمّد/٢٤ ، **عن الإمام السجّاد** (ع) : (آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنُ الْعِلْمِ ، فَكُلَّمَا فَتَحْتَ خِزَانَةً فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيْهَا)البحار٩٢/٣١٦، ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ الفرقان/٣٠. **٤- من خصائص القرآن** : إطّراد وشمول ألفاظه في الفصاحة والبلاغة ، ويطرح قوانين علمية مهمة ، ويبين أخبار عن عالم الآخرة ، ويبين أن الدّين ضرورة حياتية ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، وسلامته من الاختلاف والتناقض ، ويفسر بعضه بعضاً ، ودستور للإنسانية جمعاء ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، وكتاب هداية ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥.**في غرر الحكم**: (بالهُدى تكثُر البصيرة)

**٨٣ -** ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾

نقطة ضعف أخرى لدى هؤلاء المنافقين والجاهلين ، إذا جاءهم خبر من الأخبار فيه أسرار خطيرة وأمن للمؤمنين كالنصر والغنيمة أو فيه خوف كالنكبة والهزيمة أذاعوا به وأفشوه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته وصحته وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين ﴿**فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦، ونذكر منها نشر الإشاعات التي تبث الذعر والتخويف أو كشف بعض الأسرار المهمة المرتبطة بالأمن الإجتماعي مما يؤثر على ضعف المعنويات، كل ذلك إما عن ثرثرة أو نفاق أو عداء أو.. وكان الأفضل أن يتبينوا ويرجعوا الأمر إلى القيادة الشرعية (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**) ولو ردوا الإشاعات إلى القائد العام ، وإلى أولي الأمر من رجال الشورى وأصحاب الحل والعقد لوجدوا علم ذلك عندهم ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم وعمق تحليلهم ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ النحل/٤٣، فلا ينبغي إذاعة الأخبار الخاصة للجماهير العامة لما في ذلك

من المخاطر ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الحجر/٩٢-٩٣، حسن التصرّف من حسن العقل (وبالعكس)، **والاستنباط:** كفاءة اجتهاد وقدرة علمية عامة لاستخراج ما هو مستور وغامض إلى بيان حكمه الصحيح الواضح من مصادره الأصلية (القرآن والسنة الصحيحة) سواء كان الاستنباط في الفقه أو الفلسفة والسياسة أو سائر العلوم ، مع الحجة والبرهان بفضل رجاحة عقولهم ودقة تجاربهم (**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**) ولولا فضل الله ورحمته بكم في كلّ شيء وتسديده لكم وحفظه ورعايته لكل مرحلة من مراحل حياتكم لأغواكم الشيطان وأضلكم عن سبيل الله إلاّ قليل منكم وهكذا ينخدع معظم الناس بالإشاعات (**لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**) ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ، (**إِلاَّ قَلِيلاً**) هذا القليل ممن حصنهم الإيمان والعلم منذ نعومة أظفارهم كقوله ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً**﴾ النور/٢١. **عن الإمام علي** (ع) : (الْمُذِيْعُ عَلَيْنَا سِرَّنَا كَالشَّاهِرِ بِسَيْفِهِ عَلَيْنَا) وسائل الشيعة٢٧/١٩٧، **في غرر الحكم:** (رُبَّ كَلاَمٍ أَنْفَذُ مِنْ سِهَامٍ) وَأَقْوَى مِنْ حُسَامٍ (السيف). ومن صفات اللئيم إشاعة الخبر المؤذي قبل التأكد منه.

**٨٤** – ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾

نقاتل يا مُحَمّد لتبليغ الرسالة ولنصرة القيم والمبادئ وقاتل أعداء الله ولو لوحدك فإنك موعود بالنصر، لما أعطاه الله من القوّة والبسالة والشجاعة، ما لم يعط غيره! قال الإمام علي (ع) (كُنَّا إِذَا إِشْتَدَّ البَأسُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولُ اللهِ (ص)) مواهب الرحمن٩/٩٦ ولا تهتم بتخلف المنافقين عنك فالقتال لوحدك تكليف إلهي شاق يجب أن يطبق ، ولا يشق عليك تثاقلهم ومخالفتهم فهم مسؤولون عن أنفسهم وأنت غير مكلف عنهم (**وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ**) شجعهم على القتال ورغبهم فيه وبعد ذلك ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨، (**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**) (عَسَى) من الله تفيد التحقيق ، أي بتحريضك المؤمنين يكف الله شر الكفرة الفجار ، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وبفتح مكة وغيرهما (**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**) هو سبحانه أشد قوة وسطوة وأعظم عقوبة وعذاباً (**وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**) من النكال وهو العقوبة للمجرم بما يكون فيه عبرة وردع لغيره بحيث يمنعه أن يفعل مثل فعله ليعتبر به غيره من المكلفين ، **في نهج البلاغة خطبة١٩٥**(في صفة الله سبحانه): (لاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، ولا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ)، **وعنه** (ع) **خطبة١٨٦**: (يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ !)، **عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ اللهَ كَلَّفَ رَسُوْلَ اللهِ (ص) مَا لَمْ يُكَلِّفْ بِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ كَلَّفَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ كُلُّهُمْ وَحْدَهُ بِنَفْسِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِئَةً تُقَاتِلُ مَعَهُ ، وَلَمْ يُكَلِّفْ هَذَا أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ لاَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَة) مواهب الرحمن٩/١٠٠.

**٨٥ – ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً﴾**

**الشفاعة** : الوساطة ، الإنضمام إلى الآخر ناصراً له وسائلاً عنه ، أي من يشفع بين الناس من شفاعة موافقة للصالح العام وتجلب خيراً وتدفع شراً **(يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا)** من الآجر من هذا الخير والإحسان **﴿وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** يوسف/٥٦ ، **عن النبي** (ص) : (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) البحار ٧١/٢٥٨ **(وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً)** تخالف الصالح العام ويعارضها الحكم الإسلامي وهي ما تجلب شراً وتدفع خيراً **(يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)** نصيب ووزر (ذنب) منها ، **تكملة الحديث:** (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعَلَيْهِ وِزْرهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) **(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً) مُقِيتاً** : ذات معنى واسع (منه) مطلعاً ومقتدراً ومعطياً وحافظاً وشاهداً أي يمنح لكل شيء قدره وقدرته ، والله بعلمه الواسع يمنح النتائج الحسنة أو السيئة حسب استحقاق أصحابها، **فائدة: ١–** ووصف الشفاعة بالحسنة لأنها تنصر الحق وتنال الحسنة ومثله كل من يتعاون بالخير فهو ينصره وينال حسناته وهكذا (السَّاْعِيْ فِي الْخَيْرِ كَفَاْعِلِهِ) **(وبالعكس)** الشفاعة السيئة إعانة على السيئات ، وسمّي نصيب السيئة كفلاً لأنه مكفول للشافع وتلحقه آثار عمله السيء حتى بعد موته. **نهج البلاغة حكم٣٢:** (فَاْعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاْعِلُ الشَّرَّ شرٌّ مِنْهُ) ، **وعن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ دَعَاْ لأَخِيْهِ الْمُسْلِمِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ أُسْتُجِيْبَ لَهُ وَقَاْلَ الْمَلَكُ فَلَكَ مِثْلاَهُ ، فَذَلِكَ النَّصِيْبُ) الأمثل٣/٣١٨، **في الحديث** : (مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ أَوْ أَشَاْرَ بِهِ فَهُوَ شَرِيْكٌ ، وَمَنْ أَمَرَ بِسُوْءٍ أَوْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ أَشَاْرَ بِهِ فَهُوَ شَرِيْكٌ) الأمثل٣/٢١٧. **٢–** في الآية دلالة أن الحاكم العادل لا يقبل إلاّ الشفاعة العادلة المدعومة بالدلائل القاطعة والبراهين الثابتة، أمّا الحاكم الظالم فتروّج عنده الشفاعات التي تضيع فيها حقوق الناس ويحل الظلم محل العدل ، وينتشر الفساد بمعناه العام ويختل نظام الأعمال ، **٣– (يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)** الشفاعة السيئة دَينٌ ثقيل ونتائجه سيئة لذلك صار معها **(كِفلاً)** لأنّه يستنفذ كل ما يملك صاحب هذه الشفاعة من خير وهو بحاجة إلى ضامن وكفيل ، ولا أحد يكفله، إلاّ أن الشر الذي غرسه يعود إثمه وضرره عليه **﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾** النبأ/٢٦.

**٨٦ – ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾**

وهو حكم عام لكل تحية قولاً أو فعلاً ، والسلام من أعمال البر ، والسلام قبل الكلام ، **وتحية الإسلام** : السلام عليكم وردوا عليه بأفضل مما سلم مع الترحيب أو ردوا عليه بمثل ما سلّم ، وكلمة السلام شعار المسلم وهو اسم من أسماء الله الذي يشير إلى الألفة والمحبة بين الناس فتداولوه بينكم ، والتحية سلام أهل الجنة **﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾** يونس/١٠ ، **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)** الحسيب : المحاسب على العمل ، يحاسب العباد على كل شيء من أعمالهم

وأقوالهم مع الصورة والصوت والنية ، سواء كانت صغيرة أو كبيرة ويكافئهم عليها ، ويحاسب على عدم رد التحية. **فائدة** : التحية من مواريث الأنبياء ، ولا تحمل معاني الخضوع والتذلل ، وإنما تحمل معاني الثقة المتبادلة فأنت في أمان وسلام مني وهذا عهد برعاية الحقوق بين الناس وتقوية أواصر المجتمع ، لذلك جاء الأمر بإفشاء السلام بينكم بمعنى إفشاء الأمن والأمان والاطمئنان بينكم **عن الإمام الصادق** (ع): (الْبَخِيْلُ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلاَمِ) البحار٣٠٥/٧٣ يسلم الصغير على الكبير، والواقف على القاعد، والقليل على الكثير ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ النور/٦١، **عن الإمام الصادق** (ع): (مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ لِلْمُقِيْمِ الْمُصَافَحَةُ وَتَمَامُ التَّسْلِيْمِ عَلَى الْمُسَافِرِ الْمُعَانَقَةُ) الكافي٦٤٦/٢. **عن النبي** (ص): (إِذَا تَلاَقَيْتُمْ فَتَلاَقُوْا بِالتَّسْلِيْمِ وَالتَّصَافُحِ وَإِذَا تَفَرَّقْتُمْ فَتَفَرَّقُوْا بِالاستغفار) البحار٧٦ص٥ ، **ومن مصاديق التحية وأَحْسَنَ مِنْهَا** : توطيد العلاقات الأخوية، مقابلة الإحسان بالإحسان ، مقابلة العواطف الطيبة ، أحسن إلى الأخ والصديق والقريب وحافظ عليهم ، ومبادلة الهدايا بأسرع وقت (**فَحَيُّوا**) الفاء استئنافية تدل على الإسراع ، الذي يرد بالعمل الأحسن هو الأحسن الذي يمتلك نكران الذات والأنا وأفلح في تزكية نفسه وتهذيبها ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ فصلت/٣٤.

**٨٧ – ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾**

الاعتقاد بالتوحيد الخالص العملي والنظري ، والاعتقاد بالمعاد إلى يوم القيامة بإعتبارهما العلاجين الأساسيين لكل أنماط الضعف النفسي للفرد والمجتمع والآية قسم من الله بتثبيت حقيقة كبرى لابد أن تقع وبها تتحقق فلسفة الحياة، وهي جمع كل الخلائق يوم المعاد ، وجاء القسم لتثبيت الحقيقة التي تقرها جميع الأديان السماوية ويقرها العقل والنقل، وهي إخراج الناس كلهم من الأولين والآخرين من قبورهم للحشر والنشر والحساب يوم القيامة على صعيد واحد الذي لا شك فيه (**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثاً**) وصيغة الاستفهام صيغة بلاغية لتثبيت النفي أنه لا أحد أصدق في الحديث عن يوم القيامة والوعد المؤكّد به من الله رب العالمين ، والإيمان بهذه الحقيقة المؤكدة التي لا شك فيها ، يجعل الإنسان يبرمج حياته كلها على ضوئها ، لتنعكس آثاره الإيجابية على شخصية الفرد والمجتمع في أقوالهم وأفعالهم وطموحاتهم.

**فائدة: ١– في الحديث** : (إذا مَاْتَ أحدكم فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَاْمَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢١٢٣ وهي القيامة الصغرى لكل فرد ، وهناك قيامة كبرى لكافة للناس **عن النبي (ص)**: (يَمُوْتُ الإِنْسَاْنُ عَلَى مَاْ عَاْشَ عَلَيْهِ، وَيُحْشَرُ عَلَى مَاْ مَاْتَ عَلَيْهِ) تنبيه الخواطر ص٣٧١ وهذه حقيقة يؤكدها الدين، إذن (الدين ضرورة حياتية). **عن الإمام علي** (ع): (لا حياة إلاّ بالدّين) البحار٤١٨/٧٧.

٢- **(حقيقة القيامة)** الموضوع المهم والرئيس في القرآن الكريم ، لمحاولة تثبيتها في أذهان الناس كافة ، وتثبيتها في القلوب والمشاعر والضمائر ، وما ينعكس عنها من تهذيب لذات الإنسان وعلمه وفكره وأخلاقه ، لتجعله يعيش حالة التوازن في جميع أحواله وأقواله وأفعاله **عن الإمام علي** (ع): (إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيْشُ أَبَدَاً، وَإِعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوْتُ غَدَاً) تنبيه الخواطر ص٤٦١، وهذا المنهج السامي يقوده إلى سلّم التكامل وبذلك يكرم الإنسان نفسه ، ويعرف حده ويقف عنده، **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ) ويكون أفضل المخلوقات ، وسيد هذا الكون في الدنيا ، وكذلك ينال في ألاخرة المنازل العليا المتناسبة مع عمله. **عن النبي** (ص) : (الْخَاسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَاْدِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩. **في غرر الحكم**: (مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي غَيْرِ مَا يُنْجِيهِ فَقَدْ أَضَاعَ مَطْلَبَهُ)

**٨٨ - ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾**

ما لكم أيها المؤمنون أصبحتم فرقتين في شأن المنافقين ، بعضكم يقول نقاتلهم ونقتلهم وبعضكم يشفع لهم ويحرض على ترك قتالهم ، والحال انهم منافقون والله **(أَرْكَسَهُمْ) الركس والنكس** : ردُّ الشيء مقلوباً ، التحوّل من سيء إلى أسوأ **بمعنى** : الإنقلاب الفكري للمنافقين ، نكّسهم وردهم إلى الكفر بسبب النفاق والعصيان وسيئات الأعمال **(أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ)** الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، لا تختلفوا في أمرهم ولا تظنوا فيهم الخير لما أظهروه من الإيمان ، لأن الله حكم بضلالهم ، فلا تشتبهوا في أمرهم فتجعلوا الضال في ميزان الله مهتدياً عندكم وأمرهم واضح غير مشكل بقرائن أفعالهم **(وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)** ومن يحكم الله عليه بالضلال فلا نجاة له منه حتى لو قال الناس عنه إنه من المهتدين **﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلاَلَةُ﴾** الأعراف/٣٠، **فائدة: (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا)** : إن الله لا يجبر العبد على الهداية ولا يجبره على الضلال ، وإن إعراض الله عن الضال يسمى إضلالاً وإنتكاساً لأنه أوكله الله إلى نفسه فلا يجد له سبيلاً إلاّ الضلال كقوله **﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** الإنعام/١١٠ ، **عن الإمام علي** (ع): (مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ، ومَنْ لاَ يَسْتَقِيمُ به الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، ومَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ)! البحار٢٩٣/٧٧

**٨٩ - ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾**

تمنى الكافرون ان يكون المسلمون كفاراً مثلهم ، وهكذا يود كل فاسد أن يكون الناس فاسدين مثله وعلى شاكلته، والشيطان يود ان يكون الناس كلهم شياطين مثله وهكذا كلّ ناقصٍ وفاسدٍ

يكره من يتصف بالفضل والإحسان **(فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** فلا تتخذوا منهم اصدقاءً وأعواناً وتقيموا معهم صلات وعلاقات والغرض أن يعرضوا عنهم إعراضاً كلياً فلا تطلبوا منهم النصح والنصرة ولا تستعينوا بهم في شيء ، وقد شدَّد الله تعالى على المنافقين لأنهم أظهروا الإسلام وهم أعداء يعملون جادين على محاربة الإسلام وقتل المسلمين ، فلا تثقوا بهم حتى يؤمنوا ويصدقوا في أعمالهم وأقوالهم فيهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام ، حيث كانت الهجرة عنوان الإيمان ، هجرة خالصة لوجه الله مع تحمل معاناة الجهاد في سبيل الله **(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)** فإن أعرضوا عن الهجرة في سبيل الله وبقوا على نفاقهم يتغلغلون في صفوف المسلمين ويتجسسون عليهم، فخذوهم أيها المؤمنون وأقتلوهم أينما وجدتموهم في الحل أو في الحرم بقدر ما تستطيعون وهذا بحاجة إلى إعداد القوة المناسبة الرادعة **(وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً)** ولا تتخذوا منهم ولياً ومعيناً يتولى شيئاً من مسؤولياتكم ولا نصيراً ينصركم على أعدائكم. **فائدة: ١-** التعامل مع أهل النفاق له مراحل ودرجات ، ويرفض الإسلام إقامة علاقات ودِّية معهم ، يجب تطهير المجتمع الإسلامي من المخترقين والجواسيس والحواظن لهم الذين يكونون خطراً على الإسلام والمسلمين ، وهذا يستلزم أن يكون المجتمع الإسلامي قوياً مقتدراً واعياً متعاوناً

**٩٠ - ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾**

هذا استثناء من قتلهم لمن يلتجئ من أولئك المنافقين إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد موادعة ومهادنة فدخلوا فيهم بالحلف فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم ، يجب إحترام العهود حتى مع الكفّار **﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾** الإسراء/٣٤ ، **(أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ)** وهذا استثناء أيضاً من القتل أي إلاّ الذين جاؤكم وقد **(حَصِرَتْ)** ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم من أجلكم فهم قوم ليسوا معكم ولا عليكم فهم محايدون **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ)** من لطف الله بكم أن كف أعداؤكم عنكم ولو شاء الله لقواهم وجرّأهم عليكم فقاتلوكم **(فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)** **السَّلَمَ** الاستسلام والانقياد ، ما داموا مسالمين غير مقاتلين ، فليس لكم أن تقاتلوهم طالما سالموكم كقوله **﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾** الشورى/٤٢. **فائدة** : السلام هو الأصل في الإسلام، والحرب حالة استثنائية واضطرارية طارئة **(فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)** فما جعل الله لكم عليهم طريقاً مبرراً تسلكونها للاعتداء

عليهم فلا يجوز الاعتداء على أحد إلاّ من يعتدي علينا لرد الاعتداء ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ المائدة/٨٧.

**٩١ - ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾**

تحذير قرآني للمؤمنين من أُناس آخرين منافقين يضعون أنفسهم في صف المحايدين لكي يأمنوا خطر المسلمين بإظهار الإيمان وخطر قومهم بإظهار الكفر وهؤلاء كثيرون في أي مجتمع وفي كلّ زمان ومكان (**كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا**) فهم مراوغون خطرون قد يظهرون بألسنتهم الإسلام مع المسلمين ولكنهم راكسون منغمسون في عبادة الأوثان ، **والركس** : رد الشيء مقلوباً أي ردّهم إلى كفرهم بمعنى : كانوا على الشرك فأظهروا الإسلام فدعاهم قومهم المشركون إلى العودة والارتداد فعادوا بسهولة إلى كل الشرك وتحولوا إلى الغدر والقتال بعد أن أظهروا الولاء والإيمان وهم أخطر من الكافرين الذين ثبتوا على الكفر ، هؤلاء مذبذبون لا ثقة بهم ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ**﴾ النساء/١٤٣ ، فيجب التأكد من حيادهم وعدم ميلهم إليكم وتآمرهم عليكم وإلاّ فتجب ملاحقتهم وقتلهم أينما كانوا (**فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ**) فإن لم يجتنبوكم ويصالحوكم ويستسلموا إليكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم وإيذائكم (**فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**) فأسروهم وإقتلوهم حيث (**ثَقِفْتُمُوهُمْ**) وجدتموهم كما يقاتلونكم ويريدون قتلكم (**وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً**) أي جعلنا لكم على أخذهم وقتلهم وسبيهم لظهور عداوتهم (**سُلْطَاناً مُبِينا**) حجة واضحة وبرهاناً بيناً بسبب غدرهم وخيانتهم ﴿**فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة/١٩٣، والقضاء على هؤلاء قوة للإسلام وسميت الحجة سلطاناً لأنه يتسلط بها ويتقوّى على الخصم كما يتسلط بالسلطان والقوة والحكم. **فائدة: ١-** لا تأمنوا لأي مقال جميل وحديث جليل من دون التأكد (**يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ**). **٢-**من تغير الظروف والأحوال تكشف أسرار الرجال وصفاتهم المخفية (**أُرْكِسُوا فِيهَا**).

**٩٢ - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

إن المؤمن يرتبط بأعظم الوشائج الأخوية بالمؤمن الآخر وهي رابطة العقيدة والأخوة ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ الحجرات/١٠، **عن الإمام الصادق** (ع): (الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، إِنْ اِشْتَكَى شَيْءٌ مِنْهُ وَجَدَ أَلَمَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ جَسَدِهِ) البحار٧٤/٢٧٤، **وعن النبي** (ص): (الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ) كنز العمال خبر٤٠٢ فمن الطبيعي أن لا يقدم على قتل أخيه متعمداً ، ولا يحق له أن يبيح دمه لا لشيء إلاّ لأنه على خلاف رأيه ومذهبه، فلا يجتمع القتل مع الإيمان ، ولا يحق تكفير المؤمن الموحِّد المطيع لله تعالى فلا يكون مبرراً لقتله في كلّ الأحوال، **عن النبي (ص)** (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِي الدِّمَاءِ) الترغيب والترهيب٣/٢٩٢، **وعنه (ص)**: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا جَمِيعًا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ دَمٍ سُفِكُ بِغَيْرِ حَقٍّ) المصدر السابق، ولا يمكن لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ وإشتباهاً من غير قصد كمن رمى حيواناً فأصاب إنساناً ، فلا يكون القاتل متهاوناً بأرواح الناس ، وحينئذٍ تذكر **حالات ثلاث لكل منها حكمها (في قتل الخطأ)** : **الأولى** : (**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا**) أن يكون أهل القتيل المؤمن مؤمنين ، فيجب إعطاؤهم الدية إلاّ أن يعفوا عن القاتل ويتصدقوا بهذا العفو وتحرير عبد مؤمن من الرق (وهذا لا يوجد في زماننا ولله الحمد) وكأنه بهذين العملين يتم تطييب قلوب الأهل ، كما يتم تعويض المجتمع المؤمن بإضافة عضو مؤمن حر إليه ، **الثانية** : (**فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**) أن يكون أهل القتيل المؤمن من الكفار المحاربين للإسلام وحينئذٍ فليس هنا إلاّ تعويض المجتمع المسلم بتحرير رقبة مؤمنة وضمّها حرة إليه ولا يدفع أي شيء للأهل المحاربين.

**الثالثة**: (**وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**) أن يكون القتيل من قوم عاهدوا المسلمين (عهد ذمة وهو مختص بأهل الكتاب أو عهد هدنة) وحينئذٍ فدماؤهم محترمة ويجب تسليم الدية إلى أهله ، مقدار الدية الف مثقال ذهب أو مائة بعير أو مائتا بقرة ، وتحرير رقبة مؤمنة أيضاً (**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**) فمن لم يستطع تحرير رقبة مؤمنة فإن عليه الصيام شهرين متتابعين (أو يصوم على التتابع شهراً ويوماً على الأقل من الشهر الآخر ، ثم يستطيع التفريق) وذلك للفوائد التي يعود بها الصوم على الإنسان فيسد ما بدر منه من نقص ويشده إلى ربه.. وغير ذلك (**تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**) شرّع الله لكم ذلك لأجل توبتكم وإنابتكم وعودتكم إلى ربكم ، وكان الله في كل وقت عليماً بخلقه حكيماً في شرعه ومستقيماً في حكمه ، **في الحديث** : (لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ بِالْمَشْرِقِ، وَآخَرُ رَضِيَ بِالْمَغْرِبِ، لأُشْرِكَ فِيْ دَمِهِ !)، **وعن النبي (ص)**: (لاَ تَرْجِعُواْ بَعْدِيَ كُفَّاْرَاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) فعلم أن القتل من الكفر العملي البعيد الضلال ومن أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ، ومن قتل مؤمناً فكأنما قتل كرامته وتسبيحه وخلافته لله وبذلك **كَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً** وأيضاً قتل المؤمن قتلٌ للصلاح وقتل للحياة وتنمية الحياة وكرامة الأحياء ، وبذلك القتل تهديد للمجتمع الإنساني وانتهاك لحرمته كقوله ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ**

**النَّاسَ جَمِيعاً﴾** المائدة/٣٢. **عن النبي (ص):** (قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا) كنز العمال خبر ٣٩٨٨٠

**٩٣ - ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾**

الإنسان المؤمن مكرّم عند الله ومحترمة كرامته في القانون الدولي وحقوق الإنسان **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾** الإسراء/٧٠ وهو سيد المخلوقات وكرامته أفضل من كرامة الكعبة ، وهو خليفة الله على أرضه وأكرم من ملائكته المقربين ، وفي الآية (٩٢) أخبرت أنه لا يصدر من مؤمن قتل مؤمن ، لأن قتل المؤمن قتل لحرَم الله **عن الإمام الصادق** (ع): (قَلْبُ الْمُؤْمِنِ حَرَمُ اللهِ ، فَلا تَسْكُنُ حَرَمُ اللهِ غَيْرَ اللهِ) كَمَا أَنَّ الكَعْبَةَ حَرَمُ اللهِ فِي الأَرْضِ) البحار٧٠ص٢٥، **وفيه أيضاً:** (خَلَقْتُ الأَشْيَاءَ لأَجْلِكَ، وخَلَقتكَ لأَجْلِي) **في الحديث القدسي:** (مَاْ تَسَعُنِيْ أَرْضِيَ وَلاَ سَمَاْئِي وَلَكِنْ يَسَعُنِيْ قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنْ) مواهب الرحمن٩/٢١٥، لذلك صار القتل من أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ ، والقاتل فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ، وهو من الكفر العملي أشد من الكفر اللفظي ، وذكر وعيد القاتل عمداً وعيداً ترتجف له القلوب وتهتز له أركان الإنسان ، فأي اعتداء على الإنسان يعني اعتداء على الإنسانية جمعاء ، كما أن قتل أي نفس كأنما قتل كل النفوس ، فإذا سقطت حرمة النفس سقطت حرمة كل النفوس ، لذلك فقتل العمد لا يرتكب مع إيمان وجريمة لا تكفر عنها دية ولا عتق رقبة ولا استغفار ولا توبة وإنما يوكل جزاؤها إلى عذاب الله ، لذلك كان عقاب **قاتل النفس متعمداً خمس عقوبات متتالية** أحدها أشد من الأخرى من خلال سياق الآية **فَجَزَاؤُهُ ١- (جَهَنَّمُ) ٢- (خَالِداً فِيهَا) ٣- (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ٤- (وَلَعَنَهُ) ٥- (وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)** لما في هذه الجريمة النكراء من هدم لبنيان كريم بناه الله الرحيم ، لذلك يقبل الله التوبة من المشرك ولا يقبلها من القاتل المتعمد القاصد للقتل ، لأن الشرك حق لله ، وقتل العمد حق للناس، وقدّم الله حق الناس على حقه كرامة للإنسان ، فويل للطغاة ثم ويل للبغاة ثم ويل للذين يلاحقون المؤمنين بالقتل والتشريد للحفاظ على عروشهم الاستكبارية المؤقتة ، وإن الله يمهلهم ولا يهملهم وسوف يأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما يشاء كيف يشاء متى يشاء وهو **﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** آل عمران/٤ .

**جاء في الحديث:** (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اِشْتَرَكُوْا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَاْلَى النَّاْرَ) أمالي الطوسي ص١٢٦، **وعنه (ص):** (مَنْ أَعَاْنَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاْءَ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ مَكْتُوباً بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَاْلَى) كنز العمال خبر٣٩٨٩٥، **وعن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يَزَاْلُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَاْ لَمْ يُصِبْ دَمَاً حَرَاْمًا) وسائل الشيعة١٩ص٥، **وعن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يُوفَّقْ قَاْتِلُ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّداً لِلتَوْبَةِ)! وسائل الشيعة١٩ص٥

**٩٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾**

الخطاب للمؤمنين لصياغة شخصيتهم القرآنية المميزة (**ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) **الضرب في الأرض** : السير فيها بالسفر للتجارة أو الجهاد ، **المعنى** : إذا سافرتم في الجهاد في سبيل الله لإحقاق الحق وإزهاق الباطل (**فَتَبَيَّنُوا**) فتثبتوا ولا تعجلوا في أي تصرف حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر ، والطيب من الخبيث (**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً**) **لا تَقُولُوا** من أعلن السلام أو حياكم بتحية أو أظهر الإسلام لست مؤمناً ، لأن كل من أظهر الإسلام كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وخاصة في حفظ دمه وماله وعرضه أما السرائر فالله وحده يعلم ما في الضمائر وما تخفي الصدور وهناك دلائل تدل على صدقه او كذبه، أي فتثبتوا من أمر من تشتبهون في إسلامهم ولا تباغتوهم القتال لعلهم يكونون مسلمين لتحصلوا على غنائمهم (**تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) كونكم طالبين للمال والغنائم ولو على حساب تكفير المؤمنين واستباحة دمائهم بغير حق ، وما هو إلاّ غرض دنيوي زائل لا قيمة له في قبال الهدف الكبير هو نصرة حكم الله على حكم الطغاة (**فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ**) حيث الغنائم المادية والمعنوية الكثيرة لا تقاس بها الغنائم الدنيوية المحدودة التي تغنيكم بالحلال عن الحرام وبالطاعات عن المعاصي وبفضل الله عمن سواه (**كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ**) مشركين (**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**) حيث حقن دماءكم وحفظ أموالكم وأعراضكم ببركة الإسلام ، فعاملوا الناس بما عاملكم به الإسلام (**فَتَبَيَّنُوا**) فتثبتوا ﴿**أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦ ، (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**) مطلعاً على أعمالكم ويكون حسابكم على ضوء أعمالكم. **سبب النزول (مختصر)** : أرسل النبي (ص) سرية من الصحابة فالتقت برجل معه مال وغنم فحسبوه كافراً ، فتلفظ الشهادتين فاعتبرها بعضهم كلمة يقولها لينجو من القتل ولما علم النبي (ص) شق ذلك عليه وأنّب القاتل لأنه شهد الشهادتين وقتله ، فقال القاتل يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل ، **فقال النبي (ص)** : (أَفَلاَ كَشَفْتَ الْغِطَاءَ عَنْ قَلْبِهِ !! وَلاَ مَا قَالَ بِلِسَانِهِ قَبِلْتَ وَلاَ مَا كَانَ فِيْ نَفْسِهِ عَلِمْتَ) مواهب الرحمن٩/١٧٢. **فائدة** : (**فَتَبَيَّنُوا**) إنها قاعدة عامة في كل شؤون الحياة ، فلا تأخذوا بالظن ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ يونس/٣٦ ، وهكذا لا يجوز أن نحكم بتكفير من يخالفنا فإن مثل هذا التجرّؤ الخطير لايقدم عليه مؤمن يخاف الله ويتقيه ويحترم حقوق الإنسان.

**٩٥ - ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾**

لا يتساوى من قعد عن الجهاد من المؤمنين مع من جاهد بماله ونفسه في سبيل الله – غير أولي الضرر – أي باستثناء أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض **(فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً)** فضل الله المجاهدين على القاعدين من أهل الأعذار درجة واحدة لتساوي نيتهم الحسنة كما قال **النبي** (ص) : (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيْرٍ وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فِيْهِ ، قَالُوا : وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَدْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ، وَهُمْ الذِينَ صَحّتْ نِيَاتُهُمْ وتَعَلّقَتْ قُلُوُبُهُمْ بِالجِهَادِ، وإنَّما مَنَعَهُمْ عَنْهُ الضَرَرَ)مواهب الرحمن٩/٢١١، **في غرر الحكم:** (النِّيَةُ الصَّاْلِحَةُ أَحَدُ الْعَمَلَيْنِ) ، **(وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى)** وكلاً من المجاهدين والقاعدين بسبب ضرر لحقهم وعدهم الله العاقبة الحسنة والمثوبة الحسنى في الدنيا والآخرة بحسن نيتهم **(وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً)** وفضل الله المجاهدين في سبيل الله على القاعدين عن الجهاد بغير عذر بالثواب الوافر العظيم والمنازل السامية العديدة ، وهذه تكرمة من الله تزيد عما بذلوه ، **عن النبي** (ص): (مَاْ أَعْمَاْلُ الْعِبَاْدِ كُلِّهِمْ عِنْدَ الْمُجَاْهِدِيْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ إِلاَّ كَمَثَلِ خَطَّاْفٍ أَخَذَ بِمِنْقَاْرِهِ مِنْ مَاْءِ الْبَحْرِ) كنز العمال ١٠٦٨١. **فائدة:** من تخلف عن الجهاد الواجب لعذر مشروع فهو معذور ، أمّا الأصحاء من المسلمين فإن قعدوا عن الجهاد الواجب في النفير العام فإنهم ملومون ومعاقبون ولكن المجاهدين أفضل من القاعدين المعذورين **(وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى)**.

**٩٦ – ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾**

منازل ودرجات كثيرة وهي مركبة **(من المغفرة والرحمة)** والسبب في هذا الجمع أنه **﴿مَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾** النحل/٥٣ ، والنعمة من مظاهر الرحمة ، ولا يمكن تحصيل الرحمة والنعمة إلاّ بإزالة الموانع والحجب ولا تحصل إلاّ بالمغفرة، ثم إنه تتفاوت الدرجات على قدر تفاوت الأعمال والنيات درجة من الله سبحانه خير من كل درجات الدنيا، ورحمته خير مما يجمعون وأوسع الرحمات ومغفرته أحب الغفران، كقوله **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾** الإسراء/٢١. **عن الإمام علي** (ع): في وصف الجنة (دَرَجَاْتٌ مُتَفَاْضِلاَتٌ وَمَنَاْزِلُ مُتَفَاْوِتَاْتٌ..) البحار٨/١٦٢.

**٩٧ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾**

هذه الآية والآيتان بعدها تقرر مبدأ الهجرة عن الأوطان في ظروف مناسبة بشرطين : **١–** القدرة عليها وتحمل معاناتها ، **٢–** أن ينحصر بها التخلّص من الظلم والاستضعاف. **المعنى العام:** وهذا نموذج متخاذل مرفوض من القاعدين محكوم عليه بسوء المصير ، أولئك المسلمون الذين رضوا

بالعيش في ظل دولة الكفر وخضعوا لضغوطهم ، فتركوا إقامة الشعائر الإسلامية إرضاءً للكفر، يذكر القرآن مشهداً مرعباً حيث تحاسبهم الملائكة بصورة مجسّمة وهم في حالة الاحتضار لتتوفاهم، ولكن صحيفة أعمالهم سوداء بالأعمال الفاسدة والذي يجهل حقائق الدين الضرورية يظلم نفسه (**ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**) والملائكة يستنكرون عليهم بسوء أعمالهم (**قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ**) ماذا كان شغلكم وهمكم في الدنيا ؟ فيأتي الجواب كله مذلة وهوان ويحسبونه عذر مقبول للسائلين من الملائكة (**قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ**) كنا يستضعفنا الأقوياء ، كنا أذلاء أتباع أذناب الطغاة لا نملك من أمرنا شيئاً لم نكن أحراراً في حياتنا ، إنه موقف خسيس يستحقره كل إنسان ، ولكن الملائكة تؤنبهم على هذه الحياة الذليلة (**قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا !!**) إنهم لم يكونوا عاجزين أو مرضى ولم يكن عندهم عذر لقبولهم لحياة الذل والهوان والاستضعاف وارتكاب الآثام والفتنة عن الدين والإعراض عن الإيمان السبب حرصهم على الحياة والبحث عن الأموال والمصالح الخاصة ، فيجعلهم في ضيق وذلة ، فكيف يرضون بذلك ؟ وهناك أرض الله الواسعة والهجرة إليها مستطاعة مع تحمل المعاناة ، وأحسن الهجرة هجر المنكرات وأحسن ذخيرة حفظ الكرامات وتهذيب العادات ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ المدثر/٥ ، أمّا من رضي بالذل فلا تأمن من شرّه ، والناس خوفهم من الذل أوقعهم في الذل **في غرر الحكم**: (سَاْعَةُ ذُلٍّ لاَ تَفِيْ بِعِزِّ الْدّهر) ومن أراد العز بغير الله فقد أهلكه عزّه ، **عن النبي** (ص): (لاَ يَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ ، وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ ؟ قال : يَتَعَرَّضُ لِمَاْ لاَ يُطِيْقُ فَيُذِلّهَاْ) تنبيه الخواطر ص٢٨٤ **وفي رواية** : يَدْخُلُ فِيْمَاْ يَعْتَذِرُ مِنْهُ (**فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**) حجتهم باطلة (**كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ**) وعيوب الاستضعاف التي تنزع كرامة الإنسان هؤلاء لايليق بهم إلاّ عقوبة نار جهنم التي هي غاية المفرطين.

**فائدة : الاستضعاف** : يجعله الناس والطغاة ضعيفاً مسلوب الإرادة ويتجبرون عليه لضعفه وعدم قدرته وهي صفة سلبية في الإنسان ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ**﴾ القصص/٥ ، **والاستضعاف** غير الفقير ، وهناك مستضعف بالشكل مستكبر بالمضمون لأنه يحمل صفة الطغيان بالفعل وإن كان ظاهره مستضعف بالهيئة العامة. **تَوَفَّاهُمْ : توفي الشيء** : أخذه وافياً تاماً ، وتوفي الملائكة للناس : قبض أرواحهم حين الأجل بعد أن يستوفوا جميع أرزاقهم المقسومة في الدنيا، حتى نَفَسُهم معدود عليهم فلم يبق لهم شيء إلاّ أرواحهم وهي الآن تُقبض وقت الموت ! **عن الإمام علي** (ع) : (نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ) شرح النهج١٨/٢٢١.

**٩٨ – ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾**

وهذا استثناء من حكم الآية السابقة ، المستضعفين غير الضعفاء المرضى الكسالى ، المستضعفين مقابل الاستكبار والضعفاء مقابل الفقراء ، المستضعفين الحقيقيين من الرجال والنساء والصبيان

الذين عجزوا عن الهجرة بعذر مقبول ولا يملكون وسيلة ولا حيلة يتخلصون بها من ضغوط المفسدين في محيطهم الملوث (**لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**) ، والذين طلبوا الحق فلم يهتدوا إليه ، وليس لهم قدرة على التمييز والتحليل لظروفهم المعيشية القاسية ، فركنوا إلى آراء ظاهرها صحيح ودوافعها سليمة ، ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ البقرة/٢٨٦. **عن الإمام الباقر** (ع): (والولدان والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم) نور الثقلين١/٥٣٧

**٩٩ - ﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾**

(**عَسَى**) للرجاء أي فأولئك لعلّ الله أن يعفو عنهم ولا يؤاخذهم لضعف عقولهم وعجزهم لأن العجز عذر عقلي وشرعي وعرفي ، ويتفضل عنهم ربهم في تركهم الهجرة ، فهم لم يتركوها اختياراً. **عن الإمام الصادق** (ع): (وَهَؤُلاَءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالٍ حَسَنَةٍ وَبِاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا، وَلاَ يَنَالُوْنَ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ) (وَهُمْ لَيْسُوْا بِالْمُؤْمِنِيْنَ وَلاَ بِالْكُفَّارِ وَهُمْ الْمُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ) الميزان٥/٥٨-٥٩ كقوله ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ**﴾ التوبة/١٠٦ (**وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً**) وكان الله عفواً ذا صفح عن ذنوب عباده ، غفوراً ساتراً لذنوبهم إذا صحت نواياهم. **فائدة** : في هذا إشارة إلى أن العفو مطموع فيه غير مجزوم به ، وإلى أنّ أمرالهجرة الضرورية (**وكل واجب ضروري**) مشدّد فيه ولو باستعمال الحيل والبحث عن مضايق السبل ، أما حب الوطن من الإيمان في حالة إذا كان الوطن يعطيك أماناً ، ويصبح حب الهجرة من الإيمان في حالة إذا فقد الأمان كقوله ﴿**يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ العنكبوت/٥٦ ، **في نهج البلاغة حكم٤٤٢**: (لَيْسَ بَلَدٌ أَحَقُّ بِكَ مِنْ بَلَدِكَ ، خَيْرُ الْبِلاَدِ مَاْ حَمَلَكَ)، **في نهج البلاغة حكم٥٦**: (الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ ، وَالْفَقْرُ فِيْ الْوَطَنِ غُرْبَةٌ !)

**١٠٠ - ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

هذا ترغيب على الهجرة في سبيل الله عن الأوطان في ظروف مناسبة وما فيها من مصالح دينية ودنيوية ومنها (**يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً**) يجد في الأرض مواضع كثيرة ليستقر فيها ويعمل فيها بالحق ويمرغ أنوف الطغاة ويكسر جبروتهم ، **المراغمة** : اسمٌ جامعٌ لكل ما يحصل به إرغام أنوف الطغاة من كانوا مستضعفين لهم وهم أعداء الله من قول أو فعل ويغيظهم بسلوكه (**وَسَعَةً**) اسمٌ جامع لأنواع السَعة ، كسعة الرزق وسَعة أرض الحرية وسَعة العقيدة والتحرك والحياة ، وسَعة الصدر والاطمئنان وسَعة القدرة على الجهاد وإرغام العدو.. إلخ فما دام المؤمن المستضعف تحت حكم المستكبرين فهو في صدد أن يفتن عن دينه ويتسامح في عقيدته ، فإذا هاجر في سبيل الله

تمكن من إقامة دينه وحفظ كرامته ونال حريته والهجرة تعتمد على قاعدة ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ الحديد/٢٣ ، ويعطي القرآن نظرة واسعة لمفهوم الهجرة ومعنى الوطن ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ العنكبوت/٥٦ ، في هذه الآية حددت الهدف وأطلقت الوسيلة ولم تحدد الأسباب فما دام الهدف الرئيس عبادة الله تعالى إذن فلتقم العبادة في أي أرض من العالم الواسع ، فخير الأوطان الذي فيه الأمن والسرور وحرية العقيدة وموارد الرزق ، وشر الأوطان ما فقدها **في غرر الحكم:** (شرُّ الأوطان ما لم يأمن فيه القِطّان) أي القاطن فيه والمقيم، وشرُّ الأوطان ما يُهان فيه الإنسان.

**عن النبي (ص):** (لا خير في .. الوطن إلاّ مع الأمن والسرور) البحار٧٧ص٥٨، **في نهج البلاغة حكم٤٤٢:** (لَيْسَ بَلَدٌ أَحَقُّ بِكَ مِنْ بَلَدِكَ ، خَيْرُ الْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ) ، وشرح صدرك وحقق أملك (**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**) الهجرة العقائدية الهادفة ، هذه هي الهجرة المعتبرة في الإسلام فليست هجرة للثراء أو هجرة للذات واللّذات ولأغراض الدنيا وإنما هي في سبيل الله يفسح عنده الأمل وتتوسع آفاق العمل (**ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) فقد أطلق الأجر ولم يحدده وجعله الله حقاً واجباً عليه تعالى لبيان سعة هذا الأجر وعظمته ومفاجآته وعلو مرتبته ، وما أعظم الفرق بين هذا الوعد المؤكد الرحيم وبين وعيد الظالمي أنفسهم الذين ضاق عليهم الحق فلم يتحملوه ، فيكون الجور عليهم أضيق والظلم عليهم أشد فيكون مصيرهم النار (**وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**) تأكيد للوعد الجميل الواسع الذي يشملهم به الغفران للذنوب لما تحملوا من معاناة الهجرة والثبات على الاستقامة ، وبعد الغفران تشملهم رحمة الله الواسعة، **عن النبي (ص)** : (مَنْ خَرَجَ حَاْجًّا فَمَاْتَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) المراغي٥/١٣٦ ومن خرج غازياً فمات كتب له أجر الغازي ومثله المعتمر.. وهكذا.

**١٠١ – ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً﴾**

وإذا سافرتم للجهاد أو التجارة أو غيرهما فلا إثم عليكم أن تقصروا من الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين (**إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**) إن خشيتم أن ينالكم مكروه من الأعداء أثناء الصلاة فتحول حركات الصلاة إلى إيماءات عند الضرورة وتسمى صلاة الخوف ، ويعم التشريع لكل سفر شرعي ، والقصر رخصة ويحب الله أن تأخذ رخصه أو كان القصر واجباً (**إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً**) إن الكافرين أعداء مظهرون عداوتهم ولا يمنعهم أنكم في عبادة أن يقتلوكم أثناء العبادة.

**١٠٢ – ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾**

تتعرض الآية إلى كيفية الصلاة في القتال أثناء مقابلة العدو ، بحيث لا تسقط الصلاة في أي حال ، (**صلاة الخوف**) قصر وبسرعة وجماعة مع حماية. وأهمية الصلاة جماعة حتى في حالات الخوف الشديد ، فينقسم المسلمون طائفتين فتصلي إحداهما مؤتمة بالرسول (ص) حاملة السلاح والأخرى تقف تراقب العدو للحراسة (**فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**) فإذا سجد المصلون ليكون الذين يحرسون المصلين من ورائكم لحمايتكم ، بعد أن تنتهي الطائفة الأولى من الصلاة جماعة مع النبي (ص) تأخذ طائفة ثانية الحارسة مكان الأولى في الصلاة ، وتأخذ الأولى مكان الثانية في الحراسة (**وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً**) (فَلاَ تَغْفَلُوْا فَلَيْسَ بِمَغْفُوُلٍ عَنْكُمْ، **في غرر الحكم**: (احذروا الْغَفْلَةُ فإنها مِنْ فَسَادِ الْحِسْ)، ﴿**وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ الأعراف/٢٠٥، تمنى أعداؤكم أن تنشغلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم فيأخذوكم غرة ، وينقضّوا عليكم كرجل واحد قتلاً ونهباً ، فلا تنشغلوا بأجمعكم بالصلاة فيتمكن عدوكم منكم ولكن أقيموها على شكل دفعات (**وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**) ولا إثم عليكم في حالات استثنائية كحالة المطر أو المرض أو أي سبب معقول أن لا تحملوا أسلحتكم إذا ضعفتم عنها فدعوها مؤقتاً ، وصلوا بغير سلاح (**وَخُذُوا حِذْرَكُمْ**) تأكيد على الحذر فإنه يقيك الضرر، احترزوا من عدوكم ما استطعتم (**إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**) عذاباً مخزياً مع الإهانة التي تتناسب مع أعمالهم المخزية المهينة التي فيها العداء لله ولرسوله وللمؤمنين.

**١٠٣ – ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾**

فإذا فرغتم من الصلاة فأكثروا من ذكر الله في كل الأحوال، قياماً وقعوداً أو اضطجاعاً وعلى جنب، بمعنى الهجوا في ذكر الله عز وجل في حالة السكون والحركة، ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ البقرة/١٥٢، فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً ، فإن الذكر مفتاح الصلاح، وحياة القلوب ونور العقول وجلاء الصدور ، وينير البصائر ويؤنس الضمائر ويثمر الحب ويرفع إلى العصمة وأمان من النفاق ومطردة للشيطان ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد/٢٨ ، وجاء ذكر الله مطلقاً غير محدد بكيفية معينة ليشمل كل أنواع الذكر ، وكثرة الذكر يمنعك أن تكون

من الغافلين، **ومخاطر الإعراض عن ذكر الله قوله** ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ الزخرف/٣٦ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ اشْتَغَلَ بِذِكْرِ النَاسِ قَطَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ) (**فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ**) فإذا وضعت الحرب أوزارها وذهب الخوف وسكنت النفوس (**فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ**) حتى تكون الصلاة في متن حياتكم لا في سطحها ، وفي أهم أوقاتكم وأعمالكم لا في فضلات أوقاتكم وفراغات أعمالكم ، لتوفّي حقها ، حتى تستوفي حقك منها **! كما قال الإمام علي** (ع) : (الصَّلاةُ مِيزَانٌ فَمَنْ وَفّى، اسْتَوْفَى!) البحار٨٤/٢٦٤، (**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**) إنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ في حكم الله كِتَاباً أي فرضاً واجباً ثابتاً مكتوباً مؤكداً لها أوقات محدودة، ولا يمكن تغييرها إلى شيء آخر كالصوم إلى فدية فأداؤها في أوقاتها وتسمى وقت الفضيلة خير من تأخيرها ، فالصلاة كالدواء تأخذه في أوقاته المعينة من دون تهاون وتأخير أو ترك ، **ومعنى الصلاة:** صلة بين العبد وربه ، وهذه الصلاة الخاشعة بحاجة إلى تمام الانفصال عن قضايا الدنيا ، حتى يكون حُسن الإتصال.

**والغاية من الصلاة:** تزكية النفس واستقامتها لتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وعن الآثام الكبيرة والصغيرة، **عن النبي (ص)** (مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنْ اللهِ إِلاّ بُعْدًا) البحار٨٢/١٩٨، لذلك كثير الذين يصلون وقليل الذين يقيمون الصلاة ، الذين يقيمونها بحضور القلب و(مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ فَقَدْ خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ)، **في الحديث:** (رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ ساهٍ) البحار٨٤/٢٤٠-٢٥٩. **فائدة:** كانت الصلوات الخمس موقوتة لتكون مذكرة للمؤمن بربه في الأوقات المختلفة لئلا تحمله الغفلة على الشر أو التقصير في الخير، وحتى يعرف قيمة الزمن وحتى يكون ذاكراً مع الذاكرين ، **في غرر الحكم:** (إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلاَنِ فِيْكَ فَإعْمَلْ فِيْهِمَا وَيَأْخُذَانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَا).

**١٠٤ – ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

**الوهن** : الضعف ، **ابتغاء** : طلب ، **المعنى** : حفَّزنا الله عز وجل على القتال وتحمل مشقته ، وأمرنا ألاّ نكون ضعفاء إزاء عدونا وأن نتوحد ونتفق لنكون يداً واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وأن لا نتخاذل ، وأمرنا بالثبات على الحق ، والحق خير نصير ، ووعدنا بالنصر لأن الحق معنا ونحن ندافع عنه وننصره (**إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ**) فإن الألم ومعاناة الحرب التي تحسون بها يقابلها الآم ومعاناة أخرى كثيرة لأعدائكم ، فهم بشرٌ مثلكم يصبرون ، فما لكم لا تصبرون (فمن صبر ظفر) إنكم ترجون من الله إحدى الحسنين النصر أولاً أو الشهادة والجنة ثانياً ﴿**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾

مُحَمَّد/٧ ، **في غرر الحكم**: (المُؤْمِنُ يَقْظَانُ يَنْتَظِرُ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) وهم لا يرجون من الله شيء ، وأنتم أفضل منهم بالجرأة وحسن العاقبة والإقدام والاقتحام ، وأنتم الله مولاكم وأعداؤكم لا مولى لهم **(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)** عليماً بمصالح خلقه حكيماً في تدبيره وتقديره.

**١٠٥ – ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾**

الله تعالى أنزل عليك يا مُحَمَّد (ص) القرآن وهو منهج الله ودستور الناس **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾** التكوير/٢٧، أنزله الله على أساس الحق وفيه الحق ويدعو إلى الحق وناطق بالحق الثابت بعيداً عن الباطل المتغير **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾** الأنعام/١١٥، **(لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)** بما عرفك وعلمك وألهمك الله وسددك وفتح عليك وأوحى به إليك شرائعه وحكمه لا برأيك واجتهادك الخاص وهذا يدل أنه (ص) غير مشرّع وإنّما ناقل التشريع والأمين عليه **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾** النجم/٣-٤ ، **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾** النساء/١١٣، وهذا دليل على عصمته (ص) المطلقة البعيدة عن الخطأ فهو المسدد في ذاته والمسدِّد لغيره والمؤيد بالوحي بمعنى أنه يمتلك عصمة ذاتية وعصمة خارجية عن طريق الوحي ، غاية إنزال القرآن الكريم هو أن تكون الحاكمية والقوانين وفق شرع الله ، وان يكون الحكم بين الناس في خلافاتهم على أساس العدل، لأن (الْعَدْلُ أَسَاسُ الْمُلْكِ) **عن الإمام علي** (ع): (فِي العَدْلِ الاقْتِدَاءُ بِسُنَةِ اللهِ) مستدرك الوسائل٢/٣١٠، ويكون القضاء بينهم على أساس منهج الله تعالى في هذا الكتاب الحكيم من دون تهاون أو ميل أو تنازل **(لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)** إنّ الله اصطفاك لنفسه واختارك لرسالته القيمة دون الخلق ، وأنزلت عليك القرآن لكي تحكم بين الناس بعصمتك بما تعلم علم اليقين أنه حكم الله ، **أسباب النزول** : أوشك بعض الناس أن يخدعوك ويستميلوك إلى جانب بطلانهم ، ولكن الله سددك وعصمك عما دبروه لك ، فمن حملك على تبرئة غير البريء ، ولكن الله أطلعك على خفايا الأمور وعرفت مؤامراتهم السرّية كقوله **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾** الأنفال/٦٢ ، **(وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً)** **الخصيم** : الذي يدافع عن الخائنين المعتدين على حقوق الآخرين ، فلا يكون الحاكم خصيماً ولا مدافعاً عن الخونة ولا يكون محامياً ولا يميل إليهم. **فائدة** : **١–** في الآية دلالة على تحريم الخصومة في الباطل أو النيابة عن المبطل، ويجوز الدخول في نيابة الخصومة بالحق ومن أخلاق النبي أنه لا يخاصم ونهيه عن التخاصم لمجرد التذكير بالحكم على قول (إيّاكَ أَعْنِي واسْمَعِي يا جَارَة). **في غرر الحكم**: (الْمُخَاْصَمَةُ تُبْدِيْ سَفَهَ الرَّجُلِ، وَلاَ تَزِيْدُ فِيْ حَقِّهِ)، **في نهج البلاغة حكم٢٩٨**: (مَن بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاْصَمَ). **٢– (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)** أراك ليس من الرؤية البصرية ، ولا من التي بمعنى العلم ، وإنّما من رأيت بمعنى الاعتقاد والمعرفة والعلم

والإحاطة بالرسالة، وسميت المعرفة بالرسالة رؤية لكونها جارية مجرى الرؤية في القوة والظهور والتخلص من وجوه الشك، وهنا يقابل المعلوم بالمحسوس.

**١٠٦ – ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

**الاستغفار** : طلب المغفرة والمسامحة والعفو مع الشعور بتجاوز الحدود وقبح الذنب والتوبة منه والندم عليه والعودة الدائمة إلى الله وطلب المدد والعون منه عز وجل ، وهو أمر يشترك فيه جميع الناس حتى الأنبياء والأوصياء (ع) حتى تغلق عليهم أبواب البلاء وتخفف عليهم المعاناة بالاستغفار **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)** ، إنّ الله مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن استغفره ، لأن الاستغفار أفضل عبادة وأحسن عادة وخير دعاء وأنجح شفيع ويزيل الهموم والغموم وهو أحسن تربية للنفس وتهذيب للهوى كقوله **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** الأنفال/٣٣، ولو كان القرآن من عند النبي (ص) لما أمرته الآيات بالاستغفار.

**١٠٧ – ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾**

**يَخْتَانُونَ** : يخونون ، ونسبة الخيانة إلى النفس لكون وبالها راجعاً عليها كقوله **﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾** الإسراء/٧ ، هم خانوا غيرهم في الظاهر ولكنهم في الحقيقة خانوا أنفسهم وظلموها ، وكل معصية لله هي خيانة للنفس لأن أضرار المعصية يعود على النفس **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** الطلاق/١ ، وإذا عادت أضرار المعصية على المجتمع فإنها خيانة للمجتمع باعتبارها نفس إنسانية واحدة ولهم مصالح مشتركة ، وهكذا فتعدي واحد على الآخرين بسرقة ونحوها يعد خيانة للنفس الإنسانية لأنه من خان نفس واحدة فيكون له استعداد على خيانة كل النفوس، **في غرر الحكم:** (مَنْ اِسْتَهَاْنَ بِالأَمَاْنَةِ وَقَعَ فِيْ الْخِيَاْنَةِ) ، وعن **الإمام الصادق** (ع) : (يُجْبَلُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ طَبِيْعَةٍ إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ) البحار١٧٢/٧٥ **(إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً)** إنّ الله يسخط من ثبت فيهم الإثم والذنب ومستمرون بالخيانة واعتادوا عليها في طبعهم ، والله لا يحب من كانت هكذا طبيعته.

**١٠٨ – ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾**

**يَسْتَخْفُونَ** : يستترون خيانتهم وفسادهم خوفاً وحياءً من الناس ، ولا يستترون من الله وهو عليهم شهيد ورقيب وهو أحق بأن يُسْتَحْيَا منه ويخاف من عقابه **(وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ)** والله معهم وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ويراقب أعمالهم **(إِذْ يُبَيِّتُونَ)** ويدبرون في الخفاء الحيل ويسمع ما يكذبون وما يضمرون في السر والخفاء ويتحدثون ما لا يرضى الله أقوالهم من رمي البريء وشهادة الزور والحلف الكاذب **(وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً)** فهو يعلم منهم كل شيء ولا يفوت عنه شيء. **فائدة** : هذا من ضعف الإيمان أن تكون مخافة الخلق أعظم من مخافة

الله. **عن النبي (ص)** : (لاَ تزَاْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تَنْفَعُ مَنْ قَاْلَهَاْ حَتَّى يَسْتَخِفَّ بِهَا، وَالاِسْتِخْفَاْفُ بِحَقِّهَا أَنْ يُظْهِرَ الْعَمَلَ بِالْمَعَاْصِي فَلا يُنْكِرُهُ وَلاَ يُغَيِّرُهُ) الترغيب والترهيب٣/٢٣١، ثمّ حذّر المؤمنين من مساعدة هؤلاء الخوانين وضعفاء الإيمان فقال:

**١٠٩ – ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾**

قد يجد الخائن المحتال من ينخدع به ويدافع عنه بعض الناس ، ونفعه ذلك في حدود مصالح الحياة الدنيا المؤقتة التي لاقدر لها عند الله أما غداً (**فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فمن يدافع عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه ؟ وحساب الآخرة أهم من حساب الدنيا (**أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**) إذ لا وكيل ولا كفيل لهم فمن يتولى الدفاع عنهم من بأس الله وانتقامه ؟

**١١٠ – ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

(**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً**) بظلم غيره والإضرار بالآخرين وهو جامع لأنواع القبائح يسوء به غيره (**أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ**) ، كإتهام بريء أو يرتكب جريمة يظلم بها نفسه كشرب الخمر ، وكل من يظلم نفسه يظلم غيره بشكل من الأشكال (**ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**) يشعر بتجاوزه لحدود الله ويعترف بذنبه ويندم على فعله السيء وإساءة الأدب مع ربه ، ثم يتوب من ذنبه وينيب إلى ربه ويستغفره أن يسامحه على ذنبه يجد الله عظيم المغفرة واسع الرحمة ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهذا معنى (**يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**) يجد التائب المستغفر تأثير المغفرة في نفسه بكراهة الذنب ، ويجد تأثير الرحمة بالرغبة في الأعمال الصالحة، **في نهج البلاغة حكم١٣٥**: (مَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَاْرَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ ثم تلا الآية). **فائدة: ١– الفرق بين السوء وظلم النفس: السوء:** هو الإضرار بالغير ، وقد يكون السوء أهون من الظلم لأن (**ظلم النفس**) من الكبائر، فإنه من ظلم نفسه فإنه يظلم غيره (أو) **بمعنى**: من يعمل معصية صغيرة أو كبيرة ثم يندم صادقاً ويستغفر الله يجد الله غفوراً لذنوبه رحيماً به. كقوله (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) آل عمران/١٣٥ **عن النبي (ص)** (إِدْفَعُوا أَبْوَابَ البَلاَيَا بالاسْتِغْفَارِ) مستدرك الوسائل١/٣٨٧.

**١١١ – ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

**قال رجل لأبي ذر**: عظني يا صاحب رسول الله قال له: لا تسيء إلى نفسك، قال الرجل: وأيُّ عاقلٍ يُسيء إلى نفسه؟ قال: كل من يعصي الله فقد أساء إلى نفسه، التفسير المبين ص١٢١، **المعنى** لا يؤاخذ بالإثم إلاّ فاعله كقوله **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾** الأنعام/١٦٤ ، (**فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ**) **يَكْسِب**: أي يقدم على المعاصي بإرادته دون إكراه وإجبار. **من أضرار الذنوب على الفرد ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** المطففين/١٤، **في نهج البلاغة خطبة١٧٨ (مختصر)** (فَمَاْ زَاْلَتْ نِعْمَةٌ وَلاَ نَضَاْرَةُ عَيْشٍ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اِجْتَرَحُوهَا (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) فصلت/٤٦، وقوله (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ

مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد/١١، **ومن الأضرار**: قلة التوفيق في ما ينفعه ، يخفى عليه الحق ، ترفع عنه الرعاية الإلهية ، يتساهل مع الذنوب فيبتلى في الكروب والهموم والأحزان ، ومن تعدّى الحق ضاق صدره ويضيع وقته، ومن أعرض عن الله ابُتُلي بالقلق والأرق ويكون عليه لباس الذل ، ويتطرّف برأيه ، ويقسو قلبه ويفسد تفكيره وتقل رحمته ويزداد ظلمه وتتنحس أيامه، ويكثر فراغه ، وتمحق البركة في رزقه وفي عمره.. **عن الإمام الصادق** (ع) : (مِنْ يَمُوتُ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِمَّن يَعِيشُ بِالأَعْمارِ) البحار٧٣/٣٥٤. **(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)** عليماً بفعله حكيماً في مجازاته

**١١٢ – ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾**

من يفعل ذنباً صغيراً أو إثماً كبيراً ، وقيل : **(الفرق بين الخطيئة والإثم)** : إن **الخطيئة** : هي المعصية التي لا تتجاوز آثارها الإنسان العاصي نفسه فهي تضر نفسه خاصة ، كترك بعض الواجبات كالصوم وأكل الميتة ، في حين أن **الإثم** : معصية يستمر ويتوسع وبالها وآثارها السيئة على الآخرين ، كالقتل للنفس المحترمة بغير حق والسرقة **(ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً)** ثم ينسبه إلى بريء ويتهمه به ظلماً وعدواناً **(فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)** فقد كلف نفسه وجمع بين رذيلتين في آن واحد ، وسمي البهتان **بهتاناً:** لأنه كذب على غيرك وهو غافل ولكن عند سماعه يبهت منه ويتحيّر ويندهش ، **والإثم** : الذنب عن عمد، **والخطيئة** : الذنب المتعمد وغير المتعمد ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (الْغِيبَةُ أَنْ تَقُولَ فِي أَخِيكَ مَا هُوَ فِيهِ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، أَمَّاْ إِذَاْ قُلْتَ مَاْ لَيْسَ فِيْهِ فَذَلِكَ الْبُهْتَاْنُ ثم ذكر الآية) نور الثقلين١/٥٤٩ وهذا يدل أنه من الكبائر. **(بُهْتَاناً وَإِثْماً)، عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ الْبُهْتَاْنَ عَلَى الْبَرِيْءِ أَثْقَلُ مِنْ جِبَاْلٍ رَاْسِيَاْتٍ) تفسير النور٢/١٤٨.

**١١٣ –﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾**

ولولا فضل الله عليك بالنبوة والوحي ورحمته بالعصمة عن الخطأ والتسديد والتأييد الإلهي ، فكانت للنبي (ص) عصمتان : عصمة ذاتية وعصمة خارجية بالوحي ، لهمت جماعة منهم أن يضلوك عن الحق وتشويه الحقيقة ، ويخدعوك ويقلبوا عليك الموازين **(وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ)** في حين وبال إضلالهم راجع عليهم وما يضرونك يا مُحَّد مطلقاً لأن الله معك يدافع عنك **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** الحج/٣٨ ، عموماً فكيف يتركك بلا حماية ورعاية وهداية فهو حافظك ومسدِّدُك وناصرك **(وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)** فكيف يضلونك والله أنزل عليك القرآن (الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) القرآن والسنة الحكيمة والسيرة المستقيمة أي السنة تنزل عليك كما ينزل القرآن ، وعلمك مقاصد الدين وفقه الحياة وأسرار التشريع وفلسفة الوجود طبقاً للحقيقة وموافقة للفطرة وسنن الإجتماع وأعطاك جوامع الكلم المطابقة لمصالح الناس مع تتابع الأجيال

**(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ)** منذ أن خلقك إلى أن بعثك رسولاً وحتى آخر عمرك، وعلمك علم المخفيات وبعض الغيبيات ومن العلوم الواسعة والكثيرة التي تُسعد العباد وتطوّر البلاد ﴿**مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ**﴾ الشورى/٥٢.

﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾ الضحى/٧ ، وإلى هذا يشير **الإمام علي** (ع) : (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ (ص) أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ لِيَ مِنْ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ) ، والذي علمه بعض مما علمه الله (ص) **(وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)** وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ منذ أن خلقك إلى أن بعثك رسولاً وحتى آخر عمرك ، عَظِيماً ، إذ أرسلك للناس كافة فأنت رسول عالمي ورسالتك عالمية وربنا رب العالمين، وجعل في رسالتك الهداية وبغيرها الضلال والغواية ، وقرآنك المنزل يهدي للتي هي أقوم ، فأنت أعظم الناس شكراً لله على نعمه وفضله ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ إبراهيم/٧ ، لذلك استمرت عليك النعم ودام عليك الفضل في حياتك وموتك فجعل أفئدة من الناس تهوي إليك وتهتدي بهداك وتقتدي بك ، فيجب على أمتك أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس قدوة وقيادة وأسوة وريادة وسيادة ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**..﴾ آل عمران/١١٠.

**١١٤ - ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾**

من علامات العاقل أن لا يتكلم إلاّ بحاجته وحجته بدون لغو ، لأن الكلام كالدواء إذا كان نافعاً كان شفاءً وإذا كان خطاءً كان داءً ، **في غرر الحكم:** (لِلإِنْسَانِ فَضِيلَتَانِ: عَقْلٌ وَمَنْطِقٌ ، فَبِالْعَقْلِ يَسْتَفِيدُ، وَبِالْمَنْطِقِ يُفِيدُ) وَالْكَلاَمُ مِنْ فِعْلِ الإِنْسَانِ يَكُونُ خَيْرَاً أَوْ شَرَّاً تَبَعَاً لآثَارِهِ وَثِمَارِهِ، ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/٣٦ ، **النجوى** : المتناجين أي المتحدثين بالسر بين إثنين أو أكثر ، **المعنى** : لا خير في كثير منها إما لغو لا فائدة فيه وهو ضياع للعمر وإما شر ومضرة كالكلام المحرم أو التافه ، **عن النبي (ص)** : (إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةٌ فَلاَ يَتَنَاْجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى يَخْتَلِطُوْاْ بِالنّاْسِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ) ، **وعن الإمام علي** (ع) : (لاَ خَيْرَ فِي الْمُنَاْجَاْتِ إِلاَّ لِرَجُلَيْنِ : عَاْلِمٌ نَاْطِقٌ أَوْ مُسْتَمِعٌ وَاْعٍ) ، ثم استثنى تعالى فقال **(إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)** من مال أو علم أو أي نفع كان ، والكلمة الطيبة صدقة والنصيحة صدقة والأمر بالمعروف صدقة والنهي عن المنكر صدقة ، **والصَدَقَة** : معنى عام هو كل عمل خير من قول أو فعل يعود بالنفع على من أعطى وأخذ وحفّز من سمع **(أَوْ مَعْرُوفٍ)** إسم جامع لكل ما هو حسن عقلاً وشرعاً وعرفاً ولا يختلف فيه اثنان، وذكر الأمر بالمعروف ولم يذكر النهي عن المنكر ، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف ، ولا يتم فعل الخير إلاّ بترك الشر ، وهناك من يأمر بالمعروف ولكن يُسيء

أسلوبه مع المأمور به عندما يجهل فن الطرح ويفقد تأثيره على القلوب لذلك جاء **في الحديث** : (قُلْ خَيْرَاً أَوْ إِصْمِتْ) **(أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)**.

**عن النبي** (ص): (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلاَحُ ذَاْتِ الْبَيْنِ) **وعنه** (ص): (إِصْلاَحُ ذَاْتِ الْبَيْنِ (بين اثنين) أَفْضَلُ مِنْ عَاْمَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَاْمِ) المستحبان فهو يترك آثاره الإيجابية الطيبة على نفس الفرد والمجتمع **(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)** ومن يفعل هذه الأعمال الصالحة وغيرها لوجه الله وطلب مرضاته فإن الله سيؤتيه الثواب العظيم والأجر الجزيل و(رِضَاْ اللهُ مَقْرُوْنٌ بِطَاْعَتِهِ). **فائدة:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ المجادلة/٩، (إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ (ص): نَهَى عَنْ الْقِيْلِ وَالْقَاْلِ وَفَسَاْدِ الْمَاْلِ وَكَثْرَةِ السُّؤَاْلِ (الكَلامُ الفَارِغِ) فَقَالُوا أَيْنَ هَذا مِنْ كِتَابِ اللهِ قَاْلَ (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) كنز الدقائق٢/٦١٩.

**١١٥ –** ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾

**يُشَاقِقْ** : يخالف مع العداوة ، والمشاققة لها عدة أوجه : منها تحريف الدين وتبرير الحرام والحيل الشرعية.. إلخ. المعنى : ومن يخالف الرسول ويعانده ويعاديه من بعد ما ظهر له الحق بالمعجزات والدلائل البينات **(وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)** يسلك طريقاً غير طريق المؤمنين ويتبع منهاجاً غير منهاجهم وعقائد غير عقائدهم وأعمال غير أعمالهم وأخلاق غير أخلاقهم ، فهو يخالف أسس العقيدة ويعارض ثوابتها الصحيحة تعصباً وعناداً **(نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى)** هذا بيان لسنة الله في عمل الإنسان أي نتركه وما إختار لنفسه واعتمد عليه ﴿**وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ الأنعام/١١٠، فلا نوفقه للخير وهكذا (مَنْ ضَاْقَ عَلَيْهِ الْحَقُّ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقْ) ، **عن الإمام علي** (ع): (الَّذِيْ لاَ يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، وَالَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُّ) البحار٧٧/٢٩٣، فجزاؤه أن يبقى في ضلاله حائراً ويزداد ضلالاً إلى ضلاله ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ الصف/٥ ، هذا جزاؤه في الدنيا، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) ، **(وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)** فإن طريقه الضال أدى به إلى عقوبة في الآخرة هي جهنم فهي مصيره اللائق به وساءت مصيراً.

**فائدة** : فمن إعتز بمال أو منصب أو قدرة أو عشيرة وتخلى عن عزة الله ، تخلَّ الله عنه وتركه وما تولاه وإعتز به ﴿**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ النساء/١٣٩ ، **في غرر الحكم**: (مَنِ إِعْتَزَّ بِغَيْرِ اللهِ أَهْلَكَهُ العِزُّ) ، **عن الإمام علي** (ع): (كُلُّ عَزِيْزٍ دَاْخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَذَلِيْلٌ) تحف العقول ص١٥٣.

**١١٦ –** ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾

**(الشرك)** أن تتخذ ألهة صريحة مع الله تشركها في عبادة الله ، عندئذٍ لم ينفرد الله بالألوهية والعبودية، كالاعتراف لبعض البشر بخصائص الربوبية فالشرك بالله أقرب إلى الكفر ، **(والشرك)** : انحراف رئيسي لا يصلح معه عمل كالذي يذهب إلى المشرق وهو يريد المغرب ، وكذلك الشرك الذي يريد به الله وهو متعلق بالشيطان! بحيث لا يمكن تصحيح هذه المسيرة وعلينا استئصالها وتبديلها تماماً ، أما سائر انحرافات البشر متفرعة عنه ، وليس هناك انحراف إلاّ وجذوره ممتدة من أصل الشرك بالله، فمشاقة الرسول ومخالفته شرك ، وإتخاذ منهج غير منهج الله شرك، ورفع راية غير إسلامية شرك ، وتولي أعداء الله شرك ، وطاعة أي مخلوق فيه معصية الله شرك ، وأي تحريف أو تغيير لمنهج الله شرك، والاستكبار على الناس شرك ، والإيمان بالعنصرية والطبقية وإتباع الهوى وتجسيد الأنا شرك ولكنه (شرك خفي) و (الشرك الجلي) الواضح يعمل خلل في الاعتقاد وخلل في التوحيد فتتساوى صفات المخلوق بالخالق، فمن أبعد الضلال وأعظم الظلم أن نتعامل مع الله وفضله وعظمته بتصغير صفاته وصرف شيء منها للمخلوق التي كل نعمه من الله **(وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً)** وابتعد عن الحق بُعداً شاسعاً ، فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة ، والشرك أقبح الرذائل كما أن التوحيد أحسن الحسنات كقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ النساء/٤٨.

إن الشرك منتهى فساد الروح وضلال العقول وعذاب النفس وتلويث الفطرة بحيث لا تصلح أبداً ، فيكون الشرك يصد عن الهداية ويمنع المسير نحو الكمال ويعرقل التطلّع إلى الآفاق العليا ، ويعمل خلل في التفكير وفي التدبير وفي التقدير ، ويشوش عنده رؤية الموازين الصحيحة واضطراب في المعايير الدقيقة فيعيش المشرك الدهاء مع الخبث ويبتعد عن الذكاء والإصلاح **(وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** وكفى بذلك صارفاً عن الغفران لأن ﴿**الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/١٣ ، فكل ما غير الشرك الصريح الجلي الواضح فهو دون الشرك الخفي في كبر المعصية ، ويغفر ما دون الشرك الصريح الواضح ممن تتوفر فيهم شروط المغفرة. **سُئل الإمام الصادق** (ع) عن أدنى ما يكون به الإنسان مشركاً فقال (ع) : (مَنِ ابْتَدَعَ رَأْياً فَأَحَبَّ عَلَيْهِ أَوْ أَبْغَضَ عَلَيْهِ) الكافي٢/٣٩٧ **وعنه** (ع): (يُطِيْعُ الشَّيْطَاْنَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمْ فَيُشْرِكْ) المصدر السابق، الشرك الخفي. **وعن النبي** (ص): (إِيَّاْكَ وَمَاْ يُعْتَذَرُ مِنْهُ فَإِنَّ فِيْهِ الشِّرْكَ الْخَفِيُّ) البحار٧٨ص٢٠٠، **وعنه (ص)**: (اللَّهُمَّ إِنَّاْ نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُهُ) كنز العمال خبر٨٨٤٩.

**فائدة: ١-** تقدم الموضوع في النساء/٤٨ هذه الآية تشحن النفس بالأمل والرجاء وقد تكون أرجى آية. **٢-** تكرر النهي عن الشرك في القرآن بأساليب متنوعة **والسبب في التكرير**: أنّ القرآن ليس كتاباً مبوّباً تبويباً فنياً يذكر المسألة مرة واحدة ويرجع إليها طالبها عند الحاجة إليها ، وإنما القرآن كتاب هداية ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥ ، وإنما تطلب الهداية بإيراد المعاني التي يراد إيداعها في النفوس في كل سياق يعدُّها ويهيؤها لقبول المعنى المراد ، وإنّما يتم ذلك بتكرير المقاصد

الأساسية ، ولا يمكن أن تتمكن دعوة عامة إلاّ بالتكرير كقوله ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا**﴾ الإسراء/٤١، لذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسية عرفوا سنن الإجتماع وطبائع البشر وأخلاقهم يكررون مقاصدهم في كلِّ ما ينشرونه في صحفهم ووسائل الإعلام للتأثير في الناس. **٣-** والشرك أمرٌ خطير لأنه رؤية ضالة وغير واضحة عن جلال الله وعظمته ، فينظر إلى الله سبحانه في مستوى لا يرتفع فيه عن بعض مخلوقاته وهذا إنكار ضمني لوجود الله ، فهو منتهى فساد الأرواح وضلال العقول وقسوة القلوب وخسران العواقب.

**١١٧ - ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾**

ذكرت الآية السابقة أن الشرك يعني الضلال الكبير والوهم البعيد والضياع الشديد ، فيعيش الضال بعيداً عن مقتضيات الفطرة فتضطرب نفسه ويقلق قلبه ولا يستقيم فكره وسلوكه ، فيكون من الخاسرين في عاقبة أمره ، **ومثال على ذلك** : نجد المشركين يعبدون الملائكة على أنها إناث وهم بنات الله فلذلك سموا الأصنام تسمية الإناث كاللات والعزّى ومناة ، ومع مرور الأجيال ساقهم ضلال الشرك إلى ضلال أبعد منه فإعتقدوا أنها آلهة تخلق وترزق (**إِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً**) **المريد** والمارد والمتمرد على الشيء إذا مرن عليه حتى صار يأتيه بلا تكلّف ، **والمريد** : مرد على الإغواء وتمرن على الإضلال حتى تمرد واستكبر عن طاعة الله ، **والمعنى** : وما يعبدون من دون الله بأنواع الضلالات فعليكم أن تعرفوا أنها من دوافع الشيطان المتمرد وهو أمركم بعبادتها وإغراكم بها فكانت طاعتكم لها عبادة ضالة مشركة حتى أصبحت عادة تؤدونها بلا تكلف (**وَإِنْ يَدْعُونَ**) تعبير عن العبادة والطاعة بالدعاء لبيان أن عبادتهم مجرد دعاء صادر حين الحاجة وليست عقيدة واقعية علمية **والشيطان** معنى عام يُطلق على كل فاسد خبيث من الجن والإنس.

**١١٨ - ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾**

**اللعن**: الطرد والإبعاد عن الرحمة مع السخط والإهانة ، **النصيب المفروض**: الحصة الواجبة والسهم المعين ممن أطاع الشيطان ، أي فرض الشيطان أن يأخذ قدراً معيناً لنفسه من عباد الله الضالين المفسدين، ويترك لله عباده المخلصين المهتدين. **والمعنى**: طرده الله وأبعده عن فيوضات رحمته فأقسم الشيطان المتمرد الخبيث قائلاً : لأتخذن من عبادك الذين أبعدتني من أجلهم من رحمتك ، نصيباً وحصة مقدرة معلومة من عبادك الضالين أدعوهم إلى عبادتي ويكونون من حصتي وهم العصاة والبغاة والطغاة والعتاة والمتمردون مثلي كقوله ﴿**لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ**﴾ ص/٨٢-٨٣ ، لذلك صار الإخلاص: غاية الدين وعبادة المقربين وبه تتفاضل مراتب المؤمنين ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، **عن الإمام علي (ع)**: (فِيْ الإِخْلاَصِ يَكُوْنُ الْخَلاَصُ) تنبيه الخواطر ص٣٩٠، **في غرر الحكم**: (الإِخْلاَصُ عِبَادَةُ المقَرّبين).

**١١٩ –** ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾

**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ** : إضلال الشيطان للإنسان بالوسوسة أن يزين له الحق باطلاً ، والباطل حقاً أو يوهمه أنه لا حق ولا خير ولا حساب ولا جنة ولا نار ، لأصرفنَّهم عن طريق الهداية وأحبب لهم الغواية ، وأبعدهم عن سبيل الله ومنهجه وشريعته ، والشيطان في صراحته هذه هو عدوٌ مكشوف فهو أفضل من شياطين الإنس المستورين كالعملاء والخونة والجواسيس والمنافقين. (**وَلأمَنِّيَنَّهُمْ**) وأعدهم الأماني الواسعة الخادعة الكاذبة وألقي في قلوبهم طول الحياة وبعد الأمل وتسويف التوبة ، ويخيل للإنسان إدراك ما يتمناه بالأمنيات التي هي رأس مال الجهلاء لأنها موهومة (**وَلآمُرَنَّهُمْ**) فمن خالف أمر الله سهل عليه أن يستجيب لأمر الشيطان (**فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ**) ليشقن أو يقطعن آذان الحيوانات وهذه من أعماله المعلنة التي يدعو الشيطان أتباعه إلى القيام بها وهي أعمال خرافية تؤذي الحيوان ولا تنفع الإنسان ، فيكون الشيطان هو الذي يتحكم بهم ويشرع لهم الحلال والحرام ويلعب بعقولهم ما يشاء (**وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**) قَسَمٌ له دلالات واسعة ومعاني عميقة ظاهرها خطير وباطنها مرير ، ويشمل التغيير للروح والجسد، ويتناول الخلقة الظاهرة كالوشم ويتناول تغيير الخلقة الباطنة بتلويث الفطرة السليمة وانقلاب المقاييس الصحيحة ، وتغيير دين الله القيم وأحكامه ، **عن الصادق** (ع):

في الاية (يُرِيْدُ تَغْيِيْرَ دِيْنِ اللهِ وَأَمْرِهِ) كنز الدقائق٢/٦٢٦ بتحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل والمثلة واللواط والسحاق، وإتخاذ مناهج وضعية إلحادية تدعو لإطفاء نور الله ، والله ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧، وهؤلاء يفسدون كل شيء خلقه مثل تغيير عقائد الناس الصحيحة وإشاعة الشكوك والشبهات فيهم فتتغير عقولهم وتضعف إرادتهم نحو الخير وسوقهم إلى سبل الشر تنفيذ خطط جهنمية متنوعة (**وَمَنْ يَتَّخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ**) ولياً وناصراً وقائداً بإيثار ما يدعو إليه على ما أمره الله به ، كأنه يدعو على أنه إله يُعبدويطاع ويأمر وينهى من دون الله ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ (**فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً**) تلك نتيجة طبيعية لمن يتخذ عدوه ولياً وناصراً ، ويترك وليه الحقيقي وناصره وهو خالقه وربه ومربيه الله ﷻ ، **فَمَا الْفَائِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ**، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ ؟! ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ الأنعام/١٢. **فائدة** : الشيطان في صراحته هذه أفضل ألف مرة من العميل المحتال والخائن المنافق المتلوّن. ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ، فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾مريم/٨٣-٨٤

**١٢٠ –** ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

**يعِدُهُمْ** : مواعده هي وساوسه الشيطانية بلا واسطة ، يعدهم بالفوز والسعادة ، ويزين لهم سبل الفساد على أنها سبل النجاة والتقدم فالزاني وشارب الخمر مثلاً يخيل إليه أنه يتمتع باللذائذ ولكنه ينسى تبعاتها وأضرارها الكثيرة في الدنيا والآخرة ومنها أنه يبتلى بالكآبة (**وَيُمَنِّيهِمْ**) بأنهم تقدميون متطورون وهم الفائزون في الدنيا والآخرة (**وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**) **الغرور** : الخداع وهو إيهام النفع فيما فيه ضرر وهو الإعجاب في الباطل **والغرور** : ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ، يجعلهم يعيشون الأوهام الخادعة كالسراب ، وكالمرأة الجميلة في منبت السوء كقوله ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ**﴾ البقرة/٢٦٨ ، يَعِدُهُمْ إذا انفقوا في سبيل الله افتقروا ، ويخوفهم إذا جاهدوا قتلوا.. إلخ ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ آل عمران/١٧٥ ، وعلة سلطان الشيطان على الإنسان يفسره قوله ﴿**وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ**﴾ سبأ/٢١. **فائدة:** وعد الله الإنسان ووعده الشيطان إلاّ أن وعد الله حق ﴿**وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾ الحج/٤٧ ، ووعد الشيطان الغرور والكذب والوهم (**وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**).

**١٢١ –** ﴿**أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً**﴾

﴿**أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾ المجادلة/١٩ ، خاسرون في الدنيا والآخرة ، خاسرون من جميع الوجوه ، ففي الدنيا يعيشون الضلال والضياع والفساد فباعوا آخرتهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم ، وفي الآخرة لا مفر لهم من عذاب جهنم وبئس المصير ، وهكذا (الَّذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ) الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ (**لا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً**) مهرباً ولا مخرجاً ولا منفذاً يفرون منه ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ وَالْوَيْلَ كُلُّهُ لِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا أَبْصَرَ ، وَمَنْ لَمْ يَدْرِ الأَمْرَ الَّذِيْ هُوَ عَلَيْهِ مُقِيْمٌ ، أَنَفْعٌ هُوَ لَهُ أَمْ ضَرَرٌ) البحار٢١٨/٦٩.

**١٢٢ –** ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً**﴾

بعد أن ذكر سبحانه الوعيد ، على طريقة التربية القرآنية النموذجية مقابلة الترغيب بالترهيب، أكدت الآية أن الإيمان يقترن بالعمل الصالح تحت أية نسبة ولا يجوز التفريق بينهما كذلك تقترن العبادات بالمعاملات ، والأقوال بالأفعال ، وأكدت لهم جنات الخلود (**وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً**) وأكدت وعد الله الصادق الحق ، وأكدت (**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً**) **قِيلاً** : قولاً ، إن الاستفهام معناه النفي أي لا أحد أصدق قولاً من الله ، والمقصود أن الله يكشف مواعيد الشيطان كاذبة خادعة لقرنائه وأتباعه ، بينما وعد الله مبني على الصدق التام لأوليائه ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾ النساء/٧٨ ، **عن النبي** (ص): (إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ (ص) وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ) البحار١٢٢/٧٧.

**١٢٣ –** ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**﴾

**الأماني**: من الأمنية وهي تمني الشيء وتقديره وكثيراً ما يطلق التمني على الصور الخيالية ولذة موهومة لا أثر لها من الواقع ، وهو كذب وفيه خداع النفس ، **المعنى**: ليس ما وعد الله تعالى من الثواب والجنان يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب ، وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولا يحصل رضا الله بالأماني والإدعاء ، **عن النبي (ص)** : (لَيْسَ الإِيْمَانُ بِالتَّحَلِّيْ وَلاَ بِالتَّمَنِّيْ وَلَكِنَّ الإِيْمَانَ مَاْ خَلُصَ فِيْ الْقَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمَاْلُ) البحار٦٩ص٧٢، إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ، ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ النمل/٩٠ ، (**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**) وهذا قانون شامل لجميع العاملين ، ومَنْ يعملِ السوء والشر ينلْ عقابه بقدره عاجلاً أو آجلاً وإلاّ كان المحسن والمسيء عند الله بمنزلة سواء ، ومن لم يُحسن عمله فلم يشفع له حسبه ونسبه.

**في غرر الحكم**: (بِحُسْنِ الْعَمَلِ تُجْنى ثَمَرَةُ الْعِلْمِ لا بِحُسْنِ الْقَوْلِ) ، (**وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**) فالجزاء المشرَّع من عند الله لا يصرفه عن عامل السوء صارف ، وينال الجزاء بقدر سوء العمل ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه**﴾ الزلزلة/٧-٨ ، **عن النبي (ص)** : (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ) البحار٧٣/٣٤٦، **عن النبي (ص)**: (مَا يُصِيْبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ (تعب) وَلاَ وَصَبٍ (إرهاق) وَلاهَمٍ وَلا حَزَنٍ وَلا غَمٍّ وَلا أَذًى حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا خَطَايَاهُ) الميزان٥/٩٦، **عن الإمام علي (ع)**: (أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَاْ اِسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ) البحار٧٣/٣٦٤.

**فائدة: ١- سبب النزول**: إنّ المسلمين كانوا يتفاخرون بأن نبيهم (ص) خاتم الأنبياء وإنهم خير أمةٍ ، وفي المقابل كان أهل الكتاب يتباهون ويفخرون بتأريخهم ، وأن لهم السبق على المسلمين ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً**﴾ البقرة/٨٠ ، نزلت هذه الاية الكريمة لتبطل دعاوى الفريقين وتصحح أفكارهما وتضع العمل الصالح المنطلق من الإيمان معياراً أساساً للفضل والشرف. بالعدل والحق والخير تقام المجتمعات وليس بالأماني. **٢- (يُجْزَ بِهِ)** تشمل جزاء الدنيا أو جزاء الآخرة أو كليهما، إنّ جزاء المؤمن الذي يرتكب السيئات، كفارتها مواجهة الصعاب والمشاق في هذه الدنيا وفي حياة البرزخ (في القبر). **رُوِيَ** : لَمّا نَزَلَتْ الآيةُ قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ قَدْ جاءَتْ قَاصِمَةُ الظَهْرِ فَقَالَ (ص) أما تَحْزَنْ أنْ تَمْرَضْ أمَا يُصِيبُكَ اللأواءُ (ضِيقُ المعِيشَةُ) والهُمُومُ ؟ قَالَ بَلى، قَالَ (فَذَلِكَ مِما يُجْزَ بِهِ) لذلك علينا أولاً إصلاح عيوب أنفسنا ونقدها حتى نتوجه إلى إصلاح عيوب الناس، **في غرر الحكم**: (النَّزَاْهَةُ مِنْ شِيَمْ النُّفُوْسِ الطَّاْهِرَةِ) **وفيه أيضاً**: (سِيَاْسَةُ النَّفْسِ أَفْضَلُ سِيَاْسَةْ) **وفيه أيضاً**: (أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجِزَ عَنْ إِصْلاَحِ نَفْسِهِ).

**١٢٤ - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾**

من للتبعيض (**مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ**) بقدره لا بقدرها **بمعنى**: يعمل بقدر تكليفه ووسعه ، وكم من مكلّف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة (**مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**) من غير فرق بينهما أصلاً ، خلافاً لما يحصل من بث بعض الشبهات أن النساء لا ثواب لحسناتهن لأنهن نواقص العقول والإيمان والحظوظ ، وإن الكرامة والعزة للرجال ، وهذا الكلام خاطئ بكل الإعتبارات لأنه يخالف القرآن ! لأن الله لا يخلق النواقص مكملات للرجال الكاملين ، ولماذا يخلقهن نواقص وهو القائل ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧، ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ طه/٥٠ ، ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ النمل/٨٨، وكيف يقترن النواقص وتسد حاجات الرجال الكاملين ؟ وهل كل الرجال كاملون ؟ وهل يتزوج الكامل من الناقص؟ والله تعالى الذي يقول ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ الروم/٢١ ، فهناك وحدة نفس بين الزوج وزوجته منظمة تعطينا وحدة سكن منظمة بينهما ، وهل هذا النظام التكويني الرباني عالي المضامين يبنى على نقص المرأة ؟ كلا ثم كلا ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ التين/٤ ، حتى صارت (الْمَرْأَةُ مِيزَانٌ دَقِيْقٌ: فَمَنْ وَفَّ، اسْتَوْفَى!) (**راجع التوسعة في كتابنا السكن الزوجي المتكافئ في المنظور القرآني الفريد للمؤلف مكي قاسم البغدادي**).

**إذن**: لا فرق في ميزان الله وميزان العقل السليم ولا في الشرائع والقوانين ، أن فاعل الخير يكرم ويثاب ، وفاعل الشر يستحق الذم والعقاب ذكراً كان أم أنثى، فإذا تحملا مسؤولية التكاليف يتحملان مسؤولية الجزاء والعقاب والثواب معاً ولا فرق في ذلك (**فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**) **النقير**: النقرة الصغيرة التي في نواة التمر مبالغة في الدقة، أولئك الرجال والنساء يدخلهم الله الجنة ولا ينقصون شيئاً بسيطاً من ثواب أعمالهم وكيف لا والمجازي أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، **والآية تأكيد رائع أنّ** : الانفتاح طريق التكامل أمام الأنثى تماماً كالذكر لا فرق بينهما وهو أمر لم تكن البشرية لتتعرف عليه في القرون الماضية. **فائدة : ١- (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)** ليبين أن الطاعة لا تنفع من دون الإيمان للذكر والأنثى، وهكذا تكون العبادات ترجمان للمعاملات، **عن النبي (ص)**: (الإسلام حُسنُ الخُلُق) كنز العمال خبر٥٢١٥. **٢-** الثواب في هذه الآية هو الجنة ، وفي قوله ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ النحل/٩٧، الثواب لهما معاً هنا (حَيَاةً طَيِّبَةً) في الجنة. **٣-** البشر متساوون جميعهم من كلّ لون وطبقة وعرق والفرق في نوع العمل (**مَنْ يَعْمَلْ**) ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣. **٤- في غرر الحكم**: (إِنَّكُمْ إِلى إِعْرابِ الأَعْمالِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلى إِعْرابِ الأَقْوالِ).

**١٢٥ -** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾

**أَسْلَمَ وَجْهَهُ** : أخلص قلبه واستسلم لمنهج الله ، استفهام إنكاري ، لا أحد أحسن ديناً ممن إنقاد لأمر الله وشرعه وأخلص قلبه وعمله لله **عن الإمام علي** (ع): (بِالإِخْلاَصِ يَكُوْنُ الْخَلاَصُ) تنبيه الخواطر ص٣٩٠ ونقّى نفسه من الأضاليل والشبهات والعيوب والنواقص والخرافات والانحرافات والغلو.. (**وَهُوَ مُحْسِنٌ**) مطيع لله مجتنب لنواهيه ، محسن في تفكيره وصالحة عقيدته في الواجبات والمستحبات ، ومحسن في أقواله وأفعاله وكافة تعاملاته مما يستحسنها الناس ، فهو **الذي توجّه إلى وجه واحد فيكفيه الوجوه كلها ، وتحمّل هماً واحداً يكفيه الهموم كلها** ، وعبر عن توجه القلب بإسلام الوجه ، لأن الوجه مرآة الجسد ، وهو أعظم مظهر يعكس أحوال النفس ، وما فيه من سيماء هو الذي يدل على ما في سريرة النفس (**وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**) وإتبع الدين القويم الذي كان عليه إبراهيم الحنيف (ع) برفضه العقل الضال الجمعي في المجتمع الجاهلي التي انتشرت فيه الأصنام الحجرية والبشرية والصنمية الفكرية وعدم تقبله للرأي الآخر ، فتعامل إبراهيم (ع) مع هذا المجتمع المتحجر (**بالحنيفية**) وهي الميل عن كل ضلال في أجواء مليئة بالضلال البعيد، والبقاء على الاستقامة ولا تصدّه عنها صاد ، ومن أصعب الجهاد معارضة المجتمع جميعه الضال بنفسه لوحده! لذلك ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾ النحل/١٢٠.

فهو (ع) اعتمد القاعدة الحركية (الثبات على المبادئ والمرونة في التعامل) ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ الزخرف/٢٦-٢٨ (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**) صديقاً حميماً جامعاً لصفات الكمال والجلال والجمال، صفياً اصطفاه لقربه واختاره لمحبته وجعله أداة لإرادته وعنصراً لمشيئته عز وجل **عن الإمام الرضا** (ع): (وَإِتَّخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمْ خَلِيْلاً لأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ أَحَدَاً وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَداً قَطُّ غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) علل الشرائع١ص٣٣، **وعن النبي** (ص): (يَاْ أَبَاْ ذَرْ إِذَاْ سَأَلْتَ فَإِسْأَلْ اللهَ ، وَإِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)، **وعن الإمام الجواد** (ع): (الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَاْلَى ثَمَنٌ لِكُلِّ غَاْلٍ، وَسُلَّمٌ إِلَى كُلِّ عَاْلٍ) البحار٧٨/٣٦٤.

**ومنزلة الخليل من المقامات العالية** لم يصل إليها إلاّ بعد اجتياز مراحل عديدة : وهي مرحلة الفتنة ثم الإمتحان ثم التسليم ثم العبودية ثم النبوة ثم الرسالة ثم الخلة ثم الإمامة ، وقد إجتازها إبراهيم (ع) كلها بأمان، **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَ إِبْرَاْهِيْمَ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِياً، وَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَهُ نَبِياً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُوْلاً، وَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَهُ رَسُوْلاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيْلاً، وَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَهُ خَلِيْلاً قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاْمَاً) الكافي١/١٧٥، فإن الخلة والصداقة والحب بين الناس كالخلة والصداقة و الحب والعلاقة مع الله عز وجل، وهذه العلاقة الخليلة الشفافة النقية تبنى على زيادة الحب بين الحبيبين وكلما إزداد الحب تغلغل الحب في شغاف القلب وامتزج مع

أحاسيس النفس واستشعر بلذة القرب والحب والجذب والعلاقة القوية بين الطرفين الخالق والمخلوق ، لذلك أصبح الدين هو الحب ، والحب الحقيقي هو الدين. **فائدة ١– عن الإمام الصادق** (ع): (طَلَبْتُ حُبَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَجَدْتُهُ في بُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاْصِيْ) مستدرك الوسائل٢/٣٥٧، لهذا أصبح الدين ضرورةً حياتيةً، لأن الحياة تُبنى على الحب ، والإيمان يُبنى على الحب في الله والبغض في الله ، **في غرر الحكم**: (لاَ يَكْمُلُ إِيْمَاْنُ عَبْدٍ حَتّى يُحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ سُبْحَاْنَهُ، وَ يُبْغِضَ مَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ) ، من يُعرض عن الباطل المستفحل في أجواء غارقة في الضلال البعيد ويستقم فهو يُهيء لنفسه منزلة ويمهد لها (خليل الله).**٢– (مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)** دين الإسلام مبني على أمرين الاعتقاد والعمل، بقوله **(أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)** أشار إلى الاعتقاد الخالص وبقوله **(وَهُوَ مُحْسِنٌ)** أشار إلى الجانب العملي.

**١٢٦ – ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾**

فمهما سما الإنسان في إيمانه سما في عبوديته وتسليمه لله تعالى ، وسمت نفسه وشفّت وقربت روحه من الحقيقة وعرفت سر الوجود على أنه أكبر من ظاهره المشهود ، وإن جميع الموجودات في عالمها المادي والمعنوي لله تعالى فلا يخرج عن ملكه شيء وكلها محتاجة إليه وهو مستغنٍ عنها **(وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً)** وكل المخلوقات مسخرة تحت إرادته وهو محيط بها إحاطة كاملة بالعلم والقدرة والتدبير والتقدير ، والقهر والتسخير والخلق والتغيير ، وهو محيط بأفعال عباده لذلك وحده المستحق للعبادة كما توجه الكون كله إليه بالطاعة والتسبيح والتسليم طوعاً وكرهاً **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** الإسراء/٤٤.

**١٢٧ – ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾**

**يَسْتَفْتُونَكَ** : يطلبون منك يا رسول الله أن تذكر لهم وتوضح ما أشكل عليهم في أحكام النساء الشرعية **(قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ)** يبين لكم الأحكام بلسان نبيه الصادق الأمين **ومعنى هذا** : أن الأحكام لله وحده ، وهو المشرّع والرسول ناقل التشريع ، لذلك جاء التحذير من الفتوى إلاّ من له مؤهلات علمية اجتهادية خاصة عالية المضامين تستطيع استنباط الحكم الشرعي من الكتاب والسنة بدقة تامة ، **عن النبي** (ص) : (أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفَتْوَى أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّاْرِ) البحار٢/١٢٣، وبما أن الفتوى من غير المعصوم تصيب وتخطأ لذلك جاء قوله **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾** الزمر/١٧-١٨ ، **وعن النبي** (ص): (إِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاْكَ الْمُفْتُوْنَ) كنز العمال خبر٢٩٣٣٩، **وعنه** (ص) (مَا أَنْكَرَ قَلْبَكَ فَدَعْهُ) كنز العمال خبر٧٣١٠ بمعنى فكر وتعلّم ولو

الأمور الضرورية ، ولا يجوز تعطيل العقل ، ولا تشتغل بعقل غيرك باستثناء القضايا التي تعجز عن معرفتها كرجوع الجاهل لأهل العلم والمريض للطبيب وهكذا ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون**﴾ الأنبياء/٧، **عن النبي (ص)** (طلبُ الْعِلْم فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) البحار١/١٧٧ كفريضة الصلاة والصيام (**وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ**) والقرآن فيه تبيان الأحكام وهو دستور إلهي شامل ومنه ما جاء (**فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ**) كانت في الجاهلية عادات مكروهة ظالمة منها الاستهانة بالنساء واليتيمات بالخصوص ، اللواتي ترغبون في نكاحهن لجمالهن او لمالهن ولا تدفعون لهن مهورهن ، ومنعتموهن ما فرض لهن من الإرث والمهر فيتخذون المرأة كالسلعة والحيوانات ولا رأي لها ، وإن كانت المرأة اليتيمة غير جميلة منعها من الزواج حتى تموت وأخذ مالها.

(**وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**) يفتيكم أيضاً في شأن يتامى الذكور الصغار المستضعفين الذين لا تعطونهم نصيبهم من الميراث ، وكانوا لا يورثون إلاّ من يحمل السلاح فنهى سبحانه عن ذلك وجعل ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ النساء/١١ ، كبيراً كان أم صغيراً ، حمل السلاح أم لم يحمل (**وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**) ويفتيكم أيضاً أن تقوموا بالعناية اللازمة باليتامى بالعدل في أموالهم وأنفسهم وتعطونهم حقوقهم في الميراث والمهر وغيرهما (**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً**) وهذا تحفيز على فعل الخيرات على إطلاقها ، كل إنسان بقدره ، فإن الله سيجزي عليه أوفر الجزاء ولاسيما إعطاء حقوق النساء واليتامى الصغار وتربيتهم تربية صالحة ، لذا صار التأكيد على الضعيفين المرأة واليتيم ، والله العليم بكل خير ودوافعه ولا يضيع أجر المحسنين ، وتحذير من المخالفة. **فائدة** : **سُئل النبي (ص)** عن النساء ما لهن من الميراث فأنزل الله الربع والثمن.

**١٢٨ - ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾**

**خَافَتْ** : توقعت ما تكره بوقوع بعض أسبابه وعلاماته ، **الْبِعل** : الزوج ، **نُشُوزاً** : ترفعاً وتكبراً ، **إِعْرَاضاً** :ميلاً وانحرافاً ، **فَلا جُنَاحَ** : لا لإثم ولا حرج، **الشُّحَّ**: شدة البخل. قد يكون النشوز من الزوجة وقد يكون من الزوجين معاً ، وقد يكون (**النشوز من الزوج**) بإيذائها وإزعاجها وعدم الإنفاق عليها ، وهو في بحث هذه الآية. **المعنى** : وإذا علمت المرأة أو شعرت بعدة دلائل من زوجها الترفّع عليها أو عدم الإهتمام بها والإعراض عنها بوجهه ونفسه، لسبب في نفسه (**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً**) فلا بأس عليه ولا عليها أن يتصالحا مباشرة وبسرعة أو بواسطة أهل الخير ، فيجاهد هو نفسه أن لا يظلمها وهي تصبر وتتنازل عن بعض حقوقها من

نفقة أو كسوة أو مبيت لتستعطفه بذلك وتستديم مودته وعلاقته ، مع توفير جو المحبة بينهما ، ويرضى كل بما قسم له (**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**) من الطلاق والفراق وشتات العيال والأطفال (**وَأُحْضِرَتْ الأَنفُسُ الشُّحَّ**) أي أن الشح حاضر لا يغيب عن النفوس وهي مطبوعة عليه لتحفظ منافعها. **الشُّحَّ** : بخل حاضر مستقر في نفس الزوجين سواء أكان البخل مادياً أو معنوياً (أخلاقياً) ، وهو أحد أسباب الخلاف ، وإن اللوعة التي يحس بها الباذل ويخفيها عندما يبذل هو الشح المطبوع في النفس البخيلة، **فشح الزوجة** : لا تتنازل عن حقها بسهولة من الكسوة والنفقة والفراش والوقاع ، بل تطمع في حقوق الآخرين، **وشح الزوج**: لا يتسامح معها من غير عوض ويبخل بالمقاربة والملاطفة والميل إذا أحب الفراق ، فالشح الذي جاء بالمشكلات والمشاحنات كان من الطرفين. والأزمات المالية والأخلاقية هي السبب في المعاناة والاختلافات. (**وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**) وهذه دعوة من الله تعالى إلى كل من الزوجين أن يحسنا العشرة مع شريكه على أساس التقوى ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ النساء/١٩.

﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ البقرة/٢٢٩، وأن يبتعدا عن أسباب الخلافات والتنازعات والتنافرات وأن تحسنوا معاملة الزوجات وتتقوا الله بترك الظلم عليهن ، وهذه وصية للأزواج، أن يتقوا أسباب النشوز والإعراض وكل ما يؤدي إلى التنافر ، فإن إصلاح العيوب خير من تراكم الكروب ، وكل من بدأ بالإحسان والإصلاح كان هو الأفضل ، والله خبير بذلك فهو يجازي من أحسن بالحسنى ، **فائدة** : إذا أبدت الزوجة مرونة كثيرة وتنازلت وتعهدت ، فإن ذلك يؤدي بشكل طبيعي إلى مرونة الزوج وتنازله ويعمل بمسؤولياته فيسود التآلف ويحصل الحب والقرب والجذب والانسجام. **عن الإمام الباقر** (ع) : (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) الكافي٢/ ١١٩

**١٢٩ – ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أيها الأزواج أن تحققوا العدل الكامل بين تعدد الزوجات وتسووا بينهن في المحبة والأنس والمودة القلبية (**وَلَوْ حَرَصْتُمْ**) ولو بذلتم كل جهدكم لأن التسوية في المحبة وميل القلب ليست بمقدور الإنسان ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ البقرة/٢٨٦ ، والتكافؤ في ميل القلب بين الزوجين من الطرفين وليس من طرف واحد ، يحصل من تعادل وتبادل التكافؤ بينهما في الخلق والخُلق والذكاء والطبائع وفي كل المؤهلات ، لذلك صار العدل بين النساء على نوعين: **١–** عدل ممكن كالمساواة في النفقة وحسن التعامل والحذر مما يغيظ ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ النساء/١٩ ، كقوله ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾ النساء/٣ ، **٢–** وعدل غير ممكن في الميل والمحبة والمودة والرحمة كما في هذه الآية (**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا**

**تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ)** مع الزوجة المحببة لكم وتحرموا الأخرى من حقوقها وهذا يثقل عليكم ويخلق لكم المشاكل (**فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ)** فلا تظهروا الميل الكامل لإحدى الزوجات فتتركوا الأخرى فتجعلوها كالمعلقة لا متزوجة لها حقوق الزوجات ، ولا مطلقة تستطيع الزواج بمن تريد ، شبهت بالشيء المعلق بين السماء والأرض فلا هي مستقرة على الأرض ولا هي في السماء وهذا من أبلغ التشبيه ومن أشد الظلم ، ومن ظُلِمَ فقد تنغّص عيشه وكرهت أيامه وضاقت نفسه وعاش القلق والأرق (الظُّلْمُ فِيْ الدُّنْيَا ظُلُمَاتٌ فِيْ الآخِرَةِ) **(وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا)** وإن تصلحوا في القسمة بين الزوجات والتسوية العادلة الممكنة بينهن في النفقة وحسن المعاشرة، وتتقوا الله بالتمسك بالعدل والابتعاد عن الظلم (فَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) ولا تكرهوا النساء على إلغاء حقوقهن والتنازل عن مهرهن **(فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)** يغفر ما صدر من تجاوز منكم ويرحمكم لأنه يعتمد على قاعدة التقوى وحسن النية. **فائدة: ١- عن النبي (ص)** أنه كان يقسم بين نسائه ويقول : (اللّهُمَ هذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيما تَمْلِكُ ولاَ أَمْلِكُ) مجمع البيان٣/٢٤١.

**٢-** الآية عبرة لأصحاب الشهوات الذين يكثرون الزواج ويكثرون الطلاق وهم لا يقصدون من الزوجية إلاّ التمتع باللذات وتكريس الذات دون مراعاة نظام السكن الزوجي ولا يخطر على بالهم العدل لأنهم صغار العقول وعادة يكون الطلاق الميسور المبتذل ناتجاً من الزواج غير الكفؤ الميسور المبتذل ! والله تعالى يبغض كلّ ذوّاق من الرجال وكل ذوّاقة من النساء ، أي كثير الزواج والطلاق!! **في غرر الحكم:** (إِذَاْ كَمُلَ الْعَقْلُ نَقَصَتْ الشَّهْوَةُ)، (إِذَاْ كَبُرَ الْعَقْلُ صَغُرَتْ الشَّهْوَةُ، وَإِذَاْ كَبُرَتْ الشَّهْوَةُ صَغُرَ الْعَقْلُ). **٣-** ويعتمد القرآن على التقوى لعلاج كثير من المشاكل ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦ ، لأن التقوى صمام أمان من أي تجاوز ، لأنها رئيس الأخلاق وأقوى أساس وهي مصدر الخيرات. **٤-** يؤكد القرآن **(وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا)** في هذه الآية ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ آل عمران/١٨٦ ، **(وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا)** النساء/١٢٨ ، هذه وصية الله تعالى عند الخلافات في جميع الأحوال ، **عن النبي (ص)**: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يُحِبُّ الذَّوَّاقِينَ وَلاَ الذَّوَّاقَاتِ) كنز العمال خبر٢٧٨٧٦، ذوّاق: كثير الزواج والطلاق. **عن الإمام الصادق (ع)**: (مَا مِنْ شَيءٍ مِمَا أَحَلّهُ اللهُ عَزَ وَجَلَ أَبْغَضُ إِليهِ مِنَ الطَلاقِ، وإِنَّ اللهَ يَبْغُضُ المِطْلاقَ الذَوّاقَ) فروع الكافي٦ص٥٤.

**١٣٠ -** ﴿**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً**﴾

إذا امتنع التفاهم بين الزوجين ولم يتفقا في المعيشة ولم يستطيعا السكن الزوجي وحسن المساكنة والمعاشرة ولم يحصل التوافق بينهما ، وفشلت وساطات الخير وانقطع الأمل في استمرار العلاقة ، فيكون الطلاق هو الحل الأفضل (وهو أبغض الحلال عند الله) والتخلص من أشد الضررين وتحمل أهون العسرين ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، الفراق (الطلاق) فصل

الخطاب وآخر الدواء الكي وهو حسم أي نزاع زوجي مستعصي فالأرواح التي تتنافر لا يمكن أن تلتقي وتتعاشر لأنها تختلف في النفس ! فإن الله يعوّض كلاً منهما بحياة أرغد وزوجة أسعد (أو زوج أحسن) وعيشة أهنأ من تلك المعيشة المنكرة المنغصة (**وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً**) واسع الفضل على عباده وحكيماً في تدبيره لهم.

**١٣١ – ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾**

والله خلق جميع الكائنات العاقلة وغير العاقلة وهو مالكها ويعلم مستقرها ومستودعها ، ويهب الخيرات لمن يشاء كيف يشاء متى يشاء ، فهو صاحب الحق في التشريع وهو يستحق العبادة وحده (**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ**) ولقد وصينا الأولين والآخرين وأمرناكم بما أمرناهم به من الاستقامة على منهج الله (**أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ**) توصية الله الدائمة لعباده هي (**التقوى**) من وقى توقّى وحذر ، كما أتقي النار خوفاً من إحراقها كذلك أتقي الله بالإعراض عن معاصيه والتمسك بطاعته (وهو الورع عن محارم الله تعالى) وهو الإحساس النفسي بأن الله قريب منك فتهابه فإن التقوى تزكّي النفوس وتطمئن القلوب وتنظم الأمور المادية والمعنوية ، وبها تَحسن العبادة وتصدق الطاعة وتستقيم الأقوال والأفعال وتصلح الأفراد والمجتمعات وتصلح أمور الدنيا والآخرة ، ومنها تصلح الحياة الزوجية، **في غرر الحكم**: (**التَّقْوَى** : مُنْتَهَى رِضَاْ اللهِ مِنْ عِبَاْدِهِ وَحَاْجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ)، فمن ربح التقوى فقد ربح خير الدنيا والآخرة ، والتقوى صفة تكاملية من أخلاق الأنبياء وهي أحسن الأعمال وأفضل الأقوال وأكبر كنز وأعز حرز ، وأقوى عز، **في غرر الحكم**: (إِنَّ مَنْ فَاْرَقَ التَّقْوَى أُغْرِيَ بِاللَّذَاْتِ وَالشَّهَوَاْتِ ، وَوَقَعَ فِيْ تَيْه السَّيْئَاْتِ وَلَزِمَهُ كَثِيْرُ التَّبِعَاْتِ) ، (**وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً**) قابل ترك التقوى بالكفر ، كفر النعم أو كفر العقيدة وكفر الظاهر وكفر الباطن وكفر القول وكفر العمل... وإن تكفروا فلا يضره تعالى كفركم لأنه مستغنٍ عن العباد ولا حاجة لله إليكم وإلى تقواكم فله ما في السموات وما في الأرض وكل يسبح بحمده ويلهج بذكره ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿**فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً**﴾ فاطر/٣٩، وإنما وصّاكم رحمة بكم ، وكان الله غنياً عن خلقه وطاعتهم محموداً في ذاته سواء حمده الناس أم لم يحمدوه ، إذ يرجع إليه كل حمد في هذا الكون بشكل مباشر أو غير مباشر كقوله ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ الروم/١٨

**١٣٢ – ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾**

والله مالك كل شيء ومتصرف في شؤون خلقه كما يشاء بالحكمة القائمة على المصالح (**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**) حافظاً وقائماً بأمور عباده ، فلا يحتاج إلى معونة من أحد وهو ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ السجدة/٥ ، وكفى به مدبراً لكل ما خلق ، فلابد أن يتوكل جميع الخلق عليه لا على أحد سواه ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ الطلاق/٣، **في نهج البلاغة خطبة١٩٣:** يصف العلاقة بين الإنسان وربه (خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ).

**١٣٣ – ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً﴾**

تهديد خطير يكشف الله به عن سنة من سنن التأريخ والتكوين تسمى (**سنّة الاستبدال**) **!**
**والمعنى:** الذين يخرجون عن نظام التقوى ويسلكون سبيل الطغيان فإن (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ، وَمَنْ نَسِيَ اللهَ نَسَاهُ) مِنْ رَحْمَتِهِ، لأنه لا قيمة له ، فإن الله لو شاء أذهبهم واستبدل الأرض بأناس آخرين يؤمنون به (أو) يؤخرهم ويقدّم آخرين يقومون بما يرتضيه ، وكان الله على ذلك الاستبدال قديراً ، وإنّ الله لا يعبأ بهم شيئاً إن لم يطيعوه ، ولا يبالي بسوء مصيرهم، **في نهج البلاغة خطبة١٦٠**(في عظمة الله سبحانه): (فَأَمْرُهُ سُبْحَانَهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْمٍ) وأشار القرآن عن (**سنّة الاستبدال**) عدة مرات منها قوله : ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ محمّد/٣٨ ، ﴿**وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً**﴾ الإنسان/٢٨ ، وهو سبحانه قادر على ذلك.

**فائدة:** وإطلاق معنى الآية في الإذهاب أو الاستبدال ، يعطي معنى الاستئصال المرحلي والهلاك الدفعي أو التدريجي كقوله : ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ إبراهيم/١٩، بأية صورة يشاء وكيف يشاء في الحروب والأوبئة أو إعداد أناس آخرين تكون لهم الريادة في حمل الرسالة وتبليغها ومن مصاديق الآية في (**سنّة الاستبدال**) : يروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي (ص) على ظهر سلمان الفارسي (ع) وقال (ص) : (هم قوم هذا) يعني الفرس ، وتواترت هذه الرواية في عدّة مصادر معتبرة. **فائدة** : تنبيه للناس إلى التأمل في سنن الله القاهرة ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ الأنعام/٦١ ، التي جرت في حياة الأمم وكيف نهضت حضارياً ؟ وكيف انحدرت وتأخرت وماتت حضارياً ، وإن هذه السنن التأريخية إذا تعلقت بها مشيئة الله تعالى وقعت لا محالة وكان ذلك على الله يسيراً ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ يس/٨٢.

**١٣٤ – ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**

من كان يريد المكاسب الدنيوية ويترك التقوى والعمل للآخرة فقد فوّت الحظ الأوفر وخسر القسم الأكبر (**فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**) والعاقل البصير يعمل لهما معاً فيحرز الثوابين ويملك الدارين ، فلماذا يقصر نظره بمتاع قليل مؤقت ولا يطلق نظره لآفاق عالم آخر أشرف وأسمى من

الدنيا ، فمن أراد الله فعند الله ثواب وخيرات الدنيا والآخرة فليقترب إليه بالتقوى ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾ البقرة/٢٠١ ، (**وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً**) والله سميع لأقوال العباد بصير بأعمالهم ، **فائدة** : **في الآية دلالة** : إلى أن الدين يهدي أهله إلى ثواب الدنيا والآخرة ، وهذه هداية متوازنة متعادلة متبادلة للتي هي أقوم. **في غرر الحكم**: (صُنْ دِيْنَكَ بِدُنْيَاكَ تَرْبَحْهُمَاْ ، وَلاَ تَصُنْ دُنْيَاْكَ بِدِينِكَ فَتَخْسَرْهُمَاْ) ، **وفيه أيضاً**: (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ) ، **وفيه أيضاً**: (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَاْدِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَاْدَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَاْدِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ).

**١٣٥** – ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾

دعوة قرآنية عامة للمؤمنين خاصة كي يعدوا أنفسهم ليكونوا قوامين بالعدل الدائم ملتزمين به قولاً وعملاً ، في جميع مجالات الحياة دون انعطاف أو ضعف أو عدول عنه وانحراف نحو هوى أو خوف أو طمع ، جاءت (**قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**) صيغة مبالغة للقيام بوظيفة العدل على أعلى درجاته وفي أرقى مستوياته ، وهو الإنصاف المستمر على كلِّ صعيد بلا إنقطاع تأكيداً على الصلابة والقوة والحزم في العدل والحرص عليه والوفاء به **في غرر الحكم**: (أَعْدَلُ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ) ، لكي يصير العدل من طبعكم وأخلاقكم ، لأن بالعدل تستقيم الحياة وتصلح المجتمعات وتستثمر الطاقات وتؤدى الخدمات (**شُهَدَاءَ لِلَّهِ**) تقيمون شهاداتكم الخالصة بالحق لوجه الله دون تحيز ولا مجاملات بأن تتحروا الحق الذي يرضاه الله من غير مراعاة أحد ، فتكون الشهادة لله سبحانه هي عين الشهادة للناس بالعدل و(العَدْلُ مِيْزَاْنُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ) ، فإن الاعتداء على العدل والاستهانة به هي عين الاستهانة بالله العزيز القهّار الذي ليس كمثله شيء.

(**وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**) قُلْ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ لأن (الشَّهَاْدَةَ إِظْهَاْرُ الْحَقِّ) كائناً من كان ولو كانت الشهادة بالحق مضرّة لأنفسكم أو والديكم أو أقاربكم ، لأن أداء الشهادة بالحق تقوم على استرجاع الحقوق ، وما هو مفقود من مصالح شخصية أو مصالح الوالدين والأقربين، ودون أي ميل أو إذعان عاطفي أو نتيجة فقر أو غنى (**إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**) إن يكن المشهود عليه أو له (غنياً أو فقيراً..)، الجميع سواسية أمام القانون العادل ، فلا يكن الغنى أو الفقر مبرراً للتحريف والتزييف والله أولى بهما وأعلم بما فيه صلاحهما ، كيف والشهادة دين وإيمان واستقامة وتقوى (**فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا**) والنهي عن إتباع الهوى والمزاج عند أداء الشهادة مخافة العدول عن الحق والانحراف عن الاستقامة ، بل إلزموا الحق على كل حال ، والعدل في كل الأشكال حتى مع غير المسلمين لا طلاق معنى (**قَوَّامِينَ**) (**وَإِنْ تَلْوُوا**)

والنهي أن تلوا ألسنتكم وتغيّروا وتماطلوا وتسوفوا عن شهادة الحق وتحرفوها أو تبدلوها (**أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**) أو تعرضوا عن الشهادة فلا تؤدوها ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ المائدة/٨ ، فالله خبير بأعمالكم ومجازيكم عليها ، **فائدة: دلالة الآية على** وجوب الأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ ، فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ**﴾ البقرة/١٤٠ ، ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾ الفرقان/٧٢.

**١٣٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾**

خطاب تربوي قرآني لكل المؤمنين الصادقين ، آمر إياهم أن يعلموا عناصر الإيمان وأن يزدادوا في مستويات الإيمان ويعلموا آفاقه ويعملوا بها فله عدة درجات وأن يعملوا به ويثبتوا عليه ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ محمد/١٧ ، فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وذكر أهم عناصر الإيمان (**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ**) آمنوا بالله ورسوله والقرآن والكتب التي أنزلها على الأنبياء قبله قبل التحريف ، لأنها تهدف إلى هدف مشترك سامٍ ، فبينهم تعدد أدوار ووحدة هدف ، فالإيمان بواحد من حقائق المعارف لا يتم إلاّ مع الإيمان بجميعها ، فمن النفاق الإيمان ببعض والكفر ببعض ، فكل واحد من عناصر الإيمان يستلزم الآخر ، مما يشكل لدى المؤمن الواعي وحدة تصويرية متكاملة لا انفصام لها ولا انقطاع ، وهذا يدل أن الله لم يترك عباده في أيّ زمن بلا هداية ، ثم توعد من كفر بذلك (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**) وأي قبول لبعضها ورفض بعضها الآخر يعني رفضاً لكل عناصر الإيمان لأن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ والدخول في معسكر الكفر والضلال البعيد ، لأنه إما يتبع الهوى وهو إله معبود ، ﴿**وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ص/٢٦ ، وإمّا يقلد عن جهل ويتبع عن عمى بلا تدبر وهذا يدل أنه بلغ النهاية في الضلال وسوء الأفعال ، مما يصعب معها الرجوع لطريق الهداية.

**فائدة:** هناك بعض المداخل الخطيرة في طرق الضلال يصعب الرجوع عنها ، فإن بَقي فيها يكون في خطر وإن خرج منها يكون في خطر ، فهو بين خطرين أيسرهما مرٌّ !! فعلى الإنسان أن يفكر ويتأكد قبل الدخول في أي أمر فيعرف مداخله ومخارجه كقوله ﴿**رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾ الإسراء/٨٠ ، **في نهج البلاغة خطبة١٥٤**: (العَامِلُ بغَيْرِ علم كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاَّ بُعْداً عَنْ الصَّوَابِ)! كقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ**

**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ، أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾** النساء/١٥٠-١٥١.

**١٣٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾**

تتحدث الآية عن أُناس ضعاف النفوس والعقيدة والمواقف والأخلاق ، مذبذبين منافقين يتردّدون بين حالتي الإيمان والكفر قبولاً ورفضاً حسب إختلاف مصالحهم فلا يزالون على هذه الحال زماناً حتى استحكمت فيهم هذه الصفة الخسيسة ثم تزداد حالة الكفر لديهم وتستحكم فلا يجدون في أنفسهم بعد هذا التذبذب الغريب قدرة على العودة إلى الله والإيمان الحقيقي ، فلا يستحقون الهداية والدراية والرعاية والحماية لأنهم لا يستحقون المغفرة ، وأتوا بأكبر الذنوب مما منعهم من حصول الهداية (والْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) ، فإن كفرهم يكون عقوبة لهم فطبع الله على قلوبهم **﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾** يونس/٧٤ ، **﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** المطففين/١٤ ، **في غرر الحكم: (أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ:** ذَنْبٌ صَغُرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ) وَأَصَرَّ عَلَيْهِ فَاْعِلُهُ، وَاِسْتَهَاْنَ بِهِ عَاْمِلُهُ، وَاِسْتَخَفَّ بِهِ رَاْكِبُهُ. **فائدة** : جرت سنة الله بأن يكون كسب البشر لعلومهم وأعمالهم مؤثراً في نفوسهم ، فلما طال عليهم أمد الذنوب الكبيرة قست قلوبهم وتلوثت فطرتهم وفسد فكرهم وسلوكهم حتى صارت حجاب على عقولهم فلم تقبل نور الإيمان ولا الدليل والبرهان ، حتى ازداد العصيان فلا يستحقون الغفران كقوله **﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمْ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**الحديد/١٦، **عن النبي** (ص): (تَرْكُ الْعِبَاْدَةِ يُقَسِّيْ الْقَلْبَ، تَرْكُ الذِّكْرِ يُمِيْتُ النَّفْسَ) تنبيه الخواطر ص٣٦٠

**١٣٨ - ﴿بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾**

البشارة لا تستعمل غالباً إلاّ في الأخبار السارة ، فاستعمالها في الأخبار السيئة يكون من باب التوبيخ والاستصغار ، تهديد قرآني للمنافقين بالعذاب الأليم لأنهم كانوا يشكلون مصدر خطر على استقرار المجتمع الإسلامي ، فكان لهم الأثر الكبير في تثبيط الشباب عن الجهاد ونشر الشكوك والشبهات في أوساطهم. **فائدة : عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّ النِّفَاْقَ يَبْدُو لَمْظَةً (نقطة) سَوْدَاءَ فِي الْقَلْبِ، فَكُلَّمَاْ ازْدَادَ النِّفَاْقُ اِزْدَادَ السَّوَادُ ، فَإِذَا اِسْتَكْمَلَ النِّفَاْقُ اسْوَدَّ الْقَلْبُ) كنز العمال خبر١٧٣٤.

**١٣٩ - ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾**

أولئك الذين يوالون الكافرين وأعداء الدين ويتخذونهم قادةً وأعواناً وأنصاراً لما يتوهمونه فيهم من القوة والقدرة ويتركون ولاية المؤمنين لما يتوهمونه فيهم من الضعف والاستضعاف ، فيقدمون التنازلات على حساب دينهم ليحققوا مكسباً مادياً أو جاهاً ليوافق هوى أنفسهم لما يريدون من

العزة (**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ**) استفهام إنكاري أيطلبون بموالاة الكفار القوة والغلبة والجاه والأموال ، فإنهم لا عزة لهم ولا إيمان لهم ولا وفاء فإذا اصطدمت مصالحهم تنكرت أحوالهم وبشعت أعمالهم ! (**فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**) والعزة من معاني القوة والقدرة والملك والعلم.. والملك لله وحده لأنه الخالق وحده ومصالح العباد بيده ومشيئته نافذة فيهم وهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ضمن قانون الأسباب والمسببات، فإن مقادير العباد بيده سبحانه وتعالى ومشيئته نافذة فيهم ، وقد تكفّل بنصر دينه وغلبة عباده المؤمنين ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**﴾ الأنبياء/١٠٥، ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ هود/٤٩، ولو تخلل تلك الحقيقة بعض الإمتحانات لعباده المؤمنين، ونصرة العدو الغادر الفاجر عليهم ولكنها نصرة غير مستقرة وغير مستمرة ، فإن للباطل جولة ومهلة وللحق دولة وعزة﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ**﴾ النور/٥٥، فعليهم أن يطلبوا العزة من الله بصادق إيمانهم وإتباعهم هدايته. **عن الإمام علي** (ع):(كُلُّ عَزِيْزٍ دَاْخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيْلٌ) تحف العقول ص١٥٣،**في غرر الحكم**:(مَنِ اِعْتَزَّ بِغَيْرِ اللهِ أَهْلَكَهُ العِزُّ!).

**فائدة:**

مصدر العزة واحد هو الله العزيز المتعال، فإن ركنت إليه واطمأنت النفس استعلت على من دونه ، فإن لم تطمئن النفس لله وعزته وعبوديته ، استعبدته قيم شتى وأشخاص شتى ومحاذير شتى ، ثم يرتكب انحرافات شتى ، إذن : إما العزة لله كلها استعلاء وانطلاق وقوة ، وإما عبودية لطواغيت الأرض وكلها تبعية وذلة والناس خوفهم من الذل أوقعهم في الذل ، وساعة ذل لا تفي بالعمر كله! **عن النبي** (ص): (مَنْ أَرَاْدَ أَنْ يَكُوْنَ أَعَزَّ النَّاْسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ) البحار٧٠/٢٨٥، ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ المنافقون/٨ ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ أَرَاْدَ عِزّاً بِلاَ عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلا سُلْطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَالٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللهِ) البحار٧٨ص١٩٢ و(مَنِ اِعْتَزَّ بِغَيْرِ اللهِ ذَلَّ) في الدنيا والآخرة. وتقدّم مثلها في آل عمران/٢٨. وفي هذه الاية تحذير شديد من موالاة الكافرين وترك مولاة المؤمنين ، وإن ذلك من صفات المنافقين ، لأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين ومساندتهم ، وبغض الكافرين وعداوتهم. والقرآن يؤكد تحريمه لذلك في عدّة آيات كقوله ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ آل عمران/٧٣ .

﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ البقرة/١٢٠ ، ﴿**لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ المائدة/٥١ ، ﴿**لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ آل عمران/٢٨ ، الذين يعتمدون الكافرين أنصار وأعوان من

دون المؤمنين فإنه أكبر دليل عملي على شخصيتهم المنافقة التي ليست لها من الإيمان شيء بل هم خطر على المؤمنين.

**١٤٠ -﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾**

تحذير عام لكل مكلف من مجالسة الكافرين والمتهتكين والاستماع إلى حديثهم التافه ، وإستهزائهم بالرسول والرسالة وسخريتهم من الدين والإيمان والقيم والمبادئ والأخلاق ، هذه الآية تذكر المسلمين في مكة قبل الهجرة قوله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ الأنعام/٦٨، وكان بعض المسلمين في مكة يجلسون في مجالس المشركين فيسمعون ذماً وقدحاً على النبي (ص) ولا يستطيعون دفعه ، فنزلت بهم آية الأنعام تذكرهم بالابتعاد عن تلك المجالس ، أما في المدينة بعد الهجرة أعاد بعض المسلمين مجالسة المنافقين واليهود وهم يخوضون في زرع الشبهات وذم الإسلام فنزلت هذه الآية المدنية لتذكر المسلمين بالقاعدة الكلية : وتأمرهم بمقاطعة المنافقين والكافرين المستهزئين بآيات الله وأشعروهم بالفعل قبل القول أنهم منبوذون محتقرون مكروهون، فإذا لم تستطع تغيير المنكر استنكره (**أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**) ثم قال تعالى (**إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ**) فقعودكم معهم في مجالس لا أخلاقية مشاركة لهم ، ولا تليق بالمؤمن معاشرة السفلة ومجالستهم ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ**﴾ الأعراف/٢٠٢.

**في غرر الحكم:** (كُنْ بِالْوَحْدَةِ آنَسُ مِنْكَ بِقُرَنَاْءِ السُّوُءِ) ، والذي يجلس معهم يكون مثلهم ، ومثلهم كالصاحي مع السكارى أو كالعالم بين الجهلاء !! فإن الراضي بالكفر كافر، والرَّاْضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِيْ عَمَلِهِمْ ، والْعَاْمِلُ بِالظُّلْمِ، وَالرَّاْضِيْ بِهِ، وَالسَّاْكِتُ عَنْهُ، وَالْحَاْضِنُ لَهُ شُرَكَاْءُ فِيْ الظُّلْمِ، **عن النبي** (ص): (**المرءُ مَعَ مَنْ أحبَ**) كنز العمال خبر٢٤٦٨٤، في الآية دلالة واضحة على وجوب الإعراض والتصدي بالقدر الممكن عن كل من يخوض بالباطل على إطلاق معناه أو يعبث ويسخر من قضايا الأخلاق والتدين والخير والصلاح في القول والعمل وفي جميع وسائل الإعلام المرئية والمصورة والصوتية ، وهذا يشمل الإعراض عن صديق السوء وجار السوء وصحبة السوء وفكر السوء وعمل السوء ومهنة السوء وأفلام السوء وكل سوء. **وفي الآية إشارة** بأن مجالسة الكافر أو الفاسق مباحة ذاتاً ومحرمة عرضاً أي إذا إشتملت على الحرام أو تؤدي إلى الحرام (**فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ**) إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ المؤمنون/٣. **عن النبي** (ص) : (جَاْمِلُوْا الأَشْرَاْرَ بِأَخْلاَقِهِمْ تَسْلَمُوْا مِنْ غَوَاْئِلِهِمْ وَحِقْدِهِمْ، وَبَاْيِنُوْهُمْ (خالفوهم) بِأَعْمَاْلِكُمْ كَيْلاَ تَكُوْنُوْا مِنْهُمْ) البحار٧٤/١٩٩، (**إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**) وهذا الوعيد منه سبحانه للتحذير من مخالطتهم ومجالستهم ، إنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالدين في الدنيا سيجتمعون في العقاب يوم القيامة،

**وعن الإمام الصادق** (ع): (فَرَضَ اللهُ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْ الاِسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ الله وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَهُ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَالإِصْغَاءُ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللهُ ثم ذكر الآية) كنز الدقائق٢/٦٥٧، ثم استثنى موضع النسيان (الغفلة) فقال تعالى ﴿**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ الأنعام/٦٨) ، **في نهج البلاغة حكم٣٧٠**: (أَيُّهَا النَّاسُ : إِتَّقُوْا اللهَ ، فَمَا خُلِقَ إِمْرُؤٌ عَبَثَاً فَيَلْهُوُ ، وَلاَ تُرِكَ سُدَىً فَيَلْغُوْ!)

**١٤١** – ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾

تُصَوِّرُ الآية حركات وضيعة من صفات المنافقين الانتهازيين، فهم يتحينون الفرص للشماتة بالمسلمين. كان المنافقون يخرجون مع المسلمين في الحروب لغرض الدس وتفريق الكلمة والخيانة وتخذيل الجيش ، ويتظاهرون بأنهم خرجوا لنصرة المسلمين، **وَيَتَرَبَّصُونَ** بمعنى ينتظرون وقوع أمرٍ بكم (**فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**) في النصر فليكن لنا سهم من الغنائم (**وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ**) في الظفر عليكم والغلبة على المسلمين (**قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ**) **والاستحواذ** : الغلبة والتسلط (**وَنَمْنَعْكُمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**) قال المنافقون للمشركين : ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم القدرة وثبطنا عزائم المؤمنين وأفشينا أسرارهم لكم حتى انتصرتم عليهم ؟ فهاتوا نصيبنا مما أصبتم من الغنائم المادية والمعنوية لأننا نواليكم ونمنع من يؤذيكم ونطلعكم على أسرار المؤمنين (**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فيجزي الصادقين بصدقهم والمنافقين أعدّ لهم عذاباً أليماً (**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**) هذه حقيقة من الحقائق الواقعية الكبرى التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير إنها مرتبطة بسنن الله في التكوين والتشريع وتشمل المجتمع وليس الأفراد ، **فتذكر الآية** : إنّ المؤمنين إذا صدق إيمانهم إنتصروا وعلو كقوله : ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ آل عمران/١٣٩ ، كما تمتلك بعداً تشريعاً بالمنع عن كل عمل يؤدي إلى علو الكافرين وذل المؤمنين أمامهم، والدفع إلى الأمام نحو تهيئة كل الأسباب اللازمة والممكنة التي تؤدي إلى هيبة المؤمنين وقوتهم ، لتشكل قاعدة أساسية لتقوية الشعور بالنهوض الحضاري العام سواء على الصعيد الداخلي للأمة الإسلامية أو على صعيد العلاقات الواسعة المحلية والدولية ، فكل عمل أو معاهدة أو ميثاق جعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً يُعدُّ ملغى لا قيمة له **عن النبي (ص)**: (الإِسْلاَمُ يَعْلُوُ وَلاَ يُعْلَى عَلَيْهِ) وسائل الشيعة١٧/٣٧٦، كما روي عن النبي (ص) وهذه الآية تبعث اليأس في نفوس المنافقين وغيرهم لئلا يستمروا في ضلالهم وتلونهم وضياعهم (**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**) ولن يجعل

الله للكافرين إنتصاراً أو تسلطاً على المؤمنين لا من النواحي العسكرية ولا السياسية ولا الثقافية والإقتصادية وغيرها ، والمؤمنون هم الأعلون بشرط المحافظة على شروط الإيمان ، والآية تكشف عن قانون الجماعة المؤمنة وليس قانون الأفراد ، وما غُلب المسلمون على أمرهم إلاّ بتركهم هدى القرآن وعاشوا اسم الدين بلا مضمون ، فذلوا بعد عزة ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢، وجاءت كلمة (**سَبِيلاً**) نكرة وعامة المعنى وجامعة المغزى ، فإن المؤمنين هم الأعلون على الدوام وما داموا ملتزمين بشروط الإيمان الأصيل الثابت المنطلق من رضا الله وإعلاء كلمته ، والبعيد عن الهوى والشهوات وحب الذات وإلغاء الآخر ، وما غُلب المسلمون على أمرهم وضعفوا وذلّوا إلاّ بتركهم شروط الإيمان فآمنوا ببعض وتركوا البعض ، فذلوا بعد قوة جيلاً بعد جيل ، ودخلوا عليهم في عقر دارهم **في نهج البلاغة خطبة٢٧**: (اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَاْ غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوْاْ) وجاء (غُزِي) نكرة للدلالة على الكثرة والتهويل أي أنواع الغزو كالغزو الفكري والثقافي والعقائدي والعسكري.. **عن النبي (ص)** : (لاَ تَزَاْلُ طَاْئِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّاْمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللهِ لاَ يَضُرُّهَاْ مَنْ خَاْلَفَهَاْ) كنز العمال خبر٣٤٤٩٧، **وعنه (ص)**: (لاَ تَزَاْلُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَفِي كَنَفِهِ مَاْ لَمْ يُدَاْهِنْ قُرَّاْؤُهَاْ أُمَرَاْءُهَاْ وَلَمْ يَزَلْ عُلَمَاْؤُهَاْ فُجّاْرُهَاْ وَمَاْ لَمْ يُهِنْ خِيَاْرُهَاْ أَشْرَاْرُهَاْ ، فَإِذَاْ فَعَلُوْاْ ذَلِكَ رَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ يَدَهُ ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَاْبِرَتُهُمْ..) تنبيه الخواطر ص٦٨.

**فائدة: ١-** يستخدم القرآن كلمة (**فَتْحٌ**) لإنتصار المسلمين وكلمة (**نَصِيبٌ**) لإنتصار الكفّار ، لبيان أن نصرة الكافر عابرة ولذة زائلة ، بينما نصر المؤمنين نعمة باقية لأن أساسها الحق (والحق أقوى ظهير وأفضل نصير) وللدلالة أن للحق دولة وللباطل جولة ومهلة. **٢-** يمكن التواصل مع الكفّار لاكتساب العلوم المتنوعة والصناعات المختلفة بشرط أن لا أكون تبعاً لهم ومن دون تسلط وغلبة على المؤمنين **كقول النبي** (ص) : (أُطْلُبُوْاْ الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّيْنِ) تفسير النور١٧٩/٢، ولكن يُحرم أي تواصل يجعل الكفّار متسلطين على المؤمنين ويتحكمون بهم ، وعلى المسلمين أن يحصلوا على الاستقلال التام في جميع المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية والثقافية ، وهذه المقدمات تعطيك تلك النتائج (**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**).

**١٤٢ -** ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾

**الخداع** : إيهام الغير على شيءٍ فيظهره على غير حقيقته. يخادعون الله بمعنى يخادعون رسول الله (ص) فيظهرون له الإيمان ويبطنون الكفر ، ونسب ذلك إلى الله لأن معاملة الرسول بالمخادعة كمعاملة الله ومن خان الرسول فقد خان الله تعالى ، (**وَهُوَ خَادِعُهُمْ**) مجازيهم ومعاقبهم على

خداعهم كقوله ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾ الأعراف/١٨٢-١٨٣ ، فيتركهم في غيهم وهم يسيرون إلى سوء العاقبة بسوء تصرفهم وخبث ضمائرهم ونياتهم ، فمخادعتهم لله هي مخادعة لأنفسهم بسوء اختيارهم لها ما يضرهم ولا ينفعهم ولكن لا يشعرون ! كقوله ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ آل عمران/٥٤، (**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى**) متثاقلين وهي علامة حسية واقعية على النفاق الخطير وعدم ثبات الإيمان في قلوبهم ، والكسل لا يكون إلاّ بفقدان الرغبة إلى الصلاة من قلوبهم ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ البقرة/٤٥ **عن الإمام علي** (ع): (إِنَّ الأَشْيَاءَ لَمَّا ازْدَوَجَتْ ازْدَوَجَ الْكَسَلُ وَالْعَجْزُ فَنُتِجَا بَيْنَهُمَا الْفَقْرَ) الكافي٥/٨٦ وإلاّ فالصلاة تعني قمة الوعي وصلة المخلوق الضعيف بخالقه القدير والاستمداد منه الرحمة والنور والاطمئنان بالاستقامة على نهجه، وهي حالة لا تنسجم مع الكسل والملل **عن الإمام علي** (ع) : (الصَّلاةُ مِيزَانٌ: فَمَنْ وَفَّى، اسْتَوْفَى!) البحار٨٤/٢٦٤، (**يُرَاءُونَ النَّاسَ**) يبتغون بذلك أن يراهم الناس فيعدّوهم من المؤمنين ، ولا يصلون حين لا يوجد احد البشر، وقلبهم لا يتوجه لله ، وما أقبح الإنسان ظاهره جميل وباطنه عليل ، لأنه يعمل للناس ولا يعمل لله عز وجل، ومن يعمل لغير الله وكله الله إليه لذلك يكون الرياء شركاً ! (**وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**) لا يصلّون إلاّ قليلاً وأمام الناس لإنشغال بالهم بمراءاة الناس وغفلة قلبهم عن الله تعالى ، وأمثال هؤلاء في كل زمان ومكان، **فائدة: سئل الإمام الرضا** (ع) **عن قوله:** (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) التوبة/٧٩، (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) آل عمران/٥٤ وقوله (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) البقرة/١٥ وقوله (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) النساء/١٤٢ **فقال:** (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَ لا يَسْخَرُ ولا يَسْتَهْزِئُ ولا يَمْكُرُ ولا يُخَادِعُ وَلَكِنَّهُ يُجَازِيْهِمْ جَزَاءَ السُخْرِيَةِ، وجَزَاءَ الاسْتِهْزَاءِ، وجَزَاءَ المكْرِ والخَدِيْعَةِ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) تفسير النور٢/١٨٠ ﴿**هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأعراف/١٤٧، و(الْعُقُوْبَةُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ)، **في غرر الحكم:** (نِفَاْقُ الْمَرْءِ مِنْ ذُلٍّ يَجِدُهُ فِيْ نَفْسِهِ).

**١٤٣** – ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾

**مُذَبْذَبِينَ** : متلونين بين الكفر والإيمان ، تحقير للمنافقين وبيان لوضعهم القلق ونفوسهم المهزوزة وهو أمر عام ينعكس على تفاصيل حياتهم ، فهم يعيشون مذبذبين متقلبين مترددين مضطربين بين الكفر والإيمان وهم في حيرة من دينهم، أعطوا قلوبهم للكافرين ولسانهم للمؤمنين مما يجعل شخصيتهم مضطربة ونفسهم قلقة وأيامهم كريهة وعيشهم منغّص لأنهم لا يخلصون إلى أحد فهم يخونون حتى أنفسهم وما ذلك إلاّ الضلال البعيد عن هداية الله (**وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**) ولن يجد الضالون عن هدى الله الحائرون في سلوكهم سبيلاً لحياة إنسانية كريمة كقوله ﴿**فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلالَةُ**﴾ الأعراف/٣٠ ، وهكذا الَّذِيْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ الْهُدَىْ يَلِيْقُ بِهِ

الضَّلاَلُ ، **عن الإمام علي** (ع): (الَّذِيْ لا يَنْفَعُهُ الحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَالَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُّ) البحار٧٧/٢٩٣، وهؤلاء لن تجد لهم سبيلاً ينقذهم من حيرة الضلالة ويخلصهم من ظلمات الجهالة ، لأن الله تخلى عنهم وأوكلهم إلى أنفسهم لفسادهم ، ومن كان هذا شأنه لا يرجى منه رشدٌ وصلاح. **في غرر الحكم**: (أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجِزَ عَنْ إِصْلاَحِ نَفْسِهِ) والذي لا يمتلك موقف ثابت أي لا يمتلك الاستقامة بمعنى أنه لا يمتلك فكراً ثابتاً ولا نفساً مستقرة ولا قلباً مطمئناً فهو يعيش القلق النفسي والأرق الليلي وفي هذا خسران الدنيا والآخرة.

**١٤٤ -** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

**أَوْلِيَاءَ**: أنصار وأعوان وقادة. تكرر هذا التحذير الخطير في القرآن لأنه تجاوز لحدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/٢٣٠. **المعنى:** من صفات المنافقين إتخاذ الكافرين أنصار من دون المؤمنين متجاوزين ولاية المؤمنين ومستغنين عنهم وشبيه الشيء منجذب إليه ، نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة التي تعتبر جريمة وخرقاً لمنهج الله تعالى لأنها ضرر عليكم وعلى المسلمين ومن جميع الوجوه (**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً**) **سلطاناً** : حجةً بالغة ودليلاً واضحاً أي أتريدون أن تجعلوا لله حجة بالغة عليكم أنكم منافقون ؟ تستحقون بها العقاب الشديد في الدنيا والآخرة ، باعتمادكم على صحبة الكفار ونصرتهم والتخلّي عن جماعة المؤمنين وخذلانهم. وتقدَّم شرح مثلها آل عمران ٢٨ ، **في نهج البلاغة حكم٢٩٥**: (وَأَعْدَاؤكَ ثَلاَثَةٌ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ)، تشرح الايتان من سورة النساء ١٣٩-١٤١ علاقة المنافقين بالكفار فإن تولي المؤمنين والتبري من الكافرين من لوازم الإيمان، لأنه لا مكان لحبّين وولاءين في قلب واحد ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ الأحزاب/٤، يطيع الله في قلب ويُرضي أعداء الله (وقوى الشر) في قلب! ، **ومعنى ذلك** إنّ الذي لا ينصر الحق فهو يساهم في نصرة الباطل ، **وفي هذا دلالة**: إنَّ أي عزل أو تنصيب أو اي إجراء يؤدي إلى تسلط الكفار على رقاب المسلمين فهو حرام وخيانة ومن الذنوب الكبيرة ، فإن فاعلها يجعل الله عليه سلطاناً مبيناً.

**١٤٥ -** ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

كما إنّ الجنة درجات والإيمان درجات ، كذلك الضلال درجات والنار دركات أي طبقات باعتبار الدرجات إلى الأعلى في التكريم والنعيم والدركات هبوط إلى الطبقات السفلى في الجحيم الأليم ، والنفاق ذنب كبير وجرم خطير وضرر مرير ، والنفاق حالة تقلّب وتلوّن وتذبذب ، لذلك يكون العقاب على قدر الجناية، إنهم في أسفل دركات العذاب وتحت سائر الكفار ، لأنهم جمعوا بين الكفر والنفاق ومساوئ الأخلاق، كالمكر والخديعة والشماتة بالمؤمنين ومعاداتهم والتآمر عليهم بشكل فني ظاهره يسر وباطنه يضر، وشاركوا في ظلمهم وسفك دمائهم وارتكبوا ما يسخط الله ،

ويضر بالناس فاستحقوا أشد العذاب (**وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**) وليس لهم منقذ من عذابه الشديد ولا ناصر يخلصهم من عقابه المديد ، لأنهم شر أهل النار ، ويكون (الْجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ). **فائدة** : **١- طبقات النار سبع** : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ، **٢-** قال تعالى عن المنافق : ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ النساء/١٤٣ ، حرموا أنفسهم من نعمة الهداية في الدنيا ، وقال تعالى هنا (**وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**) كما ضلوا عن الهداية وهنا ضلوا عن إيجاد النصير والمخلّص ، إنها خسارة من جميع الوجوه. **٣-** قال (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ**) ولم يقل (**إنّ الكافرين**) لخطورة النفاق ، لأن المنافق عدوٌّ مستور والكافر عدوٌّ مشهور. **في غرر الحكم**: (نِفَاْقُ الْمَرْءِ مِنْ ذُلٍّ يَجِدُهُ فِيْ نَفْسِهِ)

والنفاق يفسد الإيمان وأخو الشرك وتوأم الكفر ومثل الإلحاد.

**١٤٦ -** ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾

وهذا استثناء للذين (**تَابُوا**) ندموا واعترفوا بالذنب وأحسوا بالخطأ والخطيئة وخرجوا من النفاق ولحقوا بالإيمان قولاً وفعلاً وظاهراً وباطناً وعادوا إلى الله تعالى (**وَأَصْلَحُوا**) فالتوبة لا تنفع دون إصلاح لما فسد منهم من فكر وقناعات خاطئة وطبائع سيئة وسلوك منحرف ، وهكذا الإسلام حسن عبادات تؤدي إلى حُسنُ معاملات (**وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ**) فالإصلاح ينفع إذا كان منطلقاً من الاعتصام والتمسك بالله وهو القرآن والسنة الشريفة الصحيحة (**وَأَخْلَصُوا**) فالاعتصام ينفع بقدر الإخلاص، **عن الإمام علي** (ع): (فِي الإِخْلاَصِ يَكُوْنُ الْخَلاَصُ) تنبيه الخواطر ص٣٩٠ (**دِينَهُمْ لِلَّهِ**) وحده دون شائبة هوى أو شرك أو رياء.

**عن الإمام علي** (ع): (دِينَكُمْ دِينَكُمْ ! فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَسَنَةِ فِي غَيْرِهِ، وَ السَّيِّئَةُ فِيهِ تُغْفَرُ وَ الْحَسَنَةُ فِي غَيْرِهِ لا تُقْبَلُ) مستدرك نهج البلاغة٣/٣٦٨، لذلك صار الدين هو الحياة فهو ضرورة حياتية لتزكية النفس (**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**) ولن يكونوا من المؤمنين حتى يتصفوا بهذه الأوصاف ويُعرفوا بها ويستمروا عليها (**وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً**) لا يمكن وصفه وتخيله و التعبير عنه ، جزاء سلامة عقيدتهم وخلوص نياتهم وحسن سيرتهم وصالح أعمالهم ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٧، **فائدة: ١-** إذا تمكن النفاق من تخريب القلوب وتلويث الأرواح ، فلا يزيله إلاّ جملة إصلاحات متوالية غير منقطعة تشمل القول والعمل والشكل والمضمون وهي (**تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا**) ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، **٢- عن النبي (ص)** : (أَخْلِصْ دِيْنَكَ يَكْفِيْكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ) البحار٥٧ص٥٢، **وعنه (ص)**: (مَنْ أَخْلَصَ للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ) مواهب الرحمن١٠/٨٣.

**١٤٧ -** ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**﴾

تعبير قرآني تربوي شفاف عن اللطف الإلهي بعباده وتذكير به ، وبالتالي فالإنسان هو الذي يحرّمُ على نفسه لطف الله الشامل ، **المعنى** : الاستفهام للإنكار ، أي منفعة لله في عذابكم؟ إنه سبحانه لم يترك وسيلة لتخليصكم من الضلال إلاّ أوضحها ، إنه يحب أن يكون عباده في نعيم جنته وقد فتح لكم باب التوبة ليتوب عليكم ويرحمكم ، إذاً لماذا يعذبكم أيتشفى به من الغيظ ، أم يدرك به الثأر، أم يدفع به الضر ويستجلب النفع وهو الغني عنكم وأنتم الأغنياء به ؟ كلا لا يعذبكم عن طاعة ولكن عن معصية وتجاوز الحدود وتكونون ضرراً على العباد والبلاد ، عذاب الله يعتمد على العدل لا على الانتقام (فإن عذّب فغير ظالم، وإن غفر فخير راحم) **(وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً)** شاكراً لمن شكره وعليماً لمن يثيب يجازي الشاكرين بأضعاف ما يستحقون ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ إبراهيم/٧.

## الجزء السادس من القرآن الكريم

**١٤٨ – ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾**

**الجهر** : **الإعلان** ، كلام السوء بكافة أشكاله ، والتهجم على الناس بالفحش والشتم وسيء القول والإعلان عنه وإذاعته والتشهير بالعيوب والتسقيط الإجتماعي الذي يفقد الإنسان ثقته وكرامته بين الناس ، إنه كلام لا يحبه الله وتصرف يبغضه الله ، وهو كناية عن الكراهة الشديدة التي تقترب من التحريم **(إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ)** باستثناء المظلوم فإنه مسموح له ان يدافع عن نفسه ويظهر حقه ويجهر بإعلان ظلامته والتعريف بها أمام من يهمه الأمر ويذكر سيئات من أساء إليه واعتدى عليه ولا يتعدى الحدود فيذكر غير ظالمه ، **والآية ذات دلالة واسعة** فتشمل كل من يفسد في البلاد والعباد بأنواع الفساد ويسفك الدماء وينشر الإرهاب ويسلب الأموال وينتهك الأعراض.. فلا حرمة له ولا لدمه! **(وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)** يسمع أقوالكم ويعلم بنياتكم. **فائدة:** الإسلام يعمل على بناء مجتمع موحّد متماسك يشد بعضه بعضاً بوحدة الصف والكلمة ، ويعمل على إشاعة روح الثقة والمحبة وحسن الظن ، والجهر بالسوء يتنافى مع ذلك إلاّ المظلوم فعليه إظهار ظلامته ممن ترجى نجدته ومساعدته على إزالة هذا الظلم فإن الله لا يحب لعباده أن يسكتوا على الظلم ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ الشورى/٣٩، (مَاْ ضَاْعَ حَقٌّ وَرَاْءَهُ مُطَاْلِبٌ). **فائدة ١–** كقوله ﴿**وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ الشورى/٤١. **٢–** اعتبر القرآن نشر عيوب الناس والمتاجرة بفضائحهم وتسقيطهم الإجتماعي من الذنوب الكبيرة كقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ النور/١٩، **عن الإمام الصادق** (ع): من مصاديق الآية (مَنْ أَضَاْفَ قَوْمَاً فَأَسَاْءَ ضِيَاْفَتَهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ ظَلَمَ، فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمْ فِيْمَاْ قَاْلُوْاْ فِيْهِ) وسائل الشيعة١٢/٢٨٩.

**١٤٩ – ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾**

هذا ترغيب في الخير المادي والمعنوي على إطلاق معنى الخير ، إن تظهروا نعمة أنعمها منعم في السر والعلن (**أَوْ تُخْفُوهُ**) ليكون العمل الصالح أبعد عن الرياء (**أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ**) بالستر عليه قولاً بأن لا يذكر الظالم بظلمه (**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً**) فإن عفوتم عن السوء فقد إتصفتم بصفة الله (مِنَ الشَّجَاْعَةِ وَالنَّزَاْهَةِ الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ) وهي من صفات الله الكمالية. ودعانا الرسول (ص) أن نتشبه بأخلاق الله تعالى. **فائدة** : لا يحب الله إظهار الفضائح والقبائح إلاّ في حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده وتوسّع مكره ، يحب الله سبحانه العفو عن المسيء ، ولكن بشرط أن يكون العفو خيراً له ليرتدع ، وليس فيه ضرر على المجتمع ، أما إذا أضرَّ العفو بالمجتمع أو كان وسيلة لتشجيع المسيء فيجب العقاب له ولا يجوز العفو عنه ، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى العامة والإخلال بالنظام. **عن النبي (ص)**: (أُذْكُرُوْاْ الْفَاْسِقَ بِمَاْ فِيْهِ كَيْ يَحْذَرَهُ النَّاْسُ) روح البيان٣/٣١٣، **وفي الحديث**: (ثَلاَثَةٌ لَيْسَتْ لَهُمْ الْغِيْبَةُ : الإِمَاْمُ الْجَاْئِرُ، وَالْفَاْسِقُ الْمُعْلِنُ بِفِسْقِهِ، وَالْمُبْتَدِعُ الَّذِيْ يَدْعُوُ النَّاْسَ إِلَى بِدْعَتِهِ)روح البيان٢/٣١٣.

**١٥٠ – ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾**

يؤكد القرآن الكريم في مواضع عديدة أن دين الله القيم ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، وحدة واحدة موحدة متّحدة، وكلٌ مترابط يشدّ بعضه بعضاً ولا يمكن أن يتجزّأ ، ولا يمكن أن يكون الدين كالطين تتلاعب فيه الرغبات حيث تشاء الميول والأهواء فهم تارة يكفرون بالله ورسوله (**وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ**) وتارة يفرقون بين الإيمان بالله والإيمان بالرسل (**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**) نؤمن ببعض الأحكام ونكفر ببعض ، نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض كاليهود آمنت بالتوراة وكفروا بالإنجيل ، والنصارى آمنت بالإنجيل وكفروا بالقرآن وبمحمد (ص) وتركوا الإسلام (**وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**) أي طريقاً وسطاً بين الكفر والإيمان ولا واسطة بينهما. من أنكر حكماً واحداً من أحكام الله الثابتة ، عالماً بأنه من الله وإلى الله فهو كافر به بحكم العقل وحسب قوله تعالى

**١٥١ – ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾**

هؤلاء الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض سواء بلسان القول أو بلسان الفعل و(لِسَاْنُ الْحَاْلِ أَصْدَقُ مِنْ الْمَقَاْلِ) كقوله تعالى ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ الحجر/٩١ ، أعضاء وأجزاء ، إنها صفة قبيحة لا يتصف بها إلاّ الكافرون حقاً ويقيناً ولو تظاهروا بالإيمان وأدّوا شعائر الإسلام ! (**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**) عذاباً شديداً مع الإهانة والذلة في نار جهنم.

**١٥٢ – ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**

أما المؤمنون حقاً والواعون والمتبعون للتعاليم الإسلامية المنسجمة مع الفطرة والعقل السليم فهم يؤمنون بالله ورُسله كافة ، ولا يفرقون بين أحد منهم من حيث الصدق والتبليغ عن الله (**أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ**) سنعطيهم ثوابهم الكامل على قدر إيمانهم وحجم مسؤوليتهم (**وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً**) غفوراً لمعاصيهم متفضلاً عليهم بأنواع النعم. **فائدة** : أما **داء التكفير بين المسلمين** الخطير المدمّر لمستقبلهم ، فيكفّر بعض المسلمين بعضاً ، فلا يجوز تكفير المسلمين كافة ، فمن كفّر مسلماً معناه أخرجه من الإسلام والإيمان ولا يعترف بعبادته ، وهذا إلغاء للآخر وإنكار لوجوده ، وهذا بذاته استكبار ، والقرآن يمنعنا أن نُزكّي أنفسنا فكيف نتجرّأ على تكفير المؤمنين ؟! ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى**﴾ النجم/٣٢، **عن النبي** (ص): (**مَنْ كَفَّرَ مُسْلِماً فَهُوَ كَافِرٌ**) تفسير المبين ص١٢٩، والذي أشاع التكفير بين المسلمين هو من جماعة من قال (فرِّق تَسُدْ) ولا يمكن أن يسود إلاّ بخلق الفتن والتي تسمى (**الفوضى الخلاّقة**) في العصر الحديث ، التي تفقد المجتمعات الأمان وتنشر الإرهاب المنظم !

**١٥٣ -** ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً**﴾

نزلت في أحبار اليهود حين قالوا للنبي مُحَّد (ص) إن كنت نبياً فإتنا بكتاب من السماء مرة واحدة كما أتى به موسى مرة واحدة ، وإنما طلبوا ذلك على وجه العناد ، فذكر تعالى سؤالهم ما هو أفضع وأشنع ، تسلية للنبي (ص) ليتأسى بالرسل فقال (**فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**) رؤية الله بالعين المجردة ، وهو مطلب طابعه التكبر الذي لا يصدر من مؤمن ، ودافعه الجهل بالله إذ هم ظنوا ان الله جسم محدود تدركه الأبصار كيف و﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ النور/٣٥؟ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١، ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ الأنعام/١٠٣ ، **سُئل الإمام علي** (ع) : (هَلْ رأيتَ رَبَكَ ؟ فَقَال (ع): لَمْ تَرَهُ الْعُيُوْنُ بِمُشَاهَدَةِ الأبصَارِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوْبُ بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ) البحار٤ص٢٧، **في غرر الحكم**: (التّوحِيدُ حِياةُ النَفْسِ) **عن الإمام علي** (ع): (مَا رَأَيْتُ شَيْئَاً إِلّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيِهِ) مواهب الرحمن٧/ ٣٠٠(**فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**) جاءتهم من السماء صاعقة من نار حارقة بسبب ظلمهم (**ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ**) وزيادة في عرض عنادهم تعرض الآية صورة قبيحة لهم ، بعد أن جاءتهم المعجزات الباهرات من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها ثم إتخذوا العجل إلهاً وعبدوه (**فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ**) مع عظم جريمتهم وخيانتهم (**وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً**) حجة ظاهرة تظهر صدقه وصحة نبوته.

**١٥٤ -** ﴿**وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾

يرفع الله فوق اليهود (**الطُّورَ**) هو الجبل الذي ناجى عليه موسى (ع) ربه ، مهدداً لهم بالسقوط عليهم إن لم يؤمنوا، لإرهابهم بعظمة القدرة دون إجبارهم (**بِمِيثَاقِهِمْ**) إنهم نقضوا العهد والميثاق الذي قطعوه على أنفسهم من وجوب الإلتزام والعمل بالتوراة (**وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً**) أدخلوا باب بيت المقدس ناكسي الرؤوس خضوعاً لله فخالفوا ما أمروا به وقالوا لموسى بكل صلافة ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا**﴾ المائدة/٢٤ ، (**وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ**) لا تعتدوا بإصطياد الحيتان يوم السبت فخالفوا واصطادوا (**او**) لا تمارسوا فيه أي عمل وتفرغوا فيه للعبادة (**وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**) عهداً وثيقاً مؤكداً فنقضوه. فصار نقض الميثاق سبباً لغضب الخلاّق ، فعلى المؤمن أن يراعي عهده وميثاقه ليسلم من شدة البلاء.

**١٥٥ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**

ورغم أن الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل في التزامهم بالتوراة كان غليظاً موثقاً إلاّ أنهم نقضوه (**وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**) وراحوا يكفرون بأيآت الله ويقتلون الإنبياء بلا ذنب ولا يمكن أن يَقتلوا نبياً ويكون هناك حق أو ذنب ؟ كقتلهم زكريا ويحيى ، ويعلنون عدم إمكان هدايتهم من خلال قولهم بسخرية (**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**) أي مغلّفة ومغطاة بأغطية قاسية تمنع استماع الدعوة النبوية فلا تعي شيئاً مما تقولونه ، فلا تتعبوا أنفسكم معنا !! وهنا يوضح القرآن أن القلب السليم مؤهل لتلقي نور الهداية إلاّ أن يظلم الإنسان نفسه وغيره ويكفر ويتجاوز الحدود فيجازيه الله تعالى بالختم على قلبه (**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**) بكفرهم وبسوء أعمالهم ختم على قلوبهم ، **في نهج البلاغة خطبة٨٨** : (مَا كُلُّ ذِيْ قَلْبٍ بِلَبِيْبٍ، وَلاَ كُلُّ ذِيْ سَمْعٍ بِسَمِيْعٍ، وَلاَ كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيْرٍ). **فائدة** : ختم الله على قلوبهم أي طبع عليها بسبب كفرهم وإصرارهم وعنادهم وما له من الأثر القبيح في أعمالهم وأخلاقهم ، فهم باستمرارهم على الكفر فلا ينظرون في شيء آخرنظر استدلال واعتبار والبحث عن الدليل والبرهان ، فهم لا يختارون إلاّ ما ألفوا وتعوّدوا عليه وكفى بحيث استدعى هذا التحجر أن طبع الله عليها بكفرهم ، وليست قلوبهم هي مطبوع عليها فصار كفرهم نتيجة وسبب الطبع ﴿**كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**﴾ يونس/٧٤.

**١٥٦ - ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾**

وبكفرهم بعيسى (ع) ورميهم مريم العذراء بالزنى وقد فضلها الله على نساء عالم زمانها ، وهو بهتان عظيم واعتداء فظيع وهو أَفْحَشِ الظُّلْمِ ظُلْمُ الْكِرَامِ ، وبئس الظلم من ظلم الغافل المستسلم البريء الذي لا ناصر له إلاّ الله عز وجل.

**١٥٧ - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾**

قتلنا هذا الذي يزعم أنه رسول الله على سبيل الاستهزاء ، ويزعمون أن عيسى إبن زنى وأمه العذراء زانية (**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**) ولكن القرآن يحسم الموقف معلناً أن هؤلاء لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه وإنما إشتبه عليهم الأمر ، روي أن رجلاً كان ينافق على عيسى فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأُخذ وصلب وهم يظنون أنه عيسى﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ فاطر/٤٣ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ مَكَرَ بِالنَّاْسِ رَدَّ اللهُ سُبْحَاْنَهُ مَكْرَهُ فِيْ عُنُقِهِ) و (مَنْ حَفَرَ بِئْرَاً لأَخِيْهِ وَقَعَ فِيْهَاْ) و(مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ) البحار٢١١/٧٧ (**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**) روي : أنه لما رفع عيسى وأُلقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا : إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا ؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ فإختلفوا (**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ**) ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ يونس/٣٦ ، **وعن الإمام علي (ع)** : (وَمِنْ طَبِيْعَةِ مُجَاْلَسَةِ الأَشْرَاْرِ، تُوْرِثُ سُوْءَ الظَّنِّ بِالأَخْيَاْرِ) البحار١٩٧/٧٤، (**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**). إنها هي الحقيقة فلا قتل ولا صلب ولكنه ألقى الله شبهاً على يهوذا الذي كان جاسوساً على عيسى (ع) وساعد اليهود في إعطاء معلومات مهمة عن عيسى فرفع الله المسيح وألقى شبهه على يهوذا فأخذ وصلب بدلاً عن عيسى ، وهذه هي الحقيقة كيد كاده يهوذا ضد عيسى فرجع عليه ! بعض الفرق المسيحية تنفي صلب المسيح لوجود إختلاف بين الأناجيل. إختلف اليهود والنصارى في السيد المسيح (ع) ووقفوا منه موقفين متناقضين ، فقالت اليهود هو إبن زنا وقالت النصارى هو إبن الله ، فردّ الله سبحانه على الجميع (**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**).

**١٥٨ – ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**

وما قتلوه متيقنين أنه عيسى بل شاكين متوهمين ونجاه الله من شرهم ، فرفعه الله حياً بجسده وروحه كما دلت على ذلك أحاديث صحيحة وكما حصل في معراج النبي (ص) ، (**وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**) عزيزاً في ملكه حكيماً في صنعه ، أما كيفية الرفع لم يوضحها القرآن وجعله رفعاً للتفخيم والتعظيم كقوله ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ آل عمران/٥٥

**١٥٩ – ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾**

ليس أحد من اليهود والنصارى إلاّ ليؤمنن بعيسى (ع) قبل موته وبأنه عبد الله ورسوله باعتبار أن كل إنسان ينكشف له ساعة الإحتضار عما كان يعتقده في الحياة الدنيا حقاً كان أم باطلاً ، ولكن هذا الإيمان جاء بعد فوات الأوان فلا ينتفع به كالإيمان بيوم القيامة عند الموت والاحتضار (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**) سيكون عيسى يوم القيامة شهيداً على أهل الكتاب كاشفاً لكل ما انحرفوا به، **وروي بالتواتر** : أن عيسى (ع) ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة

يهودي ولا غيره إلاّ آمن به قبل موته ويتخلى المسيحيون عن عقائدهم بأنه إبن الله ويقر عيسى (ع) على نفسه بأنه عبد الله ورسوله ويصلي خلف الإمام المهدي (عج) ويتوحّد المسلمون والنصارى لمحاربة الصهاينة المجرمين وهم الدجّال مصدر الفتن ومنبع المحن.

**١٦٠ – ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾**

بسبب ظلم اليهود لأنفسهم ولغيرهم وما ارتكبوه من الذنوب العظيمة والفضيعة حرمنا عليهم أنواعاً من الطيبات التي كانت محللة لهم (**وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً**) وبمنعهم كثيراً من الناس عن الدخول في دين الله بكل وسيلة خسيسة. **الظلم والصد** (المنع) عن سبيل الله عاملان لحرمان النعم (**فَبِظُلْمٍ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**) الظلم والصد بكل معانيهما سواء أكانا عن طريق التحريف في الدين أم الكتمان أم الابتداع أم الفساد أم الاعتداء أم الانحراف وغيرها. هما السبب في حرمة الطيبات. **في غرر الحكم:** (الظُّلْمُ يَزِلُّ الْقَدَمِ، وَيَسْلِبُ النِّعَمْ، وَيُهْلِكُ الأُمَمَ) وله تبعات موبقات للفرد وللمجتمع.

**١٦١ – ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾**

تعاطيهم الربا وهم أوّل من شرَّع تحليله ، وقد حرَّمه الله عليهم في التوراة (**وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة التي يأخذها أقوياؤهم من ضعفائهم لتغيير الأحكام الشرعية (**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**) وهيأنا لمن كفر من هؤلاء اليهود العذاب المؤلم الموجع في الآخرة وتكون (الْعُقُوْبَةُ عَلَى قَدَرِ الْجِنْاْيَةِ). كقوله ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ المائدة/٤٢، **السحت** : الكسب الحرام بأنواعه.

**١٦٢ – ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾**

ما ذكرته الآيات السابقة من أوصاف منحطّة لبني إسرائيل ، إلاّ أن ذلك لم يمنع من أن يوجد فيهم أُناس ممدوحين تعمقوا في العلم وتمكنوا منه والعريقين فيه وليس علماً سطحياً فقادهم ذلك إلى الإيمان بالإسلام والأديان التي سبقتهم ووضح الحق لديهم فذكرهم القرآن ومدحهم كقوله ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧ ، للدلالة أنه لا تخلو الأرض من هداة ودعاة إلى الله تعالى (**وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**) وخصَّ بالمدح (**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) ملتزمون بالأحكام الإسلامية ومؤمنون بكل تفاصيل العقيدة (**أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً**) هؤلاء الموصوفون بالأوصاف الجليلة سنعطيهم ثواباً جزيلاً وأجراً عظيماً. **فائدة: ١–** وخصَّ بالمدح (**الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ... إلخ**) لبيان فضلها وزيادة منزلتها. **٢– (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) الرَّاسِخُونَ** : الثابتون أي ثبت العلم واليقين في قلوبهم فأنار الإيمان طريقهم وهم العلماء العاملون

بعلمهم ، الذين لم يتخذوا العلم وسيلة للإرتزاق بل منظاراً لمعرفة الدين والحياة ، من اليهود رفعهم العلم إلى الإيمان بالإسلام حتى أدّوا أحكامه، وسمّاهم راسخين في العلم لثباتهم في العلم والعريقين فيه فلا تميل بهم الشبهة لأنهم أهل التحقيق والتدقيق ووالوعي والفهم السليم والنظر القويم المصيب ، بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الأرض ، فهم أهل العلم الصحيح بالدين الصحيح والعمل الصحيح الصريح ، المستبصرون فيه غير التابعين للظن الذين لا يشترون به ثمناً قليلاً من المال والجاه كقوله ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ يوسف/١٠٨.

**٣- عن النبي (ص)** : (**الْعُلَمَاْءُ أُمَنَاْءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**) كنز العمال خبر٢٨٦٧٥، وهؤلاء العلماء خلفاء الرسل وورثة الأنبياء وهم صمام أمان الأمة ، **وعن الإمام الصادق** (ع): (**الْمُلُوْكُ حُكَّاْمٌ عَلَى النَّاْسِ، وَالْعُلَمَاْءُ حُكَّاْمٌ عَلَى الْمُلُوْكِ**) البحار١/١٨٣، **وعن النبي (ص)**: (**الْعُلَمَاْءُ أُمَنَاْءُ الرُّسُلِ مَاْ لَمْ يُخَاْلِطُوْا السُّلْطَاْنَ**)! كنز العمال خبر٢٨٩٥٢ **٤-** هؤلاء الراسخون هم والمؤمنون سواء لأنهم يشتركون بوحدة هدف وهو نصرة الحق وإن تعددت الأدوار والمسؤوليات بينهم (**لَكِنْ الرَّاسِخُونَ.. وَالْمُؤْمِنُونَ**) هم الذين استجابوا للرسول (ص) وصاروا مسلمين واعيين مؤمنين خاضعين لمنهج الله الصحيح وهو الإسلام. دائماً العلم يدعم الإيمان ، والإيمان يدعم العلم ويهذّبه ، فإذا ازداد العلم على الإيمان فيكون الإنسان داهية وشيطاناً ، وإذا ازداد الإيمان على العلم فيكون مؤمناً بسيطاً ساذجاً ، وكن من كليهما على حذر! والمطلوب الجمع والتوازن والاعتدال بين العلم الراسخ والإيمان البصير والعمل الصالح ، بحيث قوة الإيمان ترفع الإنسان إلى مستوى العلم الراسخ والعمل الصالح عندئذٍ يستقيم فلا تهزه الهزاهز كقوله ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢ ، وقدّم التقوى على العلم ، لأن بالتقوى يصان العلم. فهو علم راسخ بذاته ومرسّخ لغيره (**أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً**) **في غرر الحكم**: (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَاْلٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ). إذاً ، هناك درجات للعلم: ١- علم ، ٢- علم سطحي غير واعٍ، ٣- علم عميق ودقيق وواسع ومتمكن وثابت وراسخ هذا العلم يستطيع أن يُثَبِّتَ صاحبه عند مواجهة التحديات الضاغطة بقوة ، ويعطيه سلامة التفكير والدقة في التصرف وأن يقول الحق فيماله وعليه ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهذا هو المطلوب.

**١٦٣ -** ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾

نحن أوحينا إليك يا مُحَمَّد (ص) كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده ، وإنما قدّم في الذكر النبي (ص) وإن تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل. (**وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ**) وخصَّ الله تعالى هؤلاء بالذكر تشريفاً وتعظيماً لهم ، وأكدت الآية وحدة الوحي والشريعة والمسيرة المؤمنة عبر التأريخ كله ، فكلهم يستقي

من خالق الكون والمشرّع للبشرية نظامها الأصلح لها ، وكلهم يبلغ عن الله ويبشرون بالحياة الطيبة التي تنتظر المؤمنين في العالم الآخر ويحذرون من العذاب الأليم في جهنم. **(وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً) الزبور**: بمعنى الكتاب المكتوب، وكل كتاب زبور ، وكان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حِكَم ومواعظ وإرشادات وأنواع الدعاء ، وقد أفرد بالذكر لأن له شأناً خاصاً عند أهل الكتاب، وهو قدوة يقتدى بها. **الأسباط** : واحدهم سبط وهو ولد الولد وأسباط بني إسرائيل إثنا عشر سبطاً وهم أبناء يعقوب العشرة وولدا إبنه يوسف ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في ولد إسماعيل. **فائدة : في الآية دلالة** أن ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧ ، وأن لكلِّ أمّة مبلّغ ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ فاطر/٢٤ ، كلُّ الأنبياء (ع) على نهج واحد لا اختلاف فيه ، ولو اجتمع جميع الأنبياء (ع) في مكان واحد لما اختلفوا أبداً لأنه لا يوجد بينهم هوى النفس، وكلُّهم يريدون رضا الله تعالى.

**في الحديث**: (إنَّهُ أوَحِيَ إلى النِبَي (ص) عَينَ مَا أوَحِيَ إلى الأنبيَاءِ السابِقِينَ (ع)) لأنَّ الأشْيَاءَ المتُمَاثِلَةِ تُؤَدِي إلى نَتَائِجٍ وأحْكَامٍ مُتَمَاثِلَةِ. عدد الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم (٢٦) نبياً ، (١١) منهم ورد إسمه في هذه الآية تفسير النور١٩٨/٢.

**١٦٤** - ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾

وأرسلنا رُسلاً منهم من ذكرنا أخبارهم لك يا مُحَّد (ص) في غير هذه السورة **(وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)** ورسلاً آخرين لم أخبرك عن أحوالهم كالذين أرسلوا إلى الأمم المتنوعة كالصين واليابان والهند وأوروبا وأفريقيا ، ولم يبين كم كان عددهم ويقال في عددهم أنه (١٢٤.٠٠٠) نبي فلا دليل عليه **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)** لم يذكر الله سبحانه موسى مع من ذكر من الأنبياء في الآية ، وأفرد له جملة لأنه تعالى قد خصه بالتكليم من دونهم ، حتى إشتهر عنه (موسى كليم الله) ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ طه/٤١ ، هذه الرعاية الإلهية الخاصة لموسى (ع) تتناسب مع مسؤوليته الجهادية الكبرى المقاومة لفرعون الطاغية **في الحديث** : (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) الكاشف١٢٤/٢، وجعله الله نبياً وقائداً لأعتى قوم وأصعبهم قيادة ، وليس معنى تكليم الله لموسى (ع) أنه أفضل الأنبياء ، وإنما يتمايز الأنبياء في الدرجات والمنازل على قدر قدرتهم على أداء مسؤوليتهم الرسالية وحجمها ، و(الْهِمَّةُ عَلَى قَدَرِ الْمُهِمَّةِ) وقد كلّم الله سبحانه موسى (ع) من وراء حجاب كقوله ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ الشورى/٥١.

**والحكمة في الحجاب** الاستعداد بالتوجه إلى شيء واحد شديد الأهمية تتحفز من خلاله المشاعر والضمائر وتستنفر الأحاسيس وتتأمله القلوب وتتدبره العقول وتتركز عليه الأفكار وتتشوق إليه النفوس للإحاطة به ليكون في موقف لائق واستعداد لائق وحديث لائق ، وكلام الله نوع من أقسام

الوحي، **عن الإمام علي** (ع): (كَلَّمَ اللهُ مُوسَى (ع) تَكْلِيْماً بِلاَ جَوَارِحَ وَأَدَوَاتٍ وَشَفَةٍ وَلاَ لَهَوَاتٍ وَلاَ فَمْ) كنز الدقائق٢/٦٨٨، سبحانه وتعالى عن الصفات (نفي التشبيه والتجسيم)، **وعنه** (ع) : (كَلاَمُ اللهِ تَعَالَى لَيْسَ بِنَحْوٍ وَاْحِدٍ ، مِنْهُ مَاْ كَلَّمَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ ، وَمِنْهُ مَاْ قَذَفَهُ فِيْ قُلُوْبِهِمْ ، وَمِنْهُ رُؤْيَاْ يُرِيْهَاْ الرُّسُلَ وَمِنْهُ وَحْيٌ وَتَنْزِيْلٌ يُتْلَى وَيُقْرَأُ فَهُوَ كَلاَمُ اللهِ) نور الثقلين١/٥٧٥، **وعن الإمام الرضا** (ع): (كَلاَمُ الْخَاْلِقِ لِلْمَخْلُوْقِ لَيْسَ كَلاَمُ الْمَخْلُوْقِ لِمَخْلُوْقٍ وَلاَ يُلْفَظُ بِشَقِ فَمٍ وَلِسَاْنٍ) المصدر السابق، **وعن الإمام علي** (ع) **في رسالة المحكم والمتشابه**: (الْوَحْيُ فِيْ كِتَاْبِ اللهِ ثَمَاْنِيَةَ أَوْجُهٍ : مِنْهُ وَحْيُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهُ وَحْيُ الإِلْهَاْمِ وَمِنْهُ وَحْيُ الإِشَاْرَةِ وَمِنْهُ وَحْيُ أَمْرٍ وَمِنْهُ وَحْيُ الْكَذِبِ وَمِنْهُ وَحْيُ التَّقْدِيْرِ وَمِنْهُ وَحْيُ الرِّسَاْلَةِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْخَبَرِ ، ١- فَأَمَّا وَحْيُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَاْلَةِ قوله ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ النساء/١٦٣ .

٢- وَأَمَّا وَحْيُ الإِلْهَاْمِ فقوله ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ النحل/٦٨ ، ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ القصص/٧ ، ٣- وَأَمَّا وَحْيُ الإِشَاْرَةِ قوله ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً**﴾ مريم/١١ ، ٤- وَأَمَّا وَحْيُ التَّقْدِيْرِ قوله ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾ فصلت/١٢ ، ٥- وَأَمَّا وَحْيُ الأَمْرِ قوله ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**﴾ المائد/١١١ ، ٦- وَأَمَّا وَحْيُ الْكَذِبِ قوله ﴿**جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾ الأنعام/١١٢، ٧- وَأَمَّا وَحْيُ الْخَبَرِ قوله ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ**﴾ الأنبياء/٧٣، ٨- والذي يهمنا هو وحي النبوة والرسالة ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ النجم/٤، الكافي١/١٧٥**عن الإمام الصادق** (ع): (كَاْنَ جِبْرَاْئِيْلُ (ع) إِذَاْ أَتَى النَّبِيَّ (ص) قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَعْدَةَ الْعَبْدِ ، وَكَاْنَ لاَ يَدْخُلْ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ (ص)) في علل الشرائع، وسائل الشيعة٩/٥٠٩، **وعن الصادق** (ع): (إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَاْلِقاً صَاْنِعاً مُتَعَاْلِياً عَنَّاْ وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَكَاْنَ ذَلِكَ الصَّاْنِعُ حَكِيماً مُتَعَاْلِياً لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاْهِدَهُ خَلْقُهُ وَلاَ يُلاَمِسُوْهُ فَيُبَاْشِرَهُمْ وَيُبَاْشِرُوْهُ وَ يُحَاْجَّهُمْ وَ يُحَاْجُّوهُ ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاْءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ) الكافي١/١٧٥، **في غرر الحكم** (التَوحِيدُ حَيَاةُ النَفْسِ).

**١٦٥ -** ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾

الآية ظاهرها أنيق دقيق جذاب ، وباطنها رقيق عميق منساب ، ذات مغزى واسع الدلالة ، **ظاهر الآية تقول** : وظيفة الرسل يبشرون بالجنة لِمن أطاع الله سبحانه وينذرون بالنار لمن عصاه **(لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** بعث الله جميع الرسل ليقطع حجة من يقول لو أُرسل إليَّ رسولٌ لآمنتُ وأطعت منهج الله ، فقطع الله حجة البشر بإرسال الرسل وإنزال الكتب لبيان هدف الله من خلق المخلوقات ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ الأنعام/١٤٩ **(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً)** عزيزاً في ملكه حكيماً في صنعه ، **أما باطن الآية وأعماقها البعيدة** نطرحها بقدرنا لا بقدرها مع **(الإختصار) فنقول** : الآية تطلق المعنى لكافة الرسل الذين بعثهم الله لتكون وظيفتهم الأساسية

**(مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)** وجاء **(لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ..)** على إطلاق الناس كل الناس أينما وجدوا على الكرة الأرضية ، مما يدل على عالمية المرسل وعالمية الرسل وعالمية الرسالات وعالمية المسؤولية ﴿**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ الصافات/٧٩ ، وأهم هدف يريد أن يحققه إرسال الرسل جميعاً هو إلقاء الحجة التي يريدها الله هو تبليغ الرسالة الصحيحة إلى الناس كافة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ سبأ/٢٨، لبيان الغاية السامية من خلق الإنسان ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات/٥٦.

**في غرر الحكم:** (مَنْ قَاْمَ بِشَرَاْئِطِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُوْلِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِّ ! وإن من حكمة الله في إرسال الرسل كافة لئلا يتعذر الناس بالجهل وأنهم لم يصلهم ما يريده الله منهم **(لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** حتى يعلم الناس حدود الله فلا يتعدوها ولئلا يقول الناس لو علمنا لعملنا ولو كان لدينا قائد شرعي ودليل قطعي ولا توجد شبهات ، لآمناً واستقمنا فكان إرسال الله الرسل لإتمام الحجة على الناس ببيان ما ينفعهم وما يضرهم في دنياهم وآخرتهم ، وهكذا وظيفة المبلغين للرسالة بأمانة في زماننا المعاصر وهم امتداد للرسل بالقوة والفعل من علماء وفضلاء وهداة للناس ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧ ، ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ فاطر/٢٤ ، ليكونوا **(مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)** على قاعدة (الترغيب والترهيب) ليكون الناس بين الخوف والرجاء ﴿**يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ الزمر/٩ ، فلا عقاب بلا بيان رسالي ، ولا عقوبة بلا نص قانوني ، ولا عذر لمن يجهل النص والشريعة وهو قادر على الوصول لمعرفتها بالسؤال أو بالبحث والدرس ولو معرفة الأساسيات. فينبغي أن لا يتعطّل هذا الهدف الكبير في كل زمان ومكان **(لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)**.

الآية حددت الهدف الكبير هو تبليغ الرسالة ، وأطلقت الوسائل إليه حتى يتناوله كل إنسان مبلّغ بقدره وبمقدار قابليته ، وأن لا ينشغلوا عنه في الصغائر المهمة كطرح الخلافات فيضيّعوا القضايا الكبرى الأهم (وَمَنْ إِشْتَغَلَ بِالْمُهِمْ ضَيَّعَ الأَهَمّ) كقوله ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمْ**﴾ آل عمران/١٠٥، **عن النبي (ص):** (مَاْ إِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إِلاّ مَا شَاْءَ اللهُ!) شرح النهج٥/١٨١ وهكذا واقعنا، اختلفنا فاختلفت قلوبنا فاختلفت أهدافنا فانشغلنا بالقضايا الصغيرة المحلية وبالنزاعات المريرة والاختلافات المضرة التي أخرتنا إلى الوراء قروناً وضيّعنا الهدف الكبير من الآية **(لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** فضعنا وضاعت أمتنا وضلت أغلب الناس في العالم عن منهج الله فسلّط الله علينا من لا يخافه ولا يرحمنا ، فحكمنا الأشرار وقُتلَ الأبرار وانهانت الأخيار ودعوا الله فلا يستجاب لهم! ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ الشورى/٣٠.

وهكذا إن لم نستدرك واقعنا المأساوي ونحقق الهدف الكبير ونكون مؤهلين له وإلاّ تشملنا سُنّة الاستبدال القاهرة التي يكشف عنها القرآن الكريم في العديد من آياته كقوله ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ محمد/٣٨، ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ فاطر/١٦. **فائدة** : توضح الآية نهج الأنبياء والهدف من بعثتهم وإنها ضرورة في حياة الناس كقوله ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً**﴾ طه/١٣٤. فكما أن القانون الدولي لا يحمي المغفّلين ، كذلك الرسالات السماوية لا تحمي المغفلين عن الحقائق الأساسية ، لأن الْغَفْلَةَ ضَلاَلَةٌ، وَهِيَ مِنْ فَسَادِ الْحِسْ (فَلاَ تَغْفَلُوْا فَلَيْسَ بِمَغْفُوْلٍ عَنْكُمْ)، **في غرر الحكم:** (الْجَاْهِلُ مَنْ خَدَعَتْهُ الْمَطَاْلِبُ)، واستعبدته المذاهب.

**١٦٦ – ﴿لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾**

إن لم يشهد لك هؤلاء بالنبوة يا محمد فالله يشهد لك بذلك وبما أنزل إليك من القرآن المعجز (**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**) الخاص ﴿**الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ**﴾ الرحمن/١-٢ ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ فصلت/٤١-٤٢ ، وهو تأليف بديع عالي المضامين عميق المعنى دقيق المبنى واسع المغزى بعيد الدلالة ، لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلاَ تفْنَى غَرَائِبُهُ وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِهِ ، وهو كلام الخالق الذي يعجز عن بلاغته كل بليغ وهو دستور حياة للإنسان على الأرض في الكرة الأرضية وعلى مدى الأجيال ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ ص/٨٧، به الهداية وبتركه الضلال ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، (**وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ**) كذلك بنبوتك وبعظمة القرآن الكريم ، وشهادة الله تغني عن كل شهادة لذلك قال (**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**) ومن يشهد الله بصدقه لا يهمه من كذّب رسالته أو أعرض عنه.

**فائدة: ١–** الدليل على شهادته تعالى على ما أنزله من آيات التحدي ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**﴾ يونس/٣٨.
**٢–** (**اللَّهُ يَشْهَدُ.. وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ**) إلى كلّ من ينفع الناس بجهة من الجهات يشهد له الله والملائكة والناس كلٌّ يشهد بقدره (والله خير الشاهدين) الكل تشهد بأن المتنبي شاعر ولكنه لا يحمل شهادة خطية بأنه شاعر أو أديسون مخترع الكهرباء الكلُّ تشهد بأنه مخترع ، وهكذا شهادة الإنسان ذاتية. ما يتركه العلماء والشعراء والأدباء هو الشاهد على تخصصهم. **٣–** (**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**) أي القرآن من علم الله لا من علم المخلوقين الذي يكون معرّضاً للأخطاء والأهواء ، أما علم الله اللا متناهي ومن مصاديقه القرآن الكريم الذي أنزله دستور حياة ولهداية الإنسان وتتناسب معه في كلّ جيل وفي كلّ زمان ومكان ، وهو يدعو إلى العلم ويدعمه ويكرم العلماء ﴿**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٥١. ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ**

**أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** لقمان/٢٧. **عن النبي (ص)**: (إنّ هَذَا القَرآنَ سَبَبٌ طَرفهُ بَيَد اللهِ، وَطَرفهُ بأيْديكُمْ فَتُمسّكُوا بهِ، فإنكُمْ لَنْ تَزلّوُا وَلَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أبَداً) مواهب الرحمن٦/٢٢٨.

**١٦٧ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً﴾**

بعد وضوح الآيات والبينات وقيام شهادة الله والملائكة للرسول ، يتوضّح الضلال البعيد الذي أبتلي به الكافرون الذين ظلوا أنفسهم وظلوا غيرهم **(وَصَدُّوا)** ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله بأفعالهم قبل أقوالهم **في غرر الحكم**: (لِسَانُ الْحَالِ أَصْدَقُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ) وبشتى أساليب الصدِّ من ترغيب وترهيب وتضليل وشبهات **(قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً)** وابتعدوا عن نور الهداية وانحرفوا عنها مسافات واسعة لأنهم جمعوا بين ظلم أنفسهم وظلم غيرهم وضلالهم وإضلال غيرهم فصار ضلالهم بعيداً وفسادهم شديداً ومضاعفاً **﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾** مريم/٧٥، **﴿إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** الأنعام/١١٦ ، **في غرر الحكم**: (ضَلَّ مَنْ اِهْتَدَى بِغَيْرِ هُدَى اللهِ). وتنطبق هذه الآية على جميع وسائل الإعلام الكاذبة المضلة والمضللة للناس في زماننا المعاصر **(قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً)**. **فائدة** : **(كَفَرُوا وَصَدُّوا)** يقترن الكفر بالصد عن سبيل الله فيؤدي بهم إلى الضلال البعيد وسوء العاقبة ، فإنه يظلم نفسه ومن ظلم نفسه يظلم غيره **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾** البقرة/٢٢٩.

**١٦٨ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً﴾**

الكفر في ذاته ظلم ولغيره ظلم ، فهو ظلم للنفس وظلم للهداية وظلم للناس عندما يحكم فيهم ويتعامل معهم بالأهواء، والهوى إله يعبد من دون الله لذلك صار الهوى شريك العمى لأنه يضل عن سبيل الله فيغرق في الفساد **(لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)** بسبب ضلالهم البعيد وفسادهم الشديد **(وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً)** إلى الجنة ، و مَنْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ طَرِيْقُ الْجَنَّةِ يَلِيْقُ بِهِ طَرِيْقُ النَّارِ كقوله **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾** الأعراف/٢٠٢.

**١٦٩ - ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾**

إنهم اختاروا سلوك جهنم بأنفسهم في الدنيا فمهّدوا الطريق إليها فكانت لهم مهاداً **﴿مِرْصَاداً ، لِلْطَّاغِينَ مَآباً﴾** النبأ/٢١-٢٢ ، فهي ترصدهم حين ظلوا وتعد لهم مكانهم المخصص لهم فيها ولبئس المهاد (الذي لا ينفعه الهدى تضره الضلالة) وهكذا الذي لا يعرف كيف ينتهي لا يعرف كيف يبدأ **﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾** الإسراء/٧٢ ، **(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)** فهو سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وكان ذلك الجزاء بجهنم سهلاً على الله تعالى ، وليست المسألة يسير وأيسر ، وإنما من لم يتخذ بالأسباب اللازمة للنجاة يهوى ويسقط، **في غرر الحكم**: (والمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفَسَهُ). **فائدة** : علة الخلود **عن الإمام الصادق** (ع) :

(إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خُلِّدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللهَ أَبَداً ، وَ إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يُطِيعُوا اللهَ أَبَداً ، فَبِالنِّيَّاتِ خُلِّدَ هَؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ الإسراء/٨٤ ، عَلَى نِيَّتِهِ) الكافي٢/٨٥، **في غرر الحكم**: (النِّيَّةُ أَسَاسُ الْعَمَلِ).

**١٧٠ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**

الخطاب لكل الناس في الكرة الأرضية يعني الخطاب عالمي قد جاءكم مُحَمَّد رحمة للعالمين ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء/١٠٧ ، بالقرآن العالمي ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ ص/٨٧ ، ومن الله رب العالمين بِالشَّرِيْعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ (**بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ**) والإيمان بهذه الشريعة إيمان بالحق المتطوِّر بذاته والمطوِّر لغيره فهو خير نصيروأقوى دليل ، والحق أحق أن يتبع فهو قمة القمم لا يطوره الزمان ولا يحدّثه العلم المتطوّر ، والحق ليس له وطن خاص ولا طائفة معينة ، وإن الرسول (ص) قد جاء بهذا الحق من الله وصار بعده الباطل ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، ومن كان في شكٍ من ذلك فليقارن بين عقيدة الإسلام وشريعته القيمة مع سائر العقائد والمبادئ الوضعية ، ثم يستفتي قلبه ، فإن القلب مفتاح البصيرة وينبوع الحكمة، **في غرر الحكم**: (إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاْهَا لِلْخَيْرِ) وأوعاها للخبر والأحداث، فإن الإسلام يقاضي كل ضلال ومنكر إلى العقل فيقول (أَفَلا تَعْقِلُونَ) (أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ) (**فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ**) والحياة كلُّها لغز صعب حلّه ، لولا الإيمان ، لما عرف للحياة معنى ، فالإيمان يعطي للحياة معناها ، لأن الإيمان يقترن بالعمل الصالح ويدفع إلى الاستقامة والتقدم الحضاري للفرد والمجتمع فهو منهج متطوِّر ، لذلك الإيمان أحسن نعمة وأفضل أمانة وأحسن تربية ، به الهداية وبغيره الغواية (**وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) فكفركم يضركم ولا ينفعكم ولا يزيدكم شيئاً ، ولا ينقص من الله شيئاً وهو غني عنكم ولا يضره كفركم إذ له ما في الكون كله من كائنات وعجائب وأسرار وعلوم وأنظمة وسنن (**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**) عليماً بأحوال العباد حكيماً فيما دبره لهم. **فائدة: عن الإمام الباقر** (ع) : (إِصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى الْحَقِّ فَإِنَّهُ مَنْ مَنَعَ حَقّاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْفَقَ فِيْ بَاْطِلٍ مِثْلَيْهِ) تحف العقول ص٢١٦.

**١٧١ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾**

**الغلو** : تجاوز الحدود المعقولة والمنقولة بزيادة أو نقصان فيما أنزل الله وبينه في كتبه الصحيحة ، والخروج عن المنطق الصحيح والتدين الأصيل الفطري وهو التطرف في الدين وهو من أسوأ فرق الكفّار والمشركين فهو تعصب مذموم ، وترك مفهوم الغلو أثره السلبي على المسلمين أنفسهم ووقعوا في ما وقع فيه من قبلهم من الغلو في الدين بالإفراط والتفريط، والآية نزلت في أهل الكتاب ولكن أُريد بها عموم المعنى أي لا تتجاوزوا جميعاً أيها الناس الحدود التي حدّها الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ النساء/١٤ ، ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ النور/١٥، ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (عظيماً) ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً**﴾ مريم/٨٩-٩٠.

**والغلو**: من الذنوب الكبيرة والخطيرة والمريرة لأنه يحبط الأعمال ويبطل العبادة ﴿**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ الحجرات/٢ ، **قال رسول الله (ص)** : (لاَ تَرْفَعُوُنِيْ فَوْقَ حَقِّيْ فَإِنَّ اللهَ تَعَاْلَى إِتَّخَذَنِيْ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيَاً) البحار٢٥/٢٦٥، **في نهج البلاغة حكم١١٧، ٤٦٩**: (هَلَكَ فِيَّ رَجُلاَنِ : مُحِبٌّ غَاْلٍ وَمُبْغِضٌ قَاْلٍ)، **والغلو** : تطرُّف في الحب وتطرُّف في الكراهية ، ومبالغة في كلّ أمر وهذا بمعنى فقدان الاستقامة في كلّ شيء ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (إِحْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمُ الْغُلاَةَ لاَ يُفْسِدُوهُمْ، فَإِنَّ الْغُلاَةَ شَرُّ خَلْقِ اللهِ، وَيُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُوْنَ الرُّبُوْبِيَّةَ لِعِبَاْدِ اللهِ، وَاللهِ إِنَّ الْغُلاَةَ لَشَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَاْرَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْا) البحار٢٥/٢٦٦ **وعن الإمام الرضا** (ع) : (مَنْ تَجَاْوَزَ بِأَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ (ع) الْعُبُوْدِيَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنَ الضَّاْلِّيْنَ) البحار٢٥/٢٧٤،

**(حذار حذار من الغلو)**

فهو ضد الاعتدال والخروج عن قواعد الدين الحنيف بزيادة فيه أو نقصان، فهو من الذنوب الكبيرة والخطيرة لأنه عيب كبير يفسد أسس الدين ، ولهذا عامل الإسلام الغلاة بعنف وشدة ووصفهم أشد كفراً من الكافرين ، والمقياس في **(تهذيب الغلو)** في الذهن هو كتاب الله الحكيم ، فالقرآن يعطيك النظرة الصحيحة للدين فهو الثقل الأكبر (وَالْمِيزَاْنُ الدَقِيْقُ، فَمَنْ وَفَّى ، إِسْتَوْفَى) **(وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ)** لا تصفوا الله بما لا يليق (يَاْ مَنْ دَلَّ عَلى ذَاْتِهِ بِذَاْتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَاْنَسَةِ مَخْلُوُقَاْتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيَّاْتِهِ) من دعاء الصباح للإمام علي (ع) الله وصف نفسه بقوله ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ النور/٣٥ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١ ، ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ الأنعام/١٠٣ ، ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾ الحديد/٣ ، فلا تصفوا الله إلاّ بما وصف به نفسه ، فلا ﴿**تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٦٩.

(**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ**) **المسيح** : المبارك وهو مثال العدل والاعتدال ، أرسله الله إلى بني إسرائيل وأمرهم بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً وزهدهم في الدنيا وحثهم على التقوى وبشرهم بمحمد (ص) وحذّرهم من الغلو وأرشدهم إلى الاعتدال والاستقامة في كل شيء (**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**) وهو مكوّن بكلمته تعالى (**كُنْ**) فيكون بطريقة إعجازية خارقة من غير واسطة أب ولا نطفة (**وَرُوحٌ مِنْهُ**) إنما تدل على عظمة تلك الروح أي ذو روح مبتدأة من الله وهو أثر نفخة جبريل في صدر مريم حيث حملت بتلك النفخة الإعجازية الفريدة بعيسى (ع) ، وإنما أضيف إلى الله تشريفاً وتكريماً (**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**) آمنوا بوحدانية الله وصدقوا رسله أجمعين (**وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ**) الأب والإبن وروح القدس فنهاهم الله عن التثليث فهو شرك، وأمرهم بالتوحيد لأن الله نور وليس كمثله شيء ومنزه عن التركيب والتجسيم (**انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ**) انتهوا عن التثليث فهو بدعة منكم وخلاف التوحيد ذلك خيرٌ لكم (**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) تنزه الله عن أنْ يكون له ولد فثمرة العلم معرفة الله ومن عرف الله وحّده ، **في غرر الحكم**: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ) ومن عرف ربه استقام على منهجه ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ الأنبياء/٢٢ ، (**سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ**) فيكون مولوداً ، ولم يولد فيصير محدوداً كما في نهج البلاغة ، **ومعنى المحدود** : إنّ لوجوده بداية وهي يوم ولادته. وكلمة (**سُبْحَانَهُ**) للتنزيه عما لا يليق بالله جلّ في علاه ، بمعنى هو منزّه عن أن يكون له ولد كما قلتم في المسيح إنه إبنه ، فإنه تعالى لا يقاس ولا تدركه العقول والحواس لأنه ليس له مماثل (**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**) فكل شيء خلقه الله فهو مملوك له ومفتقر إليه ولا يستغني عنه بل يستغني به **في غرر الحكم**: (بِلِسَانِ الْحَالِ قَبْلَ لِسَانِ الْمَقَالِ) فمحال أن يكون له شريك منهم (**وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**) عنكم ولياً لشؤونكم ، مدبراً لأموركم يهديكم إلى هداه، **في غرر الحكم**: (بِهُدَى اللهِ يَكْثُرُ الاِسْتِبْصارُ).

**فائدة: الغلو**: آفة جميع الأديان السماوية في تعظيم أئمة الدين وهو خروج عن الوسطية والاعتدال وبالتالي فهو إساءة إلى الله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ الأنعام/٩١، والآية لا تخص السبب في النزول وإنّما تعني عموم المعنى وسعة المغزى فالآية تحرّم الغلو في جميع أبعاده وأشكاله وألوانه، فهو ينسف عقيدة التوحيد ويخلط الشرك مع الإيمان كقوله ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ يوسف/١٠٦، لأنهم يعبدون مع الله إلهاً آخر ، ويصغرون قدسية الله ويجعلون صفات الخالق للمخلوق.

**١٧٢ - ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾**

إن المسيح الذي إتخذتموه إلهاً هو عبد من عبيد الله وهو نفسه يعتز بهذه العبودية ويتشرَّف ، ولن يأنف ويتكبر أن يكون عبداً لله ، لأن العبودية لله حرية في الأرض وعزَّةٌ للنفس ، والعبودية لغير الله

رق وذلة وهوان وتبعه في **غرر الحكم**: (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْعُبُودِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُوْلِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ! **وعنه** (ع) : (اِلَهِي كَفَى بِيَ عِزّاً أَنْ أَكُوْنَ لَكَ عَبْداً، وَكَفَى بِيَ فَخْراً أَنْ تَكُوْنَ لِيَ رَبّاً أَنْتَ كَمَاْ أُحِبُّ، فَاِجْعَلْنِي كَمَاْ تُحِبُّ) البحار٧٧/٤٠٠، **(وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ)** لا يتكبرون أن يكونوا عبيداً لله **(وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً)** ومن يأنف ويتكبر عن عبادة الله سبحانه فسيجمعهم يوم القيامة للحساب والجزاء. **فائدة: الاستنكاف**: من الأنفة والإستياء والترفُّع والعجرفة والامتناع الشديد الناتج من فراغ النفس وجهلها وإعجابها بنفسها، **والاستكبار**: استعلاء النفس فوق ما هي عليه غروراً وإعجاباً بها ، فصار الاستكبار السخيف دون الاستنكاف الخسيس، **لكن الاستنكاف أشد قبحاً من الاستكبار** وكلاهما دلالة على نقص العقل وحقارة النفس لذلك قدَّم الاستنكاف على الاستكبار ، لأن الاستنكاف هو استكبار مع أنفة وعجرفة وخيلاء فهو مبالغة الاستكبار ، والاستكبار أن يجعل نفسه كبيرة فوق ما هي عليه استعلاء على الآخرين وتجبراً. **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ) و (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ). **عن الإمام الصادق** (ع) (مَاْ مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلاَّ لِذِلَّةٍ وَجَدَهَاْ فِيْ نَفْسِهِ) البحار٧٣/٢٢٥، لذلك تكون صفة المؤمن التواضع ، وَمَنْ تَوَاْضَعَ للهِ رَفَعَهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَضَعَهُ. **عن الإمام علي** (ع) : في دعاء الصباح (وَأَدِّبِ اللّهُمَّ نَزَقَ الْخُرْقِ مِنّي بِاَزِمَّةِ الْقُنُوعِ).

**١٧٣ - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً﴾**

وقدَّم الإيمان على العمل الصالح لأن الإيمان أساس العمل الصالح ، ولا عمل صالح من دون إيمان ، حتى يكون القرآن عبادات ومعاملات ، هؤلاء ممن لم يستنكف عن عبادة الله ولا يتكبر عليه ولا على خلقه ، فيعطيهم أجورهم على قدر إيمانهم وعملهم الصالح **(وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)** إكراماً وإنعاماً وهنا أطلق الفضل ولم يحدده للدلالة على مضاعفته أضعافاً مضاعفة مع المفآجأة والمسرات **(وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)** الذين تعالوا وتمادوا وتعدّوا الحدود وتجاوزوا الأصول والآداب مع الله واستكبروا عن عبادته ، فتلقفهم الشيطان واعتبرهم كالفريسة ! **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ، فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾** مريم/٨٣-٨٤ ، **(وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً)** ليس لهم من ينصرهم ويخلصهم من عذاب الله **﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾** الإنفطار/١٩.

**١٧٤ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾**

خطاب الآية لكل الناس في الكرة الأرضية ، معناه خطاب عالمي من رب العالمين يحمل مسؤولية ربانية بلاغية عالمية عالية المضامين ، لتوصيل رسالة النبي (ص) العالمية السهلة السمحة **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** الأنبياء/١٠٧ ليهتدي بها الناس كافة فهي كالبرهان كامل البيان من

ربهم والدليل والدستور والمنقذ لهم من حيرة الضلالة ومن ظلمات الجهالة **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً)** فإذا كان الخطاب لكلّ الناس في العالم فلابد أن يكون النور المنزّل إليهم عالمياً أيضاً كقوله ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، فهو نور ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ**﴾ المائدة/١٦ ، وعبّرت الآية عن القرآن **(نُوراً مُبِيناً)** **والسبب** : لأن هدايته كالنور يدخل للنفس المؤمنة في كل جيل وفي أي زمان ومكان ، ويحرّك مشاعرها ويُحيي ضمائرها ، وتستضيء النفس بهذه الهداية في كل حياتها، فتكون كالنور يستضيء به الإنسان في الظلام ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ التغابن/١١. **فائدة** : **(بُرْهَانٌ.. نُوراً)** البرهان رسالة الإسلام لأنه يبرهن به أنه دين الله القيم لكل الناس ، والنور هو القرآن وسنة الرسول (ص) الصحيحة. لكونهما سبباً لوقوع نور الإيمان في القلوب كما تتبين بالنورالأعيان المطلوبة ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ النور/٣٥. **عن ابن عباس:** (الْحِكْمَةُ: التَّفَقُّهُ فِيْ الْقُرْآنِ).

**١٧٥ –** ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾

**الاعتصام** : التمسك بما يعصم ويحفظ ، أي فأما الذين صدقوا في إيمانهم واستقر في قلوبهم واستقام سلوكهم فوصلوا إلى درجة الاعتصام بالله (التمسك بمنهجه) وهي درجة الاعتماد عليه والاستعانة به والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه والتسليم لأوامره ونواهيه والرضا بقضائه في كلّ الأحوال **(وَاعْتَصَمُوا بِهِ)** أي إمتنعوا بمنهج الله عن إتباع النفس الأمارة وتسويلات الشيطان ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ ، وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ هَدَاْهُ ، وَمَنْ اِسْتَعَاْنَ بِهِ رَعَاْهُ، وَمَنْ اِعْتَمَدَ عَلَيْهِ حَمَاْهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاْهُ ، فإن الاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به ، متى صح الإيمان وتوازن مع صحة العلم ، ومتى عرفتْ النفس الإيمان بالله أنه كنز من كنوز المعرفة ، وعرفت أهمية العبودية لله للفرد وللجميع ، فلا يبقى أمام النفس المؤمنة إلاّ أن تعتصم بالله وحده وتتمسك بمنهجه بصدق ولا تتعدى حدوده في جميع الأحوال والأشكال **(فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ)** فيدخلهم الله في رحمة خاصة منه لا يدخل فيها سواهم ، وفضل خاص لا يتفضل به على غيرهم ، والفضل هو لطف وتكريم أكثر من الاستحقاق ، وهكذا يكون الجزاء على ضوء العمل ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٧ ، **(وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً)** يرشدهم طريقاً قويماً وهداية خاصة يثبتون عليها ينالون بها سعادة الدنيا والآخرة، لأن هدايتهم إلى الصراط المستقيم بتوفيق من الله تعالى ، والصراط المستقيم هوكل طريق لا إعوجاج فيه ولا عيوب ولا مساوئ ويعتمد الحق والعدل والخير ، وهو الإسلام الذي به السلام والأمان ، وهو أقصر الطرق وأهمها وأكثرها أرباحاً وأقلها خسارة للوصول إلى لقاء الله بسلامة واطمئنان وأمان.

**١٧٦ -** ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

**آية الميراث. الاستفتاء** : معرفة الحكم الشرعي الصحيح ، **(قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ)** أحكام الشريعة من الله تعالى لأنه هو المشرّع وحده والنبي (ص) ناقل التشريع والأمين عليه **(فِي الْكَلالَةِ) الكلالة** : الإحاطة في موارد الميراث وهي لقرابة الإنسان ما عدا الوالدين والأولاد (أو) بمن يموت وليس له ولد ولا والد. **(إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)** ولا واحد من الأبوين **(وَلَهُ أُخْتٌ)** والمراد بها هنا الأخت للأبوين أو للأب فقط ، وتقدم حكم الأخت للأم فقط من سورة النساء/١٢، **(فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ)** بالفرض والنصف الثاني بالرد ، وتنفرد وحدها بجميع التركة سواء أكانت للميت عصبة أو لم تكن **(وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ)** ذكر ولا انثى ولا أحد الوالدين **(فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ)** أو أكثر ، شريطة أن يكون الإنتساب بالأبوين أو الأب فقط لا بالأم فقط ، فيكون حكم البنات حكم البنين دون تفاوت **(فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ)** الميت أخاً كان أو أختاً **(وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)** إذا اجتمع الأخوة والأخوات، وكانوا بالكامل للأبوين أو للأب فقط فللذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن كانوا للأم فقط فالذكر والأنثى بمنزلة سواء ، ولا ميراث إطلاقاً لأخ أو أخت من الأم فقط مع الأخوة والأخوات من الأبوين ، ويرث مع المتقرب بالأم فقط **(راجع التفصيل في كتب الفقه)**، **(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** والله تعالى يشرع لكم بمقتضى علمه المحيط بكل شيء وهذه الأحكام أقرب إلينا نفعاً لئلا تظلوا. **فائدة** : جاء في سورة النساء/١٢ ، أن الأخت والأخ يرثان بعضهما بمقدار السدس ، وتقول هذه الآية إنهما يرثان النصف والسبب في ذلك هو أن مقصود تلك الآية هم الأخوة غير الأشقاء ، أي الذين هم من أم واحدة وآباء متعددين ، أما هذه الاية فتقصد الأخوة من أب واحد وأمهات متعددات أو من أب واحد وأم واحدة.

**وفي الختام نقول : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾** الأنعام/١٠٤.

**وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يونس/١٠. تمّ بعون الله تعالى (وَعْيُ الْقُرآنِ الْمُيَسَّر) لسورة النساء ، بقدري لا بقدرها ، بجهدٍ متواصل ، فللّه الحمد والمنّة ، وبالحمد تتمُّ الصّالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات بتأريخ ١١/رجب/١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠١٤/٧/١ م مع تصحيحها عدّة مرّات وتدقيقها في بغداد-الكاظمية ، داعين الله تعالى أن يُعيننا على تكملة بقية السُّور القرآنية الكريمة ، إنّ ربّي سميعٌ مجيب الدُّعاء.**

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**

# سُورَةُ المَائِدَة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

**من مقاصد السورة :**

كلها مدنية إلاّ قوله ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ فإنها نزلت في حجة الوداع تناولت السورة جانب من التشريع وموضوع العقيدة وقصص أهل الكتاب وفيها أحكام العقود والذبائح والصيد وأحكام الردة وحدالسرقة والبغي والإفساد في الأرض وأحكام الطهارة والخمر والميسر والوصية عند الموت ، وسميت (بالمائدة) لورود قصة المائدة فيها الدالة على نبوة عيسى (ع) ، **وهي من آخر من نزل من القرآن،** وفيها قصة إبني آدم.. وغيرها ، عدد آياتها ١٢٠ آية ، الجزء السادس. **فضلها : عن الإمام الباقر** (ع): (مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْمَائِدَةِ فِيْ كُلِّ يَوْمِ خَمِيْسٍ لَمْ يُلْبَسْ إِيْمَانَهُ بِظُلْمٍ وَلاَ يُشْرِكْ أَبَدَاً) مجمع البيان٣/٢٩٩، **ملاحظة عامة:** كل فضل من فضائل السور القرآنية بشرطه وشروطه والإلتزام بمنهج الله من شروطه. راجع فضل سورة البقرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**١ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾**

**أوفوا من الوفاء** : الإتيان بالشيء وافياً لا نقص فيه. **والْعُقُودِ** : عهود الله التي عهد بها إلى عباده للبر والفاجر وتشمل جميع أنواع العقود والعهود ، **والْعُقُدْ** : شد أحد شيئين بالآخر ، ويستعمل في العبادات والمعاملات ، **والْعُقُدْ** : هو عهد يقع على جميع المواثيق الدينية كالتوحيد والعقائد الأخرى ويقع مع جميع العهود التي يبرمها الأفراد فيما بينهم أو الجهات ، مهما كان نوع العهد خاصاً أم عاماً لفظياً أم مكتوباً أم مواثيق وعهود سياسية أو إقتصادية أو إجتماعية أو عائلية أودولية ومع القوي أو الضعيف ومع الصديق والعدو ومع البر والفاجر ، ويجب الوفاء بالعهد مما لا غنى للإنسان عنه في حياته سواء في حقوق الفرد والمجتمع ﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/٣٤ ، **عن النبي** (ص) : (الْمُسْلِمُوْنَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَاْ وَاْفَقَ الْحَقُّ من ذَلِكَ) كنز العمال خبر١٠٩١٨، **وعنه** (ص): (لاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ) البحار٧٢/١٩٨، ونقض العهد هو الغدر والظلم والخيانة ، **عن النبي** (ص) : (إِذَاْ نَقَضُوْاْ الْعَهْدَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ) البحار١٠٠ص٤٦، لذلك يجب رعاية الحق والحقوق والعهود كيفما كان وفي ذلك رعاية منافع المجتمع ومصدر تقدمه الحضاري وتطوره الأخلاقي وفي نقضها ذهاب لنظامه واستقراره وابتلاؤه بالفوضى. **في غرر الحكم:** (إِنَّ العُهُوْدَ قَلاَئِدُ فِيْ الأَعْنَاْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ ، فَمَنْ وَصَلَهَاْ وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ نَقَضَهَاْ خَذَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ اِسْتَخَفَّ بِهَاْ

خَاْصَمَتَهُ إِلَى الَّذِيْ أَكَّدَهَاْ). **المعنى**: يا معشر المؤمنين أينما كنتم أوفوا بالعقود على إطلاقها ويشمل كل عقد وعهد بين الإنسان وربه وبين الإنسان ونفسه وبين الإنسان والإنسان ، وهي عهود ما أحل الله يجب مراعاتها وما حرّم يجب اجتنابها ، وما فرض في القرآن كله من التكاليف والأحكام ، يجب الوفاء بالعقد أو العهد (إذا استوفى شروطه) حتى ولوكان بالتالي يخالف مصلحة أحد الطرفين، وهكذا تتجلى أخلاقية الإسلام في كل عهوده ، في الحديث **(القرآن عهد الله)** ، ثم أخذ يفصّل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها : **(أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ) البهيمة** : كل ذات أربع من دواب البر ولأن أصواتها مبهمة المعنى عند البشر ، **والأنعام**: الإبل والبقر والغنم ، وهذه الأصناف الثلاثة حلال ولا يحرم منها **(إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)** تحريمها وهي الميتة والدم ولحم الخنزير.. إلخ **(غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ)** أحلت لكم هذه الأشياء من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم في أثناء الإحرام في الحج **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)** وفي ذلك صلاح أمركم لأنه حكيم في أمره ونهيه.

**٢ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**

**لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** : **الشعائر** : جمع شعيرة وهي ما جعل شعاراً ومعلماً من معالم الحج ، وشعائر الله عامة وتتعلق بمعالم الدين الصحيحة التي توصل إلى إعلاء كلمة الله. **بمعنى** : لا تنتهكوا مناسك الحج بتركها وعدم إحترامها ، وهكذا تحترم شعائر الله إذا إنطلقت من التقوى وسارت على التقوى وأدّت إلى تقوى القلوب **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** الحج/٣٢ ، **شَعَائِرَ اللَّهِ** : علامات الله ومنها آياته المتنوعة وأحكام دينه ومنها مناسك الحج والعمرة ، أي لا تستهينوا بحرمات الله ولا تتهاونوا بشعائر الله ولا تعتدوا حدوده سبحانه **(وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ)** وهي الشهور التي حرّم فيها القتال وهي رجب ومحرم وذو القعدة وذو الحجة **(وَلا الْهَدْيَ)** ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام وهي الخالية من العلامة (القلائد) **(وَلا الْقَلائِدَ)** وهو ما يقلد به الهدي في عنقه من قلادة ليعلم أنه هدي للحج فلا يعترض له **(وَلا آمِّينَ)** ولا قاصدين **(الْبَيْتَ الْحَرَامَ)** ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام للحج أو للعمرة، نهى عن صدّهم والإغارة عليهم حتى لو قصدوا التجارة **(يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً)** حتى لو قصدوا الربح المالي والأجر والثواب الأخروي الذي فيه رضا الله وخدمة الناس **(وَإِذَا حَلَلْتُمْ)** من إحرامكم **(فَاصْطَادُوا)** إن شئتم فهو مباح في أرض غير محرمة. **(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ)** يحملنكم **(شَنَآنُ)** بغض وكراهية **(قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)** قوم كانوا قد منعوكم عن المسجد الحرام **(أَنْ تَعْتَدُوا)** عليهم بالمثل ، **بمعنى** : لا ينبغي أن يحملكم بغض المشركين لكم أن تمنعوهم من حقوقهم ومن زيارة البيت الحرام بعد أن

أظهركم الله وقويتم عليهم لأنهم منعوكم من قبل ، فلا ترد الخطأ بالخطأ فتكون مثله ، بل أمر الله عز وجل بالتعاون (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**) وهومبدأ إسلامي عام لكل شؤون الحياة ، هو مساندة الحق لا القبيلة أو المنطقة أو الطائفة أو العرق أو اللغة ، على الحكومة العادلة الدفاع عن المظلوم وإدانة الظالم ومساندة الخير والبر والتقدم. هذا التعاون المفيد من أركان الهداية الإجتماعية التي تبعث نهضة حضارية سريعة للفرد والمجتمع ، وهو التكافل الإجتماعي الواسع أن يعين الناس بعضهم بعضاً على كل ما ينفع الناس أفراداً وجماعات وحمل المجتمع وتهذيبه على إقامة هذا الواجب النبيل ، إنّ القوي مسؤول عن الضعيف ، والغني عن الفقير والعالم عن الجاهل والطبيب عن المريض وأولي الأمر عن المجتمع وكل مسؤول عن مسؤوليته ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ الصافات/٢٤ ، **في الحديث** : (أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) صحيح مسلم٣ص١٤٥٩، **وعنه** (ص) : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاْكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاْسُ) المراغي٦/٤٥.

**البر** : معنى عام واسع في فعل الخير.

**والتقوى**: إتّقاء وتجنّب ما يضر صاحبه ومجتمعه والناس جميعاً في دينهم ودنياهم في السر والعلانية (**وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**) ولا تتعاونوا على المعاصي والتعدي على حقوق الناس. **والإثم** : كل ذنب ومعصية **والعدوان** : تجاوز حدود الشرع والعرف ، وتجاوز واعتداء على حقوق الفرد والمجتمع (**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) خافوا عقابه، فإنه تعالى شديد العقاب لمن عصاه وتجاوز الحدود وأصرّ على المنكر وقد يشمل العقاب في الدنيا والآخرة ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ هود/١٠٢ ، وهذا عذاب الأمم في الدنيا. **عن الإمام الصادق**(ع) : (مَنْ مَشَى فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَمَنْفَعَتِهِ ، فَلَهُ ثَوَابُ الْمُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيلِ اللهِ) وسائل الشيعة٨/٦٠٢، **وعنه** (ع): (مَنْ كَاْنَ فِيْ حَاْجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمْ كَاْنَ اللهُ فِيْ حَاْجَتِهِ)، أي كان الله قاضياً لحاجته ! وقد وصل النهي عن إعانة الظالم إلى حدود (لاَ تُعِنْهُمْ عَلَى بِنَاْءِ مَسْجِدٍ)وسائل الشيعة٨/٣٤٥. **عن النبي (ص)**: (مَنْ أَعَاْنَ ظَاْلِمَاً سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٧٥٩٣

**٣ – ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

حُرِّم عليكم أيّها المؤمنون أكل الْمَيْتَةُ وهي ما مات حتف أنفه من غير تذكية (**وَالدَّمُ**) المسفوح الذي يخرج بقوة ويتميز عن اللحم لأن ما يختلط باللحم معفو عنه (**وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ**) وهو حرام في جميع أجزائه وهو حرام بعينه وخبيث بذاته حتى لو ذبح بالطريق الشرعي ، وإنما نص الله عليه من

بين سائر الخبائث من السباع لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم فلا تصدقوا بهم ، **وقال الطب الحديث** إن له ضرراً يأتي من أكله القاذورات (**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**) ما ذكر عليه غير اسم الله ، أو ذبح لغير الله ، أو لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ، فكما أن ذكر الله يطيب الذبيحة ويزكيها ، فيكون ذكر اسم غير الله عليها يخبثها معنوياً ويلوث القلب نفسياً ويفسد الفطرة لأنه شرك بالله تعالى (**وَالْمُنْخَنِقَةُ**) هي التي تموت إختناقاً بيد أو حبل أو ما شبهه (**وَالْمَوْقُوذَةُ**) التي تضرب بعصا أو حجر ونحوهما حتى تموت (**وَالْمُتَرَدِّيَةُ**) التي تتردى وتسقط من جبل أو مكان عال (**وَالنَّطِيحَةُ**) التي نطحتها بهيمة أخرى فتموت بالنطح (**وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ**) ما تبقى من فريسة الحيوان المفترس كالسبع.

(**إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ**) إلاّ ما أدركتم فيه الروح فذبحتموه الذبح الشرعي قبل الموت فإن التذكية الشرعية تطهر الذبيحة بفري الأوداج الأربعة بآلة حادة (**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**) وما ذبح على الأحجار المنصوبة كان أهل الجاهلية يذبحون عليها ويعظمونها فنهى الله عنها (**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ**) أي طلب معرفة ما قُسم له من الخير أو الشر بطريقة المقامرة بواسطة ضرب القداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي ، وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها خالٍ، فإن خرج الأمر مضى لغرضه وإن خرج النهي أمسك وإن خرج الخالي أعاد حتى يخرج الأمر أو النهي. وعوضهم عنه (**بالاستخارة**) لربهم في جميع أمورهم ، وطريق إلى طلب الخير من الله تعالى بالدعاء والإلتجاء إليه عند الحيرة ، لذلك صارت الخيرة عند الحيرة (حصراً) ولا يجوز تعطيل العقل ، وما حار من استخار **في غرر الحكم**: (مَا نَدِمَ مَنْ اِستَخَارَ) ، والخيرة بحاجة إلى توجه لله والاستعانة به تعالى ، وإذا كانت الخيرة بالقرآن فيجب حسن تفسيره.

(**ذَلِكُمْ فِسْقٌ**) كل ما تقدَّم من المحرمات وغيرها صيانة لعباده وحماية لهم من الضلال والفساد ، فإن تجاوز العبد طاعة الله يقع في طاعة الشيطان وإنها فسق في الفكر والقول والعمل لأنها تدفع إلى المعصية ومن حيث تعلم أو لا تعلم (**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**) يئس الكفار من زوال الإسلام أو تحريفه بعد أن تمكّن في نفوس المسلمين وأخذ طريقه في الإنتشار فأصبح يعلو ولا يُعلى عليه ، لأن قوة الإسلام من قوة المسلمين قال تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ التوبة/٣٣ ، فلا تخافوا أيها المسلمون من الكافرين وخافوا من الله وحده ، **عن النبي (ص)**: (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ) البحار١٣٣/٧٧، **وعنه (ص)** (مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفُ كَانَ مِنَ اللهِ أَخْوَفُ) البحار٣٩٣/٧٠، ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ الرحمن/٤٦، **عن النبي (ص)** : (طُوبى لِمِنْ شَغَلَهُ خَوفُ اللهِ عَنْ خَوْفِ النَّاسِ) البحار١٢٦/٧٧، (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**) (**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**) (**وَرَضِيتُ**

**لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً)** بشارات ثلاث في هذه الآية للمسلمين عامة وللمؤمنين خاصة وهي إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الإسلام منهجاً ودستوراً نموذجياً للبشرية، وكمال هذا الدين بهيمنته على الدين كله لقوله ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**﴾ المائدة/٤٨ ، فلا دين بعد هذا الدين الكامل الذي ارتضاه الله تعالى أن يكون منهجاً علمياً وعملياً للبشرية كلها الموجودة على الكرة الأرضية فهو منهاج عالمي ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧، يجب أن يبلَّغ للبشرية في العالم بكماله وجماله وجلاله ، وإن ما سواه من أديان ومناهج وضعية ناقصة ومتناقضة مع الإسلام فهي ضالة باطلة ، والإسلام هو النعمة التامة ، **عن النبي** (ص) : (قال جبريل (ع) : قال الله عز وجل : هَذَاْ دَيْنٌ اِرْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِيْ ، وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلاَّ السَّخَاْءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَاْ صَحِبْتُمُوهُ) روح البيان٢/٣٤٣. **المعنى العام: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)** ماذا حصل في ذلك اليوم حتى كمل الدين ؟ إنه لابد من شيء مهم ، به يحصل كمال الدين **(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)** فكل تصرف يسلك بالإنسان إلى درجة القرب من الله فهو نعمة كالهداية والتوفيق وإكمال الدين والشرائع، فالنعمة الكبيرة الإحساس بالعبودية ودخولها تحت ربوبية الله عز وجلّ لتدبير شؤون العبد ليكتسب كمال الدنيا والآخرة **(وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً)، في نهج البلاغة خطبة١٩٨: (**ثُمَّ إِنَّ هذَاْ الأَسْلاَمَ دِينُ اللهِ الَّذِيْ اِصْطَفَاْهُ لِنَفْسِهِ وَاِصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنِهِ وَاصْفَاهُ خِيْرَةَ خَلْقِهِ وَأَقَاْمَ دَعَاْئِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الأَدْيَاْنَ بِعِزِّهِ وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَهَدَم أَرْكَاْنَ الضَّلاَلَة بَرَكْنَهْ) وأساس هذا الدين القيّم طاعة الله فهي مفتاح كل سداد وصلاح كل فساد.

**في غرر الحكم:** (أَكْرِمْ نَفْسَكَ مَاْ أَعَاْنَتْكَ عَلَى طَاْعَةِ اللهِ) كقوله ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ النساء/٥٩ ، طاعة الله الولاية الكبرى وولاية من أمر به الله وهي ولاية رسول الله (ص) وولاية أولي الأمر وجاءت طاعته من بعد طاعة الله وطاعة الرسول (ص) ليقيم أسس الدين القيم في الأمة ، وولي الأمر يتحدد بطاعته لله ورسوله ، فبمقدار الطاعة يكون مقدار ولايته (راجع الآية). فإذا كملت النظرية الإسلامية وتمت النعمة في هذه الآية المباركة ، عاش النبي من بعدها (٨١) يوماً فلم يستطع الرسول (ص) أن يبني أجيالاً إسلامية يعتمدها من بعده ليكون خُلُقهم القرآن، فكانت هناك ضرورة ملحة ليكون لكل نبي وصياً تمتد رسالته من بعده ، فكان لموسى ﴿**اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً**﴾ المائدة/١٢ ، وكان لعيسى إثنا عشر حوارياً قالوا ﴿**نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ الصف/١٤ ، وكان لحبيب الله خاتم الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد (ص) إثنا عشر إماماً ، وأمر الإمامة من كمال الدين وإتمام النعمة ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/٧١ ، في هذا اليوم التأريخي **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..)** عيّن النبي (ص) الإمام الأول للأمة من بعده وهو علي بن أبي طالب (ع) وأعدّه وأهّله لهذه المهة الكبيرة بعدّة مناسبات أذكر منها قوله (ص) : (إِنَّ لِكُلِّ نَبِي وَصِياً وَوَارِثاً وإِنَّ عَلِياً وَصِيِي وَوَارِثي) تاريخ دمشق ابن عساكر٣ص٥ وإتّفق المفسرون أن سورة المائدة

مدنية ما عدا هذه الآية (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**..) إنها نزلت في مكة في حجة الوداع في مكان غدير خم جمع الرسول (ص) الناس وخطب فيهم (الخلاصة) قال : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ اللَّهُمْ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأُنْصُرْ مَنْ نَصرَهُ وَأُخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَاَرَ..) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢ص١١. **معنى إكمال الدين** : كمل الدين كنظرية وكمل بالإمامة كتطبيق لأنها نظام الأمة وعز المؤمنين ووحدة المسلمين ، وحفظة السنّة، لتكون امتداد طبيعي للنبوة ، كما امتدت رسالة موسى (ع) بالنقباء ، وإمتدت رسالة عيسى (ع) بالحواريين كذلك تمتد رسالة محمّد (ص) بالإمامة ، **عن النبي (ص)** (لاَ يَزَاْلُ هَذَاْ الدِّيْنُ قَاْئِماً حَتَّى يَكُوْنَ عَلَيْكُمْ إِثْنَاْ عَشَرَ خَلِيْفَةً) كنز العمال خبر٣٠٩٢٩، **وعنه (ص)** : (إِنَّ عِدَّةَ النُّقَبَاْءِ بَعْدِيَ عِدَّةَ نُقَبَاْءِ مُوْسَى (ع)) كنز العمال١٤٩٧١، **وبعد أن أكمل النبي (ص) خطبته** : فقال عمر بن الخطاب لعلي بن ابي طالب (ع) بخ بخ لك أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة فإنزل الله (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**..) ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ الأحقاف/٣١، (**فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) **مَخْمَصَة** : مجاعة (**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ**) غير منحرف إلى البغي ومتعد لحدود الله ، فمن الجأته الضرورة إلى تناول شيء من المحرمات المذكورة، في حالة مجاعة وكونه غير مائل إلى الآثام فإن الله لا يؤاخذه بأكله لأن الضرورات تبيح المحظورات.

**فائدة:**

**١- سؤال** ألا تتعارض حلّية ذبح الحيوان ليأكله الإنسان مع مفهوم الرحمة الإلهية ؟ **الجواب**: عالم الخلق يقوم على مبدأ التغيرات والتحوّلات ، فالتربة تتحول إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان ، وبالنتيجة فإن عملية التحوّل تفرز رشداً وكمالاً ديمومة في حركة الحياة والمخلوقات ، **وبإختصار** : كمال الحيوان المأكول هو قربان في ذبحه ليأكله الإنسان ، والإنسان قربان إلى طاعة الله. **٢-** أقصى ما يخشاه الكفّار هو الدين الكامل ، ولا يكتمل الدين دون قائد مسدد ومؤيد (ومعيّن) من الرسول (ص) أفضل من (الشورى) وانتخاب الأمة ، والأمة لا تزال فتية على فهم الدين فالخشية على الدين عندما يكون القائد فيه خانع والجهاد معطّل والأمة متفرقة والخيرات مسلوبة (**الْيَوْمَ يَئِسَ.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ**). **٣-** يرخّص للمضطر أن يتناول من المحرمات بمقدار الضرورة وهي تقدّر بقدرها والزائد حرام (**فَمَنْ اضْطُرَّ**). **٤-** (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**..) إنّ الله سبحانه أكمل للمسلمين دينهم بإظهاره على الأديان كلها رغم محاربة المشركين ومقاومتهم للإسلام والمسلمين ، وأتمّ الله نعمته على المسلمين بالنص على الإسلام أصولاً وفروعاً وألقى الله تعالى الحجة على الناس بإكماله وإتمامه بكل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ النحل/٨٩ ، ولكن اقترنت هذه الآية بحادثة تفسرها تدعم سبب نزولها وهي حادثة (**الغدير**) القطعية التي نصّبت الإمام علي (ع) خليفة للمسلمين بقول

الرسول (ص) لعلي (ع) (مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ) تاريخ ابن عساكر١ص٣٦٦ ومن الملفت للنظر أن سورة المائدة مدنية كلها ما عدا هذه الآية نزلت في مكة مما يؤكد هذه الحادثة ، ليقود الإمام علي (ع) القائد النموذجي الكفؤ المميز ، الأمة المختارة على أسس هذا الدين القيم الكامل بذاته والمكمل لغيره ، وتتم نعمته المباركة على الناس ، ومعارضة هذه الحقيقة هو جحود بالنعمة ولها عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة. كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ**﴾ المائدة/٦٧ ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلُ بَيْتِي فِيْكُمْ كَمَثَلِ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ مَنْ دَخَلَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) البحار٢٣/١٢٠.

**٤ – ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**

يسألونك يا مُحَّد ما الذي أُحل لهم من المطاعم والمشارب (**قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ**) وهي جميع ما تستطيبه الأذواق السليمة غير المنصوص على تحريمها فإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَيِّبَ ، وكل شيء لك حلال حتى يثبت أنه حرام ، وهو واجب مطلق واسع الدلالة يميز الحلال من الحرام ، فكل ما هو طيب في ذاته وصفاته فهو حلال ، وكل ما هو حلال طيب (وبالعكس) الحرام هو الخبيث ، والخبيث هو الحرام لقوله ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ**﴾ الأعراف/١٥٧ ، وكأن الآية تُرجع الإنسان إلى فطرته السليمة وذوقه الطبيعي لتشعره بهذا المعنى ، وهذا يبين الانسجام بين السنن التشريعية والسنن التكوينية (**وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنْ الْجَوَارِحِ**) وأحل لكم صيد ما علّمتم من الجوارح وهي الكلاب وبعض النسور الجارحة الأليفة ونحوها مما يصطاد به (**مُكَلِّبِينَ**) المكلب مؤدب الجوارح واشتقاقه من الكَلَب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب وبعض النسور الجارحة الأليفة وتربيتها للصيد (**تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمْ اللَّهُ**) تعلمونهن طرق الاصطياد وكيفية تحصيل الصيد وهذا جزء مما علمه الله للإنسان ، فلو انطلق من تلقائه وأتى بالصيد مقتولاً لا يحل أكله والكلب المعلّم والنسر المعلّم على الصيد هو الذي إذا أمره صاحبه يأتمر وإذا نهاه ينتهي (فإذا كان الحيوان يتعلم.

(**تُعَلِّمُونَهُنَّ**) فيجب أن يتعلّم الإنسان ﴿**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٥١، **(راجع تفصيل شروط التحليل مما يصطاده الكلب في كتب الفقه).** (**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ**) ضمير أمسكن للكلاب، وعليكم أي أن الكلاب أو الجوارح تحوز الصيد لكم لا لأنفسها ، هذا إذا أدركت الصيد حياً ومات بسبب الإمساك ولو أدركته ميتاً لم يحل (**وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ**) ويشترط أيضاً للتحليل أن يُسمي الصائد عند إرسال الكلب إلى الصيد فيقول إذهب على إسم الله فهو ذكاته (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) راقبوا الله في أعمالكم ولا تقربوا شيئاً مما نهاكم عنه ، **والتقوى** : لكي لا يكون الاصطياد عن بطر واسراف في القتل ولا تقتلوا تلهياً وتجبراً ، والظلم على الحيوان يكون خصمه

يوم القيامة (**إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) إذا حان حسابه أتى سريعاً وتماماً ، ويؤاخذكم سريعاً مع دقة الحساب والعدل في الحكم والرحمة في القضاء ولا رقة في العقاب فيجازي سيئة الظلم والعدوان في الدنيا قبل الآخرة ويحاسب الناس كلهم يوم القيامة في وقت واحد ، فلا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ، ولا يشغله شيء عن شيء ولا أمر عن أمر ولا طلب عن طلب إنّ الله على كلّ شيء قدير.

٥ - ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾

أبيح لكم الطيبات على إطلاقها حلّية عقلية ما تستطيعه النفوس المؤمنة المستقيمة في تعاملاتها ، فكل طيب في ذاته وصفاته فهو حلال عندهم ، وكل حلال طيب بعيد عن الخبيث (بعكس الحرام) ما لم يكن نص شرعي قطعي على حرمته ، ومن الورع عن محارم الله التوقف عند الشبهة، **عن النبي (ص)** (دَعْ مَاْ يُرِيْبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ) تنبيه الخواطر ص٤٣، وهذا إمتنان من الله بهذه الحلية وإزالة حالة الشك في مسألة أهل الكتاب بعد التشديد في معاشرتهم (**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**) ، **عن الإمام الصادق** (ع): (عَنَى بِطَعَامِهِمْ هُنَاْ الْحُبُوبُ وَالْفَاْكِهَةُ غَيْرَ الذَّبَاْئِحَ الَّتِي يَذْبَحُوْنَ فَإِنَّهُم لا يَذْكُرُوْنَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) الأمثل٣/٥٣٨، فهي فسق ولا تدخل ذبائحهم لنا في عِداد الطيبات (**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**) وأبيح لكم أيها المؤمنون نكاح المحصنات أي العفيفات الحرائر من المؤمنات والعفيفات من النساء ومن أهل الكتاب (يهوديات أو نصرانيات) شرط أن يدفعوا لهن مهورهن بالزواج الشرعي لأن الله إنما أحلّ طعامهم وأحلّ العفيفات من نسائهم ليكون سبباً لانتشار الإسلام بينهم ، وانتقال الأخلاق والشريعة الإسلامية السامية إلى غير المسلمين، لا أن يتأثر المسلمون بأخلاق الكفار فتصبح نعمة الله نقمة كقوله.

﴿**بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً**﴾ إبراهيم/٢٨. (**مُحْصِنِينَ**) عفيفين بعيدين عن الزنا والحرام ، والزواج الشرعي هو حصن حصين من العفة والدين والشرف (وحفظ الفرج) ، لذلك صار العفاف أفضل عبادة لأنه درع من المنكر ، **في غرر الحكم:** (إِذَاْ أَرَاْدَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرَاً عَفَّ بَطْنَهُ وَفَرْجَهُ) ، **في نهج البلاغة حكم٤٧:** (قَدَرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ، وَعِفَّتِهِ عَلَى قَدَرِ غَيْرَتِهِ) ، (**غَيْرَ مُسَافِحِينَ**) غير زانين جهراً ، (**وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**) جمع خدن وهو الصديق والصديقة والعشيقة تزنون بهن سراً ، أي لا تعاشروهن خفية ولا تقربوهن سرّاً ولا علناً إلاّ عن طريق زواج عفيف شريف نظيف مع عقد شرعي، على كتاب الله وسنة رسوله ليكون **ميثاق غليظ** ، بعد أن يحصل الرضا من الطرفين وإيتاء

المهر. (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) **الكفر** : هو الستر لنعمة الله وآياته وتغطية شريعته وأحكامه عز وجل ، والكفر بالإيمان هو ترك العمل بمايعلم باستمرار كالارتداد عن الدين ، أمّا الكفر المؤقت فهو فسق ، وكل كفر بالإيمان بأية مرتبة كان فإنّه يؤدي إلى حبط (بطل) عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك !، فلا يعود له أثر أو نفع في حياته وهو في الآخرة من الخاسرين والهالكين ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾ العنكبوت/٥٢ ، **عن النبي (ص)**: (الْخَاْسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَاْدِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩. **فائدة:** (**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**) الكفر بالإيمان نسب ودرجات فكل نسبة تؤدي إلى حبط العمل كالاسترسال مع فساد الكفار وظلمهم للناس والاعتداء عليهم ، وحماية الظالمين والدفاع عنهم ، والتسامح في دين الله ، واللامبالاة في الحلال والحرام وهذا لا يكون إلاّ نتيجة جحد الحق والتكذيب في الدين والشك فيه ، فيكون عمله من دون عقيدة وإيمان وإن تظاهر بهما ، إذاً فلا وزن لكل عمله ولا قيمة له وهذا هو (**حَبِطُ العَمَل !**) **عن النبي (ص)** (مختصر): (إِنَّهُمْ يَعْمَلُوْنَ الْحَسَنَاْتِ مَعَ النَّاْسِ وَهُمْ إِخْوَاْنُكُمْ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَاْ دَخَلُوْاْ بِمَحَاْرِمِ اللهِ إِنْتَهَكُوْهَاْ ، وَإِذَاْ عُرِضَ لَهُمْ حَرَاْمٌ لَمْ يَدَعُوْهُ !) ، **وعنه (ص)** : (ثَلاَثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيْهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ عَمَلٌ : وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاْصِيْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ السَّفِيْهِ ، وَعَقْلٌ يُدَاْرِيْ بِهِ النَّاْسَ) تحف العقول ص١٤، **وعن الإمام الصادق (ع)** في قوله تعالى (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**) : (أَدْنَىْ مَاْ يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ عَنِ الإِسْلاَمِ أَنْ يَرَى الرَّأْيَ بِخِلاَفِ الْحَقِّ فَيُقِيْمُ عَلَيْهِ) وسائل الشيعة٢٧ص٦٠،كقوله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣.

٦ - ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾

الآية تتضمن حكم الطهارات الثلاث (الوضوء وغسل الجنابة والتيمم) لأنه (لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِطَهُوْرٍ).

**المعنى** : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ**) إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون فيجب عليكم الوضوء لأنه مقدّم على الصلاة ، فإن مقدمة الواجب واجب ، هذه الآية تحدد أعضاء الوضوء وحدوده غسلاً ومسحاً ولم تحدد كيفيته (**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**) وهو ما بين قصاص الشعر من الناصية (الجبهة) وآخر الذقن طولاً ، وما دارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً (**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**) والغسل إمرار الماء الطاهر على المغسول ، واليد ما بين المنكب (مفصل اليد) إلى أطراف الأصابع ، فلذلك قيده بقوله إلى المرافق أي بحيث يبدأ الغسل من المرفق إلى أطراف

الأصابع (**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**) مسح جزءٍ من مقدّم الرأس لأن بـ (رؤوسكم) (الباء) للتبعيض (**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) الْكَعْبَيْنِ** : الكعب هو العظم الناتئ البارز في ظهر القدم قرب مفصل الساق ، يجب مسح الأرجل لا غسلها لأنها معطوفة على الرؤوس (هنا محل خلاف) واختلاف الرأي لا يفسد الود ولا يقطع الصلة ، أمّا على قراءة الجر فواضح إذ الرؤوس مجرورة بالباء والمعطوف يعطي حكم المعطوف عليه ، وأمّا على قراءة النصب فمعطوفة على محل الرؤوس محلاً لا لفظاً ، فإنها مجرورة لفظاً منصوبة محلاً. وإن إقتران (**أَرْجُلَكُمْ**) بـ (**رُءُوسِكُمْ**) دليل على أن الأرجل يجب أن تمسح هي أيضاً لا أن تغسل ، وما فتح اللام في (**وَأَرْجُلَكُمْ**) إلاّ لأنها معطوفة محلاً على رؤوسكم (وهي الأقرب) وليست معطوفة على وجوهكم (وهي الأبعد) ، وحكم العطف يكون على الأقرب وليس على الأبعد ، **والحكمة في الوضوء** : الوضوء نظافة وطهارة ، نظافة بدنية وطهارة معنوية ، والحكمة لا تنحصر في النظافة الظاهرية فلعلّ منه الطهارة الباطنية وتهذيب النفس ، **عن النبي** (ص) : (الوضوء نور) والبقاء على الوضوء نورٌ على نور، وسائل الشيعة١/٢٦٥، **عن النبي** (ص): في قوله (**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**) فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل ثم قال (**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**) ثم فصل بين الكلامين فقال (**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**) فعرفنا حين قال برؤسكم أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء **عن النبي** (ص): (الوضوء غسلتان ومسحتان) مجمع البيان٣/٣٣٢.

بمعنى أن كلام رسول الله (ص) مستنبط من الآية الكريمة ، فالآية وصلت الرجلين بالرأس كقوله (**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ**) فهذه مسحتان ، فعرفنا حين وصلت الآية مسح الرجل بمسح الرأس أي أن المسح يكون على بعضهما أي جزء منهما. ووصلت الآية اليدين بالوجه كقوله (**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**) هذه غسلتان ، فصار الوضوء غسلتان ومسحتان. **عن النبي** (ص): (إنَّ فِي كِتَابِ اللهِ المسْحَ ويَأبَى النَاسُ إلاّ الغَسْلَ) مجمع البيان٣/٣٣٢ (**وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا**) الجنابة الحدث الأكبر الذي يحصل بالجماع أو مطلق خروج المني فيجب الاغتسال من الجنابة جميع البدن وهو يجزي عن الوضوء وفيه طهارة البدن وتزكية النفس (**وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى**) تتضررون من استعمال الماء.

(**أَوْ عَلَى سَفَرٍ**) ولم تجدوا الماء (**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ**) كناية عن قضاء الحاجة والغائط هو المكان المنخفض (**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**) كناية تلميحية رقيقة عن الجماع (وربّ تلميح أبلغ من التصريح) فإن الله يحب الستر فلم يسمّ أدباً وصوناً ، وتربية اللسان من التصريح (**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً**) بعد طلبه (**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**) التيمم هو القصد ، فإقصدوا التراب الطاهر للتيمم به، (**صَعِيداً**) وجه الأرض الطاهر (**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ**) **كيفية التيمم** : من الجبين أي ببعض وجوهكم وبعض أيديكم على ظاهر الكف ، ويتألف التيمم من مسحتين إحداهما للوجه من الجبين إلى الأنف والأخرى لليدين بظاهر الكفين اليمنى ثم اليسرى (**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ**

**مِنْ حَرَجٍ) الحَرَجْ** : المشقة والضيق كقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**﴾ البقرة/١٨٥ ، **عن النبي (ص)** : (بُعثتُ بِالشَّرِيْعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَاء) البحارالأنوار٢٢/٢٦٣، والإسلام لا يدع المسلم في حرج مطلقاً ، ولم يكلّف بشيء إلاّ لمصلحة تعود على المكلّف ، وهذه قاعدة عامة تبين أن الدين الإسلامي يسر ولا مشقة فيه ولا حرج ولا ضرر ولا ضِرار ، ويدفع المسلم إلى كلِّ خير وتقدُّم ويمنعه من كلِّ شر وتأخر، وهذا يدلُّ على مرونة الإسلام المستوعبة لجميع الحالات ، وهو صالح لكل زمان ومكان ولكل إنسان ولجميع الأجيال **(وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ)** التطهير الظاهري والباطني ، فالوضوء والغسل والنظافة تطهير ظاهري ينتج منها تطهير باطني ، التطهير النفسي بتزكيتها وتهذيبها وتعليمها، وتطهير أخلاقي بحسن التعامل، **عن النبي (ص)**: (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥، **عن النبي** (ص): (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاْنَاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقَاً) البحار٧١/٣٨٩، **(وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** إن هذه التكاليف الإلهية نعمة الدين القيّم الذي يهديهم إلى الصراط المستقيم صراط الله وولاية الله على العباد وطاعة العباد لله ولتشكروه على نعمه الظاهرة والباطنة التي قال عنها الله تعالى ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ إبراهيم/٣٤ ، ومن أدّى حق الشكر استخلصه الله لنفسه ، و﵁ وأرضاه.

**٧ - ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**

**نِعْمَةَ** : جاءت نكرة للدلالة على عمومها ، إذكروا نعمه سبحانه الدينية والدنيوية والظاهرية والباطنية والمادية والمعنوية الحسيّة واللاحسية المعروفة وغير المعروفة ، إذكروها بقلوبكم وألسنتكم ولا تنسوا فضل الله عليكم لتشكروه وتحبوه وتطيعوه ، وفي الذكر زوال للعُجُب عن النفس ، **كما قال الإمام علي (ع) في دعاء الصباح:** (وَأَدِّبِ اللّهُمَّ نَزَقَ الخُرْقِ مِنّي بِأَزِمَّةِ الْقُنُوعِ) النزق: الطيش، الخرق: الجهل، بأزمة: جمع زمام وهو اللجام، وأبرز نعمة **(الإسلام)** ولا شرف أعلى منه ، **عن النبي (ص)** : (الإِسْلاَمُ ذَلُوْلٌ لاَ يَرْكَبُ إِلاَّ ذَلُوْلاً) كنز العمال خبر٢٤٤ **(وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) الميثاق** : العهدُ المؤكَّد وليس المراد بذلك أنهم لفظوا العهد ونطقوا بالميثاق ووقعوه، وإنّما المراد من دخل بدين على عمومه فقد قطع عهداً على نفسه أن يعمل بتعاليمه. المسلمون حين اعتصموا بالإسلام عن رضا وعلم وإيمان وطيب نفس ، فهو عهد أعطوه بفطرتهم وإسلامهم لله بصورة ضمنية بمجرد قبولكم الإسلام وقولكم شهادة **(أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ)** وهذه الشهادة هي بذاتها ودلالتها العهد والميثاق الخاضع لله والمستسلم لأمره بأنه يعبده سبحانه وحده ولا يستعين إلاّ به كقوله ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾ الأعراف/١٧٢ ، فأعلنوا السمع والطاعة عن علمٍ

وإيمان في العسر واليسر ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ آل عمران/١٩ ، وحيث اعتنقوا الإسلام فهو يعلُو ولا يُعلى عليه ، فعليكم أن تهتدوا بهداه فإنه منهج الله إرتضاه لنفسه واختاره خيرة خلقه ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ التوبة/٣٣ ، فإن تمسّك المسلم بإسلامه والتزامه بأحكامه هو العهد والميثاق المسلّم لله الذي لا يُعبد سواه ولا يُستعان إلاّ به جلّ في علاه ، علينا أن نحافظ على الميثاق (**بلسان الحال قبل لسان المقال**) ونعمل بموجبه فنوفي بعهدنا وميثاقنا الذي واثقنا ، ومن عصى فقد إتبع الهوى وعمى وضلّ عن سبيل الله وخان نفسه ودينه وربه، ونقض عهد الله وميثاقه ، وكذّب على نفسه بنفسه **عن النبي (ص)**: (الْكَذِبُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النِّفَاقِ) تنبيه الخواطر ص٩٢ والله من وراء القصد ويعلم سرّكم وعلانيتكم. (**وَاتَّقُوا اللَّهَ**) فلا تنقضوا عهده وميثاقه (**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**) فلا يخفى عليه ما أضمره كل واحد ممن أخذ عليه الميثاق الفطري في عالم الذر من نية الوفاء به أو عدم الوفاء به ، **في نهج البلاغة خطبة١**: (وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ (ليهدوهم) مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ).

**٨ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**

**قَوَّامِينَ** : صيغة مبالغة من كثرة القيام بالمسؤولية والقائم بها حق القيام (**قَوَّامِينَ لِلَّهِ**) : دائمين على القيام بعهود الله وشريعته ، إنها لفريضة الأمة القوّامة على البشرية القائدة لها ، مهما يكن فيها من مشقة فلها حلاوة ، وثمرتها تغطّي على المشقة ، هكذا يريد الإسلام للمؤمنين أن يكونوا في كلّ حياتهم وشؤونهم قوّامين لله وحده لا لغيره ولا لغرض دنيوي ، مبالغين في الاستقامة والقوامة في جميع أقوالهم وأفعالهم طموحين في دنياهم بالصدق والإخلاص وأن يلتحقوا بالتقدم العلمي والحضاري المستمر ومشاركين فيه ، ذاكرين آخرتهم وعاملين على تحقيق منهج الله في الأرض بأساليب يرضاها الله وأن تكونوا بهذه القوامة قاصدين للقسط هو العدل (**شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**) بحيث تبنى شخصيتهم على العدل في جميع سلوكهم في كافة حالاتهم في كل أقوالهم وأفعالهم دون استثناء وإخفاق ، فإن بالعدل (والإنصاف) نظام الأمة وقوة الدولة وإصلاح المجتمع والأفراد وجمال السلطة ومضاعفة البركة، **عن الإمام علي** (ع): (الْعَدْلُ أَسَاسٌ بِهِ قَوَامُ الْعَالَمِ) البحار٧٨ص٨٣، قوموا بالعدل على النفس والقريب والبعيد والصديق والعدو بلا إفراط ولا تفريط ولا تلوّن في أقوالهم ولا تقلّب في أفعالهم ، وتقدم في سورة النساء/١٣٥ ، والقصد من التكرار للتأكيد على أن نكون أقوياء في نصرة الحق والعدل لا ضعفاء مهزوزين متخاذلين جبناء و(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ) وكشفت لنا سنن التأريخ أن الإيمان الراسخ قوة في القلب وصلابة في الإرادة ولا يقف في وجهه أي حاجز ومانع ، **عن النبي** (ص): (الإِسْلاَمُ يَسْبُكُ الرِّجَالَ كَمَا تَسْبُكُ النَّارُ

خَبَثَ الْحَدِيْدِ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) كنز العمال ج١ص٧٨، كان المسلمون يخاطبون الملوك والأمراء في العالم (أَسْلِمْ تَسْلَمْ) من أين جاءتهم هذه القوة ؟ إنها قوة الإيمان القوّام بالعدل لله **(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ)** ولا يحملنكم **(شَنَآنُ قَوْمٍ)** بغضهم **(عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا)** فلا يحملنكم بغض لأحد بعدم إقامة العدل له او عليه لمجرد الكره والتشفي ، فاعدلوا مع أوليائكم كما تعدلون مع أعدائكم على السواء **(اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** العدل في كل الحالات والإنصاف في جميع المجالات مع من تحب ومن تبغض على السواء أقرب للتقوى و(مَنْ اِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** التغابن/١٦. إنها عدالة متأصلة في أعماق النفس ومتواصلة مع المجتمع باستمرار دون انقطاع. **(إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** مطلّع على أعمالكم ومجازيكم عليها. **فائدة** : في الآية تنبيه عظيم على أن العدل إذا وجب مع الكفّار الذين هم أعداء الله ، وكان بهذه الصفة من القوة ، كان أولى بوجوبه مع المؤمنين وهم أحباؤه. **عن النبي (ص)** : (عَدْلُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِيْنَ سَنَةٍ ، قِيَامُ لَيْلِهَا ، وَصِيَامُ نَهَارِهَا)البحار٧٥/٣٥٢.

**٩ – ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**

**﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** الروم/٦ ، وعد إلهي فاعل للمؤمنين العاملين الذين يترجمون أقوالهم إلى أفعال، ويترجمون إيمانهم إلى منجزات ، فإنه لا يُقبل إيمان بلا عمل، ولا عملٌ بلا إيمان ،**في غرر الحكم**: (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَاْلٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ)، والذين لا يترجمون إيمانهم إلى صالحات فهو إيمان ناقص ويقعون في المحذور الخطير والمرير **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** الصف/٢-٣، **المقت** : أشد البغض، **المعنى** : هؤلاء الذين يترجمون إيمانهم إلى أعمال صالحات على إطلاق معناها فهم يكملون حُسن العبادات بحُسن المعاملات (حُسن الخُلُق) ، بأي نسبة من الإيمان مع أي قدر من الصالحات الواجبة والمستحبة هؤلاء وعدهم الله **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثاً﴾** النساء/٧٨ بالغفران لذنوبهم والثواب العظيم الذي لا يعلم عظمته إلاّ الله **﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** الصافات/٦١، **﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** المطففين/٢٦. **(لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)** **الْمَغْفِرَةُ**: الستر، الإيمان والعمل الصالح يستران ويمحوان من النفوس السوء ، ويغلب عليها حب الخير ، ليزدادوا إيماناً وعملاً صالحاً متنوعاً.

**١٠ – ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**

يقترن الكفر بتكذيب الآيات البينات الواضحات على إطلاقها ، ويقترن الكفر بإتباع الهوى فإنه إله يعبد من دون الله **﴿وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** ص/٢٦ ، حتى نحذر من الكفر أشد الحذر ، لأنه ينتهي إلى إنكار الحق الصريح مع العلم بأهميته لذلك هدّد الكافرين والمكذبين بجهنم فهم ملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه كما لازموا التكذيب. **فائدة** : جاءت الجملة فعلية للمؤمنين متضمنة الوعد بالماضي الذي هو دليل على الوقوع، وفي الكافرين جاءت الجملة

إسمية خبرية دالة على ثبوت هذا الحكم لهم فهم دائمون في جهنم ليستدركوا أنفسهم ويخلصوها من سوء العاقبة.

**١١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**

**نِعْمَةَ اللَّهِ** : جاءت نكرة للدلالة على عمومها وتعدد أشكالها **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾** النحل/١٨ ، يذكِّر الله تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة ، الظاهرة والباطنة ، المادية والمعنوية والدائمة والمؤقتة الصغيرة والكبيرة في الدنيا والآخرة... ويحثهم على تذكّرها بالقلب واللسان ويشكرها بالقول والعمل فإن الذكر التقرب إلى الله فهو لذة المحبين ويزيل الغفلة ويرفع الغرور ويقوّي العلاقة مع الله تعالى ، **في نهج البلاغة خطبة٢١٣**: (لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ) ، **(إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ)** ويذكرهم بأهم هذه النعم من قوة الإسلام والمسلمين ، بعد ان نجاهم الله من تآمر الكافرين الذين حاولوا أن يبطشوا بكم بالقتل والهلاك **(فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ)** فعصمكم الله من شرّهم وردّ أذاهم عنكم ونصركم على أعدائكم في نهاية الجولة ، فكانت لهم جولة ولكم دولة تلك نعمة الله الواضحة على المسلمين **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** واتقوا الله الذي أراكم قدرته على أعدائكم وقت ضعفكم وقوة أعدائكم (فَمَنْ اِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) **(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)** فليعتمد المؤمنون على الله وليثقوا به في كل الأحوال **عن النبي (ص)**: (مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ مُؤْنَتَهُ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)كنز العمال خبر٥٦٩٣ و(عَلَى قَدَرِ التَّقْوَى يَكُوْنُ التَّوَكُّلْ) **في غرر الحكم**: (حُسْنُ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَى اللهِ عَلَى قَدَرِ ثِقَتِهِ بِهِ) وتحصل قوة الإرادة وصلابة القلب على الحق ، من قوة التوكل على الله ، فقد أراكم عنايته بكم ، **عن النبي (ص)**: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُوْنَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) البحار١٥١/٧١. **فائدة: التقوى**: من اتقاء عقاب الله وسخطه بترك معاصيه والالتزام بطاعته. **والتوكل على الله**: الاعتصام بالله في جميع الأمور، ومحله القلب وأثره في الخارج الاستقامة **﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** آل عمران/١٠١ ، والتوكل من معالي درجات المقربين. **في غرر الحكم**: (مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَضَاءَتْ لَهُ الشُّبُهَاتُ).

**١٢ - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**

ميثاقهم أي عهدهم المؤكد باليمين أن لا يتجاوزوا حدود الله **(وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً)** **بَعَثْنَا**: لابد للقائد أن يعيّن من الله ، كذلك من يختارهم الأنبياء وأوصياء عنهم بتعيين. **النقيب** :

كبير القوم وقائدهم والقائم بأمورهم دون أن يتلقى وحياً ويشرّع شريعة ، ونقباء بني إسرائيل الإثني عشر جعلهم الله زعماء وقادة لأسباطهم الإثني عشر ، لكل سبط نقيب وقائد يدبر أمور جماعته المنقّب عن أحوالهم ، والمراد ببعثهم إرسالهم لمقاتلة الجبارين **(وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ)** ناصركم ومعينكم **(لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ)** اللام موطئة للقسم أي وأقسم لكم يا بني إسرائيل لئن أديتم ما فرضتُ عليكم خمسة أمور : وقدم منها إقامة الصلاة بحيث تنهى عن الفحشاء والمنكر وإيتاء الزكاة المفروضة لمستحقيها **(وَآمَنتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ)** وصدقتم برسلي ونصرتموهم وعظمتموهم وصرتم سداً مانعاً من الأعداء **(وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً)** أي بالإنفاق في سبيل تقدم الفرد والمجتمع ابتغاء مرضاة الله ، دون الزكاة الواجبة وجزاء القيام بهذه الخمسة شروط شيئان **١- (لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)** لأمحونّ عنكم ذنوبكم وهذا جواب القسم **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** هود/١١٤.

**٢- (وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)** هذا الجزاء والتكريم أخروي وهو وعدٌ جميل مغرٍ لمن سمع وأطاع **(فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)** والكفر هو التمرد على منهج الله تعالى يؤدي إلى الضلال البعيد والضياع عن الصراط الوسط الواضح المعتدل السوي المستقيم الموصل بأقصر الطرق وأفضلها إلى جنان الخُلد ، وهكذا الذي لا تنفعه الهداية تضره الضلالة. **عن النبي** (ص) : (إِنَّ عِدَّةَ الْخُلَفَاءِ بَعْدِيَ عِدَّةَ نُقَبَاءِ مُوسَى (ع))كنز العمال خبر١٤٩٧١.
**في نهج البلاغة خطبة١٦** (اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى (الإسلام) هي الجادة المستقيمة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة، ومنها منفذ السّنة، وإليها مصير العاقبة).

**١٣ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**

فكان موقف بني إسرائيل أنهم نقضوا ميثاقهم وأخلفوا عهودهم لله فحقّت عليهم صفات الإنحطاط الحضاري التي منها : **١- (لَعَنَّاهُمْ)** أبعدناهم عن رحمتنا **(ومن موانع الرحمة)** من لا يرحم الإنسان نفسه فلا يرحم الناس فيمنعه الله رحمته ويكله إلى نفسه فتذوق مرارة الضلال ، ويكون اللعن للصفات السيئة وليس للأسماء ، واللعن للخط العام وكونه ظاهرة إجتماعية منحرفة وليس للأشخاص ، **٢- (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)** جافة جافية خشنة غليظة لا تلين لقبول الإيمان ولا ترضى للحق ولا تتأثر برحمة ، ميتة ضمائرهم سيئة أخلاقهم لا يتورعون عن فعل أقبح الجرائم **عن الإمام علي** (ع): (وَمَا قَسَتْ الْقُلُوبُ إِلاَّ لِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ) البحار٧٠ص٥٥، **ومما يقسي القلوب**: ترك العبادات، وكثرة الكلام بغير ذكر الله يُقسي القلب، واستماع اللهو والطرب وكثرة أكل اللحوم الحمراء وكثرة التحدّث مع النساء والتعلق بهن وكلب الصيد والتعامل مع السلطات الجائرة ، والتولّع

بحب المال.. **عواقب قسوة القلب** : تموت العواطف نحو القيم والمبادئ والأخلاق ، والاستهانة بالنصوص القرآنية والدينية وتحريفها لفظاً ومعنى ، ومعنى (**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**) ليس هذا الجعل تكوينياً وإنما بسبب خبث أعمالهم ونقض ميثاقهم وعهودهم لعنهم الله وطردهم من رحمته وتركهم في طغيانهم يتخبطون في طريق لا يعرفون عواقبه لأنهم على غير هدى الله ، حتى صاروا شياطين الإنس من دون أن يمنعهم بالقهر عن الجرائم والرذائل. ومن نتائج قسوة القلب إنهم (**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**) يغيرون معنى الكلام ومبناه ومغزاه بما لا يرضى به الله سبحانه من زيادة أو نقصان ، ويحرفون كلام الله والتوراة حسب أهوائهم بتفسيرها بالباطل ، بإسقاط أو زيادة أو تغيير ، وقالوا على الله ما لم يقل وهذا تجرّأ على الله عظيم وتجاوز للحدود الحمراء ، خطيرة عواقبها وأدى بهم ذلك إلى أن نسوا وفقدوا جزءاً مهماً من أساسيات دينهم (**وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**) تركوا نصيباً وافراً مما أمروا به في التوراة ، ففاتتهم حقائق الدين الناصعة بترك العمل بها ، وتركوا نصيباً مما تدور عليه سعادتهم وهو طاعة ربهم والالتزام بمنهجه فأصابتهم الشقاوة والخذلان فإن الله يمهلهم ويجعل لهم جولة ولكن يحرمهم من أن تكون لهم دولة مستقرة شرعية يعترف بها المجتمع الدولي كاملاً ، وبهذا يُحذّر الأمة الإسلامية أن تبتلى بهذه الأمراض الفتاكة المريرة والخطيرة (**وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ**)

ولا تزال يا مُحَمَّد تتعرّف على خيانة منهم بوجود فرقة خائنة محترفة بالغدر وبنقض العهود وتدبير المكائد ، فالغدر والفساد والخيانة عادتهم إلاّ قليلاً منهم ممن يخافون الله، فقد أمر الله نبيه أن يقابل إساءتهم بالإحسان لأن الله يحب المحسنين وهم الذين يأتون بالصالحات قولاً وعملاً واجباً ومستحباً على أحسن وجه لله تعالى. (**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) وأن يصفح النبي (ص) عن هذه الجماعة القليلة التي أسلمت من اليهود ، إن كفّوا عنك شرّهم وضرهم ﴿**فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة/١٩٣. **فائدة: ١- عن النبي** (ص): (إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ذُنُوْبَاً يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ أَكْثَرُهُمْ كَلاَمَاً فِيمَا لاَ يَعْنِيْهِ)، **في غرر الحكم**: (إِيَّاْكَ وَمُسْتَهْجَنُ الْكَلاَمِ فَإِنَّهُ يُوْغِرُ الْقَلْبَ). **٢- (خائنة)** تعبير عن الخيانة بالخائنة ما يكشف عن الأسلوب الخبيث الذي يتخذه اليهود في خياناتهم إنّه أسلوب النفاق والمكر والدهاء ، فلا يلقون بالخائنة إلاّ حيث لا ترصدهم العيون ليكون أذاها أكبر وضررها أشد.

**١٤ -** ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾

ومن الذين سمّوا أنفسهم نصارى إدّعاءً لنصرة الله وقالوا ﴿**نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**﴾ الصف/١٤ ، كذلك النصارى وهم أتباع المسيح أخذنا منهم الميثاق والعهد المؤكد على توحيد الله والإيمان بمحمد رسول

الله ولا يقولون الله ثالث ثلاثة ولكنهم نقضوا الميثاق وحرّفوا الإنجيل وزالوا النص على نبوة مُحَمَّد باسم (أحمد) واختلف النصارى فيما بينهم من كتب الأناجيل ومتى كتبت وبأية لغة ؟ وكيف فقدت نسختها الأصلية ، وتوجد تفاصيل هذه الخلافات في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ويوجد تفصيل عنه في تفسير المنار **(فَنَسُوا حَظّاً)** نسوا وتركوا نصيباً من الثواب والإيمان وفعل الخير ونسوا قسماً أساسياً من دينهم وحظاً من التقدّم الحضاري لو سمعوا وأطاعوا **(مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)** وهو الإنجيل الذي حرفوه، لو بقي كما أنزل على عيسى (ع) والتوراة كما أنزلت على موسى (ع) لكان الدين واحداً في شرق الأرض وغربها **(فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** أي ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة ولا يزالون متباغضين متعادين يكفّر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً وكل فرقة تمنع الأخرى دخول معبدها، وهكذا نجد النزاع الدائم بينهم فكرياً وعملياً حتى شهدنا بينهم الحروب المدمّرة على امتداد تأريخهم. **من أراد التفصيل فليراجع (كتاب الإسلام والنصرانية للشيخ مُحَمَّد عبده)** **(وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)** سيلقون جزاء عملهم القبيح، وتكون عقوبتهم على قدر جنايتهم وهو تهديد لهم.

**فائدة: ١-** (في العداوة) **عن الإمام الهادي** (ع): (لاَ تُعَادِ أَحَداً حَتَّى تَعْرِفَ الَّذِيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَ مُحْسِناً فَإِنَّهُ (سبحانه) لاَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيْئَاً فَإِنَّ عِلْمَكَ بِهِ يَكْفِيْكَهُ فَلاَ تُعَادِهِ) البحار٧٨/٣٦٥، **في غرر الحكم:** (رَأْسُ الجَّهْلِ مُعَادَاةُ النَّاسِ)، **وعن النبي** (ص): (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ) البحار٧٣/٢٥٣، **٢- (فَأَغْرَيْنَا)** من الإغراء المأخوذ من الغراء المادة اللاصقة ، وهو ما يلصق الشيء بالشيء ، أي ألصقنا بهم العداوة بسبب تفرّق الأهواء واختلاف القلوب ، الموجب للعداوة والبغضاء ، فيتسلط بعضهم على بعض ويلعن بعضهم بعضاً ، **والفرق بين العداوة والبغضاء:** العداوة بالأفعال الخارجية بالاعتداءات، والبغضاء الكراهية في القلوب لأنهم ﴿**بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً**﴾ إبراهيم/٢٨. إذن : **(الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)** عذاب إلهي بما كسبت أيديهم.

**١٥ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾**

الخطاب لليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا مُحَمَّد (ص) الذي وعدناكم به وإضافة الرسول إلى الله **(رَسُولُنَا)** تعظيم وتكريم لشأن الرسول ورسالته **(يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ)** يبين لكم ويكشف الكثير مما كنتم تكتمونه في كتابكم من الإيمان به ومن آية الرجم ومن قصة أصحاب السبت الذي مسخوا قردة ، وأخفى النصارى التوحيد وأخفى اليهود تحريم الربا وغير ذلك ، ومما أخفوه معاً البشارة بنبوة مُحَمَّد (ص) **(وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)** أي يتركه ولا يبينه ويتغاضى عن

كثير ممن أساؤا إليه من رؤسائكم الطغاة ، ولا يظهر الكثير مما يكتمونه ، وإنّما لم يظهره لأنه لا حاجة إلى إظهاره في الدين ، ولو ذكر كل شيء لفضحكم ، والآية دليل على صحة نبوة مُحَمّد (ص) لأنه يبيّن ما أخفوه في كتبهم وهو أمّي لم يقرأ كتبهم **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)** **(نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)** جاءتا بصيغة النكرة للتعظيم والإجلال ، سبيلان رشيدان لهدف نبيل واحد **(النور)** هو الرسول مُحَمّد (ص) لأنه نور للبصيرة والعقل كما أن النور ضياء للبصر ، فلولا النور ما أدرك البصر شيئاً من المرئيات ، كذلك لولا ما جاء به النبي (ص) من القرآن والإسلام ، لما أدرك الناس حقيقة الدين الحق، ولظلوا في ظلمات الجهالة وحيرة الضلالة ، وأيضاً القرآن هو نورٌ كقوله ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا**﴾ التغابن/٨ ، **(وَالكِتَابُ المُبِينُ)** هو القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم ، وهو بيّن واضح ومُيسَّر في نفسه ومبيّن وموضّح للناس لما يحتاجونه لهدايتهم ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ القمر/١٧، فأعطى القرآن الحقائق الكبيرة والعلوم الكثيرة والأخلاق السامية والأحكام المنسجمة مع الفطرة فكان الإسلام شَّرِيْعَةٌ سَهْلَةٌ سَمْحَةٌ ، ﴿**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ الجاثية/٢٠

**١٦ – ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**

إنه تعبير بليغ في معناه ، دقيق في مبناه ، عميق في مغزاه ، القرآن كتاب هداية ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥ ، يهدي للتي هي أقوم دنياً وآخرة ، والهداية الإيصال إلى المطلوب والمرغوب ، والهداية لا تؤثر إلاّ في أرضيتها المناسبة والقلب الملائم والتوجه الصادق وكلها تستند على قاعدة رضوان الله كانطلاقة عامة في كلِّ شؤون الحياة ، فإنه من إتبع رضوان الله فإنه**(سُبُلَ السَّلَامِ)** وطريق الاستقامة التي فيها السلامة والكرامة بلا أية ندامة ولا ملامة، ورضوان الله تعالى لا يُنال إلاّ بطاعته ، والله يوصل من إتبع رضوانه (منهجه) **(سُبُلَ السَّلَامِ)** ما أجمل هذا الهدف النبيل الذي يحققه هذا الدين الإسلامي، **والسلام من أسماء الله الحسنى** ، وهذا القرآن الهادي إلى السلام الشامل المادي والمعنوي، سلام على كلِّ صعيد سلام الفكر والعمل والنية سلام الفرد والأسرة والمجتمع والسلام العالمي ، سلام العقل والضمير، سلام البشرية كافة ، السلام مع الحياة والأحياء والكائنات ، سلام مع الله ورسله ورسالاته، سلام لا تجده البشرية إلاّ من اهتدى بنور منهج الله **(وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ)** يخرجهم من أنواع الظلمات والخرافات والضلالات والتجاوزات إلى نور الإيمان بتوفيق الله وإرادته، وجاءت.

**(الظلمات)** بالجمع و**(النور)** بالمفرد للدلالة على أن طريق الهداية واحد لأن النور واحد ، وسمى الإيمان نوراً لأن الإنسان يهتدي به في ظلمات الجهالة ويخلّص من حيرة الضلالة ونجاة من كل سبل الهلاك والخسران ، وجاءت **(الظلمات)** بالجمع ، لأن مجرد أن تترك النور الهادي الواحد

فتتلقفك الظلمات المتعددة الكثيرة والخطيرة ، والمتعددة الأشكال والألوان والتي ظاهرها يغر ويسر وباطنها يضر كالتعبد للأهواء والشهوات ، والمجتمعات الجاهلية كلها ظلمات ، ظلماتٌ فوق ظلمات ، ظلمة الشبهات والانحرافات والقلق والأرق ، فما الفائدة أن أربح كلّ شيء وأخسر أهم شيء وهي نفسي؟ **(وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** ويوجههم إلى أقرب الطرق إلى الله تعالى وأكثرها أرباحاً وأقلّها خسارة إن كانت هنالك خسارة ، وهذه الهداية إلى صراط مستقيم هي نفس الهداية إلى **(سُبُلَ السَّلامِ)** ، بحيث أن طريق الاستقامة يؤدي إلى السلامة، وطريق السلامة هو عين طريق الاستقامة وهذا نِعم الشاهد على صدق الرسالة وأحقية الكتاب المبين ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ الشورى/٥٢، **فائدة : في غرر الحكم:** (عَلاَمَةُ رِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ الْعَبْدِ، رِضَاهُ بِمَاْ قَضَى بِهِ سُبْحَانَهُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ !) ، **عن الإمام السجّاد** (ع) : (أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللهِ أَسْبَغُكُمْ (أكرمكم) عَلَى عِيَالِهِ) البحار٧٨/١٣٦.

**١٧** – ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

يشير القرآن إلى فرقة نصرانية مبالغة في الغلو والتطرّف ، تدّعي أن الله يتحد مع المسيح أي المبارك ، وزعموا أن الله حلّ في عيسى (ع) بدلاً من جعله ثالث ثلاثة ، ونجد في كتبهم (وجاء الرب يسوع) ويسوع عندهم هو عيسى (ع)، ونص القرآن على أن عيسى (ع) أتى بعقيدة التوحيد وبقيت عند كثير من المسيحيين ولم تعلن عقيدة التثليث إلاّ سنة ٣٢٥ م حيث أصدر مجمع نيقية في آسيا الصغرى قراراً بإثبات ألوهية المسيح ، وتكفير من يقول أنه إنسان، وحرق جميع الكتب التي تصفه بغير الألوهية، ونفذ قسطنطين إمبراطور الرومان هذا القرار ، وأصبح المسيح إلهاً عندهم بعد أن كان بشراً **(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً)** فالسلطة لله وهو المستقل بالتأثير والملك وحده ، لأن الله سبحانه إذا ملك القدرة على هلاك المسيح فمعنى هذا أن المسيح ليس بإله ، ولو فرضنا إن الله عجز عن هلاك المسيح فمعنى هذا أن الله ليس بإله ، وعليه فالجمع بين إلهين محال فكيف بالثلاثة؟ ولا أدري كيف يمكن أن يكون إلهاً ويصلبه اليهود وقد آذوه قبل الصلب حسب عقيدتهم **(إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً)** فمن الذي يستطيع أن يدفع عذاب الله لو أراد أن يهلك المسيح وأمه وأهل الأرض جميعاً ؟ فعيسى عبد مقهور قابل للموت والفناء كسائر المخلوقات ولو كان إلهاً لقدر على تخليص نفسه من الموت **(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)** فهو سبحانه صاحب الملك المطلق والتصرف الحكيم في السماوات والأرض وما بينهما ولا أحد يشاركه الألوهية **(يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)** ولا يخلق ما يشاء غيره ، لذلك خلق الله عيسى (ع) من غير أب بطريقة إعجازية ، وهذا دليل على نفوذ مشيئته سبحانه في كلّ شيء ،

لأنه مالك لكل شيء (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) لا يعجزه شيء ، إرادة الله بين الكاف والنون (كن) فيكون ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ يس/٨٢.

**١٨ – ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**

تشريف لأنفسهم فهم بحسب دعواهم بمنزلة أبناء الملك بالنسبة إلى رعيته ، مما يستلزم استثناءهم من الأحكام التي تجري على غيرهم ،ولله عناية فائقة بهم لأنه يحبهم وفضلهم على العالمين في زمانهم (تفضيل نعمة لا تفضيل قيمة) فضلهم ليكسبهم إليه ولكنهم لؤماء أخذوا فوق مقدارهم فتنكرت أحوالهم وإختلت موازينهم ، وإدّعى اليهود أنهم (شعب الله المختار) والدعوى إذا لم يكن عليها بينات فأصحابها أدعياء ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ النمل/٦٤ ، (**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ**) لو كنتم كما تدّعون أبناء الله وأحباؤه فلِمَ أعدّ لكم نار جهنم على كفركم وفسادكم ؟ (**بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**) فهم بشر لا يمتازون عن غيرهم ، فتشملهم سنن الله في الخلق كما تشمل غيرهم في الخير والشر ، فلماذا هذا التعالي والغرور ؟ وما هو فرقكم على الناس؟ **عن النبي** (ص) (الْخَلقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وَأَقْرَبُهُمْ وَأَحَبُّهُم إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُم لِعِيالِهِ) الكافي٢/١٦٤، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣ ، ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾ الملك/٣ ، **في غرر الحكم:** (كَفَى بِالْمَرْءِ غُرُوُراً أَنْ يَثِقَ بِكُلِّ مَا تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ) ، (**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**) إنهم بشر مكلفون فلهم الثواب إن التزموا ولهم العقاب إن أفسدوا وهذه سنة الله الثابتة في عباده (**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**) إن الله المتصرّف المطلق في كلّ شيء لأنه خلق كلّ شيء، وجميع المخلوقات عبيد له هو سبحانه غني عنهم وهم لا يستغنون عنه بل يستغنون به إذن لا أبناء الله ولا أحباؤه ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾ مريم/٩٣ ، **فائدة:** ينبغي أن يعي المسلمون هذه الحقيقة إن أكرم الناس عند الله أتقاهم ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾ الأنفال/٣٤ ، فلا يصابوا بالغرور ولا يتجاوزوا الحدود، ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، **في غرر الحكم:** (كَفَى بِالإِغْتِرَارِ جَهْلاً).

**١٩ – ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

يا معاشر اليهود والنصارى لقد جاءكم رسولنا مُحَمَّد (ص) يوضّح لكم ما كنتم تخفون من الكتاب ، وإن الدين الإسلامي مصدق لما معكم باعتبار الأديان السماوية وحدة واحدة موحدة متّحدة ، (**عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ**) ويوضّح لكم منهج الله على انقطاع من الرسل مع ثبات الحجة ، وكانت الفترة بين عيسى (ع) ومُحَمَّد (ص) مدتها خمسمائة وستون سنة لم يُبعث فيها رسول (**أَنْ تَقُولُوا مَا**

**جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ)** في هذه الفترة الخالية من الرسل (**فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ)** نقض لقول اليهود بعدم جواز أي تشريع بعد التوراة ، قد جاءكم مُحَّد (ص) رحمة مهداة للناس كافة وهو حجة الله عليهم فإتبعوه إن كنتم صادقين ، فلا عذر لمن يتكاسل ويهمل البحث عن الحق وهو قادر عليه (لاَ تَزِنُوْا الْحَقَّ بِالرِّجَاْلِ فَتَظْلِمُوْهُ ، وَزِنُوْا الرِّجَاْلَ بِالْحَقِّ فَتُنْصَفُوْهُ) **عن الإمام علي** (ع): (إِعْرِفْ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ، وَإِعْرِفْ الْبَاْطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ) أمالي المفيد ص٣ ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** إطلاق قدرة الله ، وكل شيء عليه يسير (وَمَاْ شَاْءَ اللهُ كَاْنَ، وَمَاْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ). **فائدة : ١- (عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ)** الفترات قصرت أم طالت لا تخلو من حكمة ومصلحة في المنهاج التربوي الإلهي مثل إعتكاف موسى (ع) بعيداً عن قومه ، انقطاع الوحي عن النبي (ص) والغيبتان الصغرى والكبرى للإمام المهدي (ع). **٢- (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ)** بتثبيت الحجة الرسالية على الناس ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ النساء/١٦٥ ، ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ الأنعام/١٤٩ ، فلا عذر لمن يتكاسل ويهمل البحث عن الحق وهو قادرٌ عليه ويعتمد على الإتباع الأعمى ، **عن الإمام علي** (ع) : (خُضِ الْغَمَرَاْتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَاْنَ) البحار٧٧/٢٠٠.

**٢٠ - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ﴾**

تذكير قرآني بالنعم الإلهية الخاصة على بني إسرائيل والتي إحتج بها موسى (ع) عليهم وجاءت **(نعمة اللَّهِ)** نكرة للدلالة على عمومها وشموليتها ، منها هدايتهم إلى دينه ، ونجاتهم من طغيان فرعون وغيرهما وإشكروا الله على كلّ نعمة ، وبالشكر تدوم النعم وتدفع النقم ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ إبراهيم/٧، وقد قسّم الله تعالى هذه النعمة إلى ثلاثة أجزاء : **أ- (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ)** ، **ب- (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً)** أي تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون عندما رزقهم الحرية في تدبير أمورهم ومنحهم استقلالهم وخلصهم من ذل الفراعنة ، **ج- (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ) (الْعَالَمِينَ)** : المراد بالعالمين الأمم الماضية إلى زمانهم ، أي عالمي زمانهم التي كانت مستعبدة للطغاة ، فقد خصّهم بنعم عظيمة ، منها فلق البحر لهم ، وأهلك عدوّهم من غير جهاد ، وأورثهم أموالهم ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى بلا تعب، وأظلّ قومهم الغمام (السحاب) في حرِّ الصّيف وأخرج لهم من الحجر ماءً عذباً.. إلخ وغيرها من النعم وذلك لتثبيت الحجة عليهم وإلزامهم بها ، أعطاهم الكثير لاستمالتهم للدين ولكنهم قساة عصاة. ولكن كانت هذه النعم أسلحة يحاربون بها الله تعالى ، ومعاول يهدمون بها معالم الحق والهدى كقوله ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى**

**الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾** فصلت/٥١. **عن النبي (ص):** (كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ إِذَا كَانَتْ لَهُ الزَّوْجَةُ وَالْخَادِمُ وَالدَّابَّةُ كُتِبَ مَلِكاً) الميزان٥/٢٩٥ دلالة على ضعف الحال العام.

**٢١ – ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾**

هي أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء وسكن المؤمنين ، والمطهرة من الشرك وفيها بركة الدين وتنوع الخيرات **(الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ)** أن تعيشوا مع أهلها الكنعانيين في أمن وسلام **(وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)** ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة فتخسروا الحياتين الدنيا والآخرة. **فائدة** : طلب منهم موسى (ع) بحمل الرسالة والجهاد ضد الطاغوت وتحرير بيت المقدس وامتلاك حكمها وقيادتها ما داموا ملتزمين بالشريعة ، أمّا الارتداد عن الرسالة فأمامكم الخسران في فقدان أهلية حمل الرسالة وقيادتها وفقدان النعم الإلهية ، وبهذا يتبين زيف إدّعاء اليهود للأرض المقدسة وانها أرض الميعاد ، لأنه ترتبط أرض الميعاد بحمل الرسالة وعدم الارتداد عنها.

**٢٢ – ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾**

**جَبَّارِينَ** : أولو السطوة والبطش والقوة من الذين يجبرون الناس على ما يريدون ، وهم أجسامهم ضخمة وطوال القامة وهم العمالقة من بقايا قوم عاد ونحن لا نطيقهم وليس لنا القدرة على مقاومتهم **(وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا)** قالوا ذلك من دافع الجُبن والتخاذل فهم يريدون نصراً بغير مشقة ولا عناء ، حباً لحياة الراحة والاسترخاء والتهرب من الجهاد والعناء والتضحيات ، على الرغم أنهم يرغبون في فتح الأرض المقدسة ولا يكون إلاّ في بركة الجهاد في سبيل الله **(فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ)** لن ندخلها حتى يسلموها لنا من غير قتال ثم يخرجوا منها ، بعد ذلك ندخلها ! أمة كهذه لا تستحق أن تتمتع بنعيم الاستقلال ، ولا تحيا حياة الحرية والكرامة ، ومن ثم لم تقم لها دولة مستقلة معترف بها عالمياً بلا نزاع ، **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾** الكهف/٥٧ ، **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** الكهف/٤٩.

**٢٣ – ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

من بين ذلك الحشد المتخاذل يتميز رجلان فقط وهما من نقباء موسى الإثني عشر فيواجهان المنطق المتخاذل بالموقف الرسالي السليم ومِنْ أهم صفاتهما أنهما يخافان الله تعالى فلا يعصيان له ولا لرسوله أمراً ، وقد أنعم الله عليهما فهماً وعلماً وإيماناً يشكران نعمة الله شكراً بالقول والعمل **﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً﴾** سبأ/١٣ ، **(أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا)** والنعم هنا مطلقة غير مقيدة وتشمل الرؤية الواضحة والحكمة في إتخاذ القرار الصعب ، والوعي في تشخيص الواقع، وهنا تبرز قيمة

الإيمان بالله والخوف منه ، يُنشيء الخوف من الله استهانة بالجبارين ! لأنَّه خوف هيبة لا خوف رهبة، وأيضاً يرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ! وهذه قيمة الإيمان في ساعة الشدة وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾ إبراهيم/١٤ ، فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين ، مخافة الله قوة في النفس ، ومخافة الناس ضعف في الإرادة ، والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده (**ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ**) قالا لهم لا يهولنكم عِظمُ أجسامهم ولكن قلوبهم ضعيفة ، فإذا دخلتم عليهم باب المدينة غلبتموهم من غير حاجة إلى القتال بإذن الله ، ليستفيدوا من مميّزات الهجوم وسرعة المباغتة وعنصر المفاجأة ، فيأخذوا زمام المبادرة من العدو (**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه (فمن توكل على الله كفاه) فإنه ناصركم إن كنتم حقاً مؤمنين مع الإعتماد على وسائل النصر وعلى قدر الإيمان يكون التوكل ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ الأنفال/٦٠ ، **في نهج البلاغة خطبة٢٧**: (أُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَ اللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوْا) ! والغزو هنا على إطلاق معناه : الغزو الثقافي والعسكري والسياسي والإقتصادي.. إلخ ، **فائدة** : **١-** تكشف الآية عن قاعدة مهمة في علم القلوب وقوتها وفي علم الحروب وفنيتها وفي علم فن المبادرة وسرعتها ، وفي أهمية التوكل على الله وقدرته الفائقة. **٢-** (**مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ**) جاءت بصيغة الجمع للدلالة أن الرجلين من جماعة تخاف الله لذلك قال (**أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا**) بالتصريح بطرح خطة المهاجمة من بين المتخاذلين ، فإنكم متى دخلتم عليهم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا بالهزيمة النفسية وكتب لكم الغلب عليهم.

**٢٤** – ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾

وهذا مبالغة في العصيان والخذلان وتثبيت لأنفسهم الخسران ، وهو سوء أدب يدل على الكفر والاستهانة بالله ورسوله ، مع الإعراض عن مخاطبة الرجلين القياديين إهانة لهما ثمّ أصرّوا على العناد والتمرد ، لأنهم لا طاقة لهم بالحرب والقتال فليسوا من أهله ، إنهم يريدون تشريد أهل الديار في الأرض المقدسة وأخذها منهم غصباً ونهباً وقتلاً، ثم جرأتهم على ما هو أعظم من ذلك (**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**) إذهب أنت ومن أرسلك بكل تعالٍ وترفّع وكبرياء (ومن موقع الضعف) وهذه هي غطرسة إسرائيل وطبيعتها الخبيثة وقسوتها وخشونة طبائعها، وهذه الروح الانهزامية المتخاذلة تذكّر بموقف المقداد في يوم بدر ليقول للنبي (ص) : (وَاللهِ لا نَقُولُ لَكَ كَمَاْ قَاْلَتْ بَنُو إِسْرَاْئِيلَ لِمُوْسَى وَلَكِنِ نَقُولُ لَكَ إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاْتِلا إِنَّاْ مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ) تفسير النور٢/٢٥٥ وفي كلامهم دلالة على كفرهم وفساد طباعهم وقسوة قلوبهم وإنهم يتصفون بالجبن والوقاحة وإنهما لصنوان ، فالجبن يؤدي إلى الوقاحة ، والوقاحة تؤدي إلى الجبن.

**٢٥ – ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**

وهنا يلجأ موسى (ع) شاكياً إلى ربه معلناً قلة النصير من القوم المجبولين على الفساد والعناد ويقابلون الإحسان بالإساءة **(فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)** فإفصل بيننا وبين هؤلاء الأجلاف الذين لا يطاقون من دون طلب لتعذيبهم ، فإنه (ع) كان الشفيق عليهم في أشد الحالات !، وإذا كان موسى (ع) على حلمه وعلمه وعصمته وهو المفضل عليهم ، فقد الصبر والتصبّر على العيش مع قومه فكيف يمكن التعايش المشترك مع الصهاينة المجرمين على أساس الحق والعدل ؟ **فائدة** : **(لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَأَخِي)** أي لا أملك في إقامة أمرك إلاّ نفسي المطيعة لك وأخي لا يملك إلاّ نفسه المطيعة لك وقد قمنا بواجبنا وتكليفنا ولكن القوم واجهونا وتمردوا علينا ، فأنت الذي تفك هذه العقدة وأحكم وأفصل بيننا وبين القوم الفاسدين المتمردين حثالة البشر ، لأننا وصلنا معهم إلى الطريق المسدود ! كناية عن عدم القدرة على تحمل غير نفسه وأخيه على الدعوة ، وليس المراد نفي مطلق القدرة ، لأن هناك آخرين ومنهم الرجلان النقباء والقادة مستجيبون لدعوته (ع).

**٢٦ – ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**

استجاب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة ، وكانت العقوبة على قدر الجناية **(فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)** فَلا تَأْسَ : لا تحزن عليهم فإنهم فاسقون مستحقون للعقاب غير مأسوف عليهم ، وهذا بنفسه عذاب أليم ، وكذب ما إدّعوه أنهم أبناء الله وأحباؤه. **فائدة** : **يتيهون** : التيه : الحيرة ، يضيعون ويتحيرون في صحراء سيناء الجرداء في وهج الشمس المحرقة ، يسيرون فيها ويتخبطون على غير هدى ، وفي مجاهل الطرق لا يعرفون لها بداية ولا نهاية ولا يدرون كيف يكون مصيرهم ! حتى مات أكثرهم ونشأ في الصحراء جيل جديد يتحمّل خشونة الصحراء ، صلب العود ، نشأ جيل غير هذا الجيل المتخاذل الذي لا يصلح لهذا الفتح الجليل للأرض المقدسة ، ويتركهم السياق القرآني في التيه ، ولا يزيد على ذلك ، وهو موقف فيه العبر العقائدية والمواعظ النفسية وكشف عن السنن التأريخية بسياق بلاغي فني مؤثر يبنى على الجمال في التربية القرآنية حيث (الحدّية في المبادئ والمرونة في التعامل)

**عن النبي (ص):** (وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بَيَدِهِ لَتَرَكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقِذَةَ بِالْقِذَةِ حَتَّى لاَ تُخْطِؤُوْنَ طَرِيْقَهُمْ وَلاَ تُخْطِئُكُم سُنَّةَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ)! نور الثقلين ٦٠٧/١ **عن الإمام الباقر (ع)** : (مَاْتَ هَاْرُوْنُ قَبْلَ مُوْسَى (ع) وَمَاْتَاْ جَمِيْعاً فِي التِّيْهِ) المصدر السابق، **عن الإمام علي (ع)** : (أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعَمْرِي، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً

كَثِيْرَةً لِمَاْ خَلَّفْتُمُ الحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الأَدْنى وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ) المصدر السابق، **قال أهل التفسير** : إنَّ موسى وهارون كانا معهم في التيه ، ولكنهم لم تشملهم عقوبة التيه فقد يكون الله سهّل عليهما معاناة التيه لأن ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ البقرة/٢٥٧ ، كما سهّل على إبراهيم النار فجعلها عليه برداً وسلاماً ، ومات موسى في التيه وفتح بيت المقدس يوشع بن نون وصيُّ موسى والنبي في قومه بعد موسى. روي : أنهم في التيه كانوا يسيرون الليل كله فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه ! **عن الإمام الصادق** (ع) : (فَلَمْ يَدْخُلُوْا الأَرْضَ الْمُقُدَّسَةَ حَتَّى حَرَّمَهَاْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَتْبَاْعِهِمْ وَعَلَى أَبْنَاْئِهِمْ وَإِنَّمَاْ دَخَلَهَاْ أَبْنَاْءُ الأَبْنَاْءِ) المصدر السابق وكانت هذه القصة من المنهج القرآني في التربية بالقصة ﴿**فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ**﴾ الأعراف/١٧٦. قوله : (**مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ**) حرمة منع أي قضى عليهم ، لا التحريم التعبدي التشريعي كقوله ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ**﴾ القصص/١٢.

**٢٧ – ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**

إقرأ يا مُحَمَّد على هؤلاء الحسدة من اليهود وأشباههم خبر قابيل وهابيل إبني آدم بالحقيقة الواضحة فهي قصة حق (**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ**) دبَّ الخلاف بينهما فقال لهما آدم قربا قرباناً فمَنْ أيكما تُقبل فهو المرضي عند الله ، **والقربان** : الشيء الذي يتقرب به إلى الله من الذبائح وغيرها ، كان قابيل صاحب زرع فقرّب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب أحسن كبش عنده فقُبل قربان هابيل بأن نزلت نارٌ فأكلته فإزداد قابيل حسداً وسخطاً على أخيه بلا ذنب وتوعده بالقتل ظلماً وعدواناً وهذا هو ذنب الإنسان الطاهر عند الفاجر ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ البروج/٨ ، إلاّ أنَّ الأخ المؤمن هابيل يصحح له خطأه ويقول له (**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ**) لا ينفع عمل من دون تقوى ، حيث التقوى تطهّر الأعمال ، والأعمال تزكو وتنمو بالتقوى ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦، **في نهج البلاغة حكم٩٥**: (لاَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَاْ يُتُقَبَّلُ ؟) ، **في غرر الحكم**: (أَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ حِزْبِ اللهِ الْغَاْلِبِيْنَ ؟ إِتَّقِ اللهَ سُبْحَاْنَهُ وَأَحْسِنْ فِيْ كُلِّ أُمُوْرِكَ) ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ النحل/١٢٨، **وفي الآية دلالة**: إلى أن الأعمال والطاعات لا تُقبل إلاّ من مؤمن متقٍ لله ، قال تعالى ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ آل عمران/٩٢ ، **عن النبي** (ص) : (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ) المراغي٦/٩٨. **فائدة: (لأَقْتُلَنَّكَ)** قد يبلغ الحسد بالإنسان أن يقتل أخاه، فالحسد مفتاح الرذائل ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ الفلق/٥ ، **عن الإمام علي** (ع) : (كُلُّ ذِيْ نِعْمَةٍ مَحْسُوْدٌ) شرح النهج١/٣١٦، **عن النبي** (ص):

(لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلاَّ عَلَى إِبْنِ آدَمَ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ) في ظلال القرآن٢/٧٠٣.

**٢٨ – ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**

يبين الله تعالى حرمة دم الإنسان وحفظ النفس البشرية ولاسيما بين الأخوة والأقربين. **المعنى**: وأقسم إن مددت إليّ يدآك لتقتلني ظلماً فما أنا بالمجازي لك على السيئة بسيئة مثلها فأردّ الخطأ بالخطأ فأكون مثلك مسيئاً وهذا خلاف إيماني وأخلاقي واستقامتي ، فإني أموت مظلوماً خير من أن أحيا ظالماً ، وخير منهما من عاش عادلاً محسناً ومات شهيداً في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة القيم والمبادئ والأخلاق. وبيّن سبب إمتناعه عن قتله فقال (**إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**) يُعلن هابيل أنه لن يرد عليه بقتله بنفس الدوافع اللئيمة ، فيقتله عمداً فيرتكب أكبر الكبائر ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾ النساء/٩٣ ، **عن النبي (ص)** : (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) الترغيب والترهيب٣/٢٩٣ ، إنّ جواب هابيل (**إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ**) لا يوجد مبرر أن أقدم على قتل أخي الذي يريد أن يقتلني ولا يوجد سبب عقلاني لذلك ، ولا أريد أن يراني الله تعالى باسطاً يدي لقتل أخي وأكون ظالماً له ، فإِنَّ الظُّلْمَ فِيْ الدُّنْيَاْ ظُلُمَاْتٌ فِيْ الآخِرَةِ ، مَنْ ظَلَمَ كُرِهَتْ أَيَّامهُ، وَتنَغَّصَ عَيْشُهُ، وَضَاْقَ صَدْرُهُ ، فإن ذلك من موجبات سخطه وعقابه سبحانه وهو ربي وقد أحسن إليّ وهو (**رَبَّ الْعَالَمِينَ**) الذي يربيهم بفضله وإحسانه.

**فائدة: ١–** لا يُعبِّر موقف هابيل الشهيد عن انهزامية وإنما موقف مبدئي سليم ومستقيم ، وفيه أبلغ موعظة وليس في كلام هابيل على عدم الدفاع عن نفسه ولكن فيه تصريح أن لا أواجه القتل بالقتل فأهبط إلى مستوى المجرمين. **٢–** إذا وقف الإنسان في ظروف الشدّة بين موقفين أحلاهما مرّ ، فمن كمال العقل أن يختار أهون الشرّين وأقلّ الضررين في الدارين، وهذا ما فعله سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) الذي لم تنفع خطبته في الكلام البليغ باللسان ، فواجههم بخطبة معنوية نموذجية مميزة ومؤثرة بدمه الزكي ففاقت تأثيرها بلاغة الكلام ! **عن الإمام علي (ع)** : (لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ) البحار٧٨ص٦، وأهون الضررين، **عن النبي (ص)**: (إِنَّ أَوَّلُ مَاْ يَحْكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيْهِ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ الدِّمَاْءُ ، فَيُوْقَفُ إِبْنَاْ آدَمَ فَيُفْصَلُ بَيْنَهُمَاْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ مِنْ أَصْحَاْبِ الدِّمَاْءِ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاْسِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَقْتُوْلُ بِقَاْتِلِهِ فَيَشْخُبُ دَمُهُ فِيْ وَجْهِهِ فَيَقُوْلُ : أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ فَلاَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَكْتُمَ اللهَ حَدِيْثَاً) وسائل الشيعة١٩ص٤، **وعنه (ص) (مختصر)**: (إِنَّهُمْ يَزْعُمُوْنَ أَنَّ قَاْبِيْلَ إِنَّمَاْ قَتَلَ هَاْبِيْلُ لأَنَّهُمَاْ تَغَاْيَرَاْ عَلَى أُخْتِهِمَاْ ، فَقَاْلَ لَهُ (ع) : أَمَاْ تَسْتَحِيْ أَنْ تَرْوِيَ هَذَاْ عَلَى نَبِيِّ اللهِ آدَمَ ؟ فَبِمَ قُتِلَ قَاْبِيْلُ هَاْبِيْلَ ؟ فَقَاْلَ فِيْ الْوَصِيَّةِ ، إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ أَنْ يَدْفَعَ الْوَصِيَّةَ وَإِسْمَ اللهِ الأَعْظَمْ إِلَى هَاْبِيْلَ ، وَكَاْنَ قَاْبِيْلُ أَكْبَرَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قَاْبِيْلُ فَغَضِبَ وَقَاْلَ أَنَاْ أَوْلَى بِالْكَرَاْمَةِ

وَالْوَصِيَّةِ ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَاناً بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ ، فَفَعَلاَ فَقَبِلَ اللهُ قُرْبَانَ هَابِيْلَ فَحَسَدَهُ قَابِيْلُ فَقَتَلَهُ) نور الثقلين١/٦١٠، وفي هذا دلالة إلى خطورة الحسد بين الناس وهو مصدر النزاعات والجرائم في العالم الإنساني ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣.

**٣-** قوله (**مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ**) إنه الجواب اللَّين الذي يُسكّن الحقد ويهدّئ الحسد ويعالج الشر ويرخّي الأعصاب المهتاجة، ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة وجمال العلاقة الإيمانية النموذجية، وطريق الرفق هو طريق الرشد أفضل من ردّ العنف بالعنف فأكون عنيفاً وشريراً ويكون القاتل والمقتول في النار. **عن النبي** (ص): (إِذْ إِلْتَقَى الْمُسْلِمَاْنِ بِسَيْفَيْهِماْ على غير سّنة فَقَتَلَ أَحَدهُمَاْ صَاْحِبَهُ فَالْقَاْتِلُ وَالْمَقْتُوْلُ فِي النَّارِ فقلت يا رسول الله هذا الْقَاتِلُ فما بَالُ الْمَقْتُوْلِ ؟ قَاْلَ (ص) إِنَّهُ كَاْنَ حَرِيْصَاً عَلَى قَتْلِ صَاْحِبِهِ) وسائل الشيعة١١/١١٣.

**٢٩ - ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾**

**تَبُوءَ** : ترجع. ولتتم عملية ردع قابيل عن قتل أخيه هابيل يذكره أخوه المهدد بالقتل (هابيل) بأنه سيتحمل إثمه وإثم أخيه المقتول لو أقدم على ذلك مما يؤدي به إلى النار (**وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**) عقاب من تعدى ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، **المعنى**: لا أبدؤك بالقتل لترجع بإثم قتلي إن قتلتني ، وإثمك الذي كان منك هو الدافع الذي حرضك على قتلي فتصير من أهل النار، **عن الإمام الباقر** (ع): (مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً أَثْبَتَ اللهُ عَلَى قَاْتِلِهِ جَمِيْعَ الذُّنُوْبِ وَبَرَّئَ الْمَقْتُوْلَ مِنْهَاْ ثم ذكر الآية) وسائل الشيعة١٩ص٧. **فائدة**: يقول هابيل المؤمن لأخيه المتهوّر ناصحاً له إنّك تسلب مني حق الحياة التي وهبها الله لنا و أكرمنا بها فليس لك الحق أن تحتكر الحياة لك وتسلب مني نعمة الحياة من دون حق ولا يقوم بذلك إلاّ المجرم الذي يرتكب أكابر الذنوب فينفصل عن حسّه الإنساني ولا يؤمن بحقوق المعايشة المشتركة **في غرر الحكم**: (أَعْظَمُ الذُّنُوْبِ عِنْدَ اللهِ ذَنْبٌ أَصَرَّ عَلَيْهِ عَاْمِلُهُ!)

**٣٠ - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾**

**فَطَوَّعَتْ** : فشجعت وسهّلت وزينت له نفسه بالتدريج في الوسوسة ، كان يهاب قتل أخيه وما زالت نفسه الأمارة بالسوء تشجعه حتى لانت نفسه فانقادت وأطاعت أمره وتجرّأ وقتله عقب التطويع بلا تفكر ولا تدبر في سوء العاقبة (**فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ**) من الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة فصار من النادمين، **عن الإمام الصادق** (ع): (قِفْ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ حَتَّى تَعْرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخْرَجِهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِيْهِ فَتَنْدَمْ) البحار٧٨/٢٨٣، أَشَدُّ النَّدَامَةِ فِيْ يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ، وأَخْسَرُ النَّاسِ أَظْلَمُهُمْ، ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ الكهف/١٠٣، **عن النبي** (ص) : (قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَاْلِ الدُّنْيَاْ) الترغيب والترهيب٣/٢٩٤، ثم إنّ القتل عدوان على حق الله تعالى الذي وهب لوحده الحياة والموت فلا يحق لأحد أن يسلب الحياة من أحد بغير حق ، للدلالة على حرمة الإنسان وقيمته

كخليفة لله وكرامته على الله عز وجل وعند الناس، **عن الإمام السجاد** (ع): (الذُّنُوبُ الَّتِيْ تُوْرِثُ النَّدَمَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ ثم ذكر الآية) نور الثقلين١/٦١٥، وأَخْسَرُ النَّاْسِ مَنْ كَاْنَ عِبْرَةً لِلنَّاْسِ، **وفي الحديث** : (مَاْ مِنْ نفْسٍ تُقْتَلُ ظُلماً إِلاَّ كَاْنَ عَلَى إِبْنِ آدمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دمِهَا) لأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ روح البيان٢/٣٨٢. **فائدة** : **سؤال** : يُقال تكاثرت البشرية من قابيل القاتل الممثل للشر فإنتشر الشر بين الناس؟ **الجواب** : البشرية تكاثرت بعد طوفان نوح ، وهلكت ذرية قابيل في الطوفان.

**٣١ - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾**

قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِئٍ عَلَى قَدَرِ تَجْرِبَتِهِ وَمِقْدَاْرِ عِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ ، لم يعرف القاتل كيف يواري ويستر جثة أخيه المقتول الذي يسوؤه أن يراها بارزة للعيان ، وتعلّم القاتل دفن أخيه من الغراب الذي (**يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ**) يحفر برجليه حفيرة ليخفي جزءاً من طعامه كما هي عادة الغربان فلمّا رآه القاتل تعلّم منه (**لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ**) **والسَوْأَةَ** : كل ما يسوء الإنسان وما يكرهه ويحسن ستره ، والمراد هنا بسوأة أخيه : جسده المقتول لأنه مما تستقبح رؤيته ، فتحيّر القاتل في جثة أخيه حتى بعث الله الغراب (**قَالَ يَا وَيْلَتَا**) كلمة جزع وقلق واضطراب ، قالها قابيل بحسرة يا لفضيحتي ياهلاكي (**أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ**) استفهام إنكاري بينه وبين نفسه، فهل بلغ من عجزي فكنت دون الغراب فأتعلّم منه كيف أستر جسد أخي وأدفنه في التراب؟ والندم الذي أظهره على الخطأ الذي فعله وفضاعته وسوء عاقبته عليه وكان نتيجة تعب ونصب وقلق نفسي وأرق ليلي ، وفي الآخرة نار جهنم ، لم يكن ندمه توبة لأنه لم يتب إلى الله ولم ينفعه ندمه.

**عن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يُوَفَّقْ قَاْتِلُ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِّداً لِلْتَوْبَةِ) وسائل الشيعة١٩ص٥ ، بل صار سُنَّةً سَيِّئَةً فعَلَيْهِ وِزرهَاْ وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَاْ ما دامت باقية في الدنيا ، وهكذا يتبين الصراع بين الحق والباطل **﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾** محمد/٤ ، لانتصر أهل الحق على أهل الباطل بالقهر ولكن ليمتحن الناس بعضهم ببعض وَفِي الإِمْتِحَاْنُ يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَاْنُ ، **عن النبي** (ص) : (لَوْلاَ ثَلاَثَةٌ فِي إِبْنِ آدمَ مَاْ طَأْطَأَ رَأْسَهُ لِشَيْءٍ : الْمَرَضُ وَالْمَوْتُ وَالْفَقْرُ وَكُلُّهُنَّ فِيْهِ وَإِنَّهُ لَمَعَهُنَّ لَوَثَّاْبٌ !) لمكابر، البحار٧٢ص٥٣.

**٣٢ - ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾**

من أجل حادثة قابيل وهابيل التي تكشف أنّ من طباع الإنسان الشريرة أن يندفع وبسببٍ واهٍ إلى إرتكاب هذه الجريمة العظيمة ، ولأجل ما ظهر من بني إسرائيل من الحسد والكبرياء وإتباع الهوى

كتبنا عليهم هذا الحكم العام ذو الدلالات الواسعة ، من أجل جريمة القتل وإنها من الجرائم الكبرى وعاقبتها وخيمة وأضرارها في الدنيا وخسارتها في الآخرة ، وخصّ بالذكر بَنِي إِسْرَائِيلَ لأنهم أجرّأ الناس في العالم على قتل الأولياء والفضلاء والأنبياء ونشر الفساد في الأرض ، ولكن حكم القتل عام وشامل (**أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**) والمقصود من التشبيه المبالغة في تعظيم أمر القتل بغير حق والتأكيد من الوقاية منه والاحتراز عنه ، أنه من قتل نفساً واحدة (**بِغَيْرِ نَفْسٍ**) بغير سبب موجب للقصاص كقوله ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ المائدة/٤٥، أو قتل نفساً بريئة من غير ذنب ولم تعمل فساداً في الأرض ، هذا الاعتداء على الدماء الزكية يزرع الإرهاب ، يسلب الأمن والأمان من الفرد والمجتمع ، من يفعل القتل للفرد الواحد بغير ذنب فكأنما قتل الناس جميعاً وهذا استخفاف بقيمة الإنسانية المكرمة ، **عن النبي (ص)** : (فَنَاءُ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَاحِدٍ) البحار١/٣٨٢.

حق الحياة واحد ثابت لكل نفس ، فقتل نفس واحدة هو اعتداء على حق الحياة المكرمة ذاتها ، الحق الذي تشترك فيه كل النفوس البشرية في حياتها ومماتها سواء كانتا في معناهما المادي أو المعنوي، الجسدي أو الروحي (في الهداية أو الضلال) لأن سفك دم النفس الواحدة هو اعتداء على النوع الإنساني فمن سقطت عنده حرمة الفرد فإنه تسقط عنه حرمة المجتمع ، فكما أن قتل كلِّ الناس أمر مستقبح وبشع ويرفضه الحس الإنساني ، كذلك قتل النفس الواحدة مستقبح وبشع ، لأن التجرأ على حقوق الفرد هو نفس التجرأ على حقوق المجتمع ، فإن فناء الفرد بالقتل والاعتداء هو إبطال لغرض الله سبحانه بتكثير الأفراد للاستخلاف في الأرض فيأتي القتل بغير حق إبطال لسنة الله في استخلاف الناس ، وإلغاء حياة الآخر بالقوة والاعتداء ، وكأنما يريد القاتل احتكار الحياة لنفسه ، وشر الناس من عاش لذاته ولذّاته ، والمقصد هو تهويل أمر القتل العمد ! فكيف بالذين يتسابقون إلى أسلحة الموت والقتل الجماعي ، فمن القنبلة الذرية إلى الأسلحة الكيمياوية والنووية وأسلحة التدمير الشامل التي لا تُبقي ولا تذر؟!

(**وَمَنْ أَحْيَاهَا**) على إطلاق معناها جسدياً أو روحياً، أحياها بالشكل والمضمون ، أحياها بالإنقاذ من الموت أو الأسر أو الإنقاذ من الضلال إلى الإيمان، أو أعطاها حياة جديدة من النمو والتقدم والتطوّر وإحياء الآمال والسعي المتواصل نحو الكمال (**فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**) ومن يمتلك القدرة على إحياء نفس واحدة ولو بنسبة معينة ، فإنه يمتلك القدرة على إحياء كل النفوس بنفس النسبة ، **إحياءً على كلِّ صعيد** ، بتوفير الخدمات وإنتاج أنواع الإختصاصات ، وحسن الاستثمارات والسير في ركب الحضارات الحديثة وإنتاج أنواع التطورات المعاصرة ، وشق الأنهر والطرقات وتطور الزراعة والصناعات وبناء المدارس والجامعات وإنشاء أنواع المستشفيات المجانية ، واستثمار أنواع الطاقات والإختصاصات بأعمال إنتاجية متنوعة ، والقضاء على البطالة والفقر والتخلّف والأمية (**حياة**) فإن التقدم يحصّن الحياة.. والبحث عن كل ما ينفع الناس والتخلّص من كل شيء يضرهم

، **عن الإمام الصادق** (ع) : في الآية (مَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلاَلٍ إِلَى هُدَى فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهَا ، وَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ هُدَىً إِلَى ضَلاَلٍ فَقَدْ قَتَلَهَا) الكافي٢/٢١٠ القتل المعنوي، **وعن سعيد بن جبير** : (مَنْ اِسْتَحَلَّ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا اِسْتَحَلَّ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيْعَاً ، وَمَنْ حَرَّمَ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ دِمَاءَ النَّاسِ جَمِيْعَاً).
**وهذه الآية** : تكرم الإنسان الخليفة وتصون حياته الكريمة وتضمن حقوقه وتحفظ ممتلكاته.. (**وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ**) يعلمونهم منهج الله حلاله وحرامه ، ويحذرونهم من القتل والفساد في الأرض (**ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**) فهم قوم مفسدون متجاوزون للمعقول مصرون على استكبارهم وخرجوا عن الأصول الإنسانية وتجاوزوا الحدود الإلهية قديماً وحديثاً ولا يزالون يسرفون ، **في غرر الحكم:** (وَيْحَ الْمُسْرِفِ مَا أَبْعَدَهُ عَنْ صَلاَحِ نَفْسِهِ وَاِسْتِدْرَاكُ أَمْرِهِ) ، **عن الإمام الباقر** (ع): (الْمُسْرِفُوْنَ هُمُ الَّذِيْنَ يَسْتَحِلُّوْنَ الْمَحَارِمَ وَيَسْفِكُوْنَ الدِّمَاءَ) نور الثقلين١/٦٢١، **والإسراف:** عدم الاعتدال واللامبالاة في تعد الحدود الإلهية وتجاوز الأصول الإنسانية والذي يشمل كل تجاوز ولاسيما البغي والعدوان. **فائدة** : المجتمع الإنساني يشكّل منظومة عضوية واحدة ذات إحساس مشترك ، إِذَا اِشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالشَّكْوَى وَالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ النساء/١، فإن فقدان أي فردٍ منهم يعتبر خسارة للمجتمع الإنساني الكبير خسارة طاقة وكفاءة وقيمة متعددة الجوانب ، وكذلك إحياء النفس الواحدة بمثابة إحياء وإنقاذ لجميع أفراد المجتمع كقوله ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ الحجرات/١٠ ، **عن النبي** (ص) : (الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ) كنز العمال خبر٤٠٢. **وعنه** (ص) (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ) الترغيب والترهيب٣/٢٩٢.
**وعنه** (ص) (الـمُؤمِنُونَ كَالنَفْسِ الوَاحِدَةِ) المراغي٥ص١٧.

**٣٣ – ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

إنّما عقوبة الذين يحاربون شريعة الله ورسوله ودينه وأولياءه ، بلسان الحال قبل لسان المقال بأنواع الأساليب البغي والعدوان (**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً**) بنشر أنواع الفساد والتفنن فيه منها دعم الإرهابيين بالسلاح والتعدي على حرمات المجتمع بالخطف وقطع الطرقات ، والإخلال بالأمن العام وإرهاب الناس الآمنين ومخالفة القوانين العادلة وإراقة الدماء المحرمة ونهب الأموال الشرعية وهتك الأعراض الشريفة (**أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا**) هناك أربع عقوبات لتلك الجنايات : **١– (أَنْ يُقَتَّلُوا)** وجاء بصيغة المبالغة إشارة إلى أن القتل حتم لابد منه ، ولو أن قاطع الطريق قتل نفساً وعفا عنه ولي المقتول فلا يُعفى عنه.

**٢- (أَوْ يُصَلَّبُوا)** والمبالغة فيه كالمبالغة في القتل زجراً لغيرهم ، **٣- (أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ)** تقطع أربعة أصابع من أيديهم اليمنى وأربعة أصابع من أرجلهم اليسرى، والمبالغة فيه أظهر من مبالغة القتل والصلب ، **٤- (أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ)** النفي هو الطرد مع الاستخفاف به إلى بلدٍ ناءٍ بعيد عن بلده يحس فيه بالغربة والوحشة والتشريد **(ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا)** ذلك الجزاء المذكور ذل لهم وفضيحة في الدنيا **(وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** العقوبة الشديدة التي يلقونها في الدنيا لا تُسقط عنهم عذاب الآخرة بل وصفه **(عَذَابٌ عَظِيمٌ)** وهذا تغليظ للعقوبة وتبشيع للجريمة ، ذلك أن المجتمع المسلم ولو بحدّه الأدنى يجب أن يعيش آمناً إجتماعياً مطمئناً قلبياً ، والحاكم الشرعي يجب أن يكون مطاعاً. **سئل الإمام الرضا (ع) عن الآية،** فما الذي إذا فعله استوجب واحدة من هذه الأربع ؟ فقال (ع): (إِذَا حَارَبَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَسَعَى فِي الأَرْضِ فَسَاداً فَقَتَلَ قُتِلَ بِهِ ، وَإِنْ قَتَلَ وَأَخَذَ الْمَاْلَ قُتِلَ وصُلِبَ ، وَإِنْ أَخَذَ الْمَاْلَ وَلَمْ يَقْتُلْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَرِجْلُهُ مِنْ خِلاَفٍ ، وَإِنْ شَهَرَ السَّيْفَ فَحَارَبَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَسَعَى فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَلَمْ يَقتُلْ وَلَمْ يَأْخُذِ الْمَالِ نُفِيَ مِنَ الأَرْضِ) نور الثقلين١/٦٢٣(**مختصر الحديث**)، **عن الإمام الجواد (ع) في الآية (النفي من الأرض):** (إِذَا كَانُوا لَمْ يَقْتُلُوا أَحَداً وَلَمْ يَأْخُذُوا مَالاً، أُمِرَ بايدَاعِهِمْ الْحَبْسَ) كنز الدقائق٣/٧٦. **فائدة:** **١-** إن إقامة الحدود لا تكفِّرُ بعض المعاصي لقوله **(وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**. **٢-** إقامة حدود الله تكون متيسرة فقط في ظل حكومة إسلامية ، وهذا يعني لا فصل بين الدين و السياسة.

**٣٤ – ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**

الاستثناء مخصوص : أي إذا تاب قاطع الطريق توبة نصوحة من تلقائه وقبل القبض عليه سقطت عنه العقوبة المعبر عنها بحق الله أو الحق العام أو العقوبة الأدبية ، أمّا الحق الخاص المادي بالإنسان فمسؤول عنه صاحبه فيطالب صاحب الحق بحقه من السارق أو القاتل ، فإن سلب مالاً فعليه إرجاعه أو إرجاع بدله من المثل أو القيمة إذا قد تلف ، وإن قتل فلأولياء المقتول أن يقتلوه به إن شاءوا **(اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** ينبئ أن الاستثناء مخصوص في حقوق الله تعالى أما حقوق الناس لا تسقط بهذه التوبة إلاّ إذا هم تنازلوا عن حقهم ، أمّا بعد القبض فالحد قائم عليه **(فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** برفع الحد عن التائبين قبل القبض عليهم ، والله واسع المغفرة والرحمة لمن تاب وأناب يقبل توبته ويغفر زلته **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾** البقرة/٢٢٢ ، **في غرر الحكم:** (التَّوْبَةُ تُطَهِّرُ الْقُلُوْبُ وَتَغْسِلُ الذُّنُوْبَ). **فائدة:** الحكمة من العقوبة أن يرتدع المجرم عن الفساد فهي تحمل طابع تربوي وإصلاحي، فإن ارتدع من نفسه لم يبق للعقوبة موجب

**٣٥ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**

**الْوَسِيلَةَ** : القربة ، نقول توسلت إليه أي تقربت إليه برغبة وحب ، يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتقاء في مدارج الكمال الإنساني عن طريق الإيمان والتقوى وإتباع الوسائل الصحيحة للتقرّب إلى الله تعالى ولا يزال المؤمن يتقرب إلى الله تعالى حتى يحبه ، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾ البقرة/١٦٥ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (الْقَلْبُ حَرَمُ اللهِ فَلاَ تُسْكِنْ حَرَمَ اللهِ غَيْرَ اللهِ)! البحار٧٠ص٢٥ فتكون الاستعانة وطلب الحاجة إلى الله تعالى وحده ، ولا تطلب الحاجة من المخلوق الولي والنبي والإمام مباشرة ، وإنما من الله لقربهم من الله ومنزلتهم عنده تعالى باعتبارهم وسيلة صالحة عنده سبحانه ومعنى **الوسيلة** : هي التوصل والتقرّب إلى الله تعالى بأسباب طاعته ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى بمراعاة سبيله ومنهجه بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، لأن أقوى رابط بين العبد وربه بالدعاء وتضرع العبد إلى ربه بعبادة يرضاها ربه عز وجل كقوله ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ غافر/٦٠ ، والوسيلة كالقربة إلى الله ، وكشعائر الله ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ الحج/٣٢ ، جاء خطاب الآية للذين آمنوا خصوصاً وليس لغيرهم ، ثم طلب منهم المزيد أن (**اتَّقُوا اللَّهَ**) ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦، **والتقوى** : الورع عن محارم الله ، **في غرر الحكم**: (**التَّقْوَى** : مُنْتَهى رِضَاْ اللهِ مِنْ عِبَاْدِهِ وَحَاْجَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ) وَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ.

ثم قال (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ**) إلى الله سبحانه بالتحديد (**الْوَسِيلَةَ**) على إطلاق معناها هي الإخلاص لله والعمل الصالح ، ثم حدّد مبناها ومقصدها بثلاثة شروط في السياق القرآني: **١-** الإيمان (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) وزيادة على الإيمان طلب منهم **٢-** (**اتَّقُوا اللَّهَ**) ﴿**أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة/١٩٤ ، ثم بعد التقوى قال **٣-** (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ**) أي أطلبوا إلى الله الحاجة والوسيلة حصراً لا إلى غيره عز وجل ثم ذكر (**الْوَسِيلَةَ**) فصارت الوسيلة رخصة مقيدة بثلاثة قيود متصلة غير منفصلة ، وأعطى نموذجاً مميزاً عن الوسيلة التي تقرّب إلى الله فقال (**وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ**) فلا جهاد من دون سبيل الله، جاهدوا لتهذيب أنفسكم وقهر عدوكم، **في غرر الحكم** (ذَرْوَةُ الْغَاْيَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوْ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ) ، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله ووالوا أولياء الله وعادوا أعداءه فإن بالجهاد تصلح النفوس ، (**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) فابتغاء الوسيلة إلى الله المرضية عند الله لها شرطها وشروطها وبذلك تحصل عبادته سبحانه التي هي رجاء النجاح والصلاح والفلاح كقوله ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ طه/١٥. **فائدة** : (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**) الأمر بإبتغاء الوسيلة المرضية عند الله تعالى بمعنى : تقربوا إلى الله بالدعاء وطلب الحاجة بوسيلة يرتضيها الله من الطاعات وأنواع القربات ، بحيث لا يخرج من الله شيء إلاّ ويعود إليه ، فتكون (**الْوَسِيلَةَ**) : طريقة نجاة وسبيل سلامة وطلب

كرامة لأنها تعتمد الاستقامة ، لذلك تقدمت التقوى على الوسيلة حتى تزكّي التقوى الوسيلة وتطهرها من كل ضلال يحاول أن يطرأ عليها. **وأخطر ما في هذا الموضوع الحساس عندما يُساء فهمه فيحصل الخلل في تطبيقه** ، عندما تتحول الوسيلة إلى هدف ، فتُقصد الوسيلة لنفسها دون الله عزّ في علاه وتكون الوسيلة غاية مطلوبة لذاتها ، فيكون الانشغال بالوسيلة عن الغاية ، وليست الوسيلة مطلوبة لغيرها لهدف أهم منها وهو القربى والطاعة والدعاء وطلب الحاجة من الله تعالى ، عندئذٍ تكون الوسيلة هي الهدف ويكون الهدف هو الوسيلة ، وهنا تنقلب المفاهيم وتتشوش الرؤية ، ويحصل اضطراب في الأداء.

وهذه حالة تشابه الغلو في الدين الخطير والمرير ، معناه التطرف في فهم الدين، فأجعله في الدين وهو ليس من الدين ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ النساء/١٧١ وهو حالة تشابه الشرك الخفي كقوله ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ يوسف/١٠٦. **فهذه هي القاعدة العامة،** ويمكن تطبيقها على كل من زيارة مراقد الأنبياء (ع) وأئمة أهل البيت (ع) وهم شهداء أحياء عند الله يرزقون وعند الناس قادة مرشدون بسيرتهم ، فهم يسمعون الكلام ويردون السلام ، ويتقربون إلى الله بقضاء حوائج الناس ، فهم وسيلة شريفة إلى الله وواسطة شفاعة بين الناس المؤمنين وربهم الكريم الرحيم. **في نهج البلاغة خطبة١١٠:** (إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ اَلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اَلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَاَلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ اَلْإِسْلاَمِ وَ كَلِمَةُ اَلْإِخْلاَصِ فَإِنَّهَا اَلْفِطْرَةُ وَإِقَامَةَ اَلصَّلاَةِ فَإِنَّهَا اَلْمِلَّةُ وَإِيتَاءُ اَلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ (وقاية) مِنَ اَلْعِقَابِ وَ حَجُّ اَلْبَيْتِ وَ اِعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ اَلْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ اَلذَّنْبَ وَصِلَةُ اَلرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي اَلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي اَلْأَجَلِ وَصَدَقَةُ اَلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ اَلْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ اَلْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ اَلسُّوءِ وَصَنَائِعُ اَلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ اَلْهَوَانِ).

**بمعنى** كل الأعمال الصالحة هي وسيلة قربى إلى الله تعالى. **الخلاصة: طريقان للصلة بالله تعالى (المباشر وغير المباشر): ١- الطريق المباشر:** وهو الأهم والمعتمد الأساسي في القرآن والسنة ، وعليه تقام جميع العبادات الواجبة والمستحبة كالصلاة وغيرها، التي تقام مباشرة مع الله تعالى من دون الحاجة إلى وسيلة وواسطة. **٢- الطريق غير المباشر إلى الله (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ):** فسح القرآن مجال للوسيلة وجعل معناها عاماً يشمل جميع الوسائل والأسباب فتكون رخصة شرعية وتكون في الدرجة الثانية في العلاقة مع الله تعالى ، كالصلاة التمام والقصر ، فتكون صلاة التمام هي القاعدة وصلاة القصر هي الرخصة **(ويُحِبُّ اللهُ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخَصِهِ)** فتكون العلاقة مع أضرحة الأنبياء والأئمة (ع) وسيلة ورخصة لزيارتهم والاقتداء بهم وطلب الحاجة إلى الله تعالى بواسطتهم لأنهم شهداء أحياء مكرمون عند الله يرزقون ، لمنازلهم الرفيعة عند الله، لو كانت الحاجة منهم لكان

شركاً ولكن طلب الحاجة من الله تعالى وحده بحرمة جاههم ومنزلتهم عنده سبحانه ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾ الأنعام/٩٠ ، ويمكن الاقتداء بهم أحياءً وأمواتاً بسيرتهم الحسنة ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ الأحزاب/٢١

**٣٦ –** ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾

إنّ الذين كفروا خسروا أهم شيء هو الإيمان بالله ، فخسروا فهم الحياة ، والحياة لولا الإيمان لأصبحت لغزاً مبهماً يصعب حلّها ، لذلك الكفّار وإن ربحوا كل شيء ولكنهم خسروا أهم شيء وهو أنفسهم ﴿**الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾الأنعام/٢ ، فهؤلاء يكون موقفهم يوم القيامة مخزياً ، فيفرض فرضاً محالاً ، وفرض المحال ليس بمحال ، لو أن لهم ملك ما في الأرض كلها ومعه أضعاف مضاعفة ليفتدوا به من عقاب الله إيّاهم (**لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) ما تقبل الله منهم ذلك الفداء عوضاً من عذابهم بل هو معذبهم عذاباً موجعاً يتناسب مع إصرارهم على ما ارتكبوه من جرائم بحق أنفسهم والناس﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ الأنفال/٢٥، **في نهج البلاغة خطبة١١٤:** (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ، وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ).

**٣٧ –** ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾

**عن النبي (ص) :** (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَضْجَعَكَ ؟ فَيَقُولُ شَرَّ مَضْجَعٍ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ تَفْتَدِي بِقُرَابِ الأَرْضِ ذَهَبًا ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ) تفسير الرازي١١/٢٢١. ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ الليل/١٥-١٦ في غرر الحكم: (النَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِيْنَ) هذا المصير يشمل كل خائن ومعتدٍ وشرير وكل من يتمنى للناس الأسى والأذى، **فائدة: سؤال** يريدون أن يخرجوا من النار، مع علمهم بأنهم لا يخرجون منها؟ **الجواب:** أن العلم بأن الشيء هذا لا يكون فلا يصرف إرادته عنه للحاجة إليه، كالغريق الذي يتمسك بقشة!.

**٣٨ –** ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾

يوفر الإسلام للمجتمع المسلم حياة الكفاية والحماية والرعاية والهداية والعيش الرغيد ، ويعالج الفقر والحاجة والبطالة والتخلّف.. ما يدفع خاطر السرقة عن كلّ نفس سوية ، ويجعل الملكية الفردية تنبت من حلال وتساهم في تطوّر المجتمع، بدفع الزكاة الواجبة والحقوق المفروضة من الأغنياء لصالح الفقراء ، مما يدفع خاطر السرقة عن كلّ نفسٍ سوية، فمن حق القرآن أن يشدد في عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والملكية العامة ورفع الأمن والأمان من المجتمع والاعتداء على الحريات الشخصية ، ومع تشديده فهو يدفع الحدود بالشبهات فلا يؤخذ الجاني بغير دليل ثابت.

**المعنى** : الهدف من قطع يد السارق (بعد إثبات السرقة بالإقرار والبينات) هو ردع المجرم المعتدي تأديباً لغيره وصيانة للمجتمع وحفظاً للأمن وبقاءً للأمان والاطمئنان ، فاقطعوا أربعة أصابع من كف يمين كل منها وترك الراحة والإبهام **(جَزَاءً بِمَا كَسَبَا)** مجازاة لهما على فعلهما القبيح **(نَكَالاً مِنْ اللَّهِ) النكل:** العقوبة الشديدة الرادعة من حكم الله ليعتبر بها غيره **(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** عزيز في انتقامه من كلِّ معتدٍ وحكيم في شرعه وتربية خلقه فلا يأمر بقطع اليد ظلماً. **فائدة: ١-** ولا معنى لتوهم القسوة في هذا الحدِّ وأمثاله ، لأن الإسلام كفل للمسلم حياة كريمة عادلة لا فقر فيها ولا حاجة بحيث تجعل التفكير في السرقة وأمثالها من الجرائم الكبيرة لأنه اعتداء على حقوق الفرد والمجتمع وإهانة لكرامة الإنسان كإنسان ، وتقديم مصلحة المجتمع أهم من مصلحة الفرد المعتدي ، إنما يريد السارق أن يزيد كسبه من كسب غيره ، بالاعتداء عليه ونشر الرعب والإرهاب بين الناس ، فلا يرضى بالحلال ولا يخشى الحرام ولا يخاف الله ولا يحترم الإنسان والمجتمع ، إذن المسألة ليست سرقة المال القليل أو الكثير لأن الذي يسرق القليل مستعد أن يسرق الكثير ، والذي يستعد أن يسرق من الفرد ويهدده ، يستعد أن يسرق من المال العام في الدولة ويرهب الجميع ، **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** البقرة/١٧٩، **﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ﴾** البقرة/٢٥١، **عن النبي (ص):** (إِنَّمَا أُهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوْاْ إِذْاْ سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ (القوي) تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوْاْ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا !)روح البيان٢/٣٩٢. **٢- شروط قطع أصابع كف السارق:** أ- أن يكون المسروق في حرزٍ أمين ويخرجه السارق منه ، فمن سرق شيئاً من دكان مقفل يحدُّ ويرجع المسروق إلى أهله ، ومن سرقه من الطريق أو من دكان غير مقفل فلا يحدُّ بل يعزّر بما يراه الحاكم ويرجع المسروق إلى صاحبه ب- إتفقوا حجم السرقة في ربع دينار وأكثر في وقت يكون للدينار قيمة كبيرة ، ج- أن يكون السارق بالغاً وعاقلاً ، د- ولا قطع إذا سرق من مال ولده أو أمه وأبيه ، ولا تسمى سرقة إذا أخذت الزوجة من مال زوجها لتنفقه على أولادها ، هـ - أن لا تكون السرقة في عام المجاعة فإذا سرق الجائع مأكولاً إضطراراً لسدِّ حاجته فلا حد ، و- إذا سرق وهو في مجتمع إسلامي يقيم حكم الله وتسعى الدولة لعلاج الفقر والجهل والبطالة ويكون السارق غير فقير ولا مضطراً على السرقة وإنّما يسرق اعتداءً على حقوق الناس ونشر الرعب بينهم ، عندئذٍ تقطع يد السارق الإرهابي ليكون عبرة لغيره. **٣-** قال **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)** وفي الزنا قال **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾** النور/٢ ، وقدّمت الآية الرجل السارق على المرأة السارقة، بينما الزنا ذكر العكس والسبب لأن السرقة غالباً ما تصدر عن الرجال ، بينما النساء الخليعات يشكلن في الغالب المحفز للزنا. **٤-** يسقط حد السرقة في قطع اليد بالعفو عن السارق قبل رفع أمره إلى الحاكم الشرعي ، إذا وجد أي مبررٍ للعفو عنه.

**٣٩ - ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

إذا تاب السارق من تلقاء نفسه وقبل أن تثبت السرقة عليه عند الحاكم فلا حدَّ عليه **(وَأَصْلَحَ)** أعلن توبته وصلحت سيرته رجعت ثقة الناس به وردَّ المال المسروق إلى مالكه وعزم على أن لايعود **(فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ)** ويقبل توبته ، فمَنْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ عَلَيْهِ ، **(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** مبالغ في المغفرة والرحمة. **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ﴾** الشورى/٢٥ ، **عن الإمام علي** (ع) : (التَّوْبَةُ تَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ) مستدرك الوسائل٢/٣٤٨. **فائدة:** إذا شهد عادلان على سرقته فإن التوبة لا تسقط عنه الحد ، أما إن تاب السارق قبل أن تثبت سرقته في محكمة إسلامية يسقط عنه حد السرقة ويجب إعادة الحق المسروق إلى صاحبه.

**٤٠ – ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**

ثمَّ نبّه الله تعالى على ملكه الواسع **﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾** الرعد/٤١ ، **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾** التين/٨ ، فإنه لا يخرج حكمه عن المصلحة والحكمة ، وهذا ملكه الباهر يدل عليه **(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ)** ومن حكمته أنه وضع العقوبة بقدر الجناية وذلك لردع المعتدين والمحافظة على أمن الناس وممتلكاتهم **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾** فصلت/٤٣ ، **في نهج البلاغة(في صفة الله تعالى) خطبة١٨٦** : (يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ!) ، وإنه سبحانه يغفر للتائبين توبة نصوحة برحمته وفضله ترغيباً لهم في تزكية أنفسهم **(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**.

**٤١ – ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**

كان المنافقون واليهود يثيرون أموراً تشيع القلق والفوضى والإرهاب في المجتمع ، مما كان يُحزن الرسول على عصيان الخلق لله الحق ، ومن هؤلاء العصاة الذين أشار إليهم سبحانه **(يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)** أبلغ من (يُسَارِعُونَ إلى الْكُفْرِ) يسارعون إلى الكفر وهم خارجه ليصلوا إليه بينما **(يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)** يتسابقون إلى الكفر وهم في داخله وكأنه غنيمة وفرصة ثمينة! ومن صفات المغرور أنه يتسابق في ضلال نفسه وهو لا يعلم **(مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ)** وهم المنافقون الذين يظهرون الود ويضمرون الحقد وأيضاً **(قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ)** مع أن القول لا يكون إلاّ باللسان وفيه إشارة دقيقة إلى أن أفواههم ليست معبرة عما في قلوبهم وأن ما يلوكونه على ألسنتهم لا يجاوز أفواههم ومخالف لما يضمرونه في قلوبهم **(وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ)** **(وَمِنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ)** ومن هؤلاء اليهود يرحبون بكل إفتراء ويذيعونه مؤيدين ومروجين بكلِّ وسيلة خسيسة ، وجاءت **(سَمَّاعُونَ)** مبالغون في سماع الكذب ومؤيدون للأباطيل **(سَمَّاعُونَ**

**لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ)** مبالغون في قبول كلام قوم آخرين لم يحضروا مجلسك (ص) تكبراً وإفراطاً في العداوة والبغضاء إنّهم يتجسسون عليك وعلى المسلمين لمصلحة قومٍ آخرين لم يأتوك وهم يهود خيبر ولكن يجتمعون سراً مع المنافقين ويستمعون إليهم ويلقنونهم دروساً في الكيد والنفاق **(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)** يزيلونه ويميلونه عما أرادها الله إما لفظاً بإهماله أو تغيير وصفه أو إجرائه في غير مورده والسبب هو إضلال الناس عن دين الله وجعلهم في شكوك وحيرة.

**(يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا)** يقولون أحبار اليهود لأذنابهم إن أفتاكم مُحَمَّد بالمحرّف والمزيّف (فَخُذُوهُ) واعملوا به ، وإن أفتاكم بالحق والصدق (فَاحْذَرُوا) وارفضوه **(وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً)** ومن يرد الله أن يختبره من الناس في دينه فيظهر الاختبار كفره وضلاله فلن تملك له أيها الرسول من الله شيئاً من الهداية والرشد ، وقد تدنّست قلوب هؤلاء وتلوثت وفسدت فلم تعد قابلة للتطهير ، وحرمهم الله لذلك طهارة القلوب وسلامتها ، وما أنت يا مُحَمَّد بمستطيع أن تدفع عنهم الفتنة التي حاكوها وقد سلكوا طريقها ودخلوا في أعماقها **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)** فقلوبهم باقية على ضلالها وفسادها فهي قذرة فلم تعد قابلة للتطهير ولم تتأهل للهداية وابتعدوا عن الحق واستذوقوا الباطل، لما تكرر منهم من الفسق والفجور فأضلهم الله بذنوبهم وما يضل بها إلاّ الفاسقين ، ولم يرد الله أن يلجأهم إلجاءً إلى تطهير القلوب ولم يجبرهم على تزكية النفوس بل جعل لهم الخيار في ذلك وهم مسؤولون عن اختيارهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ الرعد/١١ ، وبهذا الاعتبار صحت الفتنة لله تعالى وقد اختاروا الضلال لأنفسهم **(لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** فلهم عذابين : ففي الدنيا الخزي والذل والهوان والفضيحة وفي الآخرة نار جهنم ووصفها بـ **(عَذَابٌ عَظِيمٌ)**. **فائدة** : من جعل الشرع الإسلامي الصحيح حكمه ورضيّ به وافق هواه أو خالفه فإنه من طهارة القلب ، ودلّ على انّ طهارة القلب سبب لكل خير وهو أكبر داع إلى كلّ قول سديد وعمل رشيد ، **في غرر الحكم:** (قُلُوبُ الْعِبَادِ الطَّاهِرَةِ مَوَاضِعُ نَظَرِ اللهِ سُبحَانَهُ فَمَنْ طَهرَ قَلبُهُ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ) ، ومن اعترض على حكم الله وخالف كتابه هذا دليل على عدم طهارة قلبه وهو القلب الملوث ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ الأعراف/١٧٩ ، **في نهج البلاغةخطبة٨٨:** (مَا كُلُّ ذِيْ قَلْبٍ بِلَبِيْبٍ، وَلاَ كُلُّ ذِيْ سَمْعٍ بِسَمِيْعٍ، وَلاَ كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيْرٍ).

**٤٢ – ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**

**(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ)** كرّر هذه الصفة الملعونة التي هي مفتاح كل شر ، إنها صفة ثابتة في طبيعة اليهود وجزء من حياتهم بحيث تستأنس نفوسهم لسماع الكذب المبالغ فيه وبالمقابل تنقبض لسماع

الحق والصدق ، وهذه طبيعة القلوب حين تفسد تنقلب عندها المقاييس الصحيحة والمعايير المتوازنة (**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) وهكذا الأمم الذليلة التي تلوذ بالكذب في حياتها تراها ينتشر بين أفرادها أكل السحت وهو المال الحرام بشتى أنواعه من الرشوة والسرقة والربا وأنواع الفساد ، وسميَّ المال الحرام سحتاً لأنه يقطع البركة ويمحقها ، ويلوث الفطرة ويدنسها ويستأصل الدين ، ويُقسّي القلب ويغلظ الطبع وينغص العيش.. (**فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**) تخيير للنبي وإرجاع الأمر إلى نظره ورأيه المصيب (**وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً**) لأن الله عاصمك وحافظك من الناس ، ولست مسؤولاً عنهم أمام الله (**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ**) بالعدل والحق وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل لأن الله يحب العادلين (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) العادلين مع الناس في قولهم وفعلهم. **فائدة** : (**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ**) : **بمعنى** شريعة الإسلام لا بما يدينون ، وإذا كان أحد المتخاصمين مسلماً والآخر غير مسلم ، فعلى الحاكم المسلم أن يحكم بحكم الإسلام وإما أن يعرض عنهم عند الضرورة ، **عن الإمام علي** (ع) : (الْعَدْلُ أَسَاسُ بِهِ قَوَامُ الْعَالَمِ) **البحار ج ٧٨ ، ص٨٣**.

**٤٣ - ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾**

الاستفهام في الآية إنكاري يستهدف توضيح خلفية هؤلاء ونيتهم في عملية رجوعهم إلى النبي (ص) ليحكم بينهم، فهم لا يريدون حكم الله وإنّما يسعون لحكم ينسجم مع أهوائهم وإلاّ فكيف يرجعون لتحكيم رسول لم يؤمنوا بعد برسالته وفي قضية أوضحت التوراة حكمها ؟ (**ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**) إلاّ أن الحقيقة هي أنهم لا يؤمنون بالتوراة وحكمها لأنهم يعبدون أهواءهم ، والهوى إله يتبع لأنه ميل النفس الأمارة بالسوء إلى شهواتها، فهو أُسُّ المحن ومولّد الفتن **﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾** الفرقان/٤٣ ، **في غرر الحكم:** (إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَ هَوَاكَ أَصَمَّكَ وَأَعْمَاكَ وَأَفْسَدَ مُنْقَلَبَكَ وَأَرْدَاكَ).

**٤٤ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**

التوراة كتاب الله وفيه حكم الله وشريعته ونور في ظلمات الحياة وهدى إلى الأهداف العليا ، وحسب حال بني إسرائيل ومبلغ استعدادهم ، وهي نزلت على موسى (ع) دفعة واحدة وفيها بيان واضح يكشف ما إشتبه من الأحكام ، وتوراة اليوم هي غير توراة موسى لما أصابها من تحريف ، (**يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا**) يحكم بالتوراة أنبياء أسلموا أنفسهم لله وانقادوا لحكمه مخلصين له الدين لا باجتهادهم ، وصف النبيين بالإسلام بمعنى التسليم لله، وهكذا تشترك كل

الأديان بهذا الإسلام ، لهذا الدين عند الله وحدة واحدة موحدة متّحدة والاختلاف بينها بالفرعيات وليس بالأساسيات ، وكلُّ مؤمن بالله في أي دين هو مسلم ، فليس له أن يستكبر عن قبول شيء من أحكامه فالنبيون يحكمون **(لِلَّذِينَ هَادُوا)** وهم اليهود **(وَالرَّبَّانِيُّونَ)** العلماء الخبراء بسياسة الناس وتدبير مصالحهم ، الذين يعلّمون الناس منهج رب العالمين لذلك ينسبون إلى الرب لأنهم يذكّرون بتربية الرب لهم منذ طفولتهم ومن مصاديق ذلك الإمام علي (ع) فهو رباني هذه الأمة ومربيهم **(وَالأَحْبَارُ)** وهم الخبراء من علمائهم الذين عليهم أن يحكموا **(بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) اسْتُحْفِظُوا:** أمروا بحفظه ، فهم يحفظونه في قلوبهم ويعملون به وكانوا عليه شهداء وأمناء ورقباء وحماة كيلا يحرّف ويُزيّف **(فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)** لا تخافوا يا علماء اليهود الناس فتغيروا أحكام التوراة، والله أحق أن تخافوه، **عن النبي** (ص): (رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ) البحار٧٧/١٣٣، **في غرر الحكم:** (أَعْلَمُ النَّاسِ بِالله سُبْحَانَهُ أَخْوَفَهُمْ مِنْهُ) ، **(وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً)** تحذّر الآية من الاستخفاف بآيات الله أي لا تبيعوا دينكم للشيطان (بكتمانه أو تحريفه) ، فإنه يأخذ منكم الآخرة ويعطيكم الدنيا الزائلة ، يأخذ منكم الإخلاص والأمانة والإيمان ويعطيكم اللهو والكذب والخيانة كقوله ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١ ، **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)** حكم الآية صارمٌ وجازمٌ ، والآية عامة في اليهود وغيرهم وتشمل المسلمين، **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ)** مستهيناً برسالته فهو يحكم وفق مبادئ وضعية وفق الأهواء، فأولئك هم الكافرون وهم الظالمون وهم الفاسقون ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ المائدة/٥٠. **فائدة: (فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ):** العلماء ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأمناء الله على خلقه ، فالعلماء مكلفون بحفظ الرسالة فإن عليهم ألاّ يخشوا أحداً إلاّ الله في تبليغ الرسالة الصحيحة وإن خالفت الرسالة العُرف العام ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ**﴾ الأحزاب/٣٩، ﴿**وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ المائدة/٥٤ ، وهذا إنذار لوعاظ السلاطين الذين يسخّرون دينهم وعلمهم في سبيل الدنيا وإرضاء للسلطات ، أو إنهم يجمّدون علمهم فلا ينفع الناس ، فلاَ خَيْرَ فِيْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، **في غرر الحكم:** (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ !). **عن النبي** (ص): (مَنْ حَكَمَ فِيْ دِرْهَمَيْنِ بِحُكْمِ جَوْرٍ ثُمَّ جُبِرَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهَلِ هَذِهِ الآيَةِ **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)**) الكافي٧/٤٠٨

**٤٥ – ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾**

هذه الآية من آيات الأحكام وفي القِصاص ، ولها حكم عام في كلّ ما يمكن أن يقتص فيه ، وكتبنا على اليهود في التوراة ، وكذلك الغرض في القرآن الكريم ليكون الحكم القرآني شريعة البشرية كلها في العالم الإنساني وإلى آخر الزمان باعتبار القرآن منهجاً عالمياً ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ ص/٨٧ ، (**أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**) إطلاق معنى النفس لتشمل كل نفس ، فقصاص قاتل النفس القتل مقابلة النفس بالنفس (**وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**) تفقأ بالعين إذا فقئت من دون حق (**وَالأَنفَ بِالأَنفِ**) يجدع الأنف إذا قطع ظلماً (**وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ**) تقطع بالأذن (**وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ**) يقلع بالسن وغير ذلك كاليد والرجل.. إلخ (**وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**) يقتص بمثلها من دون أن تتحول العقوبة من القصاص إلى الديّة ، **فائدة** : أول ما تقرره رسالة الله في القصاص هو مبدأ المساواة ، المساواة في الدماء والمساواة في العقوبة ، دون الإلتفات إلى عنصر الجاني وقوميته وطائفته ، لا تمييز ولا عنصرية ولا طبقية ولا حاكم ولا محكوم.. كلهم سواء أما شريعة الله ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ البقرة/١٧٩، (**فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ**) إنّ المجني عليه إذا عفا عن الجاني (المعتدي) فإن الله سبحانه يجعل هذا العفو كفارة لذنوب الذي عفا لإسقاطه حقه ﴿**فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ الحجر/٨٥ ، **عن النبي** (ص) : (مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَفَا اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْعُسْرَةِ) كنز العمال خبر٧٠٠٧، (**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**) فالتعدي على أشياء الناس وحقوقهم ظلم ، وتغيير أحكام الله ظلم ، ومن أظلم ممن غيّر أحكام الله وحدوده ، وكل من ظلم نفسه ظلم غيره ، فمن ترك شريعة الله فإنه يتبع شريعة الأهواء والأنظمة الوضعية وهكذا (مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ). ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا**﴾ السجدة/٢٢ ، ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ آل عمران/٨٣.

**٤٦ – ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾**

**وَقَفَّيْنَا** : أتبعنا على آثار النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة بعيسى بن مريم وأرسلناه عقبيهم أي بعدهم (**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ**) التَّوْرَاةِ : كلمة عبرانية بمعنى الشريعة وأيضاً عيسى (ع) كان يحكم بتوراة موسى (ع) (**وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ**) و **الإِنجِيل** : يعني البشارة، فيه هدى إلى الحق ونورٌ يُستضاء به في إزالة الشبهات وإقامة منهج الله (**وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ**) والتكرار لزيادة الإقرار مُصَدِّقاً: موافقاً لما سبقه من التوراة في شرائعها ، إلاّ ما استثنى من الأحكام المنسوخة ، لنكون على يقين بأن هدف الأنبياء والمرسلين ورسالاتهم كلها هدف واحد، هو هداية الإنسان إلى الله ويجعله يسير على منهج الله المستقيم لينال سعادته في الدنيا والآخرة (**وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**) وكتاب هداية ودراية ورعاية للمتقين، (فَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاهُ) ، والمتقون

الذين أخلصوا العبودية لله وحده فهم وحدهم المنتفعون بمنهج الله وهداه في جميع الأديان السماوية ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾الحجرات/١٣، والقرآن ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾البقرة/٢، ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥.

**٤٧ – ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾**

و ما كان إنزال الإنجيل الاّ ليعمل به أهل الإنجيل ويهتدوا بهداه ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ الأنعام/٧١ ، عملاً بحاكمية الله وتسليماً لحكمه وسعياً في سبيل رضاه عز وجل ، ولو حكم أهل كتاب سماوي بما فيه بلا تحريف لفتح الله عليهم وعلى الناس – كل الناس في العالم – بركات السماء ورفع عنهم الظلم وأطمأنت قلوبهم بذكر الله واستقام سلوكهم ولعاشوا إخواناً في الدين وفي الإنسانية كقوله ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾ المائدة/٦٦ **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) والفسق:** الخروج عن طريق الشرع وعدم الرعاية بالأحكام والحلال والحرام ، **والآية لها دلالة عامة:** والذي يتعالى على منهج الله ويستكبر فسوف يلجأ إلى القوانين الوضعية فيتبع هواه أو هوى غيره ونهانا القرآن عن إتباع الهوى ﴿**وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ص/٢٦ ، **في غرر الحكم:** (آفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى). **فائدة** : وقد وصف الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بـ (الظالمين ، الكافرين ، الفاسقين) فجمعوا صفات الشر ومفاتيح الضر من جميع أطرافه ، سواء أكانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين، وإنّما خصّ أهل الإنجيل بالذكر لأن الحديث عنهم. ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ المائدة/٥٠.

**معنى الكفر:** الكفر رفض ألوهية الله وشريعته ، **ومعنى الظلم:** يحمل الناس قهراً على غير شريعة الله وإشاعة الفساد في حياتهم ، **ومعنى الفسق** : الخروج عن منهج الله وإتباع غير طريقه ، أي **الحكم حكمان** : حكم الله وحكم الجاهلية ، فمن أعرض عن حكم الله حكم بحكم الجاهلية مهما كان لونها واسمها. **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ) والظالمون والكافرون ثلاثة أوصاف تواردت على موصوف واحد (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) والسبب : إذا أطلق لفظ الكفر مجرداً عن القرينة** كما لو قيل فلان كافر ، فهم منه أنه يجحد أصول العقيدة ، **وإذا أطلق لفظ الفسق** فهم منه أنه مقر بالدين أصولاً وفروعاً ولكن متهاون وتارك العمل بالفروع كلاً أو بعضاً، هذا إذا أطلق كل من اللفظين دون أن يضاف إلى شيء، **أما إذا أضيف الفسق إلى العقيدة** كقولنا فلان فاسق العقيدة ، فيكون المراد بالفسق الكفر كقوله ﴿**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ**﴾ البقرة/٩٩ ، **وإذا أضيف الكفر إلى العمل لا إلى العقيدة** فالمراد منه الفسق كقوله ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ**

**غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾** آل عمران/٩٧ ، فقد وصف سبحانه تارك الحج بالكفر مع أنه مؤمن بجميع الأحوال فيتعين أن المراد بالكفر هو الفسق، **أما لفظ الظلم** : فيجوز إطلاقه على الكفر والفسق معاً ، لأنَّ كلاً من الكافر والفاسق قد ظلم نفسه وحمّلها من العذاب ما لاتطيق كقوله **﴿وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾** البقرة/٢٥٤ ، وبهذا يتبين أن الكفر والفسق والظلم ألفاظ كثير ما تتوارد في القرآن على معنى واحد ، وعليه يصح أن يوصف بها **(مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ)** والقصد التغليظ والتشديد على من لم يحكم بالحق ، سواء أحكم بالباطل أو استنكف عن الحكم.

٤٨ – **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**

الآية ذات مبنى دقيق ومعنى عميق ، يحفظ القرآن الكريم الأصول الثابتة غير المتغيرة لما تقدمه من الكتب السماوية من التوراة والإنجيل وموافقاً لها قبل التحريف ، ويجمع فيه القواسم المشتركة ، وينسخ منها ما هو قابل للتغيير من الفروع ، بما يلائم سلوك التكامل الإنساني بمرور الزمن ويبيّن ما حرّف منها ويأتي القرآن الكريم بنفس الوقت ببرامج وخطط أكثر شمولاً للحياة حتى يناسب حال الإنسان ومقدار دعمه في طريق التطوّر والتكامل بمرور الزمان لذلك وصف نزوله بالحق **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)** وقوله **(وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)** مُهَيْمِناً : محافظاً مراقباً ذا سلطة ، باعتباره أكمل الرسالات وأكثرها تفصيلاً فالقرآن إذا كان مهيمناً ومسيطراً وذا سلطة فكرية وعلمية وعقائدية على كل كتاب سماوي في الماضي ، فهو من باب أولى أن يكون له الهيمنة والقدرة والسيطرة المعنوية والفكرية والعقائدية على كل كتاب لاحق وحالي !! فيكون القرآن الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل ويميز بين ما يُنسب إلى الله تعالى (وإلى دينه) حقاً وصدقاً ، وما ينسب إلى الله تعالى (وإلى دينه) كذباً وافتراءً كقوله **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾** الفرقان/١، **﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾** الشورى/١٤ ، فيكون القرآن الكريم من جهة يصدق الرسالات السماوية السابقة ومن جهة أخرى يسمو عليها ويهيمن وله الولاية والتمكين والهيبة والقدرة أيضاً على كل ما ينتجه البشر من أنظمة وضعية ، فهو الأمين العام وله الهيبة والسلطان العلمي والمعنوي والعقائدي والأخلاقي..إلخ على ما كان قبله من الكتب وعلى ما يكون بعده من نتاجات فكرية وتطورات علمية ، وكأنه له السلطة في الحجة والسلطة في المراقبة والسلطة في الفكر المتطوّر ، لذلك القرآن يدفع نحو الحداثة ومواكبة التقدّم مع كلّ زمان ومكان وينفع كلَّ جيل ، لذلك صار دستور الإنسان في العالم **﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾** ص/٨٧.

**عن النبي (ص):**

(مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ) كنز العمال خبر٢٤٥٤، **فليثوّر** : فليتعمق ، فيكون القرآن الصورة الأخيرة المتألقة لدين الله ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ يوسف/٤٠ ، **القيّم**: من القيمة العليا والقيمومة الكبرى على جميع الكتب السماوية السابقة وجميع الأنظمة الوضعية ، ويكون القرآن المرجع الأخير في حياة الإنسان على الأرض لأنه منهج حياته وهدايته واستقامته وهو نظام سعادته في االدنيا والآخرة ، بلا تبديل ولا تحويل بعد ذلك ولا تعديل ، باعتبار القرآن ﴿**تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ النحل/٨٩، ﴿**وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يوسف/١١١ ، و﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ الأنعام/٣٨ ، ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ فصلت/٤٢ ، **فيكون (القرآن ميزان دقيق : فمن وفّى ، استوفى)** وكلُّ اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه بالحق.

**فائدة:** المراد بالكتاب الأول القرآن ، والمراد بالكتاب الثاني جنس الكتاب الشامل لجميع الكتب السماوية ومنها التوراة والإنجيل ، وجميع الكتب الوضعية والنظريات ذات الأبعاد المختلفة والمتنوعة في طرحها، والقرآن يهيمن عليها بحجته وبرهانه وبيانه الذي يبهر الإنسان ، لأن الله جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات المتألقة ما ليس في غيره ليكون مهيمن على كلِّ كتاب حتى يكون دستور حياة جميع البشرية بكافة أجيالها وأديانها وأجناسها ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ هود/١ ، **(فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ)** فالقرآن حق فيما وافق مابين يديه من الكتاب ، وحق فيما خالفه لكونه مهيمناً عليه ، فأحكم بين الناس بلا استثناء بهذا الحق المطلق المؤثر ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، **(وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ)** فأعرض عن هؤلاء المنافقين واليهود فيما حرفوا وبدلوا في دينهم ، فالسبيل الحق إتباع الحق ، والحق أحق أن يتّبع ﴿**قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ يونس/٣٥ ، **(وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)** النبي (ص) لا يحكم إلاّ بالحق ولا يتسامح فيه ومحال أن يتبع هوى مخلوق ، كيف وأقواله وأفعاله سنّة تتبع وميزان يقاس به الحق والعدل ، ولو إفترض أن مخادعاً حاول أن يخدع الرسول (ص) فالله يسددّه ﴿**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ الإسراء/٤٧ ، التأكيد عليه من باب التحذير له ولنا ، **عن الإمام الصادق**(ع) (نَزَلَ الْقُرْآنَ بِإِيَّاكِ أَعْنِيْ وَإِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة) الكافي٢/٦٣١، حتى نكون على حذرٍ شديد من إتباع أهواءهم.

﴿**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ النساء/١٣٩ ، وقوله **(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)** شرعة من **الشريعة** : السبيل الموصول إلى المطلوب ، يقال شريعة الله هي الطريقة الإلهية الموصلة إلى رضا الله، لكُلِّ أمّة من الأمم (والخطاب عامٌّ للناس) جعلنا شريعة وطريقاً واضحاً إلى الكمال خاصاً بتلك الأمة يعرفون به الحلال والحرام ، فكانت شريعة في الفروع لا في الأصول

والعقيدة لأن أغلبها مشتركة بين الأديان **(وَمِنْهَاجاً)** سنة وقانوناً واضحاً يجري عليه. **فصار دين الله منهاجاً واحداً والشريعة مختلفة بين الأديان، بمعنى:** دين الله منهاج واحد ، لأنه ثابت ، متألق ، متفق عليه في جميع الأديان ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ آل عمران/١٩.

**الإسلام:** بمعنى التسليم لمنهج الله الذي يعتمد الأصول والعقائد كالتوحيد والنبوة والمعاد ، وهذا لا يختلف عليه باختلاف الأنبياء (ع) ، وأيضاً دين الله شرائع مختلفة مرنة غير ثابتة، لذلك تركت الشريعة الإسلامية مناطق فراغات لتُملئ من العلماء العاملين المجتهدين بمرور الأيام وتطوّر الأحداث، وهذه الشرائع مختلفة في فروعها بين الأديان الرئيسة كاليهودية والمسيحية والإسلام ، وفيها حكم الحلال والحرام تختلف باختلاف الرسل مع اختلاف الأمم وطبائعها واستعداداتها وظروف زمانها ، وبذلك أغلق الله تعالى مداخل الشيطان كلها **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)** ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد تعملون به ، وهذا يقتضي أن يكون جميع الناس على استعداد واحد ، فتكونون كسائر المخلوقات التي يقف استعدادها عند مستوى معين كالنحل والله لا يريدنا كذلك ، بل يريد أن نؤمن عن قناعة ونستقيم بلا إكراه ، ونُحسن التصرف عن حرية ، ونطيعه عن علم **(وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) ما الحكمة في تعدد الشرائع السماوية؟** الجواب : هو تعدد قابليات الإنسان وتفاوت قدراته ومتناسبة مع العصور التي نزلت فيها كما يحصل بالضبط للمراحل التعليمية التي يمر بها الشاب في مدرسته ، وذلك ليكون إمتحان للإنسان فيما أعطاه الله من النعم المختلفة ، في مواقف الحياة المتعددة ، في الأعمال المتنوعة وبذلك يتميز الخبيث من الطيب وتتبين السعادة من الشقاء ﴿**فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ طه/١٢٣-١٢٤ واختلاف النعم يستدعي اختلاف الاختبار ، وتنوع البلاء يتناسب مع تنوع الطبائع باعتبار **(الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاعِ)** بالاختبار تتبين حقائق الناس كيف يعملون، وتبتلى كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمة الله ، ويمتحن كل إنسان بما يليق به وليحصل التنافس بين الأمم ، فكل أمة تحرص على سبق غيرها بوسائل التطوّر ، وكذلك تسابق الأفراد عندئذٍ يكون الإنسان دائماً في مسؤولية إنتاجية نافعة بعيداً عن الفراغ والبطالة والجهل والفقر ، فإذا كان للإنسان حرية كافية أن يختار وقدرة بها يفعل أو يترك وعقل يميز ويفكر.

**إذن:** ليعمل كل على اختياره وقصده وهو مسؤول ومحاسب على اختياره ، والله تعالى يعاملنا معاملة السيد المختبر لعبيده (أيهم أحسن عملاً)، والله يعلم السرّ وأخفى ، ولكنه سبحانه جعل الجزاء على قدر العمل **(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)** ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ الواقعة/١٠-١١، فتسابقوا في الخيرات على إطلاق معناها **المادية والمعنوية** ، **الدنيوية والأخروية** ، مع النفس ومع الله ومع الناس ، تسابقوا إليها تسابق الذي يريد الفوز فلا يسبقه أحد ولا تتأخروا ، تسابقوا بإتباع الشريعة الحقة والمنهج الحق المهيمن على كافة الشرائع والمناهج المختلفة ، وأهما

التسابق في أداء الصلاة في وقت فضيلتها كقوله ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ طه/٨٤،ولا تشتغلوا بالخلافات بينكم فتختلف قلوبكم ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ الأنفال/٤٦، (**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**) لابد من العودة إلى الله للجزاء على ضوء الأعمال ، فاجعلوا دين الله الواحد يوحدكم لتتنافسوا في الخيرات لا لتشغلكم الخلافات ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦، ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١، **عن الإمام علي** (ع): (مَاْ اِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ إِلاّ ما شاء الله) شرح النهج٥/١٨١.

**٤٩ –** ﴿**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾

لأهمية المطلب أكّد عليه وكرره على لزوم الحكم بينهم بما أنزل الله بهذا القرآن الحكيم ، ولا يسبقكم بالعمل به غيركم، فإتخذوه إماماً وقائداً وهادياً والإعراض عن الأهواء المصلحية والقوانين الوضعية (**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**) ولزوم الحذر في عملية تطبيق القرآن من الخداع والتلفيق والتفسير بالرأي والتحايل على شيء من أحكام القرآن ، والدقة العلمية والعملية في تنفيذها حتى ولو أدّى ذلك إلى إعراض أو نفور من قِبل ذوي الجاه والسلطة وأصحاب النفوس المريضة (**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ**) فإن أعرضوا عن حكم القرآن وأرادوا غيره ، فإعلم يا مُحَمّد إنّما يريد الله أن يعاقبهم ببعض نفوسهم المريضة وهو عقاب الضلال ، فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة ومن أعظم العقوبات أن يتزيّن له سوء عمله فيراه حسناً كقوله ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾ فاطر/٨ ، ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً**﴾ مريم/٧٥، (**وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**) أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم فسقوا عن أمره وخالفوا هداه واتبعوا سخطه ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**﴾ البقرة/١٦ ، **في نهج البلاغة خطبة٢٨:** (وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى). **فائدة** : في الآية (**وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**) دلالة على وجوب الإعراض عن أهل البدع والضلال وذوي الأهواء والفساد والتخلّف.. وترك مخالطتهم ، **وعن الإمام الصادق** (ع) : (والله لَتُمَحَّصُنَّ واللهِ لَتُميَّزُنَّ والله لَتُغربَلُنَّ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ الأَنْدَرْ) ، والنبي (ص) (**لا يتبع أهواءهم**) وإنّما يتبع هدى الله ، وهذا من باب تحذير لنا من الإنخداع بأهل الباطل.

**٥٠ –** ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾

إستفهام توبيخي واستنكار قرآني يستمد تأييده من الفطرة الإنسانية **حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ** : كل حكم بغير مَا أَنزَلَ الله ، فيه جور وظلم وعدوان ويكون منشأه العناد والطغيان ، **يَبْغُونَ** : يطلبون

ويرغبون كل حكم يخالف حكم الله فهو حكم الجاهلية سواء القديمة أو الحديثة ، إذن **الجاهلية** : هي حكم البشر للبشر لأنها هي عبودية البشر للبشر والخروج من عبودية الله والإيمان بعبودية البشر للبشر من دون الله ، والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية ويعيش في الجاهلية التي تعتمد الهوى ومتابعة النفس الأمارة بالسوء ، وهذا لا يخص زمن معين وإنّما هو انحراف في كل زمان ومكان مقابل الاستقامة في الإسلام ، وهذا مفرق الطريق ، ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية ، وسؤال تقرير لأفضلية حكم الله **(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** لا أحدَ أحسنُ حكماً من حكم الله تعالى لقوم يذعنون لدين الله لأنه حكم جامع بين منتهى العدل والحق من الحاكم والقبول من المحكوم له والمحكوم عليه **(وَمَنْ أَحْسَنُ)** ، وإنّما أطلق الحسن لأن حكم الله تعالى يعلو ولا يُعلى عليه ، ويجمع الحسن من جميع جوانبه في الدنيا والآخرة. وخصص **(لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)** لقوم يفرقون بين الحكمين (حُكْمُ اللهِ وحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ) لقوم يتدبرون الأمور بروية وعلم فيعلمون يقيناً أن حكم الله عز وجلّ أحسن الأحكام وأعدلها وفائدتها على المدى القصير والطويل. **فائدة** : **١-** الملفت للنظر أن القرآن لا يضع أي فاصل بين حكم الله وحكم الجاهلية ، مما يدل أن كل حكم فيه صلاح للناس فهو حكم الله سواء ورد فيه نص من الكتاب والسنة أم لم يرد ، وكل ما فيه ضرر للناس باعتداء فإنه حكم الجاهلية لأنه خروج عن الحق والعدل ولا يرضاه الله ، **عن الإمام الصادق** (ع): (الْحُكْمُ حُكْمَانِ : حُكْمُ اللهِ وحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَمَنْ أَخْطَأَ حُكْمُ اللهِ ، حَكَمَ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ) نور الثقلين١/٦٤٠، **عن النبي** (ص): (أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَبْتَغِيْ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً جَاْهِلِيَةٍ) الدر المنثور٢/٢٩٠. **٢-** ما لم يحسم ضمير المؤمن في هذه القضية فلن يستقيم له ميزان ولن يتضح له منهج ولن يفرق في ضميره بين الحق والباطل ولن يطمئن له قلب ولن يستقر له فكر و عقيدة ! ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢ ، وكقوله ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ آل عمران/٨٣.

**٥١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**

الآية من الفكر الحركي في القرآن الكريم ، الخطاب خاص بالمؤمنين ليكونوا على حذر شديد من خطر مرير خادع ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر ، وإن نزلت الآية في خصوص السبب ولكن أريد منها عموم المعنى ، **الإتخاذ** : الاعتماد على الشيء لإعداده لأمر **(أَوْلِيَاءَ)** جمع وليّ وهو المعين والنصير وهو مشتق من مصدر **الولاية** : اقتراب من الشيء يوجب ارتفاع الموانع والحجب بينهما ، فالولي هو الناصر والمحبوب والمطاع والصديق والمتحالف.. وله معاني واسعة ، **ومعنى الولاية في**

**الآية**: هو التناصر والتحالف مع اليهود والنصارى الذي طابعهم العداء للإسلام، فتكون علاقة وثيقة قلبية معهم فأكون جزءاً منهم ، مما يجعل المحبة والنصرة والمعاونة على الباطل من آثارها كقوله ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾ النساء/١٣٩ ، فلا يبقى مجال للانسحاب أو الاختلاف معهم ، فيكون البقاء معهم مشكلة والانسحاب منهم مشكلة، وبهذا يكون الإنسان ضعيفاً وذليلاً ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، فيخون نفسه ودينه وأمته ، ويخسر دنياه وآخرته.

**المعنى**: ليس المراد منع المسلمين من إقامة أية علاقات تجارية وإجتماعية وسياسية وإقتصادية...إلخ مع اليهود والنصارى ، بل المقصود منع المسلمين من التحالف مع هؤلاء أو الإعتماد عليهم في مواجهة الأعداء كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾ الممتحنة/١ ، كما حدّد سبحانه المعاشرة معهم فقال ﴿**لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ الممتحنة/٨. شروط المعاشرة هي أن لا يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ولم يظهر عليهم العداء والكراهية للمسلمين ويكون التعايش السلمي معهم ولهم دينهم ولنا دين ﴿**إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ الممتحنة/٩ ، الإِسْلاَمُ دِيْنُ مَحَبَّةٍ **عن الإمام الصادق**(ع): (وَهَلْ الدِّيْنُ إِلاَّ الْحُبُّ ؟) البحار٦٩/٢٣٧، والإِسْلاَمُ دِيْنُ أُلْفَةٍ وَتَآلُفٍ، وخَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَأْلَفُ النَّاسَ والنَّاسُ تَأْلَفُهُ، ولاَ خَيْرَ فِيْمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ، والإسلام ينطلق من قاعدة **عن النبي** (ص): (الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وَأَقْرَبُهُمْ وَأَحَبُّهُم إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُم لِعِيالِهِ) الكافي٢/١٦٤، أما سبب النهي في ولاء المؤمنين لليهود والنصارى كونهم (**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**) بعضهم أنصار بعض ويكونون يداً واحدة على من سواهم ، فهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم ، فإذا حققوا بعضهم أولياء بعض مما يحفز المسلمين أن يكونوا بعضهم أولياء بعض أيضاً ، فلا يجوز أن يكون ولاء المسلم ومناصرته ومناصحته لغير المسلمين فلا ينصرونكم على أنفسهم ، فأهل الكتاب هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا ﴿**هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً**﴾ النساء/٥١ ، ثم أن انحرافهم العقائدي لا يبقي فيهم محلاً للولاء ولا للثقة الكاملة بهم ويتضامنون ويتحدون في معسكر واحد ضد الإسلام (**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**) ومن ينصرهم أو يستنصر بهم من دون المؤمنين وهم أعداء فإنه في الحقيقة منهم لا منكم ، لأنه معهم عليكم وهذا لا يقع من مؤمن صادق ، فإن من تولى قوماً منهم لحق بهم ، **ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم.**

**عن النبي** (ص): (المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَ) كنز العمال خبر٢٤٦٨٤ (**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) فإن من يتولى أعداء الإسلام ويتعاون معهم بالإثم والعدوان ممن يُحسب على المؤمنين فالإيمان منه براء ، بل من يتولى الظالمين هو مثلهم في الظلم بل هو ظلم عظيم (**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ**

**الظَّالِمِينَ)** لأنفسهم لأنهم حرموا أنفسهم لذة الهداية ، وظلموا قومهم بموالاتهم للظالمين الذين يعادون الإسلام ، ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ المائدة/٤٥.

**فائدة: ١–** دلالة الآية أن الكفر ملة واحدة وإن تعددت الأسماء ولكن الأهداف واحدة (**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**) ، **٢–** هناك فارق بين دعوة السماحة والحب التي هي طابع الإسلام العام ، ودعوة الولاء لليهود والنصارى الذي يحذّر منه القرآن الكريم ، **٣–** تدل الآية أن عملاء الاستكبار الذين يحرسون مصالحه هم أشد جرماً وخطراً من المستكبرين أنفسهم ، **٤– ولاية الكافر مفهوم نسبي** : لها حالات مختلفة حسب ظروفها الموضوعية ، هناك **ولاية خفيفة ومتذبذبة وعميقة بمعنى** : أ– **ولاية خفيفة** سطحية مسموح بها ضمن العلاقات الإجتماعية أو الإقتصادية ، ب– **ولاية متذبذبة** تكتيكية لها صداقة ومحبة وعلاقة سياسية بلا ولاء ولا انتماء ولا خالص الوفاء في العمل معهم من أجل التمكّن في خدمة المجتمع الإسلامي ، وهذه ولاية جزئية مصلحية مؤقتة ونسبية وتبنى على الحذر والخطر ، وبحاجة إلى كفاءة عالية في العلم والدين والقدرة والقوة والوعي والاستشارة المستمرة، **ج– ولاية عميقة تامة (ولاية عمالة)** وإتباع في الشكل والمضمون ، في القول والعمل ، وتكون مصالح مشتركة بين المستكبر القوي والعميل الذليل الضعيف ، يبدأ يوالي في المحبوب ويصطدم في المحذور ويرتكب المكروه والمحرّم ، فيكون دينه تبعاً لدنياه فيكون واحد منهم (**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**) وهذه الحالة المتجاوزة للحدود المنهي عنها في الآية (والله أعلم).

**٥–** كقوله ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ الأنعام/٧٠ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَادِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَادَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَادِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ)، **وفيه أيضاً:** (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ)!!.

**٥٢ – ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾**

(**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**) في نفوسهم خلل وفي عقولهم انحراف أدّى إلى نفاقهم وهم الذين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر في قلوبهم شك ونفاق (**يُسَارِعُونَ فِيهِم**) يسارعون في موالاة أعداء الإسلام ومعاونتهم (**يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) دَائِرَةٌ** : نائبة ، ما يدور به الزمان من المصايب التي تحيط بالمرء إحاطة الدائرة بما فيها ، تشير الآية إلى المنافقين المتذبذبين لا إلى المسلمين ولا إلى المشركين ، وتذم سلوكهم المتلون الذي يحمل إزدواجية الشخصية ، ويعتمدون انقلاب الموازين والمعايير، فكانوا يتظاهرون بالتديّن أمام المسلمين وكانوا يمدون خطوط التملق والتعاون مع اليهود ويكسبون ودهم بسرعة ، وإذا عوتبوا بذلك قالوا : ما يدرينا أن الدائرة تدور

على المسلمين وتصير السلطة بأيدي المشركين ، ونحن نخاف تقلبات الدهر من يسر إلى عسر ، فجاء الرد على مزاعمهم الخبيثة (**فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ**) إنتصار المسلمين على اليهود والمشركين (**أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ**) يفتضح به كل انتهازي منافق وإذلاله.

(**فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ**) إنهم خططوا للمستقبل ففشلوا فيصبحون على ما أضمروا في أنفسهم من الغدر والخيانة والنفاق (**نَادِمِينَ**) على تخطيطهم الفاشل وبطلان سعيهم المنافق عندما يفتح الله للمسلمين ، وسيندمون بعد فوات الأوان في وقت لا يفيد فيه الندم ﴿**فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦ ، **فائدة: ١-** ونحن نخاطب الأنظمة السياسية التي تركن إلى هذا المعسكر المستكبر أو ذاك ، خشية أن تصيبها دائرة السوء، هؤلاء نسوا الله فنسيهم من رحمته وتركهم في طغيانهم يعمهون (يتحيرون) يلاقون مستقبلهم البائس بأنفسهم مع حمل الغموم والهموم والقلق والأرق والموت البطيء كقوله ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣. **٢-** (**يُسَارِعُونَ فِيهِم**) يتسابقون بجد وقصد وجهد وكأنما هناك سباق فيه جوائز ثمينة ، وهم يريدون أن يكونوا من الأوائل لنيل هذه الجائزة الذي ظاهرها يغر وباطنها يضر ، وهذه الجوائز رضاهم ومعاونتهم على الشر والضلال. **٣-** ويعلمنا القرآن كيف ندخل في أمر بسلامة وكيف نخرج منه بسلامة كقوله ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾ الإسراء/٨٠.**عن الإمام الصادق** (ع): (قِفْ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ حَتّى تَعرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخرجِهِ، قَبْلَ أَن تَقعَ فِيْهِ فَتَنْدَم) البحار٧٨/٢٨٣

**٥٣ -** ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**﴾

يقول المؤمنون تعجباً من حال المنافقين عندما كشف الله نفاقهم (**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ**) أهؤلاء إشارة إلى اليهود والنصارى وفيه تقريع لمن يتولاهم. حين يفتضح المنافقون ويظهرون على حقيقتهم، يقول بعض المؤمنين لبعض : أهؤلاء هم بالذات الذين كانوا يحلفون بالأمس أغلظ الأيمان إنهم منا ومعنا وفينا ولنا وكانوا يقولون ﴿**وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ الحشر/١١ ، وإلى هذا الحد بلغ بهم الغش والرياء؟ وكفى بذلك عاراً وشناراً (**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**) فسد تدبيرهم وبطل عملهم وضل سعيهم (**فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**) وخسر هنالك المبطلون لأنهم لم يوافق باطنهم ظاهرهم، قال تعالى ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ النساء/١٢٣ ، **في غرر الحكم:** (إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ يُنَفِّرُ عَنْكَ حُرّاً أَوْ يُذِلُ لَكَ قَدْراً أَو يَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرّاً أَوْ تَحْمِلُ بِهِ اِلَى القِيَأمَةِ وِزْرَاً).

**٥٤ -** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾

**الارتداد** : الرجوع إلى الوراء والعودة من المكان الذي كان قد تحرك منه المرتد إلى الأمام ، انتقال إلى الكفر بعد الإسلام ، وهذا يعني أنه يهدم ما بنى ولا يفعل ذلك إلاّ سفيه غبي أحمق ! وجاء النهي عن الارتداد بعد النهي عن موالاة أعداء الدين يُشعر بأن هذه الموالاة قد تؤدي إلى الارتداد عن الإسلام ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، **الآية تهديد شديد** مَنْ يرتد عن دينه من الذين آمنوا ، وقد أخبر عنه القرآن قبل وقوعه ، ولما قُبض رسول الله (ص) ارتدَّ بعض المسلمين عن الإسلام، وأتت هذه الآية بقانون عام يحمل إنذاراً لجميع المسلمين ، وأكدت أن من يرتد عن دينه فهو لن يضر الله شيئاً ولن يضر الدين ولا المجتمع الإسلامي ، لأن الله كفيل بإرسال من لديهم الاستعداد في حماية هذا الدين ، وهذا يدل أن الله هو الحامي لهذا الدين وهو حافظه ﴿**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ الأنعام/٨٩ ، وقوله (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) محمد/٣٨ وجاء (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**) بالجمع وجاء (**عَنْ دِينِهِ**) بلفظ المفرد، ليلفت النظر للمؤمن إلى هذا الدين الذي دخل فيه وأصبح من أهله هو دينه وثمرته عائدة عليه وحده فيكون هو ودينه وحدة واحدة ، وإنّه علّمك لترقى عن كلِّ المخلوقات لتصلح لخلافة الله على أرضه ، فينبغي أن تعيش فيه ومعه وله ويشتد حرصك عليه ، إذ هو الدين الذي يدين به كل عاقل لأنه يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وفيه سعادة الدنيا والآخرة ، وهؤلاء القوم الذين سيأتي الله بهم ويدخلهم في دينه فهم أكرم عند الله وأكثر نفعاً للمسلمين وللإسلام ، ونسب الإتيان إلى نفسه ليقرر أن نصرة الدين بقيادة الله وإرادته وحده وقد وصفوا بأوصاف أربعة بارزة (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ**) ذكر أوصافهم ولم يذكر أسماءهم **الصفة الأولى** (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) علاقة الحب الرائعة المتوازنة والمتبادلة والمتعادلة وهي أكبر من أن توصف بالكلمات ولا يعرفها إلاّ من يذوقها وهي من أفضل النعم ، وإذا أحبّ الله قوماً فيختار منهم نخبة ييّسر لها الأسباب ويهّون عليها كلَّ عسير ويوفقها لحمل صفات التكامل ويؤهلها لتفعيل أنواع الإختصاصات والقدرات والكفاءات والإمكانيات ، وليثبت أقدامها على منهج الله ، وهذا فضل عظيم لتكون أداة القدرة الإلهية وعنصر الإرادة الربانية ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ المدثر/٣١ ، **عن النبي (ص) عن الله تعالى** : (مَاْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدٌ بِشَي ءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترَضتُ عَلَيهِ ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِيَ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَاْ أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسانَهُ الَّذِيْ يَنطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَاْ ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأَعْطَيَنَّهُ..).

**أما حبهم لله تعالى**: فهم يستجيبون دعوته ويمتثلون أوامره ويسعون لنصرته وإعلاء كلمته ، وأيضاً (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) **حبُّ الله لعبده** : **بعدة أشكال منها** أن يرفع غداً من شأنهم ، يطمئن قلبهم ويشرح صدرهم وتثبيت قدمهم ويؤهلهم للدعوة إلى الله وتحبيب الناس لدينه وطاعته سبحانه **أما**

**حبُّ العبد لله : بعدّة اشكال منها** كقوله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾ البقرة/١٦٥ ،وأن يمكنهم ليقدّموا للناس ما ينفعهم ويرفع عنهم ما يضرهم وينفسون عن معاناتهم ويقضون حاجاتهم ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه كقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾ مريم/٩٦ ، **الصفة الثانية: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** فهم رحماء متواضعين للمؤمنين فهم لشدة تواضعهم وخضوعهم للمؤمنين يظهر كأنهم في موقف ذلة **ومعنى الذل هنا** الرفق واللين لا الضعف والهوان ، فهم يخفضون جناحهم للمؤمنين تعظيماً لله الذي هو وليهم وإحتراماً لهم لأنهم أولياؤه **(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)** عزتهم بالترفّع عما عند الكافرين من العزة الموهومة.

**عن الإمام علي** (ع): (كُلُّ عَزِيْزٍ دَاْخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَذَلِيْلٌ) تحف العقول ص١٥٣، وهم أشدّاء أقوياء غلاظ مع الكافرين لا يلينون مع الأعداء كقوله ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ الفتح/٢٩ ، **الصفة الثالثة : (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** فهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ولا يبخلون بأنفسهم ونفيسهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ورد يد البغي والعدوان عنهم ، وهذه إحدى مناقبهم البارزة ، وهذا يدل أنهم يعملون أكثر مما يقولون ، وقولهم ترجمان لعملهم ،**عن الإمام الصادق** (ع): (الإِيْمَاْنُ عَمَلٌ كُلُّهُ وَالْقَوْلُ بَعْضُهُ)! البحار٦٩ص٢٣ **في غرر الحكم:** (الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَاْلٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ) ، **الصفة الرابعة : (وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ)** ولا يخافون بمن لامهم ولا يبالون في طريقهم الصحيح من يعترضهم لتنفيذ منهج الله والدفاع عن الحق والحقوق فهم يمتلكون القوة العسكرية والقدرة الجسمانية والعلمية والشجاعة الكافية وقوة العزيمة والجرأة على مواجهة التقاليد الخاطئة والوقوف بوجه الأغلبية المنحرفة التي تاجرت باسم الدين وإتخذته سلماً لدنياها ، فهم صلبون في دين الله ولا يساومون ولا يخافون في ذات الله أحداً ، فإن نيل هذه الامتيازات السامية وغيرها مرهون بفضل الله الذي يهبها لمن يشاء ، لمن يراه كفؤاً لها من عباده ، بعد أن يسعى سعيها المناسب **(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** كل موهبة يتحلّى بها الإنسان فهي من الله بفضله وإحسانه فشملت رحمته كل شيء ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، ويوسّع على أوليائه من فضله ما لا يعطيها لغيرهم ، ولكنه واسع علمه بمن يستحق الفضل فيعطيه ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ الأنعام/١٢٤ ، فعلينا أن نقابل فضله بالشكر والاستقامة على طاعته سبحانه وبالشكر تدوم النعم. **فائدة : من مصاديق الآية** روي عن النبي (ص) أنّه سُئل عن هذه الآية فَضَرَبَ بِيَدِهِ (ص) عَلَى عَاْتِقِ سَلْمَاْنَ (ع) فقال : (هَذَاْ وَذَوُوْهُ ، لَوْ كَاْنَ الدِّيْنُ مُعَلَّقاً بِالثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ من أَبْنَاْءِ فَاْرِسْ) مجمع البيان٣/٤١٦، وتشمل الآية نهضة الإمام المهدي (ع) العالمية وأصحابه ، لأنها تبشر المؤمنين بمجتمع إسلامي نموذجي كقوله ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**﴾ الأنبياء/١٠٥.

**٥٥ - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**

بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى عن إتخاذ أعداء الدين أولياء مثل الآية ٥١ ، بيّن من الذي يجب إتخاذه ولياً ، وذكر تعالى الولي **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ)** بالمفرد لينفرد الله بالولاية ثم الولاية للرسول بواو العطف ثم الولاية للمؤمنين بواو العطف أيضاً وليس الولاية لليهود والنصارى والذين أشركوا.. و **(إِنَّمَا)** أداة حصر وبذلك حصرت ولاية أمر المسلمين في الله ورسوله والذين آمنوا ، وقصر ولاية الذين آمنوا على ممثل لهم واحد بسبب قوله **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ)** بالمفرد ، وكانت ولاية **(اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)** ولاية واحدة لأنها أسندت الجميع إلى **(وَلِيُّكُمْ)** لكون الولاية في الجميع بمعنى واحد لذلك قال في الآية التي بعدها **(فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)** يدل المتولين جميعاً حزباً لله لكونهم تحت ولايته، والله تعالى له الولاية التكوينية **﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** يوسف/١٠١ ، وله ولاية النصرة **﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الروم/٤٧ ، وله سبحانه كل معاني الولاية في الهداية والرعاية والحماية والتوفيق **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** البقرة/٢٥٧ ، وله سبحانه الولاية التشريعية في القيام بتشريع الأحكام وتربية عباده، ثم ذكر الله سبحانه لنبيه (ص) الولاية التشريعية. **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** الأحزاب/٦، **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** النساء/٨٠ ، فصارت الولاية واحدة لله بالأصالة ولرسوله والذين آمنوا بالتبع وبإذن الله تعالى وقوله **(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)** والركوع الممثل للخضوع والتذلل والخشوع لله على الهيئة المخصوصة في العبادة **﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾** التوبة/١١٢، وصارت ولاية الذين آمنوا خاصة لمن كانت صفتهم **(يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)** ويوضح المعنى **بأسباب النزول**: روي **عن أبي ذر** (ع) **قال:** (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ (ص) يَوْماً صَلاَةَ الظُّهْرِ فَسَأَلَ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ ، وَعَلِيٌّ (ع) كَانَ رَاكِعاً فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِخُنْصُرِهِ الْيُمْنَى وَكَانَ فِيْهَا خَاتَمٌ فَأَقْبَلَ السَّائِلُ حَتَّى أَخَذَ الْخَاتَمَ بِمَرْأَى النَّبِيِّ (ص) فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِيْ مُوْسَى سَأَلَكَ فَقَالَ **﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾** طه/٢٥-٣٢ ، فَأَنْزَلْتَ قُرْآناً نَاطِقاً **﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً﴾** القصص/٣٥ ، اللَّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ فَإِشْرَحْ لِيَ صَدْرِي وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِيَ وَإِجْعَلْ لِيَ وَزِيْراً مِنْ أَهْلِي عَلِيّاً أُشْدُدْ بِهِ ظَهْرِي ، قَالَ أَبُوْ ذَرْ (ع) : فَوَ اللهِ مَا أَتَمَّ رَسُوْلُ اللهِ (ص) هَذِهِ الكَلِمَةَ حَتَّى نَزَلَتْ الآيَةُ) **التفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٢٦ وغيره من المصادر** ، فيكون معنى **(الولي)** الناصر والمحب والمتصرف في شؤون الناس أصالة ووكالة ، فيكون بمثابة القائد لأمته والموجّه والهادي **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** الرعد/٧ ، **عن النبي (ص):** (عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُوْرُ حَيْثُمَا دَارَ) شرح النهج٢/٢٩٧.

**فائدة: ١- (راكعون)** يمكن أن يستعار الراكعون الساجدون لمطلق التذلل والخضوع **٢- (هدف الآية)**: لبيان أمر مهم هو حفظ دين الله واستمرار تأثيره في البشرية ، وأن الله تعالى تعهّد بإتيان أقوام لهم مؤهلات مميزة خاصة تتحمّل مسؤولية حفظ هذا الدين ويجعلهم قدوة وقيادة في البشرية ، كقوله ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ المائدة/٥٤ ، فالولاية المقصودة ولاية كبيرة وهي تحمل مسؤولية حفظ هذا الدين القيّم وهذا يستدعي أن يكون معنى الولاية في **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ)** هي ولاية التمكين والتصرف وقيادة مسيرة البشرية بعد وفاة النبي (ص) وتعيين الخليفة من بعده ، وهنا تفترق الأمة إلى طوائف ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ النساء/٥٩ ، عندما ردّنا الله إلى القرآن والسنّة الصحيحة عند أي خلاف فلابد لهما من الإمكانية الكافية لحلّ كلّ خلاف ، فعلينا من التجرّد من أي أنا وحبّ ذات والخضوع للدلالة القطعية لتوحيد كلمة الأمة لأن الحق واحد لا يتجزأ ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ**﴾ يونس/٣٢

**٥٦ –** ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾

جاءت هذه الآية مكملة لمضمون الآية السابقة. ومن يتخذ الله ورسوله والذين آمنوا أولياء وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، باعتبار ولايتهم واحدة ، ولابد أن تكون ولاية الذين آمنوا تعادل ولاية الله ورسوله لأنها تصبُّ في نفس الهدف كقوله ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ الأحزاب/٦ ، لذلك كانوا سواء في ولاية واحدة موحدة متحدة ، **ومعنى ولايتهم** ذات معنى كبير هي القيادة والإشراف والحكم والتصرف والزعامة الشرعية على الناس بالإضافة إلى نصرتهم ومحبتهم والتقرب إليهم بقضاء حوائجهم وهذا له صلة بالحكومة الإسلامية المنشودة ، التي تحكم بما أنزل الله ، فإن من يحقق هذه المقدّمة المطلوبة ينال النتيجة المقصودة **(فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ)** بمعنى من يتخذهم ويعتمدهم أولياء فلهم الولاية والهداية والرعاية والحماية والحاكمية فهم الغالبون القاهرون لأعدائهم ، ولهم النصر والظفر بالسعادة والحياة المستقيمة المهيوبة المتقدمة والطيبة في الدنيا والآخرة لذلك جاءت **(الْغَالِبُونَ)** كنتيجة بمعنى الغلبة مطلقة المادية والمعنوية العاجلة والآجلة والسبب في هذه الغلبة لأنهم إجتمعوا على نصرة دين الله فإقتضى نصرتهم وغلبتهم على أعدائهم (بغض النظر عن تفاوت القدرات) وهذه سنة عامة فعّالة يكشف عنها القرآن الكريم كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ محمّد/٧ ، وأي تخلّف عن هذا الهدف يعني فقدان هذه الميزة النموذجية وهذا الشرف العظيم ، وتكون أمامهم الهزيمة والذلة بدل الظفر المؤكّد والعزة. **فائدة: (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ)** الحزب المضاف إلى الله إضافة عبودية وولاية وقدرة وحاكمية إنه لشرف عظيم لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده أن له الغلبة لأنه حزب الله مؤيد بنصره تعالى ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ الصافات/١٧٣ ، وقوله

﴿**أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ المجادلة/٢٢، والغلبة لهؤلاء لا لشيء منه لهم ، لا لشيء لذواتهم ومصالحهم الخاصة ، وإنّما هو قدر الله يجريه على أيديهم ويرزقهم إياه لحساب عقيدتهم لا لحسابهم ، وصلاح الناس كلهم بهذا التمكين ، ووعد الله القاطع في الغلبة أصدق من ظواهر الأمور وعقبات الطريق ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾ النساء/٨٧، ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ المجادلة/٢١ ، **في غرر الحكم:** (أَيَسُرُّكَ أَنْ تَكُوْنَ مِنْ حِزْبِ اللهِ الْغَالِبِيْنَ ؟ إِتَّقِ اللهَ سُبْحَانَهُ وَأَحْسِنْ فِيْ كُلِّ أُمُوْرِكَ ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ النحل/١٢٨).

**٥٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**

تأكيد على لزوم عدم تولي الكفار **راجع المائدة/٥١** ، وتحذير المؤمنين من أعداء الإسلام ، فمن إتخذ دينكم سخرية لا يصح لكم أن توالوه وتثقوا به بل يجب أن تحذروه (**مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ**) ولا تتخذوه ولياً وناصراً وحليفاً ولا صديقاً وإن أظهر لكم مودة وصداقة لأنه إتخذ هذا الدين القيم هزواً ولعباً ويقول القرآن ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١ ، فالنهي عن موالاة وتقوية علاقات من ليس معه الحق في كافة المجالات (**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) خافوا الله من هذه المجازفة الخطيرة إن كنتم صادقي الإيمان ، فإن الغيرة على الدين ونصرته ممن ينتهك حرمته هو من تقوى الله. كقوله ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ الأنعام/٧٠، كم هو خسيس من يتخذ دين الله النفيس ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، يتخذه لهواً كما يلهو الجهلاء ولعباً كما يلعب الأطفال بألعابهم ، فالأطفال لا يعرفون قيمة الجوهرة فيتلاعبون فيها كأنها كرة !! فليس من العقل والإيمان أن يكونوا هؤلاء أولياء وأنصار وأصدقاء أوفياء لكم ؟!

**٥٨ - ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾**

لكل دين من الأديان طريقة خاصة يدعون الناس فيها إلى الصلاة فالنصارى يدعون إلى الصلاة بأجراسهم واليهود يدعون بأبواقهم والمسلمون بآذانهم فمن القباحة والوقاحة أن بعض أهل الكتاب يسخرون من الآذان (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**) إنهم قوم فجّار لا يعقلون حكمة الصلاة ولا يدركون غايتها في تزكية النفوس واستقامة السلوك ، ونفى العقل عنهم لكونهم لم ينتفعوا به في أمور الدين وإن كان لهم عقول يدركون بها مصالح الدنيا ، هؤلاء لا يمكن مد أواصر الولاء معهم وطلب النصرة منهم ، **في غرر الحكم:** (الصَّلاَةُ تُنْزِلُ الرَّحْمَةَ) **وفيه أيضاً:** (الصَّلاَةُ حُصْنٌ مِنْ سَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ).

**٥٩ - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾**

أمر الله تعالى نبيه أن يحاججهم ، يا معشر اليهود والنصارى (**هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا**) هل تعيبون علينا وتنكرون منا وتكرهون إسلامنا مع الغلظة والشدة (**إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ**) هل لكم علينا مطعن أو عيب إلاّ كوننا آمنا بمنهج الله واستقمنا عليه وآمنا بالكتب السماوية كلها ، وهذه مكرمة وليس مثلبة ، وهذا سبب للحب لا للكره (**وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**) خارجون عن الاستقامة فكرهكم لإيماننا هو كره للحق والعدل ، ومن لا ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لايحكم بالعدل يحكم بالباطل !، إذن ذنبنا عندكم هو ذنب المنصف عند المنحرف، والأتقى عند الأشقى ، والبار عند الفاجر. **فائدة** : (**وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**) ولم يقل كلهم فاسقون لأن فيهم مؤمنين في موقف ضعيف لا تأثير لهم في الواقع الفاسد الكاسح

**٦٠ – ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**

الاستفهام تهكمي رداً على استفهامهم التهكمي الساخر ، وهنا يستهزئ القرآن بهؤلاء الساخرين بالمؤمنين ، ويقول : (**بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ**) وهم أعداء الدين وأعداء رسول الله هل أخبركم بما هو شر من هذا الذي تعيبونه علينا (**مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ**) من ثاب إليه إذا رجع ويراد به الجزاء والثواب والمثوبة تستعمل في الجزاء بالخير والعقوبة في الجزاء بالشر ، وتذكر المثوبة في الشر من باب السخرية بهم أي شر من نقمة أهل الكتاب على المسلمين وما يكيدون لهم وما يؤذونهم بسبب إيمانهم ، وأين نقمة البشر الضعاف من نقمة الله وعذابه أي جزاءً ثابتاً عند الله ، ووضع الثواب موضع العقاب تهكماً بهم واستخفافاً بقدرهم كقوله ﴿**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ التوبة/٣٤ ، (**مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ**) طرده من رحمته ﴿**وَمَنْ يَلْعَنْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾ النساء/٥٢ (**وَغَضِبَ عَلَيْهِ**) بكفره وكثرة معاصيه (**وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**) ومسخ بعضهم قردة وخنازير فصار لهم طباع الحيوانات فلا يألفون ولا يؤلفون وتركهم أذلة خاسئين (**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**) وجعل منهم من عبد الشيطان بطاعته ، وعبد الطاغوت ويطيعون الطغاة ويتمرغون على أعتابهم ، وما أخسَّ مثل هذه الحالة فهي المستحقة للسخرية (**أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**) **شَرٌّ مَكَاناً** : شرٌّ منزلة عند الله ، **سَوَاءِ السَّبِيلِ** : الطريق المعتدل والخالي من التطرّف هؤلاء الملعونون الموصوفون بتلك القبائح في شر مكان والضلال البعيد ، وتشمل اليهود وكل من ضلّ عن سبيل الله. **فائدة** : (**وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**) بهذه اللعنة التي رماهم الله بها فمسخت آدميتهم وطبيعتهم ومسخت قلوبهم ، فإذا هم قردة وخنازير في صور آدمية (**وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**) **الطاغوت** : مشتق من الطغيان وهو عنوان عام يشمل كل مجاوزة الحدّ المشروع ، والطاغوت كل سلطان لا يستمد من سلطان الله ويُعبد ويطاع من

دون الله مالاً كان أو منصباً أو إمرأة أو أي شيء من زخرف الحياة الدنيا الذي ظاهره يغر وباطنه يضر.

**٦١ - ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾**

الضمير يعود إلى المنافقين الذين ظاهرهم يغر ويسر وباطنهم يضر ، وهؤلاء عندما يلتقون المؤمنين أظهروا الإسلام (**وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**) إنه تصوير فني متحرك لمشهد حي ، لشدة كفرهم وتجسيم له إنهم دخلوا كافرين وخرجوا كذلك ، فلم يترك القرآن أي أثر في نفوسهم ، لأن الكفر راسخ في نفوسهم ، والكفر يعيش معهم كما يعيش بعضهم مع بعض ، وقد حسبوا أنهم أخفوا هذا الكفر الذي يحملونه في صدورهم (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ**) والله لا تخفى عليه خافية منهم. **فائدة** : (**قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**) من كان يجالس الرسول (ص) يسمع منه العلم والحكمة ويرى منه مكارم الأخلاق ما يؤثر في القلوب القاسية ويهدي النفوس الضالة ، وكان الرجل يجيء إلى النبي (ص) يريد قتله حتى إذا رآه أهابه وسمع كلامه فأحبه وترك الكفر والفسوق وآمن به ، أمّ هؤلاء اليهود ومن شابه أفعالهم فشذوا عن القاعدة لسوء نيتهم وطغيان نفوسهم وفيه وعيد شديد لهم ، فهم يتقلبون في أحوال الكفر المختلفة ، من ضاق عليه الإيمان فالكفر عليه أضيق ، **في غرر الحكم**: (مَاْ أَقْبَحَ بِالإِنْسَاْنِ أَنْ يَكُوْنَ ذَاْ وَجْهَيْنِ). **عن الإمام الباقر** (ع) (بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَينِ وذَا لِسَانَينِ يَطْرِي أخَاهُ شَاهِداً ويَأكُلُهُ غَائِبَاً، إنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وإن ابْتُلِيَ خَذَلَهُ) البحار٧٥/٢٠٣

**٦٢ - ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

يستعرض القرآن الكريم ظاهرة طبيعية تنشأ من النفاق والكفر وهي ظاهرة المسارعة في الإثم والعدوان على إطلاق معناهما ، إنهم يتنافسون على السلب والنهب والاعتداء على الحق والحقوق ويتسابقون في الذنوب والظلم ، والفرق بين الإثم والعدوان إنّ الإثم هو تعدٍّ لحدود الله وتجاوز منهجه والعدوان التعدّي على مخلوقات الله ، **المعنى** :إنَّ كثيراً من اليهود يأتون كافة المنكرات في غير تحرج وبدون خجل وحياء ، بل يفعلونها وكأنها قربات يتقربون بها إلى الله ، وهذا يكشف عن ضمائرهم الميتة (**وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**) المحرّم الدنيء أي المال الذي يسحت ويستأصل روح الدين من نفسه كالربا والرشوة وأجر الزانية والمغنية والسرقة... إلخ ، فلم يكتفِ أنهم يفعلون ذلك بل يسارعون فيه ، وهذا دليل خبثهم في سرّهم ، وشرّهم في علانيتهم (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) وهذا غاية الذم ، ويدل أن أعمالهم البائسة تقودهم نحو الهاوية في نهاية أمرهم.

**فائدة: (الإثم)** الفساد الأخلاقي ، **(العدوان)** الفساد الإجتماعي ، **(السحت)** الفساد الإداري والإقتصادي ، وأقبح من ذلك كله الاعتياد على ممارسة الفساد والتسابق فيه (**يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ**) وجاءت يسارعون بالمضارع للدلالة على الاستمرار، وكأنهم يتنافسون على أهداف تصنع لهم

الفخر والمجد ، وهي صورة ترسم البشاعة والشناعة والقبح الشديد لنفوس لا تعرف للقيم والمبادئ والأخلاق معنى ويسيطر عليها الشر وتتظاهر بالتقدّم ، ولننظر إلى هذه المجتمعات نراهم يتسابقون إلى الشر قويهم وضعيفهم سواء ، وهذه سمة الصهيونية العالمية في كل آن وفي كلّ مكان !

**٦٣ – ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**

وهنا تلقي الآية القرآنية اللوم على المسؤولين عن الشؤون الروحية والدينية من العلماء والرهبان نتيجة سكوتهم عن المعاصي **الرَّبَّانِيُّونَ** : الفقهاء بالدين من **الأحبار** وهم علماء اليهود ، والرَّبَّانِيُّونَ وهم **الرهبان** علماء النصارى ، وهم العرفاء بالله والبصراء بسياسة الأمور والخبراء بتدبير شؤون الناس (**عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**) وكانت معاصيهم انحرافات كثيرة في القول والعمل وأبرز آثامهم أكل المال الحرام والربا (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**) بئس صنيعهم ذلك تركهم النهي عن ارتكاب محارم الله وكأنهم راضون بأفعالهم القبيحة ، **عن الإمام علي** (ع) (الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ، وَالمعُيْنُ عَلَيْهِ، وَالرَّاضِيْ بِهِ، شُرَكَاءٌ ثَلاَثَةٌ) البحار٣١٢/٧٥، وأيضاً السَاكِتُ عَنْهُ وَالْحَاضِنُ لَهُ، شُرَكَاءُ فِيْ الظُّلْمِ.

**فائدة:١–** الفرق بين قوله (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) آية/٦٢ و (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**) وصف الله عملهم هذا بأنه ليس مجرد عمل بل هو صنعة ومهنة ومهارة فنية مع علم ومعرفة في تطوير المنكر فهي صنعة مخطط لها ويعملون وفق نظم وتنظيم وذات أبعاد جهنمية بينما عمل أتباعهم بأنه (عمل) مجرد عمل قد لا يخضع لتخطيط ولا إلى تنظيم ولا إلى علم وإختصاص ، وإنّما عمل مستند على أباطيل الطغيان! **٢–** في الآية دلالة على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه. **٣– المعنى العام** هلاّ ينهاهم العلماء العاملون خلفاء الرسل وورثة الأنبياء والأمناء على الرسالة ، عن المعاصي التي تصدر منهم ليزول عنهم الجهل وتقوم عليهم حجة الله (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**) من الرضى بهذه الجرائم. **عن إبن عباس** : (مَاْ فِي الْقُرْآنِ أَشَدُّ تَوْبِيْخَاً مِنْ هَذِهِ الآيَةِ) كنز الدقائق١٣٠/٣، إنّها حجة على العلماء إذا هم قصّروا في الهداية والإرشاد ، وتركوا النهي عن الشرور والآثام التي تفسد نظم الحياة للفرد والمجتمع، فحق على العلماء والحكّام أن يعتبروا بهذا النهي على اليهود ساسة وعلماء فيزدجروا ، ويعلموا أن هذه موعظة وذكرى لهم ! ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الذاريات/٥٥

**٦٤ – ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**

**مَغْلُولَةٌ** : بخيلة مقيّدة ، قال بعض من اليهود ذلك ونسبه إلى الأمة بناء على التكافل العام بين أفرادها وكونها كالشخص الواحد في تعاونهم على الإثم والعدوان ، (**يَدُ اللَّهِ**) لليد معان كثيرة ، يأتي

معناها حسب سياق الآية ، منها اليد دليل القوة ومنها النعمة ومنها الملك والقدرة والسلطة والحكم وتستعمل في البذل والإمساك (**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**) : يد الله من المتشابهات، وهي كناية تشبيهية عن القدرة، وهي صفة من صفات الله تعالى كالسمع والبصر والوجه، ويداه إشارة إلى صفاته الجمالية والكمالية والجلالية، **عن النبي (ص)**: (كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِيْنٌ) روح البيان٢/٤١٤ كقوله ﴿**وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ الزمر/٦٧، **مَغْلُولَةٌ** : أي مقبوضة عن العطاء ممسوكة عن الرزق فنسبوا الله إلى البخل ، وإنّ الله لا يقدر على إغناء عباده المؤمنين وإنقاذهم من الفقر ، أو أنهم قالوا بأن الله محتاج لأنه قال ﴿**وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ المزمل/٢٠ ، وقالوا عن الله ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ آل عمران/١٨١ ، وقد أخذهم الله سبحانه على هذا التجرّأ عليه وتعد حدوده وإساءة الأدب معه ، فجعل عقابهم من نوع جنايتهم (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**) فجعل أيديهم بخيلةً شحيحةً ممسكةً لا تجودُ بمعروف أبداً ، فهم يجمعون المال ولا ينعمون به (**وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**) أبعدهم الله من رحمته ، فهم لعنة ونقمة تمشي على الأرض لا يحبهم الناس وإن كانوا معهم (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**) (**يُنفِقُ**) : الإنفاق عام مادي ومعنوي ، أتت اليدان بالتثنية لتشبيه القدرة وكمال العطاء وكناية عن الجود ، فإن الجواد الكريم يعطي بيديه جميعاً للدلالة (إِذَا أَعْطَى أَدْهَشَ وإِذَا أَخَذَ فَتَّشَ) ولكن ينفق كيف يشاء بحسب ما يقضي علمه وتقدّر حكمته كقوله ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ**﴾ الشورى/٢٧ ، وتضييق الرزق ليس لقصور في فيضه بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته وحكمته ومصالح الناس ، وهذه النتيجة في التقدير بحسب المقدمة والسعي والخبرة والتدبير (**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً**) كلّما نزلت عليك يا محمدُ آية من القرآن الكريم إزداد اليهود كفراً بالله وحسداً لك وحقداً عليك ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ الصف/٥ ، كما أن الطعام ينفع الأصحاء ولكن نفس الطعام لا ينفع المرضى بل يضرهم ، وهكذا بسط الله لهم في الرزق من مال وجاه فإزدادوا طغياناً وكفراً ، وهذا شأنهم مع كلِّ نعمة (**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) كلمتهم مختلفة وقلوبهم شتى ولا يزالون متباغضين متنافرين متعادين إلى قيام الساعة حتى بعد موتهم فتصحبهم إلى قبورهم، **عن النبي (ص)**: (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢٧٤٨ كقوله ﴿**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ الحشر/١٤ .

**والعداوة أشد من البغضاء** ، لأن **العداوة** بغض عملي يتحول إلى اعتداء على غيرهم ، **والبغضاء**: الكراهية النفسية ما يكون في القلب من تنافر ، فإن لم يكونوا متعادين يصدر منهم الظلم ، يبغضون الناس ، ويبغضهم الناس تلك هي اللعنة مع كلِّ نفس يتنفسونه ، وما تزال طوائف اليهود متعادية ، وإن ظهرت في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند وتقوى ، ولكن

ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ، ولا نحكم إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة ، فهم في دور المهلة وزمن الامتحان في بناء دولتهم المغصوبة المزعومة التي بنيت على الظلم وقتل الناس، **في الصحيفة السجادية** (إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ) ، إِنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَسَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ ، وَأَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَرَ ! وقد عمّ وشمل هذا العذاب والغضب من الله سبحانه إلى المسلمين أيضاً (**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**)

وهذه نتيجة الشقاق والنفاق والنزاع ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ الأنفال/٤٦، وكلّما أشعلوا ناراً على النبي (ص) والمؤمنين وعلى دين الله سبحانه على قاعدة (فرّق تسدْ) (**أَطْفَأَهَا اللَّهُ**) بإلقاء الاختلاف بينهم ، أمّا الحروب التي يوقدونها في الحاضر، فهم يخططونها وأمريكا تنفذ وأوربا تساند ، فهي تنفعهم قليلاً وتضرهم كثيراً ولاسيما بعد وجود الصحوة والمقاومة الإسلامية العامة والنهضات الجماهيرية (**وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً**) يسيرون بسرعة مع الجهد والجدوالقصد في الأرض على سعتها فساداً ، والفساد الفكري والعملي المتنوع يمشي في دمهم وطبيعة فيهم ، بل يتفننون في عرض الفساد ويقننون له قوانين وينشرونه في كافة وسائل الإعلام في مختلف الأشكال والأحوال ، وهذه أفلام السكس الخلاعية وكل الفساد بتحريضهم وبدعمهم! (**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) والله لا يحب العاملين بالفساد بأنواعه ، ولا الساكتين عنه ، ولا الراضين به، ولا الحاضنين له ، ولا المنتفعين به فهم شركاء في الفساد.

**٦٥ – ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**

دعوة من القرآن لأهل الكتاب أن يتوبوا ويسلموا ويعملوا بمنهج الله ويلتزموا به ، والقرآن يدعو كلّ الناس أن يدرسوا الإسلام الذي فيه السلامة والكرامة والاستقامة بلا أية ندامة ولا ملامة ، وجاءت التقوى بعد الإيمان للدلالة عن إتقائهم الذنوب وسائر الكبائر (**لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**) كقوله ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**﴾ النساء/١٢٤ ، **لَكَفَّرْنَا** : محونا **فائدة** : تكشف الآية بإشارة أن الإسلام يجبُّ ما قبله ، وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم قلبه لله.

**٦٦ – ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾**

ولو أنّهم استقاموا على منهج الله وعملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن لأنّ دين الله واحد ، وفي هذا نهي عن خلط العصبيات القومية بالدين (**لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**) لوسّع الله عليهم الأرزاق وأغدق عليهم الخيرات بإفاضة بركات السماء والأرض عليهم ، وارتفاع المستوى الإقتصادي فيهم كقوله ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ**

**وَالأَرْضِ﴾** الأعراف/٩٦ ، باعتبار انسجام نظام الكون مع نظام العدل لذلك صار (العَدْلُ أَسَاْسُ الْمُلْكِ) **في غرر الحكم**: (إنّ العَدْلَ مِيزَانُ اللهِ الذَّي وَضَعَهُ للخَلْقِ، ونَصَبَهُ لإقَامَةِ الحَقِّ، فَلا تُخَالِفُهُ فِي مِيزَانِهِ) ولكنهم كان الخير بين أيديهم فضيعوه وكان النور معهم فأطفؤوه ، وهكذا الَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الْهِدَاْيَةُ تَلِيْقُ بِهِ الْغِوَاْيَةُ **(مِنهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ)** معتدلة في الدين غير مغالية أي منهم جماعة آخذة بالقصد وهو التوسط في الأمور فهي بحثت عن الحقيقة وآمنت بمحمد (ص) وبالقرآن ، وعن طريق الحق وسلكت سلوكاً معتدلاً في أمر الدين والدنيا وهي جماعة قليلة **(وَكَثِيرٌ مِنهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)** وكثير منهم أشرار بئس ما يعملون من قبيح الأقوال وسوء الأعمال ، وهذا يدل أن الكثرة ليست دليل الحق. **فائدة** : **(مِنهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ)** وإذا قلّت الأمة المعتدلة المستقيمة فسد المجتمع وساءت عاقبته، والقرآن يكشف عن سنة إجتماعية أن لا يخلو أي قوم من هاد كقوله **﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** الرعد/٧ ، **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾** فاطر/٢٤.

**٦٧ – ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**

**(بَلِّغْ)** أكثر توكيداً من (أبلغ) وتحمل إبلاغاً قطعياً ورسمياً مؤثراً مهماً ، الآية ظاهرها أنيق وباطنها عميق ودلالتها واسعة ، يدلُّ أسلوب الخطاب مع النبي (ص) والتأكيد عليه بأن الله سبحانه قد أمر تبليغ أمر مهم للغاية ، وهو إبلاغ ما أُنزل إليه من ربه واعتبار تبليغ هذا الأمر المهم بمستوى تبليغ الرسالة كلها ! وأن النبي (ص) قد ضاق بهذا الأمر ذرعاً لأنه ثقيل على أنفس جماعة من الصحابة **(وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)** بلغ رسالة ربك غير مراقب أحداً ولا تخاف أن ينالك مكروه **﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾** النور/٥٤ ، **عن إبن عباس** : (بَلِّغْ جَمِيْعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإِنْ كَتَمْتَ شَيئاً لأيِّ سَبَبٍ كَانَ) فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، ومن ثمرة رسالته **(حديث الثقلان) عن النبي (ص)** : (إِنِّيْ قَدْ تَرَكْتُ فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَاْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَاْ لَنْ تَضِلُّوْاْ بَعْدِيَ ، أَحَدُهُمَاْ أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، كِتَاْبُ اللهِ(الثُّقْلُ الأكبرُ) حَبْلٌ مَمْدُوْدٌ مِنَ السَّمَاْءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ (الثُّقْلُ الأَصْغَرُ) وَإِنَّهُمَاْ لَنْ يَفْتَرِقَاْ حَتَّى يَرِدَاْ عَلَيَّ الْحَوْضَ) تفسير الرازي٨/١٦٣، **في نهج البلاغة خطبة٩٧** (فَلَنْ يُخْرِجُوْكُمْ مِنْ هُدَى وَلَنْ يُعِيْدُوْكُمْ فِيْ رَدَى) فَلاَ تَتَقَدَّمُوْهُمْ فَتَهْلَكُوْاْ وَلاَ تَتَخَلَّفُوْاْ عَنْهُمْ فَتَظِلُّوْاْ وَلاَ تُعَلِّمُوْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ)

**وعنه (ص)**: (مَثَلُ أَهْلَ بَيْتِي فِيْكُمْ كَمَثَلِ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ فَمِنْ قَوْمِ نُوْحٍ مَنْ رَكِبَهَاْ نَجَاْ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَاْ هَلَكَ ، وَمِثْلُ بَاْبِ حِطَّةٍ فِيْ بَنِيْ إِسْرَاْئِيْلَ) كنز العمال خبر٣٤١٧٠، **حطّة** : إدعوا الله أن يحطّ أي يضع عنكم ذنوبكم ، وكلمة الحق أحق أن تتّبع ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق كقوله **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** يونس/٣٢ ، **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا**

**قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** الأحزاب/٣٦. **وهذا تذكير لحملة العلم** من المسلمين ألاّ يكتموا شيئاً من أمر الدين ، فإن هذا الكتمان يعتبر خيانة بتعطيل منهج الله ، والخيانة نقض أمانة الدين وهي ضد الأمانة ومن الخيانة التخلي عن تكاليف الأمة المسلمة وعدم توجيهها. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** الأنفال/٢٧ ، **في نهج البلاغة كتاب٢٦:** (إِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ ، وَإِنّ أَفْظَعَ الْغُشِ غُشُّ الأَئِمّةِ) ، **(وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)** والحكمة في التصريح بالأمر بالتبليغ وتأكيده بجعل كتمان بعضه ككتمان كله لأهميته البالغة، والناس لابد أن يعرفوا هذه الحقيقة الكبيرة بالنص ، فلا يعذروا إذا إختلفوا فيها بعد بيانها **(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ)**

والله يمنعك ويحميك من أن ينالوك بسوء من المعارضين والمعاندين وسيمنع الله الأسباب الجارية لهؤلاء المعارضين أن يضروك شيئاً. لم يكن (ص) خائفاً على نفسه وإنّما خائفاً من وضع العراقيل في طريق تبليغ الرسالة **(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** إنذار وتهديد بمعاقبة الذين ينكرون هذا الأمر الخاص ويقفون ضده فإنه يقضي عليه بالكفر **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيّنَةٍ﴾** الأنفال/٤٢.

**فائدة: ١-** القرآن الكريم لم يذكر هذا الأمر المهم صراحة ، وإذا علمنا أن سورة المائدة آخر سور القرآن نزولاً ، وإذا علمنا هذا أدركنا السر في تأخر هذا الأمر المهم بل البالغ الأهمية ، فإن بين نزول سورة المائدة ونزول هذه الآية ووفاة الرسول (ص) شهوراً قليلةً ، لذلك أكدت الآية على هذا الأمر المهم قبل وفاة النبي (ص) ، فأصبحت الرسالةُ كاملةً بهذا الأمر المهم ، وبهذا الأمر يحصل إكمال الدين وإتمام النعمة فكانت (الرِسَالةُ الإسْلامِيَةُ مِيزَانٌ دَقِيْقٌ فَمَنْ وَفّى ، اسْتَوْفَى) فلم أجد بيان هذا الأمر البالغ الأهمية إلاّ عبر أسباب النزول ، التي تدعو إلى مستقبل الإسلام ومن الذي يستخلف رسول الله (ص) بعد وفاته ، بحيث يكون إمتداداً للرسول وأميناً على رسالته بتعيين منه (ص). **قال الرازي في تفسيره ج١٢ ص٤٩ :** نزلت هذه الآية في فضل علي بن أبي طالب (ع) ، ولَمّا نزلت أخذ بيده رسول الله (ص) وقال : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ) فلقيه عمر فقال : هَنيئاً لَكَ يابنَ أَبي طَالبٍ أَصْبَحْتَ وأَمْسَيْتَ مَوْلايَ وَمَوْلَى كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وهو قول إبن عباس وغيره ، وهكذا نعرف أهمية الموضوع من امتداد القيادة الإسلامية (الإمامة) بعد الرسول (ص) فصارت الإمامة من تمام الدّين وهي نظام الأمّة ووحدة المسلمين وعز المؤمنين **﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** الشورى/٢٣ .

**عن النبي (ص):** (مَنْ مَاتَ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) البحار٢٣ص٧٧، **وعن الرضا (ع)** : (في صفة الإمام : مُضْطَلِعٌ بِالإِمَامَةِ ، عَالِمٌ بِالسِّيَاْسَةِ) الكافي١/٢٠٢. **٢- حادثة الغدير**

**بإختصار** : بعد أن أدى المسلمون مع رسول الله (ص) حجة الوداع ونزل (ص) في منطقة (غدير خم) فخطب فقال من ضمن كلامه (ص) : (إِنَّ اللهَ مَوْلاَيَ وَأَنَاْ مَوْلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَأَنَاْ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ اللَّهُمْ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَاْدَاْهُ وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ وَأُنْصرْ مَنْ نَصرَهُ وَأُخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرْ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَاْرَ.. ثم نزلت الآية ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾ المائدة/٣ ، فَقَاْلَ رَسُوْلُ اللهِ (ص) : اللهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَاْلِ الدِّيْنِ وَإِتْمَاْمِ النِّعْمَةِ ، وَرَضِيَ الرَّبُّ لِرِسَاْلَتِيْ وَالْوَلاَيَةُ لِعَلِيّ مِنْ بَعْدِيَ) ، يَقُوْلُ النَّبِيُّ (ص) لَلإِمَاْمِ علي (ع) (لَوْ لَمْ أُبَلِّغْ مَاْ أُمِرْتُ بِهِ مِنْ وَلايَتِكَ لَحَبَطَ عَمَلِيْ) كقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ الطلاق/٣، وقال إبن عباس: وَجَبَتْ وَاللهِ فِي أَعْنَاْقِ الْقَوْمِ ، وقال شاعر الرسول(ص) حسّان بن ثابت: **يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمٍ واسمع بالرسول مناديا**.... إلخ الأمثل٤/٨٥. **٣-** وضعت هذه الآية وهي مكية في سياق آيات مدنية في تبليغ أهل الكتاب، لتدلّ أنّ النبي (ص) كان عرضة لإيذائهم وإيذاء المنافقين والله عصمه من كيدهم

**٦٨ - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**

قل يا مُحَمَّد لهؤلاء اليهود والنصارى (**لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**) لستم على منزلة من الدين الصحيح وليس لكم مكانة ولا قيمة عند الله ، ولا ينفعكم الإنتساب إلى موسى وعيسى والنبيين حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل وتقيموا أحكامها كاملة (**وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**) القرآن العظيم المنزل ليكون دستوراً لهدايتكم (**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً**) اللام للقسم ، أي وأُقسم ليزيدنّ هذا القرآن المنزل عليك يا مُحَمَّد الكثير منهم زيادة في التكذيب وإصراراً على الكفر بدل أن يزيد هؤلاء إيماناً وتقوى وهدى وهذا التأثير المعكوس المنحوس للآيات الصادقة والقول المتزن يكون في النفوس المملوءة عناداً ولجاجاً ! (**فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**) **فَلا تَأْسَ** : فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم ، وهو استخفاف بأمرهم ، ومن كان هذا شأنه فلا يستحق أن يأسف عليه، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ). **وهذه الآية عامة** ، فالمسلمون إذا اكتفوا بإدّعاء الإسلام ولم يلتزموا بمنهجه وبالقرآن الكريم ، فلم تكن لهم منزلة عند الله وليس لهم مكانة إجتماعية وهيبة سياسية ، بل سيظلون دائماً أذلاّء ومغلوبين على أمرهم.

**٦٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

الآية الكريمة توضح المقياس العام الذي يخضع له أمن الناس يوم القيامة.**آمَنُوا** : صدقوا الله ورسوله (ص) ورسالته الإسلامية واليهود **(وَالصَّابِئُونَ)** عبدوا غير الله ، وذكرهم القرآن ثلاث مرات ، وهم قوم متوسطون بين اليهودية والنصرانية ، ولهم كتاب ينسبونه إلى يحيى بن زكريا (ع) ومنهم من يعبد الملائكة والكواكب ، فهم مالوا عن دعوة الفطرة السليمة واتبعوا أهواءهم **(وَالنَّصَارَى)** أتباع عيسى (ع) **(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً)** إذ لا عبرة بالأسماء والألقاب ولا بالأحساب والأنساب ، ليس العبرة أن نقول هذا مسلم وهذا يهودي وهذا صابئي وهذا نصراني وإنّما العبرة بالإيمان المتكامل والعمل الصالح قولاً وعملاً ، والإيمان يحث على العمل الصالح ، والعمل الصالح يحث على الإيمان ولا إنفصال بينهما ، وكل إنسان بقدره، **عن الإمام الصادق** (ع): (الإِيْمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذَلكَ العَمَلُ بِفَرْضٍ مِنَ اللهِ بيّن فِي كِتَابِهِ) البحار٦٩ص٢٣، وهذا يدل على أن دين الله عبادات ومعاملات ، فالعبادات متعلقة بالمعاملات والأخلاق ، **عن النبي** (ص) : (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الْخُلُقِ) كنز العمال خبر٥٢١٥، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣.

ويقرر القرآن الكريم بأن ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ آل عمران/٨٥. **الإسلام بمعناه العام والشامل** والذي يسع كل الأديان والذي معناه التسليم لأمر الله والإلتزام بمنهجه ، وهكذا فإنَّ أيَّة أمَّة تتّبع سبيل الإسلام الشامل ذو المعنى العام من دون تحريف فيكون هو سبيل الحق والهدى البعيد عن الباطل والفساد **(فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** فأولئك لا خوف عليهم مما يكون في مستقبل أمرهم ، ولا هم يحزنون من شيء ينغص عليهم حاضرهم ، فهم ناجون في الدنيا والآخرة ، لأنّ في الاستقامة السلامة والكرامة بلا أية ندامة ولا ملامة ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ البقرة/١٧٩ ، فإن هذا الإسلام الشامل يسبك الرجال ويصوغهم صياغة نموذجية فيعطيهم القوة والقدرة وينفي عنهم الخوف والذلة والحزن والضعف **عن النبي** (ص): (الإِسْلاَمُ يَسْبُكُ الرِّجَاْلَ كَمَاْ تَسْبُكُ النَّاْرُ خَبَثَ الْحَدِيْدِ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) كنز العمال ٧٨/١ (وتقدّم في البقرة ٦٢). **والمقصود** : كل الذين آمنوا بالإسلام ذي المعنى الشامل من دون تحريف ، فإنهم يؤمنون بقرآن مُحَمَّد (ص) والإسلام الأصيل ويعملون العمل الصالح على إطلاق معناه ، وكلٌّ حسب قدرته ، ويستقيمون في أقوالهم وأفعالهم ويندمون على سوء أعمالهم وينيبون إلى ربهم ، فيتوب الله عليهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾ النساء/٣١ ، **عن النبي** (ص) : (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ) كنز العمال خبر١٠١٧٤، **في نهج البلاغة خطبة١٢٠:** (أَلاَ وَإِنَّ شَرَاْئِعَ الدِّيْنِ وَاْحِدَةٌ وَسُبُلَهُ قَاْصِدَةٌ فَمَنْ أَخَذَ بِهَاْ لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عِنْدَهَاْ ضَلَّ وَنَدِمَ). **فائدة** : الآية ترد على الذين يظنون النجاة في ظل قومية معينة ، والآية ترد على الفرقة الناجية من طائفة معينة

والباقي في النّار !! تدعو الآية إلى التعايش السلمي والأخوي مع الآخرين على أساس التقوى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣.

والقرآن يؤكد هذه الحقيقة كقوله ﴿**مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ البقرة/١١٢، وقوله ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾ النساء/١٢٤ ، وقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ الأحقاف/١٣ ، ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ المائدة/٦٥ ، وغيرها فإنّ مجرّد الإنتساب إلى دين من الديانات لا ينجيه من عذاب الله، بل يلزمه الإيمان والعمل الصالح.

**٧٠ – ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾**

ولقد أخذنا من اليهود الميثاق أي العهد الموثّق المؤكد على الإيمان بالله ورسله ،كرّر الله سبحانه أخذ الميثاق منهم تأكيداً لعتوهم وشدّة تمردهم ، وأنّ الله تعالى أراد أيضاً بهذا التكرير أن يحذر المسلمين من طبائع بني إسرائيل كقوله ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً**﴾ المائدة/١٢. (**وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً**) ليرشدوهم أمر دينهم ويبلغوهم منهج الله ولكن (**كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ**) والرسول من الله لا يأتي تبع أهوائهم ، والله لا يشرع وفق ما يحبون ، بل عليهم أن يحبّوا ما يشرّع الله ، لأن أمر الله فيه سعادتهم وخيرهم (**فَرِيقاً كَذَّبُوا**) وهذا شأنهم منذ زمن قديم (**وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ**) ولا يجرأ على قتل أطهر الناس إلاّ شرُّ الناس وهم اليهود ، وذلك ديدنهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، (**يَقْتُلُونَ**) بالفعل المضارع للدلالة على أن إستمرار روح التمرد فيهم وأنّهم يعتمدونه في حياتهم كلّها ، وهم الذين يستهينون بقتل الإنسان وكرامته وإستخلافه لله على الأرض هم يستهينون بشرائع الله وشرائع القانون الدولي وحقوق الإنسان لذلك هم وبال وشر على البشرية جمعاء، قال تعالى ﴿**وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ ص/٢٦ ، **في نهج البلاغة كتاب ٣١** (الْهَوَى شَرِيْكُ الْعَمَى). **عن النبي (ص)**: (مَاْ عُبِدَ إِلَهٌ أَبْغَضُ عَلَى اللهِ مِنَ الْهَوَى) روح البيان٢/١٩٧

**٧١ – ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

وظنّ بنو إسرائيل بأن لهم كرامة فلا غالب لهم ولا يصيبهم بلاء وعذاب ومحنة بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل اغتراراً بإمهال الله تعالى لهم لأنهم أبناء الله وأحبّاؤه وشعب الله المختار (**فَعَمُوا وَصَمُّوا**) فخدعوا أنفسهم وخانوها وتمادوا في الفساد فعموا عن الهدى ولم يبصروا الحق وصمّوا عن سماع العظة والإرشاد كقوله ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾ فاطر/٨ ، ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ**

**الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** الأنعام/٤٣ ، وهذا تشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشاد (**ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**) لما ندموا وتابوا لشدّة ما أصابهم من (بختنصر) من المذلة والهوان فنهب أموالهم وسبى نساءهم وأطفالهم وقتل شبابهم (**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ**) فلما إنقضت تلك الأجيال ونشأت أجيال أخرى اكتسبوا صفات آبائهم في اكتساب الآثام فعموا كثير منهم وصمّ بعد تبين الحق له ، فهم يتمردون إن استطاعوا ويخضعون عندما يعجزون (**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) عليم وبصير بما يفعلون من جرائم وما يدبرون من مؤامرات خبيثة ، وهو وعيد وتهديد لهم وهو يجازيهم عليه بالخزي والخذلان في الدنيا قبل الآخرة **﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾** الأعراف/٩٩.

**٧٢ – ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**

لقد كفر الذين قالوا أن مريم ولدت إلهاً ، وزعموا أن الله تعالى حلّ في ذات عيسى وإتّحد به ، وهذا إعتقاد بالتجسيم الإلهي على أنه سبحانه جسم مادي كبقية الأجسام ، وهذا خلاف عقيدة التوحيد، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** الشورى/١١ ، (**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**) أول كلمة نطق بها وهو طفل رضيع **﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾** مريم/٣٠ ، أنا عبد مثلكم فأعبدوا خالقي وخالقكم الذي يذل له كل شيء ويخضع له كل الوجود والحقيقة أن السيد المسيح قال لهم ضد ما يقولون ، إنهم **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** المائدة/١٣ فقد أمرهم بعبادة الله وحده معترفاً بأنه ربه وربهم (**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**) من يعتقد بأن مع الله إلهاً آخر أو من يعتقد بألوهية غير الله فلن يدخل الجنة أبداً لأنها دار الموحدين (**وَمَأْوَاهُ النَّارُ**) ومصيره جهنم (**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**) ولا منقذ له من عذاب الله ، وهذا إبطال لقول النصارى بالفدية **بمعنى** : أنّ المسيح (ع) باختياره الصلب (حسب إدّعائهم) قد فداهم بنفسه فهم مغفورٌ لهم ، وإنّ التكاليف الإلهية مرفوعة عنهم ومصيرهم إلى الجنة ، فخدعتهم الدنيا بغرورها وأنفسهم بخيانتها ، وهكذا الجاهل يعمل بنفسه كما يعمل العدو بعدوه ، وهذا الضلال يشمل حتى المسلمين. **فائدة:** غالى اليهود في بغض عيسى وأمّه، وغالى النصارى في عقيدتهم بهما إلى حدود الآلهة ، والإسلام معتدل يحارب الغلو بكل معانيه وأشكاله، **عن الإمام علي** (ع) : (**سيهلك فيّ صنفان** : مُحِبٌّ مُفرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النّاسِ حَالاً فِي النَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَالْزَمُوهُ) (الاعتدال) الكاشف٣/١٠٣، وينهى القرآن عن الغلو **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾** النساء/١٧١ ، **والغُلُوّ** : تجاوز الحدود في الحب والبغض وهو كالطغيان.

**٧٣ – ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

لقد كفرت فرقة من النصارى الذين قالوا إن الله أحد ثلاثة آلهة (الله وعيسى ومريم) وكلٌّ واحد من هؤلاء إله حتى قالوا (الأب والإبن وروح القدس) وقالوا هذه الثلاثة إله واحد وهذا باطل لأن الثلاثة لا تكون واحداً وإن الواحد لا يكون ثلاثة **(وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ)** لا يقبل الله بذاته المتعالية الكثرة فهو تعالى في ذاته واحد وإذا إتصف بصفاته الكريمة وأسمائه الحسنى لم يزد ذلك على ذاته الواحدة شيئاً ، فهو تعالى واحد في ذاته لكن لا بالوحدة العددية التي لسائر الأشياء لا تعدد الذّات ولا تعدّد الصفات ولا تعدّد أجناس وأنواع ولا تعدّد جزيئات وأجزاء ، **في غرر الحكم**: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ)، **وفيه أيضاً**: (التَّوحِيْدُ حَيَاةُ النَّفْسِ)، **وفيه أيضاً** (مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْلَى الْمَعَارِفِ) ، **وفيه أيضاً**: (يَنْبَغِيْ لِمَنْ عَرَفَ اللهَ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ) ثم قال **(وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ)** عن القول بالتثليث ويصرون على ترك التوحيد **(لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** بسبب كفرهم. **فائدة** : **(كَفَرُوا مِنْهُمْ)** لن يعذب جميع الذين آمنوا بعقيدة التثليث ، بل الذين أصرّوا عليها ورفضوا عقيدة التوحيد الخالصة ، ولكن بعضهم مستضعفون مؤمنون ليسوا من أهل التثليث ، وإنّما يرددون القول ترديداً من دون أن يعقلوا معناه !!

**٧٤ – ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

هذا أمر بالتوبة في لفظ الاستفهام للتوبيخ لإصرارهم على الكفر ، أي أفلا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة ويستغفرون الله مما نسبوه إليه ممّا لا يليق به ؟ **(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** لمن يستحق ذلك.
**والفرق بين التوبة والاستغفار** : أن الاستغفار ستر الذنب ومحوه ، وطلب المغفرة من الله بالدعاء فيكون خير الدعاء ، والتوبة الندم على المعصية وحسن العودة إلى الله ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ**﴾ الشورى/٢٥ ، ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ النساء/١١٠ ، **في غرر الحكم** : (سِلاَحُ الْمُذْنِبِ الإِسْتِغفَارُ) والندم على الذنب.

**٧٥ – ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**

**خَلَتْ** : مضت ، ما المسيح إلاّ رسول كالرسل الماضية خصّه الله تعالى ببعض الآيات والمعجزات الباهرات إظهاراً لصدقه كما خصّ بعض الرسل **(وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ)** مبالغة في الصدق والعبادة والأخلاق، فصدَّقت بكلمات ربها وكتبه وأنبيائه وعملت بموجبها فكان إيمانها عملياً وصدقها

حركياً، فكان قولها طبق عملها ، وعملها طبق قولها ، وصدقت مع نفسها ومع ربها ومع الناس في كل حالاتها كقوله ﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ التحريم/١٢، (**كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**) كل من افتقر إلى شيء احتاج إليه فهو مخلوق ، فالافتقار هو ضعف والخالق لا يكون ضعيفاً والسيد المسيح مخلوق كسائر المخلوقين مركب من جسم وروح وأعضاء ويضعف عن الحركة إذا لم يتغذّ **وفيه إشارة لطيفة** إلى أن من يأكل الطعام عليه أن يبحث عنه في الأسواق ، ولابد أن يكون في حاجة إلى إخراج فضلاته ، وإنهما ينامان ويمرضان ويجوعان ويأكلان مما يأكل الناس ويخضعان للضروريات التي يخضع لها الناس ، ومن كان هذا شأنه فكيف يكون إلهاً ؟

ويشترك مع الله في ألوهيته ، فالله حيٌّ وقائم ومدبر باقٍ بذاته وصفاته لا يحتاج إلى شيء ، بينما كلُّ شيء محتاج إليه (**انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ**) تعجب من حال الذين يدّعون إلوهية عيسى وأمه أنظر كيف نوضّح لهم الآيات الباهرات على بطلان ما اعتقدوه (**ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) كيف يُصرفون عن استماع الحق الواضح معرضين عنه ومكذبين له ومتعالين عليه ؟

**٧٦ –** ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾

الاستفهام للإنكار والتعجب ، الآية عامة تشمل جميع ما يُعبد من دون الله سواء أكان من البشر أم من الحجر أم المال أم النساء أم الجاه... وكل ما عبد من دون الله هو دون الله ، هو تسفيه لعقول أولئك الذين يعبدون من دون الله أرباباً ثم يرجون عندها النفع والضر ، وهي عاجزة لا تملك من أمر وجودها شيئاً ، فكيف يكون لها سلطان على العباد ؟ ذلك هو الضلال البعيد (**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) السميع لأقوالكم العليم بأحوالكم. **فائدة : وفي تقديم الضر على النفع** ، إذ إن الكائن الحي يطلب السلامة لنفسه أولاً كي يضمن وجوده وبقاءه ، ولا بقاء لحي مع وجود الخطر الذي يتهدد حياته ، فإذا تمكن الكائن الحي من استخلاص نفسه من بين الأخطار التي تترصده ، كان له بعد ذلك أن يطلب ما ينفع في حفظ حياته.

**٧٧ –** ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾

وتقدم في سورة النساء/١٧١، الآية وإن نزلت بخصوص السبب ولكن أُريد لها عموم المعنى ، **الغلو**: صفة سلبية وهو الإفراط وتجاوز الحد وإدخال ما ليس من الدّين في الدّين القيم ، ومن أعطى المسلم المخلوق صفة من الصفات الخاصة للخالق فقد وقع في الغلو الخطير والمرير ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ النور/١٥ ، فلا تتجاوزوا بدينكم حدود الحق بل التزموا هذه الحدود وقفوا عندها فإن ما بعدها هو الضلال المؤدي إلى الكفر ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ**

**الضَّلالُ﴾** يونس/٣٢ ، وقوله (**غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**) ولا يكون الغلو إلاّ بغير الحق فيكون القيد (غير الحق) للتأكيد وتذكير لخطورة الموضوع لئلا يغفل عنه السامع فهو مبالغة في طريق الضلال ، وغلوٌّ في متابعة الهوى كقوله ﴿**وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ آل عمران/١٨١ ، وكلُّ غلوٍ باطل بأية نسبة من نسبه ، سواء ما قالته النصارى عن عيسى إنه إله أو إبن إله ، وغلو اليهود في عيسى أنه إبن زنا.

وغلو بعض المسلمين في الإمام علي (ع) وهو القائل (ع): (يَهْلَكُ فِيَّ اِثْنَانِ وَلاَ ذَنْبَ لِيَ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَمُبْغِضٌ مُفرِطٌ) البحار٢٥/٢٧٢ والغلاة كفّار، **عن الإمام علي** (ع): (اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِيْءٌ مِنَ الْغُلاَةِ كَبَرَاْءَةِ عِيْسَى بِنِ مَرْيَمَ مَنَ النَّصَاْرَى، اللَّهُمَّ أُخْذُلْهُمْ أَبَدَاً وَلاَ تَنْصُرْ مِنْهُمْ أَحَدَاً) البحار٢٥/٢٨٤ كقوله ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، **عن الإمام علي** (ع) : (**سَيَهْلَكُ فِيَّ صِنْفَانِ** : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاْسِ حَالاً فِي النَّمَطِ الأَوْسَطِ (المعتدل) فَالْزَمُوْهُ) الكاشف٣/١٠٣

(**وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ**) المراد بالقوم رؤساء الدين الذين يتاجرون به ويحرفونه كما يشتهون وقد وصفهم سبحانه بالضلال في أنفسهم أولاً وبإضلال أتباعهم ثانياً (**وَأَضَلُّوا كَثِيراً**) غيرهم بإغوائهم وإغرائهم وبالترغيب والترهيب، ثمّ بيّن نوع الضلال والاضلال بأنه انحراف لمن قصد السبيل (**وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**) ضلّوا عن سبيل الاعتدال والوسط وهو القرآن ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، وتكرار (**ضَلُّوا**) للإشارة إلى أنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد وقطعوا عدّة مراحل في الضلال على أنفسهم وعلى غيرهم وضلال عن العقل وضلال عن الشريعة ، وهو ضلال على ضلال وضلال بعد ضلال فلم يستفق في ما بينهما ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ النور/٤٠. **فائدة** : تنهى الآية عن أمرين خطيرين وهما الغلو والتقليد الأعمى فأما **الغلو في الدين** فيعني تحويل الأمور النسبية إلى مطلقات عامة من خلال خيال ذهني لا واقع له ، ويعني أيضاً منح الكثير من أفراد البشر كالأنبياء والصلحاء صفات ألوهية وجعلهم مؤثرين في إدارة الكون بقدرات إنسانية مستقلة عن الله ، وأمّا **التقليد الأعمى** فيعني عدم التعقل الصحيح ، والاعتماد على ما يقدمه الآخرون من أهواء واستنتاجات ضالة. جاءت (**أَهْوَاءَ قَوْمٍ**) بالجمع تنبيهاً على أنّ لكل واحد هوىً معيّن غير هوى الآخر! وباعتبار كثرة الأباطيل التي عمموها بين النّاس وأصّلوها بينهم عن طريق الهوى. **عن الإمام الصادق** (ع): (احْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمُ الْغُلاَةَ لاَ يُفْسِدُوهُمْ، فَإِنَّ الْغُلاَةَ شَرُّ خَلْقِ اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُوْنَ الرُّبُوْبِيَّةَ لِعِبَاْدِ اللهِ، وَاللهِ إِنَّ الْغُلاَةَ لَشَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَاْرَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْا، إِلَيْنَا يَرْجِعُ الغَالِي فَلا نَقْبَلُهُ، وبِنَا يِلْحَقُ المقصّرُ فَنَقْبَلُهُ) البحار٢٥/٢٦٦.

**٧٨ – ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**

**لُعِنَ** : أبعد عن رحمة الله ، لعنوا بكل لسان ، لعنوا على عهد موسى في التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الإنجيل وعلى عهد مُحَمَّد في القرآن (**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**) بيّن سبب اللعن هو عصيانهم للنظام العام واعتداؤهم على الخلائق وانحرافهم عن منهج الله ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ المطففين/١٤، **فائدة** : جاء اللعن في القرآن للظاهرة المنحرفة وليس للأشخاص ، لعن الصفة المنحرفة وليس لعن الأفراد كقوله : ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ هود/١٨ ، **عن النبي** (ص) : (لاَ يَكُوْنُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانَا) كنز العمال خبر٨١٧٨.

**٧٩ - ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**

هذه إحدى صفاتهم القبيحة التي استحقوا عليها اللعنة ، لا ينهى بعضهم بعضاً عن قبيح فعلوه ، والنهي عن المنكر حفظٌ للفضائل وتدعيم للآداب وتقوية للدين ، ومن نهى عن المنكر أمر بالمعروف، لا ينهى محسنهم مسيئهم ولا يأخذ عالمهم بيد جاهلهم فلا تناصح بينهم على معروف ولا تناهي عن منكر ، يعيش كل فردٍ يهودي لذاته ولذّاته، ولا يعنيه إلاّ ما يتصل به إتصالاً مباشراً، لا عليه أن يهلك الناس جميعاً ، وإن عمل المنكر عند اليهود لم يكن في فرد وإنّما كان عملاً جماعياً مألوفاً عندهم فهو فضيلة وحسنة ، وهكذا عندهم المعروف منكراً والمنكر معروفاً (**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) هذا تقبيح لسوء فعلهم وتعجب منه، والآية إرشاد للمؤمنين وعبرة لهم حتى لا يفعلوا فعلهم فيكونوا مثلهم، وأخسرُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عِبْرَةً لِلنَّاسِ.

**عن النبي** (ص): (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلَتَنْهَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ لَيَدْعُونَ خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ) البحار٩٣/٣٧٨. **فائدة:** تدل الآية على أن عمل المنكر عند اليهود لم يكن في فرد شاذ أو منحرف فينغمس في شهواته ، وإنّما كان عملاً جماعياً مما يدل على أن المنكر القبيح عندهم شيء مألوف وقد يكون في عرفهم فضيلة وحسنة ، فإذا قتل رجل يهودي – مثلاً – إنساناً غير يهودي فهي فضيلة عندهم يؤجر القاتل عليها **عن النبي** (ص) (إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ ، فَلاَ يُنْكِرُونَهُ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ) كنز العمال خبر٥٥١٥، **وعنه** (ص): (لاَ تَزَالُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تَنْفَعُ مَنْ قَالَهَا وَتَرُدُّ عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَالنِّقْمَةَ مَا لَمْ يَسْتَخِفُّوْا بِحَقِّهَا قالوا وَمَا الإِسْتِخْفَافُ بِحَقِّهَا ؟ قال أَنْ يُظْهِرَ الْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي فَلا يُنْكَرُ وَلاَ يُغَيَّرُ) الترغيب والترهيب٣/٢٣١.

**٨٠ - ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾**

تَرَى كَثِيراً من اليهود يعطون مودتهم ونصرتهم وتحالفاتهم للذين كفروا ليصدوا عن سبيل الله ، ويقفوا أمام دعوة الإسلام ويقفوا مع جبهة الكفر ، وتراهم يعملون أمام الأنظار بالإهتمام الكثير في إمتلاك قلوب حكّام الجور حيث يجدونهم حماة لجشعهم وأعوان لجرائمهم ، وهذه الآية وغيرها يكمن سر الإعجاز في القرآن (**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ**) أسوأ الأعمال وأقبحها اعتمدوها

في مخططاتهم في تعاونهم مع الكفّار وحربهم ضد المؤمنين وهذا أسوأ ما قدموه لأنفسهم في آخرتهم ، وذكر (**أَنفُسُهُمْ**) للدلالة على أن التحريض كان عن هوى أنفسهم وميولها المادية لا عن عقيدة بمن تولوهم، والهوى إله معبود ﴿**أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ الفرقان/٤٣ ، فجزاؤهم (**أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**) وغضب على أفعالهم (**وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**) يذوقون وبال عملهم القبيح ، فيكون جزاؤهم من نفس عملهم ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ الجاثية/٢٢ ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (يَتَوَلَّوْنَ الْمُلُوْكَ الْجَبَّارِيْنَ وَيُزَيِّنُوْنَ لَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ لِيُصِيْبُوْا مِنْ دُنْيَاهُمْ) الأمثل٤/١١١.

**٨١ –** ﴿**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾

لو كان هؤلاء اليهود يصدّقون بالله وبرسالة نبيهم وما جاءهم به من التوراةالتي فيها هدى ونور ما إتخذوا المشركين أولياء وأصدقاء يلقون إليهم بالمودة وهم أعداء الله ، ولا الطغاة أنصار من دون الصالحين لأن حبّ أولياء الله وحبّ أعدائه لا يجتمعان في قلب واحد ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ الأحزاب/٤ ، وهكذا الَّذيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الْهِدَاْيَةُ تَلِيْقُ بِهِ الْغِوَاْيَةُ، **عن الإمام علي** (ع): (الَّذيْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاْطِلُ ، والَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ) البحار٧٧/٢٩٣ (**وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) فَاسِقُونَ** : خارجون عن حدود الدين وإن تسمّوا باسمه ، لا يريدون إلاّ الرياسة والجاه ويسعون إلى تحصيلها من أي طريق قدروا عليه ، إن المسألة عندهم ليست دين وعقيدة وإستقامة ، وإنّما هي مسألة مصلحة ومنفعة وغرور ﴿**وَغَرَّتْكُمْ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ الحديد/١٤ ، **في غرر الحكم:** (غُرُوْرُ الأَمَلِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ).

## الجزء السابع من القرآن الكريم

**٨٢ –** ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾

فهؤلاء الطائفتان (**الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**) وقدّم اليهود على الذين أشركوا لأنّهم أشدُّ خبثاً أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم وذلك لشدة عداوتهم وبغضهم لهم (**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**) إن التوجيهات الدينية المسيحية هي من حيث الإنسانية والأخلاق أقرب منها إلى الإسلام وإنسانيته وأخلاقه من الأفكار والتوجيهات الدينية اليهودية ، وكلُّ من قرأ التوراة والإنجيل ينتهي إلى العلم بهذه الحقيقة (مثلاً) إله الإنجيل هو إله المحبة والرحمة للبشرية جمعاء ، وهذا مشابه لما جاء في القرآن ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/٥٤ ، أمّا إله التوراة مرتبط باليهود وحدهم وهم شعب الله المختار كما يزعمون (**ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً) قِسِّيسِينَ:** علماء النصارى **الرهبان** : عبّاد زهّاد منقطعين للعبادة وحرمان أنفسهم من النعم الدنيوية كالزواج والولد ولذّات الطعام والزينة ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ الحديد/٢٧.

عن النبي (ص): (**لاَ رَهْبَانِيَّةَ فِيْ الإِسْلاَمِ**) تفسير الرازي١٢/٦٧، لأنّ الرهبانية غلو وتطرّف ، أمّا تعليل قرب مودتهم من المسلمين بسبب أن منهم علماءً وعباداً يذكروهم مقام الله ومعارف الدّين ، فيكون العلم مع العبادة وتبني الأخلاق والمحبة للآخرين مما يلطف القلب ويرققه ويزيل عنه الغلظة والقسوة ومن الأسباب (**أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**) ليس فيهم تكبر ولا غرور عن الانقياد للحق ، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر ، أمّا اليهود فيهم أحبار وعلماء ولكن مستكبرون ، لا تسمح لهم رذيلة العناد والاستعلاء لقبول الحق ، وأما الذين أشركوا فإنّهم يفقدون العلماء والفضلاء ، وفيهم رذيلة الاستكبار، والنصارى إذا تصهينوا صاروا كاليهود الصهاينة فإنّهم يرتكبون الجرائم كاليهود كما حصلت في الحروب الصليبية سابقاً ، ولاحقاً في عالمنا المعاصر وفي التحالف الصهيوني الأمريكي الإنكليزي بمساعدة الإتحاد الأوربي لحماية دويلة إسرائيل وتقسيم العالم الإسلامي بحسب الخريطة الصهيونية وفي ذلك المخطط اللئيم الخبيث ويلات المسلمين كقوله ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ الصف/٨.

**٨٣ – ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾**

إذا سمع المؤمنون النصارى القرآن الكريم المنزل على الرسول مُحَّد (ص) (**تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ**) حرّك القرآن قلوبهم وخشعوا وفاضت أعينهم بالدمع من خشية الله لرقةقلوبهم وتأثرهم بكلام الله الجليل (**مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ**) من أجل معرفتهم أنه كلام الله وأنه حق (**يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا**) وصدقنا بنبيك وكتابك (**فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**) مع أمة مُحَّد (ص) الذين يشهدون لله بالتوحيد ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به ، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب إن أحسنوا وأساءوا ، وهم عدول شهادتهم مقبولة ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ البقرة/١٤٣ وهذه واقعة خاصة لا يقاس عليها كلُّ راهب وقسيس ، ولذا نكّر الله سبحانه ، ولم يقل (القسيسين والرهبان) والواقعة هي أن جعفر بن أبي طالب (ع) تلا على النجاشي بعض ما نزل في عيسى وأمه من القرآن فبكى ومن حضر من قومه.

**٨٤ – ﴿وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾**

ما الذي يمنعنا عن الإيمان وقد لاح لنا الصواب وظهر الحق ؟ وهذا الذي بشّر به عيسى ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ الصف/٦ ، أقرّوا بالحق بشجاعة ولم تخفهم الأجواء المخيفة السائدة! قالوا ذلك في جواب من عيّرهم بالإسلام من اليهود ، وهذا ما يلائم الفطرة السليمة ، (**وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ**) إننا نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الذين صلحت

أنفسهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الحميدة ، ليكونوا مؤهلين لدخول الجنة بصحبة الصالحين من عباده الذين عملوا بالحق ونصروه.

**٨٥ – ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾**

جازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق ، وهذا دليل إسلام هذه الفئة من النصارى ، الإسلام العام بمعنى التسليم لأمر الله تعالى ، والإسلام الخاص التفصيلي هو إسلام نبي الرحمة مُحَمّد (ص) ولها ثواب الله سبحانه ورضوانه (**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**) خلودٌ أبدي لا يحولون عنها ولا يزولون (**وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**) ذلك الأجر والثواب جزاء من أحسن عمله وأصلح نيته ولا يكتفون بالقدر الواجب منها ، **فائدة ١–** ليس كل أهل الكتاب في فساد وضلال بل منهم قوم صالحون ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾ آل عمران/١١٣. **٢– (بِمَا قَالُوا)** إنه لم يكن مجرد قول وإنما هو ترجمة عن إيمان صادق تعلّق به القلب وخشعت له المشاعر وفاضت به العيون دمعاً ولكن عبّر عنه اللسان فصار اللسان ترجمان القلب والجوارح.

**٨٦ – ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**

قابل القرآن في سياقه المصدقين بآيات الله بالمكذبين كأنما قابل الترغيب في الترهيب ولا يصلح الإنسان إلاّ الخوف والرجاء ، وهكذا لا يستوي عند العدالة الإلهية المسيء والمحسن ، وإذا سلم المجرم من عقاب الناس فلا مفر له من عذاب الله، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ).

**٨٧ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**

الخطاب للذين آمنوا أن لا يمنعوا أنفسهم طيبات ولذائذ الرزق الحلال الذي ينفع الإنسان من المطاعم والمشارب ، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم فإحمدوه إذ أحلها وأشكروه ، وبِالشُّكْرِ تَدُوْم النَّعَمْ، ولا تردوا نعمته بكفرها والاعتقاد بتحريمها فتجمعوا بذلك بين قول الكذب على الله وكفر النعمة وحرمان النفس من الطيبات واعتقاد الحلال الطيب حراماً ، فإن هذا من الاعتداء ، والله قد نهى عن كلِّ اعتداء فقال (**وَلا تَعْتَدُوا**) الاعتداء في كلّ شيءٍ حرام ، لاسيما حرمان النفس من الطيبات ظلم واعتداء وهم الذين يعتدون على حقوق أنفسهم وربهم والناس ، ومن الاعتداء الذين يعملون للآخرة وينسون الدنيا ، أو يعملون للدنيا وينسون الآخرة ، ولا تعتدوا على الله في تشريعه ، فالخروج على تشريع الله وعدم الالتزام به هو اعتداء على الله (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) الذين يحرمون ما أحل الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١.

**فائدة: ١– سبب النزول** (مختصر): نزلت هذه الاية في جماعة من الصحابة غلب عليهم الخوف من الله، فحرّموا على أنفسهم النساء والطيبات وانقطعوا إلى العبادة ، فنهاهم النبي (ص) وقال لهم

فيما قال (إنَّ لأَنْفُسِكُمْ عَلَيكُمْ حَقّاً): أَمَّاْ أَنَاْ فَأَقُوْمُ وَأَنَاْمُ وَأَصُوْمُ وَأُفْطِرُ وَآتِي النِّسَاْءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِيَ فَلَيْسَ مِنِّيَ ، فَقَامَ هَؤُلاءُ فَقَالوُا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْ حَلَفْنَا عَلى ذَلِكَ فَأنزَلَ اللهُ ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾ المائدة/٨٩، روح البيان٢/٤٣١، **٢-** في الآية نهي عن الرهبانية والانعزال عن الناس ، وترك اللذائذ المشروعة المتنوعة ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَامَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**﴾ الحديد/٢٧، يُشعر بأن تحريم الحلال مثل تحليل الحرام كل منهما ظلم واعتداء وتجاوز الحدود كقوله ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ**﴾ الأعراف/٣٢.

**٨٨ - ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾**

دعوة إلى الإقبال على الحياة واستثمار طيباتها والاستفادة منها بكل وجوه النفع ، وترك الزهد فيها والعزوف عنها ، فما قام الإنسان خليفة الله على أرضه إلاّ ليعمّرها ويستخرج الكريم الطيب منها ، ثم يكون له من هذا الثمر الذي غرسه ما ينعم به هو والناس والأجيال ﴿**هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ هود/٦١ ، ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، وتدعو الآية للتمتع بكل أنواع الحلال ، لأن الحرام والحلال في الشريعة مبنيان على أساس من المصالح والمفاسد (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**) واعتدلوا في التمتع بتلك النعم ، ولا تبالغوا في طلب الرزق وقد تكفّل الله به ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ هود/٦ وهذا استدعاء إلى تقوى الله بألطف الوجوه، لأنها الميزان الذي تنضبط عليه تصرفات المؤمنين ، فيما بين أيديهم من أنواع الرزق ، وفيما حصلوه من ثمرات سعيهم، فتكون التقوى معهم ميزان دقيق : فمن وفّى ، استوفى ، فإن الإيمان بالله يرفع إلى تقوى الله ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦ ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى خَلَقَ خَلْقَهُ وَقَسَّمَ لَهُمْ أَرْزَاْقَهُمْ مِنْ حِلّهَاْ وَعَرَضَ لَهُمْ بِالْحَرَاْمِ (اختبارا) فَمَنْ اِنْتَهَكَ حَرَاْمَاً نَقَصَ لَهُ مِنَ الْحَلاَلِ بِقَدَرِ مَاْ إِنْتُهِكَ وَحُوْسِبَ عَلَيْهِ) تفسير النور٢/٣٣٩، يجب الحذر في مسائل الطعام وخاصة اللحوم والتأكد من حلالها (**حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا**) وأرزاق الجميع بيد الله تعالى واحرصوا على الحلال وتجنبوا الحرام ، والمشتبه بالحرام فمن الورع التوقف عن الشبهة ، **في الحديث** : (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبَاً) المراغي٧ص١٢.

**٨٩ - ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**

**اللَّغْو** : ما لا يترتب عليه أثر من أعمال ، يمين اللغو ما يدور على اللسان من حلف من غير قصد أي لا يؤاخذكم الله بما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقولكم لا والله ، بلى والله

**(وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ)** تعقيدها : توكيدها أي عقدّتم مبالغة في العقد ، ولكن يؤاخذكم بما وثّقتم الأيمان عليه وأكدتم الحلف عليه بالقصد والنية ثم خالفها كقوله ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ البقرة/٢٢٥ ، **(فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ)** والكفارة هي العمل الذي يستر المعصية وهي ما يغطّى به الإثم ، وجب على مخالفة الحلف المؤكّد الكفارة مخيراً بين ثلاث خصال : ١- أن يطعم عشرة مساكين بالجمع أو بالتفريق والمسكين هو الذي سكّن الضر والفقر حركته وهو الذي لا شيء لديه وهو أشدُّ من الفقير ، ٢- **(أَوْ كِسْوَتُهُمْ)** يكسو كلّ واحد منهم بثوب ما يسمى كسوة في العرف ، ٣- **(أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)** أن يعتق عبداً ولا عبيد اليوم والحمد لله.

**(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ)** عجز عن الخصال الثلاث **(فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ)** وهذا دليل على كون الكفارة تخيير له دون ترتيب بينها **(ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ)** ذلك إشارة إلى الطعام والكسوة والعتق والصوم بعد العجز عن الخصال الثلاث **(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)** من الابتذال ولا تكثروا من الحلف بلا معنى ، فإن لليمين بالله حرمتها وقدسيتها ، ولا تحلفوا إلاّ لضرورة (أو) لا تتركوا الحلف المغلّظ بغير تكفير ، فإنه واجب وعدم تنفيذه حرام **(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** كذلك يبين الله لكم الأحكام الشرعية ويوضّحها لتشكروه على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا إليه من سبيله ﴿**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٥١ ، ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾ البقرة/١٥٢ ، و(لاَ يَعْرِفُ النِّعْمَةَ إِلاَّ الشَّاْكِرُ) ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ تَحْلِفُوْا بِاللهِ صَاْدِقِيْنَ وَلاَ كَاْذِبِيْنَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فَقَاْلَ ﴿**وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ**﴾ البقرة/٢٢٤) وسائل الشيعة١١٦/١٦. **مِنْ أَوْسَطِ**: الطعام الأغلب في البيوت لا الدون الذي يتقشف به أحياناً ولا الأعلى الذي يتوسع به أحياناً أخرى. **عن الإمام الصادق** (ع): (اللّغْو: قَوْلُ الرَّجُلِ لا وَاللهِ، بَلَى وَاللهِ، وَلا يَعْقِدُ عَلى شَيءٍ) الكافي٤٤٣/٧

**٩٠ –** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾

وتقدّم الحدبث عنهما في **سورة البقرة/٢١٩ الْمَيْسِرِ** : القمار ، **الْخَمْرِ** : جميع الأشربة التي تُسكر ، والخمر ما خامر العقل وخلخل الفكر ، **عن النبي (ص)**: (الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ، وأُمُّ الْكَبَائِرِ، وأُمُّ الْفَوَاْحِشِ) كنز العمال خبر١٣١٨٢، ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ**﴾ الأعراف/٣٣ ، **عن النبي (ص)** : (لُعِنَ فِيْ الْخَمْرِ عَشَرَةٌ غَاْرِسُهَاْ وَحَاْرِسُهَاْ وَعَاْصِرُهَاْ وَشَاْرِبُهَاْ وَسَاْقِيْهَاْ وَحَاْمِلُهَاْ وَالْمَحْمُوْلُ إِلَيْهِ وَبَائِعُهَاْ وَمُشْتَرِيْهَاْ وَآكِلُ ثَمَنِهَاْ) نور الثقلين٦٧٠/١، **وعن الإمام الباقر** (ع): (مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَاْبِدِ وَثَنٍ) البحار٢٣٤/٢٧، وكل ما فعل فعل الخمر من أنواع المخدرات التي تعطّل العقل وتخرّب الرّوح فهو حرام **(وَالأَنصَابُ)** الحجارة التي كانت تنصب لذبح القرابين عليها **(وَالأَزْلامُ)** هي السهام التي كانوا يقترعون بها وهو نوع من اليانصيب **(رِجْسٌ) رِجْسٌ** : المستقذر حساً ومعنىً وهو الشيء القذر الذي تنفر منه النفوس الطاهرة **(مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)** إضافة هذه

المنكرات إلى الشيطان تجعلها منكراً إلى منكر ، نسب سبحانه شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام الحجرية أو البشرية، والاستقسام بالأزلام وما شابهها إلى الشيطان لأنه يغري بها ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ﴿**وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً**﴾ النساء/٣٨ ، ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾ المجادلة/١٩ ، **(فَاجْتَنِبُوهُ)** إتركوه ولا تقربوا إليه لتفوزوا ، وهذا نهي بعد بيان الفساد ليكون أوقع في النفس **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** رجاء أن تفوزوا بما فرض عليكم من تزكية أنفسكم وسلامة أبدانكم والتحابب فيما بينكم ، وعلى قدر الاجتناب ترجُ الفلاح.

**فائدة: دلالة تحريم الخمر**: ضمير **(فَاجْتَنِبُوهُ)** يعود إلى الرجس ، وهو أمر بالاجتناب ، والأمر يدلُّ على الوجوب خاصة مع بيان السبب ،إنّ الأمر الموجه في تحريم عبادة الأصنام هو نفسه موجّه إلى الخمر والميسر والأزلام للمساواة بينها وبين عبادة الأصنام ، **وهو دليل واضح يكفي على الحرمة** ، وإنها رجس وإنها تحريض (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) والسنة الشريفة أكدت الحرمة ، وحفظ العقل ضرورة إنسانية وحجة دينية وكل ما يخامر العقل ويغطيه دليل على الحرمة. وكانت هذه الآية آخر المراحل التدريجية في تحريم الخمر بالكامل حين فشلت النظم الأخرى في عملية إنقاذ مجتمعاتها من هذا الداء المعدي الخطير والمرير.

**فائدة: ١-** النداء للمؤمنين بأن هذا الإيمان لا يجتمع مع الخمر والميسر في قلب مؤمن ، فعليكم الالتزام بالطاعات واجتناب النواهي ، **٢-** الحكمة في تحريم الخمر بالتدريج أن الناس كانوا مغرمين بها وهي إحدى مواردهم الإقتصادية فلو حرّمت في أول الإسلام لانصرفوا عنه ، **٣- (إنّما)** تعني الحصر والتوكيد على الحرمة، والسنّة المتواترة والعقل والإجماع والأدلة الدينية أكّدت الحرمة من دون اختلاف ، وكل شيء قليله مسكر فكثيره حرام. آيات الخمر ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾ البقرة/٢١٩ ، وقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ النساء/٤٣ ، وقوله **(فَاجْتَنِبُوهُ)** الإبتعاد وعدم الاقتراب مما يكون أشدّ من مجرّد النهي عن شرب الخمر **(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** ، وقوله ﴿**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً**﴾ النحل/٦٧ ، يلمّح النّص أنّ الرزق الحسن غير الخمر ، فكان أول ما يطرق حس المسلم من وضع السكر وهو الخمر في مقابل الرزق الحسن فكأنّما الخمر شيء خسيس والرزق الحسن شيء نفيس ، فلا تجعلوا الرزق الخسيس بالخمر من الرزق الحسن النفيس ﴿**مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ**﴾ النحل/٦٦ ، كما قال ﴿**فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ النور/٦٣. **عن الإمام الصادق** (ع): (شُرْبُ الخَمْرِ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وشَارِبُ الخَمْرِ مُكَذِّبٌ بِكِتَابِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وَلَو صَدَّقَ كِتَابُ اللهِ حَرَّمَ حَرَامَهُ) البحار٧٩/١٤٠

**٩١ – ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾**

ثم يستمر السياق القرآني في كشف خطة الشيطان من وراء هذا الرجس ، ذكر أن فيها مفسدتين إحداهما دنيوية (إجتماعية) والأخرى دينية ، يريد الشيطان لكم في الخمر والقمار أن يعادي بعضكم بعضاً وتتنافر قلوبكم فيكره بعضكم بعضاً ، ويشتت أمركم بعد تأليف الله قلوبكم بالإيمان ، ويصرفكم بالسكر والانشغال بالقمار عن (**عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**) الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم (**وَعَنْ الصَّلاةِ**) التي فرضها عليكم تزكية لنفوسكم وتطهيراً لقلوبكم (**وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ**) وذكرت الصلاة بمفردها جلالة على زيادة العناية بأمرها فهي عمود الدين ثم قال (**فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**) الصيغة للاستفهام الإنكاري ومعناه الأمر أي انتهوا وهذا الزجر (**مُنتَهُونَ**) أبلغ وأرهب من صيغة (انتهوا) ، وكان ذلك غاية في البلاغة ، كأنّه قيل : قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الموانع والنواهي فهل أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا ، وهذا إنذار وتهديد ووعيد في أشدّ نهي ، **فائدة** : وحرّم الله الخمر في كلّ الشرائع السماوية ، **عن الإمام الباقر** (ع) (مختصر) : (مَاْ بَعَثَ اللهُ نَبِياً قَطُّ إِلاَّ كَاْنَ فِي تَحْرِيْمِ الْخَمْرِ) وسائل الشيعة١٧/٢٣٧، لكثرة أضراره على الفرد والمجتمع واللعب بالشطرنج وكل الألعاب التي تعتمد على المال دخلت في الميسر وكان حراماً ، إذا كان دون مال فلا وجه لتحريمه ، وإنّما فيه إضاعة الوقت بلا فائدة.

**٩٢ – ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾**

وأطيعوا أمر الله وأمر رسوله في ترك الخمر والميسر وكلّ حرام واحذروا مخالفتهما ، أَبَعْدَ كل هذا عمَّن يقول : لا نهي عن الخمر في القرآن ؟ (**فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ**) فإن أعرضتم ولم تعملوا بأمر الله ورسوله واقترفتم هذه المعاصي الكبيرة ، تأكيد فيه معنى التهديد (**فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**) فاعلموا ليس من مسؤولية رسولنا هدايتكم وإنّما عليه تبليغكم الرسالة بوضوح وإلقاء الحجة الإلهية عليكم كاملة بلا التباس ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ الغاشية/٢٥-٢٦ ، والبلاغ المبين مسؤولية كل الرسل ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ النحل/٣٥ ، وهذا من الله وعيد شديد لمن أعرض عن أمره ونهيه ﴿**فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾ يونس/١٠٨

**٩٣ – ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**

**جُنَاح** : إثم وحرج ، ليس على الذين آمنوا إيماناً صحيحاً وعملوا الصالحات ميل عن الحق مما ذاقوه من خمر وغيره من المحرمات قبل نزول آيات التحريم (**فِيمَا طَعِمُوا**) في ما إقترفوه من السيئات إذا

ما اتّقوها بإتيان التكاليف كاملة، ثم اتّقوا الله بالورع عن محارم الله ، ثم اتّقوا بتزكية أنفسهم من الذنوب من صحّ إيمانه صحّ عمله ، وفيه إطلاق الطعام **بمعنى** : بيان لسعة فضل الله على المؤمنين وأنّه وقد أحلَّ لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث ، فإنهم في سعة من أمرهم فيما يطعمون حيث لا تطلب أنفس المؤمنين إلاّ الطيب الحلال الخالص البعيد عن الشبهات من كلِّ حرام ، **في الحديث** : (دَعْ مَاْ يُرِيْبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ فمن رعى (تحرك) حول الحمى يوشك أن يقع فيه) تنبيه الخواطر ص٤٣، فكان في الطعام الطيّب ما يصرفهم عن الخبيث ، وكلُّ حرامٍ خبيث وإن كان ظاهره يغر لكن باطنه يضر ، والطعام الخبيث لا تشتهيه إلاّ النفس الخبيثة (**إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) وهذا رفع الحرج عن المؤمنين فيما يطعمون ، وفي استغنائهم عن الحرام بالحلال ، فالمؤمن إذا ما إتقى الله وعمل الصالحات ، صلحت نفسه وطابت طبيعته فلا يجد فيما حرّم الله عليه من خبائث تضييقاً عليه، فالآية تكشف عن أهمية التقوى وحقيقة الإيمان والعمل الصالح في تهذيب الطبائع وتزكية النفس بحيث لا تقبل إلاّ الطيّب وفي ذلك راحتها وسعادتها ، ولا تستشعر ضيقاً عليها في بقائها ثابتة على حدود الله في إستعمال هذا الحلال الطيب المباح لها ، وهذا هو السر في التكرير (**ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**). **لم أجد بدقة السبب في تكرار التقوى، والذي كتبته هو آخر ما توصلت إليه في فهمي للآية بقدري وليس بقدرها وهو** : جاءت كلمة التقوى ثلاث مرات في هذه الآية ذكرت أولاً مع الإيمان والعمل الصالح وثانياً مع الإيمان فقط وثالثاً مع الإحسان ، والمراد بالاتّقاء الأول اتّقاء شرب الخمر بعد تحريمها، وبالاتّقاء الثاني دوام الاتّقاء من شرب الخمر وبالاتّقاء الثالث اتّقاء جميع المعاصي (الورع عن محارم الله) وهذه هي درجة الإحسان ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾ الأنفال/٣٤ ، ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣ ، **في غرر الحكم**: (التَّقْوَى مُنْتَهَى رِضَاْ اللهِ مِنْ عِبَاْدِهِ وَحَاْجَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ).

**والتقوى**: تلك الحساسية المرهفة برقابة الله وقربه والإتصال به في كلّ لحظة من الاتّقاء ، كما أتقي النار خوفاً من حرقها كذلك أتقي المعاصي خوفاً من الله وأتمسك بالطاعات حباً لله تعالى (**الخلاصة**) : إنّ من صحّ إيمانه وصلح عمله واستقام على هدى الله ، وعمل في تفصيلات حياته حسب اجتهاده المبني على أساس منهج الله والذي يعتمد على الإيمان والتقوى والعمل الصالح حتى يرتقي إلى مقام الإحسان المتألق الجميل فتلك هي وصايا دين الله الحنيف التي يجب أن يقف عندها المؤمن ولا يتجاوزها في كل حال ، في الشكل والمضمون ، في السر والعلانية ، في الشدة والرخاء ، في السفر والحضر ، في الكبر والصغر في الضعف والقوة (**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) يحب المتقربين إليه بالأعمال الصالحة على أنواعها. **فائدة** : الإيمان والتقوى درجات ومنازل ، وجاء تكريرها إشارة إلى تلك الدرجات والمنازل ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لِلإِيْمَاْنِ حَاْلاَتٌ وَدَرَجَاْتٌ

وَطَبَقَاتٌ وَمَنَاْزِلُ : فَمِنْهُ التَّاْمُّ الْمُنْتَهِيْ تَمَاْمُهُ وَمِنْهُ النَّاْقِصُ الْبَيِّنْ نُقْصَاْنُهُ ، وَمِنْهُ الرَّاْجِحُ الزَّاْئِدُ رَجَحَاْنُهُ) الكافي٢/٣٣، **وعن الإمام الباقر** (ع): (إِنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَنَاْزِلَ مِنْهُمْ عَلَى وَاْحِدَةٍ وَمِنْهُمْ عَلَى اِثْنَيْنِ.. وَمِنْهُمْ عَلَى سَبْعٍ فَلَوْ ذَهَبْتَ تَحْمِلُ عَلَى صَاْحِبِ الْوَاْحِدَةِ ثِنْتَيْنِ لَمْ يَقْوَ، وَعَلَى صَاْحِبِ الثِنْتَيْنِ ثَلاَثٌ لَمْ يَقْوَ..) الكافي ٢/٤٥.

وعنه (ع): (**التَّقْوَى عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ** (تَقْوَى اللهِ وَهِيَ تَرْكُ الْحَلاَلِ (زهداً) فَضْلاً عَنْ الشُّبْهَةِ وَهِيَ تَقْوَى خَاْصِ الْخَاْصِ ، وَتَقْوَىً مِنَ اللهِ وَهِيَ تَرْكُ الشُّبْهَةِ فَضْلاً عَنْ الْحَرَاْمِ وَهِيَ تَقْوَى الْخَاْصِ ، وَتَقْوَى مِنْ خَوْفِ النَّاْرِ وَالْعِقَاْبِ وَهِيَ تَرْكُ الْحَرَاْمِ وَهِيَ تَقْوَى الْعَاْمِ) كنز الدقائق٣/١٨٨، **بيان ذلك**: إن أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشبه والشكوك على اختلاف مراتبها ويمكن معها الشرك الجلي أو الخفي كقوله ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ يوسف/١٠٦ ويعبّر عنها بالإسلام كقوله: ﴿**قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ الحجرات/١٤ ، والتقوى المتقدمة عليها هي **تقوى العام**. وأوسطها تصديقات لا يشوبها شك ولا شبهة كقوله ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ الحجرات/١٥ ، وأكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة كقوله : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**﴾ الأنفال/٢ ، والتقوى المتقدمة عليها هي **تقوى الخاص** وأواخرها تصديقات كذلك مع إيقان كامل ومحبة كاملة لله عز وجل كقوله: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ المائدة/٥٤، ويعبّر عنها تارة بالإحسان، **في الحديث**: (الإِحْسَاْنُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاْهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يِرَاكَ) نور الثقلين١/٥٥٣، والأخرى بالإيقان كقوله ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ البقرة/٤، والتقوى المتقدمة عليها هي **تقوى خاص الخاص** ، وإنّما قدّمت التقوى على الإيمان لأن الإيمان إنّما يتحصّل ويتقوى بالتقوى، لأنها كلما ازدادت ازداد الإيمان بحسب ازديادها، وهذا لا ينافي تقدّم أصل الإيمان على التقوى، بل لازديادها بحسب ازدياده أيضاً، لأن الدرجة المتقدمة لكل منها غير الدرجة المتأخرة **الكافي ٢١٥/٧، كنز الدقائق ١٨٨/٣، وغيرهما**. **أسباب النزول**: قال بعض الصحابة لرسول الله (ص) كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد طعموها أي شربوا الخمر، فنزلت الآية.

**٩٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**

**لَيَبْلُوَنَّكُمْ** : ليختبرنكم ، لن يتكامل الإنسان إلاّ عبر الإمتحان المتواصل ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ آل عمران/١٥٤ ، والآية تشير إلى هذا المعنى ، إذ يقرب الصيد من المحرمين بحيث تناله أيديهم ورماحهم كناية عن الصيد بلا مشقة (**لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**) **الغيب**: ما غاب عن الحواس الخمس. **المعنى** : إنّ الله ابتلاكم بتحريم الصيد في البر دون

البحر ، في حال إحرامكم بالحج أوالعمرة ، ليميز بين من يخافه ومن يطيعه في السر كما يطيعه في العلانية وبين من يتظاهر بطاعته والخوف من الله تعالى أمام الناس ويعصيه في الخفاء (**فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) من خالف أمر الله بالصيد بعد إقامة الحجة عليه استحق عذاب الله وعقابه الأليم. **فائدة** : (**لِيَعْلَمَ اللَّهُ**) معنى علم الله هنا : هو العلم المحيط بكل شيء ما كان وما سيكون ، لكنّ الله تعالى يريد أن يعاملكم معاملة المختبر ، يريد أن يعلم الشيء على أرض الواقع وإن كان هو عالماً به قبل وقوعه ، تربية لكم وتزكية لنفوسكم وتطهيراً لها ، يقال : فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَارِهِ مِكَارِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاْتِ خبرات ورَاحَاْتٌ، وَفِيْ الْمُعَاْنَاْةِ هِبَاْةٌ، وَالْبَلاءُ بِدَاْيَاْتٌ نِهَاْيَاْتُهُ الْكَرَاْمَاْتُ ، **عن الإمام العسكري** (ع) : (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إِلاَّ وَللهِ فيها نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَاْ !) البحار٧٨/٣٧٤.

**٩٥** – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

لا تقتلوا الصيد وأنتم مُحرِمُون بحج أو عمرة (**وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ**) من قتل الصيد في حالة الإحرام فعليه جزاء يماثل ما قتل من النعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا شيء على الناسي والمخطئ فهو غير متعمد (**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**) يحكم بالمثل حكمان عادلان من المسلمين (**هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ**) تذبح الفدية هدياً يهدى في سبيل الله تعالى ، يصل إلى الكعبة ويذبح في جوارها حيث تؤدى المناسك ويفرّق لحمه على المساكين (**أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ**) **كَفَّارَةٌ** : هي ما يتكلفه الإنسان من أعمال البر لمحو ذنبٍ إرتكبهُ ، إنّ الصائد مخير بين أن يذبح مثل الصيد وبين أن يقوّم مثله بدراهم يشتري بها طعاماً للمساكين (**أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**) **عَدْلُ ذَلِكَ** : ما ساواهُ ، **وَبَالَ أَمْرِهِ** : عاقبة فعله السَّيء ، يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً واحداً ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام. **فائدة** : كان الصيد في صدر الإسلام من مقومات الحياة والمعاش ومستعملاً عند العرب بكثرة ، فاقتضى البيان المفصّل ، أمّا الآن فالناس في غنى عن صيد البَر إلاّ للهو، والحاج يذهب إلى الحرم الشريف عابداً لا لاهياً (**عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ**) **عَمَّا سَلَفَ** : عما مضى، من قتل الصيد قبل التحريم (**وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ**) وَمَنْ عَادَ إلى قتل الصيد وهو محرم فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ فهو ينكل به ويبالغ في عقوبته في الآخرة (**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ**) وَاللَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، منتقم ممن عصاه وتعدى حدوده وأصرّ على الذنب.

**٩٦ – ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**

أحل لكم أيها الناس صيد البحر محرمين أو غير محرمين (**وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ**) ويحل صيده وأكله إداماً للحاضرين (**وَلِلسَّيَّارَةِ**) أي المسافرين غير المحرمين والمسافرين (**وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً**) وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) للجزاء ، فالتقوى يجب أن تلازم كل الأعمال ، (فَمَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاهُ) في دنياه وآخرته ، أي استعينوا على تقوى الله بعلمكم وإيمانكم إنكم إليه تحشرون.

**٩٧ – ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**

**الْكَعْبَةَ** : البيت المكعب أي المربع ، والكعبة اسمٌ للبيت الحرام ، البيت الشريف الرفيع المنزلة ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً**﴾ البقرة/١٢٥ ، **مَثَابَةً** : مرجعاً تتعلق به القلوب والأرواح والأجساد والوجوه ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ آل عمران/٩٦ ، **القيام** : ما يقوّم به نظام الناس وإصلاحهم واستقامتهم، **المعنى** : جعل الله الكعبة المشرفة صلاحاً ومعاشاً وأساساً للناس لقيام أمر دينهم ودنياهم ، ومحلاً للعبادة ، وعماداً وسنداً للناس يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ، ويدبر الناس أمرهم لتقارب قلوبهم فيعضد بعضهم بعضاً (**وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ**) أي الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب قياماً لهم لأمنهم القتال فيها (**وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ**) الأضاحي من الهدي ، **وَالْهَدْي** ما يهدى إلى الكعبة من الأنعام توسعةً على الفقراء ليس فيها علامة، **وَالْقَلائِدَ**: الهدي وهي الأنعام التي وضعت في عنقها علامة تدل على أنها للكعبة جعلها الله أيضاً قياماً للناس (**ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) بيّن الله سبحانه حلاله وحرامه ما صغر منه وما كبر حتى (**الْقَلائِدَ**) ليكون الناس على علم اليقين بأن ما من شيء إلاّ وفيه كتاب وسنة ، كيلا يترك مجالاً لأي إنسان أن يفتي برأيه ويحكم بغير ما أنزل الله كقوله ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ البقرة/٢٣٥. **فائدة** : لم يكتف الإسلام أن تقوم العبادات على الجانب المعنوي وإنّما جعل هذه حرمات الحج عبادة حسية التي نصبها الله لأعين المؤمنين ، وهي تدريب لهم على التعرّف على عالم الغيب والإيمان بالله والاستقامة على نهجه مما يمنحها التهذيب النفسي والتحليق الروحي الشفاف الذي له آفاق بعيدة مطلوبة لإعداد النفس للجزاء الأكيد في يوم القيامة.

**٩٨ – ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

قرن الله تعالى العذاب بالرحمة والمغفرة ليكون العبد خائفاً من نقمته راجياً لرحمته فيعيش التوازن بين الخوف والرجاء وبين الترغيب والترهيب لأنه إذا خاف ابتعد عن المعصية وإذا رجا الرحمة اجتهد في الطاعة ﴿**يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ الزمر/٩ ، **في غرر الحكم:** (خَيْرُ الأَعْمَاْلِ إِعْتِدَاْلُ الرَّجَاْءِ وَالخَوْفِ). **فائدة** : وقدّم عقاب الله على مغفرته ، لأنّ ذلك في مواجهة حدود أقامها الله لصالح الناس ، وحذّر من مجاوزتها والاعتداء عليها ، فناسب أن يجيء العقاب أولاً لمن اعتدى على هذه الحدود ثم تجيء الرحمة والمغفرة لمن أثم وأذنب ثم تاب واستغفر.

**٩٩ – ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾**

ليس على الرسول مسؤولية إلاّ أداء الرسالة بوضوح وإلقاء الحجة الإلهية بلا إلتباس ، ولا يطلب من الرسول أكثر من البلاغ وتبليغ الشريعة وبعد البلاغ ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨ ، ولا عذر بعد البلاغ المبين لمن أهمل أو استهتر ، وهكذا مسؤولية كل الرسل ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ النحل/٣٥ ، ويبقى أن يتحمل الإنسان الفرد والمجتمع مسؤولية العمل والتطور الحضاري في كل جيل ضمن منهج الله تعالى (**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**) لا يخفى على الله شيء من أحوالكم وأعمالكم وسيجازيكم عليها بما تستحقون بالعدل ، إنه تهديد إذ أخبر الله تعالى أنّه مطّلع على حال كلّ فردٍ بالتفصيل ظاهراً وباطناً فهو مجازيه على ذلك ثواباً أو عقاباً ، وإنّ الله يمهل ولا يهمل الذين يتاجرون باسم الدين وهم من أهل الدنيا ، **عن الرضا** (ع) : (لاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ وَرَعَ لَهُ) البحار٧٥/٣٩٣، **في غرر الحكم:** (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ !).

**١٠٠ – ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**

**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ** : إنهما لا يستويان لا في أنفسهما ولا عند الله ولا عند الناس إنّه ميزان يزن به المسلم ويحكم ، إنّه مقياس تربوي وقانوني وقرآني عالي المضامين في كلّ شيء أن القليل من الحلال خير من كثيرٍ من الحرام في كلّ شيء ، على الإنسان المسلم أن يشخّص الخبيث من الطيب بفطرته وورعه وإتباعاً لدينه ، حينئذٍ يتبع الطيبات في كل شيء قولاً وعملاً ويرفض الخبائث وإن كثرت وإن طليت بالطيب في أيّ وقتٍ وفي أيّ مكان وبأيّة صورة ، **في نهج البلاغة خطبة٢٠١**: (أَيُّهَاْ النَّاْسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوْاْ طَرِيْقَ الْهُدَىْ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ) ، **عن الإمام الكاظم** (ع) : (أَبْلِغْ خَيْرًا وَلاَ تَكُنْ إِمَّعَةً ، قُلْتُ وما الإمّعَةُ ؟ قَاْلَ (ع) لاَ تَقُلْ أَنَاْ مَعَ النَّاْسِ وَأَنَاْ كَوَاْحِدٍ مِنَ النَّاْسِ ، إِنَّ رَسُوْلَ الله (ص) قَاْلَ إِنَّمَاْ هُمَاْ نَجْدَاْنِ نَجْدُ خَيْرٍ (طريق خير) وَنَجْدُ شَرٍ (طريق شر) فَلاَ يَكُنْ نَجْدُ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ نَجْدِ الخَيْرِ) البحار٢/٨٣ ولكن شعار العوام (حشرٌ مع الناس عيد) يعارضه القرآن ، **والخبيث** : معنى عام يشمل كل ما نهى الله عنه من قول أو فعل ، **والخبيث من الناس** كلّ من

أصرّ على عصيان حكم من أحكام الله وعدم مراعاة الحلال والحرام ﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾ البينة/٦ ، **والطيب** : معنى عام يشمل كل ما لم يرد فيه نهي ، بل فيه ترغيب لكل نافع حلال فهو طيّب قولاً أو فعلاً ، **والطيّب من الناس** كل من أطاع الله واتّقاه واستقام على نهجه في كل شؤون حياته ، والإنسان الطيب هو الملتزم بدين الله ويسارع إلى الخيرات ، ويكون عمله الطيب كقوله الطيب وأخلاقه طيبة كقوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ البينة/٧ ، **كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** ما يملكه من مال وجاه ، فإن المال والجاه لا يجعلان من الخبيث طيباً ، ولا الفقر والاستضعاف يجعلان الطيب خبيثاً.

**فالطيب** وإن بدا قليلاً في كميته فهو كثير في كيفيته وتأثيره ، والطيب نبتة من نبات الحق يزكو مع الزمن ويقوى بأهله مع الأيام ، إنّه كقوله : ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾ إبراهيم/٢٤-٢٥ ، **والخبيث** وإن زها وإزدهر فهو كثير كميته ، ضئيل في قدره مكروه في طبعه ، ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر وعواقبه وخيمة والأمور متعلقة بالخواتيم ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾ إبراهيم/٢٦، وهكذا **الطيب والخبيث في كل شيء** ومن كل شيء ، في الناس (أمم وجماعات وأشخاص) وفي الأقوال والأفعال وفي الطبائع والأخلاق والعادات وفي الأعراف والتقاليد وفي الأطعمة والأشربة وفي المكاسب والأموال والحلال والحرام ، وفي الحيوان والنبات والجماد ، وفي المعاني والمحسوسات ، وفي العالم المادي والمعنوي ، وفي أنواع التربية والتعليم.

**فالخبيث** من هذا كله لا يفلح ولا تحسن له خاتمة وإن كثر وانتشر مؤقتاً ، **والطيب** : من هذا كله – وإن قلّ – نافع حي مرغوب فيه جميل العاقبة ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**﴾ الأعراف/٥٨ ، **(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** دعوة إلى أصحاب العقول الواعية والآراء الشافية أن يستفيدوا من عقولهم وينطلقوا في الحياة على أساس التقوى (فمن اتّقى الله وقاه) **التقوى** : موافقة الله في أمره ونهيه ، وهي الدعوة التي يحالفها النجاح ، ولا تحصل التقوى إلاّ بالعمل الطيب ، ولا يهتدي إلى الطيب ولا يعمل له ويتعامل معه إلاّ أصحاب العقول الطيبة والنفوس السليمة الذين احترموا عقولهم وعلومهم ، واستقاموا وطاب سلوكهم مع شدة المعاناة وكثرة الانحرافات والخبائث من حولهم ، فإن في الاستقامة الطيبة الكرامة والسلامة بلا أية ملامة ولا ندامة.

**فائدة: ١–** وهناك كثرة إتّباع الخبيث تجعل الأكثرية ذلك الخبيث المطلي بالطيب في مصاف الطيّب، فيشتبه على أكثر الناس الخبيث والطيّب ، إنّ هذا الإنسان خبيث متستر بالطيب والذي يتظاهر بالصلاح لا يمكن معرفته وتأييده وإتباعه والثقة به على أساس الظاهر والشكل والإدّعاء

بالأقوال ولا كثرة المؤيدين، وإنّما معرفته من صدق الحديث واستقامة القول والعمل وأداء الأمانة وحسن السيرة والأخلاق ، **عن النبي (ص)**: (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥، لذلك كان **تقديم الخبيث على الطيب في الآية** لتنبيه الناس أن كثرة الخبيث وإن طلي بالطيب ليس بديلاً على صحة الطيب ، فإن أصحاب العقول والإيمان يميزون الخبيث وإن أيدته الأكثرية ، لذلك القرآن واجه الأكثرية التي تتبع الإتباع الأعمى ولا تفكر ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ**﴾ البقرة/١٦٦ ، وقوله ﴿**أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف/١٨٧. **٢- وهذا دليل على فشل الديمقراطية التي تعتمد على أصوات الأكثرية** وإن كانت خبيثة ، ويقولون هذا أفضل من النظام الدكتاتوري ، فإن العبرة أن نفرّق بين الجيد والرديء وليس بين القلة والكثرة ، أمّا المقياس القرآني يجعل الديمقراطية في ميزان الخبيث والطيب والحق والباطل تتمثل في المضمون وليس في الشكل ، في الكيفية وليس بالكمية ، تتمثل في العناصر الكامنة في ضمير الإنسان ودافعه وقناعته وعلمه وأهدافه على مستوى الأفعال قبل الأقوال **في غرر الحكم**: (لِسَانُ الْحَالِ أَصْدَقُ مِنْ الْمَقَالِ) على مستوى كبر الطموحات وكثرة الخبرات وتعدد التجارب والإختصاصات **إذن يتألق القرآن عندما يقول ما معناه**: القيادة للطيب وكفاءاته وإن قلت أصواته ، وليست القيمة والقيادة للديمقراطية التي تشتري أصوات الأكثرية بالمال ، فيتقدّم الخبيث على الطيب (**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**) فإنّ قليل طيب خير وأحب إلى الله وأنفع إلى الناس من كثير الخبيث.

**٣-** العقل حين يتخلص من دوافع الهوى ومداخل الشيطان ويعتمد التقوى ورقابة الله عليه، عندئذٍ يختار الطيّب على الخبيث ويستطيع أن يفرز الطيب المتداخل مع الخبيث المطلي بالعسل والقرآن يقول لهؤلاء ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِي ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ الزمر/١٧-١٨ ، وهذا هو الإسلام في مبادئه وشريعته يدعو إلى الوسطية والاعتدال ، لا يمين ولا يسار ،، ولا شيوعية ولا رأسمالية ، وإنّما الإتباع الأحسن ، والأحسن يختار الأحسن لحياة الفرد والمجتمع في دنياه وآخرته **عن النبي (ص)** : (الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ (أي قصده) أَنَّى وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) البحار٢/٩٩، كالمريض يعالج داءه بدواء جيّد من أي منشأ كان وهكذا رسالة نبي الإسلام كقوله ﴿**يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ الأعراف/١٥٧.

**١٠١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**

السؤال عنوان عقل السائل ومقدار وعيه ، وحسن السؤال من حُسن العقل ، تحذّر الآية من سؤال ضرره عليك أكثر من نفعه ، **المعنى** : تربية قرآنية نموذجية للمؤمنين أن لا يسألوا عن أمور لا حاجة لهم بها ، إن ظهرت لهم ساءتهم ، كأن يسألون عن أشياء فضولية لا صلة لها بحياتهم ، شاقة عليهم إن كلفهم إياها تغمهم ويندموا على السؤال عنها ، ربما كان ذلك نتيجة وسوسة الشيطان ، كالسؤال عن يوم موت الإنسان ، وعن حال آبائهم في الجنة أو النار ، وعن الأرزاق والحوادث والفتن والأسرار العسكرية وعن عيوب الآخرين وغيرها ، فنظام الله جارٍ في الكون والكائنات على إبداء أشياء وإخفاء أشياء لحكمة لا يعلمها إلاّ خالقها ولم يتعرض لبيانها تخفيفاً وتسهيلاً عليكم ، وإنّ إظهار ما خفي وإخفاء ما ظهر يسبب إختلال هذا النظام **(وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ)** وإن تسألوا عن هذه الأسئلة الصعبة في زمان نزول القرآن واقتضى الشرح توضّح لكم الأمر **(عَفَا اللَّهُ عَنْهَا)** عفا الله عن مسائلكم الفضولية التي لا ضرورة لها فلا تعودوا إلى مثلها **(وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)** واسع المغفرة عظيم الفضل وكثير الحلم. من الضرورة تصنيف الأخبار والمعلومات وتبويبها ، **روي** : أنّ جابراً الجعفي كان يحفظ الآف الروايات عن الإمام الباقر (ع) ولكن لم يؤذن له بنقل بعضها لجميع الناس ، **وعن النبي (ص)** : (يَاْ أَيُّهَا النَّاْسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحِجُّوْا ، فَقَاْلَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَاْمٍ يَاْ رَسُوْلَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ (ص) حَتَّى قَاْلَهَاْ ثَلاثاً ، فَقَاْلَ (ص) لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمَاْ اِسْتَطَعْتُمْ ، ثُمَّ قَاْلَ ذَرُوْنِي وَمَاْ تَرَكْتُكُمْ فنزلت الآية **(لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)**) المراغي٧/٤١، **في نهج البلاغة حكم١٠٥:** (إِنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَاْئِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوْهَاْ ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوْداً فَلاَ تَعْتَدُوْهَاْ وَنَهَى عَنْ أَشْيَاْءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوْهَاْ ، سَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاْءَ وَلَمْ يَدَعْهَاْ نِسْيَاْنَاً فَلاَ تَتَكَلَّفُوْهَاْ).

**١٠٢ –** ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾

سأل أمثال هذه المسائل الفضولية قوم قبلكم سؤال تعنت لا استرشاد فلما أعطوها وفرضت عليهم كفروا بها ولهذا قال **(ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ)** صاروا بتركهم العمل بها كافرين. **فائدة : ١– قواعد الكلام الصحيح** : أن يكون الكلام المناسب /في وقته المناسب/ في مكانه المناسب / للإنسان المناسب/ بالأسلوب المناسب / بمعنى (لِكُلِّ مَقَاْمٍ مَقَاْلٍ) (وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ يُعْلَمُ يُقَاْلُ) (وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ يُقَاْلُ جَاْءَ أَوَاْنُهُ) (وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ جَاْءَ أَوَاْنُهُ جَاْءَ أَهْلُهُ) **وفي الحديث** : (إِنَّ اللهَ اِفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَاْئِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوْهَاْ.. وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاْءَ رَحْمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَاْنٍ فَلاَ تَسْأَلُوْاْ عَنْهَاْ) المراغي٧/٤٢، **وعن الإمام الباقر** (ع): (إن رسول الله (ص) : نَهَى عَنْ الْقِيْلِ وَالْقَاْلِ وَفَسَاْدِ الْمَاْلِ وَكَثْرَةِ السُّؤَاْلِ) نور الثقلين١/٦٨٣ الفضولي الذي لا فائدة فيه ، وليس كلّ سؤال كقوله : **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾** هود/٤٧ ، **وعن قصة بني إسرائيل وذبح البقرة** : جاء الأمر بذبح البقرة بلا شروط (أدنى بقرة) ولكنهم لما شدّدوا على أنفسهم بالسؤال شدّد الله عليهم ، ولو تركوا

السؤال الفضولي التافه الذي يشوش أفكار الناس وضرره أكثر من نفعه ، ليسروا على أنفسهم ، ويحث الإسلام على السؤال الجليل المفيد المناسب فهو مفتاح العلم ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ النحل/٤٣ .

**عن النبي (ص)**: (الْعِلْمُ خَزَائِنٌ وَمِفْتَاحُهُ السُّؤَالُ فَإِسْأَلُواْ يَرْحَمْكُمُ اللهُ فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ فِيهِ أَرْبَعَةٌ : السَّائِلُ ، وَالْمُتَكَلِّمُ، وَالْمُسْتَمِعُ ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ) كنز العمال خبر٢٨٦٦٢، وينهى عن السؤال الفضولي المتعنت الذي لا ينفعه إذا علمه بل يضره كقوله عن بني إسرائيل ﴿**فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ النساء/١٥٣. ومعنى (**عَفَا اللَّهُ عَنْهَا**) أشياء نهيتكم عن السؤال عنها لأنها مما عفا الله عنها بسكوته في كتابه وعدم تكليفكم إيّاها فاسكتوا عنها أيضاً. **في الحديث** : (مَاْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإجْتَنِبُوُهُ وَمَاْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوْاْ مِنْهُ مَاْ اِسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَاْ أَهْلَكَ مَنْ كَاْنَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ مَسَاْئِلِهِمْ وَإِخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَاْئِهِمْ) نور الثقلين١/٦٨٢.

**١٠٣** – ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾

**البحيرة** : الناقة تلد خمسة أبطن ، **والسائبة** : المنذورة للآلهة فهي تسيب لحالها ، **والوصيلة** : الشاة تصل أخاها لو ولدا معاً فلا يذبح للآلهة ، **والحامي** : الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن ، كان أهل الجاهلية يحرمون هذه الأنواع من الأنعام وبالتالي إهدارهم للثروة الحيوانية نتيجة جهلهم ، فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادات كلها فلا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وأيضاً أبطل الإسلام كل الأساطير التي تتحكم في المجتمع (**وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**) ولكن الذين كفروا بالله يختلقون الكذب على الله وينسبون التحريم إليه ويقولون الله أمرنا بهذا وأكثرهم لا يعقلون أن هذا افتراء ، لأنهم يقلدون فيه الآباء بالإتباع الأعمى ، **فائدة** : هذه العادات ذهبت مع زمانها ولا جدوى وراء التطويل والتحليل.

**١٠٤** – ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾

وإذا قيل لهؤلاء الضالين تعالوا إلى حكم الله ورسوله فيما حللتم وحرمتم (**قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) يكفينا دين وتقاليد آبائنا إن دين الحق عندهم هو دين الآباء والأجداد لا دين العقل والوحي والفطرة والبحث نحو الأحسن. والذي يتّبع الأحسن هو الأحسن (**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**) سؤال إنكاري عميق المغزى إذ تسألهم : هل كانوا سيقلدون آباءهم لو علموا بجهلهم وضلالهم ؟ والجواب كلا ، حتى يندفعوا لإعادة النظر في عاداتهم وتقاليدهم المنحرفة ، وإعمال العقول الناضجة فيها لأن تقليد الجاهل للجاهل مرفوض عقلاً ومذموم شرعاً، لأنه يجعل الإنسان مجمداً يرفض التقدّم المستقيم والتطلّع نحو الأحسن. **عن الإمام علي (ع)** (إنه لَيْسَ لِهَالِكٍ

هَلَكَ مَنْ يَعْذِرُهُ فِي تَعَمُّدِ ضَلالَةٍ حَسِبَهَا هُدًى، وَلا تَرْكِ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلالَةً) بحار الأنوار٥/٣٠٥
**فائدة:** في الآية دلالة على فساد التقليد الأعمى وإنه لا يجوز العمل في شيء من أمور الدين إلاّ بحجة ، وهذا يدفع إلى فريضة العلم والتعلم على كلّ إنسان، **عن الإمام علي** (ع): (الْعِلْمُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ) البحار١/١٦٨، **ضالة:** قصده. **(لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)** نفى الله سبحانه وتعالى عنهم الاهتداء والعلم والفرق بينهما الاهتداء يكون بالاستقامة بالحجة والبرهان ، والعلم يكون بقوة البيان ، والعلم النافع أفضل هداية وأسلوب حماية كقوله ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢ ، فتكون التقوى وقوة الهداية صمام أمان للعلم ألاّ يتجاوز حدوده.

**١٠٥ – ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

دعوة قرآنية للمؤمنين أن يلتفتوا إلى صلاح أنفسهم أولاً وأن يعملوا على تحصينها من أمواج الفساد ومسارب الضلال وتزويدها بالتقوى في كل الأحوال ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ البقرة/١٩٧، ولاسيما في حال الظروف الشديدة وحالة الضلال والشر يعم ويغطّي على الهدى والخير، فاحفظوا أنفسكم من السقوط في الفساد والانزلاق مع التيار الجارف نحو الشر وإلزموا إصلاحها ولا تضعوها على غير موضعها المناسب لها **(لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)** لا يضركم ضلال من ضلّ من الناس إذا كنتم مهتدين ، وليس معنى ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ لا هداية من دون ذلك ولاسيما إذا لم تتوفر شروط الأمر والنهي أو لم يصل إلى نتيجة مطلوبة أو يؤدي بالواعظ المرشد إلى التهلكة، حينذاك مامن مسؤولية عليكم سوى حفظ أنفسكم وهدايتها ، وأيضاً صيانة المجتمع من المعاصي والفساد بفرضية الأمر بالمعروف والنهي هو من أمثلة **(عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ)** عَلَيْكُمْ حفظ استقامة أَنفُسَكُمْ فاشتغلوا بتزكيتها﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ الشمس/٩-١٠ ، **(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً)** لا عذر لمن قصّر وأهمل وضلّ ما دامت العودة إلى الله مؤكدة **(فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** فيكون الجزاء من نوع العمل. **فائدة:**
**١– في نهج البلاغة حكم٨١:** (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ)، وقيمته بمقدار خبرته ونوع تجربته ومؤهلاته ، وأن يتقن عمله فينال أمله ، فواجب على كلّ مواطن أن يقوم بتقدم شعبه مخلصاً له ، مثل على الجندي أن يدافع عن بلده ويحرص على نظامه، على المعلم أن يعلم الصحيح ويرغّب الطلاّب في العلم.. وهكذا بقية الإختصاصات كل إنسان يؤخذ بعمله ولا يؤاخذ بذنب غيره ﴿**مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ الإسراء/١٥ **٢– عن النبي (ص)** في الآية : (ائْتَمِرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِذَاْ رَأَيْتَ دُنْيَاْ مُؤْثَرَةً وَشُحّاً مُطَاْعَاً وَهَوىً مُتَّبَعاً وَإِعْجَاْبُ كُلِّ ذِيْ رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ (خاصة) نَفْسِكَ وَذَرْ عَوَاْمَّهُمْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاْماً ، الصَّاْبِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَاْبِضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَاْمِلُ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِيْنَ رَجُلاً يَعْمَلُوْنَ كَعَمَلِكُمْ) المراغي٧/٤٦. **٣–** يا أيها المؤمنون أنتم وحدة موّحدة متّحدة ، وإنكم أمة

واحدة متضامنة متكافلة لها صفات نموذجية تميزها عمن سواها ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ الحجرات/١٠، فعليكم أنفسكم فإنكم بعضكم أولياء بعض ، إنّ هذه الآية تقرر مبادئ أساسية في علاقة الأمة الإسلامية ببعضها وعلاقة أفرادهم ببعضهم وعلاقتها بالأمم الأخرى ليكونوا قدوة لغيرهم ، ومن اشتغل بغير ذلك فقد اشتغل في المهم وضيّع الأهم. **٤- (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ)** حذار من البحث عن عيوب الآخرين وينسى عيوب نفسه في **غرر الحكم**: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَانَ لِغَيْرِهِ أَعْرَفْ ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعرِفَ رَبَّهُ) ، **عن النبي (ص)**: (طُوُبَى لِمَنْ مَنَعَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ إِخْوَانِهِ) البحار٧٧/١٢٦.

**١٠٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾**

يا أيها المؤمنون إذا شارف أحدكم على الموت وظهرت علائمه فينبغي أن يُشهد على وصيته **(اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ)** يُشهد على الوصية شخصين عدلين (مستقيمين) من المسلمين أو اثنان من غير المسلمين إن لم تجدوا شاهدين منكم **(إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ)** إن أنتم سافرتم فقاربكم الأجل ونزل بكم الموت ، ولا حاجة في الحَضَرْ إلى الاستشهاد بشهيدين من غير المسلمين بخلاف حالة السفر حيث يضطر الإنسان إلى الانتفاع من غير المسلم بشهادة أو غيرها ، ويراد بغير المسلمين الثقاة من أهل الكتاب **(تَحْبِسُونَهُمَا)** في حالة الشك والريب فواجبكم تجاه الشاهدين توقفوهما (تعدوهما للشهادة) **(مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ)** بعد أيّ صلاة في وقت اجتماع الناس ، يحلفان بالله إن شككتم وارتبتم في شهادتهما إنهما ما خانا ولا كتما حقاً ولا أخذا رشوة وإنّما تكلّما بالحق عندئذٍ تقبل شهادتهما **(لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)** يحلفان بالله قائلين : لا نخون بشهادتنا أحداً ولا نستبدل بالقسم بالله عرضاً من الدنيا ، أي لا نحلف بالله كاذبين من أجل المال ولو كان من نُقسم له قريباً لنا كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾ النساء/١٣٥ **(وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنْ الآثِمِينَ)** ولا نكتم الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها إنّا إن فعلنا ذلك كنّا من الآثمين المستحقين للعقوبة ، أمّا الشاهد الأمين المعروف بالثقة فلا يمين عليه لقوله تعالى **(إِنْ ارْتَبْتُمْ)**. **فائدة : ١-** الآية تؤكد الوصية والإشهاد عليها في حال إحتمال الشك والتردد من الورثة. **٢-** أصل الوصية مستحبة مؤكدة ، ولا تجب إلاّ على من كان عليه حقوق لله أو للناس وخاف ضياعها من بعده. **٣-** تدل الآية على أهمية الوصية وعلو شأنها وتأكد أمرها وعدم التهاون فيها لحفظ الحقوق بين الناس. **٤-** كلُّ ما

يملكه الإنسان المسلم لا يحصل منه نفعاً بعد موته إلاّ ثلث ماله تكريماً له ، ويذهب الثلثان إلى الورثة ، فإذا لم يكتب المسلم وصية مستوفية الشروط تُثَبِّتُ حقه في الحياة فسوف يذهب حقه من الثلث أيضاً بعد وفاته، سواء من الناحية الشرعية أو القانوينة، لذلك أصبح من الضروري جداً أن يكتب كلَّ مسلم وصية يعدُّها على الحق في حياته قبل ظهور علامات موته ، وبغض النظر عن مقدار عمره ، وصيّة مصدّقة من كاتب عدل مع شاهدين عدلين حتى تكون الوصية قانونية ، والوصية الرسمية و(**الشرعية**) من نظام التكافل في الإسلام ، فلا تخص الجانب الذاتي والشخصي والأخلاقي للإنسان وإنّما تتسع إلى حمل همّ الرسالة والأمة والأسرة والسعي الجاد في خدمتها كقوله تعالى ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ الصافات/٢٤ ، **عن النبي (ص)** : (أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) صحيح مسلم٣/١٤٥٩. **٥- (مُصِيبَةُ الْمَوْتِ)** الموت الذي يقع في السفر والغربة هو محنة أكبر من مرارة الموت لما يبعث من حسرة مضاعفة حيث لم يشهده أهله معاناته عند الموت ولم يؤدّوا ما يجب للميت على الحي ، ومن هنا جاء التعبير عن الموت بالمصيبة الذي هو في واقع الموت حق طبيعي ، في غير تلك الحالة الغريبة التي وقع فيها.

**١٠٧ - ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾**

**عُثِرَ** : ظهر ، فإن اطّلع بعد حلفهما ودلّت الدلائل على خيانتهما أو كذبهما في الشهادة ، ومع ذلك بقيا مصرين على صدقهما (**فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيَانِ**) أي اثنان من أولياء الميت المستحقين للتركة يقومان مقام الشاهدين الخائنين وليكونا من أولى من يستحق الميراث (**فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا**) يحلفان بالله لشهادتنا أصدق وأولى بالسماع والاعتبار من شهادتهما لأنهما خانا (**وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**) وما تجاوزنا الحق والصدق فيما قلنا فيهما من الخيانة ، إنّا إذا كذبنا عليهم نكون من الظالمين لأنفسنا والمفترين على غيرنا.

**١٠٨ - ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**

ذلك الحكم أقرب أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها من غير تغيير (**أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ**) أي يخافون أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحون أو أقرب إلى أن يخافوا أن ترد اليمين على الورثة المدّعين بعد إيمانهم سيحلف الورثة على كذبهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا**) أي خافوا ربكم وأطيعوا أمره فإن (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاْهُ) (**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ**

**الْفَاسِقِينَ)** والله لا يهدي الخارجين عن طاعته وشريعته فهم في ضلال دائم ﴿**وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ الرعد/٣٥.

**١٠٩ –** ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**﴾

إذكروا أيها الناس ذلك اليوم الرهيب الحاسم يوم القيامة حين يجمع الله الرسل والخلائق للحساب والجزاء ثم يجابه كلُّ أمة وكلُّ قومٍ برسولهم ، أراد بالسؤال أن يلقي الحجة على عباده ويمهد للحكم والحساب (**فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ**) ما الذي أجابتكم به أممكم ؟ وما الذي ردّ عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى الرسالة والاستقامة ؟ (**قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا**) علمنا قاصرٌ إلى جانب علمك المطلق ، فحق العلم لا يوجد إلاّ من عند الله تعالى لأن العلم كله لله تعالى ، والسرُّ في ذلك ان علم الإنسان إنّما ينشأ من طلبه وحبه للعلم وكلاهما من الغيب ، فلا يتعلق العلم بحقيقته إلاّ بالغيب كله كقوله ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ الأنعام/٥٩ ، (**إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) عَلاَّم** : صيغة مبالغة من العلم المستوعب لكل علم ظاهراً وباطناً حيث لا مبالغة في علم الله لأنّه يعلم حق العلم وحقيقته وكماله ، **والْغُيُوب** جمع غيب وإنّما جمع باعتبار أنواعه وأصنافه ، وعالم الغيب عند الله كعالم الشهادة والحضور عنده سبحانه شيء واحد واقع تحت علمه ، أمّا بالنسبة للرسل وغيرهم فهو غيب وغيوب، **يستفاد من هذه الآية** أنّ علم الغيب مختصٌ بذات الله ولكنه يُعلِّمُهُ لمن يشاء بالقدر الذي يشاء ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ الجن/٢٦-٢٧.

**١١٠ –** ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾

تقدّم في سورة **آل عمران** / الآية ٤٩ ، يذكِّر الله تعالى ما منَّ به على عبده ورسوله عيسى بن مريم (ع) بما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات من ولادته من غير أب ، وجعله الله آية قاطعة على كمال قدرة الله ، وعلى والدتك حيث جعلتك برهاناً على براءتها مما اتهمها اليهود الضالون من الفاحشة (**إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ**) حين قويتك بجبرائيل (ع) (**تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ**) تكلّم الناس بكلام الله وأنت في المهد حال الطفولة قبل وقت الكلام (**تُكَلِّمُ النَّاسَ**) كلاماً إعجازياً تنزيهاً لأمك من كلِّ شبهة (**وَكَهْلاً**) أي أن كلام السيد المسيح (ع) طفلاً يضاهي كلامه كهلاً فهو مسدَّد ومؤيد في كلِّ الأحوال **والكهولة** : من سن ٣٤-٥١ ، وما قبلها شباب وما بعد الكهولة الشيخوخة ومن غير تفاوت في الحالتين ، تبتدأ بالكلام المعجز وتنتهي بالكلام المعجز

مع كمال العقل لبيان رحمة الله وقدرته (**وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**) وتذكّر إذ علمتك دفعة واحدة بلا تدرّج عن طريق الإلهام كتب الله المنزلة الكمالية على الأنبياء السابقين ، وإذ علّمتك الخط والكتابة وعلوم الشريعة في الكتب السابقة كالتوراة ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه الذين تحاج بهما اليهود.

**والحكمة** : هي معرفة أسرار منهج الله وأهدافه وهي نور في القلب ويظهر على اللسان واستقامة في القول والعمل والحكمة تؤدي إلى العصمة، **في غرر الحكم**: (لاَ حِكْمَةَ إِلاَّ بِعِصْمَةٍ) ، (**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي**) وإذكر أيضاً حين كنت تأخذ الطين وتعمله كصورة الطير بإذني وأمري (**فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي**) فتنفخ في تلك الصورة فتصبح طيراً بإذني وبأمري (**وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي**) (**الأَكْمَه**) الذي يولد أعمى تشفي الأعمى الذي لا يبصر والأبرص الذي استعصى شفاؤه بإذني وبأمري (**وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**) تحيي الموتى بإذني وأمري وأخرجهم من قبورهم حتى يشاهدهم الناس أحياء.

**وكرر لفظ** (**بِإِذْنِي**) أربع مرات مع كلّ معجزة دفعاً لشبهة الشرك والغلو ورداً على من نسب الربوبية إلى عيسى ، ولبيان أن تلك الخوارق من الله وحده أظهرها على يديه معجزة له وتدعم دعوته ورسالته (**وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**) **كَفَفْتُ**: منعتُ ، وإذكر حين منعتُ اليهود من قتلك حين جئتهم بالحجج والمعجزات الواضحات الدالة على نبوتك (**فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**) وقال الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك ما هذه الخوارق إلاّ سحر ظاهر واضح ! بينما هي منن أمتنَّ الله بها على عيسى (ع) ودعاه إلى شكرها و(بِالشُّكْرِ تَدُوْمُ النِّعَمُ) ، وإنه عبدٌ له صفات العبد لا يملك من أمره شيئاً إلاّ من عند الله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨.

**فائدة: ١- يقول البعض**: تدُلُّ الآية على الولاية التكوينية لأولياء الله وهو قول ضعيف لأنه يعارض القرآن ، لأن عطايا الله الخاصة لأنبيائه (ع) كانت لضرورة معينة في موارد خاصة وتتم (**بإذنِ اللهِ**) (**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأ لَمْ يَكُنْ**) كقوله ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ التكوير/٢٩ ، ولا يوجد دليل أنّ الله أعطى إذناً في إدارة الكون لأحد وهذا القرآن ينطق : ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦، ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ آل عمران/١٢٨ ، ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/٧١ ، إلخ. **٢-** وقد أعطى الله لآصف بن برخيا مع سليمان بعض الخوارق والقدرات الخاصة التي تنتج أعمالاً خاصة للحاجة إليها في عالم التحدّي والكرامة ، ولم يثبت له أكثر من ذلك لضرورات معينة مما لا تدعم نظرية الولاية التكوينية لأوليائه من دون إذن الله بإعطاء وكالة مطلقة لهم ، وهذا المعنى فيه غلو والقرآن

ينهانا عن الغلو ﴿**لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ النساء/١٧١. وقوله (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) النور/١٥ **عن النبي (ص)**: (لاَ تَرْفَعُوْنِيْ فَوْقَ حَقِّيْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اِتَّخَذَنِيْ عَبْدَاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيَاً) البحار٢٥/٢٦٥ **عن الإمام الصادق** (ع): (فَإِنَّ الْغُلاَةَ شَرُّ خَلْق اللهِ، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ اللهِ، وَيَدَّعُوْنَ الرُّبُوْبِيَّةَ لِعِبَاْدِ اللهِ، وَاللهِ إِنَّ الْغُلاَةَ لَشَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَاْرَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوْا) البحار٢٥/٢٦٦

**١١١ –** ﴿**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**﴾

**الْحَوَارِيّونَ** : من الحور وهو البياض الخالص لبياض قلوبهم وخلوص نفوسهم ونياتهم وسعيهم المستمر في تطهير الناس وإصلاحهم ، وهم أنصار عيسى ورسالته حواريوا الإنسان خاصته وهو من أخلص المودة وحواريوا عيسى عددهم (١٢) ، والوحي في القرآن له معنى واسع **راجع الآية** ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ النحل/٦٨ ، **(الوحي في اللغة)** الإشارة السريعة الخفية والإعلام بسرعة وخفاء ، قد يكون بإرسال الملك وقد يكون بمعنى الإلهام وهو المقصود بالآية كقوله ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾ القصص/٧ . **المعنى** : وإذكر فضل الله عليك حين يسّرت لك اتباعاً وأعواناً هم الحواريون وهديتهم وألهمتهم إن صدقوا بي وبرسولي عيسى (ع) **(قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)** قال الحواريون آمنا وصدقنا يا رب بما أمرتنا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ مخلصون في إيماننا وأعمالنا ومستسلمون لأمر الله بإقامة دعوته وتحمّل الأذى في جنبه ، وإننا في إيماننا خاضعون لأمر ربنا. وهكذا جاءت كلُّ رسل الله ورسالاتهم بالإسلام العام بمعنى الاستسلام لطاعة الله ، والإسلام الخالص المفصّل جاء به الرسول مُحَّد (ص) ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ آل عمران/١٩.

**١١٢ –** ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾

بالرغم من إيمان الحواريين وتسليمهم فإنهم طلبوا إنزال مائدة (طبق من طعام) من السماء تشكِّلُ دليلاً حسّياً بالعيان بعد الإيمان عن طريق العقل والبرهان ، فيأكلون منها وتطمئن معها القلوب ويتركز العلم بالتصديق كحال إبراهيم الخليل (ع) ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ البقرة/٢٦٠. **المعنى** : لا شكّ عند الحواريين في عظمة الله وقدرته ، ولكن (هَلْ يَسْتَطِيعُ) بمعنى هل يفعل الله ويستجيب سبحانه ذلك بمجرد مسألتك إيّاه ؟ **(قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** إنها دعوة للأدب مع الله ، إلى ما هو أولى بالمؤمنين في ارتباطهم بالله ، فإن المؤمن يحمله إيمانه على ملازمة التقوى **عن النبي (ص)** : (مَنْ رُزِقَ التُّقَىْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَاْ وَالآخِرَةِ) كنز العمال خبر٥٦٤١، لذلك من السهولة على المتقي أن ينقاد ويسلّم لأمر الله و(مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاْهُ). **فائدة: ١–** تسمية السورة بالمائدة لأن فيها مائدة

سماوية إعجازية. **٢-** كان أسلوب الحواريين في السؤال غير دقيق وأقرب إلى الجرأة ، فبدلاً من قول يا رسول الله قالوا يا عيسى ، وبدلاً من (هل يلطف بنا) قالوا هل يستطيع ؟ وبدلاً من ربنا قالوا (ربك) لذلك جاءهم الرد بالعبارة (اتَّقُوا اللَّهَ)، ولقد كان الحواريون على إيمان وثيق بالله كقوله **﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾** الصف/١٤ ، وكان طلب المائدة في أول أمرهم قبل أن يقوى إيمانهم بالله تعالى وهكذا طلب موسى (ع) أكثر من هذا **﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾** الأعراف/١٤٣.

**١١٣ - ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾**

قال الحواريون نريد بسؤالنا المائدة أن نأكل منها تبركاً من هذا الطعام الفريد وتسكن نفوسنا بزيادة اليقين برؤية هذه الخارقة التي تتحق أمام أعينهم ، فإنها أكلةٌ لا كالأكلات ومائدة ليست ككُلِّ الموائد، ربما كان في هذا الحوار يُشعِرُ المسلمين بلزوم الترفع عن هذه المستويات الحسية ويكون الطموح لأهداف أسمى لأهداف إيمانية وعلمية ، **في غرر الحكم:** (لَوْ كُشِفَ لِيَ الْغِطَاءُ مَا إِزْدَدْتُ يَقِيْنَاً) **(وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا)** ونعلم علماً يقيناً لا يقترب إليه الشك بصدقك في النبوة والرسالة **(وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنْ الشَّاهِدِينَ)** نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس فيؤمن من كفر ويزداد إيماناً من آمن ولم يأكل. **فائدة** : إنّ الحواريين كانوا مؤمنين بنبوة عيسى (ع) حين طلبوا ذلك ولكن كان إيمانهم هذا بالوحي والعلم والإلهام فأرادوا أن يضيفوا إليه إيمان بالحس والعيان للدلالة على كمال الله، ونتيقن أن قد صدقتنا في إدّعاء النبوة والرسالة ، **في غرر الحكم** : (عَلَى قَدَرِ الدِّيْنِ تَكُوْنُ قُوَّةُ الْيَقِيْنِ). **درجات اليقين:** علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، **١- علم اليقين:** إنكشاف المعلوم للقلب فيشاهده كإنكشاف المرئي للبصر، **٢-عين اليقين:** منسوبة إلى بصر العين كنسبة البصيرة للقلب، **٣-حق اليقين:** مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام. **مثال: فالمرتبة الأولى:** كعلمك بأن في هذا الوادي ماء، **والمرتبة الثانية** : كرؤيته ، **والثالثة** : كالشرب منه.

**١١٤ - ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**

بعد أن رأى عيسى (ع) من أصحابه إخلاصاً وإصراراً في الطلب وعلم أنهم لا يقصدون العنت والتعجيز ، دعا ربه بدعاء العبد الخاضع المتضرع لينزل عليه وعلى الحواريين مائدة من السماء تكون معجزة وفرحة ، مع وجود آيات كبرى ومعاجز خارقة إلهية بين أيديهم وتحت مشاهدتهم ، وقام يصلي ويدعو ربه مرتين ، مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات **(اللَّهُمَّ رَبَّنَا)** ، ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهاراً للتضرع والأدب مع الله عز وجلّ **(تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا)** فإن المعجزة الحسية تقود القلب للاطمئنان وتثير فيه الفرح ، ويكون يوم عيد وسرور لنا

ولمن يأتي بعدنا فإن العيد من شأنه أن يجمع الكلمة ويجدّد حياة المؤمنين وينشط نفوسهم وتبقى نعمة لا تنسى ، كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين بعد الفرائض تكريماً لهم ومذكرة لآياته (**وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ**) آية ودلالة وحجة شاهدة على صدق رسولك وأرزقنا يا الله فإنك خير من يعطي ويغني ويرزق لأنك الغني الحميد.

**في دعاء الإمام السجّاد (ع) في الصحيفة السجادية:** (**يَاْ مَنْ يُسْتَغْنَى بِهِ وَلاَ يُسْتَغْنَى عَنْهُ ، وَيَاْ مَنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ وَلاَ يُرْغَبُ عَنْهُ**). **فائدة:** لاحظ أدب عيسى (ع) مع الله ومع الحواريين ، كان الحواريون ذكروا العيد مطلوباً للأكل من المائدة وقدموه على غيره ما هو أهم ، ولكن عيسى (ع) عده غير مطلوب بذاته وأخره عن جميع المطالب ، وبدّل لفظ الأكل بلفظ الرزق ، وسأل (ع) لجميع أمته ونفسه ، فقد أخذ (ع) سؤالهم وهذبه ثم عاد صياغة الطلب بما يليق أن يوجّه لمخاطبة الله عز وجل ويكون الطلب مرضياً عنده سبحانه ومن محاسن هذا الدعاء أنّه أخّر الفائدة المادية للمائدة (**وَارْزُقْنَا**) عن ذكر فائدتها الدينية الروحية (**عيداً وآية منك**) بعكس ما فعله الحواريون إذ قدّموا الأكل على غيره من الفوائد الأخرى !!

**١١٥** – ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

أجاب الله تعالى لدعاء عبده عيسى (ع) ليكون حجة بالغة عليهم ولكنه رتّب شرطاً على هذا الوعد، إلاّ أنه حذّر الحواريين وغيرهم من الذين آمنوا إنْ طلبوا دليلاً حسياً آخر ، وعندما يأتيهم هذا الدليل فإن مسؤوليتهم حينئذٍ تعود أعظم مما كانت عليه وبذلك تلزمهم الحجة البالغة ، فهذا هو الجد اللائق بجلال الله حتى لايصبح طلب الخوارق تسلية ولهواً ، الأمر الذي يستدعي عذاباً خاصاً عند كفرهم وهذا عذاب خاص لأن (الْعُقُوْبَةُ عَلَى قَدَرِ الذَّنْبِ) لا يتناسب مع عذاب الكافرين الآخرين (**فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّيْ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ**) إنهم طلبوا معجزة خارقة عن المألوف والمعروف شرّفهم الله بها على العالمين ، لذلك خصّ الله من يكفر منهم بعذاب خاص لا يشاركه أحد من العالمين. **فائدة** : لا يوجد في الأناجيل ذكر عن قصة المائدة السماوية كما جاءت في القرآن الكريم.

**١١٦** – ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

سؤال إنكاري يوجّهه الله تعالى لنبيه عيسى (ع) يوم القيامة بهدف إفهام الأتباع بخطئهم وانحرافهم في تصورهم عن هذا العبد الرسول المعجزة فيسأل الله تعالى عما إذا كان قد طلب من الناس أن يؤلهوه (والعياذ بالله) فيرد عيسى منزّهاً ربه عن الشبيه والشريك (**قَالَ سُبْحَانَكَ**) وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فيقول الله هذا الكلام لعيسى ، فيتبرأ منه عيسى (ع) ، أخذ الله تعالى اعترافه وإقراره على هؤلاء الضالين الذين ألبسوه وأمه هذا الثوب الإلهي وعبدوهما

من دون الله يواجههم بما يخزيهم (**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**) أنزهك عما لا يليق بك يا رب فما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله (**إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**) إن كان ذلك صدر مني فإنك لا يخفى عليك شيء وأنت العالم بأني لم أقله ، وهذا اعتذار وبراءة من ذلك القول ومبالغة في الأدب وإظهار الذلة والعبودية في حضرة الله ذي الجلال والكمال (**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**) تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه ولا أعلم حقيقة ذاتك وما احتوت عليه من صفات الكمال إنك أنت العالم بالخفايا والنوايا ، وعلمك محيط بما كان وما يكون، وهذا من كمال أدب المسيح (ع) في خطابه لربه ، فلم يقل (ع) (لم أقل شيئاً من ذلك) وإنّما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أي قول ينافي مقامه الرسالي الشريف. **فائدة** : وقيل أنّ الله سبحانه لم يقصد بهذا السؤال عيسى (ع) بالذات لأنه يعلم ما قال عيسى (ع) للنّاس، وإنّما قصد به إقامة الحجة على من إدّعى لعيسى وأمه (ع) هذه الدعوى الكافرة على طريقة (إِيَّاْكِ أَعْنِيْ وَاِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة) (**اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ**) أنزهك يا الله عن أن يكون معك إله آخر. **عن الإمام الصادق** (ع): (إنّ الله بَعَثَ نَبيَهُ بإِيّاْكِ أَعْنِيْ وَاِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة) البحار٩٢/٣٨١.

**١١٧ - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**

فأنا عبد متبع لأوامرك ماضٍ في حكمك لا متجرئ عليك ولا متعدٍ لحدودك (**أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**) قلت لهم أعبدوا الله خالقي وخالقكم فانا عبد مثلكم وأدّيت وظيفتي من غير تقصير في ظلّ طاعتك (**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ**) كنت شاهداً على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم وكنت أراقبهم بدقة وأمنعهم من التطرّف من الكفر والمغالاة والشرك الخفي والجلي وأمنعهم من إتخاذي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وإنّي عبدٌ خاضعٌ لله وأمّي صدّيقة عابدة لله (**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**) فلمّا قبضتني إليك ورفعتني إلى السماء كنت يا الله الحفيظ لأعمالهم وشاهد على أفعالهم والمطّلع على ضمائرهم ، معنى (**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**) التوفي هو الاستيفاء التام ويُعدُّ الموت أحد أمثلته ، ومن أمثلته أيضاً (فلما رفعتني) أي عيسى (ع) وهو حي إلى السماء بعد استيفاء الأجل المحدّد له في الدّنيا ، ولا من استشكال بين أن يكون الله توفاه من حياة الأرض وأن يكون حياً عنده سبحانه ، فالشهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون (**وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) أنت مطّلع على كلِّ شيء لا يخفى عليك شيء وأنت تجازي عبادك على ضوء عملهم بما تعلمه فيهم بالتفصيل. **فائدة** : (**مَا أَمَرْتَنِي بِهِ**) يشير النّص إلى أنّ السيد المسيح مأمور ولا يقول شيئاً من عنده ، وإنّما هو رسول يبلغ ما أمره الله به ، وهو (ع) غير مشرّع بل

ناقل التشريع عن الله تعالى وهكذا كل رسل الله ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ الكهف/١١٠.

**١١٨ – ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

آية عظيمة تبيّن خلقاً كريماً من أخلاق الأنبياء (ع) فالأمر أمرك إن شئت أن تعاقبهم على إنحرافهم الكبير فهم عبيدك وليس بإمكانهم أن يفروا من عذابك فهذا حقك إزاء العصاة من عبيدك، أنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم (**وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة ، وإن تغفر لمن تاب منهم فإنك أنت العزيز القوي الغالب على أمره الحكيم في صنعه فلا عفوك دليل ضعف ولا عقابك خالٍ من الحكمة. **فائدة** : (**الحكيم**) : الحليم الذي يشاهد العصاة لأمره ولا يعاجلهم بالعقوبة ، يشير هذا القول من عيسى إلى أنه يطلب من الله العفو عن المذنبين وهكذا شأن الأنبياء والأصفياء كما قال النبي مُحَمَّد (ص) (اللَّهُمَّ إِغْفِرْ لِقَوْمِيَ إِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ) ، وقال إبراهيم أبو الأنبياء ﴿**وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ إبراهيم/٣٦ ، وكان النبي مُحَمَّد (ص) يقرأ هذه الآية ويقول (إِنِّيْ سَأَلْتُ رُبِّيَ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِيْ فَأَعْطَانِيْهَا ، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ لِمَنْ لاَ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئَاً) المراغي٧/٦٦.

**١١٩ – ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**

قال الله مبيناً لحال عباده جميعاً يوم القيامة ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ هود/١٠٥ ، والسعيد الذي بنيت حياته على الصدق واستقامت نفسه وفكره وقوله وعمله ونيته وبقي على الصراط المستقيم في كلِّ الأحوال والأشكال مع شدة المعاناة وكثرة الانحرافات التي يعاني منها المجتمع ، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق **والصدق** : زينة الكلام وثقة الحديث وجمال المنطق ولسان الحق وعز العدل ، والصدق أقوى دعائم الإيمان (**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) الصادقون** : هم الذين استقامت نفوسهم وعقولهم وانعكست على استقامة أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم والهدى القويم في جميع الأحوال والأشكال في الشدّة والرخاء مع كثرة الصعوبات والابتلاءات ، في هذا اليوم الحاسم يجد الصادقون الذين أخلصوا لله دينهم فلم يحرّفوا ولم يبدّلوا ولم يكتموا ولم يغالوا في دين الله ، يجدون عاقبة هذا الصدق جناتٍ ومفاجآة ورضا متبادل ومتعادل بقدر الصدق ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ القمر/٥٥، ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ الزمر/٣٣، **عن النبي (ص)**: (لاَ تَنْظُرُوْا إِلَى كَثْرَةِ صَلاَتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ ، وَكَثْرَةِ الْحَجِّ وَالْمَعْرُوْفِ وَطَنْطَنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ ، وَلَكِنْ أُنْظُرُوْا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيْثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ) الكافي٢/١٠٥، (**لَهُمْ جَنَّاتٌ**

**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)** كقوله تعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٧، **في نهج البلاغة حكم٤٥٦**: (إِنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الْجَنَّةِ فَلاَ تَبِيْعُوْنَهَا إِلاَّ بِهَا) **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)** رضي الله عن سرائرهم وضمائرهم وأقوالهم وأفعالهم، وأحسنوا التعامل مع أنفسهم ومع الله ومع الناس لأنهم دعوا الله أن يوفقهم لرضاه ويهتدوا بهداه ولم يُفتنوا بسواه وكانت خير أيامهم يوم يلقوه ، وهكذا تمثل الصدق فيهم لأنّهم اهتدوا بهديه ، فصاروا مظاهر لرضاه عز وجل ، ونستدل أن الصدق قمة الصفات الحميدة التي تتفجر منها أنواع الكمالات ، لأن بالصدق صلاح الأشياء وبالمقابل الكذب فساد الأشياء ، **عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ الصَّادِقَ أَوَّلُ مَنْ يُصَدِّقُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَادِقٌ، وَتُصَدِّقُهُ نَفْسُهُ تَعْلَمُ أَنَّهُ صَادِقٌ) الكافي٢/١٠٤، وَيُصَدِّقُهُ النَّاسُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ صَادِقٌ.

**(وَرَضُوا عَنْهُ)** بما أحسن إليهم من فضله وأفاض عليهم من بركاته ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِعْلَمُوْا أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيْدِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنِ اللهِ فِيْمَا صَنَعَ اللهُ إِلَيْهِ وَصَنَعَ بِهِ عَلَى مَا أَحَبَّ وَكَرِهَ) البحار٧٨/٢١٧، فإنّ مقام الصدق يقتضي الخضوع التام لله تعالى وهذا دليل الرضا عنه ، فإنه لا شيء غيره عندهم حتى تركن له القلوب ولا يصل إلى هذا المقام الجليل غير الصادقين الذين عقدوا آمالهم بالله عز وجلّ ، **فلم يروا شيئاً إلاّ ويروا الله فيه ومعه وقبله وبعده، في نهج البلاغة خطبة١٩٣**: (وعَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ) **عن النبي** (ص): (مَا رَأَيْتُ شَيْئَاً إِلّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيهِ) تفسير مواهب الرحمن٧/٣٠٠ فأعطوا الله أعزّ ما يملكون فأعطاهم الله فوق ما يتمنون.

**(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** الذي تعدل اللحظة منه عمر الدنيا كلها وما لقي المنعّمون فيها من نعيم وما ذاق السعداء فيها من طعوم السعادة ، فكلُّ هذا لا يُعدُّ شيئاً إلى نظرة رضا من الله إلى من رضي الله عنهم ، اللهم إجعلنا منهم ومعهم وفيهم وإليهم. **فائدة:** لفتة كريمة قرآنية جليلة عالية المضامين تبيّنُ الرضا المتبادل والمتعادل والمقدَّر والموزون بين الخالق المطلق والمخلوق المحدود المقيَّد الضعيف ، مع الفارق الكبير بين الخالق والمخلوق وأصبحت النتيجة رضاً متساوياً ومتناغماً ومترابطاً ، ولا تكون النتيجة بهذا الرضا المتبادل المتألق والمتحلّق إلاّ إذا كانت المقدمات والاستعدادات في كلِّ شؤون حياة الإنسان إنطلقت برضا متحقق ومتصدق! فتكون النتيجة كالمقدمة **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)** **في غرر الحكم**: (أَصْلُ الرِّضَا حُسْنُ الثِّقَةُ بِاللهِ) ، **(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** طريقة التصوير القرآنية لِلْفَوْزُ الْعَظِيمُ لم تدعه وعداً يوعد ولم تدعه عبارات تسمعها الآذان وتقرؤها العيون ، إنّما حرّكت به المشاعر وجسمته واقعاً اللحظة تسمعه الآذان وتراه العيون وكأنّما ترى حقيقته فعلاً.

**١٢٠** – ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

أحسن ختام لهذه السورة وقد بيّن الله سلطته الكاملة على الحياة والأحياء والكائنات وهي مملوكة له خاضعة لإرادته، فأطيعوا الله تعالى وارتبطوا مع طاعة الكون كله لله ، فتكونون مع كل ما خلق الله في نظام مطيع في وحدة واحدة موحدة متّحدة لذلك يطمئن قلب المؤمن ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد/٢٨ ، (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) وهذا حثٌّ للناس على الالتزام بمنهج الله ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، ذو القيمة العليا والقيمومة الكبرى والقدرة التي لا حدود لها.

**وفي الختام نقول : ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** الحاقة/١٢ ، **وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يونس/١٠.**

**تمّ بعون الله تعالى (وَعيُ القُرآنِ الُميَسَّر) لسورة المائدة ، بقدري لا بقدرها ، بجهدٍ متواصل ، فللّه الحمد والمنّة، وبالحمد تتمُّ الصّالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات بتأريخ ١٥/شعبان/١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٤/٨/١م مع تصحيحها عدّة مرّات وتدقيقها في بغداد– الكاظمية ، داعين الله تعالى أن يُعيننا على تكملة بقية السُّور القرآنية الكريمة ، إنّ ربّي سميعٌ مجيب الدُّعاء.**

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**

## سُورَةُ الأَنْعَامِ

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

**من مقاصد السورة :**

مكية إلاّ ست آيات نزلت بالمدينة يدور محورها حول العقيدة وأصول الإيمان وقضية الألوهية والوحي وأهمية الرسالة والرسل ، والإيمان بالتوحيد والعدل وبالبعث والنشور والجزاء ، وتعتمد السورة الحجة الدامغة بأسلوب التقرير وأسلوب التلقين ، وتبين فلسفة البلاء والاختبار ، سمّيت بسورة الأنعام لورود ذكر الأنعام فيها ، عدد آياتها : (١٦٥) آية ، الجزء السابع. **(فضلها) عن الإمام الصادق** (ع) : (نَزَلَتْ سُوْرَةُ الأَنْعَاْمِ جُمْلَةً (دُفْعَةً) وَاْحِدَةً شَيَّعَهَاْ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى أُنْزِلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ (ص) ، فَعَظِّمُوْهَاْ وَبَجِّلُوْهَاْ فَإِنَّ إِسْمَ اللهِ فِيْهَاْ فِيْ سَبْعِيْنَ مَوْضِعَاً ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاْسُ مَاْ فِيْهَاْ مَاْ تَرَكُوْهَاْ)مجمع البيان٤ص٤، إنّ استنطاق آيات هذه السورة يقضي على روح النفاق والتشتت بين المسلمين ، ويجعل الآذان سميعة ، والأعين بصيرة ، والقلوب عارفة ، ومن قرأها وتدبرها ترتوي روحه من ينبوع التوحيد الصافي وعبادة الله النقية وتعقد الجلسات لقراءة هذه السورة المباركة لتنفيس المعاناة عن الأفراد وطلب الحاجات من الله عز وجلّ ، **ومن تدبرها بعمق فإنها تحل مشاكل المسلمين عامة !!**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

**(الْحَمْدُ لِلَّهِ)** حق على العباد ، والله يستحق الحمد ويختص به ، تبدأ السورة بحقيقة كبرى أن الحمد بشتى أنواعه لله عز وجل ، لأنه خالق الوجود كله برحمته والمنعم عليه بنعم لا تحصى ، **والحمد** : هو الثناء والمدح والشكر لله والذكر الجميل له سبحانه على كلّ عمل طيب وصفة وخبرة وعلم وقوة مكتسبة لأي إنسان عن اختيار وإرادة وبدونهما ، والحمد لله على كلّ نعمة ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، ومن هذه النعم خلق السموات والأرض وما فيهما من مظاهر العظمة والدقة والأنظمة المتقنة والأهداف الواعية السامية **عن الإمام علي** (ع) : (الْحَمْدُ لِلهِ أَحَقُّ مَنْ خُشِيَ وَحُمِدَ، وأَفْضَلِ مَنِ أُتُّقِيَ وَعُبِدَ، وَأَوْلَى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ ، نَحْمَدُهُ لِعَظِيمِ غَنَائِهِ، وَجَزِيْلِ عَطَائِهِ، وَتَظَاهُرِ نَعْمَائِهِ، وَحُسْنِ بَلاَئِهِ)البحار٣٥٣/٧٧. **المعنى**: إحمدوا الله ربكم المتفضل عليكم بصنوف الإنعام والإكرام الظاهرة والباطنة، المادية والمعنوية، الصغيرة والكبيرة ، الدائمة والمؤقتة ، فإن قوة سلطان حجة الله عليكم أعظم من قوة سلطان القدرة ! ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ الأنعام/١٤٩ ، لذلك إحتج الله على الناس بما آتاهم وعرّفهم، وهذا كلّه يدلُّ دلالة قاطعة أنّ الله تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدّين لله ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّهُ لَيْسَ لِهَاْلِكٍ هَلَكَ مَنْ يَعْذُرُهُ فِيْ تَعَمُّدِ ضَلاَلَةٍ حَسِبَهِاْ هُدَىً ، وَلاَ تَرْكُ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلاَلَةٌ) البحار٣٠٥/٥ **(وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)** أي أوجد السبب الموجب لوجودهما **(الظُّلُمَاتِ)** جاءت بالجمع لأنها رمز التفرّق والتشتت ولأن شعب الضلال متعددة ، ومسالكه متنوعة، **(وَالنُّورَ)** جاء بالمفرد لأنه رمز التوحد والتآلف والتعاون ولأن مصدره واحد وهو الرحمن منوّر الأكوان والإنسان ، بمعنى مجرد أن تترك النور الواحد في الحق الواحد الذي لا يتجزأ ، تقع في الظلمات المتعددة التي لا حصر لها كقوله ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ يونس/٣٢ ، وأنشأ الظلمات والأنوار ، وخلق الليل والنهار، يتعاقبان في الوجود ليكتشف الإنسان سنة الله في التداخل بين الأشياء المتنوعة ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾ الشرح/٥-٦ ، وإن مع الصحة مرضاً ومع الضعف قوةً ومع الشدة رخاءً ومع الفقر غنىً ومع العلم جهلاً ومع الأمل عملاً ومع الحياة الموت ومع الجسد الروح ومع الشدّة الرخاء.. وهكذا ، وتزداد شدة الظلمات بحسب القرب والبعد عن مصدر النور.

**(ثُمَّ)** للتراخي الدال على التعجب.

**(الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يَعْدِلُونَ** : العديل هو الشريك والشبيه والمثيل أي يعدلون فيجعلون له عِدلاً مساوياً وشريكاً له في العبادة **عدلت عنه** : أعرضت، وعدلت به غيره بمعنى جعلته مساوياً

لغيره ومحل الغرابة أن هذا الكون العجيب وهذه البيانات الساطعة المحسوسة تدل كلّ واحدة منها على أنه خالق واحد لم تره عين الشرك ، ولم يشعر به قلب الكفر ، أعماهم الضلال في البصر وفي البصيرة ، وصور لهم الهوى والجهل أن الدين رجعية لذلك من إتبع الهوى فقد هوى وعمى ، والحقيقة أن كلّ ما في الكون من كائنات كلّها تسير بنظام الله وتسبّح لله وتطيعه ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ الإسراء/٤٤ فكيف يعدلون به أصناماً حجرية أو بشرية ويجعلون له آلهة أخرى ، وهو المتوحد بالألوهية والمتفرد بالربوبية ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١ ، ولا يشاركه شيء في تدبير المخلوقات وتوفير حاجاتها ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ الزمر/٣٦ ؟! **من دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة**: (عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقِيباً وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَل لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيْباً ، مَاْذَاْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَاْ الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ لَقَدْ خَاْبَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوّلاً) وَالَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الْهِدَاْيَةُ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ ! **فائدة** : نلاحظ المفارقة الكبيرة بين الدلائل الناطقة في السنن الكونية، وبين آثارها الضائعة في السنن الأنفسية!

**٢ – ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾**

خلق آباكم وأصلكم هو آدم و(آدم من تراب وماء) من هذا الطين الذي لا قيمة له كائناً مكرماً عزيزاً ذو قيمة كبرى وجعله سيد الكائنات، **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ) **وفيه أيضاً** (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ حَدَّهُ فَوَقَفَ عِنْدَهُ) **وفيه ايضاً**: (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ)، كقوله ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ التين/٤ ، وفي أعقد تركيب وكرّمه أفضل تكريم ، وهُوَ الْقَادِرُ على أن يعيد هذا الكائن إلى مكانه الذي جاء منه وهو الطين (**ثُمَّ قَضَى أَجَلاً**) (**أَجَلاً**) تنكير الأجل لبيان أنه من الغيب ثم حكم وقدّر لكم أجلاً من الزمن مشروط غير محتوم قابل للتغيير، تختبرون فيه وتموتون عند انتهائه يستطيع الإنسان ان يقدّمه أو يؤخره من خلال أعماله الصالحة أو الطالحة من حيث يشعر أو لا يشعر ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ الملك/٣ (**وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**) وأخفى أجلاً آخر لديه ، حيث يتأثر أحدهما بعوامل المحو والإثبات ، كالدعاء وبر الوالدين وصلة الرحم تزيد في العمر ، في حين يبقى الآخر محتوماً لا تغيير فيه ولا يتقدّم ولا يتأخر ولا يتدخل الإنسان في تعيينه وتمديده كقوله ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ الأعراف/٣٤.

(**ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**) **تشكون وتنكرون وتفكرون** ، وبعد هذا النظام الدقيق الذي لا يضعه إلاّ منظّمٌ حكيم قدير عليم ، فهل للمرء مع قيام الشواهد والدلائل أن يشك في وجود الله وقدرته ؟ ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ الفرقان/٢ ، **عن الإمام الصادق** (ع) في الآية (مختصر): (هُمَاْ أَجَلاَنِ أَجَلٌ مَحْتُوْمٌ (حتمي) لاَ يَقْبَلُ التَّغْيِيْرِ ، وَأَجَلٌ مَوْقُوْفٌ (مخروم) قَاْبِلٌ لِلْتَّقْدِيْمِ وَالتَّأْخِيْرِ) نور الثقلين١/٧٠٤،

بسبب العوارض الخارجية والآفات المهلكة كالحرق والغرق ولدغ الحشرات وغيرها، **عن الإمام علي** (ع): (عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ الله ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَى، عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُوْلَى) البحار٧/٤٢. **فائدة** : تكررت **(أَجَلٌ مُسَمًّى)** (٢١) مرة في القرآن الكريم.

**٣ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾**

الله هو المعبود والموجود في السماء كما هو الله المعبود والموجود في الأرض بلا تفاوت ، والمالك لهما والمتصرّف فيهما لا يشاركه أحدٌ في ملكه ، وهو الله المعظم يعبده ويوحده ويقرله بالألوهية من في السماوات والأرض ويدعونه رغباً ورهباً وسراً وعلانية ويسجدون له طوعاً وكرهاً ويسبحونه كل الكائنات العاقلة وغير العاقلة ، والله محيط بكل شيء وهو بإحاطته تحضر لديه كل الأشياء لعلمه بها **(يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ)** ويتساوى لديه سركم وعلنكم والخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم (بعكس الإنسان) وعلمه سبحانه بالسر يسبق علمه بالجهر لذلك قدمه بالرغم أن علم الله لا زمان له ويعلم بكل ما تفعله المخلوقات **(وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)** ويحصي عليكم ما تفعلون لجلب نفع أو دفع ضر من الأعمال المكتسبة مادية أو معنوية أوعلمية صالحة أو طالحة فيجازيكم على ضوء أعمالكم، فيكون الجزاء من جنس العمل **﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** الجاثية/٢٢. **فائدة:** وفي هذا استدعاء للإنسان الشارد عن الله أن يعود إلى الله ويتقي محارمه ، وارغبوا في الأعمال الصالحة التي تقربكم إلى الله واحذروا من كلّ عمل يبعدكم عنه ومن رحمته ، فاليوم عمل ولا حساب ويوم القيامة حساب ولا عمل.

**٤ - ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾**

ما يظهر لهم دليل من الأدلة القاطعة الكثيرة أو معجزة من المعجزات المبهرة أو آية من آيات القرآن القاطعة في الآفاق وفي الأنفس ، إن الأدلة قائمة ومتوفرة على ضرورة الدين في حياة الإنسان **﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** الروم/٣٠ ، وأهمية الإسلام الذي ظاهره مشرق وباطنه مونق كأساس لعقيدة الإنسان **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾** آل عمران/١٩، ولا عذر لجاحد لأن هذه الأدلة لا تتطلب من العاقل إلاّ أن ينظر إليها بعقله دون هواه ، وهكذا أكثر الناس الذين لا يعلمون يصرون على الرفض والإنكار بلا بحث ولا علم **(إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)** غير مبالين استهزاءً نتيجة الاستكبار في نفوسهم ، فهم يرفضون دليل الحق ويعرضون عنه دون أن ينظروا إليه بإمعان ، ولو كانوا من طلاب الحق والعلم لنظروا إلى الدليل وتدبروه ، والرفض قبل العلم جهل وإمعان في الجريمة كقوله **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** يونس/٣٩ ، طبيعة الجاهل يتعامل مع الجوهرة النفيسة على أنها حجر خسيس لا قيمة له ! وأما الذين يتبعون الحق فيزدادو هدى ، ولهذا لم

يخاطبهم الله خطاب حضور بل أنذرهم إنذار غيبة لأنهم مبعدون من رحمة الله ، غائبون بوجودهم عنه مشغولون بأهوائهم عن هداه.

**عن الإمام علي** (ع): (إِنَّ مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىٰ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ) **شرح نهج البلاغة ٢/٩١.**

**٥ - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**

والحق أحق أن يتّبع والباطل أحق أن يجتنب ، ومن الحق أن يُشكر الله على تيسيره الحق لهم وإتيانهم به فقابلوه بدل الإحترام بالاستهزاء فاستحقوا العقاب الشديد ، وقد كذبوا بالحق على إطلاقه ، والقرآن على خصوصه وهو الحق من الله ، وهكذا الذي تآلف مع الضلال وعاش معه فأصبح الحق غريباً لديه كغرابة العفيف الشريف عند العاهر الفاجر ، وكدود الأرض الذي إذا كشفت التراب عنه ينكمش تحت التراب مرة ثانية ولا يحب أن يسلط عليه نور الشمس (**فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**) **النبأ** : الخبر العظيم ، سوف يحل بهم العقاب ويتحملون النتائج وسوء العاقبة ، ولا بد أن ينكشف لهم القناع وتظهر لهم الحقيقة إن عاجلاً أو آجلاً في الدنيا والآخرة ، وهذا وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم كقوله ﴿**هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾ الطور/١٤ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ يَطْمَعَنَّ الْمُسْتَهْزِئُ بِالنَّاسِ فِيْ صِدْقِ الْمَوَدَّةِ).

**فائدة** : **١-** إنهم سدوا على أنفسهم التطلّع إلى آفاق القرآن الواسعة وأغلقوا عقولهم على عالم المادة ولذتي البطن والفرج ، وجهلوا أن الحق يأبى إلاّ أن يظهر بالرغم من الاستخفاف به ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾ الشورى/٢٤. **٢-** في الآيتين ٤-٥ إشارة إلى ثلاث مراحل من الكفر تتزايد في الشدّة على التوالي ، مرحلة الإعراض ثم مرحلة التكذيب ومرحلة الاستهزاء بآيات الله. **٣-** ويتركهم أمام هذا التهديد المجمل الذي لا يعرفون كيفيته ولا كميته ولا موعده.

**٦ - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾**

**القَرْن** : أهل كلّ عصر مأخوذ من أقرانهم في العصر الواحد ، ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتماديهم في تكذيب الأنبياء ألم يعرفوا ذلك ؟ والذي لا يتعظ بالماضين صار عبرة للباقين ، وأخسر الناس من كان عبرة للناس (**مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ**) منحناهم من أسباب القوة من الطاقات البشرية والقدرات العقلية المفكرة والآلات المتقدمة والعيش المرفّه والاستقلال في الأرض والمكانة الرفيعة (**مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ**) أعطيناهم ما لم نعطكم مثله ، ثمّ بيّن نوع العطاء (**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً**) أنزلنا الماء غزيراً متتابعاً الذي يكوّن الأنهار المترعة بالمياه والزراعة المتنوعة والثمار الكثيرة والماشية التي تتغذى من مراعيها (**وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ**) من تحت أشجارهم

وديارهم كناية عن الرخاء وكثرة الإنتاج لأن خير الأرض من خير السماء ولكن ذلك لم تغن عنهم شيئاً فكفروا بأنعم الله كقوله ﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً**﴾ إبراهيم/٢٨ ، ولم يؤمنوا بما جاءهم به أنبياؤهم (**فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**) فللسيئات دخل في وقوع البلايا والمحن العامة كما أن الطاعات لله لها الدخل في زيادة النعم ونزول البركات ، فاستحقوا الهلاك بسبب استغراقهم في الذنوب ولم يستجيبو لنداء الحق والفطرة ما أهونهم على الله ، وخلقنا من بعد إهلاك المكذبين قوماً آخرين غيرهم كقوله ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ القصص/٥٨-٥٩ ، وكقوله ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ محمد/٣٨.

**فائدة** : **١-** تشير الآية إلى قوانين وسنن حقيقية تربط بين العصيان لتشريع الله والانحلال الحضاري للأمم بسنة الاستدراج كقوله ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف/١٨٢، أما أمة محمد (ص) فقد ترك الله حساب ذنوبهم إلى يوم القيامة ، وليست هذه كرامة للمسلمين لأن عذاب الآخرة أشد ولأن الله قال ﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ آل عمران/١٧٨، وإنما الكرامة لنبي الرحمة محمد (ص) ، كقوله ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ الأنفال/٣٣ ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِيْ مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاْءِ كَيْفَ، لا يَحْتَمِي مِنَ الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّاْرِ !) البحار٦٢/٢٦٩. **٢-** (**فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**) تختلف أشكال النهاية بين الماضي والحاضر ، مرة يأخذهم الله بعذاب الاستئصال، أو بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم، ومرة يأخذهم بالمجاعة ونقص الأنفس والثمرات ، ومرة يأخذهم بأن يذيقهم بعضهم بأس بعض فيعذب بعضهم بعضاً ، فالسعيد من وعى هذه السنّة الجارية والشقي من غفل عن هذه الحقيقة (لاَ تَغْفَلُوْا فَلَيْسَ بِمَغْفُوْلٍ عَنْكُمْ) ويكرر القرآن هذه الحقيقة ، هلاك قومٍ وإنشاء آخرين ، ليقرّر طرفاً من التفسير الإسلامي لأحداث التأريخ ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ آل عمران/١٤٠. **٣-** في الآية دلالة على وجوب التفكّر والتدبّر والتأمّل فإنّها جلاء العقل وتهدي إلى الحكمة وتوصل إلى العصمة فيحيى القلب بحسن التفكّر.

٧ - ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾

**سبب النزول:** إن بعض المشركين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فأنزل الله الآية. **قِرْطَاس**: الورق التي يكتب فيه. **المعنى**: لو أنزلنا عليك يا محمد الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة حسية كما

اقترحوه فرأوه وشاهدوه ولمسوه بأيديهم ليرتفع عنهم كل شك كهذه الكتب المعروفة **(لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ)** لقال الكافرون عند رؤية تلك الآية الباهرة ما هذا إلاّ سحر واضح يقولونها تعنتاً وعناداً ، وهكذا المستكبر يسمّي الحقائق بأضدادها، فرفضهم الحق يجعلهم يختلقون الأعذار للإعراض عنه، طبيعة المؤمن دليل قطعي واحد يكفيه، وغير المؤمن (الكافر المعاند) لو تأتيه بألف دليل ودليل لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، **عن الإمام الحسن العسكري** (ع): (مَاْ تَرَكَ الْحَقُّ عَزِيْزَاً إِلاَّ ذَلَّ وَلاَ أَخَذَ بِهِ ذَلِيْلٌ إِلاَّ عَزَّ) البحار٧٧/٢٣٢، كقوله﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾البقرة/٦، **فائدة: نموذج النفس المكابرة:** التي تخرق الحق عينها ولا تراه!،والتي تنكر ما لا يُنكر لأنّه من الوضوح بحيث يخجل المخالف أن ينكرهُ، يرسم القرآن هذا النموذج في كلمات بليغة مبدعة في التعبير والتصوير!

٨ – ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾

لقال الكافرون هلا أنزل على مُحَمّد مَلك يعاونه ويساعده ويشهد بنبوته وصدقه بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي ، وقدرة الإنسان على تبليغ الرسالة أكثر من قدرة الملائكة **(وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ)** لو أنزلنا الملك كما اقترحوا وعاينوه وهو آخر مرحلة في إتمام الحجة فلا يكون دليلاً أوضح منه **(لَقُضِيَ الأَمْرُ)** ثم كفروا لصار من الحق إهلاكهم ، وهكذا من طلب آية ثم لم يؤمن بها أهلكه الله حالاً **(ثُمَّ لا يُنظَرُونَ)** لا يمهلون ولا يؤخرون. لكن الله تعالى بلطفه بعباده ورحمته بهم وليمنحهم فرصةً للتأمل والتفكير ، لا يفعل ذلك إلاّ في حالات خاصة يكون فيها طالب الدليل على أتمّ استعداد أو في حالات يستحق فيها طالب الدليل الهلاك ، بالإضافة إلى أن النفوس المتولعة في حب المادة لا تطيق مشاهدة الملائكة لو نزلوا عليهم وإختلطوا بهم لكون عالمهم غير عالم البشر كقوله ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**﴾ الجن/٦ ، ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣ ، هكذا يقفهم السياق القرآني أمام رحمة الله بهم وحلمه عليهم وأمام جهلهم بمصلحة أنفسهم وجهلهم بسنة الله في تنزيل الملائكة ، وهم بهذا الجهل يدمرون حياتهم تدميراً.

**فائدة: ١–** اعترض الكفار أن الرسل بشر وهم يأكلون ويشربون كبقية البشر فهم ليسوا بأهل بحمل الرسالة بين الله وعباده كقوله ﴿**مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ**﴾ المؤمنون/٣٣-٣٤ ، فلا بد من نزول ملك يؤدي رسالة الله لا يمتلك صفات البشر عندئذٍ لا يكون حجة على البشر لأنه ليس من البشر عندئذٍ لا يؤمنوا به لما استحكم فيهم من الطغيان والاستكبار ، ولا يستقيم أمر الناس مع مخلوق مغاير لهم في الخَلق والخُلق والقدرات والهيئات كقوله ﴿**فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ، أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**﴾ القمر/٢٤-٢٥ **٢–** من طبيعة

الإنسان أحبُّ شيءٍ إليه ما يمنع عنه حتى إذا ناله طلب سواه ، وهكذا إلى ما لا نهاية. **٣-** الرسول قدوة للناس لابدَّ أن يكون من جنس الناس وعلى شاكلتهم حتى يالفهم ويألفوه، وخَيْرُ النَّاْسِ مَنْ يَأْلَفُ النَّاْسَ والنَّاْسُ تَأْلَفُهُ، وَلاَ خَيْرَ فِيْمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ. **عن الإمام علي** (ع): (طُوُبَى لِمَنْ يَأْلَفُ النَّاسَ ويَأْلَفُونَهُ عَلى طَاعَةِ اللهِ) البحار٧٨ص٥٦.

**٩ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾**

لو أراد الله تعالى أن يبعث إلى البشر مَلَكاً رسولاً إليهم لأقتضت حكمته أن يلبس هذا الملك صورة البشر حتى يسكن إليه الناس ويكون بينه وبينهم لقاء ومودة وسماع كلامه الذي يبلغه عن ربه ، ولو جعله الله ملكاً في صورة بشر لأعتقدوا أنه بشر لأنهم لا يدركون منه إلاّ صورته وصفاته البشرية التي تمثل بها ، وحينئذٍ يقعون في نفس اللبس والاشتباه ، وهكذا الإنسان المعقَّد يُعقّد على نفسه الحياة لذلك يكون بلاؤه على قدر طباعه كما قيل (الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاْعِ !) كقوله **﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾** الإسراء/٩٥ ، لا بد أن يكون بعث الرسل إلى خلقه من جنس المرسل إليهم ، فإن كانوا بشراً فرسولهم منهم وإليهم وكذلك لو كانوا ملائكة يمشون مطمئنين لكان رسولهم ملائكة من جنسهم لأن شبيه الشيء منجذب إليه والطيور على أشكالها تقع ، إذن : فالمشكلة عندهم والشك منعقد عليهم **(وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ) اللبس** : الخلط ، أي لخلطنا عليهم الأمر ما يخلطون على أنفسهم وعلى الناس الآخرين الجهلاء ، ولاشتبه الأمر عليهم ، كما اشتبه عندهم الحق بالباطل ، فإنهم لو رأوا المَلَك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملَك ، ولو أتاهم ملك من غير جنسهم لما ألفوه لذلك يجعله الله في صورة رجل لقالوا نحن نريد مَلَكاً لا إنساناً ، وهكذا كل جنس يألف إلى جنسه، فإنهم أغلقوا على أنفسهم باب الهدى وفتحوا أبواب الضلال بتشكيكهم برسالة الرسول **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** الصف/٥ ، **زَاغُوا** : مالوا وانحرفوا ، وهذا شأن كثير من الناس يوقعون أنفسهم في المشكلات بسوء تدبيرهم ثم يحارون في التخلّص منها.

**١٠ - ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**

**الاستهزاء** : السخرية واحتقار الشخص. **المعنى** : إن المعاندين في كل زمان ومكان إنّما يستهزئون بالرسل والمبلغين والمصلحين إنّما يستهزئون بالحقيقة الكبرى وأجهل الناس من تعامل مع القضايا الكبرى بالإنكار والإهمال والاستهزاء كالأطفال يلعبون بالجوهرة على أنها حصى ! **(فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) حَاقَ**: نزل وأحاط، أي أحاط بهم واشتمل عليهم استهزاؤهم بعين العذاب الذي كانوا به يستهزئون و(الْجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ)، وهذه السخرية هي التي أوردتهم موارد الهلكة، **في غرر الحكم**: (مَنْ مَكَرَ حَاْقَ بِهِ مَكْرُهُ) كقوله **﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ**

**السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾** فاطر/٤٣، **فائدة** : تكشف الآية عن سنن الله في الأمم مع رسلهم ورسالاتهم ، وهي تسلية للنبي (ص) عن إيذاء قومه له ، وهي بشارة له بحسن العاقبة كقوله ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ الحجر/٩٥. وسنن الله تنطوي على الحكمة وهي لا تتغير وفقاً لأهواء البعض ، **في غرر الحكم:** (إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُجْرِيْ الأُمُوْرَ عَلَى مَاْ يَقْتَضِيْهِ، لاَ عَلَى مَاْ تَرْتَضِيْهِ).

**١١ – ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**

قل يا مُحَمّد لهؤلاء المستهزئين ، سافروا في الأرض للاستطلاع والتدبّر والاعتبار لمعرفة سنن الله مسجلة في الآثار الشاخصة ، فأنظروا وتأملوا وإقرأوا التأريخ ماذا حلّ بالكفرة المعاندين قبلكم من العقاب الأليم وأصبحوا عبرة للمعتبرين ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾ الحشر/٢، **في غرر الحكم:** (بِالإِسْتِبْصِاْرِ يَحْصَلُ الاِعْتِبَاْرُ)، **في نهج البلاغة خطبة١٩٢:** (فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَاْبَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاتِهِ) ، كقوله ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾ الأحزاب/٣٨ ، وَمَنْ لاَ يَتَّعِظُ بِالْمَاْضِيْنَ كَاْنَ عِبْرَةً لِلْبَاْقِيْنَ ، وَأَخْسَرُ النَّاْسِ مَنْ كَاْنَ عِبْرَةً لِلنَّاْسِ! يحث القرآن على قراءة التأريخ بوعي لتعرف من الماضي سنن الحاضر وعبر المستقبل ، وَالسَّعِيْدُ مَنْ إِتَّعَظَ بِغَيْرِهِ. **فائدة: ١-** الآية تدعو إلى السياحة الهادفة والسفر الواعي الذي يبعث على التفكر الذي يقرّب الإنسان من ربه ، والذي لا يفكر يقوده الذين يفكرون. **٢-** وجاء (**سِيرُوا فِي الأَرْضِ**) ست مرات في القرآن الكريم. **٣-** قال (**انظُرُوا**) ولم يقل (تفكروا) أراد أنظروا نظرة تفكر وتدبّر حتى يشترك العامل الحسّي (البصر) بالعامل العلمي (البصيرة) فيحصل الإعتبار. **في غرر الحكم:** (الاِعْتِبَاْرُ يُفِيدُ العِصْمَة)

**١٢ – ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**

قل يا مُحَمّد لمن الكائنات جميعاً خلقاً وملكاً وتصرّفاً ؟ والسؤال لإقامة الحجة العلمية على الكفّار وما شابههم ، فهذا الوجود الذي هو أكبر من ظاهره المشهود بما فيه من عجائب وأنظمة هائلة وغرائب، وكل شيء له آية – تدل على أنه واحد ، وهو سؤال لشدة وضوحه جاء للتوبيخ (**قُلْ لِلَّهِ**) سؤال عام مطلوب من كلّ عاقل أن يسألَ نفسه وأن يجيب عليه ، فالمالك لهذا الوجود المنظّم ، هو المنظِّم لهذا الوجود والقائم عليه هو الله رب العالمين لا شريك له في سلطانه ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ لقمان/٢٥ ، (**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**) أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب فضل وكرم وإحسان ، كتب الرحمة بإرادته لا يوجبها عليه موجب ولا يقترحها عليه مقترح إلاّ إرادته الطليقة الكريمة ، وبهذه الرحمة خلق الكون والكائنات وكلها تستغني به ولا تستغني عنه ، وترغب إليه ولا ترغب عنه ، وهذه الرحمة عامة تنال كل مخلوق بر وفاجر ومؤمن وكافر ورحمته وسعت كلّ شيء ، ورحمته سبقت غضبه فلا تغلقوا أبواب سعة رحمته سبحانه

بذنوبكم ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ الأعراف/٥٦ **في غرر الحكم:** (بِبَذْلِ الرَّحْمَةِ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَةُ) ، ورحمة الله بإفاضة النعمة على مستحقها وإيصال الشيء إلى كماله وجلاله وجماله الذي يليق به ولازم ذلك أن يجمعكم ليوم الحساب ، فكأنه قيل وما تلك الرحمة ؟ فقيل (**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) لينال كل ذي حق حقه ، بالقسم ونون التوكيد إشارة إلى أن البعث أمر كتبه الله سبحانه وتعالى على نفسه كما كتب الرحمة على نفسه ، وإنّ البعث والحساب والجزاء هو رحمة من رحمة الله، لأنه أساسه العدل والرحمة.

﴿**كَتَبَ ربكم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/٥٤ ، ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ الأعراف/١٥٦، (**لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ**) وهذا قسم منه سبحانه وهو أصدق المخبرين وقد أقام على ذلك من الحجج ما يجعله حق اليقين ، ومن مظاهر رحمة الله ليحشرنكم من قبوركم مبعوثين إلى يوم القيامة ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ المطففين/٦ ، الذي لا شك فيه ليجازيكم بأعمالكم، وهذا اليوم الحقيقة الكبرى يمنح حياة الإنسان هدفاً سامياً ، ويقرر العدالة والحكم بالحق ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، **في نهج البلاغة خطبة١٥٧:** (إِحْذَرُوْا يَوْمَاً تُفْحَصُ فِيْهِ الأَعْمَاْلُ، وَيَكْثُرُ فِيْهِ الزِّلْزَاْلُ، وَتَشِيْبُ فِيْهِ الأَطْفَاْلُ) ، وفي ذلك اليوم المؤكّد يقتص الله للمظلوم من الظالم ويجازي المسيء على السيئة بمثلها والمحسن على الحسنة بعشر أمثالها ولولا ذلك اليوم لذهب الحق هدراً ، ولولا هذا اليوم الحاسم لأصبحت الحياة لغزاً مبهماً لا يحله شيء إلاّ الإيمان بيوم القيامة ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ الأعراف/٢٩، (**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ في الدنيا قبل الآخرة ولم يعودوا يملكونها فهم لا يذوقون حلاوة الإيمان أبداً بل أذاقوها مرارة الكفر ولوعة العناد فهم لا يصدقون بالحق والحقيقة فهم الخاسرون، خسارة الأنفس أكبر خسارة تبدأ بإفساد فطرتها وحرمانها من هداية الله ولذة طاعته وحرموا نعمتي العقل والعلم ، وبذلك فقد خسروا أنفسهم ، وعيشها على الحرام واعتدائها على حق الله وحقوق الناس ، فعاشت الضلال ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾ الأحزاب/٣٦ ، **عن الإمام علي (ع):** (مَنْ لاَ يَستقيم به الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ) البحار٢٩٣/٧٧، الذين خسروا أنفسهم بحرمانها نعمة الإيمان ولذة الاطمئنان فلم يستفيدوا من عقولهم ومن منظومة المعلومات الواسعة حولهم، **فَمَاْ الْفَائِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ؟!** وهذا الضلال أخذ نفوسهم فقبلت الخبيث الفاسد ورفضت الطيّب المستقيم ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ**﴾ الأنفال/٢٣ ، وقوله ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾ الكهف/١٠٥. **فائدة:** إن تدبّر هذه الحقيقة على النحو الدقيق ليدع القلب في دهشة وعجب ، كما يدعه في روح وراحة واطمئنان لا

تبلغ الكلمات أن تصوّر جوانبه وحالاته. **قال أفلاطون** : (لَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَاْ مَعَاْدٌ نَرْجُوْ فِيْهِ الْخَيْرَاْتِ لَكَاْنَتْ الدُّنْيَاْ فُرْصَةُ الأَشْرَاْرِ ، وَكَاْنَ الْقِرْدُ أَفْضَلَ مِنَ الإِنْسَاْنِ !).

**١٣ – ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**

**سَكَنَ** : استقرّ وهدأ ، هو الله مالك الحركة والسكون ، وذكر الساكن وأراد به الساكن والمتحرك بمعنى (لَهُ مَا سَكَنَ وتحرك) وذكر الساكن دون المتحرك لأنه أعم وأكثر ، لأن عاقبة كل تحرك سكون، ومن السكون تحصل القدرة على الحركة. **المعنى:** لله عز وجل ما استقر وسكن في الليل والنهار ، للدلالة على عموم الملك لكل كائن أينما كان في كلِّ زمان ومكان وفي الليل والنهار كالمهد للخلائق يمنحونهم السكينة والطمأنينة ، بعض الخلائق يلتمس السكينة في الليل والبعض الآخر يلتمسها في النهار ، الجميع خلقه وخاضعون لتدبيره وتصرفه وقهره وله النظام الجاري على الجميع بقدر سعته (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) وهو السميع لجميع الأصوات على اختلاف اللغات والحالات بتفنن الحاجات (**الْعَلِيمُ**) بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، والمطلّع على الظواهر والبواطن ، ويعلم السرّ وأخفى ، ويعلم حركة النملة الصغيرة الضعيفة على صخرة سوداء في ظلمة الليل الساكن في وادٍ سحيق صامت وإنه ليدرك حاجاتها ويعلم ما تفعل هي وغيرها ويدبر أمرها كقوله ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**﴾ السجدة/٤، والتعقيب (**السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) يفيد الإحاطة الكاملة بكل الخلائق. **فائدة: ١- في نهج البلاغة خطبة١٤٧**: (لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ (سبحانه) أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ). **٢-** وقدّم الليل على النهار لأن الليل لعبادة الله تعالى والقرب منه ، والنهار لخدمة الخلق ، ومعارج الأنبياء كانت بالليل ، والقدر في لَيْلَةُ الْقَدْرِ في اللّيل خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ وليس في النهار ، والله تعالى مالك جميع التحولات والتبدلات من السكون إلى الحركة (وبالعكس) ومن النوم إلى اليقظة (وبالعكس) ومن الحياة إلى الموت ، ومن الموت إلى الحياة مرة أخرى وفي ذلك إثبات للمعاد إلى يوم القيامة.

**١٤ – ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**

**وَلِيّاً** : معيناً ومعبوداً ، **فَاطِر** : موجد من العدم ، الاستفهام للتوبيخ والإنكار وهو أبلغ من سائر ألفاظ النفي في إظهار الولاء الخالص لله والثبات عليه وفيه إنكار لموالاة غير الله ، وفي هذه العملية إثارة للعقل وتحريك للوجدان لإتباع هدى الله والإعراض عن هوى النفس. **المعنى:** إني لا أتخذ ولياً ورباً ومعتمداً أعتمد عليه وأستعين به غير الله، **من دعاء الصباح للإمام علي** (ع): (دَلَّ عَلَى ذَاْتِهِ بِذَاْتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَاْنَسَةِ مَخْلُوْقَاْتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاْتِهِ، يَاْ مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَرَاْتِ الظُّنُوْنِ وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاْتِ الْعُيُوْنِ وَعَلِمَ بِمَاْ كَاْنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ) تلك القدرة التي صنعت كلّ شيء بإتقان في هذا

الوجود المبني على الجمال والكمال والجلال في سماواته وأرضه (**فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) ومبدعهما على غير مثالٍ سابق (**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ**) يرزق ولا يُرزق وهو مصدر النعم ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ النحل/٥٣ ، وهو الذي يقُوت المخلوقات ويطعمها ويمدُّها بما يحفظ وجودها فضل منه سبحانه ، المستغني عن كلِّ عون والغني عن كلِّ مخلوق (**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**) قل أمرني ربي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ خضع للتسليم لأمر الله وألتزم بمنهجه وارتضى بحكمه كقوله (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) الزمر/١٢، وأمرت أن أكون أول من أخلص العبادة ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣.

**عن النبي** (ص): (تَمَامُ الإِخْلاَصِ اجْتِنَابُ الْمَحَارِمْ) كنز العمال خبر٤٤٣٩٩ ومعنى الإسلام هنا الخضوع والتسليم لله هما من لوازم العبودية والتي منها رفض منهج التبعية للأنظمة الوضعية البعيدة عن الله بكل مظاهرها الطاغوتية **وهذا يعلمنا** أن لا ندعو إلى دعوة صالحة إلا كنّا أول المؤمنين بها والسائرين على نهجها ، وأن نفعل ما نقول ولا نقول ما لا نفعل ، بحيث تتطابق أفعالنا مع أقوالنا ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق/١٨ ، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ الصف/٢-٣ ، **والمعنى** : (**أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**) على إطلاق معناها، وأمرت بالإسلام والتسليم والخضوع لله ولدينه وهي من لوازم العبودية ويتحقق فيها أهداف العبادة ، بحيث لا يكون ذلك موقف أو كلام أو إتباع أو إنتماء خارج نطاق أمر الله ونهيه ، بل أن يكون كيانك كله لله في استسلام خاضع خاشع ، فهو أول من يبادر قبل غيره ، وهو مدرسة تربوية عالية المضامين ، ليكون كل مؤمن مشروع مبادرة حضارية عامة (**يهدي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) ، وإنّي أمرت أن أكون في المرتبة الأولى من بين كافة من استسلم وخضع لأمر الله تعالى ورضي بحكمه من السابقين واللاحقين، وتسابق في الخيرات لا يسبقكم بالعمل به غيركم ، وأول المؤمنين به وأول العاملين وأول الدّاعين المخلصين المجاهدين فيه ، وأسرع الناس في حمايته ورعايته والتضحية في سبيله ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦ ، ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١ ، (**وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ**) ويحذر الله الإنسان في مشروعه النهضوي المتسابق بالخيرات من مخاطر الشرك الخفي والجلي ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/١٣ ، الذي يضع العراقيل ويكدِّر صفاء النفس ويعيق من تطبيق مشروع ومبادرة (**أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**) ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ النساء/١١٦.

**١٥ –** ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾

يأمر الله رسوله الكريم أن يقول بأنه ليس مستثنى من قوانين الله ، وهذا تأكيد مبدأ المساواة بين الناس جميعاً أمام الله بلا امتياز وحقوق مقدسة لأي إنسان إلاّ بما يقدمه من خدمة تنفع الناس وترضي الله ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأنعام/٧١ ، وهذا هو الإسلام في واقعه ، عدل

ومساواة واحترام لحقوق الإنسان ، ولكن يأتي الخوف من الله على قدر العلم بعظمته ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ فاطر/٢٨ ، والخوف من الله خوف هيبة لا خوف رهبة ، **عن الإمام الصادق** (ع) (مِسْكِيْنٌ اِبْنُ آدَمَ لَوْ خَافَ مِنَ النَّارِ كَمَاْ يَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ لأَمِنَهُمَاْ جَمِيْعَاً ، وَلَوْ خَافَ اللهَ فِيْ الْبَاْطِنْ كَمَاْ يَخَاْفُ خَلْقَهُ فِيْ الظَّاْهِرِ لَسَعُدَ فِيْ الدَّاْرَيْنِ)تنبيه الخواطر ص٣٥٣، **فائدة:** فعلى كلّ إنسان أن يخاف من عذاب الله مثل ما يخافه النبي (ص) ولا مخلص منه إلاّ برحمة الله وتنال رحمته سبحانه بطاعته. **في غرر الحكم**: (خِفْ تَأْمَنْ، ولا تَأْمَنُ فَتَخَفُ)!

**١٦ –** ﴿**مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**﴾

**يُصْرَفْ**: يُبعَد، من يحوّل عنه العذاب فقد نجاه الله برحمته من الفزع الأكبر ومن نجا منه فقد دخل الجنة. كلُّ من يخاف أهوال يوم القيامة ورهبة جهنم ، يرى النجاة منها رحمة ، من يرحم نفسه يرحمه الله (**وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**) فمن نالته رحمة الله فقد نجا بوضوح ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ آل عمران/١٨٥ ، قال رجلٌ للنبي (ص) أُحِبُّ أَنْ يَرْحَمَنِي رَبِّي ؟ **عن النبي** (ص) : (إِرْحَمْ نَفْسَكَ وَإِرْحَمْ خَلْقَ اللهِ يَرْحَمْكَ اللهُ) كنز العمال خبر٤٤١٥٤، ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ آل عمران/١٣٢. **وعنه (ص):** (وَالَّذِي نَفْسِيْ بَيَدِهِ مَاْ مِنَ النَّاْسِ أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ ، قَاْلُوْاْ وَلاَ أَنْتَ يَاْ رَسُوْلَ اللهِ؟ قَاْلَ (ص): وَلاَ أَنَاْ إِلاّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) مجمع البيان٤ص١٩، ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾ الأعراف/٥٦.

**١٧ –** ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾

**المس** : لمس الشيء برفق وتستعمل في الخير والشر. عرض لقدرة الله تعالى وإرادته الحاكمة على كلِّ شيء في منح النِّعم ومنعها ، وأنه بيده النفع والضر وإن أقسى ما يصيب الإنسان من ضرٍّ من ألم أو خوف أو مرضٍ أو فقرٍ أو حزنٍ.. ونحوه هو لمسة خفية من صنع الناس ، محفوفة برحمة الله ولطفه ولولا ذلك لما إحتملها بشر ، وهو إما أن يكشفه الله عنك بتيسير لك الأسباب التي تكشفه وإما أن يكشفه بلطفه وكرمه بغير عمل منك ، حتى الدواء الذي يشفيك من مرضك والطبيب الذي عالجك هما من خلق الله (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ**) كصحةٍ وغنى وقوةٍ وجاه ونحوه ﴿**فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ يونس/١٠٧، فهو قادر على حفظه عليك كما قدر على إعطائه إيّاك والخير هو كل من كان فيه منفعة في الحاضر أو المستقبل (**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) فكل خير على إطلاقه هو قطرة من فضل الله محفوفة بحكمته وتقديره ، فيكون الضر والخير مقدّر بمقادير ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ القمر/٤٩.

**فائدة: ١–** فعلى المؤمن الصادق في إيمانه ألاّ يطلب شيئاً من أمور الدنيا والآخرة من كشف ضر وصرف عذاب أو إيجاد خير وزيادة بركة إلا من الله تعالى وحده دون غيره من الشفعاء والأولياء والصالحين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله تعالى ، ويمكن أن يكون الأنبياء

والأولياء (ع) وسائل رحمة إلى الله ووسائط خير وشفاعة إليه عز وجل يتوسل الناس بجاههم عند الله لقضاء حوائجهم كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ المائدة/٣٥. **٢-** ونجاح كلّ شيء في الحياة الدنيا و الاخرة هو إتقان العمل ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ النجم/٣٩ ، ومراعاة الأسباب التي اقتضتها سنة الله في الخلق ودلّ عليها الشرع وهدى إليها العقل.

**٣- كيف ينسب الشرّ إلى الله تعالى ؟! الجواب** : يُقصد به سلب النعمة ضمن قانون الأسباب والمسببات كقوله ﴿**بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً**﴾ إبراهيم/٢٨ ، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ الأنفال/٥٣ ، ﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾ النحل/١١٢ ، وإنّما خصّ رسول الله بالذكر لأنه مع علو منزلته لم يقدر على كشف الضر الذي يصيبه فغيره عاجز عن كشفه بطريق أولى ومنه يستفاد أن ما يصيبه الإنسان من أنواع المحن إنّما هو من الله تعالى بسبب سوء تصرف الإنسان ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ الشورى/٣٠ ، **لماذا قدّم الضرّ على الخير** ؟ لأن الضرّ والشر ما يملأ مشاعر الإنسان خوفاً من الله تعالى وتعلقاً به ، فإن الإنسان في الخير كثيراً ما يُذهل عن الله ويغفلُ عن ذكره ، ولكنه في حال الشدة والضر يذكر الله ويدعوه ويتعلق به ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً**﴾ الإسراء/٨٣، وإنها لنعمة تلك الشدائد التي توجه الإنسان إلى الله، وإنّ الله سبحانه وتعالى الغني الرحيم لا يريد الضرّ لأحد من عباده﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ق/٢٩، وذكر الله في الخير (**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) وذكر في الضر أنه (**لا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ**) للدلالة على أنّ إرادة الله لإيصال الخيرات غالبة على إرادته لإيصال المضار ، وعبّر عن إصابة الضرِ والخير بالمس (**إِنْ يَمْسَسْكَ**) للدلالة على القلة أي أنّ ما يصيب الإنسان من ضر أو خير شيءٌ يسير وأقل من الاستحقاق إنه للاختبار ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ الأنفال/٣٧، وأنّ دلالة المساس على الضرّ الذي يشعر بألمه الفرد أو المجتمع ومساس الخير الذي يحس بلذته الفرد والمجتمع.

**١٨ -** ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

**الْقَاهِرُ** : من القهر بالقدرة والغلبة ، مع الذلة للمقهور ، إنّه تصوير متحرك لقهره وعلوه سبحانه وإنّهم تحت تسخيره وتدبيره ﴿**وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ الرعد/١٦ ، فلا يعمل أحد منهم عملاً من دون إذنه لا يعجزه شيء ، وأوجدهم دون إرادتهم وقهرهم بالموت والفناء وإرادة الله فوق إرادتهم ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ التكوير/٢٩ ، (عَبْدِيْ أَنْتَ تُرِيْدُ وَأَنَاْ أُرِيْدُ وَاللهُ يَفْعَلُ مَاْ يُرِيْدُ) فالله تعالى هو القاهر وغيره مقهور كان هو المستحق للعبادة بحق ، بعد أن أثبت الله كمال القدرة

لنفسه ، هنا أثبت لها كمال السلطان والهيبة والاستعلاء (**فَوْقَ عِبَادِهِ**) على جميع عباده مع كمال الحكمة والرحمة المحيطة بخفايا الأمور ، وهو الذي خضعت له الرقاب وذلّت له الجبابرة وعنت له الوجوه وقهر كلّ شيء وغلبه (**وَهُوَ الْحَكِيمُ**) في جميع أفعاله فيما أمر ونهى وأثاب وعاقب وفيما قدّر ودبّر (**الْخَبِيرُ**) بمواضع الأشياء والمطّلع على خفايا الأمور فلا ينبغي للمؤمن أن يتخذ أولياء من دون الله المقهورين تحت سلطانه ﴿**قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾ الإسراء/٥٦ ، **ومن الجدير ذكره** : ويمكن إتخاذ روضات أولياء الله أماكن العبادة والدعاء الله بجاههم عنده وهم وسائل شريفة للقربى منه عز وجل لقضاء حوائج المؤمنين وشفعاء للداعين كقوله ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً**﴾ الكهف/٢١ ، كما جاء **من دعاء أهل البيت** (ع) : (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ ذُنُوْبِيْ قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِيَ عِنْدَكَ وَحَجَبَتْ دُعَائِيَ عَنْكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَإِسْتَجِبْ لِيْ يَاْ رَبِّ بِهِمْ دُعَائِيَ) ، ويبقى الله عز وجل هو الهدف والغاية في العبادة والدعاء ، أينما كانت العبادة والدعاء ، **فائدة** ليس سلطان الله سبحانه القائم والقاهر فوق عباده الآخذ على جوارحهم ليس بالسلطان المستبد الظلوم الجهول كقول فرعون ﴿**وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ الأعراف/١٢٧ ، وإنما هو سلطان قائم بالعدل والحكمة والعلم والقدرة ، فهو سلطان القوة والرحمة والإحسان. يالروعة الجمال والكمال والجلال عندما تندمج القوة القاهرة مع الرحمة والإحسان والفضل الغامر.

**١٩** - ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾

**أسباب النزول** : إنّ مشركي قريش قالوا للنبي (ص) إنّ اليهود والنصارى لا يشهدون لك بالنبوة فأرنا من يشهد لك بها فأنزل الله الآية. قل لهم يا مُحَمّد أي شيء أعظم شهادة حتى يشهد لي بأني صادق في دعوى النبوة ؟ (**قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**) قل لهم الله أكبر شهادة فشهادته أكبر من شهادة الخلق ، وهو شاهد تعلو شهادته كل شهادة ، الله يشهد لي بالرسالة والنبوة وكفى بالله هادياً وشهيداً ولا شهادة بعد شهادته تعالى ، وشهادة الله يقوم عليها الوجود كله لأن شهادة آياته في القرآن وآياته في الأكوان وآياته في العقل والوجدان وفي نفس كلّ إنسان مفكّر. (**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**) والله تعالى يشهد بأنه أوحى القرآن للرسول لمصلحتكم ليقوم بإنذار هذه الأمة المخاطبة وغيرها ممن بلغه الخطاب القرآني من الأمم الأخرى ، فيكون القرآن أكبر شاهد ودليل بلاغي معجز من الله تعالى على صدق نبوة مُحَمّد (ص) ، وقد تحدّى وما يزال يتحدى كل جاحد ومعاند (**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى**) استفهام توبيخ وإنكار ، كيف تجعلون مع الله شركاء بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة على وحدانية الله عز وجل (**قُلْ لا أَشْهَدُ**) بما شهدتم به ولا أجعل مع الله إلهاً آخر فوازن بين شهادة رب العالمين وهي أكبر شهادة ،

وشهادة أزكى الخلق وهي أصدق شهادة المؤيدة بالبراهين القاطعة على توحيد الله وحده (**قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) هذا هو التوحيد الخالص الذي أمرنا الله بالاقتداء به لا شريك له في ألوهيته (**وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**) ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/١٣ ، وإنما يتبرأ خط التوحيد الصافي من خط الشرك الخفي والجلي في مختلف المجالات ، ولا مساومة بين خطّي الحق والباطل ولا يمكن أن يجتمع الإسلام والشرك في قلب واحد كما يتصوره بعض الناس ولا يزال يتصوره أناس في هذا الزمان ، من أنه يمكن أن يكون الإنسان مسلماً لله ، بينما هو يتلقى من غير الله في شؤون الحياة ، وبينما هو يخضع لغير الله ويستنصر بغير الله ويتولى غير الله! فالرسول (ص) يواجه المشركين ليبين لهم مفرق الطريق بين دينه ودينهم وبين إسلامه وجاهليتهم ، وإنه لا وجه للمصالحة والمساومة في هذا الأمر ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ القلم/٩.

**فائدة** : (**وَمَنْ بَلَغَ**) ومن بلّغ الإسلام إلى العالم باعتبار القرآن دستوراً عالمياً للإنسان على الكرة الأرضية ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، وأيضاً فكل من بلغه هذا القرآن من الناس بلغة يفهمها فقد قامت عليه الحجة به وبلغه الإنذار الواضح وحق عليه العذاب إن كذّب بعد البلاغ ، ليكن القرآن الكريم اليقين الجازم بحقيقة هذا الدّين ، والمفاضلة الحاسمة مع الباطل وأهله ، **عن ابن عباس**: (مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا شَافَهْتُهُ به) ثم قرأ (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) المراغي٧/٩٣، **والسياق القرآني بمقاطعه هذه وبإيقاعاته هذه** : يهزّ القلوب ويحرّك المشاعر ويحي الضمائر بما لا يملك الإنسان الانهزام منه ! ونلاحظ هذا التقطيع في العبارة هو الأنسب في جو الآية، وهو أولى من الوصل على تقدير (**قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**) وفي تكرار (**قُلْ**) أربع مرات في آية واحدة للدلالة على كمال عناية وتمام رعاية من الله سبحانه للنبي محمَّد (ص) أنه في إتصال مباشر مع وحي السماء وبذلك تقوى عزيمته ، **في نهج البلاغة الرسالة٣١** في قوله (**إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) : (لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيْكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُه وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِه). ولغة (**لأُنذِرَكُمْ بِهِ**) بأسلوب الوعيد أكثر تأثيراً في نفوس الغافلين من لغة البشارة والرحمة والوعد للطائعين بالجنة.

**٢٠** – ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾

يعني أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين عرفوا الحق وخالفوه يعرفون أن هذا القرآن حق من عند الله، ويعرفون النبي (ص) بصفاته وصحة نبوته لعلاقة أحدهما بالآخر على ما هو (ص) مذكور في التوراة والإنجيل كما يعرف الواحد منهم أولاده ولا يشك ولا يشتبه في ذلك كقوله ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ البقرة/٨٩ ، (**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) **خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ** : غبنوها حقها ولوثوا فطرتها ، وخسران النفس أشد خسارة لأنه خسران عدم التطلّع إلى أفق أوسع ، وفقد الإيمان (الذي هو منبع كل خير) يكون سبباً لكل أنواع الفساد لذلك صاروا معاندين

ومستكبرين على الحق فحرموا أنفسهم تزكيتها وتهذيب عاداتها واستغرقوا في حب الذات واللّذات والواجب عليهم تهذيبهما، والاستغراق يضيّع الاستحقاق ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ الشمس/٩-١٠ ، فقد حرموا أنفسهم فهم الحياة الحقيقية وفهم هذا الدّين حتى صدموها بالخسران ، فَمَاْ الْفَاْئِدَةُ أَنْ أَرْبَحَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَخْسَرَ أَهَمَّ شَيْءٍ، وَهِيَ نَفْسِيْ ؟! **عن السيد المسيح** (ع) (مَاْذَاْ يَنْفَعُ الإِنسَاْنَ لَوْ رَبِحَ الْعَاْلَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ)؟! ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ الكهف/١٠٣-١٠٤ ، **عن النبي (ص)**: (الْخَاْسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَاْدِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩، **في غرر الحكم**: (مَنْ أفْنَىٰ عُمْرَهُ فِي غَيْرِ مَا يُنْجِيهِ فَقَدْ أَضَاعَ مَطْلَبَهُ)

**٢١ -** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

الآية بيان لأهم مظهر من مظاهر خسران النفس ، **الظلم من أشنع الذنوب** ، وكل ذنب مذموم بمقدار ما فيه من الظلم سواء لنفسه أو لغيره وكل من ظلم نفسه ظلم غيره فخسر نفسه ، **والظلم** هو انحراف وخروج عن الوسط العدل، والظلم يكبر ويصغر من جهة من صدر عنه الظلم ومن جهة من وقع عليه الظلم ، فلا أظلم ممن ظلم الساحة المنزهة عن الظلم وهو الله جلّ في علاه ، وهو بذلك لا يظلم إلا نفسه **والمعنى**: الاستفهام إنكاري ومعناه النفي أي لا أحد أظلم ، ومن أشدُّ ظلماً وإجراماً ممّن كان فيه أحد الوضعين فكيف لو اجتمعا ؟ ممن اختلق وافتعل على الله الكذب أو كذب بالقرآن أو نبوة مُحَّد (ص) والمعجزات الباهرة وسمّاهاسحراً أو أنكر الدين منهج للحياة (**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) لا في الدنيا ولا في الآخرة ، إن الظالمين عامة لا يفوزون في عاقبة أمرهم ، فكيف تكون عاقبة من افترى على الله الكذب وكذّب بآياته المنتشرة في الآفاق وفي أنفسهم أو إدّعى الشفاعة للخلق من عند الله ومن إدّعى النيابة عن المعصوم أو من إدّعى النبوّة كذباً أو نسب حكماً إليه كذباً وابتداعاً أو التفسير بالرأي.. إلخ ، فكان أظلم الظالمين ؟ **فائدة:** **١-** يحذّر الإسلام من الكذب جدُّه وهزله ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ النحل/١٠٥ ، **عن النبي (ص)**: (الْكَذِبُ بَاْبٌ مِنْ أَبْوَاْبِ النِّفَاْقِ) تنبيه الخواطر ص٩٢. **٢**-(افترى أو كذّب) بأن كلاًّ من الافتراء والتكذيب وحده بالغ في غاية الظلم ، فكيف من جمع بينهما فاثبتوا ما نفاه الله ونفوا ما أثبته ﴿**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ التوبة/٣٠. **٣**-(**وَمَنْ أَظْلَمُ**) وردت في القرآن الكريم في (١٥) موضعاً، أشدُّ الظلم هنا يصل إلى الكفر، وكل من كذب على الله ورسوله عامداً متعمداً في الإفراط والتفريط فهو كافر بالاتّفاق. ومن أشدّ الظلم هو الظلم الثقافي وصدُّ الناس عن الفهم الصحيح للدّين، وإبعادهم عن الصحوة القرآنية، وهو من أسوأ الظلم والتضليل الذي يرتكب

بحق المجتمع ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى**﴾ طه/٦١، فيكون للظلم مراتب كثيرة وأنواع مختلفة وكلما كان الظلم أشدّ كان أفظع وأكبر ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾لقمان/١٣

**٢٢ – ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**

واذكر لهم أيها الرسول (**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً**) أي نحشر كلّ النّاس للحساب على اختلاف درجاتهم في ظلم أنفسهم وظلم غيرهم ، ثم نقول للذين أشركوا منهم وهم أشدهم ظلماً (**أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**) الاستفهام للتوبيخ، أين الشركاء الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أولياؤكم من دون الله وأنهم يقربونكم إلى الله زلفى (منزلة) ويشفعون لكم عنده ، فأين ضلوا عنكم فلا يُرَوْن معكم ولا يأتون لإنقاذكم ، سواء أكان الشركاء الذين يعبدونهم من دون الله حجراً أو بشراً أو مالاً أو نساءً أو جاهاً أو عقاراً.. وغيرها من ملذّات الدنيا كقوله ﴿**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ الأنعام/٩٤ ، **عن النبي (ص)** : (إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ فَإِنَّ فِيهِ الشِّرْكَ الْخَفِيُّ) البحار٧٨/٢٠٠

**٢٣ – ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**

**فِتْنَتُهُمْ** : عاقبة افتتنانهم بعبادة من دون الله أو جوابهم إنما سماه فتنة لأنه كذب خدعوا به أنفسهم ، أي انخدعوا بعبادة أنواع الشركاء في الآية / ٢٢ ، ثم أخبر القرآن بأنهم يوم القيامة ينكرون ذلك الشرك والشركاء ، أي ثم لم تكن عاقبة هذا الشرك والشركاء إلا أن أقسموا بالله يوم القيامة أنهم ما كانوا مشركين ظناً منهم أنهم هناك أيضاً قادرون على إخفاء الحقائق. **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ اللهَ يَعْفُوُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَفْواً لاَ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ حَتَّى يَقُوُلَ أَهْلُ الشِّرْكِ (**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**) لِكَيْ يَشْمَلَهُمُ الْعَفْوُ) تفسير العياش١/٣٥٧، **وعن إبن عباس:** (فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا أَهْلُ الإِسْلاَمِ، أيْ أهلُ التَسْلِيمِ لأَمْرِ اللهِ ، الإسلامُ بِمعناهُ الشَامِلُ (**قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**)) المراغي٧/٩٦ **عن الإمام علي (ع) يذكر أحوال أهل المحشر، في كتاب التوحيد ص٢٦١ (مختصر)** وفي مواقف أخرى ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يس/٦٥. ثم يُرفع عن ألسنتهم الختم (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فصلت/٢١ أقسموا كاذبين بقولهم (**وَاللَّهِ رَبِّنَا**) وهنا موقف من مواقف القيامة يستطيعون الكذب ، وفي مواقف أخرى تأخذهم الرهبة ﴿**وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً**﴾ النساء/٤٢ ، وفي مواقف أخرى ﴿**وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**﴾ المرسلات/٣٦، وفي مواقف أخرى ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ المؤمنون/١٠٨ كنز الدقائق٣/٢٥٨.

**٢٤ – ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾**

الخطاب موجّه للنبي مُحَمَّد (ص) والمراد به القوم ، هذا تعجب من كذبهم الصريح المكشوف بإنكار الشرك عنهم وهو في أعماقهم أمام علاّم الغيوب **(وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وَضَلَّ عَنْهُمْ** : غاب وزال عنهم ما كانوا يرجون نصرته ، أي أنظر كيف كذبوا وخدعوا أنفسهم وكيف ذهب عنهم ما كانوا يفترونه ويبتدعونه من فنون الإشراك وأنواع الفساد والأذى والاعتداء الذي صدر منهم حتى نفوا عنهم كل سوء طلباً للنجاة. **فائدة: (انظُرْ)** النظر بعين العقل والبصيرة لا بالعين الباصرة أي أنظر نظرة علمية واعية. ثم وصف حال المشركين حين استماع القرآن فقال :

**٢٥ - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾**

ومن هؤلاء المشركين من يصغي إليك يا مُحَمَّد حين تتلو القرآن ولكنهم لا ينتفعون به ولا بغيره من الدلائل والبينات لأن عقولهم منغمسة في المصالح المادية وفي التعصب الأعمى والأهواء والشهوات فأصبحت وكأنها واقعة تحت حواجز وحجب من الذنوب **(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ)** وجعلنا على قلوبهم **أَكِنَّةً** أي أغطية وأغشية لئلا يفقهوا القرآن كلام الله ، فصان كلامه الجليل عن نفوس خبيثة ، إنهم اعتمدوا الضلال وصمموا على العناد والاستكبار حتى أعمى هذا العناد عقولهم عن إدراكه **(وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً)** ثقلاً وصمماً يحول دون سماعه عقوبة لهم لإصرارهم على الكفر والمعاصي وكانت العقوبة على قدر الجناية ومن جنسها ، وفي هذا تشبيه للحجب والموانع المعنوية التي تعطِّل أجهزة الاستقبال عندهم وتوقف عمل الحواس نتيجة لتراكم الذنوب ، فالقلب الذي لايفقه الحديث ولا يتدبّره كالوعاء الذي وضع عليه غطاء فلا يدخل فيه شيء ، وما فاز من ظفر بالإثم، والْغَالِبُ بِالذَّنْبِ مَغْلُوبٌ ، **في غرر الحكم**: (مَنْ تَلَذَّذَ بِمَعَاصِي اللهِ أَوْرَثَهُ اللهُ ذُلاًّ) فالقلب الذي لا يفقه الحديث الحسن ولا يتدبره كالوعاء عليه عازل فلا يدخل فيه شيء ، والآذان التي لا تسمع الكلام النافع سماع فهم وتدبر وإصغاء كالآذان المصابة بالثقل والصمم وكأنها لا تسمع كقوله **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾** الأنفال/٢٣ ، وهذه نماذج مكرورة في البشرية التي تسمع ولكنها لا تفقه ، كأن ليس لها قلوب تدرك ولا آذان تسمع وكأن عقولهم في غلاف لا تنفذ إليه مدلولات العلوم والمفاهيم ! **(وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا)** فأعينهم ترى كذلك ولكن كأنها لا تبصر أو كأن ما تبصره لا يصل إلى قلوبهم ولا تتأثر به عقولهم ، فاستكبارهم قد أعمى أعينهم عن الحق ، **في غرر الحكم**: (إِيَّاكَ وَالْكِبْرَ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَلْأَمُ الْعُيُوبِ، وَهُوَ حِلْيَةُ إِبْلِيسَ) ، **(حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) أَسَاطِيرُ** : أكاذيب مسطورة في الكتب أي بلغوا من التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاؤوك مجادلين مخاصمين يقولون عن القرآن المعجزة ما هذا إلا خرافات وأساطير وأباطيل الأوائل ومنقول عنهم كقوله **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾** النمل/١٤، وهكذا الذي لا ينفعه القرآن يصادقه الشيطان!

﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ الصف/٥ ، **عن الإمام علي (ع)** : (صُنْ دِيْنَكَ بِدُنْيَاكَ تَرْبَحْهُمَاْ ، وَلاَ تَصُنْ دُنْيَاْكَ بِدِيْنِكَ فَتَخْسَرْهُمَاْ) مستدرك الوسائل٢/٣٢٥، **في غرر الحكم**: (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِيِنِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ) ، **وفيه أيضاً**: (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَاْدِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَاْدَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَاْدِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ) !

**فائدة: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ)** وصحت نسبة الأكنّة (الأغطية) إلى الله تعالى لأنه يستخدم قاعدة الأخذ بالأسباب ، **في غرر الحكم**: (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ) والسبب بيد الإنسان تكريماً له والمسبب هو الله تعالى ولا يعمل المسبّب إلاّ بوجود السبب كقوله ﴿**اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ**﴾ الشعراء/٦٣ ، والله يقلب القلوب ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾ الأنفال/٢٤ ، فيشرح بعض القلوب للهدى لمن هي مقبلة على الهداية ، ويجعل بعضها في أكنة لمن هي مدبرة عنه فلا تعقل كلام الله تعالى فلا يذوقون حلاوة الإيمان كقوله ﴿**وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾ المائدة/٤١ ، وختم الله على القلوب ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الروم/٥٩ والختم هو الطبع ومعناه ترك الإنسان على ما هو عليه بما أراده لنفسه من ضلال وعمى بعيداً عن رحمة الله ولطفه وعونه لأنها لا تستجيب للهداية.

**٢٦ -** ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

**يَنْهَوْنَ** : يمنعون ، **يَنْأَوْنَ** : من النأي وهو البعد أي يبعدون ، تبيّن الآية حرصهم الشديد على صدّ النّاس عن الحق، فقد جمعوا بين الإبعاد والابتعاد ، وتكشف الآية عن سوء سريرتهم وأفعالهم الخبيثة مع أنفسهم ومع الناس بجميع مظاهرها، فهم شر على أنفسهم وعلى الآخرين ، **في غرر الحكم**: (شَرُّ النَّاْسِ مَنْ لاَ يَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنّهِ، وَلاَ يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوُءِ فِعْلِهِ) ، هؤلاء المكذبون ينهون الناس عن إتباع القرآن وعن صحبة محمّد (ص) ويبتعدون هم عن الإسلام ظانين أن ذلك أسلوب لمحاربته كان كبراء قريش يخافون من تأثير هذا القرآن على أتباعهم لو تركوا الناس يتفاعلون معه، **(وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)** وما يضرون بهذا الفعل إلاّ أنفسهم وما يشعرون أن هذا الموقف الخاطئ والخطير يؤدي بهم إلى الهلاك، وهكذا (الَّذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ، لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ) **في نهج البلاغة خطبة١٥٤**: (العاْمِلُ بغَيْرِ علم كَالسَّاْئِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيْقِ الصَّحِيْحِ لاَ تَزِيْدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلاّ بُعْدَاً عَنْ الصَّوَاْبِ)، فهم جمعوا بين قبيحين بين الضلال والإضلال لا ينتفعون ولا يدعون أحداً ينتفع كقوله ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٢، مساكين أولئك الذين يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ في الحيلولة بين أنفسهم والنّاس معهم وبين هدى الله وإن تبدوا في ثياب الجبابرة فهم لا يهلكون إلاّ أنفسهم وإن بدا لهم حيناً من الدّهر أنهم رابحون مفلحون. ويبقى الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه وهو يجتذب

القلوب ويفضح كلّ الأكاذيب ويبعثها حسرة في نفوس المفسدين كقوله ﴿**وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾التوبة/٩٨، وهكذا من مكر بالإسلام حاق به مكره ولو بعد حين. لأن نصرة الإسلام وعد حق غير مكذوب﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾آل عمران/٩.

**٢٧ – ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾**

بيان لعاقبة جحودهم وإصرارهم على الكفر ، ولو ترى يا مُحَمَّد هؤلاء المشركين المعاندين إذا عُرِضوا على النار يوم القيامة لرأيت أمراً عظيماً تشيب لهوله الرؤوس وتفزع منه النفوس ، وجواب (لو) محذوف تقديره لرأيت أمراً شنيعاً ، وإنّما حذف ليكون أبلغ ما يقدّره السامع (**فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا**) تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً ولا يكذبوا بآيات الله ، فتمنوا العودة ليصلحوا العمل ويتداركوا الزلل (**وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**) نؤمن بالله إيماناً صادقاً ، غير أن الحسرة لا تجدي نفعاً والتمني رأس مال المفلسين ، فلا يعيد حياة ولا يرفع عذاباً إنه ندم وإنها حسرات وجهنم هي المقر والجزاء ، وهل يرجى من رجعة العمر ما مضى في الحياة الدنيا ؟ فكيف بالآخرة ؟ ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**﴾ البقرة/١٦٧ ، كقوله ﴿**قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**﴾ المؤمنون/٩٩-١٠٠.

**٢٨ – ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**

بَلْ بَدَا لَهُمْ أي ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم والله يعلم طبيعتهم وإصرارهم على باطلهم ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ الحاقة/١٨ ، (**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) ولو ردّوا على سبيل الفرض إلى حال التكليف كما طلبوه ، لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب والضلال وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان ولعدم استعدادهم الاستقامة على منهج الله ، فقد قالوا ﴿**يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأنعام/٢٧، وكم قرأنا وسمعنا عن مجرمين تابوا في غياهب السجون حتى إذا خرجوا عادوا إلى جرائمهم، وهكذا ترى شارب الخمر والمقامر يريان الشقاء يحل بأمثالهما فيظهران الندم ويتوبان ثم لا يلبثان أن يرجعا سيرتهما الأولى كقوله ﴿**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**﴾ الزمر/٤٨. **فائدة:** من الضروري للمؤمن أن يختبر نفسه في عمله ليعرف في أي إتجاه يسير ليعمل لنفسه إعادة حسابات فيقوّي نقاط الضعف في نفسه ويدعم نقاط القوة فيها ، ولا يدخل في عمل سيء لا يستطيع الخروج منه ، فإن الله تعالى يريد منا صناعة شخصية تصلح المجتمع ولا تحاول الخضوع للأمر الواقع وتبريره بالقدر الممكن، كقوله ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾ الإسراء/٨٠. **عن الإمام الصادق**

(ع): (قِفْ عِنْدَ كُلِّ أمْرٍ حَتى تَعْرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخْرَجِهُ، قَبْلَ أنْ تَقَعَ فِيهِ فَتَندم) البحار٧٨/٢٨٣، **عن الإمام علي** (ع): (رَحِمَ اللهُ إِمْرِئً عَرَفَ مِنْ أَيْنَ، وَفِيْ أَيْنَ، وَإِلَى أَيْنَ)

**٢٩ – ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾**

من الحماقة والسفاهة أن ننفي حقيقة كبيرة عالية المضامين قبل أن نعرف الصواب والخطأ ! **يوم القيامة** : من أصدق الحقائق ومن أقوى البديهيات ويقره العقل السليم ويثبته الدليل وينطق به الواقع ويصدقه العلم الحديث وتؤيده النصوص الكثيرة من الأديان السماوية ، ويدعمه القرآن والسنة ولا تنكره الحجج والبراهين (**يوم القيامة ميزان دقيق،** فمن وفّى ، استوفى) ! **الحياة الدنيا** : بنيت على نظام وهدف وغاية وللإنسان فيها قيمة كبرى وله حرية الاختيار ومسؤول عن اختياره ، وهذا يدفعك إلى وجود منظم ومدبِّر ومقدِّر وإنّ الحياة تسير من دون فوضى ، وهذا يقتضي وجود عالم آخر غيبي فيه الحساب والكتاب والجزاء ، **ونكران يوم القيامة** : نكران الضرورات وهي من أشكل المشكلات، والتعامي عن الحقيقة الكبرى لا يلغي وجودها ، وعدم الشعور بها دليل القصور في إدراكها ، والعناد في تكذيبها قبل التأكد منها وقبل أن يأتي ببرهان علمي في نكرانها دليل على ضحالة منكرها ، لذلك أصبح التكذيب جريمة بل هو علة ودافع لسائر الجرائم لأن **من علامات الأحمق**: (**إِذَاْ أَمِنَ الْعِقَاْبَ أَسَاْءَ الأَدَبْ**) لذلك أغلق القرآن أبواب التبرير للمنكر أو للخطأ ، أمام الإنسان لعلّه يعي أهمية هذه الحقيقة الكبرى ويتحمل مسؤوليتها اللازمة.

**وقضية الدار الآخرة والجزاء** من قضايا العقيدة الأساسية وهي مرتبطة بالإيمان بالله تعالى ، **فالحياة** ليست هذه الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد والمجتمع وعمر البشرية في هذه الحياة الدنيا ، بل الحياة في التصوّر الإسلامي تمتد طولاً في الزمان وعرضاً في الآفاق وعمقاً في العوالم وتمتد تنوعاً في الحقيقة ، فالحياة أكبر من أن يحدها زمان ومكان أو تحدّها حدود ، وإنّ هذا الوجود أكبر من ظاهره المشهود ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّمَاْ الدُّنْيَاْ عَرَضٌ حَاْضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَاْ الْبَرُّ وَالْفَاْجِرِ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ وَعْدٌ صَاْدِقٌ يَحْكُمُ فِيْهَاْ مَلِكٌ قَاْدِرٌ) كنز العمال خبر٤٤٢٢٥ (لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ).

**فائدة** : (**وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**) إنكار المعاد والجزاء والحساب وهو إنكار لوجود الله تعالى وإنكارهم هو إنكار للرّسل والرسالات، وهذا الإنكار من أهم أسباب انتشار الشرّ والفساد وهو يجلب الشقاء والعناء للإنسان ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣ ، ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ طه/١٢٤ ، **الضنك** : الضيق المعنوي والقلق النفسي والأرق الليلي ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً**﴾ الجن/١٧ ، **أهمية الإيمان بيوم القيامة** : الإيمان بالجزاء في اليوم الآخر من أهم قضايا العقيدة الإسلامية ، والذين لا يؤمنون بالآخرة يضيق أفقهم ضمن حدود هذه الحياة الدنيا ، وهؤلاء يفترون على عقيدة يوم القيامة

فيقولون إنّها تدعو النّاس إلى السلبية وإهمال الحياة الدّنيا ، ونقول لهم ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الأعراف/٣٢ ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيْشُ أَبَداً وَإِعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوْتُ غَداً) تنبيه الخواطر ص٤٦١.

**٣٠ -** ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾

ولو ترى حال هؤلاء المكذبين حين تقفهم الملائكة على حقيقة ما وعدهم ربهم من عذاب الكافرين وثواب المؤمنين، في الموقف الحاسم الذي يحاسبهم فيه ربهم الذي كذبوا بلقائه ويمسكونهم إلى أن يحكم الله فيهم كما يوقف العبد الجاني أمام سيده للعقاب ، إنه تصوير لفظاعة الموقف وسوء حالهم فيه لذلك حذف جواب (لو) للتهويل في المشهد الرّهيب ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**﴾ الإنفطار/١٩ ، (**قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ**) قوله (هَذَا) إشارة إلى الجزاء والحساب ، أليس هذا المعاد بحق ؟ والهمزة للتوبيخ والتقريع على التكذيب (**قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا**) اعترف الكفار مذعنين بأن هذا المعاد حق ولكن جاء اعترافهم بعد فوات الأوان كقوله ﴿**وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ**﴾ البقرة/١٦٦ ، كما آمن فرعون في الوقت الذي لا ينفعه الاعتراف (**قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**) ولكنهم ما يكادون ينصرفون إلى أنفسهم يعالجون الهمّ الذي هم فيه حتى يقرعهم (**قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ**..) عبّر عن شدة الألم بتذوق العذاب ، إنه تصوير قرآني فني يتحسسون من خلاله أعماق رهبة العذاب وكأنهم يستذوقونه، كما يتحسسون بلذة الطعام الطيب ويستذوقونه ! **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّ مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لاَ يَسْتَقِيْمُ بِهِ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ) شرح النهج ٢ص٩١، وهكذا يتناسب كفرهم من الأعماق مع عذابهم إلى الأعماق ، فيكون (الْجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ) ﴿**لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ الجاثية/٢٢. **فائدة** : (**وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ**) بمعنى معاينة آثار قهره وحكمه وحكومته وسلطته وقيادته كقوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) الأنعام/٢٧﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ الأنعام/١٤٩ ، فيكون الوقوف مجازي مثل قولنا عند أداء الصلاة نقف بين يدي الله وفي حضرته.

**٣١ -** ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾

قَدْ خَسِرَ هؤلاء المكذبون بلقاء الله وحرموا الخير كلّه ، ومعنى (**لِقَاءِ اللَّهِ**) هو اللقاء المعنوي أي لقاء مشاهد يوم القيامة، فهي الخسارة المحققة المطلقة خسارة الدنيا ليعيش الإنسان حياة الجسد بشهواته ولذاته دون حياة الروح بقيمها ومبادئها وهذه حياة الأدنى، أما خسارة الآخرة فخسران

الحياة العليا، خسران الاستعداد ليوم المعاد، **عن النبي (ص)**: (الْخَاسِرُ مَنْ غَفِلَ عَنْ إِصْلاَحِ الْمَعَادِ) تنبيه الخواطر ص٣٥٩ وهكذا (**الْذِيْ لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَهِيْ، لاَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَبْدَأُ**) وخسران فقدان الإيمان بالله واليوم الآخر الذي يفسد الفطرة ويشوش الرؤية لفهم الدنيا ، ويحرك النفس الأمارة بالسوء لتفعل ما تشاء من الشرور والآثام ، والآية تقرر المصير الذي ينتهي به هؤلاء أنه الخسران والضياع والهلاك ، وأَخْسَرَ النَّاسِ مَنْ بَاْعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاْهُ أَوْ بِدُنْيَاْ غَيْرِهِ. (**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً**) حتى إذا جاءهم يوم القيامة فجأة فيبهتهم وهم غافلون، **عن النبي (ص)**: (مَنْ مَاْتَ فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَامَتُهُ) روح البيان٣/٢٢ وسميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها كأنّه ساعة ﴿**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾ النحل/٧٧ .

(**قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**) قالوا يا شدّة ندامتنا على ما قصّرنا وضيّعنا من حقّها والاستعداد لها في الدنيا من صالح الأعمال ولم نعمل لوجه الله ، وسميت يوم القيامة يوم الحسرة لشدة حسرات الناس فيها ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ**﴾ مريم/٣٩ ، (**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ**) **الأوزار**: الذنوب والآثام وهي الحمل الثقيل ، وحملها على الظهر كناية تصويرية عن ملازمتها لأصحابها ، **في غرر الحكم**: (مُجَاْهَرَةُ اللهِ سُبْحَاْنَهُ بِالْمَعَاْصِيْ تُعَجِّلُ النِّقَمْ)، **روي قتادة (مختصر)**: (أَنَّ الْكَاْفِرَ يَرْكَبُهُ عُمُلُهُ بُعْدَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ فِيْ أَقْبَحِ صُوُرَةٍ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَرْكَبُهُ عُمُلُهُ بُعْدَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ فِيْ أَحْسَنِ صُوُرَةٍ) ، كقوله ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ أي ركباناً مريم/٨٥، مجمع البيان٤/٤٢ (**أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**) بئس ما يحملونه من الأوزار ومن وبال الذنوب وغضب الجبار. **عن النبي (ص)** : (يَرَى أَهْلُ النَّاْرِ مَنَاْزِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ (لو آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فَيَقُوْلُوْنَ يَاْ حَسْرَتَنَا) نور الثقلين١/٧١١ ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ**﴾ البقرة/١٦٧) **عن الإمام الكاظم (ع)**: (لَيْسَ مِنَّاْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاْهُ لِدِيْنِهِ أَوْ تَرَكَ دِيْنَهُ لِدُنْيَاْهُ) البحار٧٨/٣٢١.

**٣٢ –** ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾

ما قيمة الدنيا وما قيمة الآخرة في ميزان الله تعالى ؟ الحياة الدنيا دنيا الحياة في أحسن أحوالها ، والحياة الآخرة عُليا الحياة لدوام حالها وجلالة قدرها ، حتى صارت الدنيا مزرعة الآخرة ، كيفما تزرع في الدنيا تحصده في الآخرة والآخرة غيب ، فالإيمان بها سعة في التّصوّر وارتقاء في العقل وشفافية في الروح وإخلاص في الدّين وصدق في القول والعمل واستقامة في السلوك. **المعنى**: الحياة الدنيا في التصوّر الإسلامي إذا فقدت الهدف الأخروي ، صارت بنفسها هدفاً عادت مجرد تسلية وقضاء وقت ولعب ولهو قصير مدّته يسير لذّته كثير تبعته ، وتشبيه الحياة الدّنيا باللهو واللعب لأنها ممارسات سطحية فارغة لا ترتبط بالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، والدّنيا أشبه بالتمثيلية إقامة النّاس أدوارها مشاهدها وسرعان ما ينتهي التمثيل ينتهي كلّ شيء لذلك كانت علاقة بين اللعب واللهو

حيث يشغلهم عن الإيمان والعمل الصالح ، فيأخذهم المهم عن الأهم فيغرقون في الغفلة و(الْغَفْلَةُ مِنْ فَسَادِ الْحِسْ). **(وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) وأطلق الخير بمعنى** خير من كلّ الوجوه ، خير في عالمها المادي والمعنوي خير في عاجلها وآجلها وفي ذاتها ولذاتها ، خير في صفاتها وبقائها ومفاجآتها، خير في نعيمها للقلوب والأرواح والمشاعر والضمائر ، خير للذين هم أحق بها وأهلها وهم المتقون ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ السجدة/١٧ ، ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ العنكبوت/٦٤ **(الْحَيَوَانُ)** لشدّة ما فيها من الحيوية والنعيم وفيها مبالغة الحياة الحقيقية المرفهة والسعيدة والدائمة بلا شبهات ولا منغصات إنها قمة الحياة بل قمة القمم، أما إذا كانت الدنيا وسيلة للآخرة ، والدار الآخرة هي الهدف الكبير ، فإن الدنيا تصبح جسراً للجلال ومرقاة للكمال وسلّماً للجمال ، وهكذا تكون النتائج في الآخرة على قدر المقدمات في الدنيا والدّنيا ممرٌّ لمقر.

**عن الإمام علي (ع):** (الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا) شرح النهج ١٨١/٢٠، **(أَفَلا تَعْقِلُونَ)** أفلا يكون لكم عقول بها تدركون أي الدارين أحق بالإيثار ؟ ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ النساء/١٣٤ ، **قال لقمان لإبنه :** (يَا بُنَيَّ لاَ تَدْخُلْ فِيْ الدُّنْيَا دُخُوْلاً يَضُرُّ بِآخِرَتِكَ وَلاَ تَتْرُكْهَا تَكُوْنَ كَلاًّ عَلَى النَّاسِ) البحار١٢٤/٧٣. **فائدة: ١-** خذ من الدّنيا ما يبلغك أعلى منازل الآخرة ، ولا تأخذ من الدّنيا ما يمنعك خير الآخرة ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا**﴾ القصص/٧٧. **٢-** وصف الفارق بين الدار الآخرة والحياة الدّنيا ، فالدار مستقر وسكن الإنسان لدوام عيشها وجمال إقامتها ، وسمّيت الآخرة لتأخرها عنا والدنيا لدنوها منا ولدنائتها بالنسبة إلى ما في الآخرة.

**٣٣ -** ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

قد نعلم إن الذي يقوله المكذبون فيك يحزنك ويسوؤك، فلا تظن أن قولهم ﴿**إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾يونس/٢، صادر عن اشتباه في أمرك وشك فيك**(فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ)**إنهم في الحقيقة قد تحدّوا الله بتكذيبهم لك، فإنه من استخف بالرسول فقد استخف بمن أرسله ، كان مشركو مكة يسمونه (الصَّاْدِقُ الأَمِيْنُ) قبل البعثة، ولما جاء بالرسالة قالوا ﴿**سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾الذاريات/٣٩، ولماذا مجنون؟ لأنه جاء بجديد لتغيير الجاهلية إلى الإسلام ، فإنهم في أعماق نفوسهم لا يكذبونك ولكن يكذبون رسالتك **(وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)**لكنهم يجحدون عن عناد واستكبار فلا تحزن لتكذيبهم﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾فاطر/٨، وهذا تقوية لقلب النبي(ص)

وتطييب خاطره من جهة، وتهديد ووعيد لهؤلاء المشركين إنهم لا يكذبون مُحَمَّداً(ص)ولكنهم يكذبون بآيات الله التي بين يديه، بمعنى أنهم يكذبون الحق الذي هم بأمس الحاجة إليه من جهة ثانية.

**٣٤ – ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾**

كلمات يقولها الله عز وجل لرسوله (ص) لمواساته وتسليته وهي ترسم للدعاة إلى الله طريقهم واضحاً، إنها سنة الله في الدعوات واحدة وإنّ البلية إذا عمّت هانت وطابت، **المعنى**: فإن يكذبوك أنت فقد كذبت رسل من قبلك وأوذوا أنواع الإيذاء في سبيل نصرة الرسالة (**فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا**) فصبروا حتى أتاهم النصر ، فاصبر أنت كما صبروا والله سينصرك كما نصرهم **عن النبي** (ص) : (مَاْ أُوْذِيَ نَبِيٌّ بِمِثْلِ مَاْ أُوْذِيْتُ فِي اللهِ) كنز العمال خبر٥٨١٨، كقوله ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ**﴾ الأحقاف/٣٥ ، وقوله ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً**﴾ المزمل/١٠ ، وقد دلّت التجارب على أن التأسي يهوّن المصاب وينفّس عن النفس، **في غرر الحكم**: (حَلاَوَةُ الظَّفَرِ تَمْحُوُ مَرَارَةَ الصَّبْرِ)، ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ لقمان/١٧، **الصبر الجميل** : المناسب يعطيك عزم في كلّ الأمور وقوة وإرادة لتوطين النفس على إنجاز أي أمر فلا تضعف ولا تخطأ ولا تتردّد لأن التردّد والتلّون يناقض العزم والتصميم. (**وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**) تلك هي سنة الله في الذين خلوا ولن تتخلف آثارها في حاضر أو مستقبل وغير قابلة للتغيير والتبديل، فإن أحكام الله لا تنقض وكلماته لن تتبدل، إن ذلك النصر قد سبقت به كلمة الله كقوله ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ**﴾ الصافات/١٧١-١٧٣.

﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الروم/٤٧ ، (**وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**) ولقد جاءك (**مِنْ نَبَإِ**) بعض الأخبار عن المرسلين الذين كُذِّبوا وأوذوا كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم فتسلّ ولا تحزن وإنّ نصر الله في نهاية الطريق ﴿**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ الفرقان/٣٢. **فائدة** : (**وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ**) وجاءت كلمات الله بمعنى سنّة الله مواعيده بالنصر ﴿**سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ**﴾ غافر/٨٥ ، ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ**﴾ الحج/٤٠.

**٣٥ – ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾**

**المعنى العام:** لقد قست قلوب المعاندين من كثرة الذنوب فلا تنفعهم الآيات مطلقاً ، ولذا فإن القرآن يؤكد أنه مهما عمل الرسول (ص) لهدايتهم ، حتى ولو اخترق الأرض أو السماء كناية عن القيام بأشق الأعمال ، فإنهم لن يهتدوا باختيارهم وإن كان الله تعالى يستطيع إجبارهم عليه ولكنه

شاء للبشر أن يؤمنوا باختيارهم ، **المعنى المختصر** : (**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ**) وإن كان عظم وشقّ عليك إعراضهم عن الإسلام (**فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ**) **تَبْتَغِيَ** : الابتغاء طلب فيه كلفة عالية ومشقة كبيرة وخروج عن المألوف ، إن قدرت أن تطلب منفذاً ومسكناً في جوف الأرض (**أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ**) أو مصعداً تصعد به إلى السماء أو أيّة وسيلة نفّاذة في الصعود ، فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها فافعل ، وإلاّ فسلم الأمر لصاحب الأمر وهو الله تعالى ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾ يوسف/٢١ ، وفي هذا الخطاب الحكيم لقلب نبيه الكريم روح وريحان وسكينة واطمئنان.

(**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى**) ولو أراد الله لهداهم إلى الإيمان مرغمين من دون آية ولكن ذلك ينافي التكليف ويبطل اختيارهم ولا طاعة لمرغم ولا ثواب لكاره ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ يونس/٩٩ ، ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ**﴾ البقرة/٢٥٦ ، (**فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ**) من الذين لا يعرفون حقائق الأمور ولا ينزلونها على منازلها ، فلا تكونن يا مُحَمَّد من الذين يجهلون حكمة الله ومشيئته الأزلية فإن الله يهدي من زكّى نفسه ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ الشمس/٩ ، ويضل من أعرض عن ذكر ربه ودسَّ نفسه في الضلال وحبِّ الدنيا ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ الشمس/١٠. **فائدة** : وإنّ الله سبحانه لم يشأ سلبهم حرية الاختيار التي بها التمييز بين المؤمن من الكافر والخبيث من الطيّب ، لقد قلنا لك هذا لئلا يأخذك القلق فتفقد صبرك وتجزع بسبب كفرهم فتكون من الجاهلين ، أو يكون تحسّرك على تكذيبهم أشبه بتحسّر الذين يجهلون ﴿**أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ الرعد/٣١، **وأيضاً** لا تكوننّ بالحرص على إسلامهم من الجاهلين بسنن الله في خلقه ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ السجدة/١٣

**٣٦ –** ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾

**الناس صنفان:** صنف منهم أحياء حقيقة يؤثرون ويتأثرون ويسمعون ، أجهزة الاستقبال الفطرية عندهم عاملة ، وهم الذين يستجيبون لرسالة الله ، وصنف منهم كالميت لايسمع ولايستقبل معطّل الفطرة ولا يفكّر ولا يتأثر وإن كانوا ظاهراً في صور الأحياء على المعنى المعنوي للموت **في غرر الحكم:** (الْجَاْهِلُ مَيِّتٌ بَيْنَ أَحْيَاْء) والموتى أو شبيه الموتى أو ميتوا الأحياء يظلون على حالتهم وهم مرضى القلوب وموتى المشاعر والضمائر فشبّههم الله تعالى بأموات الأجساد استصغاراً لهم لأنّهم لا يطرأ عليهم أيّة بادرة تحسّن حتى يبعثهم الله للحساب ، لأن حبّهم للدّنيا أعماهم وأصمهم عن الهداية فكانوا كالموتى ولا ينبغي أن يخاطب الميت بشيء لأنّه فاقد الإحساس **عن النبي** (ص) : (لَيْسَ مَنْ مَاْتَ فَإِسْتَرَاْحَ بِمَيِّتٍ ، إِنَّمَاْ الْمَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاْءِ) البحار١٧٥/٨٢، كقوله ﴿**أَوَمَنْ كَانَ**

**مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾** الأنعام/١٢٢) **(وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ)** دعهم يا مُحَمّد إنهم سوف يموتون ويبعثون عندئذٍ تنكشف الحقائق فيرون ويسمعون بعد الموت في وقتٍ لا ينفعهم ذلك **(ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)** فلابد من الرجوع إلى الله فيجازيهم على ضوء أعمالهم.

**فائدة: ١-** منهم من يستجيب لمتطلبات الإيمان بالله ، من يسمع كلامك ويصغي إليك وهو المؤمن يكفي أن تسمعه فيستجيب للنداء المؤثر ، فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات والدلالات بمنزلة من لم يسمع فهو الكافر والضال والمعاند بمنزلة الميت فلا يستجيب لنداء الهداية **﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾** النمل/٨٠ ، لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي. **٢-** الكلام للتشبيه وتقريب الصورة فيكون له عذوبة خاصة وجاذبية مميزة ، وهذا يدل أن القرآن لا يعير أهمية كبيرة للحياة المادية كنظام الأكل والنوم والتنفس لأنه سهل معرفتها من أي علم مختص ، وإنما يُعنى أشد العناية بالحياة المعنوية وفهم العقيدة وأهداف الرسالة وهداية الإنسان لأنه لا سبيل إلى معرفتها إلاّ عن طريق دين الله **﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾** يوسف/٤٠، **إذن** : الدين ضرورة في حياة الإنسان (لاَ حَيَاْةَ [حقيقية] إِلاَّ بِالدِّيْنِ) ، **في غرر الحكم:** (الْمُصِيْبَةُ بِالدِّيْنِ أَعْظَمُ الْمَصَاْئِبِ).

**٣٧ - ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**

قال كفّار مكة هلاّ نزل على مُحَمّد **(آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ)** معجزة خارقة تدل على صدقه كالناقة والعصا والمائدة من السماء ونحن لا نعترف بإعجاز القرآن ! وكان هذا منهم تعنتاً بعد ظهور البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله **(قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً)** من النوع الذي اقترحوه وجميع الأشياء منقادة لأمره ولكن لا يستجيب لطلبهم ما دام تعنتاً بالباطل وتلبية للشهوات والأهواء ولو استجاب لهم لم يؤمنوا **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)** لا يعلمون أن إنزالها يستجلب لهم البلاء ، لأنهم لو لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السابقة لأنّ ذلك سيكون استهتاراً بمقام الله تعالى وإنّ ما اقترح به المعاندون لم تكن سبباً لهداية أمّة من الأمم بل كان سبباً للعذاب **﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** الأنعام/٥٨.

**فائدة : ١- عن الإمام الباقر (ع)** في الآية : (سَيُرِيْكُمْ فِيْ آخِرِ الزَّمَاْنِ آيَاْتٍ مِنْهَاْ دَاْبَّةُ الأَرْضِ وَالدَّجَّاْلُ وَنُزُوْلُ عِيْسَى بن مريم وَطُلُوْعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَاْ) نور الثقلين١/٧١٤، **﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾** الإسراء/٥٩. **٢-** كقوله **﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** الأنفال/٤٢. **٣-** يشهد التأريخ أنّ كثرة المعجزات الخارقات المتتاليات لا يحمل المعاندين على الإيمان بل إلى نزول العذاب كقوله

﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾ الأنعام/١١١. **٤-** وذكر (**نُزِّلَ**) و (**يُنَزِّلَ**) مشدّدين من التفعيل للدلالة على تعدّد اقتراحاتهم وتنوعها تبعاً لأهوائهم وعنادهم.

**٣٨** - ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾

لا يوجد نوع من أنواع الدّواب الأحياء المتنوعة التي تدب (تمشي) على الآرض ولا من أنواع الطير التي تسبح في الهواء إلاّ وهي أمم مشابهة لكم أيها الناس ما من خلق في هذه الأرض صغيرها وكبيرها وبرها وبحرها ونهرها وجوها كلها ينتظم في نظام أمة ذات خصائص واحدة كلها تبحث عن الحياة وتسعى إلى العيش شأنها في هذا شأن أمة الناس والبشر يسعون لحفظ حياتهم ، ما ترك الله شيئاً من خلقه عاقل وغير العاقل بدون تدبير يشمله وعلم يحصيه وطريقة عيش يألفها ، وله عمر محدود في حياته ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**﴾ فاطر/١١، ﴿**وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ الجاثية/٤ ، وفي النهاية تحشر جميع الخلائق إلى ربها لأن بينها ظالم ومظلوم ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ التكوير/٥ ، جمعت في يوم القيامة للحساب ليقتص الله من بعضها لبعض ، ويرى العباد كمال عدله حتى أنه يقتص من الشاة الجماء من الشاة القرناء (**إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**) والأمة جماعة من الناس يجمعهم مقصد واحد ، هناك أوجه تشابه بين حياة الإنسان وعالم الحيوانات!

﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً**﴾ النحل/٦٦ ، والحيوانات أمم لها مقاصد وغايات وتشترك في مقاصد خاصة في الحياة كالرزق والتناسل والتسبيح لله ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ التغابن/١ ، ﴿**وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾ النور/٤١ ، فأطوار حياتها ونظام معيشتها تدلُّ أن لها كالإنسان عقائد وآراء وقدرات نسبية فردية وجماعية تبني عليها حركاتها ، كلها من خلق الله وقدّر صورها بكمالها وجمالها وجلالها ، وقدّر عيشها وأرزاقها وأحوالها وأشكالها وآجالها (**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**) **فَرَّطْنَا** : تركنا أو قصّرنا.

**بمعنى:** ما من شيء يحتاج إليه النّاس في دينهم عقيدة وشريعة وهداية إلاّ وقد أنزل الله سبحانه في كتابه ببيان خاص أو بأصل عام وبالسنّة النبوية التي تحكم بالقرآن ، فالكتاب تام كامل محفوظ فيه نظام كل حياة ، سواء كان المراد به اللوح المحفوظ أم القرآن الكريم ، الكريم في معلوماته الذي فيه تبيان لكل شيء وتفصيل كلّ شيء ، أو كتاب التكوين فقد قدّرنا لكلّ موجود ما يحتاجه لبلوغ كماله ﴿**كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ هود/٦ ، (**ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**) **والحشر** : جمع بإزعاج ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ النجم/٣١ ، والإحسان والإساءة

موجودان في الحيوانات والحشر يدور للجزاء بين كل ظالم ومظلوم والله سريع الحساب. **فائدة: ١-** هذه الآية قصيرة في مبناها عميقة في معناها لا تفنى غرائبها ولا تنقضي عجائبها ، إنها مدرسة تربوية عالية المضامين تهزُّ القلب وتحرِّك المشاعر وتحيي الضمائر وتوسع التفكير وتقوي التدبير وتحكم التقدير ، وكلها تدلك على الله ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧.

**٢- في الآية دلالة** : أنه لا يجوز للعباد أن يعتدوا ويظلموا أي شيء منها، فإن الله خالقها والمتصف لها وكلّ ذلك يدلُّ على وحدة الخالق ووحدة التدبير والتنظيم الذي يستحق العبادة والطاعة وحده سبحانه ، **عن النبي (ص)** : (مَنْ قَتَلَ عُصْفُوْراً عَبَثَاً جَاْءَ يَوْمُ الْقِيَاْمَةِ يَعُجُّ إِلَى اللهِ يَقُوْلُ يَاْ رَبِّ إِنَّ هَذَاْ قَتَلَنِيْ عَبَثَاً لَمْ يَنْتَفِعْ بِلَحْمِيْ وَلَمْ يَدَعْنِي آكُلُ مِنْ خَشَاْشِ الأَرْضِ) مستدرك الوسائل٢ص٥٨. **٣-** ترشدنا الآية إلى البحث في حياة الأحياء ونزداد منها إيماناً وعلماً ، ونعتبر بحال المكذّبين الذين لم يستفيدوا ممّا فضّلهم الله به على الحيوان ﴿**أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**﴾ الأعراف/١٧٩.

**٣٩ - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**

**(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)**

على إطلاقها أنّهم سدّوا على أنفسهم باب الهداية وفتحوا باب الغواية ، فهم مصابون بأمراض خبيثة في عقولهم وأفكارهم لا في أبدانهم ، فأصبحوا كائنات ميتة في صورة الأحياء! تراهم صمم في آذانهم لا يسمعون كلام الله ولا يتدبرونه ، وتراهم بكم لا ينطقون بالحق يتخبطون في أنواع الضلالات ، فمثلهم في عدم فهمهم لمنهج الله كمثل أصم وهو الذي لا يسمع وأبكم وهو الذي لا يتكلم وهو مع هذا تحيط به ظلمات متعددة من عادات جاهلية وتقاليد وحشية وأعراف فاسدة ونفوس مريضة لاتبصر، **في غرر الحكم** (كَيْفَ يستطيع الْهُدَىْ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَىْ) وَالْعَمَى وَالأَنَاْ ؟ **(صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ)** على إطلاق معناها ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾ النور/٤٠ ، فيشمل **(الصم)** وهم المقلدون الذين يتبعون قادتهم المفسدين دون اعتراض وهذا الإتباع الأعمى المنهي عنه ، ويصمون آذانهم عن سماع المواعظ والحِكم وأنواع العلوم التي تهديهم لكل خير وصلاح ، والمقصود **(بالبكم)** القادة المترفون الضالون المتبعون الذين يدركون الحقائق جيداً ويعلمون خطورة الانحراف المنتشر في الناس ، ولكنهم حفّاظون على مصالحهم ومراكزهم في الدنيا يسكتون ولا ينطقون بالحق ، فالجميع في الظلمات المتراكبة من الجهل والعناد والكفر والضلالة وكتمان الحقائق وعبادة الذات غارقون لا يبصرون طريق الحق، **عن النبي (ص)**: (إِذَاْ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِيْ أُمَّتِيْ فَلْيُظْهِرِ الْعَاْلِمُ عِلْمَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ)! الكافي١ص٥٤ ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ**﴾ البقرة/١٦٦ ، **(مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** هو عرض لمشيئة الله وحكمته ﴿**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ البقرة/٢١٠ ، في **(الجبر**

**والاختيار)** وفي **(القضاء والقدر)** ! **(مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ)** من اختار الضلال لنفسه واعتمد الفساد والتكذيب بآيات الله يضله الله ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**﴾ البقرة/٢٦ ، ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ فصلت/١٧ ، ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ الصف/٥ ، **زَاغُوا** : انحرفوا **(وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** من اختار هو لنفسه الهداية والاستقامة ويجيب داعي الله إذا دعاه لما يحييه ويهديه الله للصراط المستقيم ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ**﴾ محمد/١٧، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) **عن النبي (ص)**: (الْذِيْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى تَضُرُّهُ الضَّلالَةُ) كنز العمال خبر٤٤٢٢٥. **فائدة** : **(مشيئة الله ومشيئة العباد)** فإذا توافقت مشيئة الله مع مشيئة العباد فهو الصراط المستقيم ، وإذا اعترضت مشيئة العباد مشيئة الله ، فمشيئة الله فوق كلّ مشيئة ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ الأنعام/١٨ ، وإذا لم يكن للعباد مشيئة فكيف يكرمون ويحاسبون على ما لا مشيئة لهم فيه كقوله ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ** ، **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٨-٢٩، **المعنى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ)** فمشيئة الإنسان في الاستقامة متوافقة مع مشيئة الله لذلك لم يذكر الله مشيئته سبحانه **(وَمَا تَشَاءُونَ)** مشيئة الإنسان هنا مطلقة فلابد أن تكون مشيئة الله مطلقة تحدّد مشيئة الإنسان ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ الأنعام/١٨ ، فقال **(إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** كما روي (عَبْدِيْ أَنْتَ تُرِيْدُ وَأَنَاْ أُرِيْدُ، وَاللهُ يَفْعَلُ مَاْ يُرِيْدُ) مشيئة الله مطلقة جعلت الإنسان في استعداد مزدوج للهدى والضلال ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد/١٠ ، وكقوله ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ الإنسان/٣ ، وكقوله ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ، **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ الشمس/٧-٨ وكقوله ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**﴾ التغابن/٢ ، وهذا هو الاستعداد المزدوج عن اختيار وحكمةلاعن جبر وإلزام فمشيئة الله تعين المجاهد وتضل المعاند ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩.

**٤٠ – ٤١** ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾

استفهام تعجب ، أخبروني عن رأيكم إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم أو حصلت عندكم مشقات وكروب، أو أتتكم القيامة بغتة، مَنْ تدعون ؟ مَنْ يستطيع كشف البلاء والعذاب عنكم ؟ **(أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)** أتدعون غير الله لكشف الضر عنكم إن كنتم صادقين في دعواكم ألوهية الذين إتخذتموهم أولياء وشفعاء. **فائدة** : كلُّ ضالٍّ عن سبيل الله إذا إشتد به البلاء، ويئس من أهل الأرض يلجأ فطرياً وآلياً إلى ربِّ السماء خاضعاً متضرعاً من غير شعور ضمن التوحيد الفطري ، وهذا يدل أن النفس ترجع إلى خالقها بالطبع والغريزة حيث لا عقبات ولا حواجز من الشهوات ، ثم أجاب عن ذلك بقوله **٤١– (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ)** فهو غير مجبر ولا مضطر إلى كشف ذلك إذا دُعي بل هو القادر على كلِّ شيء في

كلِّ حال حيث لا ملجأ ولا منجى من الله إلاّ إليه ، فيكون هذا الجواب الصادق المطابق للفطرة الذي ينطق به الحس المعنوي (الحس السادس) حس المشاعر والضمائر والأحاسيس ولو لم تنطق به ألسنتهم **في غرر الحكم**: (لِسَانُ الْحَالِ أَصْدَقُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ) إن الأهوال المخيفة تجعل الفطرة مكشوفة بلا حواجز عليها فتتجه بتضرع وانقطاع إلى الله وحده لطلب النجاة (**وَتنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**) وتنسى أنها أشركت بالله وظلمت نفسها، إن معرفتها بربها هي الحقيقة المستقرة فيها ، وأما هذا الشرك الخفي أو الجلي (العلني) فهو قشرة سطحية طارئة على النفس من تلوث المحيط المنحرف وألفة الضلال والفساد ، فإذا جاء الخوف تطايرت هذه القشرة الطارئة وظهرت الحقيقة الإيمانية الأصيلة بالتوجه المنقطع نحو ربها ليكشف عنها هذه الأهوال المرعبة ، فهو يكشف ما يدعونه إليه إن شاء ، فمشيئته طليقة فإذا شاء استجاب لهم وإن شاء لم يستجب بحسب المصلحة والحكمة ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ الأعراف/١٨٨. **فائدة: ١-** وتبقى الفطرة عاملاً قوياً تدفع إلى الهدى ، وتشجّع الرساليين العاملين لدراسة الفطرة وكيفية تحفيزها لإصلاح الفرد والمجتمع وتقرير حاكمية الله على الأرض ، **٢-** تعلمنا الآية أن نعيش الاستقامة في الشدة والرخاء وأن ندعو الله في الرخاء ليذكرنا وقت الشدة ، وأن نكون مع الله في السرّ والعلانية، وهكذا نكون مع الصادقين مع أنفسنا ومع ربنا ومع الناس والصدق مطابقة الحقيقة فهو الحق والعدل وصلاح كلِّ أمر ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ التوبة/١١٩. **٣-** (**وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**) في الرّخاء يذكرون الشيطان وينسون الرحمن وفي الشدائد تنعكس الآية كقوله ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ العنكبوت/٦٥.

**٤٢ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾**

هذه سنة الله فيهم فقد أرسل الله رسلاً إلى أمم كثيرين من قبلك يدعونهم إلى منهج الله في التوحيد والإخلاص فكذبوهم فابتلوا بأنواع الشدائد وعالجناهم بالمحن والمكاره (**فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ**) من البؤس وهو الشدة والمكروه والحروب والمشقة (**وَالضَّرَّاءِ**) من الضر ضد النفع وهي سوء الحال فيما يرجع إلى النفس كالمرض والجهل والهم الغم والفقر بمقدار ما يلجئهم إلى العودة إلى الله (**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**) يخضعون ويبتهلون ويتوبون إلى الله سبحانه بحسن اختيارهم ليرفع عنهم البلاء والعناء فتلين قلوبهم القاسية ويستيقظوا من كبريائهم وعنادهم ، فقد جرت سنة الله أن يبتلي الأمم المختلفة بالشدائد فإنها تربي النفوس وتهذب الأخلاق وترقق القلوب ، وترجع المغرورين عن غرورهم ، فَفِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَارِهِ مِكَارِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاتِ رَاحَاتٌ وخِبْرَاتٌ، وَفِيْ الْمُعَانَاةِ هِبَاةٌ،

وَالْبَلاءُ بِدَاْيَاْتُ نِهَاْيَاْتُهُ الْكَرَاْمَاْتُ، **عن الإمام العسكري** (ع) : (مَاْ مِنْ بَلِيَةٍ إلاَّ وَللهِ فِيْهَاْ نِعْمَةٌ تُحِيْطُ بِهَاْ !) بحار الأنوار٧٨/٣٧٤.

**٤٣ – ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

فهلا تضرعوا وتابوا ورجعوا إلينا خاضعين حين جاءتهم مقدمات العذاب لكشفنا عنهم قبل أن ينزل بهم تعرّضوا لنموذج من بأس الله سبحانه نلاحظ لم يذكر الضرّاء هنا مع البأساء (**بَأْسُنَا**) لأن البأساء أعمُّ من الضرّاء ، إذ هو ضر وأكثر من ضر ! وهذا عتاب على ترك الدعاء **عن الإمام الباقر** (ع): (الدُّعَاْءُ يَرُدُّ الْقَضَاْءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَاْمَاً) الكافي٢/٤٦٩، والدعاء سلاح المؤمن ومفتاح الرحمة ومصباح النجاح كقوله **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** غافر/٦٠ ، (**وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) ولكن قلوبهم كانت كالحجارة أو أشد قسوة فلم يؤثر فيهم البلاء ولم يستفيدوا من المواعظ ولم ينزلوا عن كبريائهم بل أصروا على الكفر وهذا يدلُّ أنّ قسوة القلب تمنع التضرّع ، وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيه من ضلال وفساد بوسوسته فلزموها وتعلقوا بها **﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾** الفرقان/٢٩، **عن الإمام علي** (ع): (وَمَاْ قَسَتِ الْقُلُوْبُ إلاَّ لِكَثْرَةِ الذُّنُوْبِ) البحار٧٣/٣٥٤.

**فائدة:** القلب الذي لا تردُّه الشدّة إلى الله قلبٌ تحجّر فلم تعد فيه نداوة تعصرها الشدّة ، ومات فلم تعد الشدّة تثير فيه الإحساس ، وتعطّلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة التي تنبه القلوب الحيّة للتّلقي والاستجابة، فمن كان حياً أيقظته الشدّة ، ومن كان ميتاً لم تفدهُ في شيء بل كانت عليه شقاءٌ وعذاب.

**٤٤ – ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**

ثم ذكر ما حلّ بهم من العقوبات بعد أن ابتلاهم بالحسنات ، إنّه مشهدٌ عجيب وحالة غريبة يعرضها القرآن بطريقة يحرّك المشاعر كقوله **﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** الأعراف/١٦٨، **والمعنى** : فلما أعرضوا عما أنذرهم به الرسل ولم يستفيدوا بالبأساء والضراء وأصروا على كفرهم وعنادهم ، وسُلطت عليهم المكاره والشدائد ليعتبروا ويتعظوا ، فلم ينفعهم البلاء بالشدة فنقلهم إلى البلاء بالرخاء ، وتدّفقت عليهم الخيرات من كلّ مكان (**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**) من أبواب الخيرات ممّا تشتهي أنفسهم وسهّل لهم سبل الرزق وكثرة المال والبنين ورخاء العيش وصحة الأجسام.إلخ فجاءتهم متدفقة كالسيول بلا كدٍّ ولا عناء ، واستغرقوا في المتاع بها فلم ينتفعوا أيضاً ولا شكروا الله على نعمه ، بل تحوّلت النعمة بطراً والشدائد قسوة (**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**) حتى إذا ظنوا أن الذي أوتوه من النعم باستحقاقهم وزادهم غروراً وفساداً ، أخذناهم بعذابنا (**بَغْتَةً**) فجأة من حيث لا يحسبون لذلك حساباً ، (**فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**) يائسون

من النجاة قانطون من كلّ أمل ونعمة وهذه عقوبة ومصيبة أشد وأعظم ﴿**إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ هود/١٠٢. **فائدة** : كقوله ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف/١٨٢ **عن النبي** (ص) (إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي عَلَى الْمَعَاصِيْ فَإِنَّ ذَلِكَ اِسْتِدْرَاْجٌ مِنْهُ ثُمَّ تَلا الآيَةَ) مجمع البيان٤/٥٩، **في نهج البلاغة حكم٢٥:** (يَا إِبْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ !) ، **عن الإمام الحسين بن علي** (ع) : معنى الاستدراج (الاِسْتِدْرَاْجُ مِنَ اللهِ سُبْحَاْنَهُ لِعَبْدِهِ أَنْ يُسْبِغَ عَلَيْهِ النِّعَمَ وَيَسْلُبَهُ الشُّكْرَ) البحار٧٨/١١٧، قال تعالى ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ آل عمران/١٧٨ ، وكقوله ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩.

**٤٥ – ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

لم يتعظوا لا بالضراء ولا بالسراء ولم يستقيموا لا بالشدة ولا بالرخاء ولا بالترغيب ولا بالترهيب ، فهؤلاء وبال على الحياة والأحياء ، (**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ**) هلاك آخر واحد منهم ﴿**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾ البقرة/١٦٦ ، فقطع دابرهم واستئصالهم وهلكوا عن آخرهم ولم تبق منهم باقية ، ليعتبر بهم من يأتي بعدهم ، أخسر الناس من كان عبرة للناس (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) على ما قضاه وقدّره وعلى إنعامه على المؤمنين وهلاك الكافرين والظالمين وإعلاء كلمة الحق، وهذه سنة إلهية مستمرة تدفع المؤمنين للعمل المتواصل لاستئصال الظلم وكل أنواع الانحراف والتمرد على حكم الله تعالى ، لأن خلاص الإنسانية من هؤلاء الأشرار نعمة من نعم الله على الناس أجمعين ، تستوجب التعاون على البر والتقوى لتحقيق تلك النعمة التي تدوم وتستمر بِالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. **فائدة** : وفي هذا تربية للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شرّ الظالمين ، ودلالة على أنّ هلاكهم نعمة من الله تعالى تستحق الحمد لله عليها. **عن الإمام الصادق** (ع): (مَنْ أَحَبَّ بَقَاْءَ الظَّاْلِمِيْنَ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ ، وَإِنَّ اللهَ حَمَدَ نَفْسَهُ عَلَى إِهْلاَكِ الظَّاْلِمِيْنَ وقرا الآية) مجمع البيان٤/٦٠، وفيه حثٌّ على ذكر في خاتمة كلّ أمر قوله في وصف عباده المتقين ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ يونس/١٠.

**٤٦ – ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾**

قل يا مُحَمَّد لهؤلاء المكذبين المعاندين أخبروني لو أذهب الله منكم النعم الثمينة التي وهبها لكم مثل السمع والبصر أي أذهب حواسكم فأصمكم وأعماكم (**وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ**) خَتَمَ أي طبع على قلوبكم بمعنى إغلاقها وسد منافذ النور فيها فلا يدخلها شيء من الهدى وأذهب عقولكم وسلب عنكم التميز ، فمتى تتفكرون في أمركم وتميزون النافع من الضار ؟ مع حفظ صلاحية التعقل

والتفكر. **في نهج البلاغة:** (فَوَ اللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ) التفسير المبين ص١٦٩، وَأَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ ، وَأَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَرَ!)، كقوله ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ الحج/٤٨ **أَمْلَيْتُ لَهَا:** أمهلتها مدة طويلة ، فيكون الإملاء والإمهال هو استدراج وبلاء خطير ومرير وعواقبه وخيمة في الدنيا والآخرة ، روي: (فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى أَيَفْرَحُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ أَنْ أَبْسُطَ لَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ أَبْعَدُ لَهُ مِنِّي ، أَوْ يَجْزَعُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ أَنْ أَقْبِضَ عَنْهُ الدُّنْيَا وَهُوَ أَقْرَبُ لَهُ مِنِّي ثُمَّ تَلاَ: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ**﴾ المؤمنون/٥٥-٥٦) ومثله مروي عن النبي (ص) في مجمع البيان٧/٢٠٨، **(مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ)** هل أحد غير الله يقدر على ردِّ ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم ، هل تقدر آلهتكم مهما كان نوعها على إيتاء نفع أو كشف ضر بقدرتها ؟ كلا فما معنى ألوهيتها إذا ؟ **(انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ)**

**(نُصَرِّفُ الآيَاتِ)** الصَّرْفُ : ردُّ الشيء من حال إلى حال أو إبداله بغيره **والمعنى** : نكرّر الآيات ونبينها بأساليب مختلفة ، **يَصْدِفُونَ** : يعرضون بشدّة ، أنظر وتدبر كيف نكرر العظات في شتى الأساليب ونضرب الأمثال على وجوه شتى تتناسب مع مختلف المستويات العقلية مع الترغيب والترهيب ليعتبروا ويتذكروا ، ثم هم بعد ذلك يُعرضون عنها ويلقونها وراء ظهورهم غروراً واستكباراً.

**فائدة: ١-** وهكذا ينوّع القرآن الآيات والدلائل وفنون التعابير لتبصر النفوس ﴿**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾ الأنعام/١٠٤. **٢-** وجاء **(سَمْعَكُمْ)** بالمفرد وجاء **(أَبْصَارَكُمْ)** بالجمع لأن السمع مصدر يدلُّ على التكثير والتقليل فلا حاجة إلى جمعه. وفي التعبير بالفعل **(أَخَذَ)** إشارة إلى أن هذه النّعم هي منحة لهم من عند الله ، ومن حق الله تعالى أن يأخذ منهم ما أعطى ولا اعتراض لهم عليه.

**٤٧ -** ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ**﴾

قل لهؤلاء المكذبين أخبروني إن أتاكم عذاب الله **(بَغْتَةً)** بسرعة بلا مقدّمات من حيث لا يحتسبون وفجأة وبلا إنذار وإشعار **(أَوْ جَهْرَةً)** عذاب واضح علني له علامات ومقدّمات وهم متأهبون مع الإنذار والإشعار أو عذاب الله بالليل أو بالنهار **(هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)** الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي ما يهلك بالعذاب في الدنيا والآخرة إلاّ من يستحق العذاب وهم القوم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم ، فلم يفد الإنذار وقد قست القلوب وضلت العقول وكانت كلمة العذاب على الظالمين ، ولن يدفعوه عن أنفسهم سواء جاءهم بغتة أو جهرة. أما الأبرار فلهم أجرهم مرتين بما صبروا وكل إجرام يأتي مع الظلم والظلم يستتبعه الهلاك ، والظلم في الدنيا ظلمات في الآخرة فهو الشقاء الأبدي ، والظلم معنى واسع مادي ومعنوي ، كبير وصغير ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ**

**لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** لقمان/١٣، ومن ظلم كرهت أيامه وتنغّص عيشه وقلقت نفسه واضطرب قلبه لأن في الظلم تبعات موبقات فهو أم الرذائل ، وإذا كان الله تعالى لم يُعجل لبعض الظالمين الهلاك فذلك الاستدراج والإمهال لعلّهم يهتدون وإلاّ ليذوقوا العذاب ضعفين يوم القيامة عذاب ظلمهم لأنفسهم وعذاب ظلمهم لغيرهم. **فائدة: ١-** هذه الاية تقول **(هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)** الظالمون وحدهم يهلكون وقوله **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾** الأنفال/٢٥ ، هنا تعميم الفتنة على الجميع فكيف يمكن الجمع بين الآيتين ؟ **الجواب:** ليست كلُّ فتنة هلاكاً وإنّما كل فتنة امتحانٌ واختبار وهناك فارق بين الهلاك والفتنة. **٢-** وإنما قابل البغته بالجهرة، لأن البغته تتضمن معنى الخفية، لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون (أوجهرة) أي علانية. مجمع البيان٤/٦٢.

**٤٨ - ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

وما وظيفة الرسل تجاه قومهم إلاّ مبشرين بالثواب لمن أطاع ومنذرين بالعقاب لمن عصى ، ووظيفتهم بيان منهج الله للناس **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** النساء/١٦٥ فما للرسل سلطان على الناس وليس لهم أن يجبروا الناس على الاستقامة **﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾** الغاشية/٢١-٢٢ ، وإنما هم دعاة إلى الخير والهداية **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** التغابن/١١، **في غرر الحكم:** (مَنْ اِسْتَرْشَدَ عَلِمَ ، وَمَنْ عَلِمَ اِهْتَدَى، وَمَنْ اِهْتَدَى نَجَا) ، **﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾** الزمر/٤١ ، والرسل ليسوا وكلاء على الناس **﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** آل عمران/١٢٨ ، وهذا يقتضي الانتقال بالبشرية من عهد المعاجز والخوارق الحسية التي تجبر المتكبرين على الإذعان إلى توجيه الإدراك البشري إلى التفكر **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** النمل/٨٨ ، **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** فصلت/٥٣، وهذا يقتضي توجيهاً طويلاً حتى يألف الإدراك والعقل البشري هذه النقلة من دائرة الحس إلى آفاق العلم الواسعة ، حتى يقرأ الإنسان هذا الوجود على أنه أكبر من ظاهره المشهود **(فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)** هو بيان أن هناك في الناس من يهتدي عن طريق الرسل ورسالاتهم فيعرفهم الرسل أن طريق النجاة في أمرين أحدهما يُكمل الآخر ولا ينفصل عنه **(فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ) عن النبي** (ص): (فلاَ يُقْبَلُ إِيمَانٌ بِلاَ عَمَلٍ (صَالِح) وَلاَ عَمَلٌ (صَالِحٌ) بِلاَ إِيمَانٍ) كنز العمال خبر٢٦٠، وعلى قدر العلم يكون الإيمان وعلى قدر الإيمان يكون العمل الصالح ، وخير الأعمال ما قامت وعمّت ودامت وأريد بها وجه الله وكثُر نفع الناس منها **﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً ﴾** مريم/٧٦ .

وتنتهي وظيفة الرسل بعد إلقاء الحجة الكاملة على الناس ، وتبدأ وظيفة البشر فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ نفسه وَأَصْلَحَ غيره وساهم في إصلاح الناس وتقدم المجتمع حضارياً وامتنع عن الفساد والمآثم (**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**) مما سيأتي من المستقبل من شر متوقع (**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) ولا هم يحزنون على ما مضى ولا على الحاضر، فهناك المغفرة على ما قصّر والثواب على ما أصلح كقوله ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ القصص/٨٣ ، ﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ المائدة/٦٩ **فائدة:** وهل يخشى البريء من سلطان الحق وحكم العدل ؟ **وفي الآية دلالة** : أن الإيمان والعمل الصالح يمنعان من الأمراض النفسية كالخوف والكآبة والحزن أي يحفظان الصحة النفسية بقوله (**آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**...). وقوله (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) الجاثية/١٥

**٤٩ –** ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾

هذا الوجه الآخر الذين خرجوا عن دعوة الرسل فكفروا وكذبوا بآيات الله ، فتكون عقوبتهم على قدر جنايتهم ، وجزاؤهم من جنس عملهم ، يمسهم العذاب على قدر فسقهم ، والفسوق الخروج عن طور العبودية وآداب الطاعة وتعدِّ حدود الله (**يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**) **الفسوق:** الخروج عن طاعة الله ﴿**فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ الكهف/٥٠ ، إشارة إلى أن عذاب الله شديد لا يطاق، وأنّ مسّةٌ من هذا العذاب تجعل الحياة إلى جحيم وشقاء وبلاء وعناء متصل كقوله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١. **فائدة** : (**يَفْسُقُونَ**) المراد بالفسوق هنا الكفر (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا**) والفسق أعمُّ من الكفر فإنّ كلّ كافر، فاسق ، وليس كلُّ فاسق كافراً. كقوله (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) التوبة/٦٧

**٥٠ –** ﴿**قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**﴾

**سبب النزول** : طلب المشركون من النبي محمدٍ (ص) أن يخبرهم بالغيب ويفجر الينابيع ويأتي بالملائكة ويرقى في السماء.. فنزلت الآية ، إنه ليس بإله ولا ملك وإنما هو بشر يوحى إليه يؤدي الرسالة والأمين العام عليها. **المعنى:** قل يا مُحَمَّد لهؤلاء الكفرة الذين يطلبون خوارق العادات لست أدّعي أن خزائن الله مفوضة إليّ حتى تقترحوا عليّ تنزيل المعاجز ولا أدّعي أيضاً أني أعلم الغيب من دون وحي حتى تسألوني عن وقت نزول العذاب ، إنما الغيب لله ولا أحد يملك مع الله شيئاً حتى الأنبياء قوله تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) يونس/٤٩ ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ الأنعام/٥٩ ، (**وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**) ولست أدّعي أنّي ملك من الملائكة حتى تكلفوني الصعود إلى السماء وعدم المشي في الأسواق وعدم الأكل والشرب، أي

لا تجعلوا عدم إجابتي إلى ما تريدون دليلاً على عدم صحة رسالتي (**إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ**) ما أتّبع فيما أدعوكم إليه إلاّ وحي الله الذي يوحيه إليّ فأنا مأمور بتبليغه (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**) والاستفهام إنكاري بمعنى النفي هل يتساوى الكافر والمؤمن والضال والمهتدي ؟ فأنا وأنتم كالبصير والأعمى فالأعمى يجب أن يتبع البصير ، وفارق كبير بين الجاهل والعالم يجب أن نتعلّم من علم العالم. (**أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**) تقريع وتوبيخ أتسمعون الحقيقة وتتفكرون بها ، أن الرسول ليس إلهاً ولا ملكاً وإنه بشر مرسل من الله لتؤمنوا بعالم الغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء فأنصفوا أنفسكم قبل فوات الأوان (**الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**) من الأدلة والبراهين على صدق نبوتي بوضوح ولكنها تتطلّب عيناً بصيرة كي تراها ، فإذا كنتم لا تقبلونها فليس فيها نقص وغموض بل لكونكم تفتقرون إلى النفس البصيرة وإن كان لكم عين بصيرة ولكن ينقصكم القلب البصير فلا يَسْتَوِي (**الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**) ، يجب أن تنزلون الأشياء منازلها وتختارون الأحسن ، والأحسن وهو الذي يختار الأحسن، وفيه دلالة على أن العمل بمقتضى رسالة الوحي يكون كالبصير ، والعمل بغيره يكون كالأعمى!

**فائدة:** (**وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**): **الْغَيْبَ**: ما غُيّب علمه عن الناس وهو قسمان : **١- غيب حقيقي (مطلق)** وهو ما غاب عن جميع الخلق حتى الملائكة وأضافه الله تعالى إلى نفسه كقوله ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ النمل/٦٥ ، **٢- غيب إضافي** : وهو ما غاب علمه عن الناس كلهم كعالم الملائكة وعالم البرزخ وعالم الآخرة كقوله ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ البقرة/٣ ، وهناك غيب غاب عن بعض المخلوقين دون بعض كعلم بعض البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم له ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب ، **في غرر الحكم**: (لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبٌ) كعلم الخسوف والكسوف والاكتشافات الجديدة.. إلخ ﴿**مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا**﴾ فاطر/٢ ، **ومن الغيب الإضافي** : علم الخفايا كالفراسة والإلهام والنبوغ كقوله ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ الحجر/٧٥، أي المتفرسون. وعلم الغيب المنفي في الآية هو الغيب المطلق كقوله ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ**﴾ آل عمران/١٧٩ ، وليس الغيب الإضافي الذي يمكن العلم به إذا تهيأت الأسباب المؤدية إليه كقوله ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ الجن/٢٦-٢٧. (**وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**) من غير تعليم الوحي ، وليس لي القدرة على علم الغيب لأنه فوق طاقتي ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ البقرة/٣٢ ، ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ**﴾ الأعراف/١٨٨.

**٥١-** ﴿**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾

الضمير (بِهِ) يعود إلى القرآن الكريم. بعد أن أنذر الله سبحانه بالقرآن عامة الناس بما تقوم به الحجة عليهم ولكن إنّما ينتفع به (**الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ**) الذين يخافون يوم الحساب ، أمر نبيه أن يستمر ويتابع إنذار المؤمنين ليزدادوا إيماناً وعلماً بالدين وأحكامه ، وأنذر كذلك به غير المؤمنين ممن ترجى هدايته بمتابعة الإنذار وتكراره، فالإنذار للناس عامة ولاسيما للذين يخافون الله كقوله ﴿**إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ**﴾ فاطر/١٨ ، ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ ق/٤٥ ، (**لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ**) ليس لهم غير الله ولي ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم لأن الخلق كلّهم لَيْسَ لَهُم مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ يونس/٣ ، (**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**) أنذرهم لكي يتّقوا الله بالتمسك بطاعته ويتقوا الكفر والمعاصي ، **بمعنى** : حين تنذرهم يا مُحَمَّد يستمعون إليك وينتفعون بإنذارك لهم ويؤثر فيهم كلامك ويشعرون بالخوف من الله في أعماقهم ، ما مضى معهم بالحكمة والموعظة الحسنة فإنهم مهيئون للهداية والتقوى باختيارهم ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ آل عمران/١٠١. (مَنْ إِتَّقَى اللهَ وَقَاهُ) **فائدة** : **١- (وَلا شَفِيعٍ)** إنّما نفي الشفاعة لغيره سبحانه مع أن الأنبياء والأولياء يشفعون بإذن الله فكانت الشفاعة من الله تعالى ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ الزمر/٤٤ ، **٢- (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ)** لماذا ذكر الذين يخافون والإنذار لكافة النّاس ؟ وذلك لأنَّ الذين يخافون هم أسرع للاستجابة، إنها صفة مميزة لهذه العقيدة واستعلاؤها على الذين لا يعرفون قدرها ، كالذي يضع الحكمة لغير أهلهافقد أهان الحكمة وأهلها.

**٥٢ - ﴿وَلا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**

**سبب النزول** : قال المشركون المترفون لرسول الله (ص) لو طردت ضعفاء المسلمين من حولك لحضرنا مجلسك ونسمع منك فنزلت الآية. **المعنى** : لا تطرد هؤلاء المؤمنين الضعفاء من مجلسك يا مُحَمَّد الذين يعبدون ربهم دوماً (**بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ**) أي في الصباح والمساء (**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**) يلتمسون بذلك القرب من الله وتحقيق رضاه (**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**) لا تُؤاخذ بأعمالهم ، وذنوبهم على أنفسهم كقول نوح ﴿**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي**﴾ الشعراء/١١٣ ، (**وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ**) لا تؤاخذ أنت بحسابهم ولا هم مؤاخذون بحسابك وحسابك على نفسك فلا يجوز أن تطردهم كونهم فقراء لو طلبوا التناوب لكان أسهل من الطرد ، وهذا حسابهم عند الله لا شأن لك به، وكذلك غناك وفقرك هو حسابك عند الله لا شأن لهم به ، ولا دخل لهذه القيم في قضية الإيمان والمنزلة فيه كجواب نوحٍ لهم ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ**﴾ هود/٢٩ ، (**فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**) فإن أنت طردتهم من مجلسك

بحساب الفقر والغنى كنت لا تزن بميزان الله وتعديت حدود الله فكنت من الظالمين (وحاشاك). **فائدة** : **١-** أول أتباع النبي (ص) كانوا من الفقراء وأعداؤه المستكبرون المترفون كقوله تعالى في قوم نوح (ع) : ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا**﴾ هود/٢٧ ، كانوا يحتقرون هؤلاء الفقراء حول النبي (ص) ويعدون أنفسهم أنها لا تليق بها مساواتها بالفقراء ، بل إقترحوا على الرسول (ص) طردهم فنهاه الله عن ذلك، **في نهج البلاغة حكم٨١:** (قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ) وَلَيْسَ قِيمَةُ كُلِّ اِمْرِئٍ مَا يَمْلِكُهُ، وفي هذا مكافحة التفكير الطبقي ، ومكافحة التطرف في الأشياء ، وبيان هزالة رجال الكنيسة المسيحية في إعطاء حق غفران الذنوب بصكوك الغفران ، ويدل من كسر مؤمناً فعليه جبره ، **عن النبي** (ص): (أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) واستقرّت موازين الإسلام وقيمه على النهج الذي قرّره الله تعالى. **٢-** ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٧١ ، أي ينصر بعضهم بعضاً وفي المقابل ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٦٧ ، فطرد المؤمنين الضعفاء يعمل تخلخلاً في نسيج الولاية بين المؤمنين (والغاية لا تبرّر الوسيلة) وعندئذٍ لا يكونون إخوة كقوله ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ الحجرات/١٠ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ عَيْنُهُ وَدَلِيْلُهُ لاَ يَخُونُهُ وَلاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَغُشُّهُ وَلاَ يَعِدُهُ عِدَةً فَيُخْلِفُهُ) البحار٢٦٨/٧٤، ولا فرق بين فقيرهم وغنيهم إلاّ بالتقوى، والمؤمن كثير بأخيه المؤمن ، والإسلام ضد التمايز الطبقي والتمييز العنصري ومنح الامتيازات من دون مؤهلات.

**٥٣-** ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾

**(فَتَنَّا)** معنى الفتنة الاختبار والابتلاء والامتحان ، واختبار الله لعبده أن يظهره للناس على حقيقته عن طريق أفعاله، **المعنى** : وكذلك اختبرنا الأغنياء بالفقراء والوجهاء بالبسطاء والعلماء بالجهلاء.. إلخ **(لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) (لِيَقُولُوا)** اللام للعاقبة ، أي ليكون عاقبة أمرهم ، أن يقول الوجهاء والأغنياء أهؤلاء البسطاء والفقراء منَّ الله عليهم بالهداية، وسبقوهم إلى الإسلام من دوننا ونحن الأكابر القادة وهم المساكين الضعفاء ، قالوا ذلك استهزاءً لذلك جاء الاستفهام للإنكار أن يكونوا سبقوهم بفضيلة كقوله ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**﴾ الأحقاف/١١ **(أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)** هذا الاستفهام تقرير وجواب استهزائهم أي الله أعلم بمن يشكر فيهديه ومن يكفر فيخزيه فلا طبقات عند الله في المال والجاه والنسب ولا فرق بين عربي وأعجمي وأبيض وأسود وعرق وجنس إلاّ بالتقوى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات/١٣ ، **عن الإمام علي** (ع) : (مَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لِغِنَائِهِ ذَهَبَ ثُلُثَا دِيْنِهِ !) مجمع البيان٦٨/٤. **فائدة:** يقرّر القرآن أن الإيمان نعمة لا تتعلّق بقيم الأرض الصغيرة التي تسود في المجتمعات المادية، وإنّما يختص الله بها المؤهلون لها الشاكرون الله عليها مهما كان وضعهم أغنياء أم فقراء، فميزان الله أرقى من ميزان أهل الأرض. **في الحديث** (جدّدوا إيمانكم) روح البيان١٠٩/٣

**٥٤** – ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

**(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا)** تكريم للمؤمنين وليس الإيمان بالمظاهر والمواقع والهيبات ومن إسودّت جبهته من أثر السجود وكفى ، بل الإيمان استقامة دائمة وورع عن محارم الله ، والمؤمن من أخلص دينه وقوله وعمله لله تعالى بحيث لا يختلف قوله عن فعله ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، والإيمان عمل كلُّهُ والقول بعضه ، والآية تكريم بعد الإيمان ويسر في الحساب والرحمة في التعامل والغفران في الجزاء. نزلت الآية في الذين نهى الله نبيه (ص) عن طردهم فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام عليكم تحية الإسلام لأهل الأرض ولأهل الجنة ﴿**تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾ يونس/١٠ إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم **(فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ)** والسلام قبل الكلام.

**ومعنى السلام** : دعاء بالنجاة لمن تحييه من كل سوء ، أي أنت في سلام وأمان مني فخيري مأمول وشرّي مأمون ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّ السَّلاَمَ إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاْءِ اللهِ تَعَاْلَى فَأَفْشُوْهُ بَيْنَكُمْ) كنز العمال خبر٢٥٢٣٧، **بمعنى:** أنت في سلامة من الذنوب بعد توبتكم منها **(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)** أوجب ربكم على ذاته المقدسة الرحمة تفضلاً منه وإحساناً ورحمته لا تنفك من ذاته عز وجل ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً**﴾ غافر/٧ **(أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ)** جاء السياق القرآني بلهجة العطف والحنان والرحمة ، فمن عمل منكم الخطايا من غير قصد ، **(بِجَهَالَةٍ)** بخفة عقل وغلبة جهل وإتّبع هواه لحظة ضعف في شهوة أو غضب، لا يعلم حلالاً من حرام ومن جهالته وسفاهته ركب السوء ، والسوء كل عمل يسوء الإنسان وتسوء عاقبته ، فما يذنب الإنسان إلاّ من جهالة ، ومن عمل السوء عن علم وعمد فهو أسوأ حالاً من الجاهل الذي لا يعلم ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ **(ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** ثم تاب من ذنوبه صادقاً مع نفسه **(وَأَصْلَحَ)** عمله مخلصاً مع الناس ومع ربه وأصلح مع نفسه ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة وأصلح الضرر ورفع الخطر فإن للذنب آثاراً سيئة على النفس عاجلة وآجلة فإذا وجد ذلك كله **(فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** صب عليهم من مغفرته ورحمته بحسب ما قاموا به بما أمرهم به ، كقوله ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾ النساء/١٧.

**عن الإمام الصادق** (ع): (رَحِمَ اللهُ عَبْدَاً تَاْبَ إِلَى اللهِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مُطَهِّرَةٌ مِنْ دَنَسِ الْخَطِيْئَةِ وَمُنْقِذَةٌ مِنْ شَقَاْءِ الْهَلَكَةِ)، فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين فقال (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) كنز الدقائق٣/٢٩٠، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾ البقرة/٢٢٢ ، فإذا أردت ان تستنزل الرحمة تُب إلى الله. **فائدة: ١–** ومن الأمور التي يحبّها الله حبُّ الفقراء والمساكين ومداراتهم

فإنها من مصاديق دخول الجنة. **٢-** جاءت (**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**) مرتين في هذه السورة ، الأولى تسلية للمؤمنين في هذه الدّنيا في هذه الآية وجاءت في الآية (١٢) من السورة الرحمة في يوم المعاد ، **عن النبي (ص)** : (مَاْ خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إلا وَخَلَقَ لَهُ مَا يَغْلِبُهُ ، وَخَلَقَ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ) كنز العمال خبر١٠٣٩٠، **في غرر الحكم**: (التَّوْبَةُ نَدَمٌ بِالْقَلْبِ وَاسْتِغْفَاْرٌ بِاللِّسَاْنِ وَتَرْكُ الْجَوَاْرِحِ (الأعضاء) وَإِضْمَاْرُ أَنْ لاَ يَعُوْدَ).

**٥٥ - ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾**

الآية من محاسن أساليب البلاغة ، وكذلك نوضح منهج الله ونبيّنه في القرآن الكريم ونميز بين طريق الهدى من الضلال، والغي من الرشاد ، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه والباطل الذي يجب إجتنابه حيث لا صنمية في الأفكار والأعمال والقناعات فإن الإصرار على الخطأ رذيلة كما ان الثبات على الحق فضيلة (**وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) لِتَسْتَبِينَ** : لتتّضح وتظهر ، اللام للتعليل، طريق الحق واضح وطريق الباطل واضح ليظهر كل فئة بعلاماتها وتعرفُ الأشياء بأضدادها، فإن سبيل المجرمين إذا استبانت واتضحت أمكن اجتنابها بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة فإنها توقع في الشبهات، **عن النبي** (ص): (دَعْ مَاْ يُرِيْبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ فَمَنْ رَعَى (تَحَرَكَ) حَوَلَ الحُمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ) تنبيه الخواطر ص٤٣، **عن النبي** (ص): (حَلاَلٌ بَيِّنٌ، وَحَرَاْمٌ بَيِّنٌ، وَشُبُهَاْتٌ بَيْنَ، ذَلِكَ فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاْتِ نَجَاْ مِنَ الْمُحَرَّمَاْتِ، وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاْتِ إِرْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاْتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُ) وسائل الشيعة١٨/١١٤.

**فائدة: ١- في الآية دلالة**: ينبغي ومن الفضائل فضيحة المجرمين والخائنين والمفسدين.. إلخ فالسكوت عنهم جريمة فيصير مثلهم ، فيكون الْعَاْمِلُ بِالظُّلْمِ، وَالرَّاْضِيْ بِهِ، والمعُينُ عَليهِ، وَالسَّاْكِتُ عَنْهُ، وَالخَاْضِنُ لَهُ، شُرَكَاْءُ فِيْ الظُّلْمِ. **٢- (الْمُجْرِمِينَ)** أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة واستعير لكلِّ اكتساب مكروه، وكذلك المجرم الخبيث قطع فطرته السليمة أي لوّثها وفصلها عن الطبيعة البشرية. **٣- (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)** إنّ استبانة سبيل المجرمين وفرزه وإظهاره وتمييزه عن سبيل المؤمنين ضرورة حياتية ، حتى لا يختلط الحق بالباطل ، **إذاً** : الخطوة الأولى **(إعرف عدوّك)** إعرف عدوّك بدقة وميزه عن صديقك والتأكد من هذا الباطل عدوٌّ مبطّن خطير على أنّه شرٌّ وضرر بلا أدنى شبهة مع الأدلة والبراهين ، فهما طريقان مختلفان لا يمكن أن ينسجما ويتوافقا ، فلابدّ من فرزهما بدقة **﴿فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** البقرة/١٩٣ ، **في نهج البلاغة حكم٢٩٥:** (أَعْدَاْؤُكَ ثَلاَثَةٌ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيْقِكَ، وَصَدِيْقُ عَدُوِّكَ، وَأَصْدِقَاْؤكَ ثَلاَثَةٌ: صَدِيْقُكَ، وَصَدِيْقُ صَدِيْقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ).

**٥٦ - ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾**

فلن أشرك بعبادة ربي أحداً ، يؤكد القرآن للرسول المصطفى (ص) أن يعلن تبرؤه عقلاً ووحياً من عبادة ما سوى الله من الموجودات الضعيفة المخلوقة له تعالى ، فإن هذا باطل وليس لكم فيه حجة إلاّ إتباع الهوى الذي هو أعظم ضلال، **في غرر الحكم**: (أَشْقَى النَّاْسِ مَنْ غَلَبَهُ هَوَاْهُ، فَمَلَكَتْهُ دُنْيَاْهُ، وَأَفْسَدَ أُخْرَاْهُ) ، ولهذا قال **(قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ)** لأنها تقود إلى الهاوية ، فإن إتباع الهوى ينافي الهدى، ويمنع إشراق نور التوحيد على قلبه الذي تسكن نفسه به وتثبت استقامته فيه لأنني إن أَتّبِعْتُ أَهْوَاءَكُمْ **(قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً)** كما ظللتم فنصير سواء في الانحراف ، فتكون قوة العقل من مخالفة الهوى وإذا كبر الهدى صغُر الهوى وإذا كبر العقل ضعف الهوى وصغرت الشهوة ، **في غرر الحكم**: (رَدْعُ النَّفْسِ عَنْ الْهَوَى الْجِهَاْدُ الأَكْبَرْ). **(وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)** أنتم أيها المشركون أصحاب هوى وشهوات وضلال فلو إتبعتكم صرت مثلكم ثم أُلقي بنفسي إلى التهلكة ولو بعد حين لأن الضلال أوله يغر ويسر وآخره يضر، **في نهج البلاغة خطبة٢٠١**: (لاَ تَسْتَوْحِشُوْاْ فِيْ طَرِيْقِ الْهُدَىْ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاْسَ قَدْ اجْتَمَعُوْاْ عَلَى مَاْئِدَةٍ شَبَعُهَاْ قَصِيْرٌ وَجُوْعُهَاْ طَوِيْلٌ).

**٥٧ –** ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾

إنّي على بصيرة من ديني وبيّنةٍ وهدايةٍ من ربّي ، وأعبد الله عن علم ويقين بصحته ، وهذه شهادة من الرسول حازمة وجازمة لا تقبل التردد كقوله ﴿**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي**﴾ يوسف/١٠٨ ، لذلك (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ) **(وَكَذَّبْتُمْ بِهِ)** فإن لم تقبلوا القرآن – عن جهلٍ وتقليدٍ وإتّباعٍ أعمى – وهو الحق من ربكم الذي ينقذكم من حيرة الضلالة ومن ظلمات الجهالة (من ضاق عليه القرآن، فسبيل الشيطان عليه أضيق) وإنّ تكذيبكم وإنكاركم للدّليل لا تقللان من صدقه.

**(مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ)** ليس عندي ما أبادركم به من العذاب الذي تستعجلون به فليس بيدي من الأمر شيءٌ كقوله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨ ، في قولهم ﴿**فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ**﴾ الأنفال/٣٢ ، **(إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ)** وحدهُ في تعجيله أو تأجيله ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، فله الحكم الشرعي فيأمر وينهى بالحكمة والمصلحة كذلك له الحكم الجزائي ، فيكون جزاؤه على ضوء الأعمال ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢ ، **(يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) يَقُصُّ الْحَقَّ**: يفصل بين الحق والباطل في حكمه **(الْفَاصِلِينَ)** الفصل هو القضاء والحكم يقص على رسوله القصص الحق في وعده ووعيده ، في بيان سننه ومقاديره وهو خير الحاكمين في كلّ أمر، لا يقع في حكمه ظلم ولا في قضائه جور ، فيفصل بينهم فصلاً يحمده عليه حتى من قضى عليه ، **تدلُّ الآية** : من يزعم أن الظلم والقبائح بقضاء الله ليس بحق ، وإنَّ الله قد يؤخرُ العقوبة لحكمة ومصلحة ، فعلى الإنسان المؤمن أن لا

يقول على الله إلاّ الحق ولا يتّبع الهوى كما أمر الله تعالى ﴿**قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً**﴾ الأنعام/٥٦.

**٥٨ – ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾**

لو أن بيدي أمر العذاب الذي تستعجلون به (**لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**) لعجلته لكم لأستريح منكم ولكنه بيد الله الحكيم الحليم الذي يقرر المصير ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف/١٨٢ ، (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ**) المعاندين لا يخفى عليه أحوالهم فهم في قبضته ولكنه يمهلهم ولا يهملهم وفيه تهديدٌ ووعيدٌ كقوله ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً**﴾ الفرقان/٢٧-٢٨ ، ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ يونس/٤٩.

**٥٩ – ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**

**مَفَاتِحُ** : بفتح الميم : خزائن ، وبكسرها المفتاح الذي يفتح به الأقفال وجمعه مفاتيح وتأتي مفاتح بمعنى مفاتيح لتلك الخزائن التي لا يعلمها إلاّ الله كقوله ﴿**مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**﴾ القصص/٧٦ ، ﴿**أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ**﴾ النور/٦١ ، وليس لنبي ولا ولي مدخل في علم هذه المفاتح ولا في استعمالها إلاّ بتعلّمٍ من الوحي. الآية عميقة المعنى دقيقة المبنى واسعة المغزى لها دلالات متعدّدة. **المعنى**: يرسم السياق القرآني صورة فريدة عالية المضامين لعالم الغيب ، وذلك التّصوير المتحرّك العميق المجسّم الإحصائي الإيحائي ، وعلم الله المحيط بهذا الغيب وإحاطته بكلّ شيء وبجميع الحوادث، **الغيب المطلق** المحجوب عنا في الزمان والمكان وهو مما استأثر الله سبحانه بعلمه ، والتعبير عن الغيب بأنه مودع في خزائن ، وإنّ هذه الخزائن لها مفاتيح لا يعلمها إلاّ الله ، فهو غيب أبعد من أن يُنال ويُطلّع عليه من أحد إلاّ بإذن الله ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ الجن/٢٦-٢٧ ، وفي الآية جوانب إعجاز ضخمة لا يحيط بها عقل الإنسان ﴿**قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**﴾ المائدة/١٠٩ يعلم الله تعالى كل ما في الكون وما حدث وما يحدث فيه كلياً أو جزئياً مادياً أو معنوياً ظاهراً وباطناً وفي أي زمان ومكان مع كلّ إنسان ومع كلّ مخلوق ، وعلم الله ذاتي لا كسبي وليس لذاته عز وجل زمان ومكان وليس لها حدود ولا هي تتغير بتغير الأحداث والأحوال ، فعلينا أن نثق لوعده وعهده لرسله بالنصر ووعيده لأعدائه بالقهر.

كقوله: ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ**﴾ الأنبياء/١٠٥ وكقوله: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ**﴾ النور/٥٥، عن النبي (ص): (مَفَاْتِيْحُ الْغَيْبِ

خَمْسٌ ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ لقمان/٣٤ المراغي١٤٤/٧، كما أن الله يعلم **الغيب النسبي** (**وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**) فهو علم عنده سبحانه وغيب عند غيره ، وخصص البر والبحر لأنهما أقرب لحواسنا ، ويعلم ما فيهما من عجائب المخلوقات ويدبر أمورها (**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا**) مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات أي لا تسقط ورقة من أية شجرة في الكون إلاّ يعلم وقت سقوطها والأرض التي تسقط عليها بمعنى يعلم كيف تحيا وكيف تموت (**وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ**) ولا حبة صغيرة في (ظُلُمَاتِ) أي باطن الأرض إلاّ يعلم مكانها وهل تنبت أو لا ، وكم تنبت ومن يأكلها. **فائدة** : **١-** إنّ في ذلك العلم الواسع لله تعالى يعلمنا أن جميع أحوالنا في سرنا وعلانيتنا مكشوفة عند الله وهو أقرب إلينا من أنفسنا فهو أعرف بنا من أنفسنا كقوله ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ ق/١٦.

فإذا آمن الإنسان بهذا حقاً وصدقاً ، كان الإنسان رقيباً على نفسه محاسباً لها ويسيطر على أعماله وأقواله وجميع أحواله ويجعلها في خط الاستقامة التي فيها السلامة والكرامة كما جاء **عن النبي** (ص) : (حَاسِبُوْاْ أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْاْ، وَزِنُوْهَاْ قَبْلَ أَنْ تُوْزَنُوْاْ، وَتَجَهَّزُوْاْ لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ) البحار٧٠ص٧٣، (**وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ**) كناية عن الشمول والعموم بمعنى أن جميع الأشياء في السماوات والأرض في برها وبحرها وجوها لا تخلو من إحدى مفردات هاتين الصفتين والله محيط بهما وأيضاً تعني الرطب واليابس كناية عن الثنائيات والمضادات وتعرف الأشياء بأضدادها مثل الموت والحياة والصحة والمرض والفقر والغنى والحق والباطل والعسر واليسر والضعف والقوة.. إلخ ، وهذا الكتاب يحصي كلّ صغيرة وكبيرة في عالم الوجود ومما يكون وما هو كائن كقوله ﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩. **٢-** جلَّ عظمة الله تعالى لا يحصي أحدٌ ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده. **٣-** هذه الآية الكريمة تكشف إعجاز القرآن الذي يعطيك دقائق علمية شاملة في بضع كلمات لها دلالات لا يستطيع التعبير البشري أن يأتي بمثله ، هذه الآية تكفي لوحدها لمعرفة أنّ مصدر القرآن الكريم من الله تعالى ، وأنّ حقيقة الغيب من مقوّمات التّصوّر الإنساني والعقيدة الإسلامية ومن قواعد الإيمان فقال الله تعالى.

﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ البقرة/٣ ، ولم يقل (الذين يعلمون الغيب) ، الغيب يحيط الإنسان من كلّ جانب ، غيب في الزمان وغيب في المكان وغيب في النفوس وغيبٌ في الأكوان وغيبٌ في النّشأة وفي الحياة وفي الموت وغيبٌ في كيفية علم الإنسان وفي كيفية جهله ، ويسبح الإنسان في بحر المجهول ، فلا يعلم الإنسان إلاّ القليل ويجهل الكثير الكثير ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢، قال الشاعر : كلّما أدّبني الدّهر أراني نقص عقلي ، وكلّما إزددت علماً زادني علماً

بجهلي. **(إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)** وكلُّ شيء معلوم عنده ومسجّل في اللوح المحفوظ ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً**﴾ النبأ/٢٩.

**٦٠ – ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

العناية الإلهية تشمل حياة الإنسان في كلِّ الأحوال ، وهو سبحانه وحده المتفرد بتدبير عباده في يقظتهم ومنامهم وهو المستحقُّ الحبِّ والقرب والتعظيم الإجلال والإكرام والطاعة والعبادة **(يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ)** التوفّي أخذ الشيء وافياً تاماً ويقابله التوفية والاستيفاء هو إعطاء الشيء تاماً كاملاً ، وقد عدَّ النوم توفياً مجازاً والموت توفياً بمعنى انقطاع تصرُّف النفس (الروح) في البدن وزوال الإحساس وهذا يدل على أن الروح هي تمام حقيقة الإنسان ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا..**﴾ الزمر/٤٢ ، والنوم أخو الموت ، والنوم موتٌ خفيف ، إلاّ أن في الموت تقبض الأرواح بالتمام وبالنوم جزئياً ، وهو السرُّ الغامض الذي لا يعلم البشر حقيقة النوم وآليته وكيفيته بدقة، عرف العلم شيئاً عن النوم وغابت عنه أشياء **عن النبي** (ص) : (كَمَاْ تَنَاْمُوْنَ تَمُوْتُوْنَ، وَكَمَاْ تَسْتَيْقِظُوْنَ تُبْعَثُوْنَ) تفسير القرطبي١٥/٢٦٠، **(وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ) جَرَحْتُمْ** : كسبتم أي ما أصابته جوارحكم ، وهي أعضاءكم التي تكسب بها الأعمال على كثرة أعمالكم وكثرة أعدادكم **وفي هذا دلالة** على البعث في الآخرة **(ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ)** ثم يوقظكم في النهار من منامكم ويبعث الروح في الجسد مرة أخرى ولا يزال الله تعالى يتصرّفُ فيكم حتى تستوفوا آجالكم ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ الجاثية/٢١ ، **(لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى)** لتبلغوا الأجل المكتوب لكم المسمى لانقطاع حياتكم ، وهكذا لا يزال الله تعالى يتصرف فيكم حتى تستوفوا آجالكم فيقضي بهذا التدبير أجل مسمى وهو أجل الحياة الدنيا ، وأجل آخر بعد ذلك وهو البعث والنشور بعد الموت ولهذا قال:

**(ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ)** مرجعكم إليه وحده يوم القيامة عند انقضاء آجالكم لا إلى غيره وهو البعث والنشور بعد الموت الذي تذوقه كل نفس بالحق **(ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** ثم يخبركم بأعمالكم ويجزيكم عليها ﴿**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ النجم/٣١ ، وهكذا يجب أن يشعر الإنسان أنه بعين الله دائماً في جميع أحواله وفي علم الله ليلاً ونهاراً ليعيش الأدب مع الله تعالى ولا يتجاوز حدوده ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ .

**فائدة: ١– روي** : (أَنَّ فِيْ بَنِيْ آدَمَ نَفْساً وَرُوُحَاً بَيْنَهُمَاْ مِثْلُ شُعَاْعِ الشَّمْسِ فَالنَّفْسُ الَّتِيْ بِهَاْ الْعَقْلُ وَالتَّمْيِيْزُ ، وَالرُّوْحُ الَّتِيْ بِهَاْ النَّفْسُ وَالتَّحَرُّكُ ، فَإِذَاْ نَاْمَ قَبَضَ اللهُ نَفْسَهُ وَلَمْ يَقْبِضْ رُوْحَهُ ، وَإِذَاْ مَاْتَ قَبَضَ اللهَ نَفْسَهُ وَرُوُحَهُ) ، **عن الإمام علي** (ع) (يَخْرُجُ الرُّوُحُ عِنْدَ النَّوْمِ وَيَبْقَى شُعَاْعُهُ فِيْ الْجَسَدِ

فَبِذَلِكَ يَرَى الرُّؤْيَا فَإِذَا إِنْتَبَهَ مِنَ النَّوْمِ عَادَتْ الرُّوحُ إِلَى الْجَسَدِ بِأَسْرَعَ مِنْ لَحْظَةٍ) الكاشف٣/٢٠١.
**٢- (النوم واليقظة)**: حاجة متكرّرة في كلّ يوم ، فيه تذكيرٌ له بالموت والبعث إن كان مؤمناً ، وتصويرٌ لهما إن كان شاكّاً ، على الإنسان أن يتدبّر أمره وأن يراجع حسابه فهو مسؤول عن بناء مستقبله الدنيوي والأخروي. **٣- (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)** بعد **(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ)** الإنسان حال النوم كميت بين الأموات ووضعه أمام ما كسب في حال يقظته تلك صورة مصغرة لما يكون عليه حساب الإنسان يوم القيامة. **٤- (مَا جَرَحْتُمْ)** وفي التعبير عن أعمال النّاس **(بالجرح)** إشارة إلى الأعمال السيئة إنّها عدوان على حرمات الله وجرح لها حتى كأنّها كائنٌ حيٌ يتألم بالجرح، إذ لابدّ من قصاص على الجراح كقوله ﴿**وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾ المائدة/٤٥ ، وإنّما ذكر السيئات ولم يذكر الحسنات بالنهار لأن الإنسان إذا تخلّص من السيئات سهلت استقامته على الحسنات فقد فاز.

**٦١ - ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾**

هذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة وهو الله تعالى القاهر المستعلي المتسلط الغالب المهيمن فوق عباده على الكون والكائنات الذي لا تقف أمامه أية قوة ، وهو الذي قهر كلَّ شيء وخضع لكبريائه كلَّ شيء فلا يعمل أحدٌ منهم عملاً إلاّ بمشيئته فليسوا يملكون من الأمر شيئاً ولا يتحركون ولا يسكنون إلاّ بإذنه ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ النحل/٤٩ ، **(وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً)** نظام الرقابة المباشرة على كلِّ نفسٍ والحماية لها فقد وكّل الله بالعباد حفظة من الملائكة يحفظون عليه كل أعماله ويحصونها ، ويحفظون نفسه وعمره من الحوادث والبلايا كقوله ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ الرعد/١١ ، ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ الإنفطار/١٠-١٢ ، ﴿**عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق/١٧-١٨ ، وإذا علم الإنسان أن أعماله تُحفظ عليه وتُعرضُ على رؤوس الأشهاد كان ذلك أزجر له عن تعاطي المعاصي ومحفزاً لتزكية نفسه وتهذيب أخلاقه واستقامة سلوكه **(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا)** حفظ الملائكة للإنسان ينتهي عند نهاية الأجل ، فهم مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حياً فإذا إنتهى أجله فقد انتهى حفظهم له **(وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ)** لا يقصرون في شيء ولا يتهاونون مما أمروا به من الحفظ والتوفي ، فلا يزيدون ساعة ولا ينقصون مما قدره الله وقضاه، وهذا يربّي ضمير الإنسان من داخل نفسه ويحي مشاعره ، وهذه التربية الذاتية تفتقدها جميع الأنظمة الوضعية.

**٦٢ - ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾**

ثم بعد الموت والحياة البرزخية **عن النبي** (ص): (مَنْ مَاْتَ فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَامَتُهُ)روح البيان٣/٢٢، **وعنه** (ص): (يُبْعَثُ الْمَرْءَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) كنز العمال خبر٤٢٧٢٢ يردّ العباد بعد البعث والنشور إلى الله خالقهم ومالكهم كقوله ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ**﴾ الإنشقاق/٦ ، ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ الأعراف/٢٩ ، (**أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**) له الحكم وحده ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦ ، وهو سبحانه وحده يحاسب ﴿**وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ الأنبياء/٤٧ ، **وله الفصل والقضاء ولا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن** ، يحاسب جميع الخلائق بفترة قصيرة في قدر لمح البصر تقدّر حلب شاة في وقت واحد (كما جاء في الروايات) لكمال علمه وقدرته وحفظه لأعمالهم في الصورة والصوت والنية لأن الحق معلوم عنده وظاهر والحكم جاهز والجزاء معدّ وكلُّ شيء يتم بمجرد إرادته سبحانه ومعنى المحاسبة تعريف كلّ واحد ما يستحقه من جزاء في الثواب والعقاب. **فائدة: ١-** التربية على المعاد يؤدي إلى تهذيب النفس واستقامتها في حياة الفرد والمجتمع مما يساعد على النهضة الحضارية السريعة لاستجماع طاقات الناس واستثمار إختصاصاتهم المتنوعة **٢- سئل الإمام علي** (ع): (كَيْفَ يُحَاْسِبُ اللهُ الْخَلْقَ على كثرتهم؟ فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ على كِثْرَتِهِمْ) فقيل (كَيْفَ يُحَاْسِبُ اللهُ الْخَلْقَ وَلاَ يَرَوْنَهُ ؟ فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ) نهج البلاغة حكمة٣٠٠. **٣-** إن الموت ليس هو نهاية حياة الإنسان وإنما هو بداية مرحلة جديدة ، فهو نقلة من دار الممر إلى دار المقر ، لذلك أصبحت الدّنيا مزرعة الآخرة. **٤-** (**أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**) ولذكر السرعة هنا وقعه المؤثر والمحرك في القلب البشري ، فهو ليس متروكاً ولو إلى مهلةٍ في الحساب أمّا كيفية ذلك الحساب فلا يمكن أن تحيط بها العقول. إنّ الله هو المحاسب وجب على العاقل أن يحاسب نفسه قبل الحساب، **عن النبي** (ص): (حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا، وَزِنُوْهَا قَبْلَ أَنْ تُوْزَنُوْا، وَتَجَهَّزُوا لِلعَرْضِ الأَكْبَرِ) البحار٧٠ص٧٣، **روي** : (تَطُوْلُ مُحَاْسَبَةُ الْمَسْؤُوْلِيْنَ وَالأَغْنِيَاْءِ يَوْمُ الْقِيَاْمَةِ) ، واليوم عندنا جهاز الحاسوب فهو يعطيك جرد المخازن والبضائع في لحظات سريعة.

**٦٣ - ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾**

يستثير القرآن الفطرة البشرية من جديد ويذكّرهم بموقف حسّي يكشف حقيقة النفس. **المعنى** : قل يا مُحَمَّد لهؤلاء المعاندين مَنْ ينقذكم في سفركم وحضركم من شدائد وأهوال البر والبحر ؟ (**مِنْ ظُلُمَاتِ**) هو كناية عمّا يلاقيه الإنسان من الشدائد والمحن (**تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**) **التضرّع** : إظهار الضراعة والحاجة وهي الضعف والانكسار والذلّة لله سبحانه ، تارةً متضرّعين بألسنتكم وتارةً مسرّين في أنفسكم أوبلِسَاْنُ الْحَاْلِ قَبْلَ لِسَاْنِ الْمَقَاْلِ ، **في غرر الحكم**: (لِسَاْنُ الْحَاْلِ أَصْدَقُ مِنْ لِسَاْنِ الْمَقَاْلِ) أي تدعون ربكم علانية وسراً قائلين (**لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنْ**

**الشَّاكِرِينَ)** إذا خفتم الهلاك ذكرتم الله متضرعين خاضعين إليه بالدعاء ، فإذا نجاكم رجعتم إلى ما كنتم عليه ونسيتم نعمة الله عليكم ، قالوا **(لَئِنْ أَنجَانَا)** ولم يقولوا (لئن أنجيتنا) لأنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون أنّه قريبٌ منهم يسمع سرّهم ونجواهم.

**٦٤ - ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾**

الله وحده ينجيكم من هذه الشدائد ومن كلّ كرب وغم مما يعجز عنه أهل الأرض **(ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ)** تقريع وتوبيخ، ثم أنتم بعد معرفتكم فضل الله عليكم في أصعب الحالات تشركون به ولا تستقيمون على نهجه الهادي وتعودون إلى الرذائل والسيئات وهكذا (الأَحْمَقُ إِذَا أَمِنَ الْعِقَابَ أَسَاءَ الأَدَبْ) وفي المقابل كمال عناية الله تعالى بعباده ورعايته لهم، وقد أثبت العلم أن ضعف الشخصية من ضعف إرادتها فهي تتقلب مع الظروف كالماء يتلون بلون الإناء ، بينما دين الله يعلّم الإنسان على الثبات والاستقامة في جميع الأحوال في الشدة والرخاء. **فائدة : ١- عن الإمام الصادق** (ع) : (مَا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ) البحار٧٠/٢٠٥، الْهِمَّةُ عَلَى قَدَرِ الْمُهِمَّةِ ، **في غرر الحكم:** (قَدرُ الرَّجُلَ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ، وَعَمَلُهُ عَلَى قَدَرِ نِيَّتِهِ) ، **٢- (تُشْرِكُونَ)** بعبادته تعالى غيره ، والمناسب لقولهم **(لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ)** ثم انتم لا تشكرون ولا تقدرون فضل الله عليكم فجعلتم الشرك **(ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ)** موضع الشكر للدلالة على أن الشرك بمنزلة ترك الشكر كقوله **﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** إبراهيم/٧ ، وهنا قابل السياق القرآني عدم الشكر بالكفر، أي عدم تقدير النعمة بمنزلة كفرها وتغطيتها **! ٣-** لا مانع من أن يلجأ المحتاج إلى وليٍّ من أولياء الله ويطلب الحاجة من الله (حصراً) بجاهه عنده سبحانه فإنهم الوسائل الصالحة إلى الله كقوله **﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** المائدة/٣٥ ، توسّلوا إلى الله بالوسائل التي ترضيه وكلُّ وسيلة فيها قربى خالصة إلى الله فهي ترضيه كقوله **﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾** الإسراء/٨٤ ، **شَاكِلَتِهِ** : طريقته.

**٦٥ - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾**

بعد بيان نعمه ومننه سبحانه ذكر نقمته وقدرته وشديد عقوبته **﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾** البروج/١٢، فكما أن الله هو أرحم الراحمين فإنه أيضاً شديد العقاب **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** المائدة/٩٥ ، كقوله **﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾** الحجر/٤٩-٥٠ ، فالله (أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ ، وَأَشَدُّ الْمُعاقِبِيْنَ في مَوْضِعِ النَّكَالِ وَالنَّقِمَةِ ، وَاَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِيْنَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرياءِ وَالْعَظَمَةِ) **من دعاء الإفتتاح** ، **يَبْعَثَ** : يرسل ، **شِيَعاً** : فرقاً مختلفة وعصبية متكارهة ، **يَلْبِسَكُمْ** : يخلطكم أي يخلط أمركم فتضطرب أحوالكم ، **يُذِيقُ**

**بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** يقتل بعضكم بعضاً ، **نُصَرِّفُ الآيَاتِ** : نحولها من حالٍ إلى حال ، **يَفْقَهُونَ**: **الفقه** : فهم الشيء بدليله ، معنى (**فقه الحياة**) اي معرفة سننها وحقيقتها **المعنى**: (وإن نزلت الآية بخصوص السبب ولكن أُريد بها عموم المعنى) قل يا مُحَّد للذين انحرفوا عن رسالتك وتجاوزوا الحدود العقلية والنقلية وأصبحوا ضرراً على هذا الوجود ، إن الله هو القادر أن يعاقبكم عقاباً شديداً من مختلف الوجوه يكون الحليم فيكم حيران ، عقاباً يشيب فيه الصغير ويهرم فيه الكبير ، عقاباً ينغص العيش ويكرّه الأيّام ويُقلقُ القلب ويضيق الصدر ، فيرسل عليكم (**ضمن قاعدة الأسباب والمسببات**) عذاباً متنوعاً من كلّ الجهات وطويل المدى ويحتوي منغصات متعدّدة ، عذاباً يصاحبكم ويعايشكم بالليل والنّهار ويعاني منه الجميع على السواء ، تجهلون حقيقته فيصبُّ عليكم العذاب صبّاً نفسياً ومادياً ومعنوياً (**مِنْ فَوْقِكُمْ**) من قوة أعلى منكم أو من حاكم قاسٍ عليكم أو بإرسال الصواعق من السماء المحرقة وما تلقيه البراكين من أحجار وحمم وطوفان والأعاصير الإنتقامية ذات الرياح الشديدة العاتية كما فعل بمن قبلكم (**أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**) بالخسف والزلازل والرجفة والمتفجرات والمفخخات ، **عن إبن عباس:** معنى (**مِنْ فَوْقِكُمْ**) أمرائكم (الظلمة)

و(**مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**) عبيدكم وسفلتكم واعتداء القوي على الضعيف وجاء (**عَذَاباً**) على إطلاق معناه ليعطي معنى الشمول والتنوّع ، **وتصوّر** العذاب الغامر من فوق أو النابع من تحت أشد وقعاً في النفس من تصوّره آتياً عن يمين أو شمال ، فيكون عذاباً قاهراً مزلزلاً شاملاً لا مقاومة له ولا ثبات معه (**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**) يخلطكم فرقاً متحزبين على أهواء شتى متطاحنين فينشب القتال بينكم في حرب ليس لها حدود أو يجعل كلّ واحدٍ منكم في حربٍ مع نفسه فتضطرب أحوالكم ولا تستقيم أموركم مدّة حياتكم كقوله ﴿**مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ الروم/٣٢ ، وقيل : يبث فيكم الأهواء المختلفة والمصالح المتناقضة فتصيرون فرقاً متكارهين (**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**) **الفقه** : الفهم مع العبرة والعمل بها ، أي أنظر كيف نبين ونوضّح الآيات ونكشف لهم السنن بوجوه العبر والمواعظ ليتدبروا قوانين الله وسننه ومنهجه اللهم إجعلنا منهم.

**فائدة: ١- (يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) عن النبي (ص)** : (سَأَلْتُ رُبِّيَ أَنْ لاَ يُظِهرَ عَلَى أُمَّتِيْ أَهْلَ دِيْنٍ غَيْرَهُمْ فَأَعْطَاْنِيْ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَهُمْ جُوْعَاً فَأَعْطَاْنِيْ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلاَلَةٍ فَأَعْطَاْنِيْ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُلْبِسَهُمْ شِيَعَاً فَمَنَعَنِيْ)!! نور الثقلين١/٧٢٤ **وعن الإمام الباقر** (ع): (كُلُّ هَذَاْ فِيْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ) كنز الدقائق٣/٢٩٩، عندما ينحرف المسلمون عن منهج الله المستقيم ، تأخذ الأنانية وحب الذات مكان الأخوة الإسلامية ، وتتغلب المصالح الشخصية على المصلحة العامة ، لا

يفكِّر الفرد إلاّ بنفسه وينسى الله والحلال والحرام والفقراء والمساكين ، هؤلاء سوف يواجهون الخسران والحرمان الذي ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر.
**﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** الكهف/١٠٣-١٠٤ ، وأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ عَاْشَ لِذَاْتِهِ ، وَمَنْ عَاْشَ لِذَاْتِهِ عَاْشَ لِلَذَّاْتِهِ، وَأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ عَاْشَ لِلَذَّاْتِهِ **٢-** الآية إشارة لهذه الحروب المتنوعة والكروب المختلفة والعصابات الشريرة التي تكفّر المسلمين، التي أصابت مجتمعاتنا في العصر الحديث مدعومة عسكرياً وإقتصادياً.. إلخ بأنواع الطائرات والصواريخ والمواد المتفجرة والحارقة ، والمدافع المدمرة وأسلحة التدمير الشامل ، الذري والنووي والكيمياوي ، **عن النبي (ص)**: (يُوْشَكُ أَنْ تَتَدَاْعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كَمَاْ تَتَدَاْعَى الأَكَلَةُ إِلَى قُصَعِهَاْ ، فَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَاْلَ (ص) بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاْءٌ كَغُثَاْءِ السَّيْلِ ، وَسَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُوْرِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَاْبَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ فِيْ قُلُوْبِكُمُ الْوَهْنَ ، وَمَاْ الْوَهْنُ ؟ قَاْلَ (ص) حُبُّ الدُّنْيَاْ وَكَرَاْهِيَةُ الْمَوْتِ) المراغي١٥٦/٧ كقوله **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾** الإسراء/٧٢. **٣- (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً) شِيَعاً** : واحدهم شيعة وهم كلُّ قومٍ اجتمعوا على أمرٍ وتبعوا قائدهم **﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾** سبأ/٥٤ ، هذا الإبتلاء الشديد والمتنوع السياسي والإقتصادي والعسكري والإجتماعي الرهيب نتيجة سوء أعمال الناس مما يثير روح النفاق والتفرقة بينهم ، وأما نسبته إلى الله لأنه جعل تلك الأسباب من نتائج تلك الأعمال ! وهكذا حركة التأريخ تصوّر هذه السنة الإلهية الفاعلة إلاّ أن البشرية ما زالت لا تفهمها ولا تدركها جيداً ولا تعتبر بها ! وَالَّذِيْ لاَ يَعْتَبِرُ بِالْمَاْضِيْنَ كَاْنَ عِبْرَةً لِلْبَاْقِيْنَ! كما إن القوانين الدّولية لا تحمي المغفّلين عنها، كذلك سنن الله لا تحمي المغفلين عنها ! **عن الإمام علي (ع)**: (مَنْ ضَاْقَ عَلَيْهِ الْحَقُّ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقْ) **في غرر الحكم**: (مَنْ جَعَلَ مُلْكَهُ خَاْدِماً لِدِيْنِهِ إِنْقَاْدَ لَهُ كُلُّ سُلْطَاْنٍ ، وَمَنْ جَعَلَ دِيْنَهُ خَاْدِماً لِمُلْكِهِ طَمِعَ فِيْهِ كُلُّ إِنْسَاْنٍ) ! **٤-** إن تفرّق المجتمع وتنازعه وكثرة معاناته المتعدّدة ومحنه المتنوعة لا تقلُّ خطورتها عن العذاب السماوي المهلك ! وفي هذا تحذير من الاختلاف **﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** آل عمران/١٠٥.
**عن الإمام علي (ع)**: (إِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ) شرح نهج البلاغة١٠ص٣٣. **٥- (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً)** يكشف القرآن عن سنّة فعالة أصابت الماضين وتصيب الباقين ، كما صارت أوربا شيعاً متعادية وأذاق بعضها بأس بعض ، فحلّ بها من التقتيل والتخريب والحروب والدّمار ، والآن أعادت حضارتها على الفساد الأخلاقي فهي في منحدر أخلاق وستلاقي أجلها **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾** الأعراف/٣٤.

**٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾**

وَكَذَّبَ بهذا القرآن الكريم قَوْمُكَ يا مُحَمَّد وهو الكتاب المنزل بالحق الذي لا رَيْبَ فِيهِ، والْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعُ ، والَّذِيْ لاَ يَلِيْقُ بِهِ الْحَقُّ يَلِيْقُ بِهِ الْبَاْطِلُ ، والَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ ، والَّذِيْ لا تَنْفَعُهُ الْهِدَاْيَةُ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ (**قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**) ولا حفيظاً ولا رقيباً ولا متسلطاً أي لست مسؤولاً عن إدخال الإيمان في قلوبكم قهراً ، بل أنا بشيرٌ ونذيرٌ ومبلّغٌ رسالة الله وبعدها ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ آل عمران/١٢٨ ،كقوله ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ**﴾ الغاشية/٢٢ ، ﴿**وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ الأنعام/١٠٧ ، ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ**﴾ ق/٤٥.

**٦٧ – ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾**

لكلّ أمر عاقبة ونهاية ، وله قدر معيّن ووقت استقرار ووقوع وظهور لا يتقدّم عنه ولا يتأخر ، كالثمرة في الشجرة لها وقت معيّن للنضوج ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ الرعد/٨ ، ولكل خبر من أخبار الله عز وجل وقت يقع فيه من غير خلفٍ ولا تأخير ، ولكل شيء ينبأ عنه ويخبر له ظروف حتى يستقر ويتهيأ للظهور ويتميز حقه من باطله فلا يبقى مجال للاختلاف فيه ، ولكلّ خبر يوم يعرف صدق المخبر من كذبه كقوله ﴿**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾ الرعد/٣٨، (**وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**) مبالغة في الوعيد والتهديد، سوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب ، **عن الإمام علي** (ع) : (لِكُلِّ مَقَاْمٍ مَقَاْلٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ يُعْلَمُ يُقَاْلْ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ يُقَاْلُ جَاْءَ أَوَاْنُهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَاْ جَاْءَ أَوَاْنُهُ جَاْءَ أَهْلُهُ).

**٦٨ – ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**

كان المشركون يجلسون إلى النبي (ص) يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت الآية (**يَخُوضُونَ**) : يعبثون في الحديث ويسترسلون في قول الباطل استهزاءً بالحق. **المعنى** : إذا رأيت المفسدين والضالين أهل الأهواء لا يحترمون لغة الحوار وليس لهم آداب النقاش ، ويخوضون في آيات القرآن وغيره بالطعن والاستهزاء أو التفسير بالرأي ونشر البدع وتحريف الحقائق وإتخاذ دين الله هزواً ولعباً (**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**) لا تجالسهم وقم عنهم حتى يتحدثوا في كلام آخر (**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ**) إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم، فجالستهم ثم تذكرت (**فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) قم إذا ذكرت النهي ولا تقعد مع التافهين الذين لا يفقهون معنى الحياة ولا يدركون لغة الكلام ولا يحترمون أهل الفضل ، فإن الوحدة خير من جليس السوء. والخطاب للنبي (ص) والمراد غيره، **عن الإمام الصادق** (ع) (**إِنّ اللهَ بَعَثَ نَبِيَهُ بِإِيّاْكِ أَعْنِيْ وَإِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة**) البحار٣٨١/٩٢، للمبالغة في الحذر من مجالسة أهل الباطل كقوله ﴿**إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ النساء/١٤٠. **فائدة** : **١–** كلُّ جلسة حوار علمي يحث عليه القرآن لأنه يقرع الحجة بالحجة ﴿**قُلْ**

**هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** البقرة/١١١ ، **(وبالعكس)** كل جلسة حوار عقيمة حديثها حديث الطرشان تشملهم هذه الآية فإنها جلسات تضر ولا تنفع وضياع للوقت وتعمل كراهية في النفوس ، **عن الإمام علي** (ع): (إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ) في نهج البلاغة كتاب٦٩، **وعنه** (ع): (مُجَالَسَةِ الأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالأَخْيَارِ) البحار١٩٧/٧٤.

**وعن الإمام الصادق** (ع): (لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِساً يُعْصَى اللهُ فِيهِ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيْرِهِ) الكافي٣٧٤/٢. **٢- (يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ)** الخطاب للنبي والمقصود غيرهُ لأنّ النّبي (ص) معصوم عن المعصية والخطأ والنسيان والسهو ، وإنّ قوله وفعله وتقريرهُ حجة بالغة **﴿مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** النساء/٨٠ ، وذكر تأثير الشيطان في مسألة النسيان وهو محض افتراض واحتمال كقوله **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** الزمر/٦٥ ، **﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾** الحاقة/٤٤ ، ولا يمكن للشيطان أن ينسي النبي (ص) كقوله **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾** الأعلى/٦ ، فهو دائم الحضور في جميع حالاته وكلّ أوقاته سواء أكان في عمله الرّسالي أو في غيره. **٣- (يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ)** الشيطان لا سلطان له على النبي (ص) بل لا سلطان له على المؤمن الخالص الإيمان كقوله **﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾** النحل/٩٩-١٠٠ ، ونسبة هذا النسيان إلى النبي بوساوس الشيطان إشارة إلى زيادة تقبيح هذه المجالس المشبوهة التي تحت سلطان الشيطان فلا يليق بالمؤمن الحضور فيها فكيف يليق بالنبي (ص) حضورها ؟ لأنَّ حضوره فيها بمثابة موافقة ضمنية على ما هم عليه. **٤-** كيف يواجه المؤمن الواعي التحديات الساخرة من دين الله ؟ وإذا لم يتمكن من مواجهة التحدّي بمثله فعليه الاستنكار والانسحاب من تلك الأجواء الساخرة **وهذا معنى** : ومن لم يستطع الإنكار بيده ولسانه فيستنكر بقلبه ويرفض الواقع المنحل بموقفه المضاد، ولا يستسلم بموقف ضعيف بمجاملة الظالمين ولا يجادلهم بما ليس له به علم **(حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)**.

**٦٩ - ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**

ليس على المؤمنين المتّقين شيء من حساب الكفار على خوضهم واستهزائهم وإضلالهم إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم إن حسابهم على من إليه إيابهم **﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾** الغاشية/٢٥-٢٦ ، **(وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)** ولكن على المؤمنين أن يذكروهم ويحذروهم بالتي هي أحسن عما هم عليه من المنكر بقدر المستطاع ويظهروا لهم الكراهة لعلهم يجتنبون المنكر ويلازمون أهل التقوى كقوله **﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى﴾** الأعلى/٩. **فائدة** : ينبغي للمؤمن أن يمتثل حكم هذه الآية مع أهل الجدل العقيم لأن الوعظ في مجالس أهل الشر تهان

الموعظة وواعضها وكان تركه واجب ، والذي ليس له قدرة على الوعظ فسكوته أولى (قُلْ خَيْراً أَوْ إِصْمِتْ). **في غرر الحكم**: (صَمْتٌ يَكْسُوْكَ الكَرَامَةَ خَيْرٌ مِنْ قَوْلٍ يَكْسِبُكَ النَّدَامَةَ)

**٧٠ - ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾**

الدين منهج الله للإنسان ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ الروم/٣٠ ، لا حياة مطمئنة إلاّ به ، فهو أقدس المقدسات وأشرف نسب وأفضل عقيدة وضرورة لفهم الحياة ، لأن الحياة لغز مبهم لا يحلّه إلاّ دين الله الخالص ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، فالذي يستهزئ بالمقدسات هم أرذل الناس، **المعنى: (وَذَرِ الَّذِينَ)** الخطاب عام فهو موجّه للنبي والمؤمنين ، أي أترك هؤلاء الفجرة الفسقة الذين إتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، فإن دينهم غير دينك ، فدينهم بما يدعوهم إليه هوى أنفسهم لعب ولهو ، أما دينك الحق إيمانٌ وعلمٌ وجد ، والحق أحق أن يتبّع ، وهو الذي تدعو إليه الفطرة يجب أن يتخذ جداً ومنهجاً للإتباع لالعباً وابتداع **(وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)** خدعتهم الحياة الفانية على أنها هي الحياة ولا حياة بعدها فباعوا دينهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم فمن تعلّق بدنياه أضرّ بدينه وآخرته ، **عن الإمام علي (ع)**: (إِنَّ الدُّنْيَاْ وَالآخِرَةَ عَدُوَّاْنِ مُتَفَاْوِتَاْنِ، وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَاْنِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَاْ وَتَوَلاَّهَاْ أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَاْدَاْهَا، وَهُمَاْ بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَاْشٍ بَيْنَهُمَاْ، كُلَّمَاْ قَرُبَ مِنْ وَاْحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وَهُمَاْ بَعْدُ ضَرَّتَاْنِ) البحار٧٣/١٢٩، **(وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ)** **البسل**: الحبس والمنع وحمل النفس على التسليم وخضوعها لأعمالها السيئة ، ومنه معنى شجاع باسل أي يحمي نفسه من العدوّ ويمنعها من شرّه ، أي **(تُبْسَلَ)** ترتهن نفس بأعمالها السيئة وتحرم الثواب وتصطدم بالمصير المشؤوم **(وَذَكِّرْ بِهِ)** وذكِّر بالقرآن الناس وعظهم قبل أن تحيط بهم الذنوب عندما تستسلم لنتائج أعمالها وتكون مرهونة ومحبوسة بسوء عملها للمؤاخذة والحساب والعقاب كقوله ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ** ﴾ المدثر/٣٩-٤٠ ، وتلك النفس **(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ)** كقوله ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ الزمر/٤٤ ، ليس لها ناصر ينجيها من العذاب ولا شفيع يشفع لها عند الله **(وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا)** المراد بالعدل هنا الفداء لأن الفدية تحمي حياة المفدي وتعادل سلامته أي وإن تعط تلك النفس كل فدية لو جاءت بملئ الأرض ذهباً لم يقبل منها.

**(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا)** أُوْلَئِكَ : إشارة إلى الَّذِينَ إتخذوا دينهم لعباً ولهواً أسلموا أنفسهم لعذاب الله بسبب ما صدر منهم من أعمال قبيحة وعقائد شنيعة **(لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)** لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ (حَمِيم) ماء مغلي يتجرعونه في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم

(وعذاب داخلي) ونار تشتعل بأبدانهم (عذاب خارجي) بسبب كفرهم وعنادهم كقوله ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ الكهف/٢٩ ، ويكون الْقَصَاْصُ عَلَى قَدَرِ الجِنَاْيَةِ ، وَالجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ ، **عن النبي** (ص): (مَنْ وَقَّرَ صَاْحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَاْنَ عَلَى هَدْمِ الإِسْلاَمِ) سفينة البحار١/٦٣. **فائدة** : (**اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً**) الذي لايجعل دينه أساس حياته اعتقاداً وقولاً وعملاً وخلقاً وسلوكاً وشريعة وقانوناً إنّما يتّخذ دينه لعباً وهزواً ولهواً ، قال تعالى ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً**﴾ البقرة/٢٣١ ، **عن الإمام الصادق** (ع): (إِيّاكُمْ وَالتَّهاوُنَ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ اللهِ أهانَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ) البحار٧٢/٢٢٧.

**٧١**- ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

إحتجاج على المشركين باستفهام إنكاري للتوبيخ. **المعنى** : قل لهم يا مُحَمَّد أنعبد ما لا ينفعنا إن دعوناه ولا يضرنا إن تركناه ؟ وهذا وصف عام يدخل فيه كلّ من عبد من دون الله (ليس له من الأمر شيء) ؟ كيف نترك عبادة الله النافع الضار ضمن الحكمة والمصلحة ، ذلك أن نرجع على أعقابنا إلى الوراء وهو الارتداد الخزي إلى عبادة ما لا يملك لنفسه نفعاً ولاضراً (**وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا**) نرجع إلى الوراء رجوع القهقرى أي نرجع إلى الباطل بعد الحق إلى الضلالة بعد الهدى (**بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ**) إلى نعمة الإسلام ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ آل عمران/١٩ ، **في نهج البلاغة خطبة ١٩٨**: (**إِنَّ هذا** الإِسْلاَمَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ) ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ آل عمران/٨٥ ، وهكذا الَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الْهِدَاْيَةُ تَلِيْقُ بِهِ الضَّلاَلَةُ (**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ**) ثمّ ضرب مثلاً يصوّر المرتدّ في أقبح حالة ، فيكون مثله لنا كمثل الذي (**اسْتَهْوَتْهُ**) اختطفته الشياطين وأضلته وأغوته بإتّباع الهوى وسارت به في المفاسد والمهالك فألقته في مكان بعيد فبقي (**حَيْرَانَ**) متحيراً تائهاً لا يدري أين يذهب إنّها صورة متحركة من العذاب النفسي.

(**لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا**) لَهُ أَصْحَابٌ مهتدون يرشدونه إلى الطريق المستقيم ينادونه (**ائْتِنَا**) هلّم إلينا ولكنّه من الحيرة والضلال فلا يقبل منهم ولا يستجيب لهم لأنّه غير قادر على إتّخاذ القرار المناسب ولا يدري ما يفعل من شدّة حيرته قل يا مُحَمَّد إن كان الأمر دائراً بين دعوة الله سبحانه وهي التي توافق الفطرة وتسمية الفطرة السليمة هدى الله ، وبين دعوة الشياطين وهي التي فيها الهوى والفساد وإتّخاذ الدّين لعباً ولهواً ، فهدى الله هو الهدى الحقيقي الصحيح المستقيم ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ التغابن/١١، وهناك حالات ناس عرفوا دين الله وذاقوا حلاوته بقدر

معيّن ، ثمّ إرتدّوا عنه إلى عبادة دون الله التي لا حدود لها كقوله ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ الأنعام/١٥٣.

**المعنى العام:** هذا مثال ضربه الله سبحانه لمن ضاق عليه الحق فالضلالة عليه أضيق ، ومن لا يرضى بالله يرضى به الشيطان، ومعناه أن مثل هذا كمثل رجل كان مع قافلة بصحبة أصدقائه تسير على طريق الأمن والسلامة والإيمان فتركها وعاش في حيرة لا يهتدي إلى شيء تجاذبته الأهواء وأنواع الضلالات من هنا وهناك فعاد لا يدري أيستجيب لهؤلاء أم يتبع نداء الحق الذي يطلقه أصحابه وهم يدعونه لمواصلة طريق الاستقامة والتي فيها السلامة والكرامة ولكنه يبقى قلقاً حائراً لم يستجب لحيرته فكانت نهايته الهلاك ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ البقرة/١٢٠ ، إن هدى الله فوق كلّ هداية وهي الهداية الحقيقية المعتدلة التي لا تطرُّف فيها ولا انحراف ولا غلو ولا هوى ولا إفراط ولا تفريط ، لأنها مع الفطرة ، إنّ أية فكرة أو عقيدة أو تشريع أو نظام لا يلتقي مع هدى الله فهو جهالة وضلالة ، وهدى الله هو صراطه المستقيم قلباً ولساناً وعملاً وفي جميع الأحوال كقوله ﴿**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ الأنعام/١٢٥ ، **(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)** وأمرنا بأن نستسلم لمنهج الله الصحيح ونخلص له الدين والعبادة والمعاملة في جميع أمورنا وأحوالنا ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ لقمان/٢٢ ، وهذا معنى الأمر بالإسلام هو مصداق لهدى الله ، والمراد بالإسلام العام التسليم لكافة الأمور لله تعالى ، لا مجرد التشهد بالشهادتين وليس الإسلام بالهوية ، فوحدة الآلهة تقتضي وحدة الدين ، والدين حياة النفس ونظام إلهي متكامل يشمل كل ما يلزم للبشر لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، **في غرر الحكم:** (أدينُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدُ الشَّهْوَةُ دِيْنَهُ). **فائدة** : وإنّ التسليم لمنهج الله تعالى أفضل نعمة يمنّ الله بها على عباده ، فالعوالم كلّها مستسلمة لله ، فلماذا يشذّ الإنسان الضال عن نظام التسليم العام لله تعالى ؟ ولو استسلم الإنسان لله تعالى لاستقام أمره واطمأن قلبه وانشرح صدره وتناسق تكوينه وسلوكه وقوله وفعله وظاهره وباطنه وجسمه وروحه ودنياه وآخرته وأمله وعمله. كقوله (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) الجن/١٤

**٧٢ - ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**

بعد إعلان الاستسلام لرب العالمين في الآية السابقة تجيء المطالب بالاستسلام للتكاليف التعبّدية وتربيته التقويمية والرياضات الروحية ، لتقوم على قاعدة الاستسلام ، فإنها لا تقوم إلاّ إذا رسخت هذه القاعدة ليقوم عليها البناء. لا هداية ولا إسلام صحيح إلاّ بإقامة الصلاة فإنها رمز التّوحيد والتسليم لأمر الله ، وإنّها عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها **بمعنى** : وأن

نؤدي الصلاة أداء كاملاً تتحقق به حكمتها وأثرها في القول والعمل ﴿**أَقِمْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ العنكبوت/٤٥ ، **عن النبي (ص)**: (لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعْ الصَّلاَةَ، وَطَاْعَةُ الصَّلاَةِ أَنْ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاْءِ وَالْمُنْكَرِ) البحار٨٢/١٩٨، والصلاة صلة بين العبد وربه وهي قربان كلّ تقي وتزكي النفوس ، وبمقدار الانفصال عن مشاغل الحياة يكون الإتصال بالله تعالى (**وَاتَّقُوهُ**) ، وقد أمر الله سبحانه بالتقوى بعد الأمر بالصلاة ، لأنه لا صلاة صحيحة ولا إيمان صادق بلا تقوى وجاءت التقوى مطلقة في كلّ الأحوال لصيانة كلّ الأعمال ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ**﴾ الأنفال/٣٤ ، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ**﴾ البقرة/٢٨٢ ، **في نهج البلاغة خطبة١٩١**: (لاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ، وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا) **والتقوى** : كما أتقي النّار خوفاً من إحراقها كذلك أتقي الله بالإمتناع عن مخالفة أوامره ونواهيه سبحانه ، وبمقدار عبادة الله تحصل القربى من الله، وبمقدار العلم ننال شرف العبادة (**وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**) وفيه تمثل الأعمال لصاحبها ويكون الحساب والجزاء عل ضوء أعماله خيرها وشرها ، فليس من العقل أن يعبد غيره ويخاف ويرجى والحشر حقيقة مقدَّرة، و كُلُّ مُقَدَّرٍ كَاْئِنٌ، وَكُلُّ كَاْئِنٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ، وَكُلُّ قَرِيْبٍ كَاْدَ أَنْ يَكُوْنَ ، كقوله ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ النازعات/٤٦.

**٧٣ – ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾**

الله الذي خلق الكائنات جميعاً على أنظمة وقوانين وسنن لا يستقيم الكون إلاّ بها والدّالة على وجود منظّم ومدبّر وخالق لها ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾ الحج/٦٢ ، وقد أتى فعله بالحق لا بالباطل، والفعل إن لم يكن باطلاً فله غاية سامية وهي الرجوع إلى الله تعالى مرة ثانية فيتصل الحق المخلوق بالخالق ، والحق هنا له دلالة عامة منها أن للكون قوانين وسنن يسير عليها بانتظام وفي هذا دليل على وجود خالق مدبر لهذا الكون ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧ ، **عن الإمام علي (ع)**: (بِصُنْعِ اللهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالْعُقُوْلِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، وبِآيَاتِهِ احْتَجَّ عَلى خَلْقِهِ) التوحيد ص٣٥.

ولم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً وهو لا يترك النّاس سدىً من دون هدى ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ آل عمران/١٩١، (**وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ**) حين يقول للشيء كُنْ فَيَكُوْنُ ويوم القيامة يقوم بأمره ، فلا شيء في هذا الكون يعجزه ، لا تعني إصدار أمر لفظي لشيء أن يَكُوْنَ فَيَكُوْنُ بل تعني أنه ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ البروج/١٦ ، إذا شاء خلق شيء ، فإن إرادته تتحقق فوراً بإرادة تكوينية ، وإذا شاء أن يتحقق تدريجياً فإنه يتحقق حسب ما يريد، فإن ما يريده فيه الحكمة والمصلحة بتقطّع نظام الأسباب والمسبّبات (**قَوْلُهُ الْحَقُّ**) الله هو الحق وقوله الحق

وفعله الحق وخلق كلَّ شيء بالحق وإليه يرجع الأمر كلُّه بالحق ولا يقضي إلاّ بالحق ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ الأعراف/٥٥ ، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ**﴾ لقمان/٣٠ ، **(وَلَهُ الْمُلْكُ)** أنه مالك كل شيء ومدبره وكلُّ ملك ينقطع إلاّ ملكه ﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ غافر/١٦ ، حكومة الله قائمة منذ بداية الخلق حتى نهايته وفي يوم القيامة **(وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ)** وله الملك يوم الحشر يوم يبعث من في القبور وينفخ في الصور بكيفية غيبية لا يعلمها البشر ، وتكون حكومته في هذا اليوم الحاسم أوضح من أي وقت سابق، أما الصور ينفخ فيه إسرافيل فتموت الأحياء ثم يعيد النفخ في الصور فيعود جميع الناس من القبور أحياءً مرة ثانية ويبدأ يوم القيامة ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ الزمر/٦٨.

**(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) والغيب** هذا الخفي المستور عن الحواس وهو ما غاب عنكم مما لم تروه كالملائكة والبعث وما يضمره الإنسان في نفسه ، **والشهادة** من الشهود والحضور ما كان شاهداً وظاهراً كالأرض والسماء وما يفعله الإنسان علانية ، أما بالنسبة إلى الله فلا غيب عنده لأنّه يتساوى عنده الغيب والشهادة والسرُّ والعلانية ، وقدّم الغيب لأن العلم به يستلزم العلم بالشهادة **عن الإمام الصادق** (ع) في قوله **(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)** : (الْغَيْبُ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَالشَّهَادَةُ مَا قَدْ كَانَ) معاني الأخبار ص١٤٦، **المعنى** : يعلم الله كل شيء ما خفي وما ظهر وما يغيب عن الحواس والأبعاد وما تشاهدونه بالليل والنهار **(وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** الحكيم في أفعاله الخبير في شؤون عباده، فأولى للعباد أن يستسلموا لحكم الله وشرعه طائعين قبل أن يستسلموا لسلطانه المطلق يوم ينفخ في الصّور مجبرين.

**٧٤ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**

وإذكر يا مُحَمَّد لقومك الذين يدّعون أنهم على ملة إبراهيم ، قصة إبراهيم إذ قال لأبيه آزر منكراً عليه أتتخذ أصناماً آلهة تعبدها دون الله الذي خلقك فسوّاك ورزقك فهو المستحق للعبادة دونها **(إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)** فأنت وقومك في ضلال وابتعاد عن الحق بشكل واضح لا شكّ فيه. **فائدة** : هل آزر أب حقيقي لإبراهيم أم مجازي ؟ ورد في التوراة أن إبراهيم (ع) هو إبن تارخ، تطلق كلمة (الأب) على العم والجدّ من الأم والوالد غالباً وعلى المربّي والمعلم وأطلق على الأب مجازاً ، لأن إبراهيم (ع) دعا لوالديه ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**﴾ إبراهيم/٤١ ،ولا يحق للمسلم أن يدعو للمشرك لقوله ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ**

**مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾** التوبة/١١٣-١١٤ ، وقد واعد إبراهيم آزر أن يستغفر له ﴿**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**﴾ مريم/٤٧ ، بأمل رجوعه عن الشرك فلمّا صمّم على الشرك ترك الاستغفار له ، ويحتمل آزر عمه وليس أباه ، ونسكت عما سكت عنه القرآن ولم يصرّح به. **فائدة: عن النبي (ص)**: (لَمْ أَزَلْ أُنَقَّلُ مِنْ أَصْلاَبِ الطَّاْهِرِيْنَ إِلَى أَرْحَاْمِ الطَّاْهِرَاْتِ حَتَّى أَخْرَجَنِيَ فِيْ عَاْلَمِكُمْ هَذَاْ لَمْ يُدَنِّسْنِيْ بِدَنَسِ الجَاْهِلِيَةِ) مجمع البيان٤/٩٧، وفيه دلالة أن أجداد رسول الله (ص) ووالد إبراهيم من الموحدين. **في غرر الحكم**: (التَوْحِيدُ حَيَاةُ النَفْسِ)

**٧٥ – ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾**

**مَلَكُوتَ** : من الملك العظيم والسلطان القاهر ، بمعنى حكومة الله المطلقة على الوجود كلّه وأنّها مملوكة لله ، والواو والتاء أضيفتا للتوكيد والمبالغة. وكذلك استحق إبراهيم (ع) بصفاء فطرته وشفافية بصيرته وإخلاص نفسه للحق ليكشف الله لبصيرته ويفتح نظره وعقله وقلبه وفكره عن الأسرار الكامنة في الكون والكائنات ، والدلائل الموحية بالهدى في هذا الوجود الذي هو أكبر من ظاهره المشهود ، وتصل بين قلبه وفطرته موحيات الإيمان ودلائل الهدى في هذا الكون العجيب ليرتفع في سلّم التكامل من درجة الإنكار لكل العبادات الزائفة إلى درجة اليقين الواعي بالإله الحق ، ووجد حقيقة الألوهية في الوعي والإدراك مطابقة لما استكن منها في الفطرة والضمير كقوله ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يس/٨٢ ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (أُعْطِيَ بَصَرُهُ مِنَ الْقُوَّةِ مَاْ نَفَذَ السَّمَاْوَاْتِ فَرَأَى مَاْ فِيْهَاْ، وَرَأَى الْعَرْشَ وَمَاْ فَوْقَهُ، وَرَأَى مَاْ فِيْ الأَرْضِ وَمَاْ تَحْتَهَاْ) نور الثقلين١/٧٣٤ (**وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ**) أريناه تلك الآيات الباهرة وليكون من الراسخين في اليقين البالغين مرحلة عين اليقين في معرفة الله تعالى ومعرفة فلسفة الحياة في فهم التوحيد ، **واليقين** : العلم الذي لا يشوبه شك ، لليقين ثلاث مراتب : علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين ، **في نهج البلاغة خطبة١٥٧**: (بِالْيَقِيْنِ تُدْرَكُ الْغِاْيَةُ الْقُصْوَى). **فائدة**: (**مَلَكُوت السَّمَوَاتِ**) يطلق الملك على ما يدرك بالبصر (**والمَلَكُوتَ**) على ما يدرك بالبصيرة ، فالملكوت لا ينكشف لأرباب العقول بل لأصحاب القلوب والبصائر والإيمان ، فإن العقل يُعطى الإدراك الجزئي للحقائق بخلاف الكشف والمكاشفة لا تحصل إلاّ لأهل المجاهدة فإن المكاشفة ثمرة المجاهدة **في غرر الحكم**: (ذَرْوَةُ الْغَاْيَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوُ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ) إنا نري ملكوت السماوات والأرض ليعرف سنّة الله سبحانه في خلقه وحكمه. **عن الإمام الصادق** (ع): (لَو لَا أنْ الشّياطِيْنَ يَحُوْمُونَ حوْلَ قَلْبَ أبَنْ آدمَ لَنْظر إلَى المَلْكُوتَ) نور الثقلين١/٧٣٥

**٧٦ – ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾**

كان قوم إبراهيم (ع) يعبدون الكواكب من دون الله فأراد أن يستدرجهم إلى معرفة الله ويلفت مشاعرهم إلى منطق العقل والفطرة برفق ولين وطبق قواعد الحوار : (إِبْدَأْ مَعَهُ مِنْ حَيْثُ يُحِبُّ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْ حَيْثُ تُحِبُّ !) فإنتظر حتى (**جَنَّ**) أي ستر الليل بظلامه الأرض ، رأى كوكباً مما يعبدون فقال مسايرة لهم ، هذا ربي ومدبّر أمري فاطمأنوا إليه لأنه أنصفهم كقوله ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ سبأ/٢٤ وقوله ﴿**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ آل عمران/٦٤ ، ولما غاب الكوكب تحت الأفق أيقظ عقولهم ولفت نظرهم إلى أن الآلهة لا تتقلب ولا تتغيّر ولا يحجبها شيء ولا ينبغي لعاقل أن يتّخذ إلهه هواه بغير حجةٍ ولا برهان (**فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**) فلما (**أَفَلَ**) أي غاب وغرب هذا الكوكب قال لا أحب ما يغيب ويحتجب بعد أن أتعلّق به وأحبه ، والشيء الذي له شروق وغروب يكون محكوماً بالقوانين لا حاكماً عليها ، فلا ينبغي أن تكون العبادة إلاّ للرب الحاضر القريب الرقيب الذي لا يغيب **من دعاء الإمام الحسين (ع) في يوم عرفة:** (إلَهِيَ كَيْفَ تَخْفى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحاضِرُ) وفي دعاء الافتتاح (الَّذِيْ بَعُدَ فَلاَ يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى) الذي لا يغفل ولا ينسى ، والظاهر في كلّ شيء بآياته والباطن في كلّ شيء بحكمته والله الخالق هو الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأفول ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾ الأنعام/١٠٣.

**٧٧ – ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾**

قال استدراجاً لهم واستهواء لقلوبهم ، فلما رأى القمر (**بَازِغاً**) أي طالعاً مضيئاً وهو اسطع نوراً من الأول وأكبر حجماً قال هذا ربي على الأسلوب المتقدم لفتاً لأنظار قومه إلى فساد ما يعبدونه (**قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**) فلما (**أَفَلَ**) أي غاب القمر قال إبراهيم لئن لم يثبتني ربي على الهدى، لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ الذين اخطأوا الحق ، وطلب من الله الذي ربّاه أن ينقذه من هذه الحيرة ، فإنّه لا هادي ولا معين إلاّ الله تعالى ﴿**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾ يونس/٩ ، **في غرر الحكم:** (بِالْهُدَى يَكْثُرُ الاِسْتِبْصارُ).

**٧٨ – ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾**

هذا مبالغة في مجاراة القوم وتمهيد لإقامة الحجة عليهم واستدراج لهم ، إنّ هذه الشمس (**بَازِغَةً**) : طالعة قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أكبر من الكواكب والقمر حجماً وأعظم ضياءً ونوراً فهي أجدر منهما بالربوبية (**فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**) فَلَمَّا غربت قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ من هذه الكواكب التي جعلتموها شريكة لخالقها ، لقد حاور وناظر وتلطف في القول وقرع الحجة

بالحجة حتى وصل إلى ما أراد ، فكان (ع) ثابتاً على المبادئ مرناً في التعامل مجادلاً بالتي هي أحسن في التجربة الأولى والثانية والثالثة.

**فائدة: ١-** (**بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**) ولم يقل (بريء منكم) نحن نبرأ من العمل السيء ولم نبرأ من صاحبه لعله يستقيم. **٢-** لقد حاور إبراهيم وتلطف في القول فبدأ مع خصمه بالقاعدة الحوارية المروية عن الإمام علي (ع) (أَنْ يَبْدَأَ مَعَهُ مِنْ حَيْثُ يُحِبُّ خَصْمُهُ، وَوَصَلَ إِلَى حَيْثُ يُحِبُّ هُوَ) بأفضل الأساليب ، وهذا يعلمنا قواعد الجدال بالتي هي أحسن كقوله ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ النحل/١٢٥. **٣-** أمّا إذا أصرّ صاحبه على الشرك والضلال وعاند فعلينا نبرأ منه ومن شركه كقوله ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ الممتحنة/٤.

**٧٩ -** ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾

بعد أن فشلت التجارب الثلاث أيقن أن هناك غير تلك الكواكب المخلوقة التي لابدّ لها من خالق وهو الله تعالى وحده فأنا مقبل عليه معرضٌ عمّن سواه ، كقوله ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفا**﴾ النساء/١٢٥ ، ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ لقمان/٢٢، **عن الإمام علي** (ع): (بِصُنْعِ اللهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وَبِالْعُقُوْلِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ ، وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ وَبِآيَاتِهِ إِحْتَجَّ عَلَىٰ خَلْقِهِ) التوحيد ص٣٥ (**حَنِيفاً**) مائلاً عن الأديان الباطلة المنتشرة إلى دين الحق (**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) لقد أعلن التوحيد في ظروف منحرفة يخيّمُ عليها الشرك والجاهلية ، إنها الشجاعة واليقين عندما أقول الحق في مجتمع متخلّف يألف الباطل **في نهج البلاغة خطبة٢٠١**: (لاَ تَسْتَوْحِشُوْاْ فِيْ طَرِيْقِ الْهُدى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ). **فائدة: ١-** (**حَنِيفاً**) الحنيف المستقيم في كلّ الأحوال وعند الأهوال لا ينحرف إلى الفساد المنتشر الضاغط في المجتمع ، فالحنيف ذو شخصية قوية ثابتة مستقيمة صادقة غير منافقة وغير قلقة وغير متذبذبة وغير متقلبة ولا فيها إزدواجية ولا حيرة ، فيما تجلّى للعقل بوضوح من تصوّر مطابق للحقيقة التي في ضمير المؤمن. **٢-** (**وَجَّهْتُ وَجْهِي**) إسلام الوجه لله تعالى يعني توجه القلب إليه وتعلّق الروح به، وعبّر عنه بالوجه لأنّه أعظم مظهر مخلوق مميز في جسم الإنسان ، فهو الذي يعكس عما في النّفس من فرح وحزن وإقبال وإعراض فيكون الوجه الصورة العاكسة عما في داخل النّفس وتُعرف بالسيماء ، وتحتاج إلى علم الفراسة لكشفه كقوله ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ الحجر/٧٥ ، **الْمُتَوَسِّمُونَ** : المتفرسون الذين يعرفون حقيقة الشيء بسمته أي بعلامته وملامحه ، أي ينظرون إلى الأشياء بتعمّق بعيداً عن السطحية ، ويقرءون ما وراء السطور. **٣-** قوله (**فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**) **فَطَرَ** : خلق

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ومن نظّمهما ودبّرهما الإله الذي يستحق العبادة ، إنّها النتيجة الحتمية للنظرة الفاحصة والتفكير الصحيح ، النظرة الواعية التي تنتهي بالعاقل المفكّر إلى اليقين بأنّ الله وحده هو ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ طه/٥٠ ، أُعلن أني وجهت وجهي وقصدي ونيتي ونفسي وتوحيدي وعبادتي لله الذي (**فَطَرَ**) خلق وأوجد السماوات والأرض من العدم (**حَنِيفاً**) مائلاً عن المجتمع الجاهلي ومتوجهاً بكلي إلى الله تعالى وحده مسلماً ومعرضاً عن عبادة غيره. **عن الإمام الصادق** (ع) : (لاَ يَكُوْنُ الْعَبْدُ مُشْرِكَاً حَتَّى يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ يَدْعُوُ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) بحار الأنوار٧٢ص٩٦.

**٨٠ - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾**

**حَاجَّهُ** : جادله ، خاصمه ، جادلوه وناظروه في التوحيد وفي آلهتهم وخوفوه من ترك عبادتها فأجابهم منكراً عليهم (**قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ**) أتجادلونني في وجود الله ووحدانيته (**وَقَدْ هَدَانِ**) وقد بصرني إلى الحق وهداني إليه وعلّمني من الحجة العلمية على نفي ربوبية غيره وإثبات ربوبيته سبحانه ، ونفس هدايتي وحبّي لله وفتح بصيرتي إليه وطمأن قلبي بذكره دليل على أنّه ربٌّ ولا ربَّ غيره لأن الهداية من تدبيره وتقديره ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ البقرة/١٢٠ ، فأنا استذوقت هداية الله لي وعشت مع هذه الهداية ولقد رأيته في ضميري وأحسست به في وعيي ورأيته في بصيرتي ووصلت إلى درجة اليقين والثبات في شخصيتي ، فصارت هداية الله لي هي الدّليل عليه (**أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ؟**) كقوله ﴿**فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ**﴾ يونس/١٠٨، (**وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ**) لا أخاف هذه الآلهة المزعومة التي تعبدونها من دون الله لأنها لا تضر ولا تنفع (**إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً**) إلاّ إذا أراد ربي أن يصيبني شيء من المكروه فإنه يقع كما يشاء ربي لا كما تشاء الآلهة (**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً**) أحاط ربي بكل شيء على إطلاقه علماً مفصلاً (**أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ**) استفهام للتوبيخ، أفلا تتعظون أن ألهتكم لا يخشى منها ؟ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ فتميزون بين الحق والباطل ؟! وهذا تحذير لهم من الْغَفْلَةِ لأنها مِنْ فَسَادِ الْحِسْ (لاَ تَغْفَلُوْا فَلَيْس بِمَغْفُوْلٍ عَنْكُمْ) ، **في غرر الحكم**: (إِنْتِبَاهُ الْعُيُوْنِ لاَ يَنْفَعُ مِعْ غَفْلَةِ الْقُلُوْبِ). **فائدة** : إنّ الفطرة حين تنحرف تضل عن سبيل الله ثم تتمادى في ضلالها وتتسع الزاوية ويبعد الخط عن نقطة الإبتداء، حتى ليصعب عليها أن تهتدي كقوله ﴿**إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا**﴾ الفرقان/٤٢.

**٨١ - ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

إنه ليعجب كيف أخاف آلهتكم التي أشركتموها مع الله في العبادة (**وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً**) برهاناً وحجة ودليلاً ، وأنتم لا تخافون الله القادر على كلِّ شيء الذي أشركتم به بدون حجة ولا برهان إلاّ أنكم إتبعتم الهوى والتقليد الأعمى. وهذا يدل من قال قولاً أو إعتقد مذهباً بغير حجة فهو باطل (**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) فكونوا منصفين **إذن** وقولوا لي : أينا أحق بالأمن وقد عرفنا الله بأدلة علمية فهو المؤهل للعبادة أم أنتم وقد أشركتم مع الله الأصنام التي لا حول لها ولا قوة ، وكفرتم بالله الواحد الأحد وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ إنّكم وحدكم الذين يجب أن تخافوا الله ربي المهيمن القادر العزيز ، إنّه منطق المؤمن الواثق بربّه ودينه والمدرك لحقائق هذا الوجود على أنه أكبر من ظاهره المشهود. **فائدة** : قال (**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ**) ولم يقل (أيّنا أَحَقُّ بِالأَمْنِ) للإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكلّ موحد ومشرك لا خاصة به وبهم.

**٨٢ – ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**

**يَلْبِسُوا** : يخلطوا ويستروا (**بِظُلْمٍ**) **الاعتداء** ، وجاء نكرة للدلالة على عموم معناه ، ولبس الإيمان بالظلم هو خلطه به أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك أو بشك ولا خيانة ولا سرقة ولا كذب.. أي الكبائر التي تحبط الأعمال، أو انحراف عقائدي ولا في العمل ولا في الدّعاء أو اعتداء على النّاس ، فالظلم لا يبطل أصل الإيمان وإنما يغطيه ويستره ويفسده ويزول أثره ، ولا يدعه يؤثر أثره الصحيح ، والظلم هو الخروج عن العدل وهو تجاوز الحدود المعقولة ، **والظلم درجات على رأسها الشرك**، كقوله (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان/١٣ فإذا اعتقد الإنسان أن الله يدبر الكون والكائنات ، وأن حياة الإنسانية تسعد بالإيمان بالله وبطاعته وتشقى بمعصيته فقد تخلّص من ظلم الشرك ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ الزمر/٦٥ ، **عن الإمام الباقر** (ع) : (أَدْنَى الشِّرْكُ أَنْ يَبْتَدِعَ الرَّجُلُ رَأْياً، فَيُحِبَّ عَلَيْهِ وَيَبْغَضَ عَلَيْهِ) بحار الأنوار٢/٣٠٤، (**أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**) أولئك الذين هذه صفاتهم المميزة هم على هداية ودراية واستقامة فلهم الأمن من العذاب والاطمئنان في القلب من كلِّ قلق وأرق ، وكانت أداة لمشيئة الله في واقع الحياة وعنصر لقدر الله وإرادته تعالى، **عن النبي** (ص) : (مَنِ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَمُنِعَ فَصَبَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ (أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)). **فائدة: ١–** الظلم في الآية التعدي على ما لله من حق في التوحيد وفي الطاعة ، يريد الله أن يعلمنا الإيمان الصافي النقي الذي لا ظلم فيه في العقيدة وفي النفس وفي القول والعمل فهذا هو الذي يوحي بالأمن ويدل على الهداية. **٢– وقيل**: الظلم بين الإنسان وربّه كالشرك والكذب والعصيان ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا**﴾ الكهف/٥٦ ، وظلم بينه وبين النّاس كالاعتداء عليهم ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾

المائدة/٨٧ ، وظلم بينه وبين نفسه ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١، **نهج البلاغة حكم١٧٦: (الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ** : فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللّهِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً)، **عن النبي (ص): (للظلم ثلاث علامات** : يَقْهَرُ مَنْ دُوْنَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَمَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيُظَاْهِرُ (يعين) الظَّلَمَةِ) بحار الأنوار٧٧ص٦٤، الآية تعتبر الظلم من أهم الموانع والحجب عن الهداية والاستقامة فإن كلّ مرتبة من الإيمان يحجبها نوع من الظلم المناسب لها ، **في غرر الحكم:** (الظلم أم الرذائل) و(مَنْ ظَلَمَ كُرِهَتْ أَيَّامهُ، وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُ، وَاِضْطَرَبَتْ نَفْسُهُ) ، **في غرر الحكم: (مِنْ أَفْحَشِ الظُّلْمِ:** ظُلْمُ الْكِرَاْمِ) وَظُلْمُ الضَّعِيْفِ، وَظُلْمُ الْمُسْتَسْلِمِ، وَظُلْمُ الأَجِيْرِ (الظُّلْمُ فِيْ الدُّنْيَاْ ظُلُمَاْتٌ فِيْ الآخِرَةِ).

**٨٣ - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾**

**حُجَّتُنَا** : دليلنا ، هذا الذي إحتج به إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب والشمس والقمر من أدلتنا التي ألهمناها إياه لتكون له الحجة الدامغة على قومه ، وكل حجة أو كلمة يحق بها الحق ويبطل بها الباطل فهي حجة الله وكلمته ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ الأنعام/١٤٩ ، ﴿**سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ البقرة/٣٢ ، (**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ**) رفعه بالعلم والفهم والنبوغ والقدرة والقوة والحكمة والتقوى وحسن السيرة.. يرفع الله درجات من يؤتيهم ذلك بدرجات كسبية، ويعطي النبوة والرسالة بدرجات وهبية خاصة ، كما رفعنا إبراهيم (ع) فإن في الإسلام درجات وفي الإيمان درجات وفي العلم درجات.. وهكذا بلغ إبراهيم أرفعها لا في المال والجاه والأنساب ، ويرفع الله بالعلم فوق العباد درجات ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ المجادلة/١١، (**إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**) فلا يضع الله تعالى العلم والحكمة إلاّ في المحل اللائق بهما وهو أعلم بذلك المحل إِنَّ رَبَّكَ (**حَكِيمٌ**) في رفعه وخفضه (**عَلِيمٌ**) بحال من يرفعه أو يخفضه واستعداده له ، ولا يرفع درجات من لا يستحق ذلك. **فائدة:** تدل الآية أن السعادة في الصفات الروحانية والعلمية وفي العالم المعنوي دون المادي والجسدي ، **في غرر الحكم:** (لاَ يَسْعَدُ أُمْرُؤٌ إِلاَّ بِطَاْعَةِ اللهِ سُبْحَاْنَهُ وَلاَ يَشْقَى أُمْرُؤٌ إِلاَّ بِمَعْصِيَةِ اللهِ).

**٨٤ - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾**

واذكر ما منّ الله على إبراهيم الخليل (ع) وأعطيناه من العلم والإيمان والدعوة والصبر ، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة والنسل الطيب وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله وهذه كرامة عالية المضامين ليكون امتداده بذريته (**كُلاًّ هَدَيْنَا**) وقد هَدَيْنَا كلاًّ منهما ، أرشدناه إلى سبيل

السعادة وآتيناه النبوة والحكمة ، وكان هذا مجازاة لإبراهيم حين اعتزل قومه وهاجر من بلادهم لعبادة الله ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ الصافات/٩٩ ، وفيه إرشادٌ إلى انّ الهداية ليست وراثية وإنّما هي منحة ربانية مقدّرة بقدر ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ الأعلى/٣ ، فعوضه الله عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه لتقرّ بهم عينه (**وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ**) وذكر الله نوحاً لأنه أب البشر الثاني فذكر شرف أبناء إبراهيم ثم ذكر شَرَفَ آبائه (**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**) وذكرهما لأنهما جمعا الملك والرئاسة مع النبوة والرسالة (**وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ**) قرنهما لاشتراكهما في الامتحان والبلاء (**وَمُوسَى وَهَارُونَ**) قرنهما لاشتراكهما في الأخوة والنبوة والدعوة (**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) إنه قانون عام وسنّة شاملة لكل محسن في عمله صادق في إيمانه. تلك هي عاقبة الإحسان تمتد آثاره مدى الأجيال كالشجرة الطيبة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها. (راجع فائدة الآية ٨٧) وذكر إسحاق دون إسماعيل لأنّه هو الذي وهبه الله تعالى بآية منه بعد كبر سنّه وعقم إمرأته سارة.

**٨٥ –** ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

وقرن بينهم لأنّهم إمتازوا بالزهد والإعراض عن الدنيا (**كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ**) إنهم صالحون في أنفسهم مصلحون لغيرهم وأهل اللياقة بنعم الله والمتهيئين للكرامة الإلهية. **فائدة** : وذكر عيسى وإنما يتصل نسبه من جهة أمه مريم كذلك ينسب الحسن والحسين من ذرية رسول الله (ص) من جهة فاطمة أمهما لذلك فمن آذاهما فقد آذى رسول الله (ص) لأنهما سبطاه.

**٨٦ –** ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

**وَإِسْمَاعِيلَ** إبن إبراهيم **وَالْيَسَعَ** أحد أنبياء بني إسرائيل **وَيُونُسَ** بن متى **وَلُوط** إبن أخ إبراهيم (**وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**) وَكُلاًّ منهم فضلناه بالنبوة على عوالم زمانهم التي عاشوا فيها والناس الذين عاصروهم وليس تفضيلهم على جميع النّاس وهم نماذج للاقتداء ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾ الأنعام/٩٠ ، (**وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**) : هذا التفضيل على عالم زمانهم لا في كلّ العوالم وإلاّ لكان كلُّ واحدٍ من هؤلاء أفضل من كلّ الأنبياء السابقين عليه واللاحقين له حتى أفضل من أنبياء أولي العزم !

**٨٧ –** ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

**مِنْ** : للتبعيض. وهدينا بعض آباء من ذكرنا من الأنبياء وبعض أولادهم وبعض إخوانهم ، لأن من ذرياتهم وإخوانهم كانوا كافرين ، ولم يكن لعيسى ويحي نسل وذرية (**وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) **اجْتَبَيْنَاهُمْ** : اصطفيناهم ، هديناهم : أرشدناهم ، اجتباء الله للعبد تخصيصه إيّاه بفيض إلهي يتحصّل له منه أنواع من النعم بسهولة بلا سعي من العبد. اخترناهم بتخصيصهم

برعاية إلهية خاصة هدتهم إلى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا نفاق ولا تلّون ولا ازدواج شخصية ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ آل عمران/١٠١. **فائدة** : ذكر الله تعالى في هذه الآية والآيات التي بعدها (١٧) نبياً ورسولاً وأنّه تعالى منَّ عليهم بالحكمة والنبوة ، وعلى بعضهم منّ عليه بتنزيل الكتاب وذلك من أجل أن يحتجّ مُحَّد (ص) على العرب بأنّ جدّهم إبراهيم وكثيراً من أبنائه كانوا موحدين ، والأنبياء المذكورين لم تأت حسب الترتيب الزماني أو الفضل.

٨٨ – ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(**ذَلِكَ**) تقرير لينابيع الهدى إلى الطريق المستقيم هو هدى الله ﴿**إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ البقرة/١٢٠، يهدي به من يريد ويرغب من عباده ، الهداية مائدة مفتوحة للجميع والذي ينالها أصحاب المؤهلات الخاصة وجاءت (**ذَلِكَ**) للإشارة بالبعيد لبيان علوّ هذه الهداية فإنّها حق الهداية بكونها من الله تعالى، فإن الله لا يهدي بطريقة إجبارية قسرية كما لا يضلهم كذلك ، والله يهدي بالأسباب المعلومة التي يختارها الإنسان توصل إلى الهداية ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ التغابن/١١، ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ**﴾ الحج/١٦ ، فتكون الهداية من الله على ضوء استعداد الإنسان ولياقته ومؤهلاته ورضاه ، وبمقدار الإيمان تكون الهداية وبمقدار العلم تكون الدراية وبمقدار الورع تكون الاستقامة ، وليست هداية الله لفرد دون فرد بل الهداية لكل من استمع فوعى واتقى ونقى قلبه وفكره ، وبمقدار الانحراف عن الهداية يكون الضلال (**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ**) لو أشرك هؤلاء الأنبياء مع فضلهم وعلوّ قدرهم لبطل عملهم الصالح فكيف بغيرهم ؟! ، وبمقدار ما يخرجوا عن أصول التوحيد ويشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقي فإن مصيرهم أن يحبط عنهم عملهم ويذهب ضياعاً ، **والمعنى اللغوي للحبوط** : أن ترعى الدابة نبتاً مسموماً فتنتفخ وتموت ، **الحَبِطَ** : البطلان وذهاب العمل سدى أي لو أشركوا بالله في الاعتقاد والعبادة أو التلقي فيحبط عملهم ويذهب ضياعاً ويهلك كما تهلك الدّابة تأكل النبات المسموم فتموت (**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) فهو قانون عام يشمل الخواص والعوام على السواء وفيه غاية الترهيب للعوام والخواص لئلا يأمنوا مكر الله بهذا الحبط ، **بمعنى** لو آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، أو فرقوا بين أحكام الله وشرائعه بالأخذ ببعض الأحكام ورد البعض ، أو تغيير أحكام الله وشرائعه حسب هوى الإنسان (**لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) كقوله ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً**﴾ الفرقان/٢٣ ، لبطل أثر أعمالهم فلا قيمة لها ولا انحدروا في مهابط الضلال ومزالق الأهواء بعيداً عن هدى الله سبحانه ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ، إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى**﴾ الليل/١٩-٢٠ ، **في غرر الحكم** : (مَنْ إِتَّبَعَ هَوَاهُ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ وَأَذَلَّهُ

وَأَضَلَّهُ). **فائدة** : والغرض من هذا الحبط هو أنّ الله يعامل النّاس على حسب أعمالهم لا على حسب مراكزهم وامتيازاتهم وألقابهم وأنسابهم بل بأعمالهم الصالحة.

**في نهج البلاغة حكم٨١**: (قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ).

**٨٩** – ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ (**أُوْلَئِكَ**) الأنبياء السبعة عشر المذكورين سابقاً ، دلالة على علو شأنهم (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ**) كصحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود (**وَالْحُكْمَ**) معرفة القضاء في المنازعات والدعاوي وفصل الخطاب وآتيناهم الحكمة والعقل والإدراك وحسن السيرة ، كما قال في داود وسليمان ﴿**وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً**﴾ الأنبياء/٧٩ ، (**وَالنُّبُوَّةَ**) التحقق بأنباء الغيب بعناية إلهية خاصة وهي الأنباء المتعلقة بما وراء الحس كأهمية الدين في حياة الإنسان لأن الدين الصحيح هو الحياة وتقدم الحياة (**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا**) بالهداية والكتاب والحكم والنبوة (**هَؤُلاءِ**) الكافرون من قوم النبي مُحَمَّد (ص) (**فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**) إنّها ليست حالة مؤقتة بل تكشف عن سنّة **تسمّى بسنّة الاستبدال**: إنّ لله عباداً في كلّ زمان ومكان موكلين بالهداية الإلهية وحاملين رسالة الله والمحافظين على دين الله ﴿**لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧، ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ فاطر/٢٤.

وأيضاً موكلين بالطريقة المستقيمة التي يعتمدها أنبياء الله من الكتاب والحكم والنبوة ، يحفظ الله بهم دينه من الزوال وهدايته من الانقراض ، وهم جند الله يختارهم الله لنصرته وإعلاء كلمته ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ المدثر/٣١ ، ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ الفتح/٤ ، هؤلاء لا سبيل للشرك إلى نفوسهم لاعتصامهم بالله ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ آل عمران/١٠١ ، وتنكير (**قَوْماً**) للدلالة على العموم من دون تشخيص للدلالة على فخامة هؤلاء كقوله ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** ﴾ الجمعة/٣ ، ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ**﴾ النساء/١٣٣ ، ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ مُحَمَّد/٣٨ ، إنهم قوم ميزهم الله تعالى بعلمه بأنهم حفظة دينه الحق فهم الحجة على خلقه ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ النساء/١٦٥ ، وهم المؤمنون الصالحون في كلّ زمان ومكان وهم على درجة كبيرة من التقوى والأمانة ، إنّهم ليسوا مقطوعين من شجرة بل إنّهم ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾ إبراهيم/٢٤-٢٥ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الأَمْرِ مَحْفُوظَةٌ لَهُ أَصْحَابُهُ، لَوْ ذَهَبَ النَّاسُ جَمِيْعَاً أَتَى اللهُ لَهُ بِأَصْحَابِهِ، وَهُمْ الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ فِيْهِمْ (**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**)) تفسير النور٢/٤٦٦.

**٩٠ –** ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾

أمر الله تعالى النبي (ص) أن يقتدي بهؤلاء الأنبياء المذكورين المصطفين الهداة المهديون يقتدي بهداهم وسيرتهم لا يقتدي بشخصهم ، لأن شريعته ناسخة لشرائعهم فهذا الهدى الخالص وحده هو الذي يسير عليه ويحتكم إليه ويدعو إليه ويبشر به لذلك قال (**فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**) ولم يقل (بهم اقْتَدِهِ) ممّا يدلُّ على وحدة الهداية الإلهية لجميع الأنبياء (ع) وهم قدوة للناس جميعاً ، **قيل:** (مَنْ زَانُوْا الْهُدَى بِالرِّجَالِ ظَلَمُوْهُ، وَمَنْ زَانُوْا الرِّجَالَ بِالْهُدَى أَنْصَفُوْهُ!) فاهتدى الرسول مُحَمَّد (ص) بهدى الرسل قبله وجمع كل كمال وجمال وجلال فيهم فاجتمعت لديه فضائل فاقت الجميع ﴿**وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ النساء/١١٣ ، فأصبح حبيب الله وسيد المرسلين وخاتم النبيين وقدوة وأسوة حسنة للعالمين ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**..﴾ الأحزاب/٢١ ، **وهناك فرق بين القدوة والأسوة: القدوة** : إتباع من جهة أو حالة معينة ، **والأسوة** : ولاء ووفاء وانتماء واتباع واقتداء من جميع الجهات وفي كلِّ الأحوال والأشكال في الأقوال والأفعال في كلّ زمان ومكان. (**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**) هذا هو منطق الأنبياء (ع) والمصلحين الإلهيين جميعاً فهم لا يدعون الناس إلى منهج الله لقاء أجر دنيوي ، لأن الدين لم يشرّع إلى التجارة والكسب والثراء وفي ذلك تطييب نفوسهم ويكون ذلك أبعد عن التهمة وأنجح للدعوة وأكثر للتأثير ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ يس/٢١.

﴿**إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ**﴾ يونس/٧٢ ، إنّ نعمة العقيدة وعلوم الهداية مثل نور الشمس ونعمة الهواء والمياه وهي نعم عامة وعالمية لا تباع ولا تشترى ولا أجر يعطى لقاءها، وهذه الرسالة الإسلامية عامة أيضاً ليست مقصورة على بعض دون بعض حتى يطلب الأجر عليها. **وفيه دلالة** : من يطلب من النّاس أجراً على عملٍ رسالي ، فهو يعظ النّاس من أجل الإجور والمال وليس من أجل الله تعالى فهو يستأكل بعلمه ، ويعبد الله على حرف ، أي على طرفٍ من الدّين ، فيكون الدّين عنده سلماً للدّنيا فيخسرهما معاً ، **في غرر الحكم:** (لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دِينِهِمْ لإِصْلاحِ دُنْيَاهُمْ إِلاّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ) لا مانع من أخذ هدية غير محددة وليس أجراً مقابل التبليغ (**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**) ما هذا القرآن إلاّ ذكر وذكرى ، وأعظم نعمة أنعم الله بها على الناس ، ودستور لجميع الخلق في العالم ومنهج عالي المضامين يخلصهم من الضياع ومن حيرة الضلالة ومن ظلمات الجهالة ، لا يختصُّ بالقرآن قومٌ ولا جنسٌ ولا قومية ولا أسود ولا أبيض ، فكان القرآن رسالة عالمية ، والرسول رحمة للعالمين وللإنسانية أجمعين ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ سبأ/٢٨ ، فصار المرسل والرسول والرسالة كلّها عالمية ، والرب المرسل رب للعالمين ، فعلينا أن نعيش آفاق العالمية ووعيها !!

**٩١ - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾**

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَدْيرِهِ ، ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظّموه حق تعظيمه ، بما يليق بجلاله وجماله وكماله وعظيم آياته وعجائب مخلوقاته ، **عن النبي** (ص): (مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفْ، كَانَ مِنَ اللهِ أَخْوَفْ) البحار ٣٩٣/٧٠، **في غرر الحكم**: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعرِفُ رَبَّهُ) ، **(إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)** لماذا مَا قَدَرُوا إيمانهم باللَّهَ حَقَّ تَقَدْيرِهِ وعاشوا النفاق والتناقض مع هذا الإيمان ؟ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل وإنزال الرسالات، لا يتجرّأ على ذلك إلاّ اليهود اللعناء والمشركين مبالغة في إنكار نزول القرآن على محمّد (ص) إذ هذا قدحٌ في حكمة الله وزعموا أن الله تعالى يترك عباده هملاً وسدى ولا يأمرهم ولا ينهاهم ، ونفي لأعظم مِنّة امتنّ الله بها على عباده وهي الرسالة التي لا طريق للعباد إلى نيل سعادتهم إلاّ بها ، فأيُّ قدحٍ أعظم من هذا ؟ **(قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ)** قل يا محمّد لهؤلاء المعاندين من أنزل التوراة على موسى مصدر نور وهداية لبني إسرائيل ؟ **(تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً)** قَرَاطِيسَ جمع قرطاس ما يكتب فيه من جلدٍ وورق. أي علّمهم من الأحكام والشرائع الإلهية تكتبونه على أوراق متفرقة **﴿فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** المائدة/١٤ ، إنكم حرّفتم التوراة وتبدلون كلمات الله بما يتماشى مع مصالحكم ومادياتكم وَتُخْفُونَ كَثِيراً من الأحكام حسب أهوائكم **(وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ)** وَعُلِّمْتُمْ يا معشر اليهود من دين الله وهدايته في هذا القرآن وفي التوراة ما لم تعلموا به من قبل لا أنتم ولا آباؤكم **(قُلْ اللَّهُ)** أنزل هذا القرآن وأنزل التوراة **(ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)** ثمّ إتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ويهزؤون وهذا تهديد لهم كما هو استخفاف بهم وإهانة **﴿حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمْ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾** المعارج/٤٢ ، وَالَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ الْهِدَاْيَةُ تَلِيْقُ بِهِ الْغِوَاْيَةُ وَالضَّلاَلَةُ.

**٩٢ - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾**

هذا القرآن أنزله الله من عنده وتحت رعايته وهو كتاب كريم عظيم القدر **(مُبَارَكٌ)** له صفة البركة لكثرة خيراته ومنافعه وصلاحه في أمور الدّنيا والآخرة فهو يهدي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ولكن لمن أحسن حمله وعلم أسراره واستنطقه فهو (نَاْطِقٌ لِمَنْ اَسْتَنْطَقَهُ، وَحَاْمِلٌ لِمَنْ حَمَلَهُ) فهو كتاب هداية ويخاطب الفطرة البشرية بطريقة فنّية مؤثرة عجيبة ولطيفة المدخل، فهو مبارك بكل معاني البركة ، مبارك في أصله وفي ذاته وفي نزوله وفي حجمه ومحتواه وفي تأثيره في النّاس فهو دائم البركة لأنّه دائم

الهداية ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ ص/٢٩ ، (**مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**) يصدق كتب الله المنزلة قبله كالتوراة والإنجيل قبل تحريفها (**وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**) لتنذر به يا مُحَمّد أهل مكة ومن حولها حتّى إذا صار لها أتباع وأنصار بشّروا بها سائر أهل الأرض ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ الفرقان/١ ، (**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ**) والذين يصدقون بالعالم الآخر وبيوم القيامة يؤمنون بهذا القرآن المبارك لما فيه تبيان لكل شيء وتفصيل كلّ شي وما فرّط الله به من شيء (**وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**) يداومون على الصلوات الخمس الفرائض ويحفظون هيبتها ويبينون روحها ومجالات تربيتها للنفوس وإحياء الضمائر وتحسين السلوك والأخلاق ، ليكونوا على صلة دائمة وثيقة بالله تعالى ، ويحفظون أوقاتها وأركانها وحدودها وشروطها وآدابها ومكملاتها كقوله ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ المؤمنون/٢ ، والصلاة من دون روح أي بدون خشوع تكون مجرّد حركات لا روح فيها ولا تأثير ، وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات، وعمود الدين ومظهر الإيمان، وَتَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾ النساء/١٠٣ ، **عن الإمام علي** (ع) : (الصَّلاةُ مِيزانٌ (دَقِيْقٌ) فَمَنْ وَفّى ، اسْتَوْفَى) البحار ٨٤/٢٦٤

**٩٣** – ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾

لا أحد أظلم وأجرم ممن كذب على الله فجعل له شركاء وانداداً أو نسب إلى الله قولاً أو حكماً بغير ما أنزل الله وهو من أكبر المفاسد كإدّعاء النبوة مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ، أو يقول هذا حلال الله وهذا حرام الله يبتدع ذلك من عنده فهو كذّاب ومفترٍ على الله حتى ولو أصاب الواقع فيكون افتراء الكذب على الله بمعنى اختلاق عليه حكماً لم يقله سبحانه (**أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**) إنّ هذا الأحمق المغرور يدّعي النبوة ونزول الوحي عليه كذباً وافتراءً على الله. (**وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ**) استهزاءً بالقرآن الكريم حيث نسبه إلى الله سبحانه ثم وعد الناس مثله بالإنزال ، استعلاء على الله واستكباراً على آياته ، هؤلاء أظلم الناس لأنهم يحاربون الحق باسم الحق فهم ضالون مضلون (**وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ**) جواب (**لَوْ**) محذوف للتهويل أي ولو ترى يا مُحَمّد هؤلاء الظلمة المفترون وهم في (غَمَرَاتِ) أي سكرات الموت وشدائده لرأيت أمراً عظيماً رهيباً (**وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ**) وملائكة العذاب يضربون وجوههم وأدبارهم لتخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم : خلّصوا أنفسكم من عذاب يوم القيامة (**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**) تجزون العذاب الذي يقع به الهوان والذل والخزي

الأكيد والشديد ، والجزاء من جنس العمل (**بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**) من كذبكم عليه وردكم للحق الذي جاءت به الرسل (**وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**) تترفعون عن الانقياد لها والاستسلام لأحكامها.

**فائدة: ١-** هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه. **٢-** استقلال الروح عن الجسد. **٣-** تعذيب المجرمين يبدأ منذ لحظة قبض أرواحهم.

**٩٤ - ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**

جئتمونا للحساب والجزاء واحداً واحداً منفردين عن الأهل والمال والجاه والولد ، حفاة عراة فما معكم إلاّ ذواتكم مجرّدة ومفردة ، وتلقون ربكم أفراداً لا جماعة كما خلقكم أول مرّةٍ أفراداً ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ الأنبياء/١٠٤، وإن الإنسان يلقى ربه بعد الموت ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ الأعراف/٢٩ ، كما خرج من بطن أمه لا يحمل معه شيئاً، وفرق بين خروجه من أصل الأرض وإعادته إليها ، إنه خرج أول مرة كان غير مسؤول وحين يعاد إليها يكون مسؤولاً عن كلِّ شيء ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ الصافات/٢٤ ، يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِمَّ اِكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟.. وَسَوْفَ يُسْأَلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلْيُعِدَّ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابَاً (**وَتَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**) تركتم ما أعطيناكم من الأموال والأولاد وكل متاع الدنيا ، فلم ينفعكم في هذا اليوم الحاسم والجازم ، وبقيت للورثة لهم النعيم والخيرات ، وعليكم الحساب والتبعات والحسرات (**وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ**) وما نرى معكم الأرباب الذين عبدتموهم من دون الله ليكونوا شفعاءكم عند الله ومن كنتم توالون من أهل الفساد (**لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**) الصلات والشفعاء والأسباب بينكم وبين من تحبّون ، ولم تبق لكم أية صلة بشيء من أشياء الدنيا سوى الإنسان وعمله (**وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**) وضاع وتلاشى ما زعمتموه من الشفعاء والشركاء وخاب أملكم بعد بيان الحقيقة في ذلك دلالة أنّ المعاد سيكون جسمانياً. **عن النبي** (ص) : (تُحْشَرُوْنَ حُفَاْةً عُرَاْةً غُرْلاً (غَيْر مُخْتُوْنِيْنَ) أَوَ لَيْسَ فِيْهِمْ عَيْبٌ كَمَاْ كَاْنُوْاْ فِي الدُّنْيَاْ نَحْوَ الْعَرَجِ وَالْمَرَضِ.. قَاْلَتْ عَاْئِشَةُ وَاسَوْأَتَاْهُ أَيَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ مِنَ الرِّجَاْلِ وَالنِّسَاْءِ ؟ فقال (ص) : ﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ عبس/٣٧) ، وَيَشْغُلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ) نور الثقلين١/٧٤٧، قال (ع) : (جَيِّدُوْاْ (أحْسِنُوا) أَكْفَاْنَ مَوْتَاْكُمْ فَإِنَّهَاْ زِيْنَتُهُمْ) وإنها بدلة الآخرة. **فائدة** : **للإنسان أعداء أربعة** المال والأهل والأولاد والأصدقاء وهي لا تدخل في القبر مع الميّت ويبقى وحيداً فريداً مع عمله ، **وأصدقاء أربعة** : كلمة الشهادة (لاَ إِلهَ إِلاّ اللهُ مُحَمّدٌ رَسُوْلُ اللهِ) والصلاة والصوم يعني (العبادات) والدّعاء وذكر الله وهي تدخل معه في القبر وتؤنسه

فلا يبقى وحيداً ، إنّه المشهد الواقعي الذي سنلاقيه جميعاً وكل إنسان وعمله ، وهذه الحقيقة تهز القلب البشري هزّاً عنيفاً فخَيْرَ الزَّادِ فيه التَّقْوَى ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ البقرة/١٩٧. **في غرر الحكم**: (عَلَيكَ بالتّقى فَإِنهُ خُلُقُ الأَنْبِياءَ)

**٩٥ – ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾**

**فلق** : شق وانفلق الصّبح انشقّ. إنّها الخارقة التي لا يدري سرّها أحد فضلاً عن أن يملك صنعها أحد أو دولاب الحياة والموت مستمران نشأة وحركة. يخبر الله تعالى عن قدرته وسعة رحمته وعنايته بخلقه ، فهو يشق الحبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويشق النوى من الثمر لخروج الشجر منها، وهذا قانون شامل لكل الحبوب التي يباشر الناس زرعها والتي لا يباشرونها كالحبوب التي يبثها الله في البراري ، وفي كلّ لحظة تنفلق حبة ساكنة عن نبتة نامية وتنفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة وهو نظام له منظم ، ويقف الإنسان أمام دقة هذا النظام يدرك الوظيفة والمظهر ويجهل المصدر والجوهر والحياة مستمرّة في طريقها والخارقة تقع في كلّ لحظة ! (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيّتِ**) فهو سبحانه يخرج الحياة من التراب ، ويخرج النبات الطري من الحب اليابس ، ويخرج من الحب والنوى زرعاً وشجراً ، ويخرج من البيضة فرخاً ومن المني حيواناً وإنساناً (**وَمُخْرِجُ الْمَيّتِ مِنْ الْحَيّ**) ولا يقدر إلاّ الله أن يصنع ذلك ، ثم يميت الحبة ويعيدها تراباً ويخرج الخلايا الحية من الميتة ، ويخرج من الأشجار والزروع النوى والحب ، ويخرج من الطائر بيضاً ، يخلق الله الحيوان الحيّ من العلف الذي لا حياة فيه ، ومن الحيوان الحي يخلق اللبن الذي لا حياة فيه ، ومن النواة الميتة يخرج الشجرة الحية ، ومن الشجرة الحيّة يخرج النواة اليابسة الميتة !

**هذا التداخل بين الحياة والموت هو سرٌّ إلهي خالد** ، وتسير الحياة فتتحول إلى موت ظاهري لتمهد لحياة أخرى هي حلقة في سلسلة السير الطبيعي نحو الكمال والجمال والجلال ، ويخرج المؤمن من صلب الكافر والكافر من صلب المؤمن ، لا يقدر إلا الله أن يصنع هذا النظام الدقيق في مبناه والعميق في معناه والبعيد في مغزاه ، هو الذي ربّى جميع العالمين بنعمه وهو الذي يستحق العبادة وحده (**ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) **تُؤْفَكُونَ** : تصرفون وتنحرفون ، ذلكم الخالق المدبِّر والمقدِّر والمنظم (**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) فكيف تصرفون عن الحق وكيف تنحرفون عن منهج الله بعد هذا البيان الواضح للعقول والدليل الساطع للقلوب والعيون. **من دعاء الإمام الحسين (ع) يوم عرفة** : (إِلَهِيْ مَاْذَاْ وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟ وَمَاْ الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟ لَقَدْ خَاْبَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلاً وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً إِلَهِيْ كَيْفَ تَخْفى وَأَنْتَ الظَّاْهِرُ أَمْ كَيْفَ تَغِيْبُ وَأَنْتَ الرَّقِيْبُ الْحَاْضِرُ).

**٩٦ – ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**

وانفلاق الإصباح من الظلام حركة تشبه في شكلها انفلاق الحبة والنواة ، وانبثاق النور في تلك الحركة كانبثاق البرعم الحي في هذه الحركة المبرمجة ، ونلاحظ (**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**) كقوله (**فَالِقُ**

**الإِصْبَاحِ)** إنّه مشهدٌ قرآني حي يحرّك المشاعر. كما أن الله فالق الحبِّ والنوى كذلك هو فالق وشاق ظلمة الليل الداجي الشامل بضياء الصبح ونور النهار الذي يفلق ظلمة الليل بالتدريج المنظم والمقدِّر حتى تذهب ظلمته كلها ويحل محلها الضياء والنور الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم ، لما كان الخلق محتاجين إلى السكون والراحة **(وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً)** مقابل **(وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنْ الْحَيِّ)** في الآية السابقة ، يسكن فيه الناس ويستقرون وينامون ، وهكذا الأنعام إلى مأواها والطيور إلى أوكارها فتأخذ نصيبها من الراحة ، ثم يزول الضياء ويأتي الظلام والحاجة إلى النوم ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ البقرة/٢٨ ، **عن النبي (ص)**: (كَمَاْ تَنَاْمُوْنَ تَمُوْتُوْنَ، وَكَمَاْ تَسْتَيْقِظُوْنَ تُبْعَثُوْنَ) تفسير القرطبي١٥/٢٦٠. **من الجدير ذكره**: إنّ بتداول الليل والنهار والظلمة والنور نستنتج من هذه السنّة الكونية المتحرّكة سنة تأريخية (إنسانية) متحركة لعلاقة أحدهما بالآخر ، إن مع الضعف قوة ، ومع القوة ضعف ، ومع الرخاء شدة ، ومع الشدة رخاء ، ومع العلم جهل ، ومع الجهل علم ، ومع الدّنيا الآخرة ومع الآخرة الدّنيا لأنّ الدّنيا مزرعة الآخرة ، والأمل مع العمل والحياة مع الموت ، ومع العسر يسر ، ومع اليسر عسر﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً** ﴾ الشرح/٥-٦ ، وهكذا **(وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً)** من الحساب والتقدير للأوقات ومعرفة أهمية الزمن والعمر، فقد حسب نظامهما بدقة فصار الليل والنهار والأيّام والأسابيع والشهور والسنين لينتظم معاش البشر وعدّ أعمارهم وبيان مصالحهم **(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ)** الذي لا يقهره قاهر فيفسد عليه شيئاً من تدبيره **(الْعَلِيمِ)** الذي لا يجهل شيئاً من مصالح مملكته.

**فائدة:**

**١-** ومن تقديره تعالى وحكمته أنّه جعل الأرض في مكان تتحرّك فيه تلقائياً وآلياً حركتين : حركة تتمُّ في ٢٤ ساعة وعليها مدار حساب الأيّام، وحركة تتمُّ في سنة وبها توجد الفصول الأربعة ، وعليها مدار حساب السنة. **٢-** ظاهرة طلوع الصبح نعمة كبرى وهي تحدث لوجود الغلاف الجوي الضخم من الهواء الذي يحيط بالأرض ، فلو كانت الأرض مثل القمر عديمة الغلاف الجوي لما كان هناك طلوعان ولا فلق ولا إصباح ولا غسق ولا شفق ولتغيّر النظام العام. إنّه نظام الكون مقدّر فيه بدقّة حساب الحياة ودرجتها ونوعها ونسبتها ، كذلك مقدّر فيه بدقة حساب الموت ودرجته ونوعه ونسبته ، **عن الإمام علي (ع)** : (فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلا لاخْتِلافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ وَلَمْ يَلْجَأوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا وَلاَ تَحْقِيقٍ لِمَا وَعَوْا) البحار٣ص٢٦ ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ المؤمنون/١٤ ، ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧.

**٩٧ -** ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾

ظُلُمَاتِ : متاهات واشتباهات ، **النُّجُوم** : النُّجُوم زينة للناظرين في السماء المرفوعة بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴿**وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ النحل/١٦ ، والنجوم من أهم العلامات التي يهتدي بها الملاح في سفينته والراكب في سيارته والمرتحل على راحلته ، حين تشتبه عليكم المسالك ويتحير في سيره السالك (**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) قد بيّنا الدلائل في الآيات القرآنية على قدرتنا وإتقان صنعنا لقوم يتدبرون حكمة الله ، فإدراك عظمة الله المبثوثة في آيات الآفاق لا ينالها إلاّ من حظي بنصيب من العلم والفهم والإدراك ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ فصلت/٥٣. **ودلت الآية** : على أهمية معرفة علم الفلك ومنظومة الكواكب والإطلاع على عجائب أنظمة السماء وإختلاف مواقع النجوم ومجاريها.. إلخ. **وروي عن أهل البيت** (ع) : (إنَّ النُجُومَ أيَّ الرمُوُزِ والقَادَةِ الإلهِيين والهُدَاةِ إلى مَنْهَجِ اللهِ) ، **في نهج البلاغة خطبة٩٧:** (ألاَ إنَّ مَثَلَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد (ص) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ بَأَيِّهِمُ اِقْتَدَيْتُمْ اِهْتَدَيْتُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوُكُمْ مِنْ هُدَى وَلَنْ يُعِيْدُوُكُمْ فِيْ رَدَى) شرح النهج٧ص٧٦. **فائدة:** الهداية بالنجوم الحقيقة في السماء، وكذلك الهداية بالنجوم المعنوية، التي هي مراكز التأثير، ومنها (الأقمار الأصطناعية) التي ترسم لك خارطة الطريق على كثرتها ودقتها.

**٩٨-** ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾

**أَنشَأَكُمْ** : خلقكم بإبداع وأحسن تربيتكم ، بعد أن أشار إلى آيات الآفاق ذكر آيات الأنفس ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ الذاريات/٢٠-٢١ ، فهي مظهر عظمة الله تتجلى في الخلقة الإنسانية الواحدة إذ تبدأ من منشأ واحد من رب واحد من نفس واحدة **في غرر الحكم:** (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ) و(مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ لَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ) فيتيح له أن يرى الله في كلِّ شيء، **عن الإمام علي** (ع): (مَاْ رَأَيْتُ شَيْئَاً إِلّا وَرَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وَفِيهِ) تفسير النور٣/١٥٥ **المعنى:** أنكم على كثرتكم واختلاف صوركم وألوانكم وملامحكم وأشخاصكم وأجناسكم وأعراقكم وطبائعكم وأذواقكم قد خلقكم الله وأبدعكم من نفس بشرية واحدة موحدة متحدّة لإتحاد الذكر والأنثى ، فمن بعض أنفسكم خلق الله تعالى أزواجكم ، ومن نظام وحدة النفس نحصل على وحدة السكن والمساكنة وحسن المعاشرة ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ الروم/٢١ ، وقدّم السكن النفسي على العمل الجنسي ليبين للإنسان أنه بمقدار معرفة نظام السكن النفسي بين الزوجين يحصل على متعة الحياة الجنسية وحتى يرتقي عن مستوى نكاح الحيوانات ، لذلك عبر عن خلق الإنسان بالإنشاء التي تعني الإيجاد المنظم والإبداع المقنن الهادف مع التربية والرعاية ، وهذا يدل أن قيمة المرأة كقيمة الرجل من ناحية الإنسانية ، فهما خلقا على نظام المساواة من نفس واحدة ، ولكن عندما تختلف

وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل ، فلا بدَّ أن يختلف التركيب النفسي والمادي بينهما ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى**﴾ آل عمران/٣٦ ، ليس اختلاف قيمة وإنّما اختلاف الأدوار اختلاف المسؤوليات مع وحدة الهدف (**راجع التفصيل في كتاب السكن الزوجي المتكافئ في المنظور القرآني الفريد للمؤلف مكي قاسم البغدادي**) ، (**فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ**) **المُسْتَقَرُّ** : الثابت الرّاسخ، **المُسْتَوْدَعُ** : غير المستقر غير الثابت كالوديعة التي يجب أن ترجع إلى صاحبها وهنا بداعة الأسلوب وبلاغة المعنى ودقة العبارة ، المستقر هو النطفة في صلب الرجل ، والمستودع هو النطفة تستودع في رحم المرأة ، ومن هذا النظام الدقيق يحصل التكاثر ، وهذا النظام واسع الدلالة بالغ الدقة يحتاج إلى دقة نظر ومزيد علم فينظر فيها من يعلم ويتدبر ما لا يعلم.

**(قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)**

**الفقه:** النظر في عمق الشيء وباطنه ومعرفة نظامه وأسراره ، فإن هذا النظام الزوجي الدقيق لا يعرفه جهلاء الناس وإنما يعرفه العلماء الباحثون الذين يفقهون الأسرار والدقائق ويعرفون فلسفة الحياة ، والجهلاء يعرفون منه لذة الجنس فقط بينما العلماء يعرفون منه لذة العلم ودقة النظام وبداعة الخلق ، فتكون لذتهم الجنسية من خلال العلم ، وكبر العقل أفضل من لذة الجنس عن طريق إثارة الشهوة ، لأنّ العقل يهذِّب الشهوة ، فَكُلَّمَا كَبُرَ الْعَقْلُ صَغُرَتْ الشَّهْوَةُ (تعففت) ، وكُلَّمَا كَبُرَتْ الشَّهْوَةُ صَغُرَ الْعَقْلُ، **في غرر الحكم:** (إِذَا كَمَلَ العَقْلُ نَقَصَتْ الشَّهْوَةُ). **فائدة: ١-** عبّر هنا بـ (**يَفْقَهُونَ**) إشارة إلى أنّ أطوار الإنسان تتحيّر فيها الألباب ، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر عبّر فيها بـ (**يَعْلَمُونَ**). **٢- عن الإمام الصادق** (ع) (**المعنى المعنوي للتعبيرين:** إنّه قسَّم الإيمان إلى (**مُسْتَقَرٌّ**) ثابت راسخ حتى الموت ، ولا يكون هذا إلاّ في قلب من تتّفق أقواله مع أفعاله أي مع المخلصين ، إيمانٌ (**مُسْتَوْدَعٌ**) متزلزل غير ثابت في قلب من تخالف أقواله أفعاله ، أي مع المؤمنين الناقص إيمانهم) ، **وقيل** : (**مُسْتَقَرٌّ**) روح الإنسان مستقرّة ثابتة و (**مُسْتَوْدَعٌ**) قد إستودعت جسم الإنسان الفاني غير الثابت ليكون للجسم كرامة في الدّنيا.

**بمعنى** : جعل لهم مستقراً أي منتهى ينتهون إليه وغاية يساقون إليها وهي دار القرار التي لا مستقر وراءها وفي الدّنيا يكون الإنسان على وجه الوديعة (مُسْتَوْدَعٌ) التي لا تستقر بل ينتقل منها حتى يوصل إلى دار المستقر ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾ النجم/٤٢ ، هذه الموازنة المتحرّكة الدّائمة لهي تدبير الخالق وتقديره وحكمته (**لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**) أمّا الذين لا يفقهون كقوله ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا**﴾ الأعراف/١٤٦ ، **روي:** إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الدُّنْيَا قَالَ لَهَا (يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِي فَإِخْدِمِيْهِ، وَمَنْ خَدَمَكِ فَإِسْتَخْدِمِيْهِ !) روح البيان٣/٧٣ **وعن النبي (ص):** (أَوْحَى اللهُ إِلى الدُّنْيَا اخْدِمِي مَنْ خَدَمَنِي، واتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ) البحار٧٧ص٥٤

**٩٩ -** ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

ومن قدرة الله تعالى هذا الماء المنزل من السحاب يخرج منه كلّ شيء حي ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ الأنبياء/٣٠ ، وأسند الله سبحانه إليه إنزال الماء والإنبات لأنه مسبب الأسباب ، فكلُّ شيء يبتدأ بقدرته سبحانه وإلى إرادته ينتهي (**فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً**) أخرجنا نباتاً ذا خضرة طرية وهي روح النبات، واللون الأخضر يهدّئ الإنسان وتنشرح له نفسه ، حتى قيل : من أهم النعم الماء والخضراء والوجه الحسن (**نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً**) يخرج من الأغصان سنابل كسنابل القمح والشعير والذرة والأرز وغيرها ، الحَبُّ المتَراكِب كعناقيد العنب وثمر الرّمّان الذي يركب بعض حبوبه بعضاً ﴿**يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ**﴾ الرعد/٤ ، (**وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ**) وأخرجنا من طلع النخل (**قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ**) عناقيد قريبة من التمر سهلة التناول (**وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ**) وأخرجنا من الماء بساتين وحدائق من أعناب متنوعة (**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**) والمشتبه والمتشابه بمعنى التقارب في الكمال والتماثل في الجودة والجمال واللذة ، أي وأخرجنا أيضاً شجر الزيتون وشجر الرمان وذكر هذه الأصناف الثلاثة على سبيل المثال ومنها يعرف نظام الزراعة الواسع ونعمه التي لا حدّ لها ، من هذه النباتات والشجر ما يشبه بعضه بعضاً ومنه ما لا يشبه بعضه بعضاً وقد يتشابه في الشكل والورق ويختلف في الثمر والطعم واللون والرائحة والفائدة (**انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**) **يَنْعِهِ** : نضجه ، أنظروا أيها الناس نظر اعتبار واستبصار ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ النازعات/٢٦ ، إلى خروج هذه الثمار المتنوعة من ابتداء خروجها إلى انتهاء ظهورها ونضجها كيف تنتقل من حال إلى حال في اللون والرائحة والصغر والكبر ، ويكون بعضه مرّاً في بدايته وبعضه مالحاً لا ينتفع بشيء منه ، ثم إذا انتهى ونضج فإنه يعود حلواً طيباً نافعاً مستساغ المذاق ، فسبحان القدير الخلاّق الذي في كلِّ شيء له آية تدلُّ على أنه واحد (**إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) إن في خلق هذه الثمار وأنواع الأشجار مع اختلاف الأجناس والأشكال والألوان والأحجام والطعوم والروائح والفوائد.. لدلائل باهرة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يصدقون بالقوة القادرة والقاهرة التي أخرجت هذه النباتات قادرة أيضاً على أن تحيي الموتى ، وهكذا يسير القرآن بالنفوس ليذيقها طعم الهداية ، **في غرر الحكم:** (مَنْ اِسْتَرْشَدَ عَلِمَ ، وَمَنْ عَلِمَ اِهْتَدَى ، وَمَنْ اِهْتَدَى نَجَا). **فائدة: (مُشْتَبِهاً)** له ما يماثله في الشكل والنّوع (**وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**) له ما يخالفه في الشكل والنّوع.

**١٠٠ -** ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

وَجَعَلُوا الْجِنَّ (الشياطين والأبالسة) شُرَكَاءَ لله حيث أطاعوهم فزيّن لهم الجنُّ عبادة غير الله وتعاملوا معهم (**وَخَلَقَهُمْ**) وانفرد بإيجادهم فكيف يجعلونهم شركاء له ؟ والمخلوق لا يجوز أن يشارك الخالق في مقامه ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ**﴾ النحل/١٧ ، وهذه غاية الجهالة (**وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ**) **وَخَرَقُوا** : أي واختلقوا وافتروا ونسبوا لله تعالى البنين والبنات حيث قالوا : عزير إبن الله والملائكة بنات الله سفهاً وجهالة (**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**) تنزه الله وتقدّس وتعالى عن هذه الصفات المادية علواً كبيراً.

**١٠١ –** ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾

مبدعهما ومنشئهما ومدبر أمرهما بعلمه وقدرته ابتدأهما من لا شيء ولا على مثال سابق فلا يماثله شيء مما خلق بوجه من الوجوه وحقيقة الخالق غير حقيقة المخلوق ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١، (**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**) أي زوجة ، (**أَنَّى**) أي كيف يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وليس له زوجة؟ والولد لا يكون إلاّ من زوجة ، والولادة من صفات الأجسام وخالق الأجسام ليس بجسم (**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) وما من شيء إلاّ خالقه والعالم به ولم يلده ولادة كما زعمتم ، ومن كان كذلك كان غنياً عن كلّ شيء وكان المخلوق يستغني بالله ولا يستغني عنه. نجد القرآن يسير بالنفس إلى الإيمان الفطري فينفي عنها خرافات المشركين.

**١٠٢ –** ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الذي ربّى جميع الخلق بالنّعم وصرف عنهم صنوف النّقم، وقد تفرّد سبحانه بالخلق كتفرّده بالملك والرزق، ينبغي أن تتجه إليه الوجوه فهو خالقكم ومالككم ومدبر أموركم لا معبود بحق سواه (**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ**) هو الخالق لكل مخلوق مهما كان شكله وحجمه ، ومن كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات/٥٦ ، **في غرر الحكم:** (مَنْ قَامَ بِشَرَائِطِ الْعُبُودِيَّةِ أُهِّلَ لِلْعِتْقِ) وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ أُصُولِ الْعُبُوْدِيَّةِ أُعِيْدَ إِلَى الرِّقِ، (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**) **الْوَكِيلُ**: الحافظ والرقيب ، وكالة الله بمعنى متولٍ جميع أمور الكون بعلمه وحكمته وهو الحافظ والمدبر لكل شيء ففوضوا أموركم إليه وتوسلوا إليه وأعبدوه طوعاً لا كرهاً فهو الرقيب عليكم. ولا تشركوا معه أحداً من الأنداد ولا تنسبوا له الصاحبة (الزوجة) والولد فهو غني بذاته عن كلّ شيء والولد إنّما يطلبه المحتاج وهو منزّه عن الحاجة. **فائدة:** وكالته تعالى على الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق فإنّ وكالة الخلق نيابة والوكيل فيها تابع لمملوكه، أمّا وكالة الله تعالى من نفسه لنفسه متضمّنة لكمال العلم وحسن التّدبير والتقدير لمخلوقاته حيث جعل أمرها كيف يشاء بحكمته.

**١٠٣ –** ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾

الله نور السماوات والأرض لعظمته وجلاله وجماله وكماله، **(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)** وتنفي الآية الرؤية مطلقاً لا في الدّنيا ولا في الآخرة ، لطيف لا يُرى إذ لو رُؤي لتحدَّد ولو تحدد لتجسّم ولو تجسّم لكان مركباً ولو كان مركباً لكان مخلوقاً ، فلا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به وهو يراها ويحيط بها لشمول علمه بكل شيء لتعاليه عن الجسمية والمادية **(وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)** اللطيف بعباده الخبير بمصالحهم ونواياهم الظاهرة والباطنة ، من لطف الله سبحانه أنّه يهدي عبده المؤمن إلى مصالح دينه ودنياه ويوصلها إليه بالطّرق التي لا يشعر بها العبد ولا يسعى فيها **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** النساء/١٤٣ ، واللطيف من اسماء الله الحسنى أي يعامل عباده باللطف الظاهر والباطن في رفق ورأفة من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون **عن النبي** (ص): (تَجَلَّى لِخَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُوْنَ يُرَى وَهُوَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلَى) التوحيد ص٤٥، **في نهج البلاغة خطبة١٥٢**: (بَانَ مِنَ الأَشْيَاْءِ بَالْقَهْرِ لَهَاْ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَاْ، وَبَانَتِ الاَشْيَاْءُ مِنْهُ بَالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوْعِ إِلَيْهِ) **وسئل** (ع) : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ فَقَاْلَ (نُوْرٌ أَنَّى أَرَاْهُ ؟) أي هو نورٌ يملأ الوجود تُرى في نور أنواره الموجودات ، أمّا النّور فلا تمسك به عين ولا يحدّه نظر فكيف يُرى هذا النّور ؟ **وعن الإمام الصادق** (ع): (لَمْ تَرَهُ الأَبْصَاْرُ بِمُشَاْهَدَةِ الْعَيَاْنِ ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوْبُ بِحَقَاْئِقِ الإِيْمَاْنِ ، لاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاْسِ وَلاَ يُقَاْسَ بِالنَّاْسِ، معروف بغير تشبيه) البحار٤/٣٣.

**فائدة**: إنّ أبصار البشر وحواسّهم وإدراكهم الذهني خلقت لهم ليزاولوا خلافتهم في الأرض **﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾** هود/٦١ ، أنشأكم لعمران الأرض والنفوس ، وإدراك آثار الوجود الإلهي في الخلق والمخلوقات فهم لم يوهبوا القدرة على إدراك الذات الإلهية بل لم يدركوا الروح التي فيهم **﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** الإسراء/٨٥ ، **في غرر الحكم**: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ) **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** القيامة/٢٢-٢٣ ، أي وُجُوهٌ يَوْمَ القيامة (نَاضِرَةٌ) أي مسرورة مبتهجة **(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** ببصيرة القلب لا ببصر العين (أو) إلى نور ربها نعيم ربها الجميل المدهش في الجنّة التي فِيْهَاْ ، **فَلاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** ناظرة ، فهي من هذه الناحية ناظرة ، ومثله قول موسى **﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾** الأعراف/١٤٣ **(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) الإدراك غير الرؤية** : الإدراك أعمق من الرؤية ، لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء ومعرفة حقيقته والإحاطة به ، **والرؤية** : المعاينة الظاهرية وقد تكون الرؤية بلا إدراك ، فالله تعالى يجوز أن يرى بالبصيرة من غير إدراك أو إحاطة ، فالإنسان عجز عن رؤية روحه فكيف لا يعجز عن رؤية ربّه؟ **سؤال** : لماذا قال **(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)** ولم يقل (لا يدركه شيء) وخصّ الأبصار بعدم إدراكه مع أنّه لا يدركه شيء لأن الأبصار هي رؤية العيون التي ترى ظواهر الأشياء ولا ترى حقائقها ولكنها لا تدرك نفسها أي لا

تدرك سرّها وجوهرها. **في نهج البلاغة خطبة١٨٦(في التوحيد)**: (لَا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقدّرَهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، وَلَا تَدْرُكُهُ الحَوَاسّ فَتَحِسَّهُ، وَلَا تَلْمَسُهُ الأيدَيَّ فُتَمَسَّهُ) **في غرر الحكم**: (التَوْحِيدُ حَيَاةُ النَفْسِ).

**١٠٤ – ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾**

**البَصَائِرُ** : للقلب كالبصر للعين ، **البَصَائِرُ** : الدلائل الباهرة والبينات الواضحة والرؤية العقلانية على وجود الله ووحدانيته، قد جاءتكم الحجج القاطعة التي تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ، والقرآن الكريم كلّه بصائر لأنّ فيه تبيان لكل شيء وتفصيل كلّ شيء وما فرّط الله فيه من شيء ، فهو بصائر نافذة في المشاعر **(فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا)** فمن أبصر الحق وآمن واستقام فلنفسه أبصر وإياها نفع ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَى نفسه عمي وإيّاها ضرَّ بالعمى ، أي فمن بصر فلم يتبصّر وزجر فلم ينزجر وبين له الحق فما إنقاد له فإنّما مضرّة عماه عليه وعبّر عنه بالعمى عنه تقبيحاً له **(وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)** والنبي (ص) ليس على الناس برقيب ولا حافظ ولا وكيل يحفظ أعمالكم ولا موكلاً بكم لأجبركم على الإيمان وإنما هو بشير ونذير، والله سبحانه هو الحفيظ والرقيب.

**﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾** الغاشية/٢١-٢٢ ، وهذا دلالة أن المكلفين مخيرون في أفعالهم غير مجبرين. **فائدة** : **١-** الهداية التشريعية الإلهية التي تضيف إلى بصيرة الإنسان التكوينية بصائر ومنافذ جديدة ضخمة يُعرف من خلالها مسيرة الإيمان والحق والسعادة ، دون أن يُجبر على الإختيار ، هذه البصائر الكثيرة تبين الحق وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار لما اشتملت عليه من مقومات الهداية والرشاد ، إنّ الله تعالى أعطى لكلّ عبد بصيرة لقلبه يبصر بها الحقائق كما أعطى بصراً لقالبه يبصر به الأعيان فمن اعتمد على إدراك بصيرته نفع نفسه ومن عميت بصيرته أي عمي قلبه **﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور﴾** الحج/٤٦ ، فلا يضرُّ إلاّ نفسه. **٢-** كقوله **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾** الجاثية/١٥، **عن النبي (ص)** : (شَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ) البحار٧٧/١٤٤. **٣-** يستفاد من الآية أن العقائد الحقة لابد أن تستند إلى اليقين والبراهين ولا يكتفى بالظن والإتباع الأعمى. **٤- (بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ)** ربّكم الذي ربّاكم وتفضّل عليكم وربّى أرواحكم وأجسادكم وهذَّب نفوسكم لتصل إلى درجات الكمال وهذا من رحمته **﴿كَتَبَ ربكُم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾** الأنعام/٥٤.

**١٠٥ – ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**

**تَصَرِيفُ الآيَاتِ** : **التصريف** نقل الشيء من حال إلى حال أو إبداله بغيره ، أي نوضّح الآيات ونكرّرها على أساليب مختلفة لتتأثر بها النّفوس وتؤمن وتستقيم على كافة مستوياتها في الفهم.

**المعنى:** وكذلك ينوّع الله الآيات الدالة على المعاني الرائعة الكاشفة عن الحقائق الفائقة تصريفاً وتنويعاً بلغ من الروعة مبلغاً ارتقى عن إدراك المخلوقين لإثبات الإيمان في القلوب وتهذيب النفوس وتعليم مكارم الأخلاق **(وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)** اللام للعاقبة كقوله ﴿**إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**﴾ النحل/١٠٣ ، وليقول المشركون **(دَرَسْتَ)** تعلمت وقرأت كتب أهل الكتاب وجئت بهذا القرآن وليس بوحي منزل كما زعمت وقد قالوا هذا كذباً وزوراً **(وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** ولنوضح القرآن لقوم يعلمون أنّه من عند الله الحق وبالحق فيتبعونه ، أمّا أهل الجهالة فهم في ضلالة وعمى كقوله ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً**﴾ الإسراء/٨٢.

**١٠٦ –** ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾

**(اتَّبِعْ)** يا مُحَمَّد القرآن الذي أوحاه الله ربك إليك ولا تشغل قلبك وخاطرك بهم بل اشتغل بعبادة الله واستمر في الدعوة والتبليغ ولا تبالِ بتكذيب المشركين واستهزائهم ، فإذا كان الله يؤكد على النبي بالإتباع وهو المتبع الأول فمعنى ذلك الخطاب (لنا) **عن الإمام الصادق** (ع): (إنّ اللهَ بَعَثَ نَبِيَهَ بإِيَّاْكِ أَعْنِيْ وَإِسْمَعِيْ يَاْ جَاْرَة) البحار٩٢/٣٨١، أي إن لم نتبع فسوف نبتدع ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ فِيْ الدِّيْنِ ضَلاَلَةٌ ، **عن الإمام علي** (ع) : (مَاْ هَدَمَ الدِّيْنَ مِثْلَ الْبِدَعِ) البحار٧٨ص٩٢، **(لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)** لا معبود حقٌّ إلاّ هو سبحانه فلا شريك له **(وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ)** لا تلتفت إلى آرائهم ولا يصدك استكبارهم ولا تجهد نفسك في حملهم على التوحيد فإنما مسؤوليتك البلاغ المبين ولابدّ أن يأتي اليوم الذي يعلو الحق ولا يعلى عليه. **فائدة :١-** تختلف أساليب التعامل مع المناوئين باختلاف الحالات والظروف كقوله ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾ الفرقان/٦٣ ، وكقوله ﴿**فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾ البقرة/١٩٤ ، ثمّ تقع المفاضلة بين قومٍ يبصرون يعلمون، وقوم عمي لا يعلمون.

**١٠٧ –** ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾

بيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم الانحراف واختيار الشرك فأشركوا ، لا يريد الله أن يؤمنوا به مقهورين بل مختارين ، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم بالإجبار فلم يشركوا ولكنّ الله خلق الإنسان مخيّر للهدى والضلال وهو مسؤول عن اختياره ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ الصافات/٢٤، ولا هداية بالإجبار ولا عقيدة بالإكراه ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ**﴾ البقرة/٢٥٦ ولا حساب ولا جزاء بالإجبار **(وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)** وما جعلناك رقيباً مهيمناً على أعمالهم تجازيهم عليها وتدفع الضرّ عنهم ولا موكلاً بإيمانهم **(وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)** الجملة الأولى والثانية متقاربتان في المعنى للتأكيد ، أي ولست بموكل على أرزاقهم وأمورهم الدينية والدنيوية حتى يحزنك ردّهم لدعوتك كقوله ﴿**كُلُّ امْرِئٍ**

**بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ الطور/٢١. لو كنت وكيلاً أو حفيظاً عليهم لما جاز لك الإعراض عنهم وهو توضيح لقوله (**وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ**) في الآية السابقة. **فائدة** : تقرّر الآية حرّية الاعتقاد ، والنّاس مكلفون بالهداية الربانية والرسول (ص) هو الواسطة.

**١٠٨ -** ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾

تأديب إلهي رائع للنفس وتربية نموذجية للمؤمنين ، وهي أن تحرص أن لا ترد الخطأ بالخطأ فتكون مثله. **لا تَسُبُّوا** : لا تشتموا ، كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيجيبهم الكفّار بسب الله تعالى، فنهى الله المؤمنين عن سبِّ ألهة الكافرين حتى لا يسبوا الله رب العالمين اعتداءً وجهلاً (**فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**) فيسبوا الله (**عَدْواً**) : ظلماً وجهلاً واعتداءً (**بِغَيْرِ عِلْمٍ**) لجهلهم وسفاهتهم لعدم معرفتهم بعظمة الله. **وفيه دلالة** : على أن النهي عن المنكر إذا أسيء استخدامه فإنه يضر ولا ينفع فيكون معصية يجب تركها ، فإن كل ما يؤدي إلى السوء فهو سوء وإن كان عنوانه وظاهره خير ، سمع الإمام علي (ع) قوماً يسبون أهل الشام فقال: (إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ) نهج البلاغة حكم٢٠٦، **عن النبي (ص)** : (سُبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) كنز العمال خبر٨٠٩٤، (**كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ**) إنّها سنّة الله تعالى في البشر في أعمالهم وأقوالهم وعاداتهم وأخلاقهم الموروثة والمكتسبة ، إنّ الله تعالى خلق الإنسان على حال يستحسن معها ما يأتيه من أعمال ويجري عليه من عادات حتى ولو كانت قبيحة والناس وما يحبّون وما يبغضون مذاهب شتّى، من يحبّه قومه يبغضه آخرون وبالعكس كقوله:

﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ، ووهب الإنسان عقلاً يميز به الأعمال الحسنة والقبيحة ولو خلقه على حال يستقبح بها جميع أعماله لما عمل شيئاً كقوله : ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ المؤمنون/٥٣ ، ومن هذا يعلم أن التزيين أثر لأعمالهم الاختيارية بدون جبر ولا إكراه، ونسب إلى الله التزيين لأنه مسبب الأسباب ، فالسبب من الإنسان والمسبب هو الله ، فصار التزيين لأعمال الأمم حالة مكتسبة وطبيعية معتادة وعمل مألوف فهم يحبون عملهم ويرونه جميلاً فتكون الطاعة لأهل الإيمان محبّبة لهم ، والمعصية لأهل الشيطان محبّبة لهم حتى صار القبيح جميلاً في نظرهم ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**﴾ فاطر/٨، وقوله ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ محمد/١٤ ، ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ طه/٥٠ ، ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾ الحجرات/٧ ، (**ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) ثم مصيرهم إلى الله

وعودتهم إليه فيجازيهم بأعمالهم على ما يستحقون وهو بهم عليم ، وهناك يعرف كلُّ إنسان حقيقته التي كان عليها من حقٍ أو باطل ولا يستطيع أن يتدارك شيئاً، **في غرر الحكم**: (رَحِمَ اللّهُ إمْرِئً عَرَفَ قَدْرَهُ، وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ). **فائدة: ١-** السب غير اللعن والبراءة ، **السب** : هو الشتم القبيح ، **واللعن**: الإبعاد عن رحمة الله والطّرد منها والسخط في غضب وزجر ﴿**وَمَنْ يَلْعَنْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً**﴾ النساء/٥٢ ، **٢-** (**لا تَسُبُّوا.. فَيَسُبُّوا**) السبُّ وسيلة مبتذلة تعمل كراهية وردود أفعال بغيضة في النفوس.

**١٠٩ -** ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾

حلف كفّار مكة بأغلظ الأيمان وأشدّها (**لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا**) لئن جاءتهم معجزة أو أمر خارق مما اقترحوه بأن يجعل لهم جبل الصفا ذهباً ليؤمنن برسالته وبنبوته (ص) (**قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ**) قل إنما المعاجز عند الله لا عندي هو القادر على الإتيان بها دوني ، فلو كان صلاحكم بها لأنزلها ، وقد تمنّى المؤمنون أن يستجيب الله لطلب الكافرين رغبة في إيمانهم فجاء الجواب (**وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ**) وما يدريكم أيها المؤمنون لعلها إذا جاءتهم لا يصدقون بها عندئذٍ يجب تعذيبهم كما فعلنا بالمكذبين السابقين (أو) أتركهم حتى يتوب تائبهم وهو الأحسن.

**١١٠ -** ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾

تقليب الأفئدة والأبصار : الطبع والختم عليها أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يدركونه وتقلّب أبصارهم بوضوح الحق فلا يبصرونه نتيجة عنادهم وطغيانهم. ثمّ إنّ (**وَنُقَلِّبُ..**) كناية عن علم الله بحقيقتهم وإصرارهم على الضلال حتى ولو جاءتهم ألف آية وآية ، وموقفهم معه (ص) بعد أن يأتيهم بالمعجزات الباهرات كموقفهم من قبل (**وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**) والعمه للقلب والعمى للعين ، **يَعْمَهُونَ** يتخبطون ونتركهم في ضلالهم يتخبطون ويترددون متحيرين وقد أقمنا الحجة عليهم إنَّهم أصحاب هوى وليس طلاَّب هداية ، فرسوخهم في الطغيان الذي هو غاية الكفر والعصيان هو سبب تقليب القلوب والأبصار والختم عليها فلا يفقه القلب (ولا يدرك العقل) ولا تبصرة البصيرة وكأنما لا ترى العين ، وهكذا الذي لا ينفعه الهدى تضره الضلالة ، والذي لا ينفعه اليقين يضرّه الشك ، والذي لا يريد الرحمن يريده الشيطان.**فائدة** : وإنّما أسند الخالق التقلّب إلى نفسه لبيان سننه الحكيمة في ربط المسببات بأسبابها ، أي بسبب طغيانهم صار تقليب القلوب والأبصار والختم عليهما فلا تفقه ولا تبصر الحقائق ، وهكذا الأسباب تؤدي إلى النتائج.

# الجزء الثامن من القرآن الكريم

**١١١ - ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾**

هذا بيان لكذب المشركين في حلفهم الفاجر حين أقسموا **﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾** الأنعام/١٠٩، ولو أننا لم نقتصر على إيتاء ما اقترحوه من آية واحدة من الآيات ، بل آتيناهم الأعاجيب ونزلنا إليهم الملائكة وأحيينا لهم الموتى فكلموهم وأخبروهم بصدق مُحَّد (ص) كما اقترحوا **(وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** وجمعنا لهم كلّ شيء من الخلائق نوعاً نوعاً عياناً ومشاهدة، **والقُبل** : من المقابلة أي جمعنا كلّ صنف أمامهم قبالتهم فشهدوا لهم كلّ شيء بِلِسَاْنُ الْحَاْلِ أَوْ بِلِسَاْنِ الْمَقَاْلِ أي أقمنا لهم القيامة **(مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا)** لم يؤثر شيء من ذلك من إستجابتهم لله والغرض التيئيس من إيمانهم **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)** أن الأمر بمشيئة الله بأن يلجئهم إلى الإيمان بك بالقوة وهذا خلاف الحكمة **﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾** آل عمران/١٥٤، يحسبون أن الإيمان بأيديهم والكفر بإرادتهم ومتى شاءوا كفروا ومتى شاءوا آمنوا، وليس الأمر كذلك ، وإنما لا يؤمن منهم إلاّ من أراد الإيمان فيهديه الله له ويوفقه ، ولا يكفر إلاّ من يريد الكفر فيخذله الله ويضله على ضوء ما يريد ، على ضوء قانون الأسباب والمسببات، والأسباب يصنعها الإنسان والمسببات من الله على ضوء الأسباب تكريماً للإنسان، فيكون الْجَزَاْءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلْ، وإرادة الله وقدره وقضائه محيط بالبشر في كلِّ الأحوال.

**فائدة: ١-** كقوله **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** فصلت/١٧، **عن النبي (ص):** (بُعِثْتُ دَاعِيًا وَمُبَلِّغًا وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنْ الْهُدَى شَيْءٌ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مُزَيِّنًا وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنْ الضَّلَاَلِ شَيْءٌ) كنز العمال خبر٥٤٦، كقوله (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) آل عمران/١٢٨ **٢-** وأكثر المسلمين يجهلون أن إيمان المشركين يتوقف على نزول معجزة فيطمعون في إيمانهم، ولكن الحقيقة أن المؤمن بأي دليل قاطع يتحقق إيمانه، وغير المؤمن لو يأتيه بألف دليل ودليل لا يؤمن ولا يرضى بأي دليل خارق، فيكون معه النّقاش في البديهيات فتقع في أشكل المشكلات كقوله **﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ، لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾** الحجر/١٤-١٥.

**١١٢ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**

**شَيَاطِينَ** : معنى واسع يشمل أشرار وفسقة الإنس والجن ، أي وكذلك قضت مشيئة الخالق جلّ وعلا وسنّته أن جعل لك أعداء وجعل لكلّ نبي أعداء **(شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ)** مجتمعين على غاية

خسيسة ماكرة واحدة ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ الطور/٤٨ ، وجعل كلّ من يغري الناس بالباطل ويزوقه على أنه حق فهو من شياطين الإنس المتعاون مع شياطين الجن ويستجيب لوساوسهم، فهم يخططون لكل عداوة وبغضاء ، وشياطين الإنس ينفذون ، وهكذا يقف هؤلاء في وجه الدعاة إلى الهداية ويعملون على محاربتها في طرح الشائعات والشبهات لإضلال الناس ووضع العثرات والعراقيل في مسيرة الأنبياء الإصلاحية ، وإذا تأمل المؤمن هذه الحقيقة لم يعد يخشى من هذه الأساليب الملتوية ويعمل على إحباطها وهذا ما يعبّر عنه بسنّة تنازع البقاء بين الحق والباطل التي تدعو إلى الوعي والتنافس والجهاد ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ القصص/٨٣ ، وهكذا ينتصر الحق بقوة إرادته على الباطل ، وبذلك تنتشر الهداية من حيث انتشر الضلال ، وهكذا يكون لكل نمرود إبراهيم ولكلّ فرعون موسى ولكلّ معاوية علي ولكلّ يزيد حسين ﴿**لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد/٧، ﴿**وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ محمّد/٤ ، وهكذا ابتليناك يا محمّد بالأعداء كما ابتلينا من قبلك من الأنبياء لنكشف عن سنة حقيقية تقول: فِيْ الْمِحَنِ مِنَحٌ مِنَ اللهِ، وَفِيْ الْمَكَارِهِ مِكَارِمٌ، وَفِيْ الْمَشَقَّاتِ خِبْرَاتٌ، وَفِيْ الْمُعَانَاةِ هِبَاةٌ، وَفِيْ الْبَلاَيَاْ بِدَاْيَاْتٌ نِهَاْيَاْتُهَاْ الْكَرَاْمَاْتُ.

**عن الإمام الصادق** (ع): (إِنَّ بَلاَيَاْهُ مَحْشُوَّةٌ بِكَرَاْمَاْتِهِ الأَبَدِيَةُ، وَمِحَنُهُ مَوْرُثَةُ رِضَاْهُ وَقُرْبُهُ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ) البحار٧٨/ ٢٠٠، (**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**) **يُوحِي**: يوسوس ، والوحي هو الإعلام الخفي الخادع إذا كان من الشيطان ، والإعلام الخفي الهادي إذا كان من الرحمن ، يوسوس بعض الشياطين من الإنس والجن لبعضهم في وضع الخطط الجهنمية ويتبادلون بينهم سراً لئلا يعرف الناس شيئاً عن أعمالهم حتى ينفذوا خططهم كاملة في ضلال الناس وفسادهم ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ الأعراف/٢٧ .

(**زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**) **غُرُوراً**: خداعاً، يوسوسون بالكلام المزخرف المزين المعسول الخادع الذي ظاهره يغر ويسر وباطنه يضر كقوله ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ الزخرف/٣٧ ، قال مقاتل : وكّلَ إبليس بالإنس شياطين يُضلونهم فإذا إلتقى شياطين الإنس بشياطين الجن قال أحدهما لصاحبه إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا فذلك (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**) ولو شاء الله ما عادى هؤلاء أنبياءهم ولكن حكمة الله وسنّته وفلسفته اقتضت هذا البلاء كقوله ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾ آل عمران/١٧٩ ، (**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) إتركهم وما يدبرونه من المكائد فإن الله كافيك وناصرك عليهم ، ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ الرعد/٤٠. **فائدة:**

**١-** (**شياطين الجن**) فهو من غيب الله ونؤمن به لأنّ القرآن أثبته والعقل لا ينفيه ، **٢-** كما أنّ هناك صراعاً بين الحقّ والباطل (كذلك) هناك صراع الإرادات وحوار الحضارات. **٣-** المشهد

القرآني الحركي الذي يرسم طبيعة المعركة الطويلة بين الحق والباطل في خطّة مقرّرة ومدبّرة، من شياطين الإنس والجن تبين هذا المكر الخطير على ضخامته وتجمع القوى الشر العالمية عليه ، يبدو أن الحق مقيّد ومغلول الحركة ، ومقابل ذلك وعي المؤمنين ليعرفوا طبيعة الخطّة الماكرة ومشهد إحاطة مشيئة الله ، فليمضوا في طريقهم يبنون الحق في واقع الخلق بعد بنائه في نفوسهم وقلوبهم ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٢

**١١٣ - ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾**

(**وَلِتَصْغَى**): ولتميل وتسمع إلى هذا القول المزخرف (الباطل السابق من الشيطان) قلوب الكفرة الذين لا يصدقون بالعالم الآخر ، فالشيطان يدخل إلى نفوسهم بسبب عدم إيمانهم بالآخرة (**وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**) وليرضوا بهذا الباطل الذي ظاهره يغر وباطنه يضر بلا بحث ولا تحقيق (**وَلِيَقْتَرِفُوا**) وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام ولا يضرّون إلاّ أنفسهم ، **في غرر الحكم**: (مُجَاْهَرَةُ اللهِ سُبْحَاْنَهُ بِالْمَعَاْصِيْ تُعَجِّلُ النِّقَمْ) ، أمّا الذين ينظرون إلى عواقب الأمور فيعلمون بطلانها فلا تغرّهم تلك الزخارف وهم الذين يؤمنون بالآخرة ويعملون عليها. كقوله (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) الطلاق/١

**١١٤ - ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**

الإستفهام إنكاري ، أَفَغَيْرَ اللهِ أطلب (**حَكَماً**) أي قاضياً بيني وبينكم والحكم أبلغ من الحاكم ، والله هو من يستحق التحاكم إليه فهو لا يقضي إلاّ بالحق كقوله ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ المائدة/٥٠ ، (**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَاب مُفصَّلاً**) (**مُفَصَّلاً**) : موضحاً الحق والباطل والحلال والحرام ، والقرآن كافٍ في أمر الدّين مغنٍ عن غيره ببيانه وتفصيله للأشياء ، وهو الذي أنزل إليكم القرآن موضحاً الهدى من الضلال والحق من الباطل وفيه تبيان لكل شيء ، وتفصيل كلّ شيء وما فرّط الله فيه من شيء ، والذي فيه كلُّ إحتياجات الإنسان التربوية ولا برهان أجلى من برهانه فما أعظمه من كتاب إلهي كقوله ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ غافر/٢٠ ، **عن النبي (ص)**: (مَنْ أَعْطَاْهُ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُعْطِيَ شَيْئَاً أَفْضَلَ مِمَّاْ أُعْطِيْ، فَقَدْ صَغَّرَ عَظِيْمَاً وَعَظَّمَ صَغِيْرَاً !) البحار٩٢ص١٣، (**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقّ**) وهم علماء اليهود والنصارى يعلمون حق العلم أن القرآن حق وينطق بالحق ونزل بالحق ويدعو للحق لتصديقه ما عندهم (**فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**) **الْمُمْتَرِينَ** : الشاكّين ، وماشكّ ولا إفترى الرسول (ص) والإفتراء الجدل العقيم ، لا تشكنّ يا مُحَمَّد أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن حق وأنك محق في رسالتك ،

والخطاب هنا للنبي ومعناه للأمة أي لكل من يتأتى منه الافتراء والشك والجدل العقيم القائم على الجهل والهوى ، ولكن هذا توجيه وأمثاله للنبي (ص) يدلُّ على ضخامة ما كان يلقاه من الكيد والتكذيب والعناد والاستهزاء وما كان يعانيه منهم وكيف يشك النبي (ص) وهو يرى ملكوت السماوات عياناً وهو القائل (وَاللهِ لَوْ وَضَعُوْا الشَّمْسَ فِيْ يَمِيْنِي وَالْقَمَرَ فِيْ يَسَارِيْ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ أَوْ أَهْلِكَ دُوْنَهُ) ونهي النبي عن الشك وكقوله ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ الزمر/٦٥ ، التأكيد عليه من باب التحذير منه ﴿**وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ**﴾ يوسف/٣ ، كان النبي (ص) قبل القرآن غافلاً عن سبيل تغيير المجتمع لجهله بها ، وكان النبي مُحَّد (ص) يقول للنّاس أنا بشرٌ مثلكم أحاسب وأعاقب كأي إنسان يشك أو يكذِّب بآيات الله إذا أنا شككت وكذّبت ، وهذا الأسلوب من أبلغ الأساليب وأنجحها في الدّعوة إلى الحق الذي تتساوى فيه جميع الناس كقوله ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ سبأ/٢٤ ، ﴿**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ آل عمران/٦٤ ، ﴿**وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ المائدة/٤٨، والنبي محال أن يتّبع هوى مخلوق ولا يقول إلاّ الحق ولا يتساهل فيه ، كيف وأقواله وأفعاله سنّة تتبع وميزان يقاس به الحق والعدل ، ولو إفترض أن مخادعاً حاول أن يخدع الرسول (ص) فالله يسدّده ﴿**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً**﴾ الإسراء/٧٤.

**١١٥ - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**

وتمت كلمة الله واستوفت كلمة ربك بالإسلام وكلامه البليغ في القرآن على وجه لا يمكن فيه الزيادة والنقصان، (**وَتَمَّتْ**) بمعنى استوفت غاية الكمال والتمام (**صِدْقاً**) مطلقاً في جميع أقواله ، وفي أخباره ومواعيده ، صدقاً لا يشوبه كذب ولا يأتيه باطل أبداً (**وَعَدْلاً**) مطلقاً في جميع أفعاله وفيما قضى وقدّر ، وما فيه من الأمر والنهي والحرمة والإباحة والحكم مبني على العدل ، **عن الإمام علي** (ع) : (العَدْلُ أَسَاسٌ بِهِ قَوَامُ الْعَالَمْ) البحار٧٨ص٨٣، فهو جُنة واقية وجَنة باقية (**لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**) لا مغيّر لحكمه ولا راد لقضائه ولا يخلف الميعاد بعدما كانت تسير دهراً طويلاً في مدارج التدريج ، نبوة بعد نبوة وشريعة بعد شريعة لأنّه لا مبدّل لكلمات الله ، فإذا بنيت كلمات الله وحكمه على الحق كله وتمت على العدل المطلق الذي لا يخالطه ظلم ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٧ ، وهي إذ استوفت الحق كله واستولت على العدل جميعه فلن يلحقها تبديل ولا تعديل ولا تحويل ، ولا يصيبها عارض من عوارض التحريف ، وإذا كانت آيات الله على هذا التمام والكمال فهي إذاً قائمة بسلطانها على الحياة بكل تطوراتها لا تنقضها المعارف الحديثة والعلوم المعاصرة ولا تخالفها الكشوفات العلمية التي تقع باستمرار (**لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**) كلمات الله القرآن لا تبديل ولا تغيير يحدث في القرآن فهو محفوظ بحفظ الله حتى نهاية

العالم (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) (**السَّمِيعُ**) الذي يسمع كلّ ما يقول المتقولون على كلمات الله في جميع الأحوال في السر والعلانية ، (**الْعَلِيمُ**) ويعلم ما يخفون وما يعلنون. **فائدة** : (**كَلِمَةُ رَبِّكَ**) تطلق الكلمة على الجملة ووحدة الموضوع ويقال كتب أحدٌ كلمة أو قال كلمة أي خطب خطبة وألقى محاضرة ، قالوا كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة كقوله ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ**﴾ الصافات/١٧١-١٧٢ ، وجميع الموجودات هي كلمات الله لأنها مظاهر قدرته ، وإطلاق على عيسى (ع) ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ**﴾ النساء/١٧١ ، **كَلِمَتُنَا** : وعدنا ، **تَمَّتْ** : استوفت ، فهي كافية وافية وصلت إلى حد لا يحتاج معها إلى شيء خارج عنها ، فهي وافية في الإعجاز وفي غاية التمام من الصدق والعدل كقوله ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا**﴾ الأعراف/.١٣٧

**١١٦ - ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾**

إنّ أكثر الناس تغلب عليهم أهواؤهم ، وتستولي عليهم نزعات الشر والضلال ، وإن أصحاب الهدى والتقوى والوعي والاستقامة ، هم قلة وإنهم لو إتبعوا الكثرة لكثرتها لضلوا مع الضالين ، وهكذا الخير قليل في أهله كثير في مضمونه، وإن الشر كثير في أهله قليل في محتواه ، وكذلك كلُّ نفيس هو قليل الكمية كثير الكيفية ، وكلُّ خبيث وتافه هو كثير الكمية قليل القدر ﴿**قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**﴾ المائدة/١٠٠ (**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**) فهذه الكثرة من الضالين لماذا ؟ لأنّهم لا يتّبعون المنطق الدقيق والتفكير السليم المستقيم، ولا يقوم ضلالهم إلاّ على أوهام وتوافه الأفكار ويستند على الأهواء والظنون والنزوات ﴿**وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ النجم/٢٨ ، (**يَخْرُصُونَ**) يكذبون يخّمنون ، وهم يكذبون على أنفسهم بخداع أنفسهم ، **يَخْرُصُونَ** : وهو الحكم على الشيء بلا علم والأخذ به بلا برهان وهو ضرب من المقامرة وهو منهي عنه في الإسلام ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ**﴾ الذاريات/١٠-١١.

**فائدة: ١-** لو لم يكن في القرآن إلاّ هذه الآية لكفى بها دليلاً على فضل الإسلام حيث رفعت العلم والوعي ووضعت الجهل والإتّباع الأعمى ، وجعلت أهل العلم والاستقامة فوق كلمة أهل الأرض الضالين (**وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**) ، **٢- في الآية دلالة** : على أنه لا عِبرة في معرفة دين الله بالقلة والكثرة لجواز أن يكون الحق مع الأقل ، وإنما الاعتبار فيه بالحجة والبرهان ، **٣-** والقرآن الكريم يذم الكثرة العامة فقال ﴿**أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾ البقرة/٢٤٣ ، لا يعلمون ولا يؤمنون.. وهذا يبطل نظام الديمقراطية الحديثة التي تعتمد على الكثرة وغلبة الأصوات ، ويعتمد على الكمية دون الكيفية والنوعية ، وتبقى الجاهلية هي الجاهلية مهما كثر أتباعها الضالون ، ومهما تحسّن

الشكل وخبث المضمون ، قيل : (مَنْ زَانُوْا الْحَقَّ بِالْكَثْرَةِ ظَلَمُوْهُ وَمَنْ زَانُوْا الكَثْرَةَ بِالْحَقِّ أَنْصَفُوْهُ !) إذن الكثرة النوعية أفضل من الكثرة الكمية ، وإنما الحق والباطل لا يعرفان بالكثرة والقلة وإنما **كما ورد الإمام علي** (ع) : (إِعْرِفْ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ ، وَإِعْرِفْ الْبَاْطِلَ تَعْرِفْ أَهْلَهُ) أمالي المفيد ص٣، **في نهج البلاغة خطبة٢٠١:** (لاَ تَسْتَوْحِشُوْا فِيْ طَرِيْقِ الْهُدَىْ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاْسَ قَدْ إِجْتَمَعُوْا عَلَى مَاْئِدَةٍ شَبَعُهَاْ قَصِيْرٌ وَجُوْعُهَاْ طَوِيْلٌ).

**١١٧ – ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**

إن ربك الذي ربّاك يا مُحَمَّد أعلم بحقيقة العباد أعلم بالفريقين بمن ضلّ عن سبيل الرشاد وبمن اهتدى إلى طريق الهدى والسداد ، وهو المهيمن على المسيرة البشرية وهي حقيقة تمنح مسيرة الحق قوة وثباتاً، كما تجعل الضعف والوهن في مسيرة الضالين **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ﴾** يونس/٣٢ ، **فائدة** : **١–** في الآية دلالة على أن الضلال والإضلال من فعل العبد وباختياره ويحاسب عليه ، **سؤال** : لماذا أهل الهدى متأخرون بعكس أهل الضلال ؟ لأنهم ضعفاء جهلاء معقّدون متخاذلون متفرقون لم يكن بعضهم أولياء بعض ، ولم يحققوا من الهدى إلاّ اسمه ، **في غرر الحكم:** (كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ الْهُدَىْ مَنْ يَغْلِبُهُ الْهَوَىْ)؟ **٢–** لابدّ من قاعدة لتقرير ما هو الحق وما هو الباطل، والله وحده هو الحق وهو الذي وضع هذا الميزان الدقيق في المهتدي والضال في الحق والباطل وليس المجتمع وليس القانون الوضعي كقوله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾** الحج/٦٢.

**١١٨ – ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾**

وجوب ذكر اسم الله على الذبيحة المحللة حتى يحل أكلها بالتذكية (الذبح الشرعي الإسلامي) **(إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)** بمنهج الله فعليكم الالتزام بما أحلّه الله واجتناب ما حرّمه **﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾** الأنعام/١٢١ ، فهو غير مذكى فيكون ميتة وهي مُحرَّمة **﴿وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ﴾** الأعراف/١٥٧ ، **في غرر الحكم:** (مَاْ نَهَى اللهُ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَأَغْنَى عَنْهُ) ، **وفيه أيضاً:** (مِنْ أَحْسَنِ الْمَكَاْرِمِ اِجْتِنَاْبُ الْمَحَاْرِمْ) ، **عن النبي (ص)** : (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الْجَنَّةَ جَسَدَاً غُذِّيَ بِالْحَرَاْمِ) تنبيه الخواطر ص٤٩، **وعنه (ص):** (مَنْ أَكَلَ لُقْمَةً مِنْ حَرَاْمٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً) كنز العمال خبر٩٢٦٦، **فائدة: ١–** هذه الأحكام تؤكد الشخصية المستقلة للأمة الإسلامية ، وتربط سلوكها بعقيدة التوحيد ، وتبعدها عن خرافات المشركين وتذكرها بالنعم الإلهية الوفيرة لتقوم بشكرها، **٢– عن الإمام الصادق** (ع) : (مختصر) (يَجُوْزُ أَكْلُ الذَّبِيْحَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةُ وَالْغُلاَمُ الْمُسْتَوْفِيْنَ لِشُرُوْطِ الذَّبْحِ الإِسْلاَمِيْ) مواهب الرحمن١٤/٣٤٢، **٣– أسباب النزول** : قال المشركون للمؤمنين إنّكم تزعمون أنّكم تعبدون الله فما قتله الله (يريدون الميتة) أحقُّ أن تأكلوه مما قتلتم أنتم فنزلت الآية ، وهكذا يلبسون الحق بالباطل لأنَّ الله سبحانه هو الذي حدّد أجل هذه

وتلك. **٤-** السبب في حرمة أكل الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها إنّها حرمة صحّية أو معنوية أخلاقية وروحية ليكون من المؤمنين الصالحين الذاكرين ولا يكون من الغافلين (**فلا تغفلوا عما لم يغفل عنكم**) ، **في غرر الحكم**: (فِيْ الذِّكْرِ حَيَاْةُ الْقُلُوْبِ) وعدم ذكر الله قسوتها. وأيضاً ظاهر الآية يُشعر بأن الإيمان شرط لحلّية الأكل من هذه الذبيحة ، أي الأكل الحرام (من اللحوم التي لم يذكر اسم الله عليها) تعمل موانع الإيمان وتصنع تخلخل في الاعتقاد واضطراب في الفكر والسلوك ، ومن ثمّ تمنع الاستقامة على منهج الله كما **قال الإمام الحسين** (ع) لأعدائه في يوم عاشوراء: (قَدْ مُلِئَتْ بُطُوْنُكُمْ مِنَ الْحَرَاْمِ) بحار الأنوار٤٥ص٨.

**١١٩** - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾

استفهام تعجبي للإنكار أي وما المانع لكم من أكل ما ذبحتموه بأيديكم أو ما هو مذبوح على شروط التذكية الشرعية وهي قطع الأوداج الأربعة وتكون الجوزة في الرأس والتوجه للقبلة وحد السكين وذكر اسم الله عليه عند ذبحه فتقول (بِسْمِ اللهِ وِاللهُ أَكْبَرُ) (**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**) وقد بيّن لكم ربكم الحلال والحرام ووضّح لكم ما يحرم عليكم من ﴿**الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..**﴾ المائدة/٣ ، (**إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**) فالاستثناء عند الاضطرار، والاضطرار يقدّر بقدره (الضَّرُوْرَاْتُ تُبِيْحُ الْمَحْضُوْرَاْتُ) كقوله ﴿**فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ البقرة/١٧٣ ، (**وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**) بلا حجة ولا برهان ، وإن كثيراً من الجهلاء المجادلين ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام بغير شرع الله بل بمجرد الأهواء والشهوات والمصالح (**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**) أَعْلَمُ علماً تاماً بِالْمُعْتَدِينَ المجاوزين حدود الله والمجاوزين حدود الناس بإضلالهم والاعتداء على حقوقهم فيحللون ويحرمون بدون دليل شرعي كقوله ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ البقرة/١٩٠ ، وفيه وعيد وتهديد لمن اعتدى على حدود الله والنّاس ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩. **فائدة: ١-** في الآية إشارة إلى تحريم القول في الدين بغير علم ولا يجوز الإتباع الأعمى وتعطيل العقل ، **عن النبي (ص)** : (أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفَتْوَى أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّاْرِ) **البحار ١٢٣/٢**، **وعنه** (ص) : (اِسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاْكَ الْمُفْتُوْنَ) **كنز العمّال خبر ٢٩٣٣٩. ٢-** دلت الآية الكريمة على أنّ الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة إلاّ ما ورد التحريم منها ، وإذا وقع شكّ بين أنّه حلال أو حرام، **عن النبي (ص)**: (فدَعْ مَاْ يُرِيْبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ، فَمَنْ رعَى (تَحرّكَ) حَوْلَ الحَمَى يُوشَكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ) تنبيه الخواطر ص٤٣ ومن الورع الوقوف عند الشبهات.

**١٢٠** - ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾

الآية تحذير للمؤمنين من أنفسهم الأمّارة بالسوء ومن دنياهم الخدّاعة الغرور ، **الإِثْم** : كل قبيح في اللغة ، وما حرّمه الله في الشرع ، والله لم يحرّم على عباده إلاّ ما كان ضاراً وأغنى النّاس عنه ولم يجعل

الحاجة إليه ، **ظَاهِرَ الإِثْمِ** : هو الواضح الذي لا يخطئه فهم والذي يرتكب الحرام علناً ، **بَاطِنُ الإِثْمِ**: الذي يمكن أن يحجب وجهه بشيء من الخداع والتمويه أي يرتكب الحرام سراً. **المعنى** : **(ذَرُوا)** اتركوا المعاصي ظاهرها وباطنها ، سرُّها وعلانيتها صغيرها وكبيرها في القول والعمل ، مثال : الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه إثم باطن ، وترك الفرائض وعمل الفساد والزنى والظلم إثم ظاهر ، **الإثم الظاهر** : ما يرتكب بأعضاء الجسم والجوارح ، **والإثم الباطن** : ما يرتكب في القلب وفي النية والعزم، فكلُّ انحراف عن خط التوحيد وطاعة الله ، هو السقوط في الإثم سواء كان عقائدياً أو فكرياً أو قولياً أو عملياً أو المتعلقة بحقوق الله أو بحقوق الناس ، وكثير من الناس يخفى عليهم كثير من المعاصي الباطنة كالكِبر والعجب والحسد والحقد وتدبير المكائد الضارّة للناس والرياء وسوء الخلق.. هي آثام خفية تقسّي القلب وتجفف الروح وتقلق النفس وتغتال الإيمان دون أن يأخذ حذره منها.

**والمقصود من الآية:** ترك كافة الآثام من جميع جهاتها إذا حصل اشتباه **عن النبي (ص)**: (دَعْ مَاْ يُرِيْبُكَ إِلَى مَاْ لاَ يُرِيْبُكَ فإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدُ شَيْءٍ تَرَكْتُهُ لله) كنز العمال خبر٧٢٩٧، **في نهج البلاغة كتاب٣١:** (أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَاْ خِفْتَ ضَلاَلَتَه ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَاْلِ) ، وهذا يتطلّب معرفة معاصي القلب والبدن والعلم بذلك واجباً على المكلّف. **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) يَقْتَرِفُونَ** : يكتسبون ويرتكبون، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ في ظاهره وباطنه ، في القول والعمل صغيره وكبيره في سرِّه وعلانيته ، النفسي والمادي أو مع النفس أو مع الغير سَيُجْزَوْنَ الْعِقَاْبَ عَلَى قَدَرِ الْجِنَاْيَةِ سواء أكان العقاب مادياً أو معنوياً مباشراً أو غير مباشر العاجل في الدنيا أو الآجل في الآخرة ، **عن الإمام علي (ع)** : (أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَاْ اِسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ) البحار٧٣/٣٦٤، **فائدة: ١-** وقوله **(يَكْسِبُونَ الإِثْمَ)** تعبير بليغ يشير أن الإنسان يسعى لكسب الأموال ليربح ، والجاهل المسكين بدل أن يربح الأجر اجتهد لكسب الإثم الذي يضر نفسه فخسر من جميع الوجوه. **٢-** كقوله **﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنْ الْمُعَذَّبِينَ﴾** الشعراء/٢١٣ ، **﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾** الجن/١٧ ، **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾** طه/١٢٤ ، **الضنك** : الضيق المعنوي والقلق النفسي والأرق الليلي ! كثير من النّاس المؤمنين يعرفون الإثم الظاهر ولكن يخفى عليهم الإثم الباطن ، معاصي القلب فعليهم معرفتها والحذر منها !

**١٢١ - ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾**

وَلاَ تَأْكُلُوا أيها المؤمنون ممّا مات فلم تذبحوه ، ممّا ذبح لغير الله أو ذكر اسم غير الله عليه أو لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ عمداً دون سهواً **(وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ)** (إِنَّ) اللام للتوكيد على حرمته ، لَفِسْقٌ : لمعصية وخروج عن طاعة الله وتجاوز حدوده **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** الطلاق/١ ، **في**

**الآية دلالة** حرمة ذبيحة غير المسلمين لأنها لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهاْ ولم تتقيد بشروط الذبح الإسلامية المعروفة (راجع الآية ١١٩/سورة الأنعام) ، **(وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ)** كقوله ﴿**أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ الأنعام/١٤٥ ، إن استباحة هذا الأكل الحرام الذي حرّمه الله هو فسق في ذاته ويؤدي إلى الفسق على نفسه وعلى غيره وله آثار سلبية على القلب والنفس وعلى الفرد والمجتمع ، ويساعد على الخروج من الدين ، والانسلاخ من الإيمان ولو بعد حين **(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** والمراد بالشياطين أبالسة الإنس ، **لَيُوحُونَ** : يوسوسون ، ليخدعون ، تحذير للمؤمنين مما يراودهم عليه أهل الضلال والمتسامحين في الدين ليشوّهوا حقيقته ونزاهته ليخدعوا البسطاء من النّاس ويجادلونهم به في حل هذا وحرمة هذا، من إيحاءات الشياطين ووساوسهم كقوله ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ فصلت/٢٥ ، فهذا الحكم هو حكم الله ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ المؤمنون/٧١، **(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)** تهديد شديد لمن يطيع أولياء الشيطان من استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ مشركين ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣ ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ محمد/٢٥ ، ومن حق المؤمن ذي البصيرة في دينه ألا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه أو لا يأكل مما فيه شبهة. **فائدة: ١-** مخالفة الدين في تشريعاته عملاً يؤدي إلى الشرك في الحكم كقوله ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ البقرة/٨٥ ، **في غرر الحكم:** (الْمُصِيْبَةُ بِالدِّيْنِ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ). **٢-** تشير الآية إلى حرمة الذبيحة غير الإسلامية لأنها لم يتقيد ذابحها بالشروط الإسلامية للذباحة المحللة **٣- لَيُوحُونَ** الوحي إلقاء المعنى إلى النّفس مع الخفية بطريقة الإلهام. **٤- (الفسق) تدل الآية** : إنّ الفسق مذموم عقلاً لأنّه خروج عن طاعة الله وتجاوز لحدوده وهو منافٍ لحق العبودية لله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١.

**١٢٢ -** ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾

**(مَيْتاً)** : بالجهل والإلحاد **(فَأَحْيَيْنَاهُ)** بالعلم والإيمان ، تصوّر الآية طبيعة الإيمان بالحياة المعنوية ، وطبيعة الضال بالموت المعنوي ، إنّها صورة تشبيهية مجازية لتجسيم حقيقة متحركة في صورة موحية مؤثرة دقيقة وعميقة لها دلالاتها الروحية والفكرية والتربوية ، حقيقة تذاق بالتجربة فهي أكبر من أن تصوّرها الكلمة والعبارة فلا يعرفها حقاً إلاّ من استذوقها فعلاً ، إنّ هذه العقيدة تنشئ في القلب حياة ، والكافر منقطع عن هذه الحياة ! هذا مثل ضربه الله سبحانه للمقارنة بين المؤمن وغير المؤمن (الكافر) كالمقارنة بين الحياة والموت والنور والظلمات شبّه الله تعالى المؤمن بالحي الذي له نورٌ

يستعين به ، وشبه الكافر بالمتخبّط في الظلمات ليظهر الفرق بين الفريقين بوضوح ، فالكافر ميت معنوياً بين الأحياء، فإذا آمن بُعِثَ من جديد وعادت إليه الحياة وإيمانه نور يمشي به في حياته على بصيرة من أمره ، ومن بقي على الكفر والشرك والانحراف فهو كمن يتخبط في الظلمات يسير على غير هدى. **المعنى** : من كان بمنزلة الميت كان أعمى البصيرة كافراً فاسداً ضالاً ، فأحيا الله قلبه بالإيمان وأنقذه من التيه ومن حيرة الضلالة ومن ظلمات الجهالة (**وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**) وجعلنا مع تلك الهداية نور الدراية الذي يتأمل به الأشياء فيميز به بين الحق والباطل ، **عن النبي** (ص) : (مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ عَلَّمَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لاَ يَعْلَمْ) البحار١٨٩/٧٨، (**كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**) كَمَنْ هو يتخبط في ظلمات الجهالة وحيرة الضلالة لا يفارقها، فهو معها من حال إلى حال لا يعرف كيف الخلاص والنجاة ؟ وأيضاً يحشر يوم القيامة أعمى ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الإسراء/٧٢ ، (**كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) كل جاهل بجهله يرى الأمور على غير موازينها الصحيحة ومعاييرها الدقيقة فيرى الخير شرّاً ، ويرى الشرّ خيراً ، فلم يزل الشيطان يُحسِّن لهم أعمالهم ويزينها في قلوبهم ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣.

حتى استحسنوها ورأوها حقاً وصارت عقيدة في قلوبهم وصفة راسخة في نفوسهم ، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح. **فائدة** : **١-** الإيمان هدى ونور ولا إيمان مع ضلال وظلام وشتان بينهما، فالمؤمنون تساموا بالإيمان وفهموا الحياة بشكلٍ صحيح على أنّ هذا الوجود أكبر من ظاهره المشهود، وخلقوا من جديد ، فهم نجوم لامعة في وسط ليل دامس ، أما الكافرون فيلفهم الظلام ويأخذهم الضلال فلا يرفعون أبصارهم إلى النور ، مثلهم كمثل دود الأرض إذا كُشِفَ عنهم التراب تضايقوا وانكمشوا ودخلوا تحت التراب مرة ثانية ولا يحبون نور الشمس ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ محمّد/٢٥ ، وهكذا الذي لا تنفعه الهداية تضره الغواية (**كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**). **٢-** (**مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ**) الحياة والموت كالمشرق والمغرب ، الإيمان حياة والكفر موت وهما طريقان مختلفان الإيمان طريق خيرٍ وهدى واستقامة فهو حياة ، والكفر طريق شرٍّ وظلام فهو موت، وشتّان بين هؤلاء وهؤلاء ، فالمؤمنون بعثوا بالإيمان وخلقوا خلقاً جديداً به فهم أشبه بشموع مضيئة وسط ظلام دامس ، والكافرون جثث يلفّها الظلام ويحتويها الضلال ويحجبون أنفسهم عن النور ، والمرء حيث يضع نفسه وهو المسؤول عن بناء مستقبله العاجل والآجل ، **إنّهما عالمان مختلفان** : فما الذي يمسك بمن في الظلمات بينما النور يفيض حوله (**كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) هذا هو السرّ ، إنّ هناك تزييناً للكفر تقوده ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾ الأنعام/١١٢ ، والقلب الذي ينقطع عن الإيمان يسمع وسوسة

الشياطين عندئذٍ لا يميز بين الهدى والضلال في ذلك الظلام العميق و(الْذِيْ لا تَنْفَعُهُ الْهِدَاْيَةُ تَضُرُّهُ الضَّلاْلَةُ) بل يرى الظلال هو التقدّم ، والهدى هو الرجعية ، فيرى الحياة حسب منظوره الخاص حسب هواه والهوى إله يتّبع كقوله ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾ محمّد/١٤ ، والهوى مصدر المحن وأساس الفتن. **٣-** ينبغي للمسلم أن يكون إيمانه حيّاً عالماً بوعي وله بصيرة في دينه وأعماله وحسن سيرته. **٤- (نُوراً)** جاءت بصيغة المفرد للدلالة أن الحق واحد والباطل متعدّد ومتلوّن لذلك جاءت (**الظُّلُمَاتِ**) بصيغة الجمع. **٥- سؤال** : نلاحظ الكافرين في هذا العصر أكثر رفاهية من المؤمنين؟ **الجواب** : الرفاهية لا تختص بالكفر ولا بالإيمان ، ونلاحظ كم من مؤمن يعيش الرفاهية وكم من كافر يعاني الفقر كقوله ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ**﴾ التكاثر/٨.

**١٢٣-** ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾

**القَرْيَةِ** : المكان الذي يجتمع فيه الناس للسكن والعمل قلّوا أو كثروا ولكن كثر استعماله في البلد الصغير ، وفي المصطلح المعاصر تسمى العاصمة بمعنى قلب البلد وقد تطلق بمعنى الشعب ، **المعنى** : كما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان وجعل لهم نوراً يمشون به في الناس ، جعل في كلّ قرية وشعب أكابر القوم ورؤساءهم وهم قادة الضلال والكفر والفساد في الماضي والحاضر والمستقبل (**لِيَمْكُرُوا فِيهَا**) **المكر** : صرف الغير عمّا يقصده بحيلة وهو محمود إن قصد به فعلاً جميلاً ، ومذموم إن قصد به فعلاً قبيحاً ، هؤلاء يخططون للضرر بالدعوة الإسلامية وبالمؤمنين ، ويفسدون وجوه الخير منها ويسدون منافذ الهدى فيها ، وهم سرُّ البلاء لنشرهم سنّة ألإجرام وكبتهم لصوت الحق والحقيقة، فتراهم يمكرون ويضرون بالأفراد والجماعات ليحفظوا رياستهم ويعززوا نفوذ حكومتهم بين الشعوب والدول الأخرى كقوله ﴿**كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يونس/١٢ ، **وتخصيص أكابر المجرمين بالذكر** : لأنهم عناصر التأثير ومراكز المكر والخديعة وهم في غاية الإجرام وإلتفاف الهمج الرعاع حولهم (**وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**) وإنّما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ الأنفال/٣٠ ، وهم لا يعلمون أنّ سنة الله تقول **في غرر الحكم**: (مَنْ مَكَرَ حَاْقَ بِهِ مَكْرُهُ) **في غرر الحكم**: (مَنْ مَكَرَ بِالنَّاْسِ رَدَّ اللهُ سُبْحَاْنَهُ مَكْرَهُ فِيْ عُنُقِهِ)، وقال تعالى ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ فاطر/٤٣ ، دون أن يشعروا أنهم غارقون في الضلال وسوف يردون موارد الهلكة لجهلهم بسنن الله في خلقه ، وهكذا الجاهل يعمل بنفسه كما يعمل العدو بعدوه ، وهذه سنة جارية كوعيد للماكرين وتسلية للمؤمنين.

**فائدة** : **١-** تشير الآية إلى أن النكبات التي تصيب المجتمع إنّما تنشأ من كباره وقادته المجرمين ، **٢-** تكشف الآية عن سنّة جارية ومعركة محتومة في الصراع بين الحق والباطل منذ قديم الزمان ، وإنّ المؤمنين لا يخوضون المعركة وحدهم فالله وليهم ومولاهم وهو يردُّ مكر الماكرين وكيدهم وما يشعرون،

(**جَعَلْنَا**) **كيف تنسب أفعال العباد إلى الله ؟ الجواب** : على قاعدة لكلّ شيء سبب ، فإذا حصل السبب يحصل المسبب ، فالأسباب يصنعها الإنسان مختاراً تكريماً له والمسببات من الله تكون على ضوء الأسباب ولا يعمل المسبّب إلاّ بوجود السبب كقوله ﴿**اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ الشعراء/٦٣ ، **ثم نقول** : إنّ الله يمنح عبده العقل والإرادة والقدرة ، بالعقل يميز وبالإرادة يختار وبالقدرة يفعل وعلى هذا الأساس عرفنا أن تنسب إلى الله أفعال العباد بالكامل. **٣-** تكشف الآية عن حقيقة إجتماعية عامة في كلّ العصور وهي وجود مجرمين في كلّ مجتمع ، ويكون بعضهم أكابر لهم نفوذ إجتماعي والتأثير على الآخرين ويستخدمون أخبث الوسائل ليعتدوا على الدين والمؤمنين وخضوع مرضى القلوب لهم ويكونون في خدمتهم. **٤-** (**أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا**) فهم ليسوا قادة القوم فحسب وإنّما قادة الإجرام وشدّته أيضاً وعظم المكر والخديعة وأنواع الحيل الخبيثة التي يستخدمونها كقوله ﴿**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**﴾ إبراهيم/٤٦ ، **في غرر الحكم:** (مِنْ أَعْظَمِ الْمَكْرِ تَحْسِيْنُ الشَّرِ). **٥- معنى الإجرام** : أصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة وتوسّع معناه لكلّ إكتساب مكروه ، ويقال اللحم المجروم أي المفصول عن العظم ، وكذلك المجرم فإنّه أخبث المعتدين وشرُّ النّاس فلا يقبل العذر ولا يغفر الذنب فهو منفصل عن الصفات الإنسانية والأخلاق البشرية الطبيعية ، **في غرر الحكم:** (شرُّ النَّاسِ مَنْ يَتَّقِيْهِ النَّاسُ مَخَافَةَ شَرِّهِ).

**١٢٤** - ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ**﴾

وإذا جاءت هؤلاء المشركين المعاندين أكابر المجرمين والرؤساء الماكرين ، حجة قاطعة وبرهان ساطع ينهي جدال القوم على صدق الرسول مُحَمَّد (ص) قالوا لن نصدِّق برسالته حتى نعطى من المعجزات مثل ما أعطي رسل الله ، كفلق البحر لموسى ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى (ع) ، ومعنى ذلك أنهم لا يؤمنون بالرسالة إلاّ إذا صاروا رسلاً يوحى إليهم ، وفي هذا اعتراض منهم على الله وعُجبٌ بأنفسهم وإغلاق عقولهم وتكبّر على الحق ، وقد ردّ الله عليهم خطأهم بقوله (**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**) الله أعلم من هو أهل للرسالة وكفؤ لها وصالحٌ لحملها وأمينٌ عليها فيضعها فيه فيكون له استعدادٌ خاص ومؤهلاتٌ نموذجية قدوة وقيادة ليرتقي إلى منزلة (العصمة) إنّ هذه الصفات لا يعلم بها غير الله ، والله يعلم إنّ الرسالة أمرٌ عظيم لا يمكن أن يتصدّى لها من دون اصطفاء من الله ، وإنّ الله لا يصطفي لرسالته إلاّ عن علم بأن المصطفى كفؤ لها ويقوم بمسؤولياتها وهو متصف بمؤهلات تتناسب مع حمل الرسالة من خُلُقٍ عظيم وصبرٍ جميل ومقومات التأثير كالرأي السديد والفكر الرشيد والعصمة عن الخطأ والقدرة على البلاغ المبين والقيادة الفاضلة الرشيدة

والسديدة للأمة.. إلخ ومن لم يكن كذلك فلم يضع الله أفضل مواهبه عند من لا يستأهله ولا يزكو عنده **وفي هذه الآية دليل** : على كمال حكمة الله تعالى لأنه لا يضع رسالته إلاّ عند أهلها لسلامة الفطرة وطهارة القلب وحب الخير للإنسانية فيكون هو رسالة عملية كما كان النبي (ص) (خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) **(سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ) الصغار** : مقابل الكبار (الاستكبار) وهو الذل والهوان ، سيصيب هؤلاء المجرمين الذل والهوان **(وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)** بسبب استكبارهم ومكرهم المستمر فيكون الجزاء من جنس العمل ، والعقوبة على قدر الجناية ، وقدّم الصغار على العذاب لأنهم تمردوا على الرسالة والرسول والمرسل وتكبروا وتجبروا فقابلهم الله بالصغار والذل والهوان وهو من مقدمات العقاب الشديد المتناسب معهم والعذاب الشديد يقابل المكر الشديد كقوله **﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾** فاطر/٤٣ **فائدة ١-** والتهديد القرآني هذا له دور في كسر كبرياء هؤلاء وتهذيب نفوسهم ، وبهذا ندرك متابعة القرآن لحركة الأمة ومعالجة العقبات التي تقف أمامها ودفعها في خط الهدى والتكامل ، وهكذا نزل القرآن من خلال حركة الواقع ويفهم من خلال حركة الواقع. **٢- عن النبي (ص)**: (يُحْشَرُ الْجَبَّارُوْنَ الْمُتُكَبِّرُوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيْ صُوَرِ الذَّرِّ يَطَؤُهُمْ النَّاْسُ لِهَوَاْنِهِمْ عَلَى اللهِ تَعَاْلَى) المحجة البيضاء٦/٢١٥.

**١٢٥ - ﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾**

الآية تصوير حالة الهدى وحالة الضلال من داخل القلوب وكأنّها حالة تجسيم للنفوس، وكأن عدسة التصوير تغوص في أعماق النفس وتشخّص أسرارها ! مبيّن الله تعالى لعباده علامة سعادة الإنسان وهدايته وعلامة شقاوته وضلالته ، **المعنى: (فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ)** فمن يرد الله أن يؤهله للهداية يشرح روحه وينوّر قلبه وصدره للإسلام أي إتسع وإنفسح وفهم وعلم وإستنار بنور الإيمان وحي بضوء اليقين فاطمأنت بذلك نفسه وأحب الخير من هذا الطريق المستقيم وطوعت له نفسه فعله متلذذاً به غير مستثقل بل مستبشر ، فيشعر إنّ راحته بطاعته و(بِمِقْدَاْرِ الطَّاْعَةِ تَكُوْنُ الرَّاْحَةُ) لأن يسلم وجهه لربه ويلتزم بمنهجه ، فلا يلقى إليه قولٌ حقٌ إلاّ وعاهُ ولا عملٌ صالح إلاّ أخذ به ، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه ومنّ عليه بالتوفيق وهداه لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ كقوله **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾** الإسراء/٩ ، ومعنى هذا أن الخيار في النبوة لله وحده أما الخيار في الإسلام فلعباده بالكامل ، والله في عون من يختار طريق الهدى لنفسه. **(وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)** ومَنْ يختر الضلالَ لنفسه و(مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ) فلا يمنعه الله عن الضلال بالقهر والإكراه ، بل يتركه مع هواه ومناه ومن أغواه **﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾** الصف/٥ ، **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** النحل/١٢٥ ومن يختار طريق الضلال يكون صدره في غاية الضيق عن

الإيمان والحق والعلم ولا يحب الهداية ولا الاستقامة فقد انغمس قلبه في الشبهات وحب الشهوات وإتّباع اللذات فلا يصل إليه نور الهدى ولا ينشرح قلبه للتقوى كأنه في شدته وضيقه يكادُ يصعّد في السماء بلا وسيلة ترفعه ولا واسطة تحمله وتنقله ويزاول أمراً غير ممكن كما أنّ الإيمان عنده غير ممكن ، وهذا مثل ضربه الله لقلب الكافر المعاند في شدة ضيقه من وصول الإيمان إليه ، إذاً الذي يسيطر عليه الضلال وتضيق نفسه كمن يضيق عن التنفس بسبب قلّة الأوكسجين عندما يرتفع إلى أعالي الجو، وهي حقيقة علمية حديثة نتيجتها عدم التناسب بين الضغط الجوي وضغط الدم، وبهذا يتم التناسق بين الحالة المعنوية والمثل المادي (**كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**)

**الرجس**: الشيء القذر أو العذاب وكلُّ ما لا خير فيه وهو اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

**المعنى**: الذي لا يقبل الحق سيبتلى بالرجس أي كذلك الذي يرفض هداية الرحمن تأخذه غواية الشيطان ويلقى العذاب والخذلان ولو بعد حين والمقصود إنّ الذين وقعوا في الضيق من أتباع الحق في الدنيا كذلك غداً يقعون في العذاب الذي هو أشدُّ ضيقاً عليهم من إتّباع الحق كقوله ﴿**وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً**﴾ الجن/١٧، ﴿**فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**﴾ الشعراء/٢١٣ ، ﴿**لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً**﴾ الإسراء/٢٢ ، ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ طه/١٢٤،، **عن الإمام الصادق** (ع) : (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَاْ أَرَاْدَ بِعَبْدٍ خَيْرَاً نَكَتَ فِيْ قَلْبِهِ نُكْتَةً مِنْ نُوْرٍ، وَفَتَحَ مَسَاْمِعَ قَلْبِهِ وَوَكَّلَ بِهِ مَلَكَاً يُسَدِّدُهُ ، وَإِذَاْ أَرَاْدَ بِعَبْدٍ سُوْءَاً نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاْءَ، وَسَدَّ مَسَاْمِعَ قَلْبِهِ وَوَكَّلَ بِهِ شَيْطَاْنَاً يُضِلُّهُ ثُمَّ تَلاَ الآيَةِ) الكافي٢/٢١٤.

**فائدة: ١- إنّ النّاس فريقان : الفريق الأول** : تتّسع صدورهم للحق ويطمئنون إليه ويتحررون من التقاليد الجاهلية ولو كانت باسم الدّين كقوله ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ الزمر/١٨، **الفريق الثاني** : لا تتّسع صدورهم للحق لجهلهم وضيق أفقهم كقوله ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ الأنبياء/٢، **٢- (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)** وهي حالة نفسية مضطربة تجسم في حالة حسيّة وتكشف قاعدة علمية عن ضيق النّفس وكربة الصّدر وتعبير **(يَصَّعَّدُ)** هذا يجده من صعِد بطائرة أو مكوك فضائي في الطبقات العليا من الجو حتى يشعر وخاصةً روّاد الفضاء بأنّه فقد الجاذبية وقلّ الأوكسجين وأحس بالاختناق وأشرف على الهلاك إن لم يتدارك نفسه وينزل إلى أسفل وهكذا يختلف الضغط الجوي في مختلف طبقات الهواء، وجاء العلم الحديث فأمكن شرح مغزى الآية، فنستنتج أنّ الدّين والعلم رافدان أحدهما يدعم الآخر. **٣- سُئِلَ النّبي (ص)** عن معنى شرح الصدر فقال (ص): (نُوْرٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِيْ قَلْبِ مَنْ يَشَاْءُ فَيَنْشَرِحُ لَهُ صَدْرُهُ وَيَنْفَسِحُ) الأمثل٤/٤٢٦، كقوله

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر/٢٢.

**١٢٦ – ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾**

**(وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ)** المتمثل بالقرآن الكريم بهذا الدين الإسلامي الأصيل القيّم الذي أنت عليه يا مُحَمَّد هو الطريق المستقيم المعتدل المتوازن المنسجم مع الفطرة البشرية ، الذي لا عوج له فيه ولا إفراط ولا تفريط الذي بعثك به فاستمسك به ، فإنّه دين الله الذي تنشرح له صدور المؤمنين ليزدادوا إيماناً **عن الإمام علي** (ع) : وهو يصف القرآن (هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَحَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ) كنز العمال خبر٤٠٢٧، وهذا التفصيل ليس لكلّ أحد وإنّما هو **(لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)** يتعظون **(قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)** **(قَدْ فَصَّلْنَا)** أي قد بيّنا ووضحنا الآيات والأدلّة والبراهين على صحة الإسلام وصدق القرآن ، لقوم يتدبرون بعقولهم فيزدادون بذلك تألقاً في العلم ورسوخاً في الإيمان والعمل الصالح وحسن الخلق ، والتي بتذكرها يهتدي الإنسان إلى معرفة منهج الله الخالي من الشبهات والمغالات والخرافات والانحرافات. وهكذا جرت سنّة الله تعالى مع خلقه **(وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً)** أن لايتدخل بإرادته وقدرته في أفعال الإنسان وما يختاره لنفسه وهو مسؤول عن إختياره. في الآيات السابقة بيّن الله تعالى الهداية والضلالة وعرّف صفات كلّ واحدة منهما وبعد وضوح الكامل لهما يتبيّن صِرَاطُ الله تعالى المسْتَقِيم بلا التباس ولا شبهات ويستطيع الإنسان التمييز بينهما بالفطرة السليمة بسهولة لوضوحهما. **في غرر الحكم:** (عَلَيْكَ بِمَنْهَجِ الاسْتِقَامَةِ، فإنَّهُ يُكْسِبُكَ الكَرَامَةَ، ويَكْفِيكَ المَلامَةَ) والندامة

**١٢٧ – ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

لهؤلاء السالكين صراط ربهم المستقيم **(لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ)** سبحانه بسلوكهم المستقيم نالوا صراطه المستقيم الموصل إليه بما قدموا من عمل وهكذا تكون النتائج كالمقدمات ، وسميت دار السلام لأنها دار السلامة الدائمة، دار خالصة وبعيدة من كلّ الآفات الظاهرة والباطنة الماديّة والمعنوية، دار سالمة من كل بلاء وداء وعناء وشقاء ، وهي دار الأمن والأمان والعافية من كلّ سوء يحل بالكافرين، وهي دار الجنة الوارفة السالمة من كلِّ عيب وآفة وهم وغم ونقص.. إلخ ويلزم من ذلك أن يكون نعيمها في غاية الكمال ونهاية التمام والجمال بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون ولا يتمنى فوقه المتمنون من نعيم الروح والقلب والبدن ، ولهم فيها ما **﴿مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** الزخرف/٧١ ، **(وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** الذي يتولى تدبيرهم وتربيتهم وهو حافظهم وناصرهم ومؤيدهم جزاءً لأعمالهم الصالحة التي قصدوا بها رضا الله تعالى. **ومن هذا دلالة** : أنّ دين الله مركّب من الإيمان والعمل الصالح كقوله **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

**الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾** البينة/٧. **عن النبي (ص)**: (كُلُكُمْ يَدْخَلُ الجَنَةَ إلاّ مَنْ أبَى! قَالُوا وَمَنْ يَأبَى يَارَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى)! البخاري/٦٨٥١

**١٢٨ -﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾**

إنّه مشهدٌ من مشاهد يوم القيامة ، إذكر يوم يجمع الله الثقلين الإنس والجن جميعاً للحساب والجن هنا بمعنى الشياطين ﴿**إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾ الكهف/٥٠ ، وكقوله ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾ الأنعام/١١٢ ، وكقوله ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ العنكبوت/٢٥، **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ)** يقول سبحانه لمعشر الجن منهم بطريق التوبيخ **(قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ)** أي أخذتم الكثير من النّاس من إغوائهم وإضلالهم عن سبيل الله كقوله ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾ ؟ يس/٦٢ ، وقوله ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ**﴾ الحجر/٣٩-٤٠.

فكان حشرهم على صعيد واحد والطيور على أشكالها تقع ، لأن (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ! ويبدو أنّ الشياطين المضلين لا جواب لهم على هذا السؤال ويطرقون صامتين، غير أنّ أتباعهم من البشر يقولون يا ربّنا هؤلاء استفادوا منّا كما أنّنا استفدنا منهم حتى جاء أجلنا، معناه كانوا مستغرقين في الضلال ، والاستغراق يضيّع الاستحقاق ، وهو جواب يكشف عن غفلة وخفة وسذاجة في الإنس، كما يكشف عن مدخل الجن الشياطين إلى نفوس الناس عن طريق الهوى والأنا والغرور والاسترسال والخداع في الاستمتاع **(وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ)** **أَوْلِيَاؤُهُمْ** : هم الذين تولوهم أي أطاعوهم ، **الاستمتاع** : الانتفاع ، ما ينتفع به طويلاً ، وقال الإنس الذين أطاعوا الجن معترفين بحقيقة الأمر ، **(رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ** (انتفع) كل منا بالآخر) بشكل متبادل ومتعادل ، وحقق كل واحد منَّا رغبته بالآخر ، أمّا استمتاع الجنّ بالإنس : بالسيطرة علينا والعبث في حياتنا وتسخيرنا بتحقيق هدف إبليس في عالم الإنس ، بما كان للجن من اللذة في إغرائنا بالشهوات واللذات المحرّمة ونحن نستجيب ونطيع برغبة لوسوستهم بسوء اختيارنا وسيء أعمالنا ، فكان على ما يبدو الاستمتاع أن الجن كانت تخطط لإضلالهم عن منهج الله وكانت الإنس تنفّذ وتتبع ما تهوى ولا تتخوّف سوء العاقبة ، وكأن لكل إنسان شيطاناً من الجن يزين له طريق الفسق والفجور ، فهذا استمتاع الجن بالإنس.

أما **استمتاع الإنس بالجن** : فهو أن الجن كانوا يدلون الإنس على أنواع الشهوات واللذائذ المحرمات وما تهواه أنفسهم ، ويغرونهم بها وكان استمتاعهم بالطاعة العمياء لهم فانساقوا نحو المحرمات بلا

تفكُّر وحصلوا مرادهم (**وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**) ما زال الكلام للإنس ، أي إن استمتاع بعضنا ببعض كان إلى أجل معين قدره لنا ، يعني كذلك طول عمرهم مع الشيطان إلى الموت والحساب ، وهذا منهم اعتراف من طاعتهم الشياطين واتّباع هوى أنفسهم ، والآن يا إلهي نحن بين يديك فأحكم بما نستحق (**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**) **مَثْوَاكُمْ** : مأواكم ، هذا هو الحكم الفاصل والجزاء العادل (**إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**) استثناء إلى الذين لا يستحقون الخلود في العذاب لينالوا العفو الإلهي وهذا متعلق بمشيئة الله ، (**إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ**) في أفعاله (**عَلِيمٌ**) بأعمال عباده وما يترتب عليها. **فائدة :١ – عن إبن عباس** : في هذه الاية (لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى اللهِ فِي خَلْقِهِ ولا يُنْزِلَهُمْ جَنَّة وَلا نَارًا) المراغي٨/٣٠، ﴿**وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**﴾ الرعد/٤١ ، ﴿**وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ الكهف/٢٦. **٢–** وسمّي الجنّ جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم عن أعين النّاس كقوله ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**﴾ الأعراف/٢٧. **٣–** فالجني يستمتع بطاعة الإنسي له وعبادته وتنفيذ وسوسته ، والإنسي يستمتع عندما يكون في خدمة وساوس الجني، حيث دلّوهم على الشهوات واللّذات المحرّمة فانساقوا للجنّ انسياق الدواب التي لا تعقل. **٤–** (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ**) سمّي الجنّ والإنس معشراً لكونهم جماعة من عقلاء الخلق ، وذكر لفظ المعشر مع الجن دون الإنس لإن إغواء الجنّ كثيراً ما يقتضي التعاون بين الجن وفي تعبير معشر للدلالة على التعاون والتواصي بينهم للإغواء ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ**﴾ الأنعام/١٢١. **٥–** تشير الآية إلى أنّ كلّ إنسي (كلّ إنسان) يوسوس له شيطان من الجن فيزيّن له أنواع الباطل ويغريه بأنواع الأساليب بالفسق والفجور ، وبهذا ينكشف معنى الاستمتاع المتبادل بينهما.

**١٢٩ – ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**

**نُوَلِّي** : نسلط كلٌّ حسب عمله ، إنّها سنّةٌ إلهية إجتماعية عند تمرّد الإنسان على ربّه والإعراض عن طاعته ، فالمؤمن وليُّ المؤمن ، والكافر وليُّ الكافر وكلٌّ يألف إلى مثله ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ الإسراء/٨٤ ، كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض كما في الآية ١٢٨ كذلك نسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم أنواع المعاصي وكبائر الذنوب ، وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلّط الله عليه ظالماً آخر فننتقم من الظالم بالظالم و(الظَّاْلِمُ سَيْفٌ أَنْتَقِمُ بِهِ وَأَنْتَقِمُ مِنْهُ) وهكذا المجرمون حلفاء متعاضدون لأن بينهم تعدد أدوار ووحدة هدف ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ الجاثية/١٩ ، (**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) بما كانوا مستمرين على كسبه من الظلم والمعاصي **عن الإمام الباقر** (ع) : (مَاْ إِنْتَصَرَ اللهُ مِنْ ظَاْلِمٍ إِلاَّ بِظَاْلِمٍ كَقُوْلِهِ وذَكَرَ الآية) البحار٧٥/٣١٣، **عن النبي (ص)**: (مَنْ أَعَاْنَ ظَاْلِمَاً سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ) روح البيان٣/١٠٤، **وعنه (ص)**: (مَنْ مَشَى مَعَ ظَاْلِمٍ فَقَدَ أَجْرَمَ يَقُوْلُ اللهُ ﴿**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾ السجدة/٢٢) كنز العمال

خبر١٤٩٥٣، **فائدة: ١-** هذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر. **٢- عن ابن عباس:** (إِذَاْ رَضِيَ اللهُ عْن قَوْمٍ خَيْرَاً وَلَّى أَمْرَهُمْ خِيَاْرَهُمْ، وَإِذَاْ سَخِطَ اللهُ عَلَى قَوْمٍ وَلَّى أَمْرَهُمْ شِرَاْرَهُمْ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ المَعَاصِي كَقُولِهِ (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد/١١) مجمع البيان١٨٢/٤، **وفي الزبور** : (إِنِّي لأَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِ بِالْمُنَافِقِ ثُمَّ أَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَاْفِقِينَ جَمِيْعًا) ولو بعد حين. **٣-** (من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله يساعده على الشر ويكرّه إليه الخير وينفّره عنه، وذلك من عقوبات الله الشديد أثرها البليغ خطرها ، والذنب ذنب الظالم فهو الذي أدخل الضرر على نفسه ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ فصلت/٤٦ ، **عن الإمام الصادق** (ع) : (مَنْ عَذَرَ ظَاْلِمَاً بِظُلْمِهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ، وَإِنْ دَعَاْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ وَلَمْ يُؤْجِرْهُ اللهُ عَلَى ظُلاَمَتِهِ) البحار٣٣٢/٧٥ **عن النبي (ص)**: (مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ، وَهو يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ) كنز العمال خبر١٤٩٥٥. **٤- (نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً)** نشهد تجمّعاً ضخماً لشياطين الإنس من الصهاينة وأمريكا وأوربا للقضاء على الإسلام والمسلمين العاملين ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٢ ، ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ الأنعام/١٣٧، فكما أنّ الظالمين بعضهم أولياء بعض يجب أن يكون المؤمنون كذلك كقوله ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة/٧١.

**١٣٠ -﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾**

من مشاهد يوم القيامة ، هذا سؤال يوجهه سبحانه يوم القيامة للأشرار من الجن والإنس والاستفهام للتأنيب والتوبيخ سؤال تقريري ، فالله سبحانه يعلم ما كان من أمرهم في الحياة الدنيا ، والجواب عليه إقرار منهم باستحقاقهم هذا الجزاء في الآخرة ، **(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)** **(رُسُلٌ مِنْكُمْ)** رسلٌ من الجن ورسلٌ من الإنس لأنّ كلمة رسول تطلق على غير البشر كقوله ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ**﴾ الحج/٧٥ ، يتلون عَلَيْكُمْ آيات ربكم الدّالّة على ضرورة الإيمان بدين الله حيث الجزاء والحساب **(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)** يخوفونكم مخاطر يوم القيامة فهناك الحساب والجزاء فيكون الإنسان المناسب في مكانه المناسب **(قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا)** لم يجدوا إلاّ الاعتراف ، وهذا إقرار منهم بالكفر واعتراف على أنفسهم بالتقصير **(وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)** خدعتهم الدنيا بنعيمها وخانتهم أنفسهم الأمارة بالسوء فدفعتهم نحو الفساد وأعرضوا عن دين الله المستقيم **(وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)** اعترفوا بكفرهم وسوء فهمهم للحياة وفساد أعمالهم حتى أضطروا بالشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب ﴿**فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات/٦، تحذيراً لغيرهم، والَّذِيْ لاَ يَتَّعِظُ بِالْمَاْضِيْنَ كَاْنَ عِبْرَةً لِلْبَاْقِيْنَ، وَأَخْسَرُ

النَّاسِ مَنْ كَاْنَ عِبْرَةً لِلنَّاسِ، **نهج البلاغة خطبة٨٦**: (السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ). **فائدة** : إنّه مشهدٌ من مشاهد يوم القيامة وفي مشهد آخر ﴿**هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ، وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**﴾ المرسلات/٣٥-٣٦ ، وفي مشهد آخر يكذبون على أنفسهم ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ النور/٢٤

**١٣١ - ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾**

ذلك الإرسال من الله لرسله له حكمة وهي من سنة الله في عباده فإنه سبحانه وتعالى رب العالمين عادل ﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩ ، بل هم أنفسهم يظلمون ، لا يؤاخذ عباده ما صدر منهم من فساد إلاّ بعد إرسال الرسل مبشرين ومنذرين وإلقاء الحجة الإلهية عليهم حتى ينتبهوا من غفلتهم رحمة بعباده ، فلا يكون لهم عذر إذا أخذهم الله بالعقاب الذي يستحقونه على ضلالهم كقوله ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ الإسراء/١٥ ، ويكون الْعِقَاْبُ عَلَى قَدَرِ الْجِنَاْيَةِ ، ولا عقاب إلاّ بعد إلقاء الحجة الواضحة وإظهار الحقائق فيكون عقابها تربية لها وزجراً لغيرها ، وقوله (**بِظُلْمٍ**) إشارة إلى أن عدل الله يقضي بألا يعاقب أحداً من خلقه من دون بينة واضحة وإرسال الرسل والرسالات والآيات والعبر كقوله ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ هود/١١٧، وهذه الآية من سنن الإجتماع العامة فقد تتلوث الفطرة وتتعطّل أجهزة الاستقبال فتكون رسالة الرسل ضرورية لاستنقاذ الفطرة والعقل من الانحراف ، وجعل العذاب مرهوناً بالتكذيب بعد البلاغ والإنذار.

**١٣٢ - ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾**

ولكلّ من المكلّفين من الجنّ والإنس درجات ومنازل ومراتب مختلفة حسب أعمالهم كيفاً وكماً وقصداً، للمسيئين دركات حسب جرائمهم ومستوى ضلالهم ، وللمحسنين درجات وفق أعمالهم الصالحة ، فربّ دينار ينفق في سبيل الله لوجه الله خير من مليون ينفق رياءً أو توصلاً لرياسة أو جاه أو كالأموال المحرّمة التي تصرف لكسب الأصوات أيام الإنتخابات (**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) ليس الله بلاهٍ أو ساهٍ عن أعمال عباده ولا تختلط عنده الأعمال كقوله ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾ القمر/٥٢-٥٣ ، وفي ذلك تهديد ووعيد ، وكلُّ شيءٍ محفوظ ومسجل عند الله لا يدع صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وحاسب عليها ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ الكهف/٤٩ ، **وفي الحديث القدسي** : (يَاْ عِبَاْدِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَاْلُكُمْ أُحْصِيهَاْ لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاْهَا). **فائدة** : **١-** وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج. **٢-** تشير الآية أنّ السعادة والتعاسة نتيجة عمل الإنسان والمرء حيث يضع نفسه وهو

المسؤول عن بناء مستقبله الدنيوي والأخروي كقوله ﴿**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ الإسراء/٢١

**١٣٣** – ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**﴾

إن الله تعالى (**الْغَنِيُّ**) ، والغني الذي لا يحتاج إلى شيء ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ المنافقون/٧، المستغني عن الخلق وعبادتهم ، لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى ، فهو الغني المطلق في ذاته وصفاته بلا فقر ولا حاجة (**ذُو الرَّحْمَةِ**) يتعطف عليهم بالتكاليف تهذيباً لأنفسهم وإيقاضاً لعوامل فطرتهم الكامنة لينساقوا إلى الكمال الإنساني المقدّر لهم. ذو التفضل التام على جميع مخلوقاته بعفوه وإحسانه ، وذو الرحمة الواسعة التي وسعت كلّ شيء ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ الأنعام/٥٤ ، ذو الرحمة بأوليائه وأهل طاعته ، ومن رحمته تأخير الانتقام لمن عصى وبغى ، وعباده الفقراء إليه في جميع أحوالهم ومع ذلك رحيم بهم ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ فاطر/١٥ ، (**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ**) يطبق عليكم سنة الاستبدال العامة ، ولو شاء الله لأهلككم أيها العصاة بعذاب الاستئصال (**وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ**) وأتى بخلق آخر أطوع منكم وأحق برحمته منكم ويعملون بطاعته وهذا سهل عليه وإنّ امهاله هو رحمة وإحسان بكم لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، (**كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**) كما خلقكم وإبتدأكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ، كما أذهب الأجيال الماضية وأتى بالذي بعدها ولكنه أمهلكم تفضلاً منه ورحمة فلا ينسى الناس أنهم باقون برحمة الله ، وأنّ بقاءهم متعلّق بمشيئة الله وأنّ ما في أيديهم من سلطان إنّما خولهم الله إيّاه.

**فائدة: ١**– والقصد هو تهديد المتمردين على منهج الله والمفسدين في الأرض فلا تأمنوا على مستقبلكم وعاقبة أمركم ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ الأعراف/٩٩ ، وأنّها إيقاعات أيضاً لتثبيت قلوب المؤمنين وتطمين لأنفسهم بأنّ الله وليهم ومولاهم. **٢**– (**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ**) الخطاب للنبي الكريم وإضافته إلى ربّه الغني ذو الرحمة تكريم له ورفع لقدره ومنزلته عند ربه لإختصاصه بتلك الإضافة ، وإن كان الله هو ربّ العالمين ، فإضافة النبي (ص) منفرداً بهذه الإضافة إلى ربه غاية في التّكريم والرعاية. **٣**– الآية كقوله ﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ محمّد/٣٨.

**١٣٤** – ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾

(**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ**) إنّكم في يد الله وقبضته ورهن مشيئته وقدره ، ما توعدونه من مجيء يوم القيامة والحشر والنشر وكل ما وعد الله به لواقع لا شك فيه كقوله﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ..**﴾ النور/٥٥ ، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ الرعد/٣١

، (**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**) فلستم بمنفلتين أو مستعصين أو بخارجين أي لا تخرجون عن قدرتنا وإرادتنا وعقابنا ، وإن ركبتم في الهرب متن كل صعب فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ، فلن تستطيع قدرة بشرية أن توقف مشيئة الله (التي هي فوق كلّ مشيئة) كقوله (**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**) التكوير/٢٩ المتعلقة بمجيء هذا اليوم الحاسم والجازم والموعود بكل ما فيه من تبعات ، الأمر الذي يدفع بالإنسان ليحسب حساب مستقبله الأبدي بدقة (**البقاء الصحيح**) (إِنَّ بَقَاْءَكَ إِلَى فَنَاْءٍ، وَفَنَاْؤُكَ إِلَى بَقَاْءٍ ، فَخُذْ مِنْ فَنَاْئِكَ الَّذِيْ لاَ يَبْقَى ، لِبَقَاْئِكَ الَّذِيْ لاَ يَفْنَى !) **فائدة**: يوم القيامة كائنٌ مقدّر لابدّ منه ، و كُلُّ مُقَدَّرٍ كَاْئِنٌ، وَكُلُّ كَاْئِنٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ، وَكُلُّ قَرِيْبٍ كَاْدَ أَنْ يَكُوْنَ ، كقوله ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ النازعات/٤٦ ، **عن النبي (ص)** : (إِذَاْ مَاْتَ أَحَدُكُمْ فَقَدْ قَاْمَتْ قِيَاْمَتُهُ) كنز العمال خبر٤٢١٢٣ .

**١٣٥ –** ﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾

أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقول للمعاندين من قومه اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ أي على حالكم على شاكلتكم والحالة التي يستقر عليها أمركم ورضيتموها لأنفسكم كقوله ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ الإسراء/٨٤ ، (**إِنِّي عَامِلٌ**) بهداية الله ومقيم على الدعوة الإسلامية كما أمرني الله تعالى غير منصرف عنه (**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ**) ومن يسعد ومن ينجح في عمله وتكون له العاقبة الحسنة في الدّار الآخرة و (الأُمُوْرُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْخَوَاْتِيْمِ) وجعل الجزاء مقروناً بنظر البصيرة معرضاً عن التصريح واستغنى بالتلميح و (رُبَّ تَلْمِيْحٍ أَبْلَغُ مِنْ تَصْرِيْحٍ) ، (**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) هذه هي القاعدة العامة التي لا تختلف شيئاً ، والذين لا يتبعون هدى الله وليس وراءهم إلاّ الضلال البعيد ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، فشرككم ظلم عظيم ولا يظفر الظالمون بمقاصدهم وإن طال بهم الأمد ليستكملوا الخزي ويستوجبوا العذاب ، ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ القصص/٨٣ .

﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾ النمل/٥٢ ، **في غرر الحكم**: (إِيَّاْكَ وَالظُّلْمُ فَمَنْ ظَلَمَ كُرِهَتْ أَيَّاْمهُ)، **وعن النبي (ص)** : (إِيَّاْكُمْ وَالظُّلْمِ فَإِنَّه يُخَرِّبُ قُلُوْبَكُمْ) البحار٣١٥/٧٥، وَيُنغِّصُ عيشكم، ويقلق نفوسكم، ويؤرّق ليلكم و(الظُّلْمُ فِيْ الدُّنْيَاْ ظُلُمَاْتٌ فِيْ الآخِرَةِ). **فائدة** : **١–** وَاللهُ سُبْحَاْنَهُ لَقَدْ أَمْهَلَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَهْمَلَ، وَسَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ ، وَأَنْذَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ أَعْذَرَ. **٢–** تشير الآية إلى أنّ أحوال الأمم عامة مرتبة بحسب أعمالها ، وأنّ أعمالها منبعثة من عقائدها وصفاتها النفيسة ، وأنّ عاقبة عمل الخير تكون نتيجته بالخير مثله ، لأنّ النتائج على قدر المقدّمات و(**الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاْعِ**) كقوله ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ الجاثية/١٥. **٣–** عبّر سبحانه عن (كفر) القوم بكلمة **الظلم** وهذا يعني أنّ الكفر هو إنكار لوجود الله وتغطية لآثاره وآياته وهذا

نوع من ظلم الاعتقاد فهو ظلمٌ بحق النفس وظلم بحق الغير وظلمٌ بحق المجتمع ، والعدالة مصدر قوة والظلم مصدر ضعف ، ولما كان الظلم يناقض العدالة فكان محكوماً عليه بالهزيمة والخسران (**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**).

**١٣٦ – ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**

يخبر الله تعالى عمّا عليه المشركون المكذبون للنبي (ص) من سفاهة عقل ، وعدّد تعالى شيئاً من خرافاتهم ، وأنّ معارضة هؤلاء السفهاء للحق لا تقدح برسالة الرسول فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق فذكر من ذلك : جعل مشركوا قريش لِلَّهِ مِمَّا (**ذَرَأَ**) أي خلق مِنَ الْحَرْثِ أي الزرع والأنعام من البقر والإبل والغنم ، **نَصِيباً** : سهماً ينفقونه على الفقراء (**هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا**) لِشُرَكَائِنَا أي لأصنامهم نصيباً يأخذه سدنة الأصنام وحراسها (**فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ**) كانوا إذا أجدب المحصول ويبس ما عينوه لله وأخصب ما عينوه للأصنام أبقوا لكلّ نصيبه (وإذا كان العكس) جعلوا المخصب للأصنام وعوضوه من نصيب الله ! وقالوا : هي فقيرة لا شيء لها ولله كلُّ شيء ، وهكذا يجمع العقل البدائي الجاهلي بين المتناقضات فالصنم أو الحجر الذي ليس بشيء هو في نفس الوقت شريك لله الخالق كلِّ شيء !! (**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**) بئس هذا الحكم الجائر في الجمع بين الله الخالق لكل شيء وبين الحجر الأصم ثمّ آثروا أصنامهم على الله سبحانه ، وهكذا الآن من يجمع من الناس بين عبادة الله (**بِزَعْمِهِمْ**) وبين عبادة الهوى والأنا والمال والجمال وحسن الحال وتعدد الأشكال ، وعبادة الأفكار الصنمية والغلو والخرافات والانحرافات باسم الدّين ، **فائدة** : **١–** (**بِزَعْمِهِمْ**) بدعواهم ، وأكثر ما يقال الزعم في الكذب. **٢–** كانوا في الجاهلية يسمون جزءاً من الزرع لله وجزءاً لأصنامهم ، فما ذهبت به الريح من نصيب الله إلى أوثانهم تركوه وما ذهب من نصيب أوثانهم إلى نصيب الله ردوه ، وكانوا إذا أصابتهم مجاعة أكلوا نصيب الله وحفظوا نصيب الأصنام ! **عن النبي (ص) عن الله تعالى** : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عملاً أَشْرَكَ فيه مَعِي غيري، تَرَكْتُهُ وَشِرْيكَهُ).

**١٣٧ – ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾**

ومثل ذلك التزيين لقسمة القرابين من الحرث والأنعام بين الله والأصنام كما في الآية السابقة كذلك زين الشياطين لكثير من المشركين شركاؤهم وهم سدنة الألهة وخدمتها وغيرهم من الرؤساء ، أن يقتلوا أولادهم ظلماً وعدواناً وقد نزلوا عن مرتبة الحيوان الذي يرعى أولاده ويحميهم من كلّ سوء ، ولكنّهم قتلوهم لأسباب نذكر منها – إتقاء الفقر كقوله ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**﴾

الأنعام/١٥١ ، أو لإتقاء العار بوأد البنات أو بنحر الأولاد للألهة للأصنام تقرباً إليها ، وسمى الله المزينين لهم الشرك من شياطين الإنس كالسدنة أو شياطين الجن شركاء ، وإن كانوا هم لم يسموهم لا آلهة ولا شركاء ولكن أطاعوهم طاعة خضوع كقوله ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ التوبة/٣١ ، (**لِيُرْدُوهُمْ**) أي ليهلكوهم بالإغواء والهدف الكامن وراء التزيين (**وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**) وليخلطوا عليهم دينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل (ع) ويدخلوا الشبهات فيه ، فرأوا دينهم الباطل في صورة الحق وليجعلوا دينهم عليهم ملتبساً غامضاً لا يقفون منه على تصوّر واضح ، (**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ**) ولو شاء الله ما فعلوا ذلك القبيح قهراً وجبراً لكنّه تعالى أراد أن يكون عباده أحراراً كي يمهّد أمامهم طريق التربية والتكامل وليس في الإكراه تربية ولا تكامل (**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) دعهم وما يختلقونه من الكذب على الله وفيه تهديد ووعيد ومبالغة في إهمالهم ، لو كان فيهم خيراً لما كان الشيطان يتحكم بهم ويفسد عليهم حياتهم ! ﴿**وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ الفرقان/٢٩، كقوله ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ فصلت/٤٠.

**فائدة: ١-** (**وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ**) هناك عادات وتقاليد في الجاهلية الحديثة كضلال الجاهلية القديمة مثل هذه الأزياء وعقيدة الغلو ووسائل الإعلام المفتوحة (الإنترنت) التي تفرض نفسها على الناس تكلفهم أحياناً ما لايطيقون وتفسد حياتهم وأخلاقهم وتلبس عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وتشوشه، والإعلام غزو ثقافي خطير، **في نهج البلاغة خطبة٢٧**: (مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا).

**١٣٨ -** ﴿**وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾

يستمر القرآن في نقد الخرافات الجاهلية ، والتي تكون لها مصاديق في كل جيل ولكن بأشكال جديدة ذكر سبحانه في هذه الآية أنّ المشركين قسّموا زرعهم وأنعامهم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: (**هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ**) فها هم يحجرون شيئاً من الثروة الحيوانية والزراعية بذريعة أنها مخصوصة من نشاء من خدم الأوثان والرجال دون النساء. **المعنى : الحجر** : الحرام والمحجور الممنوع ، قال المشركون هذه أنعام وزروع حجر أفردناها لآلهتنا حرام ممنوعة على غيرهم (**لا يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَاءُ**) لا يأكل منها إلاّ من شاء الله أو من شاؤوا هم وهم النفعيون (**بِزَعْمِهِمْ**) الباطل من غير حجة ولا برهان (**وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا**) القسم الثاني : وقالوا : هذه أنعام أخرى لا تركب ولايحمل عليها ! وتترك سائبة ، وهذا القسم الثالث : (**وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا**) عند الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء آلهتهم الأصنام (**افْتِرَاءً عَلَيْهِ**) والأعجب من ذلك أنّهم يدّعون أنّ الله أمرهم بذلك كلّه كذباً وإختلاقاً على الله (**سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**) سيجزيهم على ذلك الافتراء والكذب ، وهو تهديد ووعيد كقوله ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ يونس/٥٩.

**١٣٩ –** ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

هذه إشارة إلى نوع آخر من أنواع قبائحهم الجاهلية ، أي قالوا ما في بطون هذه البحائر والسوائب من هذه الأنعام ما يولد حياً من بطونهم فهو حلال لذكورنا خاصة **(وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا)** أي لا تأكل منه الإناث ، التمييز التعسفي بين المرأة والرجل عمل جاهلي خلاف الفطرة **(وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ)** وإن كان هذا المولود منها ميتة إشترك فيه الذكور والإناث **(سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ)** سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم **(إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)** حكيم في صنعه عليم في خلقه. **فائدة** : **١-** تدلّ الآية على أمر دقيق في أسلوب بلاغي رصين وهو كون الجزاء على الوصف الذي أحدث في النفس من أثرٍ حسن أو سيء كأنّه أصل العمل ، **٢-** **(وَقَالُوا)** تأثير الكلام ليس مجرّد صوت يطرق السمع بلا تأثير بل هو وسيلة هدى أو هو وسيلة ضلال.

**١٤٠ –** ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

والله لقد خسر هؤلاء السفهاء الخسارة الفادحة في الدّنيا والآخرة ، الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر والعار أي خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم وصاروا سفهاء **(سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ)** جهالة وسفاهة لخفة عقولهم وكثرة جهلهم ، بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلُّ على حياة الجهل والبؤس والفقر **(وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمْ اللَّهُ)** حرموا على أنفسهم من الطيّبات كما أحلّوا بعض المحرّمات كأكل الميتة **(افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ)** كذباً على الله لأن التحريم منهم وليس من الله تعالى ، وفي عصرنا الحاضر قد امتهن بعض النّاس الكذب وتفنّنوا فيه وما زالوا يكذبون على الله ورسله ورسالاته وعلى بعضهم البعض وعلى أنفسهم ، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ النحل/١٠٥ ، **عن الإمام الحسن العسكري**(ع): (جُعِلَتِ الْخَبَائِثُ فِي بَيْتٍ وَجُعِلَ مِفْتَاحُهُ الْكَذِبُ) البحار٧٢/٢٦٣، **(قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)** لقد ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً عن الطريق المستقيم بفعلهم القبيح وما كانوا من الأصل مهتدين لسوء سيرتهم. **فائدة** : **عن إبن عباس** : (إِذْا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَإِقْرَأْ مَا فَوْقَ ١٣٠ مِنْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ) المراغي٨/٤٨.

**١٤١ –** ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

هو الذي أنعم عليكم أيّها النّاس بأنواع النعم لتعبدوه وحده. فخلق لكم **(جَنَّاتٍ)** أي بساتين من الكروم (العنب) منها **(مَعْرُوشَاتٍ)** أي مرفوعات على عيدان ومنها **(غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ)** ملقيات على وجه الأرض لم تعرش **(وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ)** وأنشأ لكم أصنافاً متعدّدة ولكلّ صنف طعم

خاص ومميز عن غيره بعدّة مميزات نوعية ، تُسْقَى مِنْ ﴿**مَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ**﴾ الرعد/٤ ، ومنها شجر النخيل المثمر فهو فاكهة وقوت ، وأنواع الزرع المحصل لأنواع الطعام مختلفاً ثمره وحبه في اللون والطعم والحجم والرائحة والشكل (**وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**) متشابهاً في اللون أو الشكل وغير متشابه في الطعم والفائدة (**كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**) كلوا أيها الناس من ثمر كلّ الأشجار المثمرة المذكورة وغيرها (**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**) والحق المذكور أعمّ من الزكاة المفروضة أي أعطوا وتصدقوا على الفقراء والمساكين مما رزقكم الله من ثمره يوم الحصاد ما تجود به نفوسكم من الزكاة غير الواجبة ، كما **ورد عن الإمام الصادق** (ع) ، وِمنَ الزَّكَاةِ المَفْرُوضَةِ الوَاجِبَةِ ، كقوله ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ المعارج/٢٤-٢٥ ، ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ البقرة/١١٠ ، وليس لأحدٍ من الأغنياء منّةٌ على هؤلاء الفقراء ولا فضل عليهم لأنّه هو أعطاهم ممّا عند الله ممّا جعله الله أمانة عنده كقوله ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ الحديد/٧.

**في نهج البلاغة حكم١٣٨**: (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَةِ) ، **عن النبي (ص)** : (إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُثْرِيَ اللّهُ مَاْلَكَ فَزَكِّهِ) البحار٩٦ص٢٣، **في غرر الحكم**: (لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاْةٌ، وَزَكَاْةُ الْعَقْلِ اِحْتِمَاْلُ الْجُهَّاْلِ)، **وعن الإمام الصادق** (ع): (الْمَعْرُوْفُ زَكَاْةُ النِّعَمِ ، وَالشَّفَاْعَةُ زَكَاْةُ الْجَاْهِ، وَالْعَمَلُ زَكَاْةُ الأَبْدَاْنِ ، وَالْعَفْوُ زَكَاْةُ الظَّفَرِ، وَمَاْ أَدَّيْتَ زَكَاْتَهُ فَهُوَ مَأْمُوْنُ السَّلْبِ) البحار٢٦٨/٧٨، (**وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن ، والإسراف مضرٌّ في كلِّ شيء ، فنهاهم عن الإسراف وهو تجاوزهم الحد الطبيعي والإنفاق بغير موجب له وزيادة عن الحاجة ، ونهاهم عن التقتير والبخل وأمرهم بالاعتدال في الانفاق وفي الإستهلاك وفي كلِّ شيء ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ الفرقان/٦٧ ، **عن النبي (ص)** : (لاَ خَيْرَ فِيْ السَّرَفِ، وَلاَ سَرَفَ فِيْ الْخَيْرِ) البحار١٦٩/٧٧.

**١٤٢** - ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

وَهُوَ خَلَقَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ حيوانات كبيرة للحمل والنقل كالجمال والخيل (**وَفَرْشاً**) حيوانات صغيرة كالماعز والأغنام (**وَالفَرْش** : ما يفرش للذبح وما يتخذ الفرش من صوفه وشعره ووبره ما تأكلون وتحلبون (**كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ**) من اللحم واللبن وإشكروا الله تعالى على فضله (**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**) وطرقه الملتوية وأوامره وخططه ووساوسه الماكرة في التحليل ما حرّم الله والتحريم ما أحل ، والإفراط والتفريط في الإنفاق كالتبذير أوالتقتير ويقيم بينكم وبين أنواع النعم حواجز نفسية تقلل من قيمة هذه النعم وتفسد عليكم استخدامها الجيد ، فلا ترون فيها كمال النعمة وإحسان المنعم (**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) إنّ الشيطان ظاهر العداوة للإنسان فاحذروا كيده ، فلا يأمركم إلاّ ما في ظاهره ما

يغر ويسر وفي باطنه ما يضر ﴿**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ البقرة/١٦٩، **عن إبن عباس:**(مَا خَالَفَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) الدر المنثور١/١٦٧، وأن يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق ويسمى ما ليس من الدين باسم الدين.. فهو من خطوات الشيطان كقوله ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ محمد/٢٥ ، وقوله ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ الأنعام/٤٣.

**١٤٣ -** ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

كلمة الزوج تطلق على كلِّ واحدٍ له قرين كأحد الزوجين ﴿**خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى**﴾ النجم/٤٥، **المعنى:** وأنشأ لكم من الأنعام ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ أحل لكم أكلها مِنْ الضَّأْنِ ذكراً وأنثى (الكبش (الغنم) والنعجة) وَمِنْ الْمَعْزِ ذكراً وأنثى (التيس والعنز) وَمِنْ الإِبِلِ اثْنَيْنِ البخاتي والعراب وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ زوج داجنة للناس والزوج الآخر البقر الوحشية وكل طير طيب وحشي وأنسي (**قُلْ أَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الأُنْثَيَيْنِ**) هذا إنكار لما كانوا يفعلونه من تحريم ما أحلّ الله ، أي قل لهم يا محمد على وجه التوبيخ : آلذَّكَرَيْنِ من الغنم والمعز حَرَّمَ الله عليكم أيها المشركون أَمْ الأُنْثَيَيْنِ منهما ؟ أي هل الله حرّم الذكور منها أم الإناث ؟! (**أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ**) أي أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى ؟ **بمعنى** : أم أنّه حرّم عليكم ما في بطون الإناث من الأغنام أم ما في بطون الإناث من المعز ؟ (**نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**) أخبروني عن الله بأمر معلوم وبدليل وحجة لا بافتراء ولا بظن إن كنتم صادقين في نسبة ذلك التحريم إلى الله ، وفيه تعجيز وتوبيخ ؟

**١٤٤ -** ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

و أَنشأَ لَكُمْ مِنْ الإِبِلِ اثْنَيْنِ هما الجمل والناقة (الذكر والأنثى) وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ هما الجاموس أو (الثور) والبقرة (**قُلْ أَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ**) كرره هنا مبالغة في التقريع والتوبيخ ، والمقصود إنكار أن الله سبحانه حرّم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارةً ، وإناثها تارةً وأولادها تارةً أخرى ، أم تحريم الأجنّة من بطن الناقة ومن بطن البقرة ، فقل من أين أتيتم بهذا التحريم؟ (**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا**) زيادة في التوبيخ أي هل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم ؟ أم علمتم تحريم ذلك عن طريق العقل ؟! أم شهدتم أمر الله بتحليل أو تحريم شيء من هذه الأنعام ؟ (**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**) لا أحد أظلم أو فمن أشدّ ظلماً وإجراماً ممن كذب على الله فنسب إليه تعالى تحريم ما لم يحرم بغير دليل ولا برهان ليضل النّاس بجهلهم ؟

وإنّكم إذ ظلمتم فإنّكم لن تهتدوا **(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** عموم في كلّ ظالم ، وهم بهذا الباطل ظالمون معتدون، **فائدة** : إنّ الله سبحانه خاطب هؤلاء القوم من واقع حياتهم وعلى قدر عقولهم ، ونحن مأمورون بأن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويوجه القرآن خطابه لكل من يساهم في ظلم البشرية ويجرها للهاوية بعلمهم المنحرف وجرأتهم على الله تعالى وأنه تعالى لا يهدي الظالمين سبيل سعادتهم.

**١٤٥** – ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قُلْ يا مُحَمّد لكفار مكة لا أَجِدُ فِي مَا أُوحاه الله إليّ من القرآن شيئاً مُحَرَّماً من المطاعم عَلَى أي إنسان من ذكرٍ أو أنثى إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ذلك الطعام **(مَيْتَةً)** وهي كلُّ من مات من دون تذكية شرعية والتي تموت حتف أنفها **(أَوْ دَماً مَسْفُوحاً)** أَوْ دَماً سائلاً مصبوباً لا كالكبد أو المختلط باللحم لا يمكن فصله عنه ، أَوْ يكون لَحْمَ خِنزِيرٍ **(فَإِنَّهُ رِجْسٌ)** قذر ونجس وخبيث في ذاته لتعوده أكل النجاسات وهذا سبب لمختلف الأضرار الجسدية والنفسية وهذا يعود للمَيْتَةِ وَالدَم ولَحْمَ الخِنزِيرِ **(أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)** أو يكون المذبوح فسقاً ذبح على اسم غير الله ، وسمّي فسقاً مبالغة كأنه نفس الفسق أويؤدي إلى الفسق وهو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته ، ويقسّي القلب ويجفف منابع الروح في حركة النفس ويدفع إلى عمل كبائر الذنوب فيكون الخروج عن طاعة الله منشأ لمختلف الأضرار الأخلاقية والمعنوية **(فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** من أصابته الضرورة (والضرورة تقدر بقدرها) واضطرته إلى أكل شيءٍ من المحرمات حفاظاً على حياته فلا إثم عليه ، إن كان **(غَيْرَ بَاغٍ) الباغي** : الذي يفعل الحرام من غير ضرورة ، أي غير قاصد التلذذ بأكلها بدون ضرورة وهو لا يجد غيرها **(وَلا عَادٍ)** أي مجاوز قدر الضرورة التي تدفع عنه الهلاك **(فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** فالله غفور رحيم بالعباد.

**فائدة: ١– (فَإِنَّهُ رِجْسٌ)** وصف شامل لكل محرّم ، فإن المحرمات كلها رجس وخبث وقذر ، وإن كان بعض المحرمات ظاهرها يغر ويسر ولكن باطنها يضر ، وتدفع إلى الكبائر ولو بعد حين وتتسامح في إرتكاب صغائر الذنوب **﴿وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ﴾** الأعراف/١٥٧ ، **في غرر الحكم**: (مَاْ نَهَى اللهُ سُبْحَاْنَهُ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَأَغْنَى عَنْهُ)، **وفيه أيضاً**: (إِذَاْ رَغِبْتَ فِيْ الْمَكَاْرِمِ، فَإِجْتَنِبْ الْمَحَاْرِمْ). **٢– (فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ)** ثبت في السنّة النبوية العديد من المحرمات لم يذكرها القرآن منها كلُّ ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور **٣– (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)** ذكر غير الله عند ذبحه ، وأصل الإهلال : الصياح لرؤية الهلال ثمَّ أطلق على تكبير الله.

**١٤٦ – ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾**

يذكِّر القرآن أن اليهود لما بغوا وظلموا عوقبوا بشكل خاص بتحريم كل حيوان له ظفر بمعنى له أصبع من دابّة أو طائر ، أي غير مشقوق القدمين كالجمل والحصان والبط والوز (**وَمِنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا**) حرّمنا عليهم أكل شحوم البقر وشحوم الغنم (**إلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا**) إلاّ الشحم الذي علق بالظهر منهما (**أَوْ الْحَوَايَا**) الأمعاء والمصارين والشحوم المتصلة بهما غير محرّمة (**أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**) كشحم الألية **بمعنى** : أن الشحم الذي تعلّق بالظهور أو إحتوت عليه المصارين أو إختلط بعظم كشحم الألية جائز لهم (**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ**) ذلك التحريم بسبب بَغْيِهِمْ أي ظلمهم وعدوانهم ، والتمرد على أوامر الله ونواهيه ، الذي سبق من قتل الأنبياء وأكل الربا واستحلال أموال الناس بالباطل وإلاّ فقد كان حلالاً وفق طبعه الأولي وفي هذا دلالة أنّ (**الْبَلاَءُ عَلَى قَدَرِ الطِّبَاْعِ**) (**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**) فيما قصصنا عليك يا مُحَمَّد ، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً**﴾ النساء/٨٧ ، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمَاً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ المائدة/٥٠. والسبب في تحريم شحوم البقر والغنم، أن القرابين عندهم لا تكون الاّ منهما، وكان يتخذ من شحمهما الوقود للرب، كما في سفر اللاويين (كُلُّ الشَحْمِ لِلربِ فَرِيضَةٌ فِي أَجْيالِكُمْ، فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِهِمْ، لَا تَأْكُلُوا شَيْئاً مِنْ الشَحْمِ وَلَا الدَمِ).

**١٤٧ – ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾**

إن كذبوك يا مُحَمَّد فلا تجعلهم في يأس من رحمة الله حيث لم يعاجلهم بالعقوبة مع شدّة إجرامهم ، وقل لهم : إن الله يقبلكم ويصفح عنكم إن تبتم ورجعتم عن ضلالكم فإن طريق الله المستقيم مفتوح أمام الجميع ، فلا تغترّوا بإمهاله فإنّه أمهل حتى كأنّه أهمل ! وقل متعجباً من حالهم (**رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ**) بلا ريب إلاّ أن ذلك لا يتنافى مع عقاب المجرمين لأنه أيضاً مظهر للرحمة والعبرة ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**﴾ فصلت/٤٣، **في نهج البلاغة خطبة١٩٥:** في صفة الله تعالى (لاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، ولا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ)، **وفيه أيضاً خطبة١٨٦:** (يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ) (**وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**) لا تغتروا بسعة رحمة الله فهو سبحانه مع سعة رحمته ذو بأس شديد للمعاندين ﴿**وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ المائدة/٩٥ ، وقد جمعت الآية بين الرحمة والنقمة وبين الترغيب والترهيب حتى لا يقنط المذنب من الرحمة ولا يغتر العاصي بحلم الله ، والله تعالى يخاطب قلوبهم بهذا وذاك لعلّها تهتز وتهتدي. وقدّمت الآية رحمة الله على الانتقام لأنّ رحمة الله سبقت غضبه.

**١٤٨ – ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾**

**شبهة وردها:** الذين يتقبلون النصح ويتبعون أحسن القول قليلون جداً ، وأقل منهم من يرون عيوب أنفسهم ويعترفون بها ، فإن الأكثرية الغالبة يرون عيوبهم فضائل وسيئاتهم حسنات ﴿**كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يونس/١٢ ، فإن عجزوا عن تحسين قبائحهم تبرأوا منها ، وأحالوها إلى مشيئة الله وإلى القضاء والقدر ، والله سبحانه منزه عما يصفون ، إنه تعالى يأمرهم وينهاهم ويجعل لهم الخيار فيما يفعلون ويتركون ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ الأنفال/٤٢، **المعنى:** إدّعى المشركون أن شركهم وشرك آبائهم ، وتحريم ما حرموا من الحرث والأنعام إنّما كان بمشيئة الله وأمره ، ولو شاء أن لا يشركوا لمنعهم عن الشرك بالإجبار فلم يفعل فهو راضٍ بما نفعله ! فهم يتذرعون إنهم مجبرون لا مخيرون فيما أشركوا فلو كان الله لا يريد منهم الشرك لمنعهم منه بقدرته التي لا يعجزها شيء ، كقوله ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ النحل/٣٥ ، ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾ الزخرف/٢٠ ، ﴿**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾ يس/٤٧ ، **وكانوا يقولون:** كل ما نفعله فهو مما يريده الله ويشاؤه ، ولو أنه لم يكن يريدها لما صدرت منا ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ الأنعام/٦١ .

**والجواب:** إنهم يجهلون سنن الله في خلقه ، فيضعون شبهة يريدون الخروج من المسؤولية والتخلّص من تبعاتها ، والتماس الحجة لهم فيمن ظلموه واعتدو عليه، وهم لا يعتقدوا قبح أفعالهم بل إنها مشروعة!! **ويؤكد القرآن** بأن الله لا يجبر على فعل ، وعدم مشيئة الله للشرك لا تعني إجبارهم إذ ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيّ**﴾ البقرة/٢٥٦ ، لأن الجبر ليس من صفات العدل والحرية والكرامة، ويسقط الثواب والعقاب والحساب فيكون لا حاجة للجنة ولا للنار، فيكون الإنسان كالملائكة وبذلك تتغير سنن الله في خلق الإنسان الخليفة ، وإنما الإنسان مخير في طاعته ومعصيته ومحاسب على اختياره ومسؤول عنه ، ولا يعني أنّ الله سبحانه راضٍ عن اختيارنا لطريق المعاصي ، يريد الله تعالى أن يؤمن الناس ويستقيموا إرادياً دون إكراه وإجبار ، لأن الله تعالى بيّن له الخير وأمر به وأثابه عليه ، وكرّه له الشر ونهاه عنه وعاقبه عليه ، فمن أطاع باختياره أصاب سبيل السلامة ومن عصى باختياره سلك سبيل الندامة فعليه عاقبة معصيته، **في غرر الحكم:** (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ) وهو الذي يبني مستقبله الدنيوي والأخروي بنفسه ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ الإنسان/٣ ، ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد/١٠ ، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ الشمس/٧-٨ ، ويحث القرآن في جوابهم ، فهم ليسوا وحدهم يفترون على الله مثل هذه الأكاذيب وزرع الشبهات (**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا**) وقد تشابهت آراء المشركين والمكذبين وأفعالهم سواء السابقين أو المعاصرين ، إنهم ابتدعوا الكذب وتفننوا فيه وإتهموا

الله فيه وتجاوزوا حدود الأدب مع الله ، حتى ذاقوا جزاء كذبهم وتطاولهم وتعدي حدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، حتى أنزلنا عليهم العذاب (**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**) استفهام إنكاري يقصد به التهكم ، أي قل لهم هل عندكم حجة أو برهان على صدق قولكم فتظهروه لنا ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ البقرة/١١١ ، (**إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ) تَخْرُصُونَ** : تكذبون ، تخمنون والتخمين أضعف الظن ، إنكم لستم على شيء من العلم ، بل ما تتبعون في عقائدكم في الدين والعمل به إلاّ الظنون والأوهام والحدس والتخمين الذي لا يستقر عنده حكم ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ يونس/٣٦ ، **في نهج البلاغة حكم١٥٠**: (لاَ تَكُنْ مِمَّنْ.. تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَاْ يَظُنُّ، وَلاَ يَغْلِبُهَاْ عَلَى مَاْ يَسْتَيْقِنُ). **فائدة : سؤال**: الأنبياء (ع) نهوا عن الوثنية والمحرمات جميعاً فلا آباؤهم استجابوا ولا هم ، فكيف نعتبر الله راضياً عنهم بهذه الأعمال ؟ **الجواب** : ودعوة الأنبياء (ع) لإلقاء الحجة على النّاس ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ النساء/١٦٥ ، دليل على حرية الإنسان في اختياره وهو مسؤول ومحاسب عن اختياره ، وقضى الله سبحانه أن تكون حرية الإنسان ضمن حدود مشيئة الله وإرادته ، ومسؤوليته عن أفعاله في حدود قدرته عز وجلّ وحكمته ، **عن الإمام علي** (ع) : (إِنَّهُ لَيْسَ لِهَاْلِكٍ هَلَكَ مِنْ يَعْذُرُهُ فِيْ تَعَمُّدِ ضَلاَلَةٍ حَسِبَهَاْ هُدَىً ، وَلاَ تَرْكُ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلاَلَةٌ) البحار٥/٣٠٥، ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الإسراء/٧٢.

**١٤٩ - ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**

قل لهم إن لم تكن لكم الْحُجَّةُ المقنعة (**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**) أي البينة والدلائل والبراهين الواضحة القوية القاطعة التي بلغت غاية الظهور والمتانة والإقناع وتقطع كل عذر ، وهي أقصى درجات القوة إنّما هي لله وحده عليكم (**فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**) فلو شاء الله لهدى الناس جميعاً بالإكراه والإجبار عليها وترك الشرك والمعاصي ، ولكن شاء هداية قوم لاستعدادهم لها واختيارهم إيّاها ، وشاء الله تعالى ضلال آخرين لحبهم له واختيارهم إياه كقوله ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ الأنفال/٢٣، ولو فعل الهداية القسرية لبطل التكريم والتكليف وانتفى الثواب والعقاب والحساب وإنما ترك لكم الاختيار والمسؤولية من بعده. ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ الصافات/٢٤ ، ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ الكهف/٢٩. **فائدة : ١-** روي: (إِنَّ اللهَ تَعَاْلَى يَقُوْلُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَاْمَةِ (عَبْدِيْ أَكُنْتَ عَاْلِماً) فَإِنْ قَاْلَ نَعَمْ قَاْلَ لَهُ (أَفَلاَ عَمِلْتَ بِمَاْ عَلِمْتَ)؟ وَإِنْ قَاْلَ كُنْتُ جَاْهِلاً قَاْلَ لَهُ (أَفَلاَ تَعَلَّمْتَ حَتَّى تَعْمَلَ فَيَخْصِمُهُ) ، فتلك حجة الله البالغة البحار٢/٢٩ (كمصداق). **٢- عن الإمام الكاظم** (ع) : (إِنَّ للهِ عَلَى النَّاْسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةٌ

ظَاْهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاْطِنَةٌ ، فَأَمَّاْ الظَّاْهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاْءُ وَالأَئِمَّةُ (ع)، وَأَمَّاْ الْبَاْطِنَةُ فَالْعُقُوْلُ) الكافي ج١ص١٦.

**١٥٠ - ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾**

**هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ** : أحضروا شُهَدَاءَكُمْ ، أي أروني واحداً يقول : إنّ الله أوحى إليه بأنه تعالى حرّم ما حرّمتم ، وهم لا يملكون مثل هؤلاء الشهداء بل يكتفون بإدعائهم أنفسهم فقط ، إنّها مواجهة هائلة وفاصلة على حقيقة هذا الدين القيم ، وفيه تهديد شديد لمن يفتي الناس بغير علم بالخيال والاحتمال **عن النبي** (ص) : (مَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَاْنَ مَاْ يُفْسِدُهُ مِنَ الدِّيْنِ أَكْثَرَ مِمَّاْ يُصْلِحُهُ) البحار٢/١٢١، **وعنه** (ص) : (أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفَتْوَى أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّاْرِ) البحار٢/١٢٣**(فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ)** فإن حضروا وكذبوا في شهادتهم فلا تشهد معهم ولا تصدقهم لأنّ شهادتك إتّباع لأهوائهم ومحال أن النبي (ص) يشهد مع المشركين ويتبع من كذّب بنبوته **(وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ)** ولا تتبع أهواء المكذبين بآيات الرحمن الباهرة الذين لا يُصدّقون بالآخرة ومن لا يؤمن بالآخرة لا يخشى عاقبة الكذب ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ الزمر/٣ ، **(وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)** أي يتخذون له سبحانه ندّاً وشريكاً وعديلاً يعادله ويساويه ويشاركه في الخلق في جلب الخير ودفع الضر، وهو الله الواحد القهّار. ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/١٣ ، ولا يجترئ على ذلك مع كمال البيان ووضوح البرهان إلاّ الذين يتبعون الأهواء والتقليد الأعمى ﴿**أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾ الفرقان/٤٣ ، **في الآية دلالة** : على أنّ الرسول (ص) هو الشاهد على الحق في دار الدّنيا ، وكلّ شهادة على حكم تشريعي لابدّ أن ترجع إليه (ص) للتصديق عليها وإلاّ كان باطلاً ، **وتدلُّ الآية أيضاً** : إنّ إنكار الآخرة يؤدي إلى إتخاذ الشركاء مع الله وهم أساس كلّ رذيلة ، وفيهم البعدُ عن الحق والواقع وإهمال للعقل والنقل والمنطق.

**١٥١ - ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**

إنّها عشرة وصايا إلهية مهمة لكلّ إنسان في كلّ زمان ومكان ، مجموعة في ثلاث آيات، في هذه الآية خمس منها، **المعنى**: قل يا مُحَمّد تعالوا أقرأ الذي حرمه ربكم عليكم باليقين لا بالظن والتخمين **(أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)** ونفي الشرك الجلي والخفي ، والشرك بالله هو أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الخالق ، وقدّم الشرك لأنّه أساس المحرمات ولا يقبل الله تعالى معه شيئاً من الطاعات، نفي الشرك

يقابله ثبوت التوحيد أي توحدوه وتعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره ، والتوحيد أصل الدين وأساس العقيدة وحياة النفس وقوة الإيمان ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ الشورى/١١ ، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال (**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**) وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً ومن الإحسان إدخال السرور إليهما، وذُكر ضمن المحرمات لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده ، فكأنه قال : ولا تسيئوا إلى الوالدين، والسر في ذلك المبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة إليهما غير كافٍ في قضاء حقوقهما، وقرن سبحانه بر الوالدين بالتوحيد لأهميته في استقرار النفس واستقامة المجتمع ، (**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**) بعد أن أوصى الأبناء بالآباء أوصى الآباء بالأبناء ، ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر (**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**) رزقكم ورزقهم علينا فإن الله هو الرزاق للعباد ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ الذاريات/٥٨ ، **عن الإمام العسكري** (ع): (لاَ يَشْغَلْكَ رِزْقٌ مَضْمُونٌ عَنْ عَمَلٍ مَفْرُوضٍ) البحار٧٨/٣٨٤ (**وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**) كل ما تجاوز الحدّ في القبح فهو فحش (ماظهر منها) أفعال الجوارح (وما بطن) أفعال القلوب، والمراد ترك المعاصي كلها، والورع عن محارم الله. ولا تقربوا المنكرات الكبائر كلها علانيتها وسرّها، كالقول البذيء والعمل القبيح، والشرك واللّواط والتهتك... إلخ.

كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنى بأساً في السر ، يستقبحونه في العلانية ، فحرمه الله في السر والعلانية وجيء بـ (**الفواحش**) بالجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها ومقدّماتها (**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**) لا تقتلوا النفس البريئة التي حرّم الله قتلها إلاّ بموجب عقلي وشرعي وقانوني كالقصاص العادل، وكل الشرائع السماوية والأرضية تحرّم القتل إلاّ بالحق ، وحرّم قتل النفس المسلمة بعصمتها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي الإرهابي ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ المائدة/٣٢.

(**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) ذلكم ما أمركم به أمراً مؤكداً لعلكم تسترشدون بعقولكم وهو ما تدركه عقولكم بأدنى تأمّل ، إلى فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ، فتهذِّب نفوسكم الأمّارة بالسوء وتعقل هواكم وتحبسه عن المنكرات. **فائدة** : **١-** في لفظ (**وَصَّاكُمْ**) من اللطف والرأفة وجعلهم الله أوصياء له سبحانه وفيه من الإحسان الكثير ، إنّها وصايا عشر عالية المضامين ظاهرها أنيق وباطنها عميق ولها دلالات واسعة ، جمعت في ثلاث آيات من **١٥١-١٥٣** ، **٢-** والنهي عن التقرب إلى الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها لأنّ الإقتراب من الشيء يغري به ، **٣-** (**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**) جاءت النفس مطلقة (كل نفس) كريمة على الله لا يجوز قتلها إلاّ بالحق ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ المائدة/٤٥ ، **٤-** دلّت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به ،

فتكون العبادات على قدر العقل والإيمان. **٥- الزنا بين قتلين في القرآن الكريم** : كقوله ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ... وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ... وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**﴾ الأنعام/١٥١ ، وفي الإسراء/**٣١-٣٣** قوله ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ... وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى... وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**﴾ ، لا يحلّ دم إمرئ عموماً إلاّ بأحد أمور أربعة : كفر بعد إيمان (في الارتداد) وزنا بعد إحصان ، وقتل نفسٍ بغير حق ، وفي قوله في سورة المائدة / **٣٣** ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ**﴾ تفسير الكاشف٣/٢٨٣، **ونلاحظ: يذكر القرآن المنكرات الثلاثة متتابعة**:الشرك والزنا وقتل النفس، وإنّها كلّها جرائم قتل حقيقي أو قتل معنوي كقتل الفطرة وقتل الأخلاق وقتل النفس اللوّامة، **عن إبن عباس**: (إِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ الرَّجُلِ فِي ثَلاثَةِ مَنَازِلَ، فِي بَصَرِهِ وَقَلْبِهِ وَذَكَرِهِ، وَهُوَ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي ثَلاثَةِ مَنَازِلَ، فِي بَصَرِهَا وَقَلْبِهَا وَعَجُزِهَا). **عن الإمام الصادق (ع) في قوله (مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ)**: (إنّ اللهَ تبارَكَ وتَعالى غَيُورٌ يُحِبُ كُلَّ غَيُورٍ، ولِغِيرَتِهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا) نور الثقلين١/١٧٧

**١٥٢** - ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(**وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**) ولا تتصرّفوا به بوجه من الوجوه إلاّ بالطريقة التي هي أنفع له لحفظه وتنميته (**حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**) حتى يصير بالغاً رشيداً ﴿**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ النساء/٦، والنهي عن القرب منه أبلغ من النهي عنه بالذات ، ويعم وجوه التصرف لأنه إذا نُهي عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى ، والنهي عن الأسباب والوسائل التي تؤدي إلى أكله والتي هي أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله ، وهو أن يعمل له عملاً مصلحاً فيأكل منه بالمعروف وكأنّما يعمله لنفسه (**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**) بالعدل والتسوية في الأخذ والعطاء ولا تطففوا ﴿**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ الأعراف/٨٥.

والوفاء في كلّ شيء في البيع والشراء والقرض وفي كلّ التعاملات (الْعَدْلُ أَسَاسُ الْمُلْكِ) ومفتاح لكلّ خير ، **عن النبي (ص)** : (لأصحاب الكيل والميزان: إِنّكم وُلِّيْتُمْ أمراً هَلَكَتِ فِيْهِ الأُمَمُ السالِفَةُ قَبْلَكُمْ) المراغي٨/٧١ (**لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**) لا نكلّف أحداً إلاّ بمقدار وسعها أي قدرته وطاقته بما لا يعجز عنه ، وذكره بعد وفاء الكيل لأن إيفاء الحق عسرٌ فعليكم بما في وسعكم أي إحرصوا على الوفاء به بقدر الطاقة وما وراءه معفوٌّ عنكم (**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**) إعدلوا وأنصفوا في كلّ قول كالشهادة والفتوى وراقبوا كلامكم وزنوه بالصدق ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ فاطر/١٠ ، في كلّ شؤون حياتكم واعتمد العدل فيما لك وعليك ، هذا المحك لمن يخاف الله ويخلص له ويشعر أمامه بالمسؤولية ولا فرق في نصرة الحق بين القريب والغريب والعدو والصديق وأن لا تتأثر بالعشائرية والعنصرية ، فلا تحرّفوا الكلام وتجاوزوا الحق فتقضوا بما فيه رعاية جانب من

تحبونه وإبطال حق من تكرهونه ، (**وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**) كل أوامر الله ونواهيه هي عهد الله وامتثاله هو الوفاء به ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾ الإسراء/٣٤ ، وهذا عام في جميع ما عهده الله إلى عباده وفيما انعقد بين الناس وأضيف إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به (**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) **تَذَكَّرُونَ** : تتعظون وترجعون إلى فطرتكم السليمة ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ الزمر/٩ ، وفيه تأكيد للتكاليف المذكورة وضرورة حفظ حدود الله فيها ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، **فائدة** : ومن الغريب أن يتنكر عالمنا الإسلامي اليوم لهذه الوصايا الإلهية المهمة التي تقدم المجتمع حضارياً ونفسياً، **عن الإمام علي** (ع) (إنّ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَىٰ تَضُرُّهُ الضَّلَالَةُ، وَمَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْيَقِيْنُ يَضُرُّهُ الشَّكُ) شرح النهج ٩١/٢.

**١٥٣ -** ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾

وممّا وصّاكم به ربكم هذه الوصية العاشرة وهي عامة وشاملة وعزيزة وثمينة، وتبين الوسائل التي يسلكها الإنسان إذ يجب أن تصبّ في الهدف النبيل وهو رضا الله تعالى **المعنى** : وَأَنَّ هَذَا ديني القيم المستقيم المشروع هو دين الله لشرعته لكم لا اعوجاج فيه أساسه (القرآن الكريم) كقوله ﴿**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ الأنفال/٢٤ ، الذي فيه خير الدنيا والآخرة وفيه اطمئنان القلوب واستقامة السلوك (**فَاتَّبِعُوهُ**) وحده وإقتدوا به وإعملوا به واعتقدوا بصحته، فتمسكوا به ولا تتفرقوا فيه ، (**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**) ونهى عن التفرّق لأنّ السبل المتعدّدة ليس لها حدود ولا قيود ولا تتبعوا الأديان والمبادئ المتعدّدة والأحزاب المتشعبة المتناحرة والسبل المختلفة ذات البدع والشبهات المتنوعة المشوهة للدّين ، فإنها الطرق الملتوية التي ظاهرها يغر وباطنها يضر لأنّ فيها الضلال والضياع.

(**فَتَفَرَّقَ**) فتخرجون من الطريق المستقيم لأنّ الطريق المستقيم أقرب الطّرق إلى مرضاة الله وأيسر الطرق ولا اختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه، فهو الطريق السهل والمتوازن والمتناسق مع الفطرة (**فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**) فتفرقكم وتزيلكم عن سبيل الهدى والرحمن إلى سبيل الهوى والشيطان ، وتعانوا من الإفراط والتفريط وتكونوا نحو اليمين والشمال ، وإنّما هلك من كان قبلكم بالتفرقة والنزاعات، وجاء (**صِرَاطِي مُسْتَقِيماً**) بالمفرد وجاءت (**السُّبُلَ**) بالجمع ، **بمعنى**: مجرد أن تنحرف عن صراط الله الواحد فسوف تقع في السبل المتعددة الكثيرة الضالة الباطلة المتطرفة التي لا حصر لها! وأيضاً يأتي (**النور**) بالمفرد و(**الظلمات**) بالجمع كقوله ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ البقرة/٢٥٧ ، وقوله ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢، الحق جاء بالمفرد والضلال بالجمع، ونحن لا نزال في كل ركعة من الصلاة نقول (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الحمد/٦، ومن زلَّ عن هذا الصراط في الدنيا، زلَّ عن صراط الآخرة، **عن النبي** (ص) (أثبَتَكُم قَدَماً عَلى الصِرَاطِ أشدّكُمْ حُبّاً لأهلِ بُيْتِي) البحار٨ص٦٩ **روي** : (خَطَّ لَنَاْ رَسُولُ اللهِ (ص) يَوْمًا خَطًّا، ثُمَّ

قَاْلَ هَذَا سَبِيلُ اللهِ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَعَنْ شِمَاْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ **(هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَاْ)**، ثُمَّ تَلا الآية) روح البيان٣/١٢٠، **(ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** إنّها وصايا ربّانية تربوية مهمة لنفس الفرد وإستقامة المجتمع ، وصراط الله جامع للتكاليف فلا يقوم إلاّ بالتقوى **(والتقوى)** من الوقاية ، كما أتقي النار خوفاً من الإحتراق كذلك أتقي الله بإتباع منهجه خوفاً من الضلال والانحراف والعصيان هو الورع عن محارم الله. **فائدة** : **١-** جاءت وصايا إلهية في الآية **١٥١** لما كانت المحرمات الأولى لا يقع فيها عاقل لأنّه بأقل تفكّر وتدبّر ستعرف قبحها جاءت العبارة **(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** والمحرمات الأخرى في الآية **١٥٢** شهوات وقد يقع فيها من لم يتذكر جاءت العبارة **(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** والسير في الجادة المستقيمة يتضمن فعل الفضائل ولابد من تقوى الله كما في الآية **١٥٣** جاءت العبارة **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** وهذه الآيات محكمات كثيرة النفع في كلّ زمان ومكان.

**٢-** الآية الكريمة تعالج مشكلة هي تحديد خط الاستقامة بوضوح وتمييزه عن خط الانحراف بدقة فذلك الفرز هو الهدى كلّه أو الضلال كلّه ، مع ملاحظة المنهج الفكري والعلمي وطبيعة القيادة والولاية الفاعلة والمؤثرة في المجتمع ، فتأتي التقوى لتحدّد خط السير هو الاستقامة التي فيها السلامة والكرامة بلا أية ملامة ولا ندامة ، على أساس وضوح الرؤية ، فإن ثبات الاستقامة لا انحراف فيها وعنها مع الظروف السياسية المضطربة والمتغيرة بحاجة إلى التقوى فهو عنصر الثبات بذاتها والمثبتة لغيرها ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ التغابن/١٦ ، ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة/١٩٤ **٣-** ففي المرحلة الأولى (التعقل) **(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** هو فهم الحكم وإدراكه، والمرحلة الثانية: مرحلة التذكّر **(لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** هو استيعاب ذلك الحكم وتزكية نفسه لفهمه ، والمرحلة الثالثة : هي مرحلة التطبيق والممارسة العملية واتقاء المحاذير والمخاطر هي مرحلة **(التقوى)** **(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** **وعن الإمام الباقر** (ع) في هذه الآية (كمصداق) قال: (نَحْنُ السَّبِيْلُ فَمَنْ أَبَى فَهَذِهِ السُّبُلُ) نور الثقلين١/٧٧٩، يعني سبيل أهل بيت النبي (ص) سبيل واحد موحد متّحد والقدوة والقيادة ، فهم نظام الأمة، ووحدة الدّين، وصلاح الدّنيا، وعزّ المؤمنين ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ الشورى/٢٣ ، **عن النبي** (ص): (حُبُّنَاْ أَهْلُ الْبَيْتِ نِظَاْمُ الدِّيْنِ) البحار٧٨/١٨٣.

**في غرر الحكم:** (مَنْ زَلَّ عَنْ مَحَجّةِ الطَرِيقِ وَقَعَ فِي حِيرَةِ المَضِيقِ)

**١٥٤ -** ﴿**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**﴾

إنّا آتينا هذه التعاليم والشرائع والوصايا العامة للأنبياء السابقين ، ثم أعطينا موسى التوراة إتماماً للكرامة والنعمة على من كان محسناً وصالحاً و **(تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ)** لنعمتنا على موسى (ع) في قيامه بأمرنا ونهينا فإن إيتاء موسى الكتاب الكامل الجامع المانع في عصره ، نعمة من الله عليه

وعلى كل من أحسن واستقام (**وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ**) بياناً مفصلاً كافياً وافياً لكل ما يحتاج إليه بنوا إسرائيل في أمور دينهم ودنياهم ، وقوله في القرآن وفيه ﴿**تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يوسف/١١١ ، (**وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ**) وهدى لبني إسرائيل من الضلالة ورحمة عليهم والخير الكثير ليصدقوا بلقاء الله ولكي يؤمنوا بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب فيستقيموا. **فائدة** : وآتينا موسى كتاباً جامعاً مانعاً وافياً كافياً ولم ندع شيئاً إلاّ فصلناه فيه في عهده وعصره ، فيه الهدى الذي يعرف الناس الحق ، وفيه الرحمة التي يحيون فيها حياة سعيدة هادئة ، وآتيناهم كل شيء وخاصة الأدلّة القاطعة على البعث والجزاء ممّا يوجب له الإيمان بلقاء الله والاستعداد له. فلم تَلِق بهم النعمة فأصروا على الضلال والكفر بلقاء الله واليوم الآخر، وممّا يؤيده أنّ التوراة الحاضرة التي يذكر القرآن أنّها محرّفة ، لا يوجد فيها ذكر للبعث أو يوم القيامة بحيث يكون تماماً أو يوجد إشارات مختصرة وقليلة. وهكذا الَّذِيْ لاَ يَنْفَعُهُ الْهُدَىْ تَضُرُّهُ الضَّلاَلَةُ.

**١٥٥ - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**

**هَذَا** إشارة إلى القرآن الكريم (**مُبَارَكٌ**) كتاب عظيم الشأن كثير المنافع في الدّنيا والآخرة وهو مبارك في ذاته وصفاته ومبارك لغيره ، والثابت في ذاته والمثبّت لغيره ، مع هذه المميزات النموذجية قد أتمّ الله الحجة على النّاس كافة ، إنّه لكتاب مبارك حقاً ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ**﴾ ص/٢٩ ، لأنه كله خير ونفع وبركة وفيه العلم الغزير الذي تستمد منه سائر العلوم وتستخرج منه البركات فما من خير إلاّ ودعا إليه وما من شر إلاّ ونهى عنه وحذّر منه (**فَاتَّبِعُوهُ**) تمسّكوا وإجعلوه إماماً وقدوة وإعملوا به فيما يأمر به وينهى عنه وإبنوا أصول دينكم وفروعه عليه (**وَاتَّقُوا**) الله تعالى أي احذروا أن تخالفوه فتعلموا منه ولا تعلموه (**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) فأكبر سبب لنيل رحمة الله وتكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، إتباع هذا الكتاب علماً وعملاً. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ يونس/٥٧، فلا تحتاجون إلى مرجعٍ آخر وراءه.

**١٥٦ - ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾**

بيان للحكمة من إنزال هذا الكتاب على العرب بلسان عربي وعلى يد رسول عربي وهذا فضل عظيم من الله على هؤلاء القوم الذين كرمهم الله فعليهم أن يكرموا أنفسهم. كلام موجه إلى مشركي العرب، يا معشر العرب أنزلنا عليكم القرآن الكريم بلغتكم وعلى رجل منكم وفيكم وإليكم ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ القمر/١٧، لئلا تقولوا لم ينزل كتاب من السماء بلسانكم وقد نزل من قبل (**عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا**) اليهود والنصارى ونحن لم ينزل علينا ولم نعرف ما في التوراة ولا ما في الإنجيل لأنهما بلسان غير لساننا ونزل على أمة غير أمتنا لذلك كنا غافلين عن تعاليم الله وإرشاداته، أنزل القرآن حتى لا تعتذروا بذلك (**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ**) وإنه كنا عن معرفة ما

في كتبهم و دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، **والدراسة** : القراءة والتّعلّم أي لا نعلم ما فيها لأنها لم تكن بلغتنا ، وقد أنزلنا القرآن بلسانكم قطعاً لحجتكم ، والقرآن أفضل هدية وأحسن دراية، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ !

**١٥٧ –﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾**

لئلا تقولوا يا أهل مكة ، لو أننا أنزل علينا الكتاب السماوي كما أنزل (عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا) اليهود والنصارى (**لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ**) إلى الحق وأسرع إجابة لأمر الله والرسول بسبب مزيد ذكائنا وجدّنا في العمل (**فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ**) فقد جاءكم من الله بواسطة محمد (ص) (**بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**) حجة واضحة وهي قرآن عظيم فيه تبيان لكلّ شيء ما فرط الله فيه من شيء وتفصيل كلّ شيء ، وهو دستور حياة ومنهج متوازن وصراط مستقيم واضح حجته فلا يبقى عذراً لمعتذر ، فيه بيان للحلال والحرام ، والهدى والضلال وهو (**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) ويجمع خير الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، والفرقان بين الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وهو نعمة لمن إتبعه وعمل به ، (**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ**) الظلم قبيح بكل أنواعه ، أي من أشد ظلماً ممن كذب بالقرآن ولم يؤمن به (**وَصَدَفَ عَنْهَا**) **الصدف** : الإعراض الشديد والنفور عن الشيء دونما تعقّل ، فهو نقلة من حالة حسّية إلى حالة معنوية ليصحب الحس أصل المعنى (**وَصَدَفَ عَنْهَا**) وأعرض عن آياته وبيناته وعلومه ولم يفكر بها صرف نفسه عن آياته وصرف الناس عنها ، فجمع بين الضلال والإضلال كقوله ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ**﴾ الأنعام/٢٦.

(**سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**) يعرضون ، وهو تهديد ووعيد لهم ، أي سنعاقب هؤلاء المعرضين عن القرآن الكريم وعن آيات الله الكثيرة وحججه الساطعة ، شديد العقاب بسبب إعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم لرسله. **فائدة:١–** في الآية دلالة على أن إنزال القرآن لطف الله بالناس كقوله ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ الإسراء/١٠٥ ، لأنه منهج حياة لهم ودستور لتقدمهم واستقامتهم ومصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وبه تحصل الهداية لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، **وَالَّذِيْ لاَ تَلِيْقُ بِهِ هِدَاْيَةُ الْقُرْآنِ، تَلِيْقُ بِهِ غِوَاْيَةُ الشَّيْطَاْنِ** ، وهكذا من لا ينفعه الحق يضره الباطل. **٢–** الفارق في المعنى بين الآية **١٥٦** والآية **١٥٧**: المعنى في **١٥٦** هو كراهية ان تقولوا نزل الكتاب على غيرنا لا علينا ، وفي **١٥٧** هو كراهية أن تقولوا لو نزل علينا الكتاب لكنّا أفضل من الذين نزل عليهم ولكن لا كتاب عندنا فماذا نصنع؟ **٣–** ترغيب الآية في العمل بالقرآن الكريم ويرغّب غيره بقدر الإمكان فيشترك معه في الثواب.

**١٥٨ -** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

الاستفهام للإنكار ، **يَنظُرُونَ** : ينتظرون ، النظر يستعمل في معنى الانتظار ، كأنه قيل إنيّ أقمت عليكم الحجة الواضحة فما ينتظرون إذ لم يؤمنوا ! **المعنى** : ما ينتظر هؤلاء المشركون إلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلائِكَةُ بمقدّمات علامات الآخرة وهذا يدلّ على تماديهم في تكذيب آيات الله ، أي إنهم لا يؤمنون إلاّ بأحد أمور ثلاثة **١-** مجيء ملائكة الموت لقبض أرواحهم وتعذيبها وهو وقت لاينفع فيه توبتهم **(أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) ٢-** مجيء أمر ربك فيهم بالقتل والعذاب أو غيره ، **٣- (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ)** في موقف القيامة للفصل بين خلقه **(أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ)** وهو ظهور بعض علامات يوم القيامة القاهرة الخارقة كطلوع الشمس من مغربها ، الموجبة للإيمان الاضطراري ، أو يرى بعض الآيات عند الاحتضار قبل خروج الروح **(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً)** عند مجيء تلك الأمور الثلاثة الخارقة للعادة أو بعضها ، لا ينفع نفساً إيمانها الاضطراري لم تكن آمنت من قبل أن تؤمن حينئذٍ ، لا تفيد عندئذٍ التوبة شيئاً ، وإنما الذي يفيد هو الإيمان والعمل الصالح في الدنيا وقبل نزول العقاب، إذ لا تكليف عند الاحتضار ولا عند قيام الساعة ولا عند نزول العذاب ، لأنّ التّكليف يستدعي الإرادة والاختيار بالتمكن من الإيمان والكفر وعمل الخير والشر وهذا الاختيار يستدعي الجزاء والثواب والعقاب ، يقوم الإيمان على الرضا التام والقناعة الكاملة ، أما مجرد التسليم للإيمان في ظروف الخوف والرهبة هذا ليس من الإيمان في شيء.

**(أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً)** المقصود النفس التي آمنت عند مجيئ نذر الله وعلامات الموت وعلامات القيامة ، حتى الإيمان عند اليقين لا يجدي نفعاً إلاّ من كسب في إيمانه خيراً أي عمل صالحاً قبل مجيء علامات الموت والقيامة ، لأن الإيمان الصحيح عمل كله والقول بعضه ، فالعمل الصالح قرين الإيمان وعنوانه وترجمته في ميزان الإسلام ، فلاَ إِيْمَانٌ بِلاَ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَلاَ عَمَلٌ صَالِحٌ بِلاَ إِيْمَانٍ، في غرر الحكم: **(الْعِلْمُ بِغَيْرِ الْعَمَلِ وَبَالٌ ، وَالْعَمَلُ بِغَيْرِ الْعِلْمِ ضَلاَلٌ)، والحكمة من هذا:** إنّما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب والعالم الآخر وكان مختاراً ، فأما إذا وجدت الايات الخارقة صار الأمر شهادة وحضور ولم يبق للإيمان فائدة لأنه يشبه الإيمان الضروري كإيمان الغريق والحريق ممّن إذا رأى الموت أقلع عمّا هو فيه كإيمان فرعون عند الغرق كقوله ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ**﴾ غافر/٨٤-٨٥ ، **(قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ)** قُلْ انتَظِرُوا ما يحل بكم عند إتيان أحد الأمور الثلاثة إِنَّا مُنتَظِرُونَ ذلك ، وهو الفصل وليس بالهزل وهو أمر تهديد ووعيد. **قيل** : كُلُّ

مُقَدَّرٍ كَائِنٌ، وَكُلُّ كَائِنٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ، وَكُلُّ قَرِيْبٍ كَادَ أَنْ يَكُوْنَ ، ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً**﴾ المعارج/٦-٧ ، **فائدة:** ومن بديع النظم وجمال السياق القرآني أنه سبحانه كرر لفظ (**رَبِّكَ**) ثلاث مرات لتأييد النبي (ص) تجاه خصمه ، حيث كانوا يفتخرون بأربابهم ويباهون بأوثانهم أما هو ليعتز بربه ويثبّت به قلبه ويقوّي به إرادته في دعوته لله تعالى إن نجحت ، وإلاّ فبالقضاء الفصل الحاسم وليس بالهزل يكون القرار النهائي بهم ، **عن النبي (ص)** (لاَ تَقُوْمُ السَّاْعَةُ حَتَّى تَرَوْا قبلها عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَاْنَ، وَخُرُوْجَ دَاْبَّةُ الأَرْضِ، وَخَسْفٍ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ عَدَنَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنزول عِيْسَى بِنِ مَرْيَمَ، وَخُرُوْجُ الدَّجَّاْلِ، وَالزَّلاَزِلُ الرَّهِيْبَةَ، وَفُقْدَاْنُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاْكِبُ لأَنْوَاْرِهَاْ وَأَضْوَاْئِهَاْ) الفخر الرازي١٤ص٧. **وعنه (ص)** : (لاَ تَقُوْمُ السَّاْعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَاْ طَلَعَتْ وَرَآهَاْ النَّاْسُ آمَنُوْاْ أَجْمَعُوْنَ ، وَذلِكَ حِيْنَ (لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) المراغي٨/٨٢.

**١٥٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**

منهج القرآن الكريم وطريقته في التربية والتعليم تنفرد عن كلّ الملل والنحل والشيع والفرق والجماعات والأحزاب والأنظمة السابقة والحالية ، كون القرآن ينفرد بتربيته للفرد وللمجتمع وللعالم الإنساني جميعه، ينفرد عن كلّ النظريات والتصوّرات والمعتقدات وكلّ المبادئ الوضعية إلى يوم القيامة حيث يعطيك القرآن التوازن في كلّ شيء ، التوازن بين مطالب الدّنيا والآخرة وبين الحياة والموت وبين الرّوح والجسد وبين الأمل والعمل.. إلخ فلا يعطي حساب الدّنيا على حساب خسارة الآخرة ولا يعطي حساب الجسد على حساب خسارة الروح.. وهكذا. **المعنى:** إن المراد بالّذِينَ (**فَرَّقُوا دِينَهُمْ**) وتفرقوا واختلفوا وتنازعوا فيه (**وَكَانُوا شِيَعاً**) في اللغة وفرقاً وطوائف وأحزاب ومذاهب فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وهم أهل الكتاب واليهود والنصارى وهي إن كانت خاصة بهم ولكن أريد لها عموم المعنى في كلّ زمان ومكان ، لتشمل جميع من تفرّق عن الحق إلى فرق وجماعات وطوائف مذهبية مختلفة ومتباغضة ، وطبيعة التفرّق يولّد التباغض والتنازع ويؤدي إلى الفشل كقوله ﴿**وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ الأنفال/٤٦، **عن الإمام الباقر** (ع) (جَعَلُوا دِينِ اللهِ أَدياناً لإِكْفَارِ (لتكفير) بَعْضهُمْ بَعْضَاً، وصَارُوا أَحْزَاباً وَفُرَقاً) مجمع البيان٤/٢٢٤، ودين الله واحد لا يتجزأ ولا يتعدّد أي دخلت به الأهواء والبِدع!، والمراد ببراءة الرسول منهم وتحذير المسلمين من مثل تفرقة أهل الكتاب وفعلهم ليعلموا أنهم إذا فعلوا فعل أهل الكتاب بالتفرقة والاختلاف والتنازع فقد تجاوزوا حدود الله ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ الطلاق/١ ، ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/٢٢٩ ، (**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**) أنت يا مُحَّد بريء منهم ولا هم منك في شيء وليسوا على دينك ولا يمتّون إليك بصلة وليسوا على طريقتك المبنية على وحدة الكلمة ونفي الفرقة ، لأن

الخلاف يهدم الرأي الصائب ، واختلاف الآراء في دين الله يؤدي إلى اختلاف القلوب. الاختلاف في دين الله عقوبته مريرة وفيه عذاب متنوع من الله في الدّنيا قبل الآخرة كقوله ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ الأنعام/٦٥ ، **عن النبي (ص)**: (مَاْ اِخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاْطِلِهَاْ عَلَىْ أَهْلِ حَقِّهَاْ! إِلاّ مَا شَاءَ اللهُ) شرح النهج٥/١٨١، **وعن الإمام علي** (ع): (إِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ!)شرح النهج ابن أبي الحديد١٠ص٣٣ كما هو حال المسلمين الآن متفرقين يأخذهم الغلو والضلال والبدع ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ المجادلة/١٩ ، ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ الروم/٣٢ كلّ طائفة معجبة برأيها وتستهين بالرأي الآخر والذين لا يؤمنون بالمنظومة العامة لوحدة الدين الإسلامي فهم ليسوا من أمة مُحَمَّد أي ليسوا بمسلمين.

(**لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**) وهم في موضع تهديد ووعيد الله تعالى (**إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ**) إن الله سبحانه وحده هو الذي يحاسب ويعاقب ويجازي (**ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) ولكل مخلوق صفحة فيها تفاصيل أعماله وهي محفوظة عنده سبحانه سيحاسبهم عن كلّ ما فعلوه في دارهم الدنيا ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ الإسراء/١٤ ، والله يتولى عقاب من يثير العداوة والبغضاء والتكفير بين أهل دين الله القيّم الواحد الموحد المتّحد الذي لا يتعدّد ولا يتجزأ ! ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾ يونس/٣٢ ، والذين لا توحدهم عقيدة التوحيد فهم من حزب الشيطان وأعوانه !

**فائدة: ١- (وَكَانُوا شِيَعاً)**: جمع شيعة أي شايعه وتابعه على الأمر أي كانوا فرقاً وطرقاً وطوائف كل فرقة وطائفة تتشيع وتتبع لإمام وقائد ورئيس.. أما لفظة (**الشيعة**) لها معنى آخر في الاصطلاح، هو متابعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ومشايعته بأمر الرسول (ص) : (إِنِّيْ تَاْرِكٌ فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَاْبُ اللهِ وَعِتْرَتِيْ أَهْلَ بَيْتِيْ مَاْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَاْ لَنْ تَضِلُّوْاْ بَعْدِيَ أَبَدًا) الفخر الرازي٨/١٦٣، **وعنه (ص)**: (مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِيْ فِيْ اِخْتِلاَفِ أُمَّتِيْ،كَاْنَ لَهُ أَجْرُ مِاْئَةِ شَهِيْدٍ) البحار٢/٢٦٢، إنه تذكير هذه الأمة بما هي عرضة له بحسب سنن الاجتماع من إضاعة الدين بعد الاهتداء بالتفرق فيه بالآراء والمذاهب والأحزاب المبتدعة التي تجعلها متفرقين أحزاباً وشيعاً وقادة ورؤساء تتعصب كل منها لمذهب أو إمام ، فيضيع الحق وتنفصم الوحدة وتصبح بعد أخوة الإيمان أمماً متعادية ويكون للعدو مبرراً لغزوهم والسيطرة عليهم وسرقة مواردهم تحت شعارهم المشهور (فَرِّق تَسُدْ) كما حدث لمن قبلهم من الأمم ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ آل عمران/١٠٥. **دلّت الآية** : أنّ الدّين يأمر بالاجتماع

والائتلاف ووحدة الكلمة وكلمة التوحيد وينهى عن التّفرّق والاختلاف والتنازع في أصل دين الله الواحد وأمر الله نبيه (ص) أن يتبرأ ممّن **(فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً)** لأنّهم نشروا البدع والضلالات وفسّروا الدّين بآرائهم الخاصة **عن النبي** (ص) : (لِكُلِّ صَاحِبِ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْبِدَعِ وَأَصْحَابَ الأَهْوَاءِ لَيْسَتْ لَهُمْ تَوْبَةٌ ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بُرَآءُ) المراغي٨/٨٤ ليس لهم توبة لأنّهم لا يتوبون لاعتقادهم أنّهم على صواب وغيرهم على باطل كقوله **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** الكهف/١٠٣-١٠٤. **عن النبي** (ص) (إِيَّاكَ أَنْ تَسُنَّ سُنَّةَ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لَحِقَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا) البحار٧٧/١٠٤

**١٦٠ - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**

كلّ شيء فيه طاعة ورضا لله ونفع للنّاس وللنّفس فهو حسنة ، وكل ما فيه ضلال وغضب لله وضرر للناس وللنفس فهو سيئة ، والحسنة القولية والفعلية الظاهرة والباطنة المتعلقة بحق الله وحق خلقه وراجعة إلى نوعية العمل وصفات العامل، **في غرر الحكم**: (خَيْرُ النّاسِ مَنْ نَفَعَ النَّاسَ ، شَرُّ النّاسِ مَنْ يضَرَّ بِالنَّاسَ) **المعنى** : من جاء ربه يوم القيامة بالخصال الحسنة من الطاعات المرضية عند الله والنافعة للناس ، والتي يفعلها خالصة لله وقلبه مطمئن بالإيمان فله عشر حسنات أمثالها من عطاء الله غير المحدود وفضلاً منه ونعمة كقوله **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** فاطر/١٠ ، **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** البقرة/٢٦١ ، **(وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا)** ومن جاء بالخصلة السيئة كالاختلاف في الدّين وما يؤدي إلى أنواع المنكرات والفواحش فلا يعاقب إلاّ بمثلها ، دون مضاعفة بحسب سننه سبحانه في تأثير الأعمال السيئة في إفساد النفس على مستوى الفرد أو المجتمع **(وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)** لا ينقصون من جزائهم شيئاً ، فلا نقص في ثواب ولا زيادة في عقاب.

**عن النبي** (ص): (يَاْ عِبَاْدِي إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمَاً فَلاَ تَظَاْلَمُوْاْ) المراغي١٠ص١٦ فالزيادة في الحسنات تفضل وكرم ، والمعاملة بالمثل في السيئات من باب العدل والصدق ، فيكون الجزاء على قدر الجناية ، والعقوبة من جنس العمل مع اللطف. **فائدة** : **عن النبي** (ص) : (الْحَسَنَةُ عَشْرٌ وَأَزِيْدُ ، وَالسَّيِّئَةُ وَاْحِدَةٌ أَوْ أَعْفُوْ ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَاْدَهُ أَعْشَاْرُهُ) مجمع البيان٤/٢٢٦، ورب سيئة واحدة قبيحة كالإلحاد والشرك والعدوان على العباد تمحو آلاف الحسنات وتغطي على الفضائل ، فما أقبح السيئات مع الحسنات وما أقبح السيئات بعد الحسنات وما أحسن الحسنات بعد السيئات **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾** هود/١١٤، فكما قوله تعالى (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) هود/١١٤ كذلك فإن بعض السيئات يذهبن بعض الحسنات، وتقسّي القلوب، وتضطرب النفوس ، وإن كانت في السيئات لذاتٌ قصيرة، ولكنها تبعاتها طويلة، ومنغصاتها كثيرة **﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا**

**يَكْسِبُونَ﴾** المطففين/١٤ ، في دعاء كميل (اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ.. إلخ) وهكذا السيئات يذهبن بالحسنات وتمحى وتحبط بسبب الرياء والعجب والحسد والحقد والظلم.. وغيرها من السيئات الكبيرة كقوله **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾** محمد/٩ ، **عن النبي (ص):** (مَنْ سَاءَتْهُ سُيِّئَةٌ وَسَرَّتْهُ حَسَنَةٌ فَهُوَ مُؤْمِنٌ) البحار ٧١/٢٥٩، **وعن الإمام الرضا (ع):** (الْمُؤْمِنُ الَّذِيْ إِذَاْ أَحْسَنَ اِسْتَبْشَرَ، وَإِذَاْ أَسَاْءَ اِسْتَغْفَرَ) بحار الأنوار ج٧١ص٢٥٩.

**١٦١ - ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**

قل يا محمّد إن ربي هَدَانِي إلى الطريق القويم و هَدَانِي أي أرشدني إلى الدين المستقيم البعيد عن الباطل والتأخر ويوصل إلى الحق والتقدّم ، الدّين المعتدل بالفطرة الصافية والعقل السليم والوحي الأمين من عند الله الذي يعصم عن الخطأ والزلل ويسدّد في القول والعمل **(دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) مِلَّةَ:** دين ، **(دِيناً قِيَماً)** ديناً ثابتاً ودائم العطاء ذو قيمة عليا فهو قيمة القيم ، يقوم بأمر الناس ومصالحهم في معاشهم ومعادهم وفي دنياهم وآخرتهم وفي عالمهم المادي والمعنوي والروحي والجسدي ، والفردي والجماعي ، وهو دين مستقيم عالي المضامين لا عوج فيه وهو دين الحنيفية السهلة السمحة الذي جاء به إمام الحنفاء إبراهيم خليل الله (ع) الذي يعظمه أهل الأديان جميعاً كقوله **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾** النساء/١٢٥، **والحنيف** : المائل عن الأديان الباطلة والسائدة إلى دين الله الحق المستقيم الخالص **﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾** الزمر/٣ المنقذ من ظلمات الضلالة ومن حيرة الجهالة **(وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ)** منزّه عن الشرك وما عليه المبطلون وإن كانوا الأغلبية، **في نهج البلاغة خطبة٢٠١:** (لاَ تَسْتَوْحِشُوْا طَرِيْقَ الْهُدَىْ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ).

**فائدة: من الملفت للنظر: (حنيفاً):** إنّ إبراهيم زكّى نفسه وطهّرها من كلّ أنواع الشرك والانحراف الغارق به المجتمع الجاهلي والمألوف عند النّاس كافة ، وأعاب العادات الجاهلية المنحرفة والمنتشرة **(وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ)** حقاً إنّه بطل الجهاد والتّصدّي ضدّ الوثنية ، وأفضل الجهاد كلمة حقٍ أمام مجتمع جاهلي وثني جائر!! وثبت لوحده على صراط ربه المستقيم ، الصراط التوحيدي الغريب العجيب عن كلّ النّاس آنذاك **(وهذا هو المعنى الحركي لكلمة الحنيف)** والذي هو بذاته معنى حركي ناهض ورافض للضلال الذي يعم المجتمع ، لذلك **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾** النحل/١٢٠، بهذا المستوى ينبغي أن يكون الإتّباع الأحسن من الإنسان الأحسن، فيكون المؤمن المتبع الأحسن الوريث الحقيقي لحنيفية إبراهيم (ع) وهكذا ندعو الناس إلى الإسلام الذي فيه السلام الصحيح لمدرسة إبراهيم ومواقفه الحركية النموذجية المميزة ، وهذا هو الإتباع والسلامة والأمان والكرامة بلا أية ندامة ولا ملامة ، من خلال الاقتداء بمواقف قائد المجاهدين والموحدين إبراهيم الأمة (ع)

**١٦٢- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

بيان لقوله ﴿**إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ الأنعام/١٦١ ، هو بيان لهذا الصراط المستقيم الذي هو الدين القيم وهو ملّة إبراهيم الحنيف ، والذي يستقيم على هذا الدّين يكون ولاؤه كلّه لله وأقواله وأفعاله ومقاصده ، في الشدّة والرخاء والسرّ والعلانية كلّها لله ربّ العالمين خالصة لوجهه الكريم ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، وفي إسلام الوجه لله تعالى توجهاً كاملاً لا يستبقي في النفس ولا في الحياة ولا في التعاملات العامة بقية لا يجعلها لله ، إنه التجرد الكامل لله تعالى ، كما أعطاني أهمّ شيء وكفاني ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ الزمر/٣٦ ، كذلك أعطيه وأرضيه وأقدّم له أنفس ما عندي وهي حياتي ومماتي فمن باب أولى أقدم له صلاتي ونسكي.

**المعنى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي)** التي أعبد بها ربي الواجب منها والمستحب ، والصلاة صلة بين العبد وربه وبقدر حصول الانفصال عن مطالب الدنيا يحصل الإتصال بالله ، وهذه الصلاة تهذّب الإنسان وتنهاه عن الفحشاء والمنكر وتطهره من الذنوب الكبيرة والصغيرة ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ العنكبوت/٤٥، **عن الإمام علي** (ع) (الصَّلاةُ مِيزَانٌ: فَمَنْ وَفَّى ، اسْتَوْفَى) البحار٨٤/٢٦٤ **(وَنُسُكِي)** جميع عباداتي و(أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ) **عن الإمام الكاظم** (ع) (ما عبد الله بشيء أفضل من العقل) الكافي١/١٨، **في غرر الحكم**: (وَرَعَ الرَّجُلُ عَلى قَدْرِ دِينِهِ) **(وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**

إنّ النّبي محمّد (ص) إقتدى بسيرة إبراهيم (ع) ووجّه وجهه ووطّن نفسه وحصر نيته وقوّى إرادته وعزم بقوّة من أوّل خطوة على أن تكون حياته كلها لله رب العالمين خالصة له سبحانه لنيل رضاه ، ليرعى الله شؤونه ويدبر أمر حبيبه (ص) وهو يبذل مهجته ونفسه في سبيله فيموت على ذلك كما يعيش ، فيقصد الخير والصلاح في كلِّ أقواله وأفعاله، ويحب ويبغض من أجل الله ، ويسعى نحو الكمال الإنساني في نفسه رجاء أن يموت ميتة ترضي ربه (موت الشهداء) أرقى أنواع الموت في سبيل الله ، ولا يحرص على حياته لذاتها ولذاتها فلا يرهب الموت ما دام في سبيل الله و **(رُبَّ حَيَاةٌ سَبَبُهَا طَلَبُ الْمَوْتِ، وَمَمَاتٌ ذَلِيلٌ سَبَبُهُ طَلَبُ الْحَيَاةِ) عن الإمام علي** (ع): (مَوْتٌ فِيْ عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ) البحار٤٤/١٩٢، كما عليه أن يقيم ميزان العدل بقدر وسعه ، فيأخذ على أيدي المفسدين فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينصح الناس ويذكّرهم بالله تعالى ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الذاريات/٥٥ ، **فائدة: ١- (صَلَاتِي وَنُسُكِي)** وأفرد الصلاة بالذكر لأهميتها الخاصة عند الله وعند الإنسان المؤمن ، وجمع كلّ العبادات في النسك وأحسن العبادة الورع عن محارم الله ، كما **في دعاء الإمام السجاد** (ع) (رَبِّ اِسْلُكْ بِيَ الْطَّرِيقَةَ المثْلى، وَاِجْعَلْنِي عَلى مَلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيا) ثم إنتقل السياق لما هو أوسع لتكون كلُّ حياتي بجميع تفاصيلها ويكون مماتي على شرف الشهادة في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله رب العالمين ، بحيث أجعل كل ما أعطاني

وفضلني ربي أجعلها أيضاً وأقدمها إليه ﷻ، كما وهبني كل شيء أعطيه كل شيء فلا يبقى لي شيء إلاّ رضاه سبحانه عني فهو أغلى شيء ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ التوبة/٧٢. **٢-** لذلك صار قدوة وأسوة وقيادة حسنة كقوله ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ الممتحنة/٤ ، ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ الأحزاب/٢١. **٣-** ينبغي للمؤمن أن يتعلّم من هذه المدرسة النموذجية عالية المضامين ليوطن نفسه ويهذبها على أن تكون حياته لله ومماته لله تعالى بمعنى أن يجعل كلّ شيء عنده لله تعالى، ولا يحرص على الحياة ولذّاتها، ولا يرهب الموت فيمتنع عن الجهاد في سبيل الله. **وفيه تنبيه** : على أنّه لا ينبغي أن يجعل الإنسان حياته لشهوته ، ومماته لورثته ! فالإنسان كبير القدر يفكّر بالأمور الكبيرة ، والإنسان صغير القدر يفكّر بالأمور الصغيرة، وأنّ عليه أن يقيم ميزان العدل فيجاهد أهل الجور وينصح النّاس ويذكّرهم عند الغفلة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالتي هي أحسن. **٤- روي** : أنّ النبي (ص) كان يقرأ الآيتين **١٦٢-١٦٣** قبل الصلاة. **٥- (مَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** يوحي معنى العبودية لله هو إسلام الوجه لله والاستسلام لأمر الله في كلّ شيء.

**١٦٣ - ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**

**(لا شَرِيكَ لَهُ)** لا أعبد غير الله ولا أشرك في ربوبيته أحداً ولا أشرك في عقيدتي وجميع أعمالي شيئاً ﴿**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ الكهف/١١٠ ، إنّه ليس له شريك في الملك والتدبير والتقدير، وأخلص له العبادة بتوحيد خالص نقي في جميع الأحوال بحيث أعتمد الإخلاص في كلّ شيء (وبالإخلاص يكون الخلاص) من كلّ سوء ﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ الزمر/٣ ، البعيد عن كل معاني الشرك سواء الخفي أو الجلي ، **(وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ)** أي بإخلاص العبادة لله وحده ، وبذلك أمرني ربي وديني وعقلي وفكري وإيماني **(وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)** وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ لأكون في أعلى درجات الاسلام علماً وعملاً وإيماناً كقوله ﴿**فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ الزخرف/٨١ ، وأول من خضع وأسلم واستسلم لأمر الله وبادر وأسرع إلى مرضاته وخضع لمنهجه جلّ وعلا في جميع ما أمر ونهى. **فائدة:**

**١-** وإن كانت الآية سببها خطاب النبي (ص) ولكن أريد لها عموم المعنى وشمول المغزى، وكل من بادر ليكون أول المسلمين وهو أوّل من استسلم لمنهج الله وخضع لأمر الله وأوّل من اعتصم بحبل الله فهو أول العابدين وأوّل المطيعين لأمر الله ، ليكون هو الأول في الولاء والوفاء والانتماء والاتّباع والأول في الاقتداء والمستحق للاصطفاء ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ**﴾ الأنعام/٩٠ ، الإسلام ذو معنى عام وواسع ويشمل جميع الأديان السماوية كما قال نوح (ع) ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**﴾ يونس/٧٢ ، أما النبي (ص) درجة إسلامه وتسليمه لمنهج الله أعلى وأفضل من الجميع وهذا يعطينا درساً أن الإسلام يشجعنا على التسابق للدرجات الأولى في جميع شؤون الحياة المتنوعة ويحثنا إلى المبادرة للتي هي أحسن في كلّ شيء ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾ الصافات/٦١، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ المطففين/٢٦ ، ولهذا فليتسابق المتسابقون ، ولا

يرضى أن نبقى مراوحين في مكاننا لا نرقى إلى درجة الكمال الإنساني وإلى درجة (**أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**) ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ المدثر/٣٧، **في غرر الحكم**: (الْمَرْءُ حَيْثُ يَضَعُ نَفسَهُ)، **في غرر الحكم**: (ذَرْوَةُ الْغَايَاْتِ لاَ يَنَاْلُهَاْ إِلاَّ ذَوُوْ التَّهْذِيْبِ وَالْمُجَاْهَدَاْتِ). **٢- (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)** وهذا درس عالي المضامين لجميع المسلمين أن يكونوا في طليعة تطبيق حكم الله على نفوسهم وعلى غيرهم في جميع الأحوال في العسر واليسر ، وهذا يعطينا أفق أوسع أن يكونوا أوائل في كلّ شيء، وكلّ إنسان من موقعه وبقدره ، أوائل في العلم والفكر، والأقوال والأعمال، والإنتاج والإبداع، والاكتشاف والاختراع في جميع مجالات الحياة.. وأن لا يسبقكم غيركم بهذا المنهج الحضاري، الصالح النموذجي المحفّز المميّز.

**٣- (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)** يعني إسلام كلّ نبي متقدّم على إسلام أمّته ، وفيه بيان مسارعة النبي (ص) إلى الامتثال لمنهج الله ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾ طه/٨٤ ، والقرآن الكريم حكى عن دخول الأنبياء في الإسلام ولكنّه لم يصف واحداً منهم بكونه (أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) إلاّ خاتمهم (ص) كقوله ﴿**وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أول الْمُسْلِمِينَ**﴾ الزمر/١٢، ودخول جميع الأنبياء (ع) في الإسلام ، والإسلام بمعناه العام (دين الله) كقوله (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران/١٩ أي التسليم لمنهج الله كقوله عن إبراهيم ﴿**هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ الحج/٧٨ ، وعن ملكة سبأ ﴿**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ النمل/٤٤ ، **أمّا إسلام النبي مُحَمَّد (ص)** هو الإسلام الخالص الكامل أي المفصّل والشامل ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ النساء/١٢٥ ، **وعن النبي (ص)** : (الإِسْلاَمُ حُسْنُ الْخُلُقْ) كنز العمال خبر٥٢١٥، **وعنه (ص)** : (**الإِسْلاَمُ**: أَنْ تُسْلِمُ قَلْبَكَ للهِ ، وَيَسْلَمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ) كنز العمال خبر١٧، وبهذه الصفات المميّزة للنبي (ص) الذي سبق بها جميع الأنبياء (ع) صار أسوة حسنة لأمّته ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ الأحزاب/٢١. **في غرر الحكم**: (مِلاكُ الإسْلام صِدْقُ اللّسان)

**١٦٤- ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**

أسلوب قرآني بليغ فيه تقرير وتوبيخ للكفّار ، وسببها أنّهم دعوه إلى عبادة آلهتهم **والمعنى** : قل يا مُحَمَّد (**أَبْغِي**) أي أأطلب ربّاً غير الله تعالى ؟ وأنا مأخوذ بنيتي وعملي ومحاسب على ما أكسبه من طاعة ومعصية ، أي استدلال على صفاء التوحيد في صدق العبودية ، (**وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**) فإذا كان الله رب كلّ شيء وهو خالقه ومالكه ومدبّره ومربيه ، كان كلُّ شيء مربوباً له فلا ربَّ غيره ولا معبود سواه ، فكيف أعبد غيره ؟ وكيف يليق أن أتخذ إلهاً غير الله ؟ وكيف أطيع المخلوق في معصية الخالق ؟ وكيف أطيع الهوى وأترك نعمة الهدى ؟ إنّ الشرود عن الله هو الشرود عن الحق ﴿**بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾ الحج/٦٢ ، والذي استقام عليه الوجود كلّه (**وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا**) ولا تكون جناية نفس من النفوس إلاّ عليها وتنال جزاء عملها خيراً كان أم شراً كقوله ﴿**مَنْ عَمِلَ**

صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ الجاثية/١٥ ، (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الوِزْرَ : الذنب أي ولا يحمل أحدٌ ذنب أحد ، ولا يؤاخذ إنسان بجريرة وجرم غيره ، وكلُّ إنسان مسؤول عن نفسه ويحاسب على أساس عمله وليس مسؤولاً عن عمل غيره كقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر/٣٨ ، وكان المشركون يقولون للمسلمين ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ العنكبوت/١٢، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره فإنه عليه وزر التسبب من غير أن ينقص من وزر المباشر شيء ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ النحل/٢٥، من كان قدوة صالحة للنّاس في عمل معيّن فإنّه ينتفع بعمل من أرشدهم زيادة على انتفاعه بعمله (وبالعكس) في القدوة السيئة كما جاء عن النبي (ص) (مَنْ سَنَّ فِيْ الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَاْ وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَاْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْءٌ، مَنْ سَنَّ فِيْ الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَاْنَ عَلَيْهِ وِزْرهَاْ وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَاْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَاْمَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) كنز العمال خبر٤٣٠٧٩.

**وبهذا يتبين:** أن نسبة قول (يعذب الميت ببكاء أهله) إلى رسول الله (ص) مجرد افتراء لأنه مخالف لكتاب الله، وهكذا يجب أن يكون القرآن الكريم مرجعاً لكل الأفكار والعقائد والروايات والقناعات، فما وافقه فخذوه وما خالفه فارموا به عرض الحائط، فإنه كقوله (زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) الأنعام/١١٢، فالقرآن كالمصفاة يصفّي كل الشوائب والانحرافات والخرافات ويجعل الفكر والسلوك والخُلق متألقاً، كان النبي(ص) خُلُقُهُ القُرآن مستقيماً صافياً (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) مرجعكم إلى الله يوم القيامة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾الأعراف/٢٩، فيجازيكم على أعمالكم وبذلك يتميز بين المحسن والمسيء ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾ النبأ/١٧، موعداً محدداً يظهر الحق فيه بوضوح لا اختلاف فيه ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء/٢٢٧.

**١٦٥ - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

بيان لنعمة الله على الإنسان وما فيها من تكريم له وإحسان إليه ، إنّه خلافة الإنسان لله على الأرض، فمن قدّر نفسه واستقام ومن ضلّ عن سبيل الله فلم يعرف قدر الخلافة ولم يعرف قدر نفسه و (مَنْ لَمْ يَعْرِفُ قَدْرَهُ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ). (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ) خَلائِفَ : أي يخلف أهل العصر اللاحق أهل العصر السابق ، ويخلف بعضكم بعضاً ، وجعلكم خلفاء الله في أرضه تتصرّفون في إعمارها ، كلما مضى جيل خلفه جيل آخر في انتظام واتساق إلى يوم يبعثون ، واختلاف شؤونكم من قوة وضعف وعلم وجهل ، وغنى وفقر ورئاسة ومرؤوسية ، وهذا نظام لا يكون إلاّ من منظّم قادر مقدّر مدبر عالم حكيم ، وسخّر لكم ما في الأرض جميعاً لينظر كيف تعملون؟ كقوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يونس/١٤ ، (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) في التفاوت بينكم في صفات مميزة كثيرة منها في المؤهلات

العلمية والعقلية والجسمية وتنوع المواهب والأفكار والذكاء والدهاء ، وفي اختلاف المواقع والمهن والإختصاصات والكفاءات ، وفي تفاوت الرزق والغنى والجاه والقوة والقدرة والأشكال والألوان وفي العقل والوعي والعمر ، اختلاف القدرات يؤدي إلى اختلاف الأعمال التي بها تتفاوت درجاتكم ومنازلكم في الدّنيا والآخرة ، وغير ذلك ممّا وقع فيه التّفضيل بين العباد كقوله ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ الكهف/٧.

(**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**) ليختبركم ويمتحنكم فيما أعطاكم فيكون امتحان أي شخص بمقدار المواهب والإمكانات الممنوحة له ! فيعاملكم معاملة المختبر ، هل تستعملون مواهبكم في الاستغلال والاحتكار والفساد وإثارة النعرات الطائفية المقيتة ، أو في تربية الفرد والمجتمع ودفع التطور الحضاري إلى الأمام في إنشاء المعامل والمصانع المتنوعة في ما يرضي الله وفي ما ينفع الناس ويسد حاجاتهم الضرورية الكمالية (**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ**) إنّما وصف نفسه سبحانه بـ (**سَرِيعُ الْعِقَابِ**) مع أنّ عقابه في الآخرة أولاً وفي الدّنيا ثانياً من حيث أن كُلُّ مُقَدَّرٍ كَائِنٌ، وَكُلُّ كَائِنٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيْبٌ، وَكُلُّ قَرِيْبٍ كَادَ أَنْ يَكُوْنَ ، ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً**﴾ المعارج/٦-٧ ، فهو إذن سريع ، وأيضاً هو سبحانه قادر على تعجيل العقاب في الدّنيا قبل الآخرة من الضرر في النفس أو العقل أو العرض أو المال وغير ذلك فيكون الحليم فيهم حيران، ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ الشورى/٣٠ ، ﴿**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾ آل عمران/٤ ، (**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) لمن أخلص الدين لله وآمن وعمل صالحاً وكف الأذى عن الناس وساهم في نفعهم ، وباب التوبة والإنابة مفتوح فإنه غفور رحيم لمن أناب وتاب واستقام ، وهنا جمع بين الخوف والرجاء وبين الترغيب والترهيب بحيث يكونان متلازمين ومترابطين على الدّوام ، **عن النبي (ص)** : (لَوْ يَعْلَمِ الْمُؤْمِنُ مَاْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوْبَةِ مَاْ طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمْ الْكَاْفِرُ مَاْ عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَاْ قَنَطَ أَحَدٌ مِنَ الْجَنَّةِ) كنز العمال خبر٥٨٦٧. **فائدة:** إستهلّت سورة الأنعام بالثناء على الله تعالى (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ**) وإختتمت بالرحمة (**وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**).

**وفي الختام نقول : ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** الحاقة/١٢ ، **وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يونس/١٠.**

**تمّ بعون الله تعالى (وُعْيُ القُرآنِ الُميسَّر) لسورة الأنعام ، بقدري لا بقدرها ، بجهدٍ متواصل ، فللّه الحمد والمنّة، وبالحمد تتمُّ الصّالحات وتزداد البركات وتدفع النقمات بتأريخ ١٥/رمضان/١٤٣٦ هـ الموافق ٢٠١٤/٩/٢ م مع تصحيحها عدّة مرّات وتدقيقها في بغداد–الكاظمية ، داعين الله تعالى أن يُعيننا على تكملة بقية السُّور القرآنية الكريمة ، إنّ ربّي سميعٌ مجيب الدُّعاء.**

**بقلم الباحث : مكي قاسم البغدادي**

# الخاتمة

**قال تعالى :** ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾ الأنعام/١١٥ .

تمّ المجلّد الأول من (**وَعْيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر**) بعونه تعالى وتوفيقه ويحتوي : من الجزء (١ – ٨) من القرآن الكريم ، من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الانعام ، من القرآن الكريم بعون الله وتوفيقه ، ونستعين بالله العمل على تكملة بقية أجزاء القرآن الكريم، فإني أكتب (**وَعْيُ القُرآنِ الْمُيَسَّر**) بقدري لا بقدره ، وبمحتواي لا بمحتواه، وبمنطلقات قوله تعالى ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾ التكوير/٢٧ ، وعلى قاعدة الثقلين (كِتَابُ اللهِ وعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي) وأنا أدعو الله أن يعصمني من الزلل ويسددني في القول والعمل .

وانتهت كتابته بتأريخ ٢٩ / جمادي أولى/١٤٤١ هـ، المصادف ٢٥ /١ /٢٠٢٠ م

في العراق / بغداد – مدينة الكاظمية

وآخر دعوانا ﴿ **أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ يونس/ ١٠

بقلم الباحث القرآني مكي قاسم البغدادي

يُعنى بالدراسات القرآنية

# مصادر الكتاب

١- القرآن الكريم.
٢- الشيخ مُحَمَّد عبدة/ شرح نهج البلاغة للإمام علي (ع)/ دار التعارف بيروت وغيرها.
٣- ابن أبي الحديد المعتزلي/ شرح نهج البلاغة/ طباعة طهران، وطباعة بيروت.
٤- الإمام زين العابدين (ع)/ الصحيفة السجادية الكاملة (زبور آل مُحَمَّد) مؤسسة النعمان بيروت.
٥- الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي/ مجمع البيان في تفسير القرآن/ دار مكتبة الحياة بيروت.
٦- السيد مُحَمَّد حسين الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن/ مؤسسة الأعلمي بيروت ط٣ سنة ١٩٧٣م.
٧- الإمام الفخر الرازي/ التفسير الكبير/ دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣.
٨- الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ مؤسسة البعثة بيروت ط١ سنة١٩٩٢م.
٩- مُحَمَّد جواد مغنية/ التفسير الكاشف/ دار العلم للملايين بيروت ط٣ سنة ١٩٨١م.
١٠- الشيخ محسن قراءتي/ تفسير النور/ دار المؤرخ العربي بيروت ط١ سنة ٢٠١٤م.
١١- السيد مُحَمَّد حسين فضل الله/ تفسير من وحي القرآن/ دار الملاك ط٢ سنة ١٩٩٨م بيروت.
١٢- السيد مُحَمَّد تقي المدرسي/ من هدى القرآن/ الناشر مكتب المدرسي ط١ سنة ١٤٠٧هـ
١٣- الأستاذ الشهيد سيد قطب/ في ظلال القرآن/ دار إحياء التراث العربي بيروت/ ٨مجلدات ط٧ سنة ١٩٧١.
١٤- الأستاذ أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغي/ دار إحياء التراث العربي بيروت/ مكتبة مصطفى الحلبي بمصر، ط٣ سنة ١٩٦٢م.
١٥- الإمام إسماعيل حقي البروسوي/ تفسير روح البيان/ دار الفكر سورية، لبنان.
١٦- بن كثير القرشي/ تفسير ابن كثير/ دار الأندلس بيروت ط١ سنة ١٩٦٦م.
١٧- مُحَمَّد بن جرير الطبري/ تفسير الطبري/ دار المعارف بمصر.
١٨- الآلوسي البغدادي/ روح المعاني في تفسير القرآن/ دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٩- أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي/ تفسير الكشاف/ دار المعرفة بيروت.
٢٠- د. مصطفى فرج/ التفسير المختصر للقرآن الكريم/ دار الهادي بيروت ط٢ سنة ٢٠٠٧م.
٢١- مُحَمَّد السبزواري العزيزي النجفي/ إرشاد الاذهان إلى تفسير القرآن/ دار التعارف بيروت ط٣ سنة ٢٠١٤.

٢٢- مُحَمَّد جواد مغنية/ التفسير المبين/ دار الكتاب الإسلامي بيروت/ ط٢ سنة ١٩٨٣م.
٢٣- كمال مصطفى شاكر/ الميزان المختصر في التفسير/ ربط المعاني بروح العصر/ طباعة سورية.
٢٤- الشيخ أحمد مغنية/ خلاصة التفاسير في أوضح التعابير/ المكتبة الحديثة بيروت/ مقدمة الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر.
٢٥- مُحَمَّد علي الصابوني/ صفوة التفاسير/ دار القلم العربي حلب/، دار النمير بدمشق ط١ ١٩٩٤م.
٢٦- أضواء على متشابهات القرآن/ الشيخ خليل ياسين/ بيروت سنة ١٩٦٩م
٢٧- مختصر خواطر مُحَمَّد متولي الشعراوي/ حول آيات القرآن الكريم/ دار المعارف بمصر ط٢، سنة ٢٠١٧ إعداد منى الهاشمي.
٢٨- عبد الكريم الخطيب/ التفسير القرآني للقرآن/ دار الفكر العربي بمصر سنة ١٩٧٠م.
٢٩- جمال الدين القمي الميرزا مُحَمَّد المشهدي/ تفسير كنز الدقائق/ تفسير روائي مؤسسة النشر الإسلامي إيران جماعة المدرسين بقم.
٣٠- العلامة جمعة العروسي الحويزي/ تفسير نور الثقلين/ مطبعة الحكمة – قم – إيران ط٢.
٣١- الفيض الكاشاني/ تفسير الصافي/ مؤسسة الأعلمي بيروت/ طباعة إيران.
٣٢- عبد الرحمان الدين السيوطي/ الدر المنثور في التفسير المأثور/ دار الفكر بيروت ط١ سنة ١٩٨٣م.
٣٣- مُحَمَّد باقر المجلسي/ بحار الأنوار الجامع لدرر الاخبار/ ط حديثة بيروت مؤسسة الوفاء.
٣٤- الراغب الاصفهاني/ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ دار المعرفة بيروت/ تحقيق مُحَمَّد سيد كيلاني.
٣٥- علاء الدين علي الهندي/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ مؤسسة الرسالة بيروت/ ومكتبة التراث الإسلامي في حلب.
٣٦- ميرزا حسين النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل/ طبعة إيران المكتبة الإسلامية/ والمكتبة العلمية النجف.
٣٧- أبو مُحَمَّد القوي المنذري/ الترغيب والترهيب/ دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٨- الحر العاملي/ تحقيق عبد الرحيم الشيرازي/ وسائل الشيعة/ دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٩- أبو جعفر الكليني الرازي/ الكافي/ صححه علي أكبر الغفاري/ دار التعارف بيروت ط٣.
٤٠- أبن عبد الواحد التميمي الآمدي/ غرر الحكم ودرر الكلم للإمام علي (ع)/ ط ايران/ دار الصفوة بيروت سنة ٢٠٠٩.
٤١- المحمدي الري شهري/ ميزان الحكمة/ جمع روائي/ مكتبة الاعلام الإسلامي حوزة قم إيران.
٤٢- مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي/ معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ دار الأندلس بيروت.
٤٣- الحسن بن شعبة الحراني/ تحف العقول/ مؤسسة النشر الإسلامي إيران.
٤٤- الشيخ عباس القمي/ سفينة البحار/ ط إيران.
٤٥- الشيخ عباس القمي/ مفاتيح الجنان المعرّب/ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٦- مُحَمَّد بن مرتضى الكاشاني/ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء/ مؤسسة الأعلمي بيروت ط٢ سنة ١٩٧٢م.

٤٧- الشيخ مُحَمَّد باقر المحمودي/ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مطبعة النعمان النجف ط١ سنة ١٩٦٨.

٤٨- ابن عساكر/ تاريخ دمشق/ ترجمة ومكتبة الإمام الحسين (ع).

٤٩- السيد أبو القاسم الخوئي/ تفسير البيان/ مؤسسة الأعلمي بيروت ط٣/ سنة ١٩٧٤م.

٥٠- السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (مواهب الرحمن في تفسير القرآن)/ منشورات دار التفسير/ إيران – قم ط٥ سنة ٢٠١٠م.

٥١- ما أملاه الإمام الصادق (ع) للمفضل/ توحيد المفضل/ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٢- أبو علي الفضل الطبرسي/ الاحتجاج/ مطبعة النعمان النجف.

٥٣- عبد الله الأنصاري القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ دار إحياء التراث العربي بيروت طبعة أوفسيت.

٥٤- أبو الفضل بن منظور الأفريقي المصري/ لسان العرب/ دار صادر بيروت.

٥٥- د. حيد علي نعمة و د. أحمد علي نعمة/ المعجم القرآني/ دراسة معجمية لأصول الفاظ القرآن الكريم (الجذر اللّغوي للمصطلح القرآني، ومعاني الكلمات) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجامعة العراقية سنة ٢٠١٣م، مطبعة السيماء، ط١ – بغداد – شارع المتنبي.

٥٦- الشيخ المفيد/ الأمالي/ جماعة المدرسين/ الحوزة العلمية بقم.

٥٧- صحيح مسلم/ شرح النووي/ إحياء التراث العربي بيروت ط٢.

٥٨- لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/ دار أسامة كرم دمشق/ توزيع دار القلم بيروت.

٥٩- وغيرها من المصادر الأخرى التي لم أذكرها لقلة استعمالي لها.

وآخر دعوانا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس/ ١٠

# فهرس

## محتويات

# (وَعْيُ الْقُرْآنِ الْمُيَسَّر)

## المجلّد الأول

### من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الانعام
### من جزء (١-٨) من أجزء من القرآن الكريم

**قال تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** إبراهيم/٢٧


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| السيرة الذاتية المختصرة للكتاب | ٤ |
| دعاء قبل التلاوة ، دعاء بعد التلاوة ، إقرأ القرآن وأرق ، اقتدوا بسنة نبيكم | ٧-٨ |
| مقدّمة المؤلف : الأسباب .. منهجية البحث .. النتائج | ٩-١٥ |

| إسم السورة | إسمها الآخر | نزولها | رقمها وترتيبها | عدد آياتها | الجزء من القرآن وعدد الآيات | الصفحات من | الصفحات إلى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| سورة الفاتحة | الحمد ، أساس القرآن ، الكافية أم الكتاب | مدنية | ١ | ٧ | الجزء الأول من الاية ١ — ٧ | ١٦ | ٢٦ |
| سورة البقرة | سنام القرآن | مدنية | ٢ | ٢٨٦ | الجزء الأول من الآية ١ — ١٤١<br>الجزء الثاني من الآية ١٤٢ — ٢٥٢ | ٢٧<br>١٠١ | ١٠١<br>١٨٢ |

| إسم السورة | إسمها الآخر | نزولها | رقمها وترتيبها | عدد آياتها | الجزء من القرآن وعدد الآيات | الصفحات من | الصفحات إلى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | الجزء الثالث من الآية ٢٥٣ — ٢٨٦ | ١٨٢ | ٢١٠ |
| سورة آل عمران | الإستغفار ، الكنز ، الآمان ، طيبة | مدنية | ٣ | ٢٠٠ | الجزء الثالث من الآية ١ — ٩٢<br>الجزء الرابع من الآية ٩٣ — ٢٠٠ | ٢١١<br>٢٥٦ | ٢٥٥<br>٣١٥ |
| سورة النساء | النساء الكبرى | مدنية | ٤ | ١٧٦ | الجزء الرابع من الآية ١ — ٢٣<br>الجزء الخامس من الآية ٢٣ — ١٤٧<br>الجزء السادس من الآية ١٤٧ — ١٧٦ | ٣١٦<br>٣٣٤<br>٤٢٣ | ٣٣٣<br>٤٢٣<br>٤٤٠ |
| سورة المائدة | العقود ، المنقذة الأخيار | مدنية | ٥ | ١٢٠ | الجزء السادس من الآية ١ — ٨١<br>الجزء السابع من الآية ٨٢ — ١٢٠ | ٤٤١<br>٥١٠ | ٥١٠<br>٥٣٧ |
| سورة الأنعام | الحجة | مكية | ٦ | ١٦٥ | الجزء السابع من الآية ١ — ١١٠<br>الجزء الثامن من الآية ١١١ — ١٦٥ | ٥٣٧<br>٦١٩ | ٦١٨<br>٦٦٥ |

وآخر دعوانا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس /١٠

# فهرس

## مباحث آيات

# (وَعْيُ الْقُرْآنِ الْمُيَسَّر)

## المجلّد الأول

من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الانعام

من جزء (١-٨) من أجزء من القرآن الكريم

**قال تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾** آل عمران/١٣٨


| | الموضـــــوع | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| - | السيرة الذاتية المختصرة للكتاب | | ٤ |
| - | دعاء قبل التلاوة ، ودعاء بعد التلاوة، إقرأ القرآن وأرق ، اقتدوا بسنة نبيكم | | ٧-٨ |
| - | مقدّمة المؤلف : أسباب التأليف .. منهجية البحث .. النتائج | | ٩-١٥ |
| - | سورة الحمد وتسمّى الفاتحة ، أم الكتاب ، أم القرآن/مكية١/عدد آياتها ٧ ، وتسمى السبع المثاني ، أهداف القرآن في أم الكتاب / وهي خلاصة القرآن في سورة الحمد | | ١٥ |
| - | معنى الإستعاذة من الشيطان الرجيم | | ١٦ |
| - | سورة الحمد عِدْلُ القرآن | | ١٥-٢٦ |
| | **من مباحث آيات سورة البقرة/مدنية/ترتيبها ٢/آياتها ٢٨٦/الجزء الأول من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | من مقاصد السورة وفضلها | | ٢٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| - | القرآن كتاب هداية ، الهداية الخاصة ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة/٢ ، والهداية العامة ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ البقرة/١٨٥ | ٢ | ٢٨ |
| - | قوله ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة ...**﴾ **من صفات المتقين** : الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة | ٣ | ٢٨ |
| - | قوله ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ...**﴾ **من صفات المنافقين** الخطيرة : التلوّن والتذبذب والتغيّر | ٩ | ٣١ |
| - | قوله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ ...**﴾ **هدف الخلق عبادة الله** وهي مفهوم واسع تشمل نفع الناس وعمارة الأرض وتهذيب النّفوس | ٢١ | ٣٦ |
| - | قوله ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ...**﴾ يتحدّى القرآن بإعجازه المتكامل كلّ النّاس | ٢٣ | ٣٧ |
| - | قوله ﴿**أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ...**﴾ لماذا البعوضة فما فوقها؟ | ٢٦ | ٣٩ |
| - | قوله ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...**﴾ معنى الخلافة في الأرض وخصائصها | ٣٠ | ٤١ |
| - | قوله ﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...**﴾ إمتحان آدم وزوجته في جنّة الدّنيا ، وطبيعة الدّنيا دار إمتحان | ٣٥ | ٤٤ |
| - | قوله ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ...**﴾ من صفات بني إسرائي وسيرتهم المشبوهة | ٤٠ | ٤٧ |
| - | قوله ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ...**﴾ الصلاة ثقيلة مملّة إلاّ على الخاشعين | ٤٥ | ٤٩ |
| - | قوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ← لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ مفهوم الفرقة الناجية في القرآن | ٦٢ | ٥٧ |
| - | قوله ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ...**﴾ الأميّون .. والأماني الكاذبة ، أميّون وإن كانوا يقرأون ويكتبون ولكن لا وعي لهم ولا فهم | ٧٨ | ٦٤ |
| - | قوله ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ...**﴾ مخاطر الذنوب وآثارها السيئة في خراب النفوس | ٨١ | ٦٦ |
| - | قوله ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ...**﴾ صورة مزرية عن حرص | ٩٦ | ٧٤ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | اليهود على مجرّد (حياة) لتعلقهم (**بحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**) | | |
| - | قوله ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ...**﴾ حكمة النسخ في آيات القرآن ، قد يكون منسوخ حكم لا يعمل به دون نسخ النّص وتلاوته | ١٠٦ | ٧٩ |
| - | قوله ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ...**﴾ تسليم الأمور لله ، سلّم إلى كلّ عالٍ | ١١٢ | ٨٣ |
| - | قوله ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ...**﴾ من معاني السعي في خراب المساجد هو هجرتها ومقاطعتها | ١١٤ | ٨٤ |
| - | قوله ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...**﴾ لن يرضوا عنك حتى تترك الإسلام ، وتتجاوز حدود الله | ١٢٠ | ٨٧ |
| - | قوله ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ...**﴾ يتلونه بتدبّر وتأمّل ويأخذونه قائداً لحياتهم | ١٢١ | ٨٨ |
| - | قوله ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ...**﴾ معنى إمامة إبراهيم (ع) وإمامة أئمة أهل البيت (ع) | ١٢٤ | ٩٠ |
| - | قوله ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ...**﴾ (**صبغة الله**) الإسلام والعبودية الكاملة لله ، والتعامل الأخلاقي مع النّاس | ١٣٨ | ٩٨ |
| | **من مباحث آيات سورة البقرة/مدنية/ترتيبها ٢/آياتها ٢٨٦/الجزء الثاني من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ...**﴾ **الأمّة الوسط** ، والأمّة الشاهدة على النّاس | ١٤٣ | ١٠٢ |
| - | قوله ﴿**فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ ...**﴾ وقوله ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ يونس/٩٤ ، كيف نفهم معنى الخطاب الموجّه للنبي (ص) | ١٤٧ | ١٠٥ |
| - | قوله ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ...**﴾ الشهداء أحياء عند ربهم مكرمون | ١٥٤ | ١١٠ |
| - | قوله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ ...**﴾ خطورة كتمان العلم على النّاس ، خطورة تسطيح الفكر على النّاس ، خطورة السكوت على إنحرافات وخرافات وغلو الأمّة | ١٥٩ | ١١٣ |
| - | قوله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ...**﴾ فلسفة الحب في القرآن | ١٦٥ | ١١٦ |
| - | قوله ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ خالفوا وساوس | ١٦٨ | ١١٩ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | الشيطان بكل أمر | | |
| - | قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ ...﴾ خطورة كتمان العلم على الناس | ١٧٤ | ١٢٤ |
| - | قوله ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾ معنى البر في القرآن | ١٧٧ | ١٢٥ |
| - | قوله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ضرورة القصاص لحفظ حياة المجتمع وتقدّمه | ١٧٩ | ١٢٨ |
| - | قوله ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾ أهمية إعداد الوصية العادلة لكل إنسان وحفظ حقوق الورثة | ١٨٠ | ١٢٩ |
| - | قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾ فريضة الصوم من أركان الإسلام | ١٨٣ | ١٣٠ |
| - | قوله ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ...﴾ أحكام القتال في سبيل الله | ١٩٠ | ١٣٧ |
| - | قوله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ...﴾ من أحكام الحج | ١٩٦ | ١٤١ |
| - | قوله ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ من صفات المنافقين | ٢٠٤ | ١٤٧ |
| - | قوله ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ...﴾ من صفات من يبيع نفسه لله | ٢٠٧ | ١٤٩ |
| - | قوله ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ...﴾ الإبتلاء الشديد في معركة الخندق | ٢١٤ | ١٥٥ |
| - | قوله ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ ...﴾ في منبت الإخصاب (في القُبل) دون سواه | ٢٢٢ | ١٦١ |
| - | قوله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ...﴾ حدود النكاح في مكان الحرث أي في مكان الإخصاب ، بأيّة كيفية شئتم | ٢٢٣ | ١٦٢ |
| - | قوله ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ...﴾ حكمة الطلاق عند الضرورة القصوى | ٢٢٩ | ١٦٥ |
| - | قوله ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى ...﴾ تحديد الصلاة الوسطى | ٢٣٨ | ١٧٢ |
| - | قوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ...﴾ قرض الله | ٢٤٥ | ١٧٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | ، وقرض الناس | | |
| – | قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ...﴾ قصة طالوت الملك وصفاته المميزة المناسبة لهم | ٢٤٧ | ١٧٧ |
| – | قوله ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ ...﴾ فلسفة الدفع في القرآن الكريم | ٢٥١ | ١٨٠ |
| | **من مباحث آيات سورة البقرة/مدنية/ترتيبها ٢/آياتها ٢٨٦/الجزء الثالث من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| – | قوله ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...﴾ آية الكرسي ، تحتوي على أسس التصوّر الإسلامي | ٢٥٥ | ١٨٤ |
| – | قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ...﴾ محاججة إبراهيم (ع) مع النمرود ، أصول الحوار وقواعد الجدال | ٢٥٨ | ١٨٨ |
| – | قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ...﴾ الله تعالى يضاعف الإنفاق في سبيله أي في خدمة الناس | ٢٦١ | ١٩١ |
| – | قوله ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ...﴾ في غرر الحكم : (لا حكمة إلاّ بعصمة) | ٢٦٩ | ١٩٦ |
| – | قوله ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ الْمَسِّ ...﴾ مخاطر أكل الرّبا | ٢٧٥ | ٢٠٠ |
| – | قوله ﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ ...﴾ آية الدّين ، أطول آية في القرآن لتنظيم العلاقات الإجتماعية | ٢٨٢ | ٢٠٤ |
| – | قوله ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ...﴾ ، وقوله ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ الطلاق/٧ | ٢٨٦ | ٢٠٩ |
| | **من مباحث آيات سورة آل عمران/مدنية/ترتيبها ٣/آياتها ٢٠٠/الجزء الثالث من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| – | من مقاصد السورة وفضلها | | ٢١١ |
| – | قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ...﴾ المتشابه يكشف عنه المحكم ، فيكون تفسير القرآن بالقرآن فيعود كلّه محكماً ، وهذا بحاجة إلى إختصاصات مميزة | ٧ | ٢١٤ |
| – | قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ...﴾ فمن فضّل متاع الدّنيا على الحياة الآخرة فقد إختار لنفسه دين الحياة | ١٤ | ٢١٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | |
| - | قوله ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ...﴾ العلماء خلفاء الرّسل وورثة الأنبياء | ١٨ | ٢٢١ |
| - | قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ...﴾ الإسلام دين المستقبل وهو يعلو ولا يعلى عليه | ١٩ | ٢٢٢ |
| - | قوله ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ...﴾ **سنّة التّداخل بين الأشياء** ، كتداخل النّور مع الظلمات | ٢٧ | ٢٢٦ |
| - | قوله ﴿لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ...﴾ موارد التقية | ٢٨ | ٢٢٧ |
| - | قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ **مكر الله** : ما يدبره الله ضدّ الماكرين | ٥٤ | ٢٣٨ |
| - | قوله ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا ...﴾ **آية المباهلة** ، لبيان منزلة أهل البيت (ع) | ٦١ | ٢٤٠ |
| - | قوله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾ **كلمة السواء**، كلمة الإتفاق والوفاق | ٦٤ | ٢٤٢ |
| - | قوله ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ...﴾ لا تثقوا بأحد إلاّ إذا كان على دينكم | ٧٣ | ٢٤٦ |
| - | قوله ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً ...﴾ (لا شرف أعلى من الإسلام) | ٨٥ | ٢٥٢ |
| | **من مباحث آيات سورة آل عمران/مدنية/ترتيبها ٣/آياتها ٢٠٠/الجزء الرابع من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ...﴾ الحج إعداد الحاج النفسي والعلمي ليوم المحشر | ٩٧ | ٢٥٧ |
| - | قوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ...﴾ (من إتّقى الله وقاه) | ١٠٢ | ٢٥٩ |
| - | قوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ...﴾ **وحدة الكلمة** ، وكلمة التوحيد | ١٠٣ | ٢٦٠ |
| - | قوله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ...﴾ إعداد نخبة من الأمة لتهذيب الجماهير الشعبية | ١٠٤ | ٢٦١ |
| - | قوله ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ | ١٠٥ | ٢٦٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | ...﴾ تحذير المسلمين من آفة التفرق وخطورة الإختلاف | | |
| - | قوله ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ** ...﴾ تكريم الأمة المسلمة بجعلها خير الأمم | ١١٠ | ٢٦٤ |
| - | قوله ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ** ...﴾ معنى النصرة من قلة وذلة | ١٢٣ | ٢٧٢ |
| - | قوله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ** ...﴾ وقوله ﴿**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** ...﴾ يونس/٤٩ | ١٢٨ | ٢٧٤ |
| - | قوله ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ** ...﴾ **إكتشفوا نظام السنن التأريخية** | ١٣٧ | ٢٧٩ |
| - | قوله ﴿**أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ...﴾ تداعيات الإنقلاب على الأعقاب بعد وفاة الرسول (ص) | ١٤٤ | ٢٨٣ |
| - | قوله ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ...﴾ من شارك أصحاب العقول والإيمان ، شاركهم عقولهم وإيمانهم | ١٥٩ | ٢٩١ |
| - | قوله ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ** ...﴾ إذا أراد الله نصركم فلا يتمكن أحد أن يغلبكم | ١٦٠ | ٢٩٢ |
| - | قوله ﴿**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ...﴾ له (ص) صفات نموذجية منذ نشأته فهو الصّادق الأمين | ١٦٤ | ٢٩٤ |
| - | قوله ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ** ...﴾ كرامة الشهيد المميزة النموذجية السامية | ١٦٩ | ٢٩٦ |
| - | قوله ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ← إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً** ...﴾ إنّ الله يمهل الظالم ولا يهمله | ١٧٨ | ٣٠١ |
| - | قوله ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ ← حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ** ...﴾ في المحن منح ، وفي المكاره مكارم وفي المعاناة هباة ... | ١٧٩ | ٣٠٢ |
| - | قوله ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ...﴾ الموت حق على كلّ نفس | ١٨٥ | ٣٠٦ |
| - | قوله ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ** ...﴾ (إذا ظهرت البدع ولم يظهر العالم علمه فعليه لعنة الله) | ١٨٧ | ٣٠٧ |
| - | قوله ﴿... **وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا** ...﴾ المعجبون بأنفسهم صغار النفوس والعقول | ١٨٨ | ٣٠٨ |
| | **من مباحث آيات سورة النساء/مدنية/ترتيبها ٤/آياتها** | **الآية** | **الصفحة** |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | **١٧٦/الجزء الرابع من القرآن الكريم** | | |
| - | من مقاصد السورة وفضلها | | ٣١٦ |
| - | قوله ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ...﴾ مفهوم (النفس الواحدة ، وتقوى الله وتقوى الأرحام) | ١ | ٣١٦ |
| - | قوله ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ...﴾ أحكام تعدد الزوجات بشرط العدالة | ٣ | ٣١٩ |
| - | قوله ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ...﴾ حكمة مهور النساء | ٤ | ٣٢٠ |
| - | قوله ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ** ...﴾ شروط التوبة | ١٧ | ٣٢٨ |
| - | قوله ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً** ...﴾ فلسفة الإفضاء النموذجية ، ولماذا سمّى القرآن العقد الشرعي بالميثاق الغليظ؟! | ٢١ | ٣٣١ |
| | **من مباحث آيات سورة النساء/مدنية/ترتيبها ٤/آياتها ١٧٦/الجزء الخامس من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** ...﴾ **شروط الزواج المؤقت (زواج المتعة)** | ٢٤ | ٣٣٤ |
| - | قوله ﴿**وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ...﴾ حق المرأة في الملكية الفردية | ٣٢ | ٣٤١ |
| - | قوله ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ...﴾ **القوامة جدلية بين زوجين** ، الأسباب .. والنتائج | ٣٤ | ٣٤٢ |
| - | قوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ...﴾ مخاطر الشرك الخفي والجلي | ٤٨ | ٣٥٥ |
| - | قوله ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ...﴾ العدل أساس الملك | ٥٨ | ٣٦٠ |
| - | قوله ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ...﴾ معنى أولوا الأمر | ٥٩ | ٣٦١ |
| - | قوله ﴿**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ ترغيب في القتال في سبيل الله | ٧٤ | ٣٦٨ |
| - | قوله ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ...﴾ إنّ الله يمدح من يفهم | ٧٨ | ٣٦٨ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | سننه سبحانه ونظامه وتدبيره ، ويذم الجهل | | |
| - | قوله ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ وتناقضاً كبيراً | ٨٢ | ٣٧٧ |
| - | قوله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ...﴾ وجوب إعداد علماء دين متخصصين مخلصين عاملين لقيادة الأمة ولإستنباط الحكم الشرعي والمستحدث | ٨٣ | ٣٧٨ |
| - | قوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً ...﴾ حكم القتل الخطأ | ٩٢ | ٣٨٤ |
| - | قوله ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ...﴾ حكم القتل المتعمّد ، خمس عقوبات متتالية | ٩٣ | ٣٨٦ |
| - | قوله ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ | ٩٥ | ٣٨٧ |
| - | قوله ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ...﴾ الهجرة عن الأوطان لها ظروفها المناسبة | ٩٧ | ٣٨٨ |
| - | قوله ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ الصلاة فريضة مكتوبة بأوقاتها المعينة | ١٠٣ | ٣٩٢ |
| - | قوله ﴿وَمَنْ يَتَّخِذْ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ ولياً من دون الله وناصراً وقائداً فقد خاب وخسر فما الفائدة أن أربح كلّ شيء وأخسر أهمّ شيء وهي نفسي؟! | ١١٩ | ٤٠٢ |
| - | قوله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ...﴾ **الفرقة الناجية في القرآن** | ١٢٤ | ٤٠٤ |
| - | قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ...﴾ لا أحد أحسن ديناً ممن إنقاد لأمر الله | ١٢٥ | ٤٠٥ |
| - | قوله ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً ...﴾ **حكم نشوز الزوج** | ١٢٨ | ٤٠٨ |
| - | قوله ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ...﴾ لا يمكن العدل في الحب والميول النفسي والعاطفي بين الزوجات | ١٢٩ | ٤٠٩ |
| - | قوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ...﴾ **سنّة الإستبدال في القرآن** | ١٣٣ | ٤١٢ |
| - | قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمْ | ١٣٩ | ٤١٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | **الْعِزَّةَ ...﴾** ؟ (من إعتز بغير الله) | | |
| - | قوله ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ...**﴾ يجازيهم على خداعهم | ١٤٢ | ٤١٩ |
| | **من مباحث آيات سورة النساء/مدنية/ترتيبها ٤/آياتها ١٧٦/الجزء السادس من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ ...**﴾ من حق المظلوم أن يدافع عن نفسه ويظهر حقه | ١٤٨ | ٤٢٣ |
| - | قوله ﴿**لَكِنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ...**﴾ **الراسخون** : علمهم يقيني مع الدّليل والبرهان علمٌ لا شكّ فيه ولا شبهة ويقنع أصحاب العقول | ١٦٢ | ٤٢٨ |
| - | قوله ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...**﴾ **إلقاء الحجة العلمية على النّاس** ، ضرورة عقائدية | ١٦٥ | ٤٣١ |
| - | قوله ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...**﴾ **مخاطر الغلو** : وهو تجاوز الحدود في الدّين | ١٧١ | ٤٣٥ |
| | **من مباحث آيات سورة المائدة/مدنية/ترتيبها ٥/آياتها ١٢٠/الجزء السادس من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | من مقاصد السورة وفضلها | | ٤٤١ |
| - | قوله ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً ...**﴾ يوم إكمال الدّين وإتمام النّعمة ، تمّ الإسلام كنظرية ، وبعد وفاة الرّسول بحاجة الإسلام إلى شخصيات متكاملة تحمل الإسلام بين الناس وهي أمانة | ٣ | ٤٤٣ |
| - | قوله ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ...**﴾ عن النبي (ص) : (الوضوء غسلتان ومسحتان) | ٦ | ٤٤٩ |
| - | قوله ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾ وهو القرآن يهدي للتي هي أقوم | ١٥ | ٤٥٧ |
| - | قوله ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ...**﴾ معنى قتلها وحياتها | ٣٢ | ٤٦٨ |
| - | قوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ...**﴾ **الوسيلة** : القربة ، شروط الوسيلة | ٣٥ | ٤٧١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| - | قوله ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ ، هُمْ الظَّالِمُونَ ، هُمْ الْفَاسِقُونَ ...﴾ | ٤٤ | ٤٧٨ |
| - | قوله ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ...﴾ القرآن مهيمن على كلّ كتاب | ٤٨ | ٤٨٢ |
| - | قوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ حكم الله ... وحكم الجاهلية | ٥٠ | ٤٨٥ |
| - | قوله ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...﴾ | ٥١ | ٤٨٦ |
| - | قوله ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ | ٥٥ | ٤٩١ |
| - | قوله ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ضرورة الناهون عن المنكر | ٦٣ | ٤٩٦ |
| - | قوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ | ٦٧ | ٥٠٠ |
| - | قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ... فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ...﴾ الفرقة الناجية في القرآن | ٦٩ | ٥٠٢ |
| | **من مباحث آيات سورة المائدة/مدنية/ترتيبها ٥/آياتها ١٢٠/الجزء السابع من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾ اليهود أخبث من المشركين لذلك تقدّموا | ٨٢ | ٥١٠ |
| - | قوله ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ...﴾ تحريم الخمر | ٩٠ | ٥١٤ |
| - | قوله ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ...﴾ لا يستويان في كل شيء .. يبحث مفهوم الديمقراطية | ١٠٠ | ٥٢٠ |
| | **من مباحث آيات سورة الأنعام/مكية/ترتيبها ٦/آياتها ١٦٥/الجزء السابع من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | من مقاصد السورة وفضلها | | ٥٣٧ |
| - | قوله ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ...﴾ الأجل المحتوم ، والأجل المخروم | ٢ | ٥٣٩ |
| - | قوله ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...﴾ رحمته سبقت غضبه ، رحمة من غير | ١٢ | ٥٤٥ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | رقة | | |
| - | قوله ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ** ...﴾ المعاند والجاهل كالميت بين الأحياء | ٣٦ | ٥٦٣ |
| - | قوله ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ...﴾ فأطوار حياتها مثل أطوار حياة الإنسان | ٣٨ | ٥٦٥ |
| - | قوله ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ...﴾ يعلم الإنسان القليل ويجهل الكثير | ٥٩ | ٥٨٠ |
| - | قوله ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ...﴾ متى ؟ إذا تعارضت إرادة الإنسان المختار مع إرادة الله الواحد القهّار | ٦١ | ٥٨٣ |
| - | قوله ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ كشف الله بصيرته عن الأسرار الكامنة في الكون والكائنات | ٧٥ | ٥٩٥ |
| - | قوله ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ** ...﴾ التخلّص من كلّ أنواع الظلم .. تكون عاقبته الأمان | ٨٢ | ٥٩٩ |
| - | قوله ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ** ...﴾ فهم النموذج الصالح للإقتداء والإنتماء والإتّباع | ٩٠ | ٦٠٤ |
| - | قوله ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ** ...﴾ النفس الواحدة الموحدة المتحدة | ٩٨ | ٦١٠ |
| - | قوله ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ...﴾ الإدراك عميق الرؤية | ١٠٣ | ٦١٣ |
| | **من مباحث آيات سورة الأنعام/مكية/ترتيبها ٦/آياتها ١٦٥/الجزء الثامن من القرآن الكريم** | **الآية** | **الصفحة** |
| - | قوله ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً** ...﴾ جميع الموجودات هي كلمات الله ، كلمات الله مفهوم عام | ١١٥ | ٦٢٢ |
| - | قوله ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** ...﴾ يذم القرآن الكثرة العامة | ١١٦ | ٦٢٣ |
| - | قوله ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ...﴾ الفسق الخروج عن طاعة الله | ١٢١ | ٦٢٦ |
| - | قوله ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ...﴾ مقارنة بين الكافر والمؤمن | ١٢٢ | ٦٢٧ |
| - | قوله ﴿**فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ** | ١٢٥ | ٦٣١ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | ...﴾ تصوير الهدى والضلال وتأثيرهما على حركة القلوب | | |
| - | قوله ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ الإِنسِ ... رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ...﴾ الجني يستمتع بطاعة الإنسي له وبالعكس | ١٢٨ | ٦٣٤ |
| - | قوله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ...﴾ إنّها وصية الله لعباده عالية المضامين | ١٥٣ | ٦٥٢ |
| - | قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ...﴾ أصحاب البدع والتفرق يبرئ الله منهم والرسول | ١٥٩ | ٦٥٧ |
| - | قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ...﴾ الخلائف .. وفلسفة التفاوت | ١٦٥ | ٦٦٤ |


وآخر دعوانا ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس /١٠

# السيرة الذاتية (المختصرة) للباحث مكي قاسم البغدادي

**مواليد:** ١٩٥٥ بغداد

**الجنسية** : عراقي

هاجر إلى خارج العراق في ظروف إرهابية سنة ١٩٨٠م

**التحصيل العلمي:** خريج معهد الإدارة / الرصافة/ قسم المحاسبة/ بغداد سنة ١٩٧٨

درس في جامعة الاوزاعي في بيروت/ الدراسات الإسلامية سنة ١٩٨٧.

**الاختصاص:** يُعنى بالدراسات القرآنية.

**مؤلفاته**

١- **موسوعة الثقافة الاستشهادية** (الشهادة تأصيل لاستئصال) دراسة موضوعية معاصرة للنظرية الاستشهادية في المنظور الإسلامي، تتألف من أربعة مجلّدات فنيّة مطبوعة، عدد صفحاتها (٢٢٠٠) صفحة، طبعت سنة ١٩٩٣م، الدار الإسلامية بيروت.

٢- **أهداف القرآن في أم الكتاب/** دراسة سورة الحمد، تحتوي على جزأين في مجلد فني واحد، مطبوع في سنة ٢٠٠٨م، في سوريا، دمشق تضم ٨٥٠ صفحة، طروحات قرآنية تحليلية معاصرة، الدراسة الحيوية للقرآن، (سورة الحمد ميزان: فمن وَفّى، استوفى).

٣- **دراسة سورة العصر**، سبل النجاة من الخسران، طروحات قرآنية تحليلية معاصرة، تضم ٢٤٠ صفحة، طبعت سنة ٢٠٠٨م، دار ضحى للطباعة والنشر في سوريا، دمشق.

٤- **السكن الزوجي المتكافئ**، في المنظور القرآني الفريد، طروحات قرآنية تحليلية معاصرة، الدراسة الحيوية للقرآن، يبحث عن فلسفة السكن الزوجي، القاعدة الأساسية في الحياة الزوجية.

٥- **وَعْيُ القُرآنِ المُيَسَّر**، الفهم الحيوي للقرآن، وهو دراسة معاصرة واعية لفهم النص القرآني بصورة مُيَسَّرة ومؤثرة، محركة للمشاعر، على قاعدة خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولا يملّ، ولا يبتعد عن القصد، ويعتمد المنهج العالمي للقرآن (إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) ويعتمد الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، طبع في دار بساتين المعرفة في بغداد، شارع المتنبي، يضم أربعة مجلّدات فنية، سنة الطبع ٢٠١٩ ط الأولى.

٦- **منهج الوصية الشخصية الهادفة**، من نظام التكافل في الإسلام.

٧- **القِوَامَةُ جَدَلِيّة بين زوجين** لقوله تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) النساء/٣٤، دراسة قرآنية تحليلية معاصرة، مفهوم إدارة الأسرة بصورة عادلة وكفوءة ومتألّقة، على قاعدة (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء/١٩.

٨- ساهمت في كتابة بحوث قرآنية ومقالات تربوية في عدة صحف ومجلات متنوعة.

٩- شاركت في عدة مؤتمرات عالمية ومحلّية، ومهرجانات وجمعيات ومنتديات ثقافية، وندوات إسلامية حوارية.

١٠- المنهج العالمي للقرآن، يتناسب معه الخطاب العالمي، ألقي البحث في مؤتمر جامعة الكوفة سنة ٢٠١٣، ونُشِرَ في كتاب المؤتمر (القرآن وقضايا العصر).

١١- الإمام الكاظم (ع) ونظام الأولويات، أُلقيّ البحث في مؤتمر الإمامين الكاظم والجواد (ع) السنوي الثاني سنة ٢٠١١، ونُشِرَ في كتاب المؤتمر.

١٢- حدود الرخصة الشرعية في تعاون المستضعفين مع الحكومة المستكبرة، بين قواعد الحكم القرآني والسيرة الحركية للإمام الكاظم (ع)، أُلقي البحث في المؤتمر الثالث الدولي، الإمام الكاظم (ع) مصدر عطاء خالد للإنسانية سنة ٢٠١٢، ونُشِرَ في كتاب المؤتمر.

١٣- إشكالية الهداية بين القول والعمل، أُلقي البحث في مؤتمر العودة إلى القرآن، في سوريا- دمشق سنة ٢٠١٤، ونُشِرَ في مجلة البصائر الثقافية.

١٤- إسلوب البحث يَتَقَدَّم على مادة البحث، أُلقي البحث في مؤتمر الوحدة الإسلامية في إيران، طهران سنة ١٩٩٣، نشر في مجلة الثقلين.

١٥- أعمل معدّ برامج في إذاعة الخالدون

- البرامج الثابتة ثلاثة:

١- برنامج في الشهادة حياة

٢- برنامج أنواع النفس في القرآن الكريم

٣- برنامج (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا)

- وبرامج مختارة غير ثابتة حسب المناسبات في الإذاعات والقنوات الفضائية...

وآخر دعوانا (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يونس/ ١٠

قال تعالى

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾

يونس/١٠٨

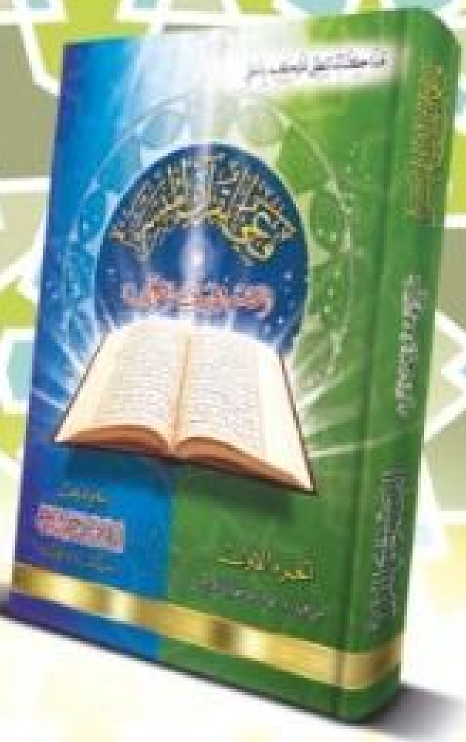

عن رسول الإنسانية محمد ﷺ

(إنَّ هَذا القُرآنَ مَأدُبةُ اللهِ، فَتَعَلَّموا مِنْ مأدُبتِهِ ما استَطَعتُمْ)

## في هذا الكتاب

الحمد لله الذي أنزل القرآن بالحق

(وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً)[الإسراء ١٠٥]

(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ)[النحل ٨٩] وجعله شفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين ، ومنهاجاً صالحاً نموذجياً للعالمين ودستوراً هادياً للبشريّة أجمعين

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)[المائدة ١٦]

الهداية : أرقى درجات العلوم ، وأحسن نعمة لاستقرار النفوس ، وبها يحسن الاستبصار ، والقرآن كتاب هداية للنّاس أجمعين (هُدًى لِلنَّاسِ)[البقرة ١٨٥] ، وكتاب هداية خاصّة للنخبة (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[البقرة ٢] (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)[التكوير ٢٧] فإذا كان ربّنا هو ربّ العالمين ، ونبيّنا رحمةً للعالمين ، وقرآننا منهجٌ للعالمين ، فصار المرسل والرّسول والرسالة كلّها عالميّة ، والقرآن قد اعتمد المنهج العالميّ ليصبح دستوراً للناس أجمعين ، فلماذا نعيش نحن المذهبية المحدودة ؟.

الفهم الحيوي للقرآن الكريم : هو أسلوب الحياة ويبعث على الحياة ، وبذلك يتحبب التفسير في النفوس . (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[القمر ٢٢] الحاجة الحضاريّة لتفسير معاصر مُيسّر للقرآن الكريم . فإذا كان القرآن نصاً مُيسّراً لكل النّاس . فالمطلوب والمرغوب أن يكون تفسيره مُيسّراً أيضاً لكل الناس ، مُيسّراً في معناه عميقاً في مغزاه دقيقاً في دلالاته فهل من مُتذكر؟ هذا تفسيرٌ ذو موضوعية واعتدال مستوعب للمعنى القرآني المهم ، سهل الفهم ذو حيويّة فكريّة محرّكة للمشاعر بعيداً عن الغموض والتطرّف ، يعتمد الدلالة العقليّة الواعية والنقليّة الواقعيّة ، التي تتوافق مع منهج القرآن .

هذا التفسير يُبشّر ولا يُنفّر يُوحّد ولا يُفرّق يُحبّب ولا يُكرّه فيُحقق وحدة الدّين القيم ، وإخلاص القلوب إلى الله (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)[الزمر ٣]

هذا هو المنهج القرآني الوسطي المعتدل الذي يتناغم مع الروح وينسجم مع العقل من حيث النهضة العلمية والحضارية والقرآنية (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً)[البقرة ١٤٣]

يعتمد التفسير ذكر

الإشارات العلميّة والفوائد النافعة في محلّها المناسب.

أخوكم مكي قاسم البغدادي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢١٠٩ لسنة ٢٠١٨

9 78-9922 20-734-6